

موسوعة الخطب المنبرية

(23)

الباب الرابع

من خطب الشيخ محمد حسان

حفظه الله

(1)

جمع وإعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الباب الرابع

من خطب الشيخ محمد حسان حفظه الله

الطريق إلى القدس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه ، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته ، وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوءتم من الجنة منزلاً . وأسأل الله العظيم الكريم جلاً وعلاً الذى جمعنا وإياكم فى هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه . أحبتى فى الله :

إننا نكرر دائماً أنه لا ينبغي أن يكون العلماء والدعاة فى واد وأن تكون الأمة بجراحها فى وادٍ آخر .

ومن هذا المنطلق فإننى استحى من الله جل وعلا أن أقف اليوم بين أيديكم وسط هذه الآلام والجراح .

دون أن أتكلم عن القدس الجريح . لذا فإن عنوان لقاءنا مع حضراتكم فى هذا اليوم المبارك بعنوان :

الطريق إلى القدس

وكما تعودنا فسوف ينتظم الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية :

أولاً : مؤامرة حقيرة قديمة حديثة .

ثانياً : كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة .

ثالثاً : نبذ الفرقة وتوحيد الصف وتحقيق معنى الأخوة فى الله .

رابعاً : التخلص من الوهن .

خامساً : رفع راية الجهاد فى سبيل الله .

سادساً : الدعاء وصدق الملجأ إلى الله جل وعلا .

وأخيراً : المؤمنون الصادقون لا يعرفون لليأس طريقاً .

فأعيرونى القلوب والأسماع أيها الأحباب فإن هذا اللقاء الآن من الأهمية والخطورة بمكان والله أسأل أن يقر أعيننا وإياكم بتحرير القدس الشريف إنه ولى ذلك والقادر عليه .

مؤامرة حقيرة قديمة حديثة

أيها الأخيار الكرام إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الحياة على ظهر هذه الأرض . والأيام دول كما قال الله جل وعلا : **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ولا زال هذا الإسلام العظيم منذ أن بزغ فجره واستفاض نوره لا زال إلى يومنا هذا مستهدفاً من قِبَلِ أعدائه الذين لا يتفقون على شئٍ قدر اتفاقهم على الكيد للإسلام واستئصال شأفة المسلمين ولا زال التحدي قائماً ، بل وأعلن الأعداء بسفور ووضوح عن مؤامرتهم الحقيرة الرهيبة .

فقبل أربعين سنة وقف رئيس وزراء إسرائيل (ابن غريون) فى هيئة الأمم بعد أن اعترف العالم كله بالعدّة السرطانية الخبيثة التى تسمى بدولة إسرائيل التى أعلن قيامها فوق الثرى الطاهر والأرض المباركة فوق مسرى الحبيب محمد .

وقف رئيس وزراء هذه الغدة السرطانية المدمرة ليعلن للعالم كله عقيدة اليهود فى فلسطين ، وأتمنى أن تتعلم الأمة هذه العقيدة لتعلم يقيناً أن اليهود لا يتكلمون فى

مؤتمرات ولا فى مفاوضات إلا من خلال عقيدتهم المبدلة المحرفة المغيرة التى
يعتقدونها ويجلونها ، ويحترمونها وهم على الباطل فى الوقت الذى تنكر فيه أهل
الحق للحق الذى من أجله خلق الله السموات والأرض !!!
قال رئيس وزراء إسرائيل فى اللحظات الأولى لميلاد دولة إسرائيل قبل أربعين سنة
تقريباً :

قد لا يكون لنا فى فلسطين حق من منطلق سياسي أو قانوني ولكن لنا فى فلسطين
الحق من منطلق وأساس ديني .

فهي أرض الميعاد الذي وعدنا الله وأعطانا الله إياها من النيل إلى الفرات وإنه يجب
على كل يهودي أن يهاجر إلى أرض فلسطين .

وأنه على كل يهودي لا يهاجر اليوم إلى إسرائيل بعد إقامتها أن يعلم أنه مخالف
للتوراة وأنه يكفر كل يوم بالدين اليهودي .

ثم قال : لا معنى لفلسطين بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل، ولا معنى
لقيام دولة إسرائيل بدون فلسطين !!

وحتى تعلموا يقينا أن هذه عقيدة لا تتبدل ولا تتغير بتغير رؤساء الوزراء فهذا ما
أصله رئيس وزراء إسرائيل الحالي (نيتياهو) يوم أن نجح فى الانتخابات الأخيرة

قال : لقد صوّت اليهود أخيراً للتوراة !!
ثم قال - فضّ فوه - بمنتهى الوضوح : لا مجال للحديث فى أى مفاوضات عن تقسيم
القدس ، فإن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل !!

فالصراع بيننا وبين اليهود ليس صراع أرض وحدود ولكنه صراع عقيدة ووجود .
إن اليهود لم يتنازلوا عن (اريحا) إلا لأنهم يقرأون فى التوراة المحرفة المبدلة جملة

تقول (ملعون من سكنها) فما تنازلوا عنها إلا من أجل عقيدة يعتقدونها ويعتقدونها ..
أما القدس فلا ..

مهما طالت المفاوضات ومهما جلسوا على موائد المفاوضات فلن يتخلى اليهود عن
القدس أبداً ولا مانع عند اليهود أن يبذلوا من أجلها الدماء والأموال .

قال تعالى: وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [البقرة: 120]

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51]

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا
عِنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [آل عمران: 118]

وقال تعالى: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ
أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُمْ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 109]

أحبتى فى الله : إن للقدس طريقا واحدا .. لن تصل الأمة إلى القدس إلا من خلاله ولو
عاشت الأمة آلاف السنين ..
هذا الطريق وَضَّحَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا معالمة فى القران العظيم وبين النبي المصطفى
صلى الله عليه وسلم حدوده .

لو ظلت الأمة بعيدة عن هذا الدرب وعن هذا الطريق فلم تستطع ولن تستطيع أبداً أن تصل إلى القدس الشريف ، فما هي معالم هذا الطريق وما هي خطواته ؟!

أولاً : كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة

مستحيل أن يحرر الأقصى جيل لم يعرف الله .

كيف يحرر الأقصى جيل تحدى الله وحادَّ شرع الله وانحرف بعيداً عن منهج الله جل وعلا ؟!!

عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس وهو يقرأ قرآن ربه جل وعلا أما اليوم فإن الأمة قد نَحَّتْ قرآن الله وتحدَّتْ شريعة الله .

الفاروق عمر فتح القدس واستلم المفاتيح لأنه جاء وقد أحنى رأسه ذلاً لله وتواضعا لله جاء عمر الفاروق يتلو كتاب الله وينزل من على ظهر الدابة ليركب الخادم مرة وأمير المؤمنين مرة ومرة ثالثة يترك الأمير والخادم الدابة لتستريح !!

بهذه القلوب فتحت القدس ولن تحرر القدس إلا بمثل هذه القلوب التقية النقية الورعة . وأمام القدس المبارك وعلى ثرى الأرض الطاهر يمر عمر الفاروق بدابته على مخاضة (بركة ماء) فينزل الفاروق من على ظهر الدابة فيلتفت إليه قائد الجيوش أمين الأمة أبو عبيدة ويقول : يا أمير المؤمنين والله ما أحب أن القوم قد استشرفوك ، لا أحب أن يراك القوم وأنت على هذه الحالة .

فقال فاروق الأمة : أوه يا أبا عبيدة لو قالها غيرك ، لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام فمهما ابتغينا العز في غيره أزلنا الله !! الله أكبر .

وهذا صلاح الدين الذى تحرر قلبه انطلق ليحرر الأقصى الكريم المبارك صلاح الدين الذى سئل يوماً : لماذا لم تُرى مبتسماً ؟!!

فيقول القائد البطل : والله لن أبتسم والقدس فى أيدي الصليبيين !!!

إنها القلوب التى عرفت ربها جل وعلا وجاءت مزعنة .. منقادة إلى الله ، فذلل الله لها الأرض ، بل وأنزل الله لها الملائكة .

أيها الأخيار الكرام : كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة .

فلن تتوحد كلمة الأمة إلا إذا التقت قلوب أبنائها على كلمة التوحيد .. على كلمة لا إله إلا الله

فإننا ندين لله بأن الخطوة الأولى على طريق تحرير القدس هى العقيدة، تصحيح العقيدة وتصحيح العبادة وتحقيق الشريعة وعودة الأمة إلى الله .

كلمة التوحيد تلزم الأمة أن تصرف العبادة كاملة لله .

كلمة التوحيد تلزم الأمة بأن تحكم شريعة الله .

كلمة التوحيد تلزم الأمة بالموالاة لله ورسوله وأن تتبرأ الأمة من الشرك والمشركين .

كلمة التوحيد تستلزم هذا كله .. أن ترجع الأمة للتوحيد بشموله . فالتوحيد ليس كلمة فحسب بل كلمة باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان .

ففى صحيح مسلم ممن حديث أبى هريرة أنه قال :

((.... إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))(1) .

قال الحسن البصرى : ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن الايمان ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال .

فمن قال خيراً قُبلَ منه ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل منه .

لن يحرر القدس إلا رجل العقيدة الذى عرف قدر الله وعظمة الله وامتل عملها قول الله سبحانه: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام:163]

لن يحرر الأقصى إلا رجل العقيدة الذى استقر فى قلبه مفهوم الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين

لن يحرر الأقصى إلا رجل العقيدة الذى استقر فى قلبه مفهوم البراء من الشرك والمشركين وراح يحول قلبه وواقعه ومنهج حياته قول الله جل وعلا : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ

مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة:51]

ثانياً : نبذ الفرقة وتوحيد الصف وتحقيق معنى الأخوة .

إن الفرقة شر .. والخلاف هزيمة وضعف .

قال جل وعلا : وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال:46]

والله الذى لا إله غيره إن اليهود ما تلاعبوا بالأمة وضربوا الأمة بالنعال على أم رأسها إلا يوم أن علم اليهود أن الأمة مبعثرة وأن الأمة متشرذمة . فالأمة قد تمزقت إلى دويلات ، بل وتفتت الدويلات هى الأخرى إلى دويلات !!! . ودق العدو الفاجر مسماراً قذراً يسمى مسمار الحدود بين الدول الاسلامية والعربية ، ولا تكاد نار الفتنة تهدأ وتخمد على حدٍ بين دولتين إلا ويطرق الأعداء على رأس هذا المسمار بقوة فى مكان آخر لتشتعل النار مرة أخرى بين بلدين مسلمين عربيين . الأمة ممزقة والعدو لا يعترف إلا بالقوى !!

فالعالم لا يحترم الضعفاء .. والفرقة ضعف والاتحاد قوة .

الأمة تعلم يقيناً أنه لا عز لها ولا كرامة إلا إذا تكلمت بلسان رجل واحد، فتوحيد الكلمة قوة فلماذا لا تلتقى الأمة !!؟

إن المسلمين لما قالوا كلمة واحدة فى حرب العاشر من رمضان تحولت بهذه الكلمات الموازين ، يوم أن اتخذ العرب قرار منع البترول انقلبت الموازين ، وتحولت الدفة تماماً !!

ما على الأمة إلا أن توحد الصف ، وأن تنبذ الفرقة والخلاف ، وأن تحقق معنى الأخوة .

ينبغى أن تنفض الأمة هذه النعرات وأن تسقط الأمة هذه الرايات وأن تعلى راية الاسلام وراية الأخوة .

وأن تحقق قول الله جل وعلا : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات:10].

هذه الأخوة هى التى ألفت بين سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وأبى ذر الغفارى، وحمزة القرشى ، ومعاذ الأنصارى ، وبلال الحبشى ، إنها أخوة الدين - إنها أخوة العقيدة

فأخى وإن كان فى أقصى الشرق والغرب على الإسلام ، وأخى ابن أمى وأبى لا أعرفه إن كان على غير الإسلام .

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم فالرابطة التى تربط الأمة هى رابطة الأخوة فى الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله)) (1).

ولو عرفنا معنى هذه الأخوة لعلمنا لإخواننا فى القدس وفى الشرق وفى الغرب حقوق علينا يجب علينا ألا نتصل منها وإلا فإن الأمة كلها أئمة إن تخلت عن هذه الحقوق وضيعت هذه الواجبات .

قال الله جل وعلا : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الحجرات:10] .

وقال : ((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)) (2)

لا كرامة للأمة إلا إذا وحدت صفها ونزعت هذه الفرقة من قلوبها وحققت معنى الأخوة الإيمانية فإن رابطة العقيدة هى أعظم رباط وهى أوثق صلة ، بدونها لا يمكن أبداً أن يحترم العالم كله هذه الأمة التى تبعثرت كتبعثر الغنم فى الليلة الشاتية الممطرة .

ثالثاً : العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين .

إن الأمة ويا حسرة عليها بعيدة كل البعد عن أخلاق محمد بن عبد الله ، والقدس لن تحرر بالخطب الرنانة ولا بالمواعظ البليغة المؤثرة ، فنحن نخطب من عشرات السنين !! والأمة ذليلة والقدس فى الأسر من عشرات السنين !! .

فلن يعاد القدس بالخطب والمواعظ والمؤتمرات الكلامية فقط ولا بالمظاهرات الصاخبة أو بحرق العلم الأمريكى أو اليهودى وإنما بعودة الأمة إلى أخلاق دينها من جديد لتحول الأمة هذا الدين فى حياتها إلى واقع وإلى منهج حياة .

قد يكون من اليسير كما ذكرت أن نقدم منهجاً نظرياً فى الأخلاق وأن نقدم منهجاً نظرياً فى التربية .

ولكن هذا المنهج سيظل حبراً على ورق مالم تحوله الأمة فى حياتها إلى واقع عملى وإلى منهج حياة .

لقد أقام النبي للإسلام دولة من فترات متناثر وسط جاهلية جهلاء ووسط صحراء تموج بالكفر موجاً .

يوم أن قام النبي بطبع آلاف النسخ من المنهج التربوي الإسلامى ولكنه لم يطبعها بالحبر على صحائف الورق وإنما طبعتها على صحائف القلوب بمداد من نور ، فيجب على الأمة بكل أفرادها أن تعود من جديد إلى أخلاق هذا الدين .

رابعاً : التخلص من الوهن

فما هو الوهن أحبتي فى الله !!؟

إن الذى أذل الأمة داء عضال تحدث عنه الذى لا ينطق عن الهوى فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود من حديث ثوبان أن النبي قال : ((يوشك الأمم أن تداعى

عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)) قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : ((كلا ، ولكنكم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ، وليوشكن الله أن ينزع المهابة من قلوب عدوكم ويقذف في قلوبكم الوهن))، قيل وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : ((حب الدنيا وكراهية الموت)) (1)

إنه الداء العضال !! إنه الوهن الذي أذل الأمة .. إنه حب الدنيا .. إنه كراهية الموت . إن الأمة الآن إلا من رحم ربك تعيش لشهواتها الحقيرة ونزواتها الرخيصة ولا حول ولا قوة إلا بالله !!!

قال جل وعلا : قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلاً [النساء:

[77]

أيها المسلمون :

إن الفارق بيننا وبين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يبحثون وسط ميدان البطولة والشرف عن الشهادة في سبيل الله ، أما نحن فإننا نبحت عن الحياة وعن الخلود وَرَكْنَا إلى الوحل والطين!! إنه الوهن الذي أصاب الأمة بالذل والهوان !!

ولا كرامة ولا عزة لهذه الأمة إلا إذا تخلصت من الوهن !! إلا إذا تخلصت من حب الدنيا وكراهية الموت .. وعلمت يقينا أن الدنيا مهما طالقت فهي قصيرة ، ومهما عظمت فهي حقيرة وأن الليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر وإن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر .

وهذا التخلص من الوهن سعييد للأمة عزها وكرامتها وقوتها .

خامساً : ((رفع راية الجهاد في سبيل الله))

أحبتني في الله :

يجب أن نعلم جميعاً أنه لا كرامة ولا عز لهذه الأمة إلا إذا رفعت من جديد ، راية الجهاد في سبيل الله ، وإن لم ترفع الأمة راية الجهاد الآن فمتي سترفع هذه الراية !! لقد سعدنا كثيراً لما تقدم شيخ الأزهر مجموعة الشباب ورفع يديه وهو يقول : حى على الجهاد .. فما أحلاها من كلمة .

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((إذا تبايعتم بالعينة ، ورضيتم بالزرع ، وتبعتم أذناب البقر ، وتركتم الجهاد في سبيل الله ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا

إلى دينكم)) (1)

فلا عز ولا رفع لهذا الذل إلا إذا رفعت الأمة راية الجهاد في سبيل الله .

فإننا نعتقد اعتقاداً جازماً قول الصادق المصدوق لمعاذ بن جبل :

((... ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟)) قال معاذ قلت : بلى يا رسول الله ، قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله))

(2)

صدق الملجأ إلى الله

أيها الأخوة الكرام : لا تنسوا الدعاء .. ولا تستهينوا بالدعاء وصدق اللجوء إلى رب الأرض والسماء

بين يدي الآن عشرات الآلاف أسألكم بالله من منكم يدعوا الله في كل سجدة أن يحرر الأقصى وأن يفرج الكرب عن الأمة؟!!!

الدعاء سهام الليل .. أعظم جند .. فحارب به أعداء الله مع الأخذ بالأسباب التي ذكرت فنحن لا نجهل الأسباب ، والواقع الذي نحياه ولكن نعتقد اعتقاداً جازماً أن الأمة إن صدقت في اللجوء إلى الله وقامت في جوف الليل ولجأت إلى من بيده الأمر كله ، وإلى من بيده الكون كله لرأينا العجب العجاب . فاصدقوا أيها المسلمون في الدعاء وقوموا في جوف الليل وتضرعوا إلى رب الأرض والسماء .

كان عمر بن الخطاب يقول : إنكم لا تتصرون بعتاد وعدد وإنما تتصرون من السماء ، فأنا لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء .

تضرعوا يا مسلمون إلى الله سبحانه فإن الله عز وجل يقول :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [البقرة:186]

ولكن قد يتساءل البعض ويقول : منذ متى ونحن ندعوا الله ولم يستجب الله دعاءنا؟! والجواب : العودة إلى المنهج الذي ذكرت .. ولم لا؟!!

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ((ذكر الرجل أشعت أغبر يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يقول : يارب ، يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟)) (1).

ورد في كتاب الزهد للإمام أحمد رحمه الله : أن بني إسرائيل خرجوا يجأرون إلى الله بالدعاء ، فأوحى الله إليهم فقال خرجتم تجأرون إليّ بالدعاء حين اشتد عليكم غضبي ، ورفعتم إلى أكفأ سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام لن تزدادوا مني إلا بعداً))

إن الدعاء له شروط ، لكي يُقبل ولكي يُستجاب ، وشروطه أن نعود للمنهج الذي ذكرت .

قالوا : يابا إسحاق إبراهيم بن أدهم مالنا ندعوا الله فلا يستجاب لنا؟!!

قال : لأن قلوبكم قد ماتت بعشرة .

قالوا : وما هي ؟

قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقوقه !!

وزعمتم حب نبيه وتركتم سنته !!

وقرأتم القرآن ولم تعملوا به !!

وزعمتم أن الشيطان لكم عدو ولم تخالفوه !!

وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها !!

وقلتم أن الجنة حق ولم تعملوا لها !!

وقلتم أن النار حق ولم تهربوا منها !!

وقلتم أن الموت حق ولم تستعدوا له !!

وانتبهتم فانشغلتم بعيوب الناس ، ونسيتم عيوبكم !!

ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم !!

إخوته : ماتت القلوب فكيف يستجيب علام الغيوب ، فإن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه غافل .

فالأصل أن تحيي القلوب وأن تعود من جديد إلى علام الغيوب .
أسأل الله جل وعلا أن يحيي قلوبنا وأن يقر أعيننا بنصرة الاسلام وعز الموحدين
وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله .
اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد : أيها الأحبة الكرام :

فلقد مر المسلمون بأزمات أحلك من هذه الأزمة وانتصروا بموعد الله وموعد رسول الله !! فلا نياس ولا نقنط فإن الأعداء يريدون لنا اليأس من إمكانية تغيير هذا الواقع الذي نحياه الآن حتى نضل سلبين مستسلمين لهذا الواقع المر الأليم .
لقد مر المسلمون بأزمات حالكة كما بيئنا ذلك في خطبة (الهزيمة النفسية) ومع ذلك انتصر الإسلام والمسلمون وهلك الكفار وزال المنافقون والخائفون ، وبقي الإسلام شامخاً .. وسيبقى الإسلام شامخاً وسيظل الإسلام شامخاً بإذن الله ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تطفى نور الله جل وعلا .
لابد أن ننطلق بهذا اليقين وبهذه الثقة في نصرة رب العالمين .
الاسلام كدين ومنهج لا تستطيع قوة أن تستأصل شأفته من على ظهر الأرض لأنه الدين الخاتم وقد وعد الله بالتمكين له وبنصرته .

قال جل وعلا : يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف: 8 - 9]

وقال جل وعلا : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا [النور: 55]

وقال جل وعلا : كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ [البقرة: 249]
وقال سبحانه : وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [يوسف: 21]
وقال سبحانه : حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ [يوسف: 110]

وقال سبحانه : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال: 36]
وقال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى كما فى الحديث الذى رواه الطبرانى والحاكم وصححه الألبانى من حديث تميم الدارى أنه قال ((لا يبلغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله

الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الاسلام وذلاً يذل الله به
(الكفر)) (1)

وفى الحديث الذى رواه أحمد والبخاري والطبراني فى الأوسط وصححه شيخنا الألبانى
من حديث حذيفة بن اليمان أنه قال :

((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون
خلافة على منهاج النبوة ثم تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن
يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاصراً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء
أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن
يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت)) (2)

أسأل الله أن يُعجل بها . وأختم بهذا الحديث وأتمنى من أخوانى الشيوخ والعلماء
والدعاة وطلاب العلم الشرعى أن يركزوا على هذه الجزئية وهى بث الأمل فى قلوب
الأمّة ، وفى قلوب رجالها وشبابها حتى لا نقنط ولا نياس فنستسلم لهذا الواقع المرير
بل وننطلق فى عزّة واستعلاء وأمل فى نصر الله جل وعلا ...

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون
اليهود فيقتلهم المسلمون فيختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر
والشجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى ، تعال فاقتله ، إلا الغرقد ، فإنه من
شجر اليهود)) (1).

ونحن ننتظر هذه الجولة التى أسأل الله أن يشرفنى وإياكم بأن نكون من جندها أو أن
يكون أبناؤنا من جنودها إنه ولى ذلك والقادر عليه .

.....
(1) رواه مسلم رقم (2563) فى البر والصلة ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس

(1) رواه أحمد فى المسند (286/4) وابن أبى شيبة فى كتاب الايمان رقم 110
وحسنه شيخنا الألبانى فى الصحيحه حديث رقم (1728)

(2) رواه البخارى (366/10) فى الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم رقم
(2586) فى البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

(1) رواه أبو داود رقم (4297) فى الملاحم ، باب فى تداعى الأمم على الاسلام
ورواه أحمد (278/5) وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحه رقم (958) .

(1) رواه أبو داود رقم (3462) فى البيوع ، باب فى النهى عن العينة وصححه
شيخنا الألبانى فى الصحيحه رقم (11) ، والعينة : نوع مميم أنواع البيوع الربوية

(2) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

(1) رواه مسلم رقم (1015) فى الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب
وتربيتها

(1) صححه شيخنا الألبانى فى الصحيحه رقم (3)

(2) رواه أحمد (273/4) وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحه برقم (5)

(1) رواه البخارى (75/6) فى الجهاد ، باب قتال اليهود ، ومسلم رقم (2922) فى الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .

صرخات من القدس الجريح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]؟؟
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [الأحزاب:70-71] أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

أحبتى فى الله :

والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لما حل بأمتنا لمحزونون :

ففى كل بلد على الإسلام دائرة

ذبح وصلب وتقتيل بإخوتنا

يستصرخون ذوى الإيمان عاطفة

فهل هذه غيرة؟ أم هذه ضيعة... .. ينهد من هولها رضوى وثهلان

كما أعدت لتشفى الحقد نيران

فلم يُغيثهم بيوم الروع أعوان

للكفر ذكر وللإسلام نسيان

برك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكى المأساة فى كل بقاع الدنيا فى كل

مكان ذبح أبناؤنا تذبيح الخراف ، بل لقد وضع الطفل على النيران ليشوى جسده أمام

والده المسكين وبعدهما أنتهى المجرمون من شي الولد أمام والده قطعوا الطفل قطعاً

صغيرة وأجبروا والده تحت التهديد والتعذيب والوعيد أن يأكل من لحم ولده ، من

فلذة كبده ، من ثمرة فؤاده ، ثم بعد ذلك أطلقوا عليه النيران فقتلوه...!!

أختك . أختك التي انتهك عرضها .. وضاع شرفها ..وها هي الآن يا ابن الإسلام

تصرخ عليك وترجوك رجائها الأخير .. أتدرون ما هو رجائها الأخير؟! إن أختك

– التي انتهك عرضها وضاع شرفها – تصرخ عليك الآن وتقول : اقتلونى .. واقتلوا

العار بين أحشائي .. اقتلوا ولدى من السفاح والزنى !! هذا هو رجاؤها الأخير !!

وذلك بعدما صرخت طويلاً .. طويلاً .. حتى انقطع صوتها وضاع أنينها .. وراح

صوتها .. وهى تقول واسلاماه..

واسلاماه .. وا معتصماه .. وامعتصماه ، ولكن أين المعتصم ؟

ما ثم معتصم يغيث

ذبحوا الصبي وأمه

وعدوا على الأعراض

يا ألف مليون وأين هم

ما ثم معتصم يغيث من استغاث به وصاح

وفقاتها ذات الوشاح

في انتشاء وانتشراح

إذا دعت الجراح ؟

من استغاث به وصاح

برك الدماء وأكوام الإشلاء . تجسد الفجيعة وتحكى المأساة في كل مكان، في البوسنة

، في الصومال ، في كشمير ، في الهند ، في الفلبين ، في بورما ، في تركستان ، في

افغانستان ، في طاجكستان ، في الجزائر ، وأخيراً في فلسطين . برك الدماء وأكوام

الإشلاء .. ولا زال المشاهدون من كل بقاع الدنيا قابعين في مقاعدهم يشاهدون هذه

المسرحية الهزلية المحرقة منهم من يبارك هذه التصفية ، ومنهم من يبارك هذه

الإبادة ، ومنهم من جلس يمسح عينيه بمنديل حرير !! ولكنه ما زال مصراً على أن

يقبع في مقعده ليشارك آخر فصول هذه المسرحية الهزلية المحرقة !! طاردتني هذه

الصور المؤلمة التي تحرق فؤاد كل مسلم حي . هذا إن كنا لا زلنا نحمل في الصدور

أفئدة ، إن كنا لا زلنا نحمل في الصدور قلوب ما كفتت ولا حول ولا قوة إلا بالله .

طاردتني كما طاردت كل مسلم صادق ، هذه الصورة المؤلمة التي تحرق القلب ،

صورة هذا الطفل المسكين الذي لا ذنب له ولا جريمة إلا أنه ولد فوق الثرى الطاهر

والأرض المباركة ، فوق مسرى الحبيب محمد ، وقام اليهود المجرمون الذين لا

يعرفون رحمة ولا يعرفون شفقة ، حتى بعدما احتفى الطفل بأبيه وراح يدفع يديه

خائفاً من هؤلاء المجرمين ، وراح الوالد المسكين يرفع يده مستسلماً ، ولكن هيهات

.. هيهات .. هيهات أن يعرف اليهود الرحمة ، اللهم إلا إذا دخل الجمل سمّ الخياط ،

فأطلقوا الرصاص على

رأس هذا الطفل المسكين فأردوه قتيلاً ، وإن شئت فقل لقد قتلوا أباه وإن لم يمته

الرصاص ، تصور أن يموت ولدك بين يديك بهذه الصورة التي تحرق الأفئدة ، والله

لقد نظرت إلى أطفالي بالأمس القريب.. نظرت إليهم وتخيلت أن قاذفة من قاذفات

العدو اليهودي قد سقطت على بيتي .. على أهلي وأولادي فتمزقت أشلاء أولادي بين

يدي وأمام عيني ، والله عبثاً حاولت النوم .. فأنى للقلوب التي تعرف حقيقة الإيمان ،

فأنى للقلوب التي ذاقت حلاوة الولاء والبراء أن تعرف طعم النوم ، وأن تعرف طعم

الراحة .

طاردتني صورة الطائرات الدبابات والصواريخ والمدفعية تدك بيوت الفلسطينيين

العزل الذين لا يملكون إلا إيماناً بالله عز وجل .. ثم الحجارة .. ثم الحجارة .. ثم

الحجارة!!

وطاردتني صورة امرأة عجوز يتساقط بيتها وهي تنظر إلى سقف البيت يتحطم ولا تملك أن تفعل شيئاً على الإطلاق .

وطاردتني صورة الأقصى الجريح وهو يئن ويستجير ، وهو يصرخ في المسلمين وإسلاماه .. وإسلاماه .. وإسلاماه .. لكن من يجيب؟! من يجيب؟!!! القدس يصرخ .. لكن من يجيب ؟ كنت أصرخ ، ولكن الصرخة في صحراء مقفرة في صحراء مهلكة .

عبثاً دعوت وصحت يا أحرار عبثاً لأن قلوبنا أحجار
عبثاً لأن عيوننا مملوءة بالوهم تُظلمُ عندها الأنوار
عبثاً لأن شئوننا يا قومنا في الغرب يفتل حُبُّها وتدار
ولأننا خشب جامدة فما ندرى ماذا يصنع المنشار ؟
أما سقوط الأقصى فحالة مألوفة تجرى بها الأقدار
هذه شئون القدس ليس لنا بها شأن وما للمسلمين خيار
يا ويحكم يا مسلمون قلوبكم ماتت فليست بالخطوب تثار
أنكرتم الفعل الشنيع بقولكم شكراً شكراً لكم لن ينفع الإنكار
شكراً على تنظيم مؤتمراتكم وعلى القرار يصاغ منه قرار
وعلى تعاطفكم فتلك مزية فيكم تصاغ لمدحها الأشعار
يا ويحكم يا مسلمون نسائكم في القدس يسألن عنكم والدموع غزار
هذه تساق إلى سراديب الهوى سوقاً وتلك يقودها الجزار
لو أن سانحة من الغرب اشتكت في أرضكم لتحرك الإعصار
أما الأطفال أما الصغار فلا تسأل عن حالهم مرض وخوف قاتل وحصار
اليهود هم اليهود .. كررنا ذلك حتى بحت الأصوات ، لكن الأمة لا تريد أبداً أن
تصدق رب الأرض والسموات ، متى وَفَى اليهود بعهد على طوال التاريخ؟! .
قلت : لقد نقض اليهود العهود مع الأنبياء ورب الأرض والسماء ، وأسأل بمرارة :
هل ينقض اليهود العهود مع الأنبياء ورب الأرض والسماء ثم يفى اليوم اليهود
بالعهود للحكام والزعماء؟! .

لقد ماتت عملية السلام ، قلنا ذلك مراراً قبل ذلك فلم يصدقنا أحد .

فحال أمتنا حال عجيبة وهي لعمر الله بائسة كئيبة ...

... يحتاجها الطوفان طوفان المؤامرة الرهيبة

ويخطط المتآمرون كي يغرقوها في المصيبة ...

... وسيحفرون لها قبوراً ضمن خططهم الرهيبة

قالوا السلام السلام قلت يعود الأهل للأرض السليبية ...

... وسيلبس الأقصى غداً أثواباً قشبية

فإذا سلامهم هو التنازل عن القدس الحبيبة ...

... فبئس سلامهم إذاً وبئست هذه الخطط المرية

فالمسجد الأقصى في الدماء له ضريبة ...

... ..

الله تبارك وتعالى خلق اليهود وهو وحده الذي يعلم من خلق ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير [الملك:14]. قال جل وعلا أو كلما عاهدوا عهداً نبذته فریق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون [البقرة:100]. وقال جل وعلا : فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم [المائدة:13]. أى على خيانة بعد خيانة هذا كلام ربنا جل وعلا ولا أريد أن أفهم مع آيات القرآن فالآيات كثيرة قال جل جلال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل [المائدة:60]

قال جل وعلا لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون [المائدة:78-79]. ها هو القرآن يُقرأ ويتلى فى الليل والنهار .. لكن من يصدق كلام

العزير الغفار؟! ومن يصدق كلام النبى صلى الله عليه وسلم المختار!؟

اليهود قومُ بُهتِ وقومُ خيانةٍ .. متخصصون فى نقض العهود ... والله الذى لا إله غيره لن يأتى فى إسرائيل وزارة تحترم عهداً أبرمت فى أوصلو ، أو مدريد ، أو تل أبيب ، أو كامب ديفيد الأولى .. والمليون ، لن تكون هناك وزارة أو حزب عمل أو حزب ليكود يحترم عهداً أو ميثاقاً ، فهذه جبلة اليهود وطبيعة اليهود منذ أول لحظة هاجر فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقام عبد الله بن سلام حبر اليهود فنظر إلى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فعرف أنه ليس بوجه كذاب فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وقال للمصطفى يا رسول الله اليهود قوم بهت (أى أهل ظلم ينكرون الحقائق) . فاكم عنهم خبر إسلامى وسلمهم عنى .

فجمع النبى صلى الله عليه وسلم بطون اليهود ، وقال لهم : ((ما تقولون فى عبد الله بن سلام)) قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وابن حبرنا ، فقام عبد الله بن سلام إلى جوار رسول الله ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فردوا جميعاً على لسان وقلب رجل واحد فى حق عبد الله ابن سلام وقالوا : هو سفيها وابن سفيها .. وجاهلنا وابن جاهلنا !! هذه طبيعة اليهود منذ اللحظات الأولى لم تتغير ولن تتغير ، فمتى يفيق النائمون ؟

ليعلم الكل علم اليقين أن أمريكا ليست شريكاً نزيهاً فى عملية السلام ، كلا وألف كلا ، الكفر ملة واحدة ، لا يمكن أبداً لأمريكا أن تنصر قضية من قضايا الأمة . ولا يمكن أبداً لهيئة الأمم أن تنصر قضية من قضايا الأمة، لا يمكن أبداً لحلف الناتو أن ينصر الأقلية المستضعفة من المدنيين فى فلسطين من أجل سواد عيون الأمة ، ولا تُخدعوا بتدخل حلف الناتو فى كوسوفا لأنهم ما تدخلوا إلا لمصالحهم الاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية . هذا أمر لا ينبغي أن يجهله الآن مسلم أو مسلمة على وجه الأرض .. الكفر لا ينصر توحيداً ... الكفر لا ينصر إسلاماً ، الكفر ملة واحدة ، أنهم يشاهدون على شاشات التلفاز كل ليلة ما يحدث لإخواننا وأخواتنا وأطفالنا فى فلسطين لكن .

أين النظام العالمى ؟ أما له أثر ؟ ألم تتعق به الأبواق ؟

أين السلام العالمى ؟ لقد بدا كذب السلام وزاغت الأحداق
يا مجلس الخوف الذى فى ظله كُسر الأمان وضيع الميثاق

أو ما يحركك الذى يجرى لنا أو ما يثيرك جرحنا الدفاق
وحشية يقف الخيال أمامها متضائلاً وتمجها الأذواق
هذا هو الغرب يا من خُدعتم بالغرب طيلة السنين الماضية .
هذا هو الغرب أيها المرجفون .. يا من تعزفون على وتر التقديس والتمجيد للغرب
فى كل المناسبات !!

قالوا لنا : الغرب قلت

قالوا لنا الغرب قلت: صناعة و سياحة ومظاهر تغرينا
لكنه خاو من الإيمان لا يرعى ضعيفا أو يسر حزينا
الغرب مقبرة المبادئ لم يزل يرمى بسهم المغريات الدينا
الغرب مقبرة العدالة

الغرب مقبرة العدالة كلما رفعت يد أبدى لها السكينا
الغرب يكفر بالسلام وإنما بسلامة الموهوم بسنهوينا
فالغرب يحمل خنجرا و رصاصة فعلام يحمل قومنا زيتونا
كفر وإسلام فأنى يلتقى هذا بذلك أيها اللاهونا
أنا لا ألوم الغرب فى تخطيطه ولكن ألوم المسلم المفتونا
وألوم أمتنا التى رحلت على درب الخضوع ترافق التنبنا
وألوم فينا نخوة لم تنتفض لا لتضربنا على أيدينا

يا مجلس الأمن

يا مجلس الأمن المخيف إلى متى تبقى لتجار الحروب رهينا
إلى متى ترضى بسلب حقوقنا منا وتطلبنا ولا تعطينا
لعبت بك الدول الكبار فصرت فى ميدانهم اللاعب الميمونا
يا مجلسا غدا فى جسم عالمنا مرضا خفيا يشبه الطاعونا
شكراً شكراً لمجلس الأمن شكراً

لقد أبرزت وجه حضارة غربية لبس القناع سنينا

شكراً لقد نبهت غافل قومنا وجعلت شك الواهنين يقينا

يا مجلس الأمن انتظر إسلامنا سيريك ميزان الهدى ويرينا

إنى أراك على شفير نهاية ستصير تحت ركامها مدفونا

يا مجلس الأمن أنتظر إسلامنا سيريك ميزان الهدى ويرينا

إنى أراك على شفير نهاية ستصير تحت ركامها مدفونا

إن كنت فى شك فسل فرعون عن غرق وسل عن خسفه قارونا

شهداؤنا خرجوا من الأكفان .. وانتفضوا صفوفاً .. ثم راحوا يصرخون عار عليكم

أيها المستسلمون .. وطن يباع !!

وأمة تنساق قطعانا .. وأنتم نائمون

شهداؤنا قاموا وزاروا المسجد الأقصى

وطافوا فى رحاب القدس واقتحموا السجون

فى كل شبر من ثرى الوطن المكبل ينبتون !!

فى كل ركن من ربوع الأمة التكلى أراهم يخرجون !!

شهداؤنا وسط المجازر يهتفون .. الله أكبر .. إنا عائدون .
شهداؤنا يتقدمون .. أصواتهم تملو على أسوار فلسطين الحزينة
في الشوارع .. في المفارق يهدرون
إني أراهم في الظلام يحاربون !!
رغم انكسار الضوء في الوطن المكبل بالمهانة والمجون
شهداؤنا وسط المجازر يهتفون .. والله إنا عائدون .. والله إنا عائدون
أكفاننا ستضيئ يوماً في رحاب القدس .. سوف تعود تقتحم الحصون
شهداؤنا في كل شبر يصرخون .. يا أيها المنتطعون !!
كيف ارتضيتم أن ينام الذئب في وسط القطيع وتأمنون؟!
وطنٌ بعرض الكون يعرض في المزاد وطغمة الجرذان في الوطن الجريح يتاجرون

أحيأنا الموتى على الشاشات في صخب النهاية يسكرون !!
من أجهض الوطن العريق وكبل الأحلام في كل العيون؟!
يا أيها المتشردمون .. والله إنا قادمون
شهداؤنا في كل شبر في البلاد يزمجرون
جاءوا صفوفاً يسألون يا أيها الأحياء ماذا تفعلون؟!
في كل يوم كالقطيع على المذابح تصلبون !!
تتسربون على جناح الليل كالفران سراً .. للذئاب تهولون
وأمام أمريكا تقام صلاتكم فتسبحون !!
وتطوف أعينكم بها .. وفوق ربوعها الخضراء يبكي الساجدون
صور على الشاشات جرذان تصافح بعضها !!
والناس من ألم الفجيرة يضحكون !!
تباع أوطان .. وتسقط أمة .. ورؤسكم تحت النعال وتركنون
تسلم القدس العريقة للذئاب ويسكر المتآمرون !!
القدس تسألكم أليس لها حق عليكم ؟ أين فر الرافضون ؟!
أين غاب البائعون ؟ أين راح الهاربون ؟ الصامتون الغافلون الكاذبون؟
صمتوا جميعاً والرصاص الآن يخترق العيون !!
وإذا سألت .. سمعتهم يتصايحون .. هذا الزمان زمانهم في كل شئ في الورى
يتحكمون

لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص .. فإنكم في كل شئ خاسرون
لن يترك الطوفان شيئاً .. كلكم في اليم يوماً غارقون !!
تجرون خلف الموت والنخاس يجرى خلفكم
وغداً بأسواق النخاسة تعرضون
لن يرحم التاريخ يوماً من يفرط أو يخون .
كُهاننا يترنحون .. فوق الكراسي هائمون !!
في نشوة السلطان والطغيان راحوا يسكرون !!
وشعوبنا أرتاحت .. ونامت في غيابات السجون !!

نام الجميع .. وكلهم يتثأبون .. فمتى يفيق النائمون؟! ..
متى سترجع الأمة إلى ربها - سبحانه وتعالى - وإلى نبيها لتحقيق منهج الله فى
الأرض ، لتكون أهلاً لنصرة الله .

فالأمة تلك مقومات النصر نعم .. الأمة تمتلك الآن مقومات النصر .
وهنا يثور السؤال المرير : ما الذى أوصل الأمة إلى هذه الحالة المزرية؟! من ذل ،
ضعف ، وهوان ، وتشرذم ، وتشتت !!

تقسمت الأمة إلى أجزاء ، بل وتفتت الأجزاء هى الأخرى إلى أجزاء !! ما الذى
أوصل أمة القرآن إلى هذه الحالة المزرية التى نراها عليها الآن؟! ..

وأنتبه أيها الحبيب : لتعرف على الجواب فى كلمات قليلة حاسمة قاطعة قال تعالى :
.... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [الرعد: 11]

ورب الكعبة لقد غيرت الأمة ، وبدلت ، وحرقت ، وأبتعدت الأمة كثيراً عن المنهج
الربانى الذى جاء به الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

يا شباب الصحوة : هذه سنة ربانية ثابتة .. ينبغى أن تستقر فى القلوب قبل الأذهان
والعقول .

أن الأمة قد انحرفت كثيراً عن المنهج الربانى فى جانب العقيدة فى جانب العبادة ،
فى جانب التشريع ، فى جانب التباع ، فى جانب الأخلاق والمعاملات والسلوك .

ابتعدت الأمة كثيراً كثيراً - إلا من رحم ربك - عن المنهج الربانى الذى جاء به
رسول الله .

ففى جانب العقيدة نرى العقيدة الآن تذبح شر ذبحة على أيدي الكثيرين من أبناء الأمة
- إلا من رحم ربك - والله جل وعلا يقول : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [الحج: 62] .

أستمعنا بأم أذاننا على شاشات التلفاز من يقول وهو يناجى رسول الله : يا أكرم الخلق
مالى من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم ، وإن من فيض جودك الدنيا

ودرتها ، ومن علومك علم اللوح والقلم !! نرى العقيدة الآن تذبح شر ذبحة !!
فى جانب العبادة : نرى كثيراً من صور العبادة الظاهرة ، والباطنة قد صرفت لغير

الله جل وعلا . ذبح لغير الله !! وسئل غير الله !! واستعان كثير من الناس بغير الله !!
وفوض كثير من الناس الأمور لغير الله !! بل ووثقت القلوب ببعض قوى الأرض

وببعض دول الأرض أكثر من ثقنها بخالق السموات والأرض - جل وعلا - والله
سبحانه وتعالى يأمر نبيه ويقول : قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: 162-163] . أما فى

جانب التشريع فأبكى دما بدل الدمع ، ضيعت الأمة شريعة ربها الكبير المتعال ،
حرفت الأمة شرع ربها .. واستبدلت الأمة بالعبير بعراً .. وبالثرى ثرى .. وبالرحيق

المختوم حريقاً محرقاً مدمراً .

أبت الأمة إلا أن تناقض قول ربها .. الله جل وعلا يقول : إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَبأبأ كثير
من أبناء الأمة إلا أن يقول : إن الحكم إلا للمجالس الشعبية ، للمجالس النيابية ،

وللبیوت البيضاء والسوداء والحمراء والله جل وعلا يقول : أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة: 50] . غيرت الأمة شريعة ربها .

يقرأ المسلم الآن فى قرآن ربه : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [المائدة: 6]
ويلتزم بهذا الأمر الإلهى ويضيع فى نفس السورة قول ربه : ... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة: 44] . يلتزم بقوله الله فى سورة البقرة يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ.... .

ويضيع فى نفس السورة قول ربه : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ انْفِصَام
نكد ، ضيعت الأمة - إلا من رحم ربك - شريعة ربه!!.

وفى جانب الاتباع تغنت الأمة بحبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت
طائفة من الأمة تسخر بسنته وتهزأ بأوامره .. فاللحية عفن !! والنقاب خيمة!!
والخنزير الذى حرمه القرآن كان خنزيراً هزلياً فى أرض الجزيرة .. أما خنازير
اليوم فإنها تربي تحت العناية الطبية وتحت الرعاية الصحية فما الداعى لتحريمها
والخمر الذى حرمه القرآن كان قديماً ، أما خمر الآن فما الداعى لتحريمها وهى التى
تسمى بالمشروبات الروحية !! وهكذا ادعت الأمة حب نبيها واتباع نبيها وسخرت
من شريعته واستهزأت بسنته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أما جانب الأخلاق والمعاملات والسلوك فحدث ولا حرج كثر الغش وقل الصدق ،
وانتشر الخداع وفدّم الفارغون ، وقدم الخائنون وأجرّ المؤمنون وقدم الكاذبون وآخر
الصادقون ، وصدق فى الأمة قول الصادق المصدق كما فى الحديث الذى رواه ابن
ماجه فى سننه وهو حديث صحيح :

((سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ
وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ))(1) . قيل وما
الروبيضة يا رسول الله . قال : ((الرَّجُلُ النَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ)) . غيرت الأمة
أبيها الأحباب والله عز وجل يقول : ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
... وأنا ما أريد أن أسكب اليأس والقنوط فى قلوبكم ولكننى أريد أن أشخص الداء ولو
كان مرأً بطعم الحنظل لنحدد الدواء الناجح لهذا الداء ، وأقول قولى هذا وأستغفر الله
لى ولكم

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : أيها الأحبة الكرام :

أقول أننا نستبشر بخير ولكن بشرط ؟ .. أن تعلن الأمة الآن الجهاد فى سبيل الله ،
وسئلهم اليهود ، لا أقول لك رجماً بالغيب ، ولا من ضغط الواقع المرير ولا من باب
الأحلام الوردية الجاهلة ، ولا من باب الجهل بالواقع الذى تعيشه أمتنا ونحياها الآن
بكل مأسية ، كلا وإنما أقول ذلك من منطلق الحقائق الربانية والنبوية ، فهو كلام ربنا
، وكلام نبينا الصادق الذى لا ينطق عن الهوى .

تدبروا معى هذه الآية التى قرأتموها جميعاً ، وسمعتوها جميعاً ، لكل قل من أنتبه ..
 ووقف معها ليتدبرها ، ألا وهى قول الله تعالى فى سورة آل عمران فى حق اليهود :
 لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ [آل عمران:111] .
 هل تصدقون الله رب العالمين وقال سبحانه : لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ
 أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى... [الحشر:14] .
 هذا كلام الخالق الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .
 وقال تعالى : وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعِّثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ...
 [الأعراف:167] .

وقال جل وعلا : ... جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ جِئْنَا بِكُمْ لَئِيفًا .
 وها هم اليهود يأتون ألفافاً من كل بقاع الأرض ليتحقق وعد الله فى آية الإسراء
 الأولى : وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا
 كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ
 وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ
 نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
 وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا [الاسراء:4-7] .

تدبروا معى الآيات لنفخ مع هذه البشارة العظيمة . فالحق وإن أنزوى كأنه مغلوب
 فإنه ظاهر ، والباطل وإن انتفش كأنه غالب فإنه زاهق وقل جاء الحق وزهق الباطل
 أن الباطل كان زهوقاً . بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ
 مِمَّا تَصِفُونَ .. تدبر معى قول رب العالمين : وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ
 لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا إِذَا جَاءَ وَقْتُ الْمَرَّةِ الْأُولَى لَتُدْمِرَ مَا
 شِيدَ الْيَهُودِ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا... أى بعث الله على اليهود عباداً له ليسوموا اليهود
 سوء العذاب .

أختلف المفسرون فى كتب التفسير ، فقد قرأت ما يزيد على عشرين تفسيراً فى هذه
 الآيات فوجدت أن جُل المفسرين قد فسروا هذه الآيات بأن الذى سُلط على اليهود هم
 البابليون أو الرومان أو بختنصر ، فتدبرت الآيات مراراً وتكراراً ووقفت مع بعض
 أهل العلم من المحققين الذين قالوا : بأن الله تبارك وتعالى يقول : بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا
 لَنَا... فالعبودية إن نُسبت لله لا تكون أبداً إلا للموحدين .

قال تعالى : وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ . وقال تعالى : إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، وقال
 تعالى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ

وقال تعالى : وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ، وقال تعالى : وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
 عَلَى عَبْدِنَا إِذَا الْعِبَادِيَّةُ لَنَا نُسبت لله تعالى وكانت خالصة له فهى من المؤمنين
 الصادقين ، والبابليون وثنيون ، والرومانيون وثنيون ، وبختنصر وثنى ليس بمسلم ،
 فكيف يقال بأن هؤلاء تنطبق عليهم الآية؟! كلا ، إذاً من هم عباد الله الذين سلطهم
 الله على اليهود أول مرة؟ إنهم أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم نعم ، فهم
 الذين طردوا اليهود من بنى النضير ، من بنى قينقاع ، من خبير من بنى قريظة ،
 وأخرجوهم من المدينة .

ثم الصحابة هم الذين دخلوا المسجد أول مرة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح يوم نزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ليتسلم مفاتيح بيت المقدس بيده ، ليكتب لأهل بيت المقدس من أهل إيليا العهد العمرية المشهورة ، وقد تحدثت عنها بالتفصيل قبل ذلك.

إِذَا .. أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم عباد الله الذين دخلوا المسجد أول مرة ولذلك تدبر معى قول الله تعالى : إِذَا جَاءَ وَعَدُّ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ أَى عَلَى هؤلاء العباد الذين انتصروا عليكم .

وها نحن نرى الكرة قد أعيدت لليهود علينا ، أى : على أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين والمؤمنين ثم رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ [أى أمد الله اليهود بأموال وها نحن نرى] وها نحن نرى أبناء اليهود من كل بقاع الأرض يجتمعون وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا والنفير هو نفير الحرب وها أنتم ترون اليهود يمتلكون إلى الآن مائتى قنبلة نووية وتمد أمريكا اليهود بالسلاح ، ثم قال لهم ربهم سبحانه وتعالى : إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا [تدبر معى] فَإِذَا جَاءَ وَعَدُّ الْآخِرَةِ [أى وعد المرة الثانية والأخيرة] لَيْسُوا وَ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ أَى عَلَى هؤلاء العباد الذين انتصروا عليكم .

الراحمين . وها هو نبينا الصادق الذى لا ينطق عن الهوى كما فى مسند أحمد وغيره بسند صحيح أنه وضع يوماً يده على رأس أبى الحوالة الأزدي ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لأبى حوالة : ((يا أبا حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل ، والبلايا ، والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك))

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أنه قال : ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ)) (1) والله لا عزة للأمة ولا كرامة للأمة - بعد ما فعل اليهود ما فعلوا - إلا أن ترفع الأمة اليوم راية الجهاد فى سبيل الله ، فليرفعها زعيم واحد من زعماء العرب وسينضوى تحت راية الجهاد فى سبيل الله - بقيادته - ملايين الشباب ممن تحترق قلوبهم وتتشوق للشهادة فى سبيل الله . أيتها المسلمون : كونوا عى يقين جازم بأن الأمة لا ينقصها شئ من عدد ، عدة ، وعتاد ، وقوة ، ولكن الأمة مهزومة من داخلها .

الله - جل وعلا - ما أمر الأمة إلا أن تعد قدر استطاعتها وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [الأنفال:60] إذا كان هذا الإعداد هو أقصى ما تملكه الأمة فما عليها بعد ذلك إلا أن تضحي بعشرات الآلاف من شبابها ممن يتشوقون الآن للشهادة فى سبيل الله وأن ترفع راية الجهاد ، فلا عز لها ، ولا كرامة إلا بالجهاد وهذا هو كلام ربنا وكلام الصادق نبينا ، قال : كما فى سند أحمد وسنن أبى داود والحديث صححه شيخنا الألبانى من حيث ابن عمر أنه قال : ((

إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيَّةِ وَرَضِيْتُمْ بِالرِّزْعِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقْرِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)) (1)

أما أنت والذى الفاضل ، وأنت أختى الحبيب ، وأنت أختى الفاضلة .
قد يسألنى الجمع الذى بين يدى الآن ما نصنع نحن ؟ وما دورنا ؟
أقول لو خرجتم اليوم بهذه العقيدة ، بعقيدة الولاء والبراء .. بعقيدة الحب لله ولرسوله
.. ثم بتحويل هذه العقيدة والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتكم إلى واقع
عملى وإلى منهج حياة وتبرأتم من اليهود ومن الشرك والمشركين ، وعلمتم نساءكم
وبناتكم وأولادكم هذه العقيدة وأشرب الجيل هذه العقيدة ، فإن هذه خطوة عملية على
الطريق .

والله - عز وجل - لن يسألنا عن النتائج .. بل أمرنا أن نبذل أقصى ما فى طوقنا وهذا
هو الآن ما فى مقدورنا نحن الضعفاء ، ولندع النتائج بعد ذلك إلى الله جل وعلا .
ثانيا : ليستعد الآن كل رجل منكم للمرحلة المقبلة .. والله إن المرحلة القادمة لخطيرة
، وقد ينادى عليك بين عشية وضحاها ، إذا ما تعرض الجميع لخرج أمام اليهود ،
وقد ينادى عليك بالخروج للجهاد فى سبيل الله فإن المرحلة هذه قادمة ، ولا بد أن
تستعد .. لا بد أن تعد قلبك .. وأن تعد نفسك .. وأن تعد نساءك .. وأن تعد بناتك ...
وأن تعد أولادك لمثل هذا اليوم .

وسل الله بصدق أن يبلغك الشهادة قال : ((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ
الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) (1)

ما تريدون بعد ذلك ؟
لكن المصيبة التى تحطم القلوب أن المسلم لا يحمل حتى فى قلبه للدين ؟! فكيف
يتحرك هذا بعد نل للجهاد ؟!

لا بد أن تحترق القلوب ابتداءً ، لا بد أن يرى الله منا أنه ما حبسنا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا العذر . اللهم بلغ رسولنا عنا أنه ما حبسنا إلا العذر ليرى الله
من قلوبنا أنها حبسنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا العذر .

وأبشركم بهذه البشارة .. بشارة تكسب الأمل فى القلوب الجريحة الحديث رواه
البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم أنه قال : ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ
مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَايًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ)) قالوا : يا رسول الله وهم
بالمدينة. قال ((وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)) (2) اللهم بلغ عنا رسولك أنه ما
حبسنا إلا العذر

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد

إننا أقمنا على عذر نكابه ... سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا

ومن أقام على عذر كمن راح

الدعاء

(1) صحيح : رواه ابن ماجه رقم (4108) فى الفتن ، باب الشدة الزمان ، وصححه
شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (1887) .

(1) متفق عليه : البخارى (2926) فى الجهاد ، باب قتال اليهود ، ومسلم (2922) فى الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .

(1) صحيح : أبو داود رقم (3462) فى البيوع ، باب فى النهى عن العينة ، وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة (11) .

(1) صحيح : مسلم رقم (1909) فى الإمارة ، باب أستحباب طلب الشهادة فى سبيل الله ، وأبو داود رقم (1520) فى الصلاة ، والترمذى رقم (3653) فى فضائل الجهاد ، والنسائى (36/6 ، 37) فى الجهاد .

(2) متفق عليه : البخارى رقم (2839) فى الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الغزو ، ومسلم رقم (1911) فى الإمارة ، بابا ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر .

الإرهاب اليهودى

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه ، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته .

وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد:

فحياكم الله جميعاً أيها الأخوة الفضلاء الأعزاء وأيتها الأخوات الفاضلات وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم تبأتم من الجنة منزلاً ، وأسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنا فى هذه الدنيا دائماً وأبداً على طاعته أن يجمعنا فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار مقامته إنه ولى ذلك والقادر عليه .

أحبتى فى الله الإرهاب اليهودى هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم فى هذا اليوم الكريم ، وكعادتى حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم فى هذا الموضوع الذى يجمع بين الآلام والأمال وبين الجراح والأفراح فى العناصر المحددة الآتية:

أولاً: واقع ينزف .

ثانياً: اليهود هم اليهود .

ثالثاً: الكفر ملة واحدة .

رابعاً: فما الحل؟

وأخيراً : لا تياسوا فمن رحم الظلام يولد الصباح فأعيرونى القلوب والأسماع والله أسأل أن يقر أعيننا فى ذل اليهود والأمريكان ونصرة الإسلام والمسلمين ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

أحبتى فى الله : واقع ينزف

آه يا مسلمون آه يا مسلمون متم قرونا والمحاق الأعمى يليه محاق

أى شئ فى عالم الغاب نحن آدميون أم نجاج نساق
نحن لحم للوحش والطير منا الجثث الحمر والدم الدفاق
وعلى المحصنات تبكى البواكى يا لعرض الإسلام كيف يراق
قد هويينا لما هودت واعدوا واعدوا من الردى ترياق
واقتلعنا الإيمان فاسودت الدنيا علينا واسودت الأعماق
وإذا الجذر مات فى باطن الأرض تموت الأغصان والأوراق
القدس تباد والعالم كله خزى وخيانة ونفاق
القدس من دولة المجد عثمان أبوها والفتاح العملاق
القدس من قلب مكة بالتو حيد يعلو لواءها الخفاق
تركوها وحولها من كلاب اليهود وطوق من خلفه أطواق
قدمته الصلبان لليهود قربانا ولليهود كلهم عشاق
ولو فعلنا فى اليهود ما فعلوها لرأينا مثل الذى رآه أفغان وعراق
قد حفظنا للمرة الأف عنكم عالم الغاب ما له ميثاق

...

واقع ينزف طفل لا يعرف أين ذهب أبوه ولا أين ذهبت أمه ولا أين ذهب إخوانه
طفل فى الثانية من عمره ينظر إلى السماء التي حولها السلاح الأمريكى فى أيدى
اليهود إلى نهار مشرق مضئ فهو يتساءل ما هذه الأنوار فى جو السماء فى ظلام
الليل الدامس ما الذى ما الذى حول سماء فلسطين المظلمة إلى نهار مشرق إلى أنوار
متأججة متوهجة وهو لا يدري أن الصواريخ والطائرات والدبابات والمدافع قد
حولت هذا الدامس الحالك إلى نور وإلى نهار مضئ ثم ينظر فيرى أشلاء أمه تنتثر
ويرى أشلاء أبيه تتمزق ويرى دماء إخوانه تنساب فى كل واد فيخرج الطفل مذعوراً
مفزوعاً يخرج إلى الشوارع والطرقات فيرى جندياً يهودياً يقابله بهذا المدفع الرشاش
أو بهذه الدبابة بل بدبابات ومجنزرات حتى لا يبقى اليهود على بيت لا يبقى بيت ولا
يبقى رجل ولا يبقى امرأة ولا يبقى طفل لا يحمل حتى حجر فى يده لأنه ما زال لا
يقدر على حمل الحجر فى يده فكوا مخيم جنين وسوا هذا المخيم بالأرض ، وانبعث
رائحة لا أقول الجثث بل رائحة خيانة العالم الغربى خيانة زعماء العالم كله فى
الداخل والخارج فى الشرق والغرب لا أقول انبعثت روائح جثث إخواننا من الشهداء
، أسأل الله أن يتقبلهم عنده فى الشهداء بل انبعثت روائح الخيانة ، من أين؟! من
تحت الأنقاض من المقابر الجماعية من الصنع اليهودى المحكم ما الذى فعله اليهودى
إلى الآن لم تستطيع قوة على وجه الأرض أن تحصر عدد القتلى أو عدد الشهداء ،
لأن اليهود فكوا المخيم دكا فى تسعة أيام متواصلة سوا المخيم بالأرض ودفنوا
الجثث بصورة جماعية فى مقابر جماعية وهالوا على هذه الجثث الزكية التراب من
رجال ونساء وأطفال حتى وصل بالأمس مبعوث الأمم المتحدة فى الشرق الأوسط
وصرح تصريحات واضحة ، وقال : إن ما حدث فى مخيم جنين فاق كل التصورات
، هذا غربى فاق كل التصورات قال : حتى شممت رائحة الجثث فى الشوارع فى
الطرقات بل ورأى على حد تعبيره مجموعة من الفلسطينيين ما زالوا إلى يومنا هذا

يستخرجون الجثث من بين الأنقاض وبوش الظالم السفاح يقول بالأمس: شارون رجل سلام وعلى عرفات أن يفي بما وعد به من القضاء على الإرهاب. أمر يفجر الدم من الرأس أية إرهاب يا مسلمون أية إرهاب ، الدفاع عن العرض صار إرهاباً صار الدفاع عن المقدسات إرهاباً صار الدفاع عن الرجال والنساء والأطفال إرهاباً ، قتل امرئ في غاية جريمة لا تغفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر لو قتل غربي قام العالم كله ولو قتل شعب آمن أعزل لا يملك شيئاً فإنها أمر عادي إنهم إرهابيون كما فعل هذا الإنجليزي الوقح الذي كان يذبح يوماً مصرياً في بلادنا فقام المصري ليدفع الإنجليزي فعرض المصري الإنجليزي في يده ، هذا هو كل ما استطاع أن يفعله فذبحه الإنجليزي بدم بارد ثم انطلق هذا المجرم السفاح لزميله ليقول له : إن المصري عرض يدي وأنا أذبحه ، إن الفلسطينيين هم الإرهابيون أما شارون السفاح المجرم مدير كل هذه المجازر من أول صبرا وشتيلا وحى الزعتر ودير ياسين وبحر البقر إلى آخر هذه المجازر في مخيم جنين وستبدأ المجازر قريباً في مخيم رفح ، لأنهم يريدون أن يدكوا الفلسطينيين دكا حتى لا يبقى في هذا الأرض رجل أو امرأة ولا حتى طفل يرفع الراية من جديد راية الشرف راية الكرامة راية العزة على هذه لأرض التي تعطشت للشرف والكرامة منذ أمد بعيد إنا لله وإنا إليه راجعون.

أصرخ ولكن في صحراء مقفرة ويصرح الأحرار والشرفاء في الشوارع والطرق ولكن أين المعتصم.

عبثاً دعوت وصحت يا أحرار	عبثاً لأن قلوبنا أحجار
عبثاً لان عيوننا مملوءة بالوهم	نُظِّمُ عندها الأنوار
عبثاً لأن شئوننا يا قومنا	في الغرب يفتل حُبُّها وتدار
ولأننا خشب جامدة	فما ندرى ماذا يصنع المنشار ؟
أما سقوط الأقصى فحالة	مألوفة تجرى بها الأقدار
هذه شئون القدس ليس	لنا بها شأن وما للمسلمين خيار
يا ويحكم يا مسلمون قلوبكم ماتت	فليست بالخطوب تثار
أنكرتم الفعل الشنيع بقولكم	شكراً لكم لن ينفع الإنكار
شكراً على تنظيم مؤتمراتكم	وعلى القرار يصاغ منه قرار
وعلى تعاطفكم فتلك مزية فيكم	تصاغ لمدحها الأشعار
يا ويحكم يا مسلمون نسائكم في القدس	يسألن عنكم والدموع غزار
هذه تساق إلى سراديب الهوى سوقاً	وتلك يقودها الجزار
لو أن سانحة من الغرب اشتكت	في أرضكم لتحرك الأعصار
أما الأطفال أما الصغار فلا تسأل عن	حاله مرض وخوف قاتل وحصار
واليهود يذبحون ويقتلون ومالههم	ناصر ودمع عيونهم مدرار
يا ويحكم يا مسلمون تنسون أن	الضعف في وجه العدو مذلة وصغار
هذه هي القدس يحرق ثوبا عمداً	ويهتك عرضها الأشرار
تبكى وأنتم تشربون دموعها	وعن الحقائق زاغت الأبصار
وهذا هو الأقصى يُهَوِّد جهرة	وبجرحة تتحدث الأخبار

وجمو عكم يا مسلمون عار
كنتبت وراء الواحد الأصفار
ولكّم يذلّ بصمته المغوار
تحقيق ما يرضى به الكفار
عميق الحزن وصب النّزف أنهارا

هذا هو الأقصى يطحنه الأسي
ملياركم لا خير فيه كأنما
ما جرّاً اليهودُ إلا صمتكم
خابت سياسة أمة غاياتها
يا قدس أرسل دمع العين مدرار

وعدت يا أرض الأنبياء كلاب
والحق ضاع وتاهت الأنساب
وسجى بوجه النائمين ذباب
فثوى بقدس المعجزات خراب
والقدس يبكي واشتكى المحراب
أصحاب أرض ما لها أصحاب
واعتلى أقصى المساجد بالسواد ثياب
أين الجهاد الحق والألباب ؟
يجدى لديهم بالخطوب عتاب

يا قدس تاه الأهل والأحباب
قدساه أرض النور دنسها الدجى
قادت قرود الإفك قافلة الهدى
طعنوا بها الشرفاء طعن مذلة
والقبة العظمى تسيل دماؤها
وبدا اليهود بأرضنا وكأنهم
ضاعت فلسطين الجريحة
قدساه أين الفاتحون وعزهم ؟
ماذا أصاب المسلمين فهل ترى

واقع ينزف متى سيفيق الحكام والزعماء ؟ فوالله الذى لا إله غيره إن المخطط
اليهودى لا يقتصر على فلسطين لا بل اقرؤوا خريطة اليهود على الكنيست وقد
صرح بهذا ابن غوريون فى أول يوم اعترفت فيه الدول الغربية الظالمة بهذه الغدة
السرطانية الخبيثة على الثرى الطاهر قال ابن غوريون : قد لا يكون لنا الحق فى
فلسطين من منظور سياسى أو قانونى ولكن فلسطين حق لنا من منظور دينى عقدى
فهى أرض الميعاد التي وعدنا الله بها من النيل إلى الفرات انظروا إلى خريطة
وتاريخ اليهود لتعرفوا أن القوم يخططون ولن يقتصر اليهود على فلسطين لا ورب
الكعبة بل إن لليهود هدفاً واحداً قد بينه لنا ربنا جل جلاله ألا وهو أن يخرج
المسلمون من دينهم كما قال الله تعالى : وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى
تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ فُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [البقرة : 120] وهذا هو عنصرنا الثانى بإيجاز شديد
اليهود هم اليهود مكمّن الخطر والذي يؤلم القلب أن الحكام والزعماء والساسة ما
زالوا يتفاوضون وهم لا يعرفون شيئاً ألبته عن طبيعة اليهود وما زلنا نسمع من يقول
شارون رجل سلام اليهود حمائم السلام أمريكا هى الراعى الأوحد لعملية السلام فى
المنطقة لا بد من التدخل الأوروبى لا بد أن نناشد هيئة الأمم ومجلس الأمن ، لا بد من
أن يتدخل بوتين السفاح الروسى الملحد حتى يتم التوازن فى المنطقة إلى آخر هذه
الكلمات التي تنم على جهل فاضح بطبيعة اليهود بطبيعة من تفاوض ، لماذا لأن
القرآن غيب عن الساحة ، فصار كل أحد يهرف بما لا يعرف ، أما لو ظللت الساحة
من جديد كلمات ربنا وكلمات الصادق نبينا لعلم المفاوضات مع من يتفاوض لعلم
الساسة مع من يتحدثون وعلى مائدة من يجلسون ، اليهود لا يعرفون سلاما ولن
يعرفوا سلاما قط حتى ولو منحوا الفلسطينيين أو الأمة هدنة لأنها للتجديد هدنة
للتخطيط هدنة للإعداد فاليهود لا يعرفون ولن يعرفوا السلام قط هل تصدقون الله هل

تصدق الأمة رسول الله اليهود ، ما ثبتوا على عهد قط ، هذا كلام ربنا إن كنا لا زلنا نصدق ربنا لا يقول زعيم !! ولا يقول عالم !! يبيل يقول ربنا جل جلاله : الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ [الأنفال : 56] هذا قرآن يا مسلمون وددت لو أسمعت زعماء الأمة هذا ربما كانوا لا يسمعون القرآن ولا يقرأ أحد منهم كلام الرحمن الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ، قال تعالى : أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [البقرة : 100] استحقوا أن يبتليهم الله بقسوة قلوبهم قال تعالى قال جل جلاله قال عز وجل ، قال الله : فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة : 13] الله أكبر ولا تزال ترى خيانة منهم بعد خيانة

فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة : 13] .

فاليهود لا يعرفون عهداً ولا ميثاقاً ولا وفاء باختصار اليهود نقضوا العهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم والأنبياء بل ونقض اليهود العهود مع رب الأرض والسماء أفينقض اليهود العهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم والأنبياء بل مع رب الأرض والسماء ثم يفي اليهود بالعهود اليوم مع الزعماء والحكام؟! نعم قد يقع ذلك إذا تخلت الكلاب عن نباحها وتخلت الحمير عن نهيقها وتخلت الأفاعى عن سمها وتخلت الثعالب عن مكرها قد يفي اليهود بالعهود إذا استخرجنا من النار يوماً ماء عذبا زلالا قد يفي اليهود بالعهود يوماً إذا جنينا من الشوك يوماً الورد والرياحين وإن استخرجنا من المستراح طيبا وإذا رأينا بأم أعيينا الجمل والفيل يدخل من سم الخياط ، هذه طبيعة القوم كيف ولا ينبئك عن اليهود مثل خبير قال جل وعلا : أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الملك : 14] لا بد أن تتأصل في قلب كل رجل وكل امرأة وكل طفل من أطفالنا وأنا أتعجب غاية العجب ممن ينتظرون أن تنصر أمريكا القضية أو أن ينصر الغرب القضية فالكفر ملة واحدة وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز شديد الكفر ملة واحدة.

لا بد من تكرار هذه المادة العقديّة ولا بد من تأصيلها الآن في القلوب لا ينصر الشرك إيماناً ولا ينصر الكفر توحيداً قط يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة : 51] قال الله جل جلاله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [آل عمران : 118] قال الله جل جلاله : وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا [البقرة : 217] قال الله جل جلاله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ [الممتحنة : 1]

هل تريد الأمة أدلة أكثر من ذلك متى نصر الكفر إيماناً لنتتظر الأمة أن تنصر أمريكا القضية .

فحال أمتنا حال عجيبة وهي لعمر الله بئس كئيبة

يحتاجها الطوفان طوفان المؤامرة الرهيبة

ويخطط المتآمرون كي يغرقونها في المصيبة

وسيحفرون لهم قبورا ضمن خطتهم رحيبة

قالوا : السلام .. قالوا السلام

قالوا السلام .. قلت : يعود الأهل للأرض السليبية

ويلبس الأقصى غدا أثوابا قشبية

فإذا سلامهم هو التنازل عن القدس الحبيبة

فبئس سلامهم إذا وبئس هذه الخطط المريبة

فالمسجد الأقصى في الدماء له ضريبة

فالمسجد الأقصى في الدماء له ضريبة

فالمسجد الأقصى في الدماء له ضريبة

أين النظام العالمي أما له أثر؟ ألم تتعق به الأبواق أين السلام العالمي لقد بدا كذب

السلام وزاغت الأحداق يا مجلس الأمن ..يا مجلس الامن ..أستغفر الله ، يا مجلس

الخوف ، الذي في ظله كسر الإيمان ، وضيع الميثاق أو ما يحركك الذي يجرى لنا

أو ما يثيرك جرحنا الدفاق ، وحشية يقف الخيال أمامها متضائلا وتجمها الأذواق !!

قالوا لنا الغرب قلت صناعة وسياحة ومظاهر تغرينا

لكنة خاو من الإيمان لا يرعى ضعيفا أو يسر حزينا

الغرب مقبرة المبادئ لم يزل يرمى بسهم المغريات لدنيا

الغرب مقبرة العدالة كلما رفعت يدا أبدى لها السكينا

الغرب يكفر بالسلام وإنما بسلامه الموهوم يستهويونا

الغرب يحمل خنجراً ورساصة فغلام يحمل قومنا الزيتونا

كفر وإسلام فأنى يلتقى هذا بذلك أيها اللاهونا

أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه ولكن ألوم المسلم المفتونا

وألوم فينا نخوة لم تنتفض ... إلا لتضر بنا على أيدينا

...

يا مجلس الخوف ... إلى متى ترضى...

لقد أبرزت وجه حضارة غربية... .. لبس القناع سنينا

يا مجلس الأمن انتظر إسلامنا سيريك ميزان الهدى وبربنا

يا مجلس الخوف إلى متى تبقى لتجار الحروب رهينة

إلى متى ترضى بسلب حقوقنا منا وتطلبنا ولا تعطينا

إن كنت في شك فسل فرعون عن غرق وسل عن خسفة قارونا

...

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ [الفجر : 6 - 13]

أيها الناس المظلوم صبرا لا تهن إن عين الله يقظى لا تنام ، نم قرير العين واهناً ، فعدل الله دائم بين الأنام وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ [إبراهيم : 42]

ورب الكعبة نؤمن بهذا إلى حد اليقين فلا تحسبن الله مخلف وعده رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ [إبراهيم : 47] الغرب لن ينصر لنا قضية لأن الكفر ملة واحدة والسؤال الآن ما الحل ؟

وهذا هو العنصر الرابع بإيجاز والحل على مستويين مستوى الأمة ومستوى الساسة والحكام وعلى مستوى الأفراد على مستوى الزعماء أول خطوة تجب عليهم أن يرجعوا إلى الله وأن يعلنوا توحيدهم لله وأن يحكموا فى البلاد والعباد شرعه وأن يمتثلوا أمره وأن يجتنبوا نهيه ويقفوا عند حدوده وأن يرددوا مع شعوبهم المسلمة قول السابقين الأولين

[سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة : 285] ونحن بهذا أمام حد الإيمان وشرط الإسلام قال تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء : 65]

فأنا لا أفهم من آية قرآنية أو سنة ربانية كونية أو كلمات نبوية لا أفهم البتة أن رب البرية ينصر أناسا قد خذلوا دينه وشريعته تبارك وتعالى ، فى الجملة لا بد أن يرجعوا إلى الله ابتداء وأن يحكموا فى البلاد آيات الله ومنهج الصادق رسول الله حينئذ تكون الأمة مهياة للخطوة التى لا كرامة لها الآن إلا بها ألا وهى أن ترفع راية الجهاد فى سبيل الله أنا أعى ما أقول ماذا لو اتخذت عبر قادتتها قرارات سياسية ودبلوماسية فإن لم تجدى فنحن لا نحب الحرب ولا أحب سفك الدماء إطلاقا لكن لا بد من أن تروى شجرة الدعوة بدماء الأطهار الأبرار لتظل هذه الشجرة مثمرة هذا أمر كوني قدرى قضاءه الله تبارك وتعالى وقدره على أهل التوحيد لنفوز بإحدى الحسنين إما النصر وإما الشهادة ولا يكون هذا إلا إذا عدنا إليه سبحانه وتعالى إلا إذا اعتصمنا به وحده ولجاننا إليه وحده وجددنا الثقة فيه وحده ، ورجونا وحده وقطعنا كل العلائق والروابط وارتبطت قلوبنا بالله سبحانه وتعالى قرارات سياسية دبلوماسية كطرد سفراء أو سحب سفراء وإن كنت أعلم أن هذا لا يغير من الواقع شيئا ولكن لن تخطو الأمة خطوات إلا عن طريق القادة ثم سلاح المقاطعة للسلع التى تستغنى عنها الدول والشعوب وهى الكثير من السلع التى لا نحتاج إليها أو لن نموت بدونها ، أما السلع الرئيسية التى تحتاج إليها الشعوب والامم لا حرج فى ذلك ولا بأس وهذا ادعى الآن إلى أن تبدع الأمة وهى لا تفنقر إلى العقول والأدمغة لكنها الهزيمة النفسية التى منيت بها أمة سيد البشرية ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم تستثمر الأمة ما رزقها الله تبارك وتعالى من طاقات كالبتترول ، فإن استخدمت الأمة كل هذه الخيارات السلمية ولن تجدى شيئا مع السفاح شارون ، وأنا أعلم أنها لن تجدى شيئا ولكن هذا من باب

الطرح فحينئذ لا خيار أمام الأمة إلى أن يفتح الباب لملايين الرجال والشباب ممن تحترق قلوبهم شوقاً للشهادة في سبيل الله لماذا لا يمكن العلماء اليوم والدعاة من تجييش طاقة الأمة لإحياء روح الجهاد في سبيل الله فليمت مليون فأين يذهبون إن صحت النوايا إلى الفردوس الأعلى ، يا إخوة تصوروا أن رجلاً قد أذنب ما قدر الله له من الوزر ، فنحن نؤمن بأن الخير والشر مخلوقان لله ومع أول قطرة دم تنبعث من جسده الطاهر في ساحة الجهاد يغفر الله له كل ذنوبه أي مكسب هذا في عالم المكسب والخسران أي مكسب هذا أي مكسب هذا إما عظماء فوق الأرض بكرامة وإما عظام تحت الأرض نسأل الله الشهادة أقسم بالله إن نساءنا سيسبقن إن أطفالنا سيسبقوننا لقتل كلاب الأرض من اليهود مهما كانت مجزراتهم وأسلحتهم ورب الكعبة سيعلم شباب محمد كلاب الأرض من اليهود أن محمداً مات وما خلف بنات بل خلف رجالاً تشتاق وتحترق قلوبهم شوقاً للشهادة في سبيل الله . لو مكن العلماء من وسائل الإعلام لجيشوا والله ملايين من الشباب من الأمة يحترقون الآن للشهادة في سبيل الله ولا خوف من هذا الشباب لا خوف منه لأنه سيرجع ليسمع ويطيع فشبابتنا لا يبحث عن الزعامات ، ولا يبحث عن القيادات إنما يريد فقط أن يحكم بقال الله ورسول الله ، ولو حكمنا عبد حبشى مقطوع الأنف سنسمع له ونطيع سنكون سهاما في كنانته يحركنا حيث يشاء ما دام لمرضاة الله تعالى أما على مستوى الأفراد فأنا أنكر أشد الإنكار على كل شاب مسلم يخرج في مظاهرة ليحطم سيارة أو محلاً لماذا؟! نحطم بلادنا أرضنا لماذا نحطم سيارة لرجل يسير في أمن وأمان لماذا نعتدى على محل لأخ من إخواننا المطحونين أصلاً؟ لماذا؟ نريد تعقلاً نريد فهماً نريد وعياً إسلامياً في التفكير والسلوك . ما قيمة هذه المظاهرات التي تخرب وتدمر؟ أنا لا أنكر عليك أن تعبر عن غضبك وأن تعبر عن احترامك لكن بأسلوب شرعي حضاري وأنا لا أستعير هذه الفظة من هؤلاء المجرمين لا إن الإسلام هو أول من أسس الحضارة وما انتشرت في أوروبا الحضارة إلا من الأندلس وما عرفت فرنسا الطاقة الكهربائية إلا من المسلمين يوم رصفت شوارع الأندلس كانت فرنسا في الوحل والطين ولما أضيئت شوارع الأندلس كانت فرنسا رائدة الحضارة في ذلك الزمان وإنجلترا التي كانت لا تغيب عنها الشمس كانت تعيش في الظلام الدامس ، فالإسلام هو الذي أسس الحضارة نريد أن نعبر عن غضبنا بأسلوب شرعي وحضاري يبتعد كل البعد عما يغضب الله جل وعلا وما يفسد علينا أرضنا وبلادنا أنا لا أجامل بذلك مخلوقاً إنما هذا ما أدين به ربي تبارك وتعالى.

طريق النصر يا إخوة تصحيح العقيدة وتصحيح العبادة وتحكيم الشريعة وتصحيح ما فسد واعوج من الأخلاق وتهيئة جيل النصر بالتربية على القرآن والسنة كل هذا التأصيل يأتي بعده حتماً رفع راية الجهاد في سبيل الله سيسألني طالب من طلابنا هل سنتنظر الأمة أيها الشيخ لتربي على العقيدة ، والإجابة الجهاد نوعان جهاد طلب وجهاد دفع ، أما جهاد الطلب فلا بد فيه من إعداد لا بد فيه من تربية لا بد من أن ترجع الأمة إلى هذه الشروط ، ولن تحقق الأمة نصراً في هذا الميدان إلا بهذه الضوابط وهذه الشروط أما جهاد الدفع فهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة هذا بالإجماع إذا داهم عدو كاليهود مثلاً أرضاً من أراضي المسلمين كأرض فلسطين صار جهاد

الدفع فرض عين على كل مسلم ومسلمة فى أرض فلسطين لدفع العدو الظالم كل حسب قدرته واستطاعته ، ويحرم حينئذ على طلبة العلم أن يجلسوا ويتعلموا دون أن يخرجوا لساحة الجهاد فى سبيل الله جل وعلا لا بد من هذا التأصيل لا بد من فهم هذا الواقع ، فجهاد الدفع يجب عليك أم تدفع هذا العدو ويحم عليك أن تتقاعس عن الجهاد لأى سبب إن كنت قادرا على الجهاد فى حدود قدراتك واستطاعتك وإمكاناتك فأرجو من شبابنا أن يؤصلوا هذه المسائل الشائكة الدقيقة، لأن الحماس وحده لا يكفى ولأن الإخلاص وحده لا يكفى لكن لا بد أن يكون الحماس والإخلاص منضبطين بضوابط الشرع حتى نرضى ربنا جل جلاله وحتى نكون بحق من أنصار نبينا فإذا لم تستطع أن تجاهد بنفسك مع أخواتك . فبمالك فقد ذكرت ذلك فى الأربعة الماضى ، إننا لو استطعنا أن نتبرع بمائه جنيه وأنا أعلم يقيناً أنه لن يصل من المائة جنيه إلا عشرة جنيهات سأبذل المائة جنيه لتصل العشرة جنيهات ، إخواننا هناك فى حاجة إلى جنيه لا إلى عشرة جنيهات أنا أتحدث أيضا من خلال الواقع الذى نعرفه فجاهد بمالك فإن لم تستطع فبدعائك لا تحتقر الدعاء ولا تستهن به .

لا تحتقر الدعاء يا أخى ولا تستهن به بل إننى أقول : لقد خذلنا إخواننا فى الدعاء ، أسألكم بالله من منا دعا يوم الخميس الماضى فى كل سجدات صلواته لإخوانه فى فلسطين ، أقسم بالله لو قدمنا استمارة استبيان لهذا الحشد الهائل من الصفوة لرأينا قلة هى التى دعت لإخوانها فى فلسطين فى كل سجدة من سجدات الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، والله لن نرى إلا قلة فاسمحو لى أن أقول : أمة بخلت بالدعاء فهل تجود بالأموال والدماء .

هذا التأصيل بعيد عن التنظير البارد ، أمة بخلت بالدعاء فهل تجود بالأموال والدماء ثم الجهاد بالكلمة بالحاضرات بالدروس فى الشوارع فى الطرقات فى المكاتب إن كنت تستطيع أن تتصل على مسؤول اتصل إن كنت تقدر أن تعبر فى جريدة من الجرائد افعل إن كنت تقدر أن تعبر برسم كريكاتيرى معبر افعل إن كنت لا تستطيع أن تتحدث عن هذه القضية إلا إلى أولادك وامراتك افعل إن كنت لا تستطيع أن تتحدث عن هذه القضية إلا مع زملاء العمل فافعل ، المهم أن تشغل القضية عقولنا وقلوبنا وأن نجاهد بالكلمة ، فالكلمة ، فالكلمة من أعظم صور الجهاد فى سبيل الله ، ولن يسألنا الله تبارك وتعالى عن شىء لا نقدر عليه والله سبحانه وتعالى يعلم الصدق من الكاذب وبذلك يسقط الواجب بالعدر عنه.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحيى قلوبنا وينصر إخواننا وأكمل فى عجالة بعد جلسة الاستراحة وأسأل الله لإخواننا الذين يجلسون قبل أن أرتقى المنبر فى حرارة الشمس أسأل الله أن يقيهم حر جهنم وأقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..
الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصل اللهم وزد وبارك عليه وعلى آله واصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من أهدى بهديه واسنن بسننه واقتفى أثره إلى يوم الدين .. أما بعد.. فأخيراً أيها الأحبة الكرام لا تياسوا ، فمن رحم الظلام يولد الصباح قد صرح جنرالات اليهود أن فلسطين سطوروا ملحمة من أروع ملاحم البطولة والفداء

فى مخيم جنين قرأت لضابط للجيش الصهيونى يقولون . لقد تحولت شوارع جنين إلى ألغام محرقة حتى نتصور ماذا فعل إخواننا فى جنين فهى عبارة عن مكان لا تزيد مساحته عن أربعة كم مربع فقط لا يزيد اتساع الشارع فى كل شوارع مخيمات جنين عن مترين فقط ، فسخ إخواننا أعمدة الكهرباء وضعوا العبوات الناسفة على أعمدة الكهرباء وعلى أغطية الصرف الصحى ، وفخخوا بعض اليهود وعجز الجيش اليهودى بأركانه وصواريخه وطائراته لمدة ثلاثة أيام متواصلة أن يقتحم هذا المخيم أمام هذا الصمود الياسل لإخواننا على أرض فلسطين فما كان من المجرم رئيس الأركان إلا أن يقود العملية بنفسه فبدأت الجرافات تهدم البيوت لتزيد اتساع الشوارع الذى لا يزيد اتساعها عن مترين فقط ففتحوا مجموعة من الشوارع يزيد اتساع الشارع عن 20 مترا ، تصور معى حجم الهدم للبيوت ليجعلوا الشارع بهذا الاتساع وهدموا البيوت وصمد الأبطال إلى آخر طلقة فى بنادقهم التى لا يزيد مداها عن مائتى متر أما الطائرات الإف 16 صنع أمريكا أمام الدبابات الأباتشى الأمريكية أمام الرشاشات التى تعمل بالليزر ، صمد هؤلاء الذين يعلمون يقيناً أن الغرب والشرق لن ينصروا لهم قضية فراحوا واستعانوا برب البرية، سمعت أما قد تجاوز عمرها السبعين ترفع رأسها ويدها إلى السماء وهى تقول : النصر منك يارب . قلت : من هنا يأتى النصر إن شاء الله حينما تقطع كل العلائق بهؤلاء فى الدنيا وتتعلق القلوب بمن يدبر أمر الكون فيأتى النصر إن شاء الله ، وما يحدث الآن على أرض فلسطين ورب الكعبة إنه النصر مع هذه الدماء؟! نعم مع هذه الأشلاء؟! نعم لابد أن تروى شجرة الدعوة بالماء لابد ليذهب الشهداء فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وليبقى ما قدر الله له أن يبقى فى عزة وكرامة هذا وعد الله جل وعلا وهذه سنة ربانية لا تتبدل ولا تتغير ، صمد إخواننا فى جنين إلى آخر طلقة رصاص فى بنادقهم الآلية وسطروا ملحمة من أروع ملاحم البطولة الأم الفلسطينية الطفل الفلسطينى الشاب الفلسطينى الذى لم يبلغ العشرين من عمره يعلم العالم كله الآن حقيقة التضحية وعظمة الفداء وشرف البطولة ، وإن الله الذى جعل الأقصى والقدس سكنا للرسل والأنبياء لن يديم القدس أبدا سكنا لقتلة الأنبياء قال تعالى : لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ [آل عمران : 111] هذه الآية فى اليهود لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ بل ستنزل الخلافة الارض المقدسة كما قال الصادق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى فى الحديث الذى رواه أحمد بسند صححه الحكام والألبانى أن النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس أبى حوالة الأزدى وقال: " يابن حوالة إذ رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدى هذه من رأسك .. " ([1]) فستنزل الخلافة الأرض المقدسة بموعد الصادق الذى لا ينطق عن الهوى لكن الله لا يعجل بعجلة أحد ومع ذلك ليس أحد أرحم بالمستضعفين من رب العالمين جل جلاله ، والحديث الذى ذكره أبو يعلى وذكره الهيثمى ورجاله الثقات من حديث أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " لاتزال عصابة من أمتى يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب المقدس وما حوله ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة " ([2]) وفى الحديث الذى

رواه أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أنا نائم إذا رأيت عمود الكتاب قد احتمل من تحت رأسى فظننت أنه مذهب به فاتبعته بصرى فعمد به إلى الشام إلا أن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام" [3] ..

هذا وعد الله ووعد الصادق رسول الله وأنا لا أريد أن أشق على إخواننا خارج المسجد. الدعاء.

0000000000

(1) رواه أحمد في (288/5) وقد سبق تخريجه.

(2) رواه أبو يعلى (6386) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (60/10 ، 61) رجاله ثقات.

(3) رواه أحمد (198/4) عن عمرو بن العاص ، (198/5 / 199) عن أبي الدرداء.

وأذرههم يوم الحسرة

الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة، الحمد لله الذى أنهى بالموت آمال القياصرة، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد، ومن ملاعبة الجوارى والنساء والغلمان إلى مقاساة الهرام والديدان، ومن التمتع فى ألوان الطعام والشراب إلى التمرغ فى ألوان الوحل والتراب. أحمدك يا رب واستعينك وأستهديك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك جل ثناؤك وعظم جاهك ولا إله غيرك .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ينادى يوم القيامة بعد فناء خلقه ويقول : أنا الملك، لمن الملك اليوم ثم يجيب على ذاته سبحانه : لله الواحد القهار ، يبحانه سبحانه ذو العزة والجبروت ، سبحان ذوى الملك والملكوت ، سبحان من كتب الفناء على الخلائق ولا يموت .

وأشهد أن نبينا وحبينا محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، أدى الامانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة ، فكشف الله به الغمة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت به نبيا عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته .

رفع الله له ذكره ، وشرح الله له صدره ، وضع الله عنه وزره وزكاه الله جل وعلا فى كل شئ ، زكاه فى عقله فقال سبحانه : مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى [النجم:2]

زكاه وفى بصره قال سبحانه : مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى [النجم:17]

وزكاه فى صدره فقال سبحانه : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [الشرح:1]

وزكاه فى ذكره فقال سبحانه : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ [الشرح:4]

وزكاه فى طهره فقال سبحانه :

وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ [الشرح:2]

وزكاه فى علمه فقال سبحانه : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

[النجم:3،4] وزكاه فى حلمه فقال سبحانه وتعالى : بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [التوبة:128]

وزكاه كله فقال سبحانه: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:4]

وبعد كل هذا جعل الله جل وعلا حبيبه إمام الأنبياء وإمام الأصفياء وإمام الأتقياء وخاتم الأنبياء ووهبه الحوض المورود وأعطاه اللواء المعقود ، وبعد ذلك كله قال له

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر :30]

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وعلى كل من اقتفى أثره ، وأهتدى بهديه وأستن بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها الأحبة الكرام مع اللقاء الثالث والعشرين ما زلنا مع آيات سورة مريم، وإذا كنا سنواصل الحديث مع أول جمعة من شهر رمضان، إن كنا ستواصل الحديث في تفسير آيات القرآن الكريم فلننا ممن يجافى هذا الشهر العظيم ، وإلا فإن كان كذلك ، فإن شهر رمضان هو شهر القرآن لقول الله وجل وعلا : شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ [البقرة:185] فتعالوا بنا لنواصل المسيرة مع القرآن الكريم، فما أجمل أن تكون اللحظات التي نقضيها مع كتاب الله جل وعلا، مع هذا الذكر الحكيم ، ومع هذا النور المبين، ومع هذا الصراط المستقيم، مع مآدبة الله جل وعلا مع القرآن الكريم ، ولقد أنتهينا في اللقاء الماضي ونحن نصدد تفسيرنا لسورة مريم مع قول الله جل وعلا : وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم:39،40:

أحبتى فى الله أعيرونى القلوب والأسماع لنعيش مع هذه الآيات والكلمات الطيبات النيرات المباركات ، هذا هو الإنذار العام لجميع الخلائق على ظهر هذه الأرض من الله جل وعلا لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم محمد وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ والإنذار فى اللغة : هو الإعلام المقترن بالتهديد والوعيد ، هذا هو الإنذار إعلام مقترن بالتهديد والوعيد . والحسرة فى اللغة هى أشد الندم والتلف على الشئ الذى فات ولا يمكن تداركه ، الإنذار إعلام مقترن بالتهديد والوعيد والحسرة هى أشد الندم والتلف على الشئ الذى فات ولا يمكن تداركه، يقول الله جل وعلا وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إنه فى يوم القيامة، يا عباد الله إنه يوم القيامة إنه يوم الحسرة والندامة ، إنه يوم الحاقة ، أنه يوم القارعة ، إنه يوم الزلزلة ، إنه يوم الصيحة ، إنه يوم الصاخة ، إنه يوم الطامة الكبرى ، إنه الأزفة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم : يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [إبراهيم:48:

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا

كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء:104]

يَوْمَ تَرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا

مَهِيلاً [المزمل : 14]

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [النحل : 111] يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ

بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا [آل عمران : 30]

يَوْمَ تَقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ [الأحزاب : 66] يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهُ وَتَسْوَدُّ وَجُوهُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَبِإِحْسَانٍ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ [آل عمران : 106- 107]

وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ مَعَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيلًا [الفرقان : 27] وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشْرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا [الكهف : 47 ، 48]

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف : 49] وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ

وَأَنْذِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي تَتَخَلَعُ الْقُلُوبُ لِأَهْوَالِهِ أَنْذِرِ الْغَافِلِينَ ، وَأَنْذِرِ

الْمُؤْمِنِينَ أَنْذِرِ الصَّادِقِينَ وَأَنْذِرِ الْعَصَاةَ الْمُتَأَلِّهِينَ ، إِنْذَارٌ عَامٌ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [مريم : 39]

وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة يا عباد الله فمنها ما رواه الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ينادى عليهم : يا أهل الجنة فيشرأبون وينظرون يرفعون رؤوسهم تجاه هذا النداء بعدما استقروا فى الجنة ، ثم ينادى على أهل النار فيشرأبون وينظرون ثم يؤتى بالموت "

فى موضع بين الجنة والنار على صورة كبش أملح ، والكبش الأملح : هو الذى كثر بياضه أو هو الأبيض بياضا كاملاً يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح فى موضع بين الجنة والنار ، وينادى على أهل الجنة وينادى على أهل النار ويقال لهم : هلى تعرفون هذا ؛ فيقولون : نعم نعرفه هذا هو الموت فيؤمر بذبحة فيذبح الموت ، فى صورة هذا الكبش الأملح ، فى موضع بين الجنة والنار ثم ينادى على أهل الجنة يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ([1]) .. الله أكبر يا أهل الجنة خلود فلا موت فى هذا النعيم ، هنيئاً لكم بجنة ربكم هنيئاً لكم بما أعد الله لكم ، يا أولياء الله يا أصفياء الله هنيئاً لكم بهذه الكرامة خلود فى هذا النعيم ابد الأبدىين ، ويا أهل النار يا أهل النار خلود فلا موت .. هذا من موجبات الحسرة يوم القيامة يا عباد الله. ومن موجبات الحسرة يوم القيامة أيضاً [إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ] أى : إذا ما استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار قبل ذلك تتخلع القلوب حينما يروا جنهم على حقيقتها ، وعلى طبيعتها لأول مرة وهم فى أرض المحشر ويأمر الله جل وعلا فيؤتى بجهنم ، لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك كما ورد فى الحديث الذى رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَتَى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي [الفجر : 23 ، 24] يا ليتنى حافظت على الصلوات ، يا ليتنى وحدثت رب الأرض والسموات ، يا ليتنى عبدت الله جل وعلا ، يا ليتنى صمت النهار ، يا ليتنى قمت الليل ، يا ليتنى ما عصيت الله ، يا ليتنى ما انشغلت بالشهوات ، يا ليتنى ما انشغلت بالشبهات ، يا ليتنى يوم لا ينفع الندم إنه يوم الحسرة والندامة ، يوم لا ينفع التحسر ، يوم لا ينفع الندم فإذا ما رأوها لا يبقى ملك ولا يبقى نبي ولا يبقى صديق إلا خر على ركبتيه فى أرض المحشر لهو ما رأى [وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً] [الجاثية : 28] فإذا ما رأوا هذا الهول وهذا المنظر الذى يخلع القلوب والأفئدة اضطربت الجوارح واضطربت الأفئدة وفزع الجميع فإذا ما انتهى الحساب واستقر أهل الجنة وأهل النار فى النار يبدأ هذا الحوار بين أهل الجنة وأهل النار وربما سأل سائل كيف يسمع أهل الجنة أهل النار ، وكيف يسمع أهل النار أهل الجنة نقول ألم نقل لكم فى اللقاء الماضى : إن الله جل وعلا سيبدل كل شئ وسيحول كل شئ حتى سمع أى إنسان أى شئ ويرى أى شئ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [مريم : 38]

تغير كل شئ فبصرك اليوم حديد ، يبدأ هذا الحوار فيبدأ به أهل الجنة وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ [الأعراف : 44] ينادى أهل الجنة على أهل النار وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ جَوَاب قاطع مختصر فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [الأعراف : 44] ويستمر الحوار بين أهل الجنة وأهل النار وبعد بضع آيات فى سورة الأعراف ينتهى هذا الحوار بتلهف واستغاثة واستجداء من أهل النار لأهل الجنة

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ [الأعراف : 50] هذه هى الاستغاثة يا أهل الجنة أفيضوا علينا شيئاً من الماء ، أشد بنا العطش فى هذه النيران المتأججة يا أهل الجنة. ويأتى الجواب الذى يزيد تألمهم ، والذى يزيد الحسرة والهم والغم من أهل الجنة فيقولون لهم [إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ] لقد حرم الله على الكافرين هذا فى هذا اليوم ألم ينزل عليكم القرآن ؟ ألم يرسل إليكم الرسل ؟ ألم يذكركم بهذا اليوم ؟ ولكنكم تعاليتم على الله جل وعلا واستكبرتم على رسل الله واستهزأتم بالعلماء ، وأبيتم إلا أن تعاندوا الله جل وعلا إن أن تعاندوا شرع الله عز وجل ، وإذا ما أمركم الله جل وعلا استهزأتم بأوامر الله وإذا ما نهاكم رسول الله سخرتم لنهى رسول الله وإذا ما ذكركم العلماء قلتم : هؤلاء هم المنتطعون المتطرفون أبيتم إلا أن تعرضوا عن منهج الله جل وعلا هل جزاء الإحسان إلا الإحسان [الرحمن : 60] كذلك لا جزاء لهذا الكفر وهذا العناد والإعراض إلا ما ترون وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا [مريم : 39]

قالوا : نعم قالوا : نعم فتزداد الحسرة ويزداد التألم ، ومن موجبات الحسرة أيضاً لهؤلاء والعياذ بالله حينما تتم السعادة لأهل الجنة كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : ينادى الحق جل

وعلا يوم القيامة على أهل الجنة ويقول لهم : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير كله في يديك ، فيقول سبحانه : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا إلا نرضى وقد أدخلتنا الجنة ونجيتنا من النار وبيضت وجوهنا يوم تسود الوجوه .. فيقول الله جل وعلا : فلا أعطيك أفضل من ذلك فيقول أهل الجنة : وأى شئ أفضل من ذلك ؟ فيقول جل وعلا : أحل عليكم رضواني ، فلا اسخط عليكم بعده أبداً [2] قال أعرف الخلق بالله r كما في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور ، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه [3].

ولكن يوم القيامة يتبدل كل شئ ، ويتغير كل شئ فيكشف بينهم الحجاب ، فيتمتعون بالنظر إليه سبحانه عز وجل وتلا النبي صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ] [يونس : 26] والحسنى : هى الجنة والزيادة : هى التمتع بالنظر إلى وجه ربنا جل وعلا ، كما يقول استاذنا ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس نعيم الجنة فى لبنها ولا فى خمرها ولا فى حريرها ولا فى ذهبها ولا فى حورها ولا فى نعيمها ، لكن نعيم الجنة الحقيقى فى رؤية وجه ربنا جل وعلا ، هذا هو النعيم الذى ما انشغل به أهل الجنة إلا نسوا به كل نعيم : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أَلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ [القيامة : 22-25]

وتزداد حسرتهم بعدما تتم السعادة لأهل الجنة بخطبة إبليس اللعين يوم أن يقف إبليس فيهم خطيباً ؛ لتزداد الحسرة ولتتم الحسرة والألم كما أخبر الله جل وعلا عن ذلك فى سورة إبراهيم بقوله : وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [إبراهيم : 22]

هذه بعض موجبات الحسرة فى هذا اليوم ، وأنذرهم يوم الحسرة مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور .. إذا كورت شمس النهار وأدريت حتى على رأس العباد تسير .. وإذا النجوم تساقطت ، وتناثرت بعد الضياء كدور .. وإذا السعير تسعرت نيرانها ولها على أهل الذنوب زفير وإذا العشار تعطلت وتخربت خلت الديار فما بها معمور وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير .. وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت ، وتقول للأملأك : أين تسير .. وإذا الصحائف نشرت وتطايرت وتهكتت للعالمين ستور .. وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ولها على أهل الذنوب زفير .. وإذا الجليل طوى السماء يمينه طى السجل كتابه المنشور .. وإذا الجنان تزخرفت وتطيب لفتى على طول البلاء صبور .. أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ إِذَا الْمُؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ [التكوير : 1-14]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَبَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَّا تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصَلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ [الانفطار : 1-19] أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَأْسَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة : 1-8]

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا .. مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا .. والنار تلهب من غيظ ومن حنق .. على العصاة ورب العرش غضباناً .. أقرأ كتابك يا عبد على مهل .. فهل ترى فيه حرفاً غير ما كان .. فلما قرأت ولم تنكر قراءته .. وأقررت من عرف الأشياء عرفاناً .. نادى الجليل خذوه يا ملائكتي .. وأمضوا بعبد عصي للنار عطشاناً .. المشركون غدا في النار يلتهبوا .. والموحدون لدار الخلد سكاناً وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [مريم : 38] وبعدها يأتي الفصل ، وتأتي الحقيقة الكبرى في هذا الوجود يأتي القول الحق : إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم : 40] لتعرف على معاني هذه الكلمات بعد جلسة الاستراحة أسأل الله جل وعلا أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ، وأن يغفر لنا الذنوب أنه ولي ذلك ومولاه وأقول : قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله واصحابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته وأقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد :

أحبتى فى الله هكذا يقول الحق جلا وعلا : إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ هذه هي الحقيقة الكبرى فى هذا الوجود يا من غرك غناك ، يا من غرتك قوتك ، يا من غرتك أموالك ، يا من غرك جاهك ، يا من غرك جندك ، يا من غرك جاهك يا من غرتك قوتك أعلم إنك موروث ، أعلم إنك راحل لله جل وعلا ، دنياك مهما طالبت فهي قصيرة .. ومهما عظمت فهي حقيرة ؛ لأن الليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر ، وأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر .. الدنيا دار ممر والآخرة دار المقر فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تفضحوا أستاركم عند من يعلم أسراركم .. إن الله جل وعلا هو الوارث لكل شئ والوارث لكل حى يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ [الإنشاق : 6] [[إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ] [العلق : 8] إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم : 40] إذا نفخ إسرافيل نفخة الصعق ، فمات كل حى على ظهر هذه الأرض وفى السموات إلا ما شاء الله جل وعلا كما قال رب العزة

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر : 68] مات كل حى على وجه الأرض ومن فى السموات إلا ما شاء الله بعد نفخة الصعق ، فإذا ما أفنى الله خلقه وافنى الله عباده وذهب كل شئ وضاع كل شئ لا يبقى إلا الله كان آخر كما كان أولاً
 قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص]
 سكون مذهب وخشوع مزلزل لا حس ولا حركة ولا صوت ذهب كل شئ وضاع كل شئ ، وافنى الله كل شئ فى وسط هذا السكون فى وسط هذا الخشوع ينطلق صوت رهيب مهيب يسأل صاحب الصوت ويجيب ، وما فى الوجود سائل غيره ولا مجيب ، يهتف الحق جل وعلا بصوته ويقول : أنا الملك اين ملوك لأرض اين المتجبرون أين الجبارون !؟

وفى رواية مسلم : لمن الملك اليوم ؟ فيجيب سبحانه على نفسه بقوله : لله الواحد القهار ، أين الظالمون ؟ وأين التابعون له فى الغى ؟ بل واين فرعون وهامان ؟ وأين من دوخوا الدنيا بسطوتهم وذكرهم فى الورى ظلم وطغيان هل ابقى الموت ذا عز لعزته ، أو هل نجا منه بالسلطان إنسان ؟ لا ، والذي خلق الأكوان من عدم الكل يفنى فلا أنس ولا جان قل :

يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل
 فتأهبى يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل
 فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل
 وليركبن عليك من الثرى حمل ثقيل
 قرن الفنا بنا فلا يبقى العزيز ولا الذليل

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ [مريم : 40]
 إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ فإيا أيها المسكين ، أيها اللاهى الغافل إلى متى ؟ إلى متى ؟ عد إلى الله جل وعلا ، فإن الأنفاس محسوبة ، وإن الأيام معدودة !!

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
 لم ينسه الملكان حين نسيته بل اثبتاه وانت لاه تلعب
 والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
 وغرور دنياك التى تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
 الليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيهما تعد وتحسب

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ اسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

00000000

[1] رواه البخارى فى التفسير (4730) وفى الرقاق (6548) ومسلم فى الجنة وصفة نعيمها (2849).

[2] رواه البخارى فى الرقاق (6549) وفى التوحيد (7518) ومسلم فى الجنة وصفة نعيمها (2829).

[3] رواه مسلم فى الإيمان (293/179 ، 295).

نهاية العالم متى وأين !!؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله... أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

أحبتى فى الله .. نهاية العالم متى وكيف !!؟ هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم فى هذا اليوم المبارك وكعادتي حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم فى هذا الموضوع الكبير الجليل فى العناصر التالية :

أولاً : الأخبار النبوية الفاصلة فى الأحداث العالمية المقبلة .

ثانياً : الملاحم الكبرى .

ثالثاً : وصدق الله ورسوله .

وأخيراً : ورقة عمل .

فأعيروني القلوب والأسماع جيداً والله أن يقر أعيننا جميعاً بنصرة الإسلام وعز الموحدين ، وإنه ولى ذلك والقادر عليه ... أولاً : الأخبار النبوية الفاصلة فى الأحداث العالمية المقبلة ...

أحبتى فى الله لا يستطيع عاقل على ظهر الأرض فضلا عن عالم أن يجزم بشكل قاطع وفى وقت محدد بنهاية العالم بقيام الساعة لا يعلم وقت قيام الساعة ملك مقرب ولا نبي مرسل فهذا العلم والغيب الذي أستأثر به الله جل جلاله وحده قال تعالى :

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ [الأحزاب : 63]

وقال تعالى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا [النازعات

: 43 : 46]

وفى صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أن أمين وحى السماء جبريل عليه السلام سأل أمين أهل الأرض محمداً : متى الساعة ؟ فقال المصطفى : "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ... " [1] ومع ذلك فإن الله جل وعلا أطلع نبيه على أمارات الساعة وعلاماتها بل وعلى كل الأحداث التي ستقع فى الكون بين يدي الساعة تدبر معي قال الله تعالى : عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا [الجن :

26 ، 27] وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ [البقرة : 255]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو أنه قال : كنت أكتب كل شئ من رسول الله حفظه فنهتني قريش عن ذلك قالوا : إن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة ثم ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي : " أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق .. " ([2]) قال تعالى : [وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ [النجم : 1 - 5] ، ومن ثم قال تعالى :] [البقرة : 255]

فما من شئ إلا وأخبره به الصادق تدبروا معي ما رواه البخاري ومسلم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : لقد خطبنا النبي خطبه ما ترك فيها شيئا إلي قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله .. ([3]) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال : صلي بنا رسول الله الفجر ثم صعد علي المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ظل النبي واقفاً علي المنبر يخطب في الصحابة من الفجر إلي الظهر قال : فنزل فصلي الظهر ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت العصر قال : فنزل : فصلي أي العصر ثم صعد المنبر فخطب حتى غريب الشمس ... قال : فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا ([4]) أي بكلام النبي . فما من شئ وقع وما من شئ قائم بيننا الآن وما من حدث سيقع في السنوات المقبلة بين يدي الساعة إلا وقد أخبر به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى فما تحياه الأمة الآن من واقع معاصر وما سيشهده العالم من أحداث دامية مؤلمة في السنوات المقبلة إلا وأخبر به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

نعم لقد جسد النبي واقعنا المرير تجسيدا دقيقا ففي الصحيحين من حديث أبي سعد الخدري رضي الله عنه أن قال : " لتنتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعتموهم " قال : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؛ قال : " فمن .. " ([5]) وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث ثومان أنه قال : " يوشك ان تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلي قصعتها ... " قالوا : أو من قلته نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : " كلا ولكنكم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل ، وليوشكن الله أن ينزع المهابة في قلوب عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت " ([6]) .

ومع ذلك فقد أخير الصادق الذي لا ينطق عن الهوى عن زوال هذه المحنة وكشف هذه الغمة وأخبرنا عن نصرة الله للإسلام والمسلمين وعن إذلال الله للشرك والمشركين ، ووالله ثم والله إننا الآن لعلي ثقة شديدة بوقوع هذه البشريات النبوية المحمدية الصادقة مع ما نراه من واقع مر أليم لماذا لأن الذي سيهيء الكون كله في الأيام والسنوات المقبلة ليحدث علي الأرض ما أخبره به الصادق الذي سيهيء الكون كله لذلك هو ملك الملوك جل جلاله ومدير الكون ومسير الأمر الذي يقول للشئ كن فيكون .

وهذا هو عصرنا الثاني والمهم من عناصر اللقاء .. الملحمة الكبرى أيها الإخوة الكرام لقد أخبرنا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى أنه بين يدي الملاحم الكبرى في السنوات القادمة ستكون هدنة بين الروم والمسلمين ؟ من الروم ؟ الروم أو بنو

الأصفر هم الأمريكيون والأوروبيون ستبدأ الملاحم القادمة بصلح آمن بين الروم والمسلمين ، الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما روي البخاري وغيره من حديث عوف بن مالك رض الله عنه أن النبي قال : " أعدد ستا بين يدي الساعة .. موتي .. - موت الحبيب - صلى الله عليه وسلم ثم فتح بيت المقدس - بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في عهد عمر بن الخطاب بقيادة أبي عبيدة - ثم مؤتان يأخذ فيكم كقصاع الغنم ... " ثم " طاعون ينتشر فيكم أنتشار هذا الطاعون أو الداء في الأغنام .. " وقد وقع الطاعون في غمواس في بلاد الشام وفيه قتل أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : " ثم أستقاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطا " . وقد وقع ذلك فقد تعطي الرجل الآن مائة جنيه أو مائتين فيظل ساخطا إما لعدم القناعة والرضا وإما لارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة لا يكفيها هذا المال لحوائجه وضرورياته أما العلامة الخامسة قال : " ثم فتنة لا تترك بيتا في العرب إلا دخلته " يراها كثير من أهل العلم متمثلة في وسائل الإعلام بكل صورها وأشكالها فلم تدع هذه الوسائل الآن بيتا من بيوت العرب إلا دخلته ثم تدبر العلامة السادسة قال الصادق : " ثم تكون هدنة بينكم وبين الروم فيغذرون .. " والغدر شيمة للروم فيجمعون لكم تحت ثمانية غاية تحت كل غاية أثنا عشر ألفا ([7]) .. والغاية هي الراية وسميت الغاية بالراية ، لأنها غاية الجيش فإذا سقطت الراية ضاعت الغاية وهزم الجيش قسمين الراية لذلك بالغاية قال : " فيغذرون فيجمعون لكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية أثنا عشر ألفاً " وفي لفظ رواه أحمد وأبو داود وأبن ماجه بسند صحيح قال الصادق : " ستصالحون الروم صلحا أمنا فتغزون أنتم وهم عدوا من وراءهم " وتدبر كل كلمات الصادق : "ومن وراءهم " ولم يقل : من وراءكم " فتغزون أنتم وهم عدوا من وراءهم فتسلمون وتغنمون ثم تنزلون بمرج ذي تلؤل " مكان أخضر يتسم بالخضرة والمياة " ثم تنزلون - أي أنتم - والروم بمرج ذي تلؤل فيقوم الرجل من الروم فيرفع الصليب ويقول غلب الصليب فيقول إليه رجل من المسلمين فيقتله فعندئذ يغدر الروم وتكون الملاحم ([8]) فيجتمعون لكم في ثمانين غاية تحت كل غاية أثنا عشر ألفا ... " تدبر هذا الكلام النبوي وها نحن نشهد الآن مرحلة الهدنة والصلح الأمن معاهدات بين الأمريكيين والأوربيين وكل المة بلا أستثناء ومعاهدات و صلح آمن لكن النبي أخبر أن المسلمين سيشاركون الروم في قتال عدو مشترك يا تري من هذا العدو المشترك؟! الجواب الله أعلم بمراد رسوله إلا أن أهل الكتاب يؤمنون إيماننا جازما بهذه المعركة المشتركة ويسمونها في كتبهم وعقائدهم بمعركة هرمجدون أو هومجيدو ([9]) .. وهومجيدو كلمة عبرية تتكون من مقطعين المقطع الأول وهو بمعني جبل ومجدون أو مجيدو "هر" سهل أو واد في فلسطين في سفر من أسفار أهل الكتاب يسمى الرؤيا في الإصحاح السادس عشر يقول : أجمعت جيوش العالم كلها في أرض تسمى هرمجيدون يقول أورال روبرسون صاحب كتاب دراما نهاية الزمن يقول : كل شئ سيمضي في بضع سنوات فستقع المعركة العالمية الكبرى معركة هرمجيدون أو معركة سهل مجيدو تقول الكاتبة الأمريكية الشهيرة جيريس هالسيل : إننا نؤمن كمسيحيين هذا علي حد تعبيرها تقول : إننا كمسيحيين بأن تاريخ الإنسانية

سينتهي بمعركة تدعى معركة هرمجيدون وسيخاض غمارها في سهل مجيدو قالت : وستتوج هذه المعركة بعودة المسيح إلي الأرض يقول القس الأمريكي الشهير جيمي سواجارت يقول : كنت أود أن أستطيع القول بأننا ننتظر السلام أو سنحقق السلام قال : ولكنني أؤمن بأن معركة هرمجيدون قادمة وسيخاض غمارها في وادي مجيدو في فلسطين نعم إنها قادمة فليعتقدوا ما شاؤوا من اتفاقيات السلام ! إنهم لن يحققوا شيئاً فهناك أيام سوداء مقبلة هذه عقيدة القوم في هذه المعركة التي أخبر عنها الصادق الذي لا ينطق عن الهوى بأنه ستكون معركة مشتركة بين الروم والمسلمين من جانب وبين عدو آخر من جانب آخر فيغتم المسلمون بعد سلامتهم في المعركة فماذا بعد هرمجيدون!؟

ماذا بعد هرمجيدون أو إن شئت فقل ماذا بعد المعركة المشتركة بين الروم والمسلمين من ناحية وبين العدو الذي أشار إليه النبي من ناحية أخرى!؟ أخبر النبي أن الروم سيغدرون بنا وفي فتره يجمعون الجيوش ويعدون العده لاستئصال شأفة المسلمين من علي ظهر الأرض حينما يرفع الصليبي الصليب ويقول غلب الصليب ويقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله في هذه الفترة الزمنية ورد في حديث في مسند أحمد بسند ضعيف أن هذه المدة سيجمع فيها الروم للمسلمين مدة حمل المرأة في تسعة أشهر يجمعون الجيوش ويجيشون الجيوش لاستئصال شأفة المسلمين من علي الأرض في هذه المنطقة ([10]) في منطقة فلسطين وسوريا كما سأبين الآن بكلام الذي لا ينطق عن الهوى .

وفي هذه المرحلة الزمنية الخطيرة يحدث في الكون أمر قدرني كوني لا دخل فيه للبشر علي وجه الأرض إنه أمر قدره الله وقضاه في أم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، أمر ليس بكسب مادي ولا بطلب بشري إنما هو أمر قدره الرب العلي يقع في الكون كنزول عيسي ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ، كخروج المسيح الدجال ما هو هذا الحدث الكوني الخطير!؟

إنه ظهور محمد بن عبد الله المهدي ، .. رجل من نسل المصطفي من أولاد فاطمة بنت سيدنا رسول الله يخرج المهدي بدون كسب منه وبدون طلب وبدون رغبة أو طلب من المسلمين ، وإنما هو أمر قدرني كوني يقع في الكون كنزول عيسي ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج يظهر المهدي عليه السلام قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وصححه العلامة أحمد شاکر والعلامة الألباني من حديث علي أن الحبيب النبي قال : "المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة" ([11]) أي يهيئه الله للخلافة رغم أنف العلمانيين والمنافقين يصلحه الله في ليلة هل تدري ما معني ذلك؟ معني ذلك أننا سنبيت ليلة عادية من الليالي نستيقظ ففي الصباح نسمع نشرات الأخبار ونسمع في كل وكالات الأنباء وفي كل وسائل الإعلام أن المهدي عليه السلام قد ظهر في بيت الله الحرام " يصلحه الله في ليلة " أي يهيئه الله للخلافة الراشدة ليقود الأمة في هذه المرحلة القادمة في ليلة مرحلة الفتن والملاحم بين يدي الساعة روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي قال : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها .. ثم تكون خلافة علي مناهج النبوة فتكون فيكم ما شاء

الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا جبريا فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة " ([12]) " المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليله " وفي الحديث الذي رواه الطبراني والترمذي وأبن حيان وابن ماجه والحاكم بسند صحيح صححه الألباني في السلسلة وغيره من حديث سعيد الخدري رضي الله عنه أن الحبيب النبي قال : " لتملأن الأرض .. جورا وظلما يبعث الله رجلاً مني أسمه أسمى وأسم أبيه أسم أبي فيملا الرض قسطاً وعدلاً .. فلا تمسك السماء شيئاً من قطرها ولا تمسك الأرض شيئاً من نباتها فيمكث سبعا أو ثمانية فإن أكثر فتسعا .. " ([13]) أيها المسلمون قد بلغت أحاديث المهدي مبلغ التواتر ، والحديث المتواتر عند جماهير علماء الأمة يفيد العلم القطعي معني ذلك ان العلم به واجب وان العمل به فرض لازم تدبروا معي كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى فقد يسأل سائل وكيف نعرف أن الذي خرج من مكة هو المهدي الحقيقي ، لقد خرج كثير من الكذابين والدجالين وأدعي كل واحد منهم أنه المهدي فكيف نعرف ان الذي خرج هو المهدي الحقيقي ، لقد أخبرنا النبي بعلامة نبوية محمدية صادقة إن وقعت تلك العلامة فلتعلم الأمة كلها أن الذي ظهر في بيت الله الحرام هو محمد بن عبد الله المهدي عليه السلام ما هي هذه العلامة ؟ أسمع كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى . روي البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت عائشة : عَهِتَ رسول الله يوماً في منامه يعني تحرك النبي حركة علي غير عاداته في النوم فقالت عائشة : يا رسول الله رأيتك قد فعلت شيئاً لم تكن تفعله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : العجب أن ناساً من أمتي يؤمون البيت الحرام (أي يقصدون البيت الحرام) - لرجل من قريش لجاً بالبيت الحرام - فإذا كانوا بببداء من الأرض خسف بهم أي إذا خرج هؤلاء القوم لهذا الرجل الذي اعتصم ببيت الله الحرام يخسف الله بهذا الجيش ، هذه العلامة أمر قدري كوني آخر لا دخل لأحد من البشر فيه قالت عائشة : قلت : يا رسول الله فإن الطريق يجمع الناس .. يعني ما ذنب كثير من الناس ممن يمشون في الطريق ممن لم يخرجوا لقتال المهدي في هذا الجيش فقال النبي " نعم فيهم المستبصر والمجبور وأبن السبيل يهلكون جميعاً مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله علي نياتهم " ([14]) يبعث الله كل واحد منهم علي نيته التي خرج عليها . زمات عليها ، وفي صحيح مسلم من حديث حفصه رضي الله عنها أن النبي قال " يعوذ بالبيت قوم تدبر معي الوصف النبوي الجميل . قوم ليست لهم ولا عدد ولا عدة .. فقراء ضعفاء .. يعوذ البيت أي يعتصم بالبيت أي مع المهدي قوم ليست لهم منعة ولا عدد فيخرج إليهم جيش أي لقتالهم والقضاء عليهم فإذا كانوا بببداء من الرض أي بصحراء من الأرض خسف بهم ([15]) . وفي لفظ في مسلم فلا يبقى إلا الشريد ([16]) أي ينجو من الجيش رجل أو رجلان ليخبرا عما أوقعه الله تبارك وتعالى في هذا الجيش الذي خرج للقضاء علي المهدي عليه السلام إن خسف الله بهذا الجيش علم المسلمون في الأرض أن الذي ظهر في بيت الله الحرام هو المهدي عليه السلام فتقبل إليه الوفود المسلمة من أنحاء الأرض ممن يقدرون علي ذلك . وليعاهدوا الله معه علي الجهاد في سبيل الله وعلي إعلاء كلمة الله لبلوغ إحدي الحسينين إما النصر أو الشهادة ، نسأل الله ألا

يحرماننا من هذا الشرف إنه ولي ذلك والقادر عليه . فماذا بعد البيعة ؛ يعلن العالم كله الحرب علي المهدي وكتائب التوحيد معه فلا يعرف الموحدون مع المهدي طعما للراحة ولا وقتا للرخاء

والدعة بل يخوضون معارك وملاحم ؛ خطيرة في فترة لا تساوي حساب الزمن شيئا لا يهزم المهدي في معركة واحدة بإذن الله ، ما هي هذه الملاحم ما هي هذه المعارك قال الصادق كما في صحيح مسلم من حديث نافع بن عتبة : " تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله " .. وأرجو أن تتدبروا في كلمات النبي فيفتحها الله ثم تغزون فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم الأمريكيين والأوربيين فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحها الله ([17]) .. المعركة الأولى التي يخوضها الجيش الأول للقضاء عليه من المسلمين فسخر الله به الأرض ، الجيش الثاني الذي يخرج لقتال المهدي مع علمه بأن الرب العلي قد خسف بالجيش الأول جيش مسلم كذلك من جزيرة العرب قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيفتحها الله .. أي يهزم المهدي وكتائب التوحيد معه هذا الجيش وتفتح الجزيرة العربية أبوابها للمهدي والموحدين نعه بإذن الله تبارك وتعالى فيخرج إلي المهدي جيش آخر من إيران من فارس حينما يعلم الإيرانيون أن الذي خرج ليس المهدي الذي ينتظرونه في سرداب ساموراء فيخرجون إليه جيشاً جرارا فيهزم المهدي هذا الجيش بإذن الرب العلي جل وعلا ثم تغزون فارس فيفتحها الله .. وقف معي وتدبر هذه المعركة الفاصلة الحاسمة فهي أخطر المعارك علي وجه الأرض .

الصادق بين أرض المعركة وذكر تفاصيل المعركة بل وحدد نتيجة المعركة ماذا قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ؛ قال : ثم تغزون الروم فيفتحها الله .. وخذ التفاصيل روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال : " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالعماق أو بدياق " ([18]) ..

موضعان بالقرب من حلب بدولة سوريا سينزل الأمريكيون والأوربيون وفي السنوات القليلة المقبلة هذه الأراضي وهذه المنطقة كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى عدت إلي بعض المعاجم القديمة لأقف علي تأويل أهل المعاجم القديمة للأعماق ودابق فوجدت أنهم يقولون الأعماق ودابق موطن بين حلب في سوريا وانطاكية في تركيا ، سبحان الله العظيم أنظروا إلي القواعد العسكرية في الآن في تركيا وفي كل أنحاء العالم الإسلامي بل والعالم الأوربي لا سيما بعد أحداث أفغانستان فلقد وضعت أمريكا قواعدها العسكرية كذلك في قلب أوروبا قال : لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدياق أي في حلب في منطقة سوريا ولعلكم تعلمون يقينا أن أمريكا قد وضعت سوريا ضمن الدول الراحية للأرهاب بل وكان وزير الخارجية الوحيد في اجتماع وزراء الخارجية أمس هو الوزير الوحيد الذي صرح بمقاطعة كاملة مع الكيان الصهيوني لكنهم رفضوا فسوريا موضوعة علي قائمة الإرهاب الأمريكية .. لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدياق .. تدبر معي قال : فيخرج إليهم جيش من المدينة هم من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا أي لقتال الروم .. للمسلمين : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم .. ما هذا سبوا منا نقاتلهم من هؤلاء ؟ هؤلاء من الروم أصلا يوحدون الله جل وعلا ويشهدون

أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فيسلمون ويتركون الروم من الأمريكيين والأوروبيين ويقاتلوا الروم مع المسلمين .

فإذا تصافوا أي وقف الجيش الرومي والمسلمون للقتال قالت الروم للمسلمين : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم .. أي أتركوا لنا هؤلاء الذين أسلموا وتركوا ديارنا وعقيدتنا وديننا نقاتلهم أي نبدأ بقتالهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا .. قال النبي : فيقتلون قال : فيقتل ثلث الجيش لا يتوب الله عليهم أبدا أي يقتل ثلث الجيش المسلم لا يتوب الله عليهم أبدا لماذا لأنهم خونه فروا من أرض المعركة وخانوا الله ورسوله والمؤمنين فيهزمون فيفرون قال النبي : لا يتوب الله عليهم أبدا ([19]) .. فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا .. أما الثلث الثاني قال : ويقتل ثلث هم

أفضل الشهداء عند الله ، أما الثلث المتبقي في الجيش المسلم قال : ويبقى ثلث فيفتح الله له .. أي فينصر الله هذا الثلث علي الروم قال الصادق : لا يفتنون أبدا بل في رواية مسلم من حديث عبد الله بن مسعود في غير رواية أبي هريرة قال : هاجمت ریح حمراء في الكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا : يا عبد الله بن مسعود يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة فقع بن مسعود وكان متكئا فقال لا ... انظروا إلي العلم ، قال : لا لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم أشار بيده نحو

الشام ثم قال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام تدبر قال : وعند ذلكم القتال تكون رده شديدة هذا هو الثلث الأول الذي ارتد وانهزم وخان .. عند ذاكم القتال تكون ردة شديدة قال : فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غاية .. أي يقوم المسلمون مجموعة من كتائب وتشترط هذه الكتائب ألا ترجع إلا وهي غالبية قال : فيقتلون فيقتلون أي فيقتل المسلمون مع الروم حتى يحجز بينهم الليل فتفى كل

فئة غير غالبية وتضني الشرطة ، ثم يشترط المسلمون أي في اليوم التالي شرطة الموت لا تراجع إلا غالبية فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فتفى كل فئة غير غالبية وتفني الشرطة ، ثم يشترط المسلمون في اليوم الثالث شرطة الموت لا تراجع إلا غاية فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فتفى كل منهم غير غالبية وتفني الشرطة قال : فإذا

كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية الإسلام نهد إليهم أي نهض إليهم بقية أهل الإسلام .. تدبر فيجعل الله الدائرة عليهم أي علي الروم فيقتلون مقتله فيجعل الله الدائرة عليهم أي علي الروم فيقتلون مقتلة عظيمة لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجناياتهم فما يخلفهم إلا وقت خر ميتا .. قال : فينعد أبناء الأب الواحد قد بلغوا المائة فلا يجدون إلا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح وأي ميراث يقاسم .. قال : فبينما هم كذلك إذ وقع بهم بأس هو أكبر من ذلك فإذا بهم يأتهم الصريخ أي من يصرخ فيهم ليخبرهم أن

الرجال قد خلفهم في ذرايعهم أتي في أولادهم قال : فيرفضون ما في أيديهم أي : من الأموال والغنائم ويبعثون عشرة فوارس طليعة ليطلعوا عليه قال المصطفى : والله إنني لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس علي ظهر الأرض يومئذ ([20]) .. وهكذا ينصر الله عبده المهدي والموحدين معه علي كتائب الروم

رغم أنف العلمانيين والماديين الذين لا ينظرون ولا يؤمنون إلا بكل ما هو مادي ومحسوس هذه الفئة المباركة هؤلاء الأصفياء الأتقياء هم الذين يفتح الله لهم مدينة القسطنطينية بغير قتال بل وبغير سلاح كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة

أنه قال لأصحابه : تعرفون مدينة جانب منها فى البحر وجانب منها فى البر .. قالوا : نعم يا رسول الله وهذا المدينة القسطنطينية قال : تعرفون مدينة جانب منها فى البحر وجانب منها فى البر قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بنى إسحاق .. فإذا جاؤوها لم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم وإنما يقولون فى المرة الأولى : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الذى فى البر ثم يقولون فى المرة الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوه فى المرة الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر فيفتح لهم فيدخلوها ([21]) .. قال الحافظ ابن كثير فى تعليقه على هذا الحديث الجليل قال : وبنو اسحاق فى هذه النبوءة النبوية هى سلالة العيص بن اسحاق بن إبراهيم وهؤلاء هم الروم ، والروم بغلثنا هم الأوريون قال الحافظ ابن كثير : فالنبوءة النبوية تنص على أن الروم سيسلمون فى آخر الزمان قبل قيام الساعة وسيكون فتح القسطنطينية على أيديهم بأذن الله وحدوا الله آمنوا بالصادق رسول الله أما المعركة الخامسة والحاسمة التى يقودها المهدي ستكون مع أنجس خلق الله وأشرفهم من اليهود وتحدث الكرامات التى وعد بها الصادق الذى لا ينطق عن الهوى فى صحیح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يخشبى اليهودى وراء الحجر والشجر " فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله خلفى يهودى تعال فاقتله إلى الغرق فإنه من شجر اليهود" ([22])

أيها الأفاضل يخرج اليهود مع الدجال الذى يفتحه الله على يد عيسى والمهدى ويخرج اليهود لنصرة الدجال فيقاتل المسلمون اليهود ويجرى الله عز وجل لهم هذه الكرامة التى أخبر بها الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ويستأصل شأفتهم ويظهر الأرض من نجاستهم وقذارتهم وبذلك أيها الأفاضل لا يبقى على وجه الأرض دين إلا دين محمد.

وهذا هو عنصرنا الثالث وصدق الله ورسوله قال جل وعلا يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف : 8 ، 9] وقال كما فى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد وغيره من حديث تميم الدارى : ليلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار وما يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيز أو بذل ذليل عز الله يعز الله به الإسلام وذل يذل الله به الكفر ([23]) .. بارك على الصادق الذى لا ينطق عن الهوى وأسأل الله جلا وعلا أن يعجل بهذه الأيام الكريمة إنه ولى ذلك والقادر عليه واقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم..

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، وصل اللهم وسلم وزد وبارك على الصادق المصدق الذى لا ينطق عن الهوى برحمتك وجودك وفضلك وكرمك يارب العالمين ..

أيها الأخوة الكرام وأخيراً أقدم ورقة عمل ليس معنى ذلك أن نتكاسل أو أن نتواكل فهذا الأمل يجب أن يدفع العقلاء للعمل فإن أملاً بغير عمل هو أمل الجهلاء وأمل السفهاء ولكن الصادقين العقلاء هم الذين يدفعهم الأمل فى موعود رسوله بنصرة

الإسلام وظهوره على كل الملل هؤلاء هم الذين يدفعهم ذلكم الأمل للعمل فلا بد أن نعمل ، هذه ورقة عمل سريعة أولاً يجب علينا أن نعتصم بالله وأن نستعين به ، فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله الله فهو المخذول ؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانياً : يحب علينا جميعاً مهما كانت وظيفتك ومهما كان عملك أن تخصص وقتاً من وقتك لتتعلم فيه عن الله وعن رسوله إن كنت طبيبياً فأغلق عيادتك ساعة في الأسبوع إن كنت مهندساً فاعتذر عن عملك في مصنعك ساعة في الأسبوع ، إن كنت مدرساً فغير مواعيد الدروس أو العمل ساعة في الأسبوع مهما كان عملك ومهما كانت وظيفتك يجب عليك أن تخصص لنفسك ساعة لتحرص على أن تأتي بيوت الله جل وعلا لتتعلم العلم الشرعي الصحيح لتسمع عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقف على فقه المرحلة القادمة فإن الجهل من أخطر الفتن لا سيما إذا علمنا أن جاهلاً يفتنه الدجال سيكفر بالواحد الكبير المتعال يذهب إلى الدجال وهو لا يعرف شيئاً عما قال سيد الرجال عن عنه فتنته فيقول له الدجال : أنا ربك فيقول : لا فيقول : فهل لو احببت لك والديك تؤمن بي ؟ قال نعم أو من بك وهو لا يعلم أن الدجال فتنة بل هو أخطر فتنة على ظهر الأرض قال : فيظهر له شيطانان شيطان على صورة أبيه وشيطان على صورة أمه فيامرانه باتباع الدجال فيسجد له ويقول : أنت ربي فيكفر بجهله ، هنا لو علم الدجال وفتنه الدجال وما قاله سيد الرجال ما فعل ذلك فلا بد من أن تحرص على العلم الشرعي علم القرآن والسنة الصحيحة على أيدي العلماء المتحققين إذ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة.

ثالثاً : تحقيق الإيمان .. الإيمان حصن أمانك وسفينة نوح التي ستركبها في هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن التي نحيهاها ومن الفتن المقبلة ، الإيمان ليس كلمة باللسان فحسب بل هو قول وتصديق بالقلب عمل بالجوارح والأركان حقق الإيمان فيه وبه فقط ينجيك الله من الفتن وبالإيمان تقرأ على جبين الدجل كلمة كافر قال الصادق : يخرج الدجال مكتوب على جبينه (كاف فاء راء ..) وفي لفظ : كافر قال الصادق : لا يقرأها إلا المؤمن فحقق الإيمان.

رابعاً : التزود بالتقوى للأخرة .. أيها الأفاضل أقسم بالله أن جل ما أخبر عنه الصادق من علامات صغرى قد وقع ونحن الآن ننتظر المهدي وقد ذكرت أن الله سيصلحه في ليلة فتزود للأخرة: وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ البقرة [197 :

أيها العاصي دع عنك ما قد فات في زمن الصبا
وأذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

لم ينسه الملكان حين نسيته بل اثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
الليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيهما تعد وتحسب

خامساً : احرص أيها الأخ الفاضل أذكر نفسي والله واياكم بالاجتهاد في الطاعة والاجتهاد في العبادة فالعبادة في الهرج أي في الفتن كهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والحديث رواه مسلم من حديث معقل بن يسار : العبادة في الهرج أي في الفتن

كهجرة إلى .. أى إلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم حافظوا على الصلوات فى جماعة لا تضيعوا الورد الیومی للقرآن حافظوا على أذكار الصباح والمساء ، حافظوا على ركعات ولو قليلة باللیل حافظوا على الصدقة ولو قلت ، حافظوا على الاستغفار ، وأنت أيتها المسلمة مخاطبة بذلك هيا إلى الحجاب الشرعى هيا إلى القرآن هيا إلى الصلاة هيا إلى السنة فوالله إن الساعة مقبلة وإن الفتن والملاحم مقبلة فتنزود لهذا الأيام الحالكة بطاعة ربنا وعبادته سبحانه وتعالى ، وأخيراً فنتحرك جميعاً لدين الله لا ينبغي أن نتواكل أو أن نتكاسل أو أن نكون سلبيين ، قال الصادق: إذا قامت القيامة .. وليس إذا طهر المهدي لا إذا قامت القيامة فى يد أحدكم فسيئة أى : شتلة صغيرة فاستطاع أن يغرستها فليغرستها لا تقل قامت القيامة وانتهى الناس وهذه فسيئة متى تنمو ومتى تثمر ومن يأكل منها ليس هذا من شأننا ، شأننا أن نعمل لدين الله نغرس لدين الله وأن نترك النتائج لله الذى لا يعجل بعجلة أحد

..
الله فى التوبة وأسفاه وأسفاه إن دعيت بعد كل هذا الكلام إلى التوبة وما أجبت واحسرتاه إن ذكرت الآن بعد كل هذا بالله وما أنبت ، متى سترجع أن لم ترجع الآن ، اللهم اشف صدور قوم مؤمنين بنصرة وعز الموحدين ، اللهم اشف صدور قوم مؤمنين بنصرة الإسلام وعز الموحدين ، اللهم عجل بنصرتك يا رب العالمين ، اللهم عجل بنصرك يا رب العالمين اللهم أننا مغلوبون فانتصر لنا ، اللهم أننا مغلوبون فانتصر لنا اللهم أننا مغلوبون فانتصر لنا ، اللهم أحقن دماء المسلمين فى فلسطين وفى أفغانستان وفى كشمير وفى كل مكان ، اللهم أحفظ المسلمين فى الصومال وفى العراق وفى اليمن وفى ليبيا وفى كل مكان.

أيها الأفاضل الكرام هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ أو ذلك أو نسيان فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه براء وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

-
- [1] رواه مسلم فى الإيمان (9 ، 10) .
[2] رواه أحمد (2 / 162 ، 12) ، وأبو داود وفى العلم (3646) ، والدامي (484) .
[3] رواه البخارى فى القدر (6604) ، ومسلم فى الفتن وأشراط الساعة (2891 / 23) .
[4] رواه مسلم فى الفتن وأشراط الساعة (282 / 25) .
[5] رواه البخارى فى العتصام بالكتاب والسنة (7320) ، ومسلم فى العلم (2669 / 6) .
[6] رواه أحمد (5 / 278) ، وأبو داود فى الملاحم (4297) .
[7] رواه البخارى فى الجزية والموادعة (3176) ، وأحمد (6 / 25 ، 27) ، وأبن ماجه فى الفتن (4042) .
[8] رواه أبو داود فى الملاحم (4292) ، وأحمد (4 / 91 ، 5 / 228) .

[9] هذه التسمية ليست من السنة النبوية وإنما هي كلمة عند أهل الكتاب وفي صحيح السنة الغني ، وستأتي الأحاديث النبوية الصحيحة لتبين ملاحم آخر الزمان في الصفحات المقبلة .

[10] رواه أحمد (84/ 1) ، وأبن ماجه في الفتن (4085) وفي الزوائد : قال البخاري في تاريخ عقب حديث إبراهيم بن محمد بن الحنفية ها : في إسناده نظر وذكره ابن حبان في الثقات . .

[11] رواه أحمد (174 / 2) .

[12] رواه أحمد (273 / 4) .

[13] رواه الترمذي في الفتن (2232) ، وأبن ماجه في الفتن (4083) ، والطيراني في الكبير (32 / 19) رقم (68) .

[14] رواه البخاري في البيوع (2118) ، ومسلم في الفتن وأراط الساعة (8 / 2884) .

[15] رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (4 / 2882) .

[16] رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (6 / 2883) . .

[17] رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (38 / 2900) .

[18] رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (34 / 2897) .

[19] هو نفس الحديث السابق .

[20] رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (37 / 2899) .

[21] رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (2920).

[22] رواه البخاري في الجهاد والسير (2926) ومسلم في الفتن واشراط الساعة (82/2922).

[23] رواه أحمد (103/4).

[1] رواه مسلم في الإيمان (9 ، 10) .

[2] رواه أحمد (2 / 162 ، 12) ، وأبو داود وفي العلم (3646) ، والدامي (484) .

[3] رواه البخاري في القدر (6604) ، ومسلم في الفتن وأشرط الساعة (2891) (23 /

[4] رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (25 / 282) .

[5] رواه البخاري في العتصام بالكتاب والسنة (7320) ، ومسلم في العلم (6 / 2669)

[6] رواه أحمد (5 / 278) ، وأبو داود في الملاحم (4297) .

[7] رواه البخاري في الجزية والموادعة (3176) ، وأحمد (6 / 25 ، 27) ، وأبن ماجه في الفتن (4042) .

[8] رواه أبو داود في الملاحم (4292) ، وأحمد (4 / 91 ، 5 / 228) .

[9] هذه التسمية ليست من السنة النبوية وإنما هي كلمة عند أهل الكتاب وفي صحيح السنة الغني ، وستأتي الأحاديث النبوية الصحيحة لتبين ملاحم آخر الزمان في الصفحات المقبلة .

- [10] رواه أحمد (84/ 1) ، وأبن ماجه في الفتن (4085) وفي الزوائد : قال البخاري في تاريخ عقب حديث إبراهيم بن محمد بن الحنفية ها : في إسناده نظر وذكره ابن حبان في الثقات . .
- [11] رواه أحمد (174 / 2) .
- [12] رواه أحمد (273 / 4) .
- [13] رواه الترمذي في الفتن (2232) ، وأبن ماجه في الفتن (4083) ، والطبراني في الكبير (19 / 32) رقم (68) .
- [14] رواه البخاري في البيوع (2118) ، ومسلم في الفتن وأراط الساعة (8 / 2884) .
- [15] رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (4 / 2882) .
- [16] رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (6 / 2883) . .
- [17] رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (38 / 2900) .
- [18] رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (34 / 2897) .
- [19] هو نفس الحديث السابق .
- [20] رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (37 / 2899) .
- [21] رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (2920).
- [22] رواه البخاري في الجهاد والسير (2926) ومسلم في الفتن واشراط الساعة (82/2922).
- [23] رواه أحمد (103/4).

أحكام التعزية وزيارة القبور

إن الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمد عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وخليله ، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة ، فكشف الله به الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم أجزه عنا خير ما جزيته نبياً عن أمته ، ورسولاً عن دعوته ورسالته ، وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد .. فحياكم الله جميعاً أيها الإخوة الأحاب الكرام الأعزاء ، وطبتم جميعاً وطاب مشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً ، وأسأل الله العظيم الحليم الكريم جل وعلا الذي جمعنا في هذا البيت المبارك الطيب على طاعته ، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جنته ودار كرامته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ..

أيها الأحبة : نحن الليلة على موعد مع الدرس العاشر من دروس أحكام الجنائز في شرحنا لهذا الحديث المبارك وما زالت أتحدث عن أحكام التعزية وزيارة القبور ..

ومن الأحكام المتعلقة بزيارة القبور : أنه أتى على قبور المسلمين يوماً فبينما هو يمشى إذ حانت من نظرة - يعنى نظر أو ألتفت النبي صلى الله عليه وسلم التفاتة -

فإذا هو برجل يمشى بين القبور عليه نعلان .. يلبس نعلين سبئيتين من نعال اليمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم " يا صاحب السبئيتين ألق سبئتيك " يعنى اخلع نعليك فنظر الرجل فلما ، عرف الرجل رسول الله خلع نعليه فرمى بهما .. الحديث أخرجه أصحاب السنن وهو حديث حسن(1).

والحديث كما قال الحافظ ابن حجر فى الفتح يدل على كراهية المشى بين القبور بالنعال .. يدل على كراهية المشى بين القبور بالنعال .. وغالى ابن حزم رحمه الله تعالى فقال بالتحريم. قال : يحرم المشى بين القبور بالنعال السبئية دون غيرها ، وهذا كلام لا دليل عليه : يعنى يحرم المشى بين القبور بالنعال السبئية فقط دون غيرها.

يقول الأمام الخطابى : لقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل وأمره بخلع النعلين لما فيهما من الخيلاء، وهذا متعقب بفعل ابن عمر أنه - رضى الله عنهما - كان يلبس النعال السبئية ويقول : إن النبصلى الله عليه وسلم كان يلبسها.

أما الأمام الطحاوى رحمه الله تعالى فقال - كلاما معتبراً وأنا أرى كلام الطحاوى كلاما نفيسا - يقول الأمام الطحاوى : يحمل نهى الرجل المذكور - يعنى على لامشى فى القبور بالنعلين السبئيتين - يحمل نهى الرجل المذكور على أنه كان فى نعليه قادر ، واستدل استدلالاً رقيقاً لطيفاً فقال : فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه ما لم ير فيهما شيئاً ..

هذا كلام معتبر فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه ما لم ير فيهما أذى فهو يستدل أن الصلاة جائزة فى النعال ما لم تكن نجسة أو لم تكن مصابة بأذى ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى فى النعلين. وفى حديث : صلى النبي صلى الله عليه وسلم بنعليه ثم خلع نعليه فى الصلاة فخلع الصحابة جميعاً نعالهم وهم يصلون فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته قال : " لم جعلتم نعالكم ؟ " قالوا : رأيناك جعلت نعليك فخلقنا نعالنا.

هذه قمة الطاعة وقمة الامتثال مع أنه لم يأمرهم لكنهم لمجرد الرؤية فعلوا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ، قالوا : رأيناك جعلت نعليك فخلقنا نعالنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : " إن جبريل قد نزل على وأخبرنى أن فيهما قدرا فخلعتهما " . ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة إذا دخل أحدهم المسجد فلينظر فى نعليه ، فإن وجدتهما طاهرتين صلى فيهما وإن وجد فيهما أذى حكهما(1) - يعنى طهرهما بالتدليك فى الرمال - ثم صلى فيهما.

وأود أن أنبه شبابنا وطلاب العلم بأن بعضهم قد يدخل المسجد ويصلى بنعليه ، ويحتج بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى فى نعليه ، لكن هذا المحتج لم يحقق مناط الدليل ، وهذا موضع الإشكال فى كثير من الخلافات الموجودة بين طلبة العلم. فالمسجد النبوى كان فرشته الحصى لم يكن مفروشاً بالسجاد والموكيت ، فلو دخلت مسجداً فرشته الحصى صلى بنعليك إذا كان النعلان طاهرتين. تحقق من طهارة النعلين وصل فيهما ، فإذا كانت مسافراً ونزلت من السيارة ووقفت على الطريق صل فى نعليك ولا حرج عليك فى ذلك بل أنت مصيب للسنة ، وهذا أمر لا يعرفه كثير من المسلمين.

لا بد من تحقيق مناط الدليل حتى لا نستشهد بالدليل فى غير موضعه ، وتحدث من المشاكل ما نحن فى غنى عنها بدعوى أن الدليل قد صح وقد فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك.

هذا حق لكنه لم يحقق مناط الدليل فى المسألة ؛ إذ كلام الطحاوى يحمل نهى الرجل المذكور على أنه كان فى نعليه قذر فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه ما لم ير فيهما أذى.

الشيخ ناصر رحمه الله تعالى يستبعد احتمال الإمام الطحاوى رحمه الله تعالى. وجزم ابن حزم أيضا ببطلان هذا الاحتمال. الشيخ ناصر يقول : والأقرب أن النهى عن لبس النعال والمشى بها بين القبور. من باب احترام الموتى فهو كالنهى عن الجلوس على القبر.

والحقيقة أنا أقول بأنه ليس كالنهى فى الجلوس على القبر ، ليس المشى بين القبور كما قال شيخنا الشيخ ناصر رحمه الله كالجلوس على القبر لماذا ؟ لأنه قد ثبت فى الجلوس على القبر وعيد شديد ؛ بدليل من كلام النبى صلى الله عليه وسلم لم يثبت هذا الوعيد أبداً أو لم يثبت وعيد قريب منه فى المشى بين القبور ؛ ولذا فأنا أخالف شيخنا رحمه الله تعالى فى قوله : والأقرب النهى من باب احترام الموتى كالنهى عن الجلوس على القبر.

وسأذكر الآن حديثاً فيه وعيد شديد من النبى صلى الله عليه وسلم فى الجلوس على القبر لم يثبت مثل أو قريب منه فى المشى بين القبور ، وقد شرح الأمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فى تهذيب السنن هذه المسألة ، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال : حديث بشير إسناده جيد ذهب إليه إلا إنه من علة.

وقد ثبت أن الأمام أحمد - رحمه الله - كان يعمل بهذا الحديث فقال أبو داود فى مسأله : رأيت أحمد - رحمة الله عليه - إذا تبع جنازة فقرب من المقابر خلع نعليه قال : فرحمة الله ما كان اتبعه للسنة صلى الله وسلم وبارك على صاحبها ورحم الله الإمام أمام أهل السنة. إذا فالنهى للكراهة والله تعالى أعلم.

أيضا لا يشرع وضع الورد والرياحين والخضرة على القبور ؛ لأنه ليس من فعل السلف الصالح - رضى الله عنهم - كما هو مشهور الآن بين المسلمين ، وقد قال عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما : كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة .. كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة .. هذا أثر جميل رواه ابن بطه فى " الإبانة " عن أصول الديانة ، ورواه اللالكائى فى السنة موقوفاً بإسناد صحيح عن ابن عمر - رضى الله عنهما - فلم يثبت عن السلف فعل ذلك .. ويحتج بعضهم أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على قبرين وأمر أن يأتى بعض الصحابة بجريد من النخيل وشقه شقين ووضعهما على القبرين وقال

" لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا.

الإمام العلامة الشيخ أحمد شاكر - رحمة الله عليه - يقول : وقد ازداد العامة إصرارا على هذا العمل الذى لا أصل له ، وغلوا فيه خصوصا فى بلاد مصر تقليدا للنصارى ، حتى صاروا يضعون الزهور على القبور ويتهادونها بينهم فيضعها الناس على قبور أقاربهم ومعارفهم تحية لهم ومجاملة للأحياء وحتى صارت عادة شبيهة

بالرسمية فى المجاملات الدولية، فتجد الكبراء من المسلمين إذا نزلوا بلدة من بلاد أوروبا ذهبوا إلى قبور عظمائها أو إلى قبر من يسمونهم الجندى المجهول ويضعون عليه الزهر وبعضهم يضع الزهور الصناعية التى لا نداوة فيها تقليدا للإفرنج ، وإتباعا لسنن من قبلهم ، ولا ينكر ذلك عليهم العلماء من أشباه العامة بل تراهم أنفسهم يضعون ذلك فى قبور موتاهم.

ولقد عملت أن أكثر الأوقاف التى تسمى أوقافا خيرية موقوف ريعها على الخوص والريحان الذى يوضع على القبور ، وكل هذه بدع ومنكرات لا اصل لها فى الدين ولا سند لها من الكتاب والسنة ويجب على أهل العلم أن ينكروها وأن يبطلوا هذه العادات ما استطاعوا.

الحديث الذى ذكرت الآن حديث فى صحيح مسلم وفيه أنه قال : " إني مررت بقبرين يعذبان " - انتبه لتعرف لم يضع النبى صلى الله عليه وسلم الخضرة على كل القبور. لماذا اختار قبرين ؟ - هذه علة. ثم من الذى اطلع النبى صلى الله عليه وسلم على عذاب هذين القبرين ؟ هو الله عز وجل وهذا أمر لا يعلمه إلا النبى صلى الله عليه وسلم فهو أمر خاص برسول الله ؛ إذ أنه علم أن صاحبي القبرين يعذبان وأمر بوضع جريد النخل على القبرين فقط دون سائر القبور ، ثم ليست العلة على الإطلاق فى اليبس كما ذكر بعض أهل العلم فى حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - وإنما هى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يخفف الله العذاب عن صاحبي القبرين قال : هذا صريح حديث : " إني مررت بقبرين يعذبان " - وحديث جابر جميل - والحديث فى صحيح مسلم وفيه قال : " إني مررت بقبرين يعذبان " تدبّر " فأحببت بشفاعتى أن يرد عنهما ما دام الغصنان رطبين " ، وكأن الوقت الذى أذن الله عز وجل فيه للمصطفى أن يشفع فيهما للتخفيف عنهما من العذاب هو وقت رطب الغصنين.

قال : فهذا صريح فى أن رفع العذاب إنما هو بسبب شفاعته ودعائه لهما لا بسبب الندوة ، وسواء كانت قصة جابر هذه هى عين قصة ابن عباس المتقدمة كما رجحه العبنى وغيره أو غيرهما كما رجحه الحافظ ابن حجر فى الفتح قال : وفى حديث ابن عباس نفسه يشير إلى أن السر ليس فى الندوة أو بالأحرى ليست هى السبب فى تخفيف العذاب.

وذلك قوله : " ثم دعى بعسيب فشقه اثنين يعنى طولا " ، فإن من المعلوم أن شقه سبب لذهاب الندوة من الشق ويبس العسيب بسرعة فتكون مدة التخفيف أقل مما لو لم يشق ويبس العسيب بسرعة فلو كانت هى العلة لأبقاه بدون شق ولو وضع على كل قبر من قبور المسلمين عسيبا أو نصف عسيب على الأقل ، فإذا لم يفعل ذلك دل على أن الندوة ليست هى السبب فى تخفيف العذاب وتعين أنها علامة على مدة التخفيف الذى أذن الله به استجابة لشفاعة نبيه كما هو مصرح به فى حديث جابر.

وبذلك يتفق الحديثان فى تعيين السبب وإن احتمل اختلافهما فى الواقعة وتعددتها هذا كلام نفيس جدا إذن الأصل : هو شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فالراجح من أقوال جمهور أهل العلم كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى الفتح أن وضع الجريد

على القبر إنما هو فعل خاص بالنبي ، وأن السر في تخفيف العذاب عن القبرين لم يكن في نداوة العسيب بل في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه لهم.

وهذا مما لا يمكن وقوعه مرة أخرى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ولا لغيره من الصحابة ولا لأحد من الأمة ، لأن الإطلاع على عذاب القبر من خصوصيات المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو من الغيب الذي لا يطلع الله عليه أحدا إلا من أرتضى من رسول كما قال تعالى : [عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ]

[الجن : 26 ، 27]

فالمسألة خاصة بالنبي بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بين المقابر لم يضع الخضرة إلا على قبرين اثنين ولم يضع الخضرة على سائر القبور.

أيضا من المسائل المتعلقة بالمقابر أنه يحرم الذبح عند القبر هناك عادة خبيثة جدا لا زالت موجودة أيضا وهي الذبح تحت النعش أثناء الخروج من الدار ، إذا وضع الميت في النعش أو حمل على الخشبة يذبحون تحت النعش هذا يسمى عقرا ، والنبي يقول : " لا عقر في الإسلام " ([1]) ، والحديث أخرجه أبو داود والبيهقي وأحمد بسند صحيح.

قال شيخ الإسلام : وأما الذبح عند القبور فمنهى عنه مطلقا . قال أحمد في رواية المروزي : قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : " لا عقر في الإسلام " كانوا إذا مات لهم الميت نحورا جزورا على قبره - جزورا يعني جملا - فمنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وكره الأمام أحمد أكل لحمه .

قال أصحابنا : في معنى هذا ما يفعله كثير من أهل زماننا في التصديق عند القبر بخبز أو نحوه يعني ما سوى هذا على النهي عن العقر عند القبر. قال النووي في المجموع شرح المذهب : وأما الذبح والعقر عند القبر فمذموم لحديث أنس الذي ذكرت أنفا رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح.

قلت : والقائل هو النووي وهذا إذا كان الذبح هناك لله تعالى ، يعني إذا كان الذبح هناك عند القبور لله فهو مكروه ، أما إذا كان الذبح لصاحب القبر كما يفعله بعض الجهال فهو شرك صريح وأكله حرام وفسق كما قال تعالى : [وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ] [الأنعام : 145] ، أى والحال أنه كذلك بأنه ذبح لغير الله هذا هو الفسق هنا كما ذكر الله تعالى : [أَوْ فَسَقًا أَهْلٌ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ] [الأنعام : 145]

وفى رواية فى مسند الأمام أحمد بسند حسن من حديث ابن عباس ، ورواها أيضا الأمام مسلم فى صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم عن من ذبح لغير الله - اسمع ما قال ابن عباس قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لعن الله من ذبح لغير الله " ([2]) ، وكم من الناس الآن يذبحون

للأولياء وللصالحين ويقولون : البهيمة هذه للبدوى ، وهذه دى للحسين وهذا البهيمة دى لسيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وهذا والعياذ بالله شرك. قال : " لعن من ذبح لغير الله " الذبيحة لابد أن تكون لمن ؟ لله ورب العزة يقول : [لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ] [الحج : 37] .

نحن لا نقدم لله لحما ولا دما وإنما تقدم أنت لنفسك دليلا عمليا على تقوى قلبك :

[ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ] [الحج : 32] .

فالدبح لا يكون لنبي ولا لولى ، وإنما يجب أن يكون الذبح خالصا لله تعالى على اسم الله ، فالدبح لنبي أو لولى ذبح حرام ولا تحل إطلاقا هذه الذبيحة ولا يجوز الأكل منها ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لعن الله من ذبح لغير الله " ([3]).

إذا يحرم الذبح عند القبور ؛ لأن الذبح لا يكون إلا لله تبارك وتعالى ، لكن لو مات والدك مثلاً أو عزيز لديك وذبحت شاه وقلت : إن شاء الله هذه أتصدق بها لله تبارك وتعالى ليرحم الله عز وجل بهذه الصدقة والذى فلا بأس وهذا من العمل المشروع ، فالتوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح مشروع.

قال : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " ([4]).

أيضا نهى رسول الله أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه أو يزداد عليه أو يكتب عليه ([5]).

نهى رسول الله أن يجصص القبر ، والتجصيص : من الجص وهو الطلاء ويزين ويطلق القبر من الخارج أو يدهن ويجصص بالحجارة الفروعون ، ونرى تنافسا الآن فى هذا. فبعض القبور تشعر أنها سكن الأحياء ، فالقبر محاط بسور جميل ، ومبنى بالحجر الفرعونى ، وترى حياة كاملة بين القبور ، فالنبي نهى أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه أو يزداد عليه بمقدار شبر ، لأن السنة قيدت شبرا كما ذكرت قبل ذلك أو يكتب عليه والحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم.

الشيخ ناصر رحمه الله يقول : قلت : ولعل الصواب التفصيل على نحو ما يأتى إذا كان المقصود بالتجصيص هو طلاء القبر أو تلبيس القبر من الخارج بالطين أو بالأسمنت المعروف إذا كان المقصود به المحافظة على القبر وعلى بقائه مرفوعا قدر ما سمح به الشرع بحيث لا تتسفه الرياح ولا تبعثره الأمطار ولا يكون عرضة للسرقة أو للنبيش أو للنهب فهذا جائز مشروع وهو مما جاءت به الشريعة.

هذا كلام نفيس وقد ذكرت ذلك من قبل إذا كان الهدف حفظ الميت وحفظ القبر من أن تتسفه الرياح أو تزيله الأمطار أو يكون عرضة للنبيش من عصابات نبش القبور ، الذين ينتهكون ويخرجون الجثة ن ليأخذوا أعضاء الميت ويبيعونها لم يبحثون عن الأعضاء ممن يُجرون عليها التجارب ، كليات الطب وغيرها وأن كان المراد حماية القبور من أن تنبشها الكلاب ، فهو جائز بدون أدنى شك فهو يحقق غاية مشروعة.

قال الشيخ رحمه الله : ولعلم من هذا وجه من قال من الحنابلة أنه يستحب. وقد ذكرت قياس أن فى بيئتنا الزراعية قد يصعب علينا تعميق القبر فى باطن الأرض لقرب المياه التى تؤذى الميت حتما ، ومن ثم أو ارتفعنا قليلا عن الأرض بنية حفظ الميت لا من أجل المباهاة والفخر والخيلاء فلا بأس بذلك وهذا ما تقتضيه الشريعة الغراء.

أما الكتابة على القبور فظاهر الحديث التحريم ، وهو ظاهر كلام ابن حزم ، وصرح الشافعية والحنابلة بالكراهية فقط ، وقال النووى : قال أصحابنا : وسواء أكان المكتوب على القبر لوح عند رأسه كما جرت عادة بعض الناس أم فى غيره فكله مكروه لعموم الحديث.

قال الشيخ ناصر رحمه الله : واستثنى بعض العلماء كتابة اسم الميت لا على وجه الزخرفة – ما أظن أن الكتابة للزخرفة أبداً – بل للتعرف على صاحب القبر قياساً على وضع النبي صلى الله عليه وسلم الحجر على قبر عثمان بن مظعون ، الكتابة ليست من الزخرفة فى شئ بل قال الشوكانى فى كلام جميل قال : وهو من التخصيص بالقياس وقد قال به الجمهور ؛ لأنه لا قياس فى مقابلة النص كما قال فى ضوء النهار ، ولكن الشأن فى صحة هذا القياس. قال : والذى أراه والله أعلم – تدبر أدب العلماء يا أخى سبحان الله – والذى أراه والله أعلم أن القول بصحة هذا القياس على إطلاقه بعيد والصواب تقييده بما إذا كان الحجر لا يحقق الغاية التى من أجلها وضع رسول الله الحجر إلا وهى التعرف على صاحب القبر. قال : القول بصحة هذا القياس على إطلاقه بعيد ؛ لأن القاعدة الأصولية تقول : لا قياس مع النص ، ثم قال : والصواب تقييده بما إذا كان الحجر لا يحقق الغاية من أجلها وضع رسول الله الحجر إلا وهى التعرف على صاحب القبر وذلك بسبب كثرة القبور مثلاً وكثرة الأحجار المعرفة.

نهى رسول الله أن يبنى على القبر([6]) والحديث أخرجه ابن ماجه بسند ، رجاله جميعاً

رجال الصحيح إلا أنه منقطع ، وقال الهيثمى : رجاله ثقات ، وفى الزوائد : إسناده صحيح ورجالهم ثقات

ومن الأحاديث المتعلقة بهذا الباب عن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى على بن أبى طالب – وأبو هياج الأسدى كان عاملاً لعلى بن أبى طالب يعنى بمثابة وزير

الشرطة – قال : قال لى على بن أبى طالب : إلا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ؟ إلا تدع تمثالاً – وفى رواية صورة – فى بيت إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلى

سويته([7]) .. أبو الهياج الأسدى يحكى عن من ؟ عن على رضوان الله عليه ، وعلى يأمره وهو أمير المؤمنين

ونحن ننكر بصوت مرتفع أن تبنى المساجد على القبور وأن تشيد القبور بهذه الصورة المريية التى نراها.

لكننا نتكلم الآن عن قضية إنكار المنكر فلا بد من فقه هذا الإنكار.

أخواننا خرجوا على قبر فأحرقوه وأحدثوا فتنة شديدة جداً ثم قبض على هؤلاء الأخوة وعلى غيرهم ، وشيد القبر تشبيداً ضخماً ، فإنا أخواننا أبو هياج الأسدى كان عاملاً لعلى ، أردت الإشارة إلى أن فعل أبى الهياج الأسدى إنما هو فعل رجل مسؤول لأمير المؤمنين على – رضى الله عنه – حتى لا نستدل أيضاً بالأدلة فى غير موضعها.

عن تمامة بن شفى قال : خرجنا مع فضالة بن عبيد إلى أرض الروم وكان عاملاً معاوية على الدرك وفى رواية : غزونا أرض الروم وعلى ذلك الجيش فضالة بن عبيد الأنصارى ، فأصيب ابن عم لنا فصرى عليه فضالة ، وقام على حفرتة حتى داراه فلما سويها عليه حفرتة قال : أخفوا عنه .. وفى لفظ خففوا عنه فإن رسول الله كان يأمرنا بتسوية القبور([8]).

قال الشيخ رحمه الله : الظاهر من حديث فضالة كان يأمرنا بتسوية القبور تسويتها بالأرض بحيث لا ترفع إطلاقاً . قال : هذا الظاهر غير مراد قطعاً بدليل أن السنة هي الرفع للقبر فوق الأرض بمقدار شبر كما مرت الإشارة إليه ، ويؤيد هذا من الحديث نفسه قول فضالة : خفضوا - أى التراب - فلم يأمر بإزالة التراب عنه بالكلية ..

ومن الأخطاء الكبيرة التي يقع فيها كثير من المسلمين جلوسهم على المقابر ووقوفهم بالنعال على المقابر ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن ذلك نهياً شديداً وتوعد من فعل ذلك والحديث في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي

قال : " لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر " ([9]) ، وفي رواية : " خيراً أن يطأ على قبر " فأنا أنبه المسلمين. إذا ذهبت إلى مقبرة في جنازة ووجدت رجلاً يجلس على القبر قل له : أنزل لهذا النهى الشديد ، لأن هذا المنكر استشرى مع أن كثير منا يعرف الحكم. " لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر " .. والحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه واحمد والبيهقي وغيرهم ، وفي رواية عن عقبه بن عامر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لأن أمشى على جمرة أو سيف أو أخصف نعلى برجلى أحب إلى من أن أمشى على قبر مسلم " " لأن أمشى على جمرة أو سيف أو أخصف نعلى برجلى أحب إلى من أن أمشى على قبر مسلم " وفي هذا الحديث دلالة على تحريم الجلوس على القبور وعلى تحريم المشى على القبور. وهذا مذهب جمهور أهل العلم. أيضاً الصلاة إلى القبور محرمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تصلوا إلى القبور " ([10]) ..

وفي هذا دليل على تحريم الصلاة إلى القبر لظاهر النهى كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى قال صاحب فيض القدير : إن قصد إنسان التبرك بالصلاة في تلك البقعة - أى عند مقبرة معينة ويصلى وهو يقصد التبرك بالصلاة في تلك البقعة - فإن قصد إنسان التبرك بالصلاة فقد ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله.

قال النووي : كذا قال أصحابنا ، ولو قيل بتحريمه بظاهر الحديث لم يبعد ، ويؤخذ من الحديث النهى عن الصلاة في المقبرة فهو مكروه كراهة تحريم لا كراهة تنزيه ، وقد استشهدت بقول النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخارى ومسلم : " اجعلوا فى بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً " ([11]) .. لفظ البخارى " اجعلوا فى بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً " ([12]) وفى لفظ : " لا تجعلوا بيوتكم

مقابر " ([13])

هذا دليل على أن المقابر لا يصلى فيها فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون البيوت كالمقابر بحيث لا يصلى فيها ، وفى لفظ : " لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة " ([14]) دل

ذلك على أن المقابر لا تقرأ فيها سورة البقرة أو القرآن ..

واختم الحديث الليلة بحكم بناء المساجد على القبور فلا يجوز أن تبنى المساجد أبداً على القبور سواء أكانت هذه القبور للأنبياء أو الصالحين أما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فله حكم خاص كما سألناه الآن

بإذن الله تعالى ، والأدلة على ذلك كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - وابن عباس - رضي الله عنهما - قالوا - أي عائشة وابن عباس - : لما نزل برسول الله المرص - أي مرض الموت - طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، قال : " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " تقول عائشة يحذر ما صنعوا ([15])

.. لعنة الله على اليهود والنصارى ليه ؟ قلا " اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " .. يحذر ما صنعوا ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من صنيع اليهود والنصارى كان اليهود والنصارى إذا مات لهم نبي اتخذوا على قبره مسجداً ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن هؤلاء لعلهم هذا ويحذر أمته أن يفعلوا مثلما فعل اليهود والنصارى.

وقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري ومسلم أحمد وغيرهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه - يعنى في مرض

الموت - قال : " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " .. قالت عائشة رضي الله عنها : فلولا ذلك أبرز قبره ، فلولا ذلك أبرز قبره غير أن خشى

أن يتخذ مسجداً - أي القبر - مسجداً.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ([17]) .. وفي رواية : " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم

مساجد " .. والحديث أيضاً رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

وهناك حديث آخر في مسند أحمد وطبقات ابن سعد والحلية لأبي نعيم بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : " اللهم لا تجعل قبري وثناً " ([18]) .. يعنى صنماً

يعبد " اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " .. وعند جندب قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس - أي بخمس ليال -

يقول : " إن الله تعالى قد اتخذني خليلاً " يقول : " قد كان لي فيكم أخوة وأصدقاء " طبعاً لفظة الصديق لفظة قرآنية ونبوية ؛ لأن بعض إخواننا قال : إن هذه اللفظة لا ينبغي أن تُستخدم ؛ لأنها من ألفاظ غير المسلمين ، قلت : يا أخى لا . بل ذكرها القرآن

الكريم وذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي أن نتعجل بالأحكام وأن نتسرع قبل أن نعلم ، فلفظة الصديق (أو صديقكم) لفظة في القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " قد كان فيكم إخوة وأصدقاء وإنى أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم

خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذ من أمتي خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ألى وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد إلا فا تتخذوا القبور مساجد أنهاكم عن ذلك " ([19]) ..
أوامر نبوية فى غاية الوضوح " إلا وإن من كان قبلكم كان يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك " الحديث رواه مسلم وغيره.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء " ([20]) .. قد يلتبس هذا الحديث على بعض الإخوة كيف

ذلك : "إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذون القبور مساجد "

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة ، كانوا رأوها فى أرض الحبشة مع الهجرة الأولى لأرض الحبشة يقال لها - يعنى الكنيسة- : ماريا اسم الكنيسة ماريا ، وقد كانت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهن جميعاً قد رأتا أرض الحبشة فذكرن من حسناتها وتصاويرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : " إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " ، والحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما ([21]).

هذه الأحاديث تدل دلالة قاطعة على حرمة اتخاذ القبور مساجد ، وتدل دلالة قاطعة على حرمة بناء المساجد على القبور ، والحكم أن القبر إن ادخل إلى المسجد بعد بناء المسجد ينبش القبر وأن يُخرج المسلمون الجثمان لدفنه فى مقابر المسلمين ويبقى المسجد ، وأن بنى المسجد على القبر فالحكم أن يظل القبر وأن يُهدم المسجد والسؤال المهم ما الحكم فى قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ألا تعلم أنه فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم .

والجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات دُفن فى حجرة عائشة - رضى الله عنها - وانتم تعملون كما ذكرت لكم قبل ذلك أنه ما من نبى مات إلى وقبر فى الموضع الذى قبض فيه - فى مكان موته - فلما اختلف الصحابة قال أبو بكر - رضى الله عنه - : إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبى مات إلا وقبض فى موضع قبره " ([22])

وذكرنا لكم دليلاً جميلاً رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما سأل ربه عز وجل أن يقبضه على مشارف الأرض المقدسة ، لما سأل بنى إسرائيل أن يدخلوا معه الأرض المقدسة لقتال العماليق الذين استولوا على بيت المقدس فقال اليهود لموسى قولتهم المشهورة : [فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ] [المائدة : 24]

فسأل موسى ربه - عز وجل - أن يقبضه إلى جوار الأرض المقدسة بمقدار رمية حجر فاستجاب الله له ، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : " فقبض ولو كنت ثمَّ

– يعنى لو كنت هناك – لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر " تدبر كلام النبي صلى الله عليه وسلم .. يعنى قبر موسى " لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر " عند المكان الذى سأل نبي الله موسى أن يقبضه الله فيه فقبض فدفن فى نفس الموطن الذى قبضه الله فيه.

فالنبي قبض فى بيت عائشة فدفن فى موضعه فى حجرة عائشة – رضى الله عنها – وحجرات النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجودة فى جانب من جوانب المسجد النبوى ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من الحجرة على المسجد من عند عائشة حفصة من عند أم حبيبة من عند أم سلمة من عند أى زوجة من زوجاته إلى المسجد فسأل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فى أن يأذن له فى أن يمرض فى بيت عائشة ، لأنه كان يحب عائشة ، فمرض فى بيت عائشة وقبض فى بيت عائشة ودفن فى بيت عائشة ، وظل قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حجرة عائشة بعيداً عن المسجد وليس فى المسجد فى عهد أبى بكر وفى عهد عمر وفى عهد عثمان وفى عهد على وفى عهد الحسن بن على الذى صار أمير المؤمنين ستة أشهر بعد على ثم تنازل الحسن بن على – رضى الله عنهما – إلى معاوية – رضى الله عنه – ليحقق دماء المسلمين وقد فصلت ذلك فى أشرطة تحقيق الفتنة بين الصحابة ، ثم فى عهد معاوية – رضى الله عنه – ظل المسجد النبوى خالياً من قبر الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى " ([23]) لو

كان يجوز أن يدخل قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد والله لَفَعَلَ ذلك أول وأفضل رجل فى الأمة بعد نبيها أبو بكر ولكنه هيهات ، كيف وهو الذى سمع رسول الله يقول : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد " ([24]) .. كيف يفعل ذلك الصديق وكيف يفعل ذلك عمر وعثمان رضى الله عنهما وهو أول خليفة وسع المسجد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وسعه من الناحية المقابلة تماماً للحجرات ، وظل كذلك فى عهد على وفى عهد الحسن وفى عهد معاوية إلى أن تولى الخلافة عبد الملك بن مروان.

الشاهد أن لا يُحتج بفعل بشر حتى لو كان الصديق – رضى الله عنه – إن خالف فعله فعل سيد البشر وحاشاه أن يخالف رسوله ومصطفاه. ابن عباس – رضوان الله عليه – يقول : أقول لكم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون : قال أبو بكر وعمر .. والله ليوشكن الله ينزل علينا حجارة من السماء وأنا أقسم بالله أن ابا بكر وعمر ما قالوا قولاً يخالفان قول الحبيب رسول الله أبداً ، بل هو الذى أمرنا بأبى هو أمى ونفسى وروحي : " فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وأياكم ومحدثات الأمور " ولم يفعل واحدٌ من الصحابة ذلك لم يفعل أبو بكر ولم يدخل قبر النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، ولم يفعل عمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن ، ومعاوية ، ومعاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه صحابى جليل كريمٌ من كُتَّاب وحى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ، فمن الذى فعل ؟ عبد الملك سنة ستة وثمانين هجرية ، يعنى بعد ست وثمانين سنة من الهجرة ذهب للحج ثم ذهب لزيارة المدينة وارتقى المنبر وحجرات النبي صلى الله

عليه وسلم زالت على هيئتها وحالتها ، فتصور كل من يأتي من المسلمين من الأمصار إلى المدينة فإن أول ما ينظر ينظر في المسجد إلى آثار النبي صلى الله عليه وسلم وحجرات النبي صلى الله عليه وسلم وأحفاده ، فرأى عبد الملك بن مروان أن الناس قد انشغلوا كل الانشغال بهذه الآثار ، فنزل من على المنبر في يوم الجمعة ثم أمر من يومها بتوسعة المسجد النبوي من قبل الحجرات الشريفة.

وليته وَسَّعَ من الناحية المقابلة للحجرات كما فعل عثمان - رضى الله عنه - وبقيت الآثار المباركة والحجرات الشريفة ليرى المسلمون كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم لتظل الحجرات مستقلة عن المسجد ، ولكنه أمر بهدم الحجرات للتوسعة فهدمت حجرات النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم صار القبر الشريف في المسجد ، فهل يحتج بعد هذا أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد؟! ويُخالف به قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد "؟! ثم أودُّ أن أبشِّرَ بأن قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان في المسجد فله خصوصية ليست لأي قبر في أى مسجد على وجه الأرض فهو المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى سأل ربّه واستجاب له ربّه ، سأل ربّه بقوله : " اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد" ([25])

فقبر النبي صلى الله عليه وسلم له خصوصية : " اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد " ... يعنى صنما يُعبد بعدى ، وأنا أسأل على طول ألف وأربعمائة سنة هل رأيتم المسلمين على وجه الأرض طيلة هذه القرون يتخذون قبر النبي صلى الله عليه وسلم وثنا؟! لا والله .. استجابة من الله لدعاء نبيه ، بل لو ذهبت إلى هذه الرياض المباركة ووجهت وجهك للقبر وقلت : يا رسول الله أغثنى يا رسول الله أكرمنى ستجد رجلا فاضلا يقول لك : وَجَّهْ وجهك للقبرة وسل ربّ رسول الله ، أسأل ربك يا اخي فالرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقول له ربه فقال جل وعلا: [قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً

وَلَا ضَرّاً] [أعراف: 188] ، وهو الذى يقول : [وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْعَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ] وهو الذى قيل له : [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ] [الكهف : 110] ، فرسول الله حذرنا من سؤال غير الله ، ومن الاستعانة بغير الله، ومن الخضوع لغير الله.

إذن لا ينبغي أن يحتج بفعل عبد الملك بن مروان على أن يجوز أن تبنى المساجد على القبور ، وقد ذكرت الأحاديث الصحيحة التى حرم فيها النبي صلى الله عليه وسلم أن تبنى المساجد على القبور.

أيضاً فى الأحكام المتعلقة بزيارة القبور فى باب أحكام الجنائز اتخاذها عيدا .. يعنى فى أوقات معينة ومواسم معروفة للتعبّد عندها أو لغيرها لحديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تتخذوا قبرى عيداً لولا تجعلوا بيوتكم قبورا " .. " لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبورا .. وحيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى "

اللهم صل وسلم وزد وبارك على نبينا محمد صلى وعلى آله وأصحابه أجمعين وفى رواية قالوا : يا رسول الله كيف وقد ارمت - يعنى بلى جسدك - ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .. وحيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغني " والحديث رواه أحمد وأبو داود بإسناد حسن ([26]) وهو صحيح على شرط مسلم كما قال الشيخ رحمه الله تعالى.

والحديث بلا شك دليل على تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين عيدا. أيضا من المسائل المتعلقة حتى أنهى الحديث الليلة في أحكام الجنائز لا يجوز شد الرحال والسفر إلى القبور ، إلى أى قبر على وجه الأرض يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " لا تشد الرحال إلى ثلاث مساجد - خلى بالك من النية دى - إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا " .. إذن لا تشد الرحال إلى القبور ولا إلى قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم لكن إلى مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنت فى المسجد تسلم على النبي اكتفى بهذا القدر فى أحكام الجنائز وسامحونى ، أطلت أحكام الجنائز لعلمى أن المكتبة الإسلامية تخلو من هذه الأشرطة بجانب الأحكام فأحببت أن تكون موجودة. وأسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه وأن ينفع بها وأن يتقبل منا ومنكم جميعا صالح الأعمال ، واكتفى بهذا القدر فى الباب الخامس والثلاثين من أبواب كتاب الإيمان والذي ترجم له الإمام البخارى بقول : باب اتباع الجنائز من الإيمان ، والله اسأل أن يرحم موتانا رحمة واسعة وأن يختم لنا ولكم بالإيمان أنه ولى ذلك والقادر عليه ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- (1) رواه أحمد (5 / 83 ، 84 ، 244) ، وأبو داود فى الجنائز (3230) ، والنسائى فى الجنائز (96 / 4) ، وابن ماجة فى الجنائز (1568).
- (1) رواه أبو داود فى الصلاة (650) ، وأحمد (92/3) ، والدارمى (1378) ([1]) رواه أحمد (3 / 197) ، وأبو داود فى الجنائز (3222).
- (2) رواه مسلم فى الأضاحى (1978) ، وأحمد (108/1 ، 118 ، 152 ، 217) ، (309).
- (3) سبق تخريجه.
- (4) رواه مسلم فى الوصية (1631 / 14) ، وأبو داود فى الوصايا (2280) ، والنسائى فى الوصايا (6 / 251).
- (5) رواه مسلم فى الجنائز (970) ، والترمذى فى الجنائز (1052) وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى فى الجنائز (8614) ، وابن ماجة فى الجنائز (1562) ، وأحمد (3 / 295 ، 332 ، 399).
- (6) رواه ابن ماجة فى الجنائز (1564) ، وفى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (3 / 61) : ورجاله ثقات.
- (7) رواه مسلم فى الجنائز (969) ، وأحمد (96/1 ، 129) ، والنسائى فى الجنائز (4 / 88 ، 89).
- (8) رواه أحمد (6 / 18) ، ومسلم فى الجنائز (968) بنحوه.

[9] رواه مسلم فى الجنائز (971 / 96) ، وأحمد (2 / 311) ، وأبو داود فى الجنائز (3228) ، والنسائى فى الجنائز (4 / 95) ، وابن ماجه فى الجنائز (1566) .

[10] رواه مسلم فى الجنائز (972) ، وأبو داود فى الجنائز (322/9) ، وأحمد (135/4) .

[11] رواه البخارى فى الصلاة (432) ، ومسلم فى صلاة المسافرين (208/777) .

[12] هو حديث البخارى السابق .

[13] رواه مسلم فى الجنائز (780 / 212) .

[14] هو حديث مسلم السابق .

[15] رواه البخارى فى الصلاة (435 ، 436) ، وفى الأنبياء (3453 ، 3454) ، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (531 / 22) .

[16] رواه أحمد (6 / 80) ، والبخارى فى الجنائز (1330 / 1390) ، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (529 / 19) .

[17] رواه البخارى فى الصلاة (437) ، وأبو داود فى الجنائز (3227) .

[18] رواه أحمد (2 / 246) ، ومالك فى الموطأ فى قصر الصلاة فى السفر (1 / 156) رقم (85) .

[19] رواه مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (532 / 23) .

[20] رواه البخارى فى الفتن (7067) ، وأحمد (405/1 ، 435 ، 454) .

[21] رواه البخارى فى الصلاة (427 ، 434) ، وفى الجنائز (1341) ، وفى مناقب الأنصار (3873) ، ومسلم فى المساجد (528) .

[22] رواه أحمد (7 / 1) .

[23] رواه أحمد (126/4 ، 127) ، وأبو داود فى السنة (4607) ، والترمذى فى العلم (2676) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه فى المقدمة (42) ، والدارمى (95) والحاكم (96/1 ، 97) ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (346/2) .

[24] سبق تخريجه .

[25] سبق تخريجه .

[26] رواه أحمد فى مسنده (6/4) ، وأبو داود فى الصلاة (1047 ، 1531) ، وابن ماجه فى الإقامة (1085) ، وفى الجنائز (1636) .

تفسير سورة الزلزلة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

[النساء: 1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفُزْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
فحيًا لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.
طيبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً.
حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار كرامته.
إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير..

أحبتني في الله :

نحن اليوم مع سورة تهز القلوب الغافلة ، وتزلزل القلوب القاسية الجامدة ، وتأخذ الناس
أخذاً من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة . إن لقاءنا اليوم أيها الأحباب مع سورة
"الزلزلة" .

حقا والله إنها زلزلة للقلوب القاسية ، والله إنها زلزلة للقلوب الغافلة .
هذه السورة التي تقل كلماتها كثيراً كثيراً .. ولكنها تحمل من المعاني ما يخشع لها
الجال وتتهتز لها القلوب في الصدور هذه السورة التي قال الله تبارك وتعالى فيها إذا
زُلزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ
أَخْبَارَهَا بَأْسَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ الزلزلة
إنها زلزلة للقلوب القاسية أيها الأحباب
إذا زُلزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
متى يحدث هذا المشهد ؟ ومتى سيكون ذلك ؟

إذا أراد الله تبارك وتعالى إحياء خلقه من يوم أن خلقهم إلى أن يرث الله الأرض ومن
عليها يأتي الله تعالى تبارك وتعالى بهذه العظمة الصغيرة التي توجد في آخر السلسلة
الفقرية لكل إنسان خلقه الله جل وعلا .. هذه العظمة تسمى " عجب الذنب " هذه
العظمة الصغيرة الدقيقة هي التي لا تبلى من أي إنسان ، كما في الحديث الذي رواه
البخاري ومسلم أن النبي قال : " كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه
يُرَكَّب " (1)

يأتي الله بهذه العظمة ويركب من حولها جسد صاحبها .
ما ذهب من جسده في البحار !! وما ضاع من جسده في الأنهار !! وما راح غذاء
للأشجار !! يأتي الله جل وعلا بهذا كله ليكتمل بدن الإنسان كما كان .

فإذا ما اكتملت الأجساد في القبور أمر الله جل وعلا بالأرواح فتلقى الأرواح في الصور .

والصور : هو البوق الذي يأمر الله اسرافيل بالنفخ فيه .

يأمر الله جل وعلا اسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة البعث قال تعالى ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون

فإذا نفخ اسرافيل في الصور خرجت الأرواح لها دوي كدوي النحل فيقول ربنا جل وعلا : " وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده "

كما ورد في حديث الصور الطويل الذي رواه الإمام الطبراني والبيهقي وأبويعلى الموصلي وذكره الإمام أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية وضعفه الحافظ بن كثير :

تسري الأرواح في الأجساد كما يسري السم في الدبغ ، وهنا إذا ما اكتملت الأجساد في القبور – يأمر الله جل وعلا بأن تزلزل الأرض وأن تتشق الأرض .

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

تتفض الأرض لتخرج ما في جوفها إخراجاً وتلفظ ما في بطنها لفظاً

وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ق 41 – 44

أيها الأحباب : إنه يوم القيامة .. إنه يوم الأزفة .. إنه يوم القارعة .. إنه يوم الحاقة .. إنه يوم الصيحة .. إنه يوم الانقلاب الكامل .

لكل مشهود ومعهود كما قال النبي في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي بسند حسن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي قال " من سره أن ينظر إلى هذا اليوم

كأمره رأى عين فليقرأ " إذا الشمس كورت " و " إذا السماء انفطرت " و " إذا السماء انشقت " (2)

إنه يوم القيامة أيها الأحباب :

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ الْإِنْشِقَاقُ 1 : 5

أي حُق عليها وحق لها أن تخضع وأن تخضع لأمر ربها جل وعلا .

أيها الأحباب : يبدأ أول مشهد من مشاهد يوم القيامة بخروج الناس من القبور حفاة عراة غرلاً!! وهنا فزعت أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما قال النبي في

الحديث الذي رواه البخاري ومسلم " يُحْشَرُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاءً عَرَاءً غُرْلًا ، فقالت عائشة : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ، قال : " الأمر

أشد من أن يُهمهم ذلك " (3)

يخرج الناس من القبور .. الأرض تتشقق هنا وهناك !!

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا .. مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا ..

والنار تلهب من غيظ ومن حنق .. على العصاة ورب العرش غضباناً ..

أقرأ كتابك يا عبد على مهل .. فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا ..

فلما قرأت ولم تتكر قراءته .. وأقررت من عرف الأشياء عرفاناً ..

نادى الجليل خذوه يا ملائكتي .. وأمضوا بعبد عصى للنار عطشاناً ..
المشركون غدا في النار يلتهبوا .. والموحدون لدار الخلد سكانا
يبعث الناس من هنا وهناك .. إنه مشهد لا عهد للبشرية به .. إنه مشهد الخروج من
القبور يا عباد الله .

من هنا تتشقق الأرض ... ومن هنالك تتشقق الأرض .. ويخرج الناس من القبور فإذا
ما خرج العبد من قبره لا ينظر عن يمينه ، ولا ينظر عن شماله ، ولا ينظر خلفه ،
وإنما أخذ بصره وامتدت رقبتة وأخذ يتتبع هذا الداعي الذي جاء بأمر الله جل وعلا
ليقود الناس إلى أرض المحشر

((يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
طه 108

أين أصحاب الأصوات العالية ؟ أين أصحاب الكلمات الرنانة ؟!
أين الذين حاربوا الإسلام ؟ .. وأين الذين امتلأت قلوبهم غيظاً وحقداً على دين الله ؟
أين الذين قالوا ، وقالوا ، وقالوا ، وقالوا ؟
وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا
ما الذي جرى ؟! ، وما الذي حدث ؟!
إن الأرض كانت آمنة !! وكانت هادئة !!
ما الذي غيّر ها ؟! وما الذي بدلها ؟ وما الذي حول أمنها واستقرارها إلى هذه الزلزلة
وهذا الدوار ما لها ؟!

إنها أوامر الله جل وعلا الذي يقول للشئى كن فيكون
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهُ
أتدرون ما أخبارها يا عباد الله ؟!

ورد في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن صحيح أن النبي قرأ هذه الآية يَوْمَئِذٍ
تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا فقال أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " إن
أخبارها أن تشهد على كل عبد ، وعلى كل أمة بما عمل على ظهرها ، فتقول عمل
فلان كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذه أخبارها " (4)

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يسترنا وإياكم فوق الأرض
وتحت الأرض ويوم العرض إنه ولي ذلك ومولاه .
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمُ الزلزلة 6

إنه مشهد من أروع مشاهد القيامة با عياد الله .. من الناس من يبعث ونورٌ يشرق من
وجهه وأعضائه ففي الحديث الذي رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله أن النبي
قال :

" يُبعث كل عبد على ما مات عليه " (5)
قال الحافظ بن كثير رحمه الله : لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على
شئ مات عليه ومن مات على شئ بُعث عليه .

قال عبد الله بن مسعود : " منهم من يكون نوره كالجبل .. ومنهم من يكون نوره
كالنخلة .. ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم .. ومنهم من يكون نوره على إبهامه
يتقد مرة ويطفأ مرة " (6)

• ومنهم من يُبعث والظلمة تحيط به من كل جانب
يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا
وَرَاءَكُمْ فَأَلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
الْعَذَابُ الْحَدِيدُ 13

ولا حول ولا قوة إلا بالله

• ومنهم من يُبعث والدم يندفع منه ، له رائحة كرائحة المسك وهؤلاء هم الشهداء
الذين ماتوا في سبيل الله كما رواه البخاري ومسلم
• ومنهم من ينبعث وهو ينطلق في أرض المحشر وهو يقول : " لبيك اللهم لبيك "
وهؤلاء هم الذين ماتوا بلباس الإحرام كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري
• ومنهم من يُبعث وكأس الخمر معلق في رقبته
• ومنهم من يُبعث وقد التف الأطفال من حوله في أرض المحشر يتعلقون به وبرقبته
أندرون من هو ؟ إنه الذي أكل أموال اليتامي ظلماً
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا
النساء : 10

• ومنهم من يُبعث في أرض المحشر وقد التف الناس من حوله هذا يتعلق في رقبته
!! وهذا يجره من ذراعه !! وهذا يتعلق به !!
من هؤلاء؟! إنهم أصحاب المظالم الذي ظلموا عباد الله في الدنيا .. الذين ظلموا خلق
الله في الدنيا .. الذين غرتهم قدرتهم على ظلم العباد ونسوا قدرة رب العباد جل وعلا
فظلموا خلق الله وأكلوا حقوق عباد الله تبارك وتعالى
• ومنهم من يبعث وقد حمل على كتفيه حملاً كثيراً !!
إن هذا هو الذي سرقة وغله في هذه الحياة .. يأتي من سرقة بنكاً ، ويأتي من سرقة
أمه !! ويأتي من سرقة دولة !! ويأتي من سرقة بيضة !!
قال تعالى وَمَنْ يَعْزَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آل عمران : 161
إنه يوم الفضائح يا عباد الله .. إنه يوم الذل والخزي والعار للمجرمين العاصين نسأل
العزيز الغفار جل وعلا أن يسترنا وإياكم بمنه وكرمه :

يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أُنْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ

وهذا ينطلق الناس في أرض المحشر فإذا ما وصلوا إلى الأرض التي حددها الله جل
وعلا اقتربت الشمس من الرؤوس كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم من حديث
المقداد بن الأسود أن النبي قال : " تُدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى
تكون منهم كمقدار ميل " - زاد الترمذي : أو اثنين ، قال سليم بن عامر : فو الله ما
أدري ما يعني الميل : أمسافة الأرض ؟ ، أو الميل الذي تُكْتَحَلُ به العين؟- قال : "
فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من
يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حنجرته ، ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً
وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه " (7)

هكذا يا عباد الله يقف الناس ويطول الموقف بل ويزداد الهم والغم ويزداد الكرب إذا
ما وقف الناس في أرض المحشر وأمر بجهنم " فيؤتي بها لها سبعون ألف زمام ،
ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " (8)

فإذا ما رأت الخلائق زفرت ، وجئت الأمم على رُكبتها قال تعالى " يوم ترى كل أمية جاثية " .

فتحيط جهنم بالخلائق من كل ناحيه ، ومن كل جانب فيزداد الهم ويزداد الغم والكره

وهنا ينطلق الناس من هول هذا الموقف ويقول بعضهم لبعض : ألا ترون ما نحن فيه ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ، وينطلق الناس إلى أنبياء الله ورسله ، إلى آدم ، إلى الخليل إبراهيم ، إلى موسى ، إلى عيسى ويقول كل واحد منهم نفسي نفسي !! إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، نفسي ، نفسي !! حتى يذهبون إلى النبي ويقولون : يا رسول الله لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأنت خاتم رسل الله ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! ألا تشفع لنا إلى ربك؟! فيقول أنا لها .. أنا لها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيتَه وقعت ساجداً ، فَيَدْعُنِي ما شاء الله ، فيقال : يا محمد ، ارفه ، قُلْ يُسْمِعْ ، سَلْ تُعْطَهْ ، اشفع تشفع ، فارفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يُعَلِّمُنِيهِ ربي ، ثم اشفع (9)

هذا هو المقام المحمود الذي قال الله تعالى

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا الإسراء : 79

وهذا ما قاله الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية : هذه هي الشفاعة الأولى والشفاعة العظمى .

ثم تنتزل الملائكة يا عباد الله من أهل السموات وبعدها يتنزل الحق جل وعلا تنزلاً يليق بكماله وجلاله فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك ليس كمثلته شئ وهو السميع البصير لا تعطيل ولا تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل

قال تعالى : وجاء ربك والملك صفا صفا لا تقولوا جاء أمر الله ، ولا تقولوا جاءت قدرة الله وإنما وجاء ربك مجيباً يليق بكماله وجلاله ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ البقرة : 210

يأتي الحق تبارك وتعالى إتياناً يليق بذاته جل وعلا ليس كمثلته شئ وهو السميع البصير وهنا يقول ربنا تبارك وتعالى : أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ يس 60 - 67

لا مجال للنفق هنا .. ولا مجال للمراة الكلامية الكاذبة

ستتكلم الأيدي التي كتبت !. ستتكلم الأيدي التي بشطت !. ستتكلم الأرجل التي سعت لمعصية الله !. ستنتطق الجوارح وتشهد !. ستشهد الجلود !. أنطقها الله الذي أنطق كل شئ .

وبعد كل هذا الهول يبدأ الحساب .. بعد كل هذا الرعب والفرع بقي الحساب؟! يبدأ الحساب بالعرض على الله

فمن الناس من يأخذ الكتاب بيمينه ، ومنهم من يأخذ الكتاب بشماله أو من وراء ظهره

ويقف الناس في هذا الموقف الرهيب ، وينادى على كل أحد بإسمه كما ورد في حديث عدي بن حاتم الذي رواه البخاري أنه قال :

ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة(10)

سيكلمك الله يا عبد الله ليس بينك وبينه ترجمان ، ينادى عليك : أين فلان بن فلان ؟

أنا؟! هذا هو اسمي؟! أنا صاحب هذا النداء؟! ماذا تريدون يا ملائكة الله!؟

أقبل للمثول بين يدي الله جل و علا !

فتتخطى الصفوف وسط هذا الزحام ..صفوف الملائكة و صفوف البشر و صفوف

الجن لترى نفسك بين يدى ملك الملوك جل و علا ..

لتقف بين يدي العليم الحكيم الخبير .

ويقرع النداء قلبك .. فيصفر وجهك .. وترتعد فرائصك..وتضطرب جوارحك وأنت

تتقدم لتعطي كتابك ، هذا الكتاب الذي لا يغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسرتها .

فكم من معصية قد كنت نسيتها ذكرك الله إياها؟!!

كم من مصيبة قد أخفيها أظهرها الله لك وأبداها؟!!

فيا حسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك .

فإذا كان العبد من المؤمنين الموحدين الصادقين – جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه

– يقربه الله عز وجل منه كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن

عمر رضي الله عنهما أنه قال : يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه

كفنه (كنف الإنسان ظله وجانبه والمراد به قرب الله تعالى ودنو رحمته وفضله على

العبد ، تقول أنا في كنف فلان أي : في ظله وجانبه) فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف

ذنب كذا وكذا ؟ فيقول أعرف رب، أعرف – مرتين فيقول: سترتها عليك في الدنيا

وأغفرها لك ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون فينادى بهم على رؤوس

الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين(11)

عباد الله : إن المؤمن إذا أتى ربه بقراب الأرض خطايا ثم لقى ربه لا يشرك به شيئاً

غفر له كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي بسند صحيح

: " يا ابن آدم لة أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك

بقرابها مغفرة " (12)

فيعطى المؤمن كتابه بيمينه وينطلق في أرض المحشر وقد نجح في الإمتحان وفاز

في الإختبار الحقيقي.

فينطلق وقد أشرق وجهه .. وأنارت أعضائه ..

ينطلق في أرض المحشر ليبشر المؤمنين .. ليبشر الموحدين ..

ينطلق وكتابه بيمينه فيمر على الناس ويقول لهم ألا تعرفونني؟!!

فيقولون : من أنت؟! من أنت غمرتك كرامة الله .

فيقول: انظروا... هذا كتابي بيمينى شاركوني الفرحة.. شاركوني السعادة... شاركوني البهجة... اقرأوا معي هذا الكتاب... انظروا هذا توحيدي.. وهذه صلاتي.. وهذا صيامي.. وهذا زكاتي... وهذا جحي... وهذا بري... وهذه صدقتي... هذه أعمالى الصالحات..

انظروا فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ إِيَّيْ طَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ الحاقة 19 : 24

يا لها من سعادة ، ويا لها من فرحة ، ويا له من فوز .. اللهم اجعلنا من الفائزين .
وإن كانت الأخرى والعياذ بالله وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره اسودَّ وجهه ، وكسي من سراويل القطران !! وانطلق في أرض المحشر وهو يصرخ ويقول : وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ الحاقة 25 : 29
أين المال؟! أين السلطان؟! أين الجاه!؟
ذهب كل شئ ، وضاع كل شئ!!!

احتضر هارون الرشيد وقام على فراش الموت فقال : أنشدكم الله أريد أن أرى قبري الذي سأدفن فيه !! فحملوا هارون الرشيد إلى قبره ، فنظر هارون إلى قبره وبكى وازداد البكاء وارتفع النشيج ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .. ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه !!
أيا عبد كم يراك الله عاصياً حريصاً على الدنيا وللموت ناسياً
أنسيت لقاء الله واللحد والثرى ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثياباً من التُّقى تجرد عرياناً ولو كان كاسياً
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول حياً وباقياً
ولكنها تقنى ويقنى نعيمان وتبقى الذنوب والمعاصي كما هي

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السعادة فيها ترك مافيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها .. إلا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه .. وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها .. ودورنا لخراب الدهر نبنينا
أين الملوك التي مسلطنة .. حتي ساهها بكأس الموت ساقياها
فكم مدائن في الافاق قد بنيت .. امسكت خرابا وأفنى الموت أهليها
لا تركزن إلى الدنيا ومافيها .. فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
لكل نفس وان كانت على وجل .. من المنية آمال تقويها
المرء يبسطها والدهر يقبضها.. والنفس تنشرها والموت يطويها
إنما المكارم أخلاق مطهرة .. اللين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحكم رابعها .. والجود خامسها والفضل سادسها
والبر سابعها والشكر ثامنها .. والصبر تاسعها واللين باقياها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها .. ولست ارشد إلا حين اعصياها

واعمل لدار غدا رضوان خازنها .. والجارؤ احمد والرحمن ناشيها
قطورها ذهب والمسك طينتها .. والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن العسل .. والخمر يجري رحيقا في مجاريها
والطير تجري على الاغضان عاكفة .. تسبح الله جهرا في مغانيها
من يشتري الدار في الفردوس يعمرها .. بركة في ظلام الليل يحييها
مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَهُ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ خُذُوهُ فَعَلُوهُ الْحَاقَّةُ : 28 - 30
خذوه وهو المعاند لله جا وعلا !! خذوه وهو المحارب لشرع الله !! خذوه وهو القائم
على المعاصي والذنوب !!

وبعد ذلك كله تنصب الموازين .. بعد هذا كله ؟! نعم
قال الإمام ابن أبي العز في الطحاوية (13) قال القرطبي :
قال العلماء : إن الحساب لتقرير الأعمال وأن الميزان لبيان مقدارها ليكون الجزاء
بحسبها .

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ الْمُؤْمِنُونَ 102 - 102
ونحن نؤمن بالميزان ولا ننكر ذلك كما أنكره بعض من يدعي العلم .

وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أنه قال : يؤتى
بالرجل العظيم الثمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة " ثم قال اقرؤوا إن شئتم ((فَلَا
تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا)) (14)

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح أن عبد الله بن مسعود
صعد يوماً ليحني سواكاً من الأراك ، وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه
فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّ تضحكون ؟ قالوا يا نبي
الله من دقة ساقيه ، فقال والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد (15)
وقال عمر رضي الله عنه " لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان
أبي بكر(16)

ونكمل إن شاء الله بعد جلسة الإستراحة لنرى ما الذي سيحدث أسأل الله جل وعلا أن
يسترنا وإياكم في الدنيا والآخرة وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه
هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :
الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده
ورسوله ، اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم
أما بعد : فيا أيها الأحباب

بعد هذا كله ينصب الصراط بين ظهراني جهنم كما قال ربنا جل وعلا : وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا
وَإِرْدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا
مريم 71 - 72

ويمر الناس على الصراط كل بحسب عمله في هذه الحياة ، فمنهم من يمر على
الصراط كالبرق !! ومنهم من يمر عليه كالريح !! ومنهم من يمر عليه كأجاد الخيل
!! ومنهم من يمر عليه يمشي !! ومنهم من يمر عليه يزحف على يديه وقدميه !!

ومنهم من ينكب في نار جهنم والعياذ بالله !! ومنهم من يعبر الصراط إلى جنات النعيم !!

أندرون ما جنات النعيم قال عنها النبي
في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة
قال الله تعالى : ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر)) (17)
نسأل الله جل وعلا أن نكون وإياكم من أهل الجنة وأن يمتعنا الله بالنظر إلى وجهه
الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

(1) رواه البخاري رقم (4814) في تفسير سورة الزمر باب قوله " ونفخ في الصور
فصعق من في السموات والأرض إلا ما شاء الله " وفي تفسير سورة " عم يتساءلون "
ومسلم رقم (2955) في الفتن باب ما بين النفختين ، والموطأ (239/1) في الجنائز ،
باب جامع الجنائز ، وأبو داود رقم (4743) في السنة ، باب في ذكر البعث والصور
، والنسائي (111/4) في الجنائز ، باب أرواح المؤمنين .

(2) أخرجه الترمذي رقم (3330) في التفسير ، باب ومن سورة " إذا الشمس
كورت " ورواه أيضاً أحمد في المسند رقم (5855،4941،4934،4816) والحاكم
(515/2) وصححه ، ووافقه الذهبي وهو كما قال ، وصححه الألباني في صحيح
الجامع (6293) .

(3) رواه البخاري (334/11) في الرقائق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (2859) في
الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي (114/4) في الجنائز ،
باب البعث .

(4) أخرجه الترمذي رقم (3350) في التفسير ، باب ومن سورة إذا زلزلت ، وقال
الترمذي : حديث حسن صحيح غريب ، وأخرجه أحمد في مسنده (374/2) والحاكم
في مستدركه (532/2) وقال: حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
(5) أخرجه مسلم رقم (3878) في الجنة ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند
الموت .

(6) ذكره الإمام السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن
مردويه ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الإمام
الذهبي فقال : بل هو صحيح على شرط البخاري .

(7) رواه مسلم رقم (2864) في صفة الجنة ، باب صفة يوم القيامة ، والترمذي رقم
2423 في صفة القيامة باب رقم (3) والحقو : مشد الإزار عند الخصر .

(8) رواه مسلم رقم (2842) في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم ،
والترمذي رقم (2576) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار .

(9) رواه الترمذي رقم (3147) في التفسير ، باب من سورة بني اسرائيل ، وقال
الترمذي هذا حديث حسن وحديث الشفاعة بطوله في البخاري (265/264/6) ومسلم
رقم (194) في الإيمان وليس في الشفاعة العامة (راجع شرح العقيدة الطحاوية لابن
أبي العز الحنفي ص 231 ط المكتب الإسلامي الطبعة التاسعة) .

(10) رواه البخاري (254،255/17) في التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل ،
ومسلم رقم (1061) في الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ، والترمذي
رقم (2427) في صفة القيامة في شأن القصص .

(11) رواه البخاري(70/5) في المظالم ، باب قول الله تعالى : " ألا لعنة الله على
الظالمين " وفي تفسير سورة هود ، باب قوله تعالى: " ويقول الأشهاد هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم " ، وفي الأدب ، باب ستر المؤمن على نفسه ، وفي التوحيد باب
كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ومسلم رقم (2868) في التوبة
، باب توبة القاتل وإن كثر قتله .

(12) رواه أحمد (172/5) والترمذي (270/2) ، والدارمي (322/2) وصححه
شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (127) .

(13) شرح العقيدة الطحاوية ص 417 ط المكتب الإسلامي

(14) متفق عليه

(15) حسنه شيخنا الألباني في تخريج الطحاوية وقال : رواه الإمام أحمد في المسند
(450/1) بسند صحيح .

(16) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة وعبدالله بن مسعود ، الإمام أحمد بسند
حسن في كتاب السنة .

(17) رواه البخاري(230/6) في بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، ومسلم
رقم(2824) في الجنة في فاتحته ، والترمذي رقم (3195) في التفسير ، باب ومن
سورة السجدة

رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات
أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
[النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.
طبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یجمعنی وإیاکم فی الدنیا دائماً وأبداً علی طاعته وفی الآخرة مع سید الدعاة وإمام النبیین فی جنته ودار کرامته.

إنه ولی ذلك ومولاه وهو علی کل شیء قدير..

أحبتني في الله :

" رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء "

هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم فی هذا الیوم الکریم المبارک وکعادتنا فسوف ینتظم حدیثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان فی العناصر التالیة .

أولاً : صبر آیوب

ثانياً: قصة مثيرة لامرأة صابرة بالمنصورة .

ثالثاً : رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء .

وأخيراً : رسالة إلى أهل العافية من البلاء .

فأعیرونی القلوب والأسماع ، والله أسأل أن یرزقنا وإیاکم الإخلاص .

أولاً : صبر آیوب

أحبتني في الله

إن الله جل وعلا قد جعل الصبر جواداً لا یكبو ..

وجنداً لا یهزم .. وحصناً لا یهدم وبین أن الصابرين فی معية الله ویالها من کرامة

قال جل وعلا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ الأنفال: 46

وبین فضل الصابرين وکرامتهم فقال سبحانه وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ

قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ البقرة 155 - 157

بل وجعل الله الأمانة فی الدين منوطة بالصبر مع الیقین .

قال جل وعلا وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ

السجدة 24

بل وبین الله سبحانه کرامة الصابرين فی الجنة بدخول الملائكة للسلام علیهم فقال

جل وعلا وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

الدَّارِ الرعد 24

وبین جل وعلا فی الجملة أن ثواب الصبر لا حدود له فقال سبحانه إِنَّمَا يُؤَفِّى

الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ الزمر 10

فما هو الصبر ؟

الصبر لغة : المنع والحبس .

والصبر شرعاً : حبس النفس عن الجزع ، وحبس اللسان عن التشكي ، وحبس

الجوارح عن المعاصي ، وهو ینقسم إلى ثلاثة أقسام :

صبر علی المأمور : أي صبر علی الطاعة .

وصبر علی المحذور : أي صبر عن المعصية .

وصبر علی المقدور : أي ما قدره الله علیك من المصائب والمحن والبلايا .

والصبر الجميل : هو الذي يبتغي به العبد وجه الله الجليل لا تحرجا من أجل ألا يقول للناس جزع ، ولا .أملأ في أن يقول الناس صبر ، وإنما يصبر يبتغي بصبره وجه الله جل وعلا ، يصبر واثقاً في الله ، مطمئناً بقضاء الله وقدر الله ، مستعلياً على الألم ، مترفعاً على الشكوى .

والتحقيق أن الشكوى نوعان : شكوى إلى الله وشكوى من الله .
أعاذنا الله وإياكم من الأخيرة .

الشكوى إلى الله : لا تنافي الصبر فلقد مدح الله نبيه يعقوب وأثبت له الصبر في قرآنه وقد رفع يعقوب شكواه إلى مولاه فقال إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ يوسف 86

وأثنى الله على عبده أيوب عليه السلام فقال جل وعلا إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ص : 44

ومع ذلك فقد رفع نبي الله أيوب شكواه إلى الله كما قال الله جل في علاه : وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ الأنبياء : 83
الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر أما الشكوى من الله : أعاذنا الله وإياكم منها . هي شكوى للمخلوق من الخالق .

وإذا ذكر الصبر ذَكَرَ تَبِيُّ الله أيوب على نبينا وعليه السلام .
فلقد ابتلى الله أيوب في ماله وولده وبدنه .

فقد المال كله !! مات جميع أبنائه جملة واحدة !!

ابتلاه الله في جسده .. أقعده في الأرض وأصيب بمرضٍ ألزمه الفراش .

لم يسلم من بدنه البتة إلا قلبه ولسانه !!

فصبر وامتلاً قلبه بالحب لله والرضا عن الله !!!

فلقد ابتلى الله جل وعلا أيوب عليه السلام في ماله وولده وبدنه !!

فقد ضاع ماله كُلُّهُ !!

ومات جميع أبنائه !!

وابتلى بمرض في جسده أقعده في الأرض وألزمه الفراش ولم يسلم له من بدنه كله إلا قلبه ولسانه !!

أما قلبه فقد امتلاً بالحب لله والرضا عن الله ، وأما لسانه فلم يفتر عن ذكر الله !!!

أما قلبه فقد امتلاً بالحب لله والرضا عن الله وأما لسانه فلم يفتر عن ذكر الله جل وعلا وهذه والله هي الحياة ففي الصحيحين عن أبي موسى أن النبي قال " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت " (1)

فالذاكر لله حي وإن ماتت منه الأعضاء !! والغافل عن ذكر الله ميت وإن تحرك بين الأحياء !!

وفزعت زوجته الصابرة الوفية حينما قالت له : ادعوا الله ليفرج كربك فقال نبي الله أيوب : لقد عشت سبعين سنة وأنا صحيح والله عَلَيَّ أَنْ أَصْبِرَ سَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا سَقِيمٌ !!
واختلفت الآراء في المدة التي مكثها نبي الله في البلاء وأصح ما ورد في هذه الأقوال مارواه الإمام الطبري وابن حبان وابن حاتم والبخاري والحاكم في مستدرکه وصححه على شرط الشيخين وقال الإمام الهيثمي في المجمع ورجال البزار رجال الصحيح

من حيث أنس بن مالك أن نبي الله قال " إن نبي الله أيوب مكث في بلائه ثلاث عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد ، إلا رجلين من خواص أصحابه ، كانا يغدوان عليه ويروحان فقال أحدهما للآخر : لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكُشف عنه هذا البلاء "

قال أهل التفسير : فلما سمع أيوب ذلك خشي الفتنة فلجأ إلى الله جل وعلا بهذا الدعاء الحنون الذي سجله الله في قرآنه فقال جل وعلا : وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ الأنبياء : 83

انظر إلى الجواب استَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ الأنبياء : 84
ما الذي حدث !!؟

أمر الملك القدير جل وعلا نبيه أيوب أن يضرب الأرض من تحت قدميه ، فضرب أيوب المريض المسكين الأرض ضربة هينة بقدمه ففجر الله عيناً من الماء ازكض برجلك هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ص : 42

أمر الله أيوب أن يشرب فشرب أيوب من الماء فشفاه الله من جميع أمراضه الباطنة ، فأمره أن يغتسل فاغتسل فشفاه من جميع أمراضه الظاهرة وصدق الله إذ يقول وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الأنعام : 17

أيها المُبتلى :

كن عن همومك معرضاً ودع الأمور إلى القضا
وانعم بطول سلامة تغنيك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضاء
الله يفعل ما يشاء.. فلا تكن متعرضاً

000000000000000000

قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداك؟!
قل للمريض نجا وِعُوفي بعدما عجزت فنون الطب من عفاك؟!
قل الصحيح مات لا من علة من يا صحيح بالمانيا دهاك؟!
بل سائل الأعمى خطى وسط الزحام بلا اصطدام من يا أعمى يقود خطاك؟!
بل سائل البصير كان يحذر حفرةً فهوى بها من ذا الذي أهواك؟!
وسل الجنين يعيش معزولاً بلا راع ومرعى من ذا الذي يرعاك؟!
وسل الوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة ما الذي أبكاك؟!
وإذ ترى الثعبان ينفث سمه فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك؟!
وأسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
وأسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاك؟!
بل سائل اللبن المصفى من بين فرث... ودم من ذا الذي صفاك؟! ...
قل إن الأمر كله لله ..

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ص : 42

فاغتسل نبي الله وشرب فشفاه الله عز وجل وعافاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" أمطر الله عز وجل عليه جرادا من ذهب فقام نبي الله أيوب ليأخذ الجراد من ربه العلي ليضعه في ثوبه ، يأخذ الجراد ويضعه في ثوبه فنأدى عليه ربه جل وعلا قال يا أيوب أما تشبع ؟ فقال أيوب ومن يشبع من رحمتك يارب ومن يشبع من رحمتك يارب " (3)

وهكذا نجى الله أيوب ورفع عنه البلاء بعد هذه السنوات الطوال من الصبر الصادق . وأود قبل أن أنهى الحديث عن هذا العنصر أن أحذر مَنْ لا يجيدون السباحة في البحور الهائجة ، ومن لا يجيدون النزال من اقتحام الخطوب والأهوال من أمثال الذين انساقوا وراء إسرائيليات خطيرة سُحنت بها الكتب .

من أمثلة هذا الكذب بأن الله قد ابتلى نبيه بالدود وكانت كلما سقطت دودة من جسده انحنى إليها ورَدَّها إلى جسده مرة أخرى وانبعثت منه رائحة كريهة اشْمَأَزَ منها الناس وانصرفوا عنه !! كذب عريض.. كذب حقير خطير يمتهن العقول السليمة والطباع الكريمة التي تعلم يقيناً أن الله عز وجل قد نَزَّهَ أنبياءه ورسله من مثل هذا .

ثانياً : قصة مثيرة لأمرأة صابرة بالمنصورة

أحبتي في الله : لولا أنني وقفت على هذه القصة بنفسي ورأيت هذه المرأة المسلمة الصابرة بعيني لظننت أن قصتها ضرب من الخيال . امرأة من أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم تجسد لنا في قرننا العشرين صبر نبي الله أيوب .. الحمد لله أن رأينا من أمة الحبيب من يحاكي صبر الأنبياء هذه المرأة تبدأ قصتها بمولدها بقريّة جُدَيْدة الهالة بمركز المنصورة . وفي الثامنة عشرة تتزوج .

وبعد سنتين تنجب طفلها الوحيد وفي عام سبعة وستين يهاجمها المرض فتحس بالآم شديدة في بطنها فتنقل على الفور إلى المستشفى الجامعي بالمنصورة ويشخص الأطباء المتخصصون الحالة بأنها انسداد في الأمعاء الدقيقة ويقرر الأطباء للمريضة المسلمة الصابرة جراحة عاجلة لاستئصال جزء من الأمعاء !! وبعد ستة أشهر قرر الأطباء مرة أخرى جراحة ثانية لاستئصال جزء أكبر من الأمعاء !!

وبعد ستة أشهر قرر الأطباء جراحة عاجلة لاستئصال جزء جديد من الأمعاء !! وفي هذه المرة اكتشف الأطباء أن المرأة مصابة بمرض خطير شهير ألا وهو مرض " الدرّن " المعروف عالمياً بـ T.B. وهنا قرر الأطباء عدم التدخل الجراحي واكتفى الأطباء بالعقاقير والحقن وتركوا أمرها لله جل وعلا !! صبرت المرأة واستسلمت لقضاء الله وقدره جل وعلا .

لا يفتر لسانها عن ذكر الله سبحانه ويلهث لسانها بالثناء وبالشكر على الله جل وعلا . ثم هاجمها المرض هجوماً عنيفاً بعد ذلك فانقل هذا المرض الحطير إلى الأمعاء الدقيقة كلها !!

ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى كليتها اليمنى فتوقفت الكلية اليمنى تماماً !! ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى الرحم فأصيب الرحم بهذا المرض !!

ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى العظام فنخر المرض العظام نخرًا !!
وأصبحت العظام هشّة متآكلة ثم فقدت عيناها اليسرى فلم تعد ترى بها !!
انظر إلى هذه المراحل من مراحل الإبتلاء ومع كل مرحلة إذا ما علمت من الطبيب
ما ابتلاها الله به تبتسم وتتنظر إلى السماء وتقول : الحمد لله .. الحمد لله ..
جَبَلٌ من جِبَال الصبر .. منذ عام سبعة وستين لم تفارق سريرها في المستشفى
الجامعي !!

طلّقها زوجها بعد ست سنوات من المرض ثم مات ولدها الوحيد وهو في الرابعة من
عمره واحتسبته عند الله جل وعلا ..
وفي عام 85 قبل موسم الحج استمعت في أحد أشرطة الكاسيت محاضرة تتحدث عن
الحج فقررت قراراً عجيباً !! ما هو !!؟

قررت أن تحج بيت الله الحرام !! ما هذا !!؟
وقالت للطبيب المختص أريد أن أحج بيت الله الحرام !! فابتسم
قالت : لقد عزمْتُ وتوكلت على الله ، فهددها الأطباء بأنها لو فارقت سريرها
ستعرض حياتها للخطر في التو واللحظة ..!! فقالت بكل ثقة ويقين أريد أن ألقى الله
وأنا على طاعة له !! الله أكبر

قررت أن تلقى الله على طاعة .. فباعته ما تملك من الأرض وقررت حج بيت الله
الحرام واقترب منها طبيب تقي نقي وحثها على ذلك وسأل الله عز وجل لها الثواب .
وجاء يوم السفر وجئ بالسيارة التي ستحملها إلى المطار تقدم الأطباء لنزع الخراطيم
من هذا الجسد النحيل الضئيل فهي امرأة لا تعيش إلا بهذه الخراطيم استغفر الله بل لا
تعيش إلا بإرادة الملك لرب العالمين !!

الخرطوم الأول ينزع .. ما وظيفته ؟ توصيل المحاليل الغذائية لأن المرأة لا تأكل منذ
عام سبعة وستين ..!!

بل تعيش على هذه المحاليل الغذائية عبر هذه الخراطيم !!
الخرطوم الثاني أعزكم الله لاستخراج الفضلات .

الخرطوم الثالث لأكياس الدماء يوصلونها للبدن الضئيل .
الخرطوم الرابع لإخراج الرايل من الأمعاء الدقيقة عن طريق الأنف .

ومع ذلك وقف الأطباء يتوقعون لها الموت مع نزع أول خرطوم فنزعت الخراطيم
واحداً تلو الآخر والمرأة تتحدث وتبتسم لأنها ذاهبة لحج بيت الله الحرام !!!

وحملت في السيارة ثم إلى الطائرة وحملت في جميع مناسك الحج وأدت فريضة الله
جل وعلا بإعجاز الملك الذي يقول للشئ كن فيكون وهي تحكي هذه القصة وتقول ما
أكلت شيئاً إلا عن طريق الفيتامينات وعن طريق الأدوية !!

قضت هذه الفترة وهي تبكي طوال الرحلة تشكر الله جل وعلا الذي أعانها أن رأت
بيته وانطلقت إلى المدينة لزيارة المسجد النبوي والسلام على الحبيب النبي .

وعادت بعد حج بيت الله الحرام وزيارة مسجد النبي عليه السلام ، إلى السرير مرة
ثانية ونامت على فراشها .. في سريرها الأبيض وطلبتني لزيارتها فذهبت لزيارتها
مع بعض الأحبة وهم معنا الآن في المسجد ، ذهبت إليها لأذكرها بالله .. ووالله ذهبت

لأذكرها فذكرتني هي بالله !! وخرجت من عندها وقد احتقرت نفسي واحتقرت جهدي واحتقرت عملي لله جل وعلا ..

امرأة عجيبة لا يفتر لسانها عن ذكر الله ولا يفتر لسانها عن الثناء والحمد لله جل وعلا!!

أنظر إلى غرفتها أيها المسلم قسمت غرفتها إلى قسمين فصلت الغرفة بستارة وجعلت النصف مسجداً لله جل وعلا وجعلت النصف الآخر لسريرها ووضعت إلى جوارها صندوقاً لجمع التبرعات من أراد أن يتبرع لفقراء المرضى ممن يعجزون عن شراء الدواء !!

وجعلت إلى جوارها مكتبة صغيرة للأشرطة مع جهاز الكاسيت إذا ما دخل عليها طبيب أو ممرضة أعارته شريطاً لمحاضرة من المحاضرات .
وهي في هذه الحالة .. تدعو إلى الله .. إنها الحياة .. هذه والله هي الحياة ..
فكم من أناس يتحدثون الله بنعمه عليهم وهذه المرأة في هذه الحالة لا تفتر عن الدعوة إلى الله جل وعلا .

تدعو إلى الله بالأشرطة الإسلامية .. تدعو إلى الله بالصدقة .. تدعو إلى الله بالإصلاح بين المرضى .. هيأت حياتها كلها لطاعة الله جل وعلا ولسانها ذاكر .. وقلوبها شاكر وجسدها على البلاء صابر

فذهبت إليها قبل أن تلقي ربها بأربعة أيام فقلت : كيف حالك !؟

قالت الحمد لله ، فأثنت عليها أنا عليها خيراً .. فقالت والله إني لخائفة !!!

قلت : لماذا ؟ قالت أخشى ألا يتقبل الله مني صبري طيلة هذه السنوات !! ولكن ادعوا الله لي أن يرزقني حسن الخاتمة ..

قلت أبشري لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه وفي يوم الأربعاء العاشر من أبريل لعام ستة وتسعين توفيت ولسانها رطب بذكر الله – رحمها الله تعالى وجمعنا بها في جنات النعيم وصدق الله إذ يقول إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ فصلت

30:32

ما أرخصها من حياة إن عشت لشهواتك ونزواتك .. ما أرخصها من حياة يا من لا تعيش إلا من أجل متاع الدنيا الحقيقير ، ما أرخصها من حياة يا من تعيش من أجل كرسيك الزائل ومنصبك الفاني !!

وما أغلاها من حياة يا من بذلت وقتك كله لطاعة الله ما أغلاها من حياة يا من استخدمت كل نعمة من نعم الله التي أنعم الله بها عليك لمرضاة الله جل وعلا ومن ثم فها أنذا أوجه رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء .

رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء

إلى كل مسلم ومسلمة من أصحاب الأمراض والبلاء قد حبسهم المرض على الأسرة البيضاء ، فصبروا على قدر الله واطمأنت قلوبهم بالقضاء .

أيها المسلمون المبتلون على فراش المرض أو في أي مكان اصبروا وأبشروا .
أيها المبتلون الصابرون اعلموا أن الحياة الحقيقية هي حياة القلوب حينما تمتلئ
بالإيمان بعلام الغيوب اعلموا أن الحياة الحقيقية في انطلاق اللسان بذكر الرحمن وإن
خُبت عن الحركة الرجلان واليدان !!

أيها المبتلون الصابرون أبشروا بحديث رسول الله : ففي الحديث الذي رواه مسلم من
حديث صهيب الرومي أن النبي قال عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك
لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان
خيراً له " (3)

أيها المبتلون الصابرون أبشروا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله
عليه وسلم الذي رواه البخاري وغيره من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم : " ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم وحزن ولا
غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياها " (4)

وقد ابتلى المصطفى صلى الله عليه وسلم بالحُمى وانتفض جسده الشريف من شدة
حرارتها ودخل عليه ابن مسعود والحديث في الصحيحين فقال ابن مسعود : إنك
لتوعك وعكاً شديداً يا رسول الله ، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم "
" أجل يا عبد الله إني أو عك كما يُوعك الرجلان منكم " .

فقال ابن مسعود : ذلك بأن لك أجرين يا رسول الله ؟

قال : أجل ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فيما سواه – حتى الشوكة يشاكها – إلا
حطَّ الله بها من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها " (5)

المرض يحط عنك الخطايا أيها المبتلى الصابر .

قال الله تعالى أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ العنكبوت 2 - 3
وقال تعالى أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّنَّهُمْ
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نُصَرُّهُ اللَّهُ إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبَ الْبِقْرَةِ 214

أيها المبتلى الصابر أبشر بحديث الذي رواه أحمد والترمذي وهو حديث حسن
صحيح من حديث مصعب بن سعد بن مالك عن أبيه قال :

"سألت النبي أي الناس أشد الناس بلاءً ؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل
على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على
قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة" (6)

فالبلاء رحمة إن صبرت عليه يُكفر الله به عنك الخطايا أيها المبتلى المسلم الصابر .
واذكركم يا أصحاب الأسرة البيضاء بهذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنياً للموت
فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي " (7)

وأختم هذه الرسالة إليكم أيها المسلمون الصابرون بهذه الكلمات الدقيقة لشداد بن
أوس رضي الله عنه إذ يقول :

" لا يتمنين أحدكم الموت لضر وقع به فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الحياة خيرا لي " (8)

وأختم هذه الرسالة إليكم أيها المسلمون الصابرون بهذه الكلمات الدقيقة لشداد بن أوس رضي الله عنه إذ يقول (أيها الناس لا تنتهوا الله في قضائه فإن الله لا يظلم أحدا فإذا أنزل بك شيئا تحبه فاحمد الله على العافية وإذا أنزل بك شيئا تكرهه فاصبر واحتسب واعلم بأن الله جل وعلا عنده حسن الثواب) أسأل الله جل وعلا لهذه المرأة المسلمة أن يغفر لها وأن يتقبلها عنده في الشهداء فإن النبي قد أخبر أن من مات من المسلمين ببطنه فهو شهيد عند الله جل وعلا والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال النبي (ما تعدون الشهيد فيكم) قالوا من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم (إن شهداء أمتي إذا لقليل) قالوا فمن هم يا رسول الله قال (من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد) (9)

وفي رواية الموطأ والترمذي أن رسول الله قال "الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله" والمبطون هو الذي يشكو بطنه هذا فضل الله جل وعلا أسأل الله جل وعلا أن يتقبلها عنده في الشهداء وأسأل الله لجميع إخواننا وأخواتنا من أصحاب الأسرة البيضاء ممن ابتلاههم الله عز وجل بالأمراض والبلاء أن يجعل شفاءهم سهلا ميسورا اللهم اشفي مرضانا ومرضى المسلمين اللهم اجعل شفاءهم سهلا ميسورا يا أرحم الراحمين، اللهم أبدلهم لحماً خيراً من لحمهم ، ودماً خيراً من دمهم وأنزل عليهم رحمة عاجلة عليهم يارب العالمين .
وأخيراً أختم هذا اللقاء برسالة إلى أهل العافية من البلاء أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأرجئ الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الإستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله .

اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه
وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد

أيها الأحبة : أذكر نفسي وإياكم جميعاً وأقول : اسجدوا لله شكراً على العافية بعد الإسلام فإن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء يتلألأ لا يراه إلا المرضى !!
يا مَنْ مَنْ الله عليك بالعافية اسجد لربك شكراً على هذه النعمة واعلم بأن نعمة الله عليك بالعافية بعد الإيمان هي أعظم نعمة عليك .

هناك من الناس من يظن أن الرزق هو المال ونسى نعمة العافية ونعمة الصحة ونعمة الإسلام قبل ذلك .

واعلم بأن الشكر يدور على ثلاثة أركان :

الاعتراف بالنعمة باطنياً ، والتحدث بالنعمة ظاهراً ، واستغلال النعمة في طاعة الله جل وعلا .

فالحمد يدور على القلب واللسان .

أما الشكر فإنه يدور على القلب واللسان والجوارح والأركان .

قال الرحيم الرحمن " اَعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا " سبأ : 13

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قام النبي حتى تفتتت قدماه فقيل له ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم " أفلا أكون عبداً شكوراً " (10)

النفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها ...

وغنى الفوس هو الكفاف فإن ... أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها ...

هي الفتاعة فالزمها تكن ملكاً ... لو لم تكن لك راحة البدن ...

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير الطيب والكفن ...

وقد قيل لرجل كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بين نعمتين لا أدرى أيتهما أفضل ذنوب سترها الله على لا يستطيع أحد أن يعيرني بها .

ومودة قذفها الله لي في قلوب عباده لا يبلغها عملي !!

فإن من الله عليك بالعافية فاشكر الله عليها .

فالشكر لا يكون إلا باستغلالها في كل ما يرضيه .

إن من الله عليك بالأولاد فأشكر الله على هذه النعمة فيكون الشكر بتربية الأولاد على كتاب الله وسنة الحبيب رسول الله .

إن من اللعنة عليك بالزوجة فاشكر الله على هذه النعمة واتقي الله فيها وربها على كتاب الله وعلى سنة رسول الله .

إن من الله عليك بمنصب أو كرسي فاشكر الله على هذه النعمة وسخر الكرسي والمنصب لتفرج هموم الناس وكربات الناس .

إن من الله عليك بالأموال فاشكر الله على هذه النعمة واعلم بأن الشكر لا يكون إلا بالبذل والعطاء والإنفاق .

إن من الله عليك بالعلم فاعلم بأن الشكر لا يكون إلا بالتعليم والتحريك هنا وهناك والدعوة لله جل وعلا .

ثانياً " من رسالتي لأهل العافية :

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ النحل : 18

أما تستحي يا من تستعمل نعمة العافية في معصية الله !!

أما تستحي بعد سماع هذا الموضوع في الجمعة الآن أو عبر الشريط في أي مكان !!

أما تستحي يا من تتجرأ على معصية الله بنعمة الله ألا وهي العافية !!

يا من استعملت بصرك لتتبع العورات والحرام أما تستحي !!

تذكر من فقد بصره .

يا من استعملت سمعك في سماع الحرام أما تستحي !!

تذكر من فقد سمعه !!

يا من يدك التي تبطش وتظلم بها أما تستحي !!

تذكر من فقد يده !!

يا من استعملت رجلك في السعي لمعصية الله أما تستحي !!

تذكر من ألزمه المرض الفراش !!

يا من استعملت منصبك وكُرسِيكَ الذي جلست عليه لظلم العباد والتحقير لخلق الله أما تستحي !!

تذكر ضعفك وفقرك وعجزك فأنت مسكين وضعيف ولولا أن الله عز وجل قد أطلق البدن للزمت الأرض وللزمت الفراش .

فيايك أن يغررك مركزك !! إياك أن يغررك منصبك !! إياك أن يغررك جاهك ووجاهتك !! فأنت ضعيف أيها المسكين !!

تحمل البصاق في فمك !! وتحمل المخاط في أنفك !! وتحمل العرق تحت إبطيك !! وتحمل البول في مثانتك !!

وتحمل النجاسة في بطنك !! وتمسح عن نفسك الجناسة بيدك كل يوم مرة أو مرتين !!

يا أيها الإنسان ما غرَكَ بربك الكريم .. يا من غرَكَ جاهك .. اعلم بأن الله جل وعلا قادر على أن يسلبه منك .. واعلم بأن كرسِيكَ إلى زوال وأن منصبك إلى فناء إ لو دام الكرسي الذي جلست عليه لأحد ما وصل إليك .

اعلم بأن الدنيا كلها إلى زوال وبأن المناصب كلها إلى فناء .

أين الظالمون؟! وأين التابعون لهم ... في الغي؟ بل أين فرعون وهامان؟! ...

أين من دَوَّخوا الدنيا بسطوتهم ... وذكرهم في الورى ظلم وطغيان؟! ...

هل أبقى الموت ذا عز لعزته ... أو هل نجا منه بالسلطان إنسان ...

لا والذي خلق الأكوان من عدم ... الكل يفني فلا إنس ولا جان ...

وصدق الله إذ يقول : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الرحمن

27- 26

تذكروا هذا يا أهل العافية لا تبخلوا على إخوانكم المرضى بالزيارة والدعاء فحق المريض علينا الزيارة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي قال ((حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس)) (12)

واسمع إلى هذا الحديث الجميل الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي قال " يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقىك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيتك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي". (11)

فمن حق المريض علينا نحن أهل العافية أن نزورهم وأن نُدخِل عليهم السعادة والبسمة والسرور وأن نكثر لهم من الدعاء .

وأخيراً أقول أيها الأحبة الكرام جددوا التوبة والأوبة ، وتذكروا أن الحياة الدنيا دار ممر وأن الآخرة هي دار المقر ، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تفضحوا أستاركم عند من يعلم أسراركم وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .
اقبلوا على الله وعودوا إلى الله أيها الشباب .. يا من استغلتمت نعمة الله العافية في معصية الله .

أيها الرجال .. أيها الشباب .. أيتها المسلمات فلنعد جميعاً إلى الله سبحانه ونحن على ثقة في رحمة الله ونحن على يقين بكرم الله وعفو الله قال جل وعلا ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) الزمر 53

اللهم اشفي مرضانا ومرضى المسلمين ، اللهم اجعل شفاءهم سهلاً ميسوراً يارب العالمين .

اللهم أنزل عليهم رحمة من عندك ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبدأ ما أحببنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين وأعلي بفضلك كلمة الحق والدين .
اللهم لا تدع لأحد منا ذنباً إلا غفرته ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا ديناً إلا قضيته ، ولا ميتاً إلا رحمته ، ولا عاصياً إلا هديته ولا طائعاً إلا ثبته ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً ، وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً ، ولا تجعل فينا ولا منا شقياً ولا محروماً .

اللهم اهدنا واهدي بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى .

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا وكن لنا ولا تكن علينا ..

اللهم عليك باليهود واتباعهم يارب العالمين ، اللهم كما أفزع اليهود إخواننا في فلسطين فاملاً قلوبهم وبيوتهم رعباً وفزعاً يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا نشكو إليك خيانة الخائنين وإجرام المجرمين وتكاسل الزعماء والقادة يا أرحم الراحمين .

اللهم عليك باليهود واتباع اليهود ، اللهم شئت شملهم اللهم فرق صفهم ، اللهم املاً قلوبهم وبيوتهم رعباً وفزعاً يارب العالمين .

اللهم ثبت إخواننا المجاهدين في كل مكان يارب العالمين .

اللهم أقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين ، اللهم اشفي صدور قوم مؤمنين .

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ أو ذلل أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة ويلقى به في النار وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه صلى الله وسلم وبارك

على محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأقم الصلاة

(1) رواه البخاري 175/11 ، 176 في الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، ومسلم رقم (779) في صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

(2) رواه البخاري رقم (3391) في الأنبياء ، باب قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه... الآية)

- (3) أخرجه مسلم رقم (2999) في الزهد ، باب المؤمن أمره كله خير .
- (4) رواه البخاري رقم (5641 ، 5642) في المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض ، ومسلم رقم (2573) في البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ، والترمذي في الجنائز ، باب ما جاء في ثواب المريض .
- (5) رواه البخاري رقم (5647) في المرضى ، باب شدة المرض ، ومسلم رقم (2572) في البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ، والموطأ (941/2) في العين ، باب ما جاء في أجر المريض ، والترمذي رقم (965) في الجنائز ، باب ما جاء في ثواب المريض
- (6) أخرجه الترمذي رقم (2400) في الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وقال الترمذي هذا حديث صحيح وهو كما قال ورواه أيضاً أحمد والدارمي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وهو في صحيح الجامع رقم (992) والصحيحة(143)
- (7) رواه البخاري رقم (5671) في المرضى ، باب تمنى المريض الموت ، وفي الدعوات ، باب الدعاء بالموت والحياة ومسلم رقم (2680) في الذكر والدعاء ، باب كراهية تمنى الموت ، وأبو داود رقم (3108) ، (3109) في الجنائز باب كراهية تمنى الموت ، والنسائي (3/4) في الجنائز ، باب تمنى الموت .
- (8) رواه مسلم رقم (1915) في الإمارة ، باب بيان الشهداء ، والموطأ (131/1) في صلاة الجماعة ، باب ما جاء في العتمة والصبح والترمذي رقم (1063) في الجنائز ، باب ما جاء في الشهداء من هم .
- (9) رواه البخاري(12/3) في التهجد ، باب قيام النبي الليل ، وفي تفسير سورة الفتح ، وفي الرقائق باب الصبر عن محارم الله ، ومسلم رقم (2819) في صفات المنافقين ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، والترمذي رقم (412) في الصلاة ، باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة ، والنسائي (319/3) في قيام الليل ، باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل .
- (10) رواه البخاري (90/3) في الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز ، ومسلم رقم (2162) في السلام ، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام ، وأبو داود رقم (5030) في الأدب ، باب في العطاس ، والترمذي رقم 2738 في الأدب ، باب ما جاء في تسميث العطاس ، والنسائي(53/4) في الجنائز ، باب النهي عن سب الأموات .
- (11) رواه مسلم رقم (2569) في البر والصلة ، باب فضل عيادة المريض .

صفحات سود من تاريخ يهود

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

[النساء: 1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفُزْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
فحياً الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.
طيبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً.
حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار كرامته.

إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير..
أحبتني في الله :

" صفحات سود من تاريخ يهود "

هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية .

أولاً : اليهود ومراحل الصراع

ثانياً : أسئلة مريرة

وأخيراً : ما السبيل

فأعيروني القلوب والأسماع جيداً فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من الأهمية بمكان

أولاً : اليهود ومراحل الصراع

أيها الأحبة

إن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم قدم الحياة على ظهر هذه الأرض ،
والأيام دُول كما قال الله عز وجل تلك الأيام نداولها بين الناس آل عمران : 14
ولا شك أننا نعيش مرحلة من مراحل الدولة للباطل وأهله ، يوم أن أنشغل عن الحق
أهله حيث تمكن أخس وأحق وأذل أمم الأرض من أبناء يهود من إقامة دولتهم اللعينة
الحقيرة على الثرى الطاهر في الأرض المباركة وسيطروا على مسرى الحبيب
محمد وحرقوا منبر صلاح الدين ، بل وهم يقومون الآن بحفريات خطيرة في المسجد
الأقصى لهدمه وتدميره وإقامة ما يسمونه بالهيكل المزعوم !!

ومنذ أسبوعين فقط صرح أكبر حاخاماتهم في القدس بأنه لا بد من هدم المسجد
الأقصى لإقامة ما يسمونه بالهيكل المزعوم ثم قال إن العرب سيغضبون أول الأمر
لكن سيصبح الأمر عادياً بعد ذلك !!

وهذا هو رئيس وزراء إسرائيل الجديد يصرح بمنتهى الصراحة والوضوح ويقول :
لا مجال الآن للحديث عن تقسيم القدس فإن القدس عاصمة موحدة لإسرائيل .

يعلن بذلك الهوية اليهودية بمنتهى الصراحة والوضوح في الوقت الذي لا زال فيه الكثير ممن ينتسبون لهذا الدين يجهلون هذه الطبيعة اليهودية أو يتجاهلونها على حد سواء وها أنذا اليوم أريد أن أبين للجميع من هم اليهود فأعيروني القلوب والأسماع جيداً .

أيها المسلمون:-

اليهود منذ البداية هم نسل الأسباط الأثني عشر ليوסף وأخوته نزحوا إلى مصر بدعوة من نبي الله يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فعزلوا أنفسهم عن المصريين وأبوا أن يندمجوا مع الشعب المصري على أساس أنهم من نسل الأنبياء فتكاثر نسلهم وهم يتواصلون بينهم بعدم الاختلاط والعزلة ليبقى كل سبط من الأسباط نسله المتميز المعروف فكرهم الشعب المصري ونبذهم ، وزادت الهوة بين الشعب المصري وبين أبناء اليهود يوماً بعد يوم حتى ساماهم فرعون سوء العذاب .

ولما أرسل الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون بقوله سبحانه اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ النَّازِعَاتِ 17 - 19

رأى اليهود من بني إسرائيل في موسى حبل النجاة فأمن به بنو إسرائيل لعل الله ينجيهم من فرعون وملاه فنجاهم الله جل وعلا وشق لهم طريقاً في البحر يابساً وأغرق فرعون وجنوده وامتن الله عليهم بهذه النعمة فقال سبحانه وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُم وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ البقرة 49 - 50

ومع ذلك لما تركهم نبي الله موسى كفروا بالله سبحانه وتمردوا على نبي الله هارون ، وعبدوا العجل الذهبي من دون الله العلي .

فلما انطلق نبي الله هارون ليقول لهم وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ طه 90- 91

فلما رجع إليهم نبي الله موسى ردوا عليه باستعلاء واستكبار قال الله تعالى وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ البقرة 55 ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون وعلهم يتوبون إلى الله جل وعلا ولكنهم عاندوا ، وأعرضوا ، وأزدادوا كفراً ، فرفع الله جل وعلا فوق رؤوسهم جبل الطور كأنه ظلة تهدبدا ووعيدا فارتعدت قلوبهم واضطربت نفوسهم وأعطوا العهود والمواثيق من جديد ولكنهم سرعان ما نقضوا العهود .

أيها المسلمون

هذه طبيعة اليهود وجبلتهم التي لا تفارقهم إلى قيام الساعة نقضوا العهد مع الله جل وعلا ونقضوا العهد مع نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام واعتدوا يوم السبت فعاقبهم الله عز وجل فمسخهم قردة وخنازير كما قال سبحانه وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ البقرة 65 - 66

وقال سبحانه في سورة المائدة قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثْوِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ
وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ المائدة 60

ثم أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة مع نبي الله موسى فكذبوا وعادوا وأعرضوا
وأبوا ورفضوا أمر الله عز وجل ، فحكم الله عليهم بالتيه في الأرض أربعين سنة .
وبعد هذه المدة الطويلة من الله عليهم فأدخلهم الأرض المقدسة ولكن سرعان ما
نقضوا العهد مرة أخرى مع الله جل وعلا فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم .
فاليهود لا عهد لهم ولا ذمة ، نقضوا العهد مع الله ، ونقضوا العهد مع نبي الله موسى
عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ثم توال عليهم الأنبياء بعد نبي الله موسى فكذبوا فريقاً من الأنبياء وقتلوا فريقاً آخر
كما قال الله جل وعلا : وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا
يُؤْمِنُونَ البقرة 87- 88

كما أرسل الله عز وجل إليهم بعد ذلك نبيه عيسى عليه السلام فأنتموه منذ اللحظة
الأولى أنه ولد زنا وأجمعوا على قتله بل أعلنوا ذلك في صراحة ووقاحة كما قال الله
عز وجل حكاية عنهم في سورة النساء وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا النساء 157
ولم يكتفوا بما أعلنوه مع نبي الله عيسى في حياته معهم بل دونوا افتراءاتهم عليه
لأجيالهم المتلاحقة في كتابهم الخبيث المسمى بالتلمود .

وأكتفي بذكر فقرة واحدة من هذا الكتاب الفاجر الجنسي الوقح عن نبي الله عيسى
تقول هذه الفقرة:- " يسوع النصارى في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار
وأمه مريم قد أنتت به من الزنا

وأعلن اليهود الحرب على التوحيد الذي جاء به نبي الله عيسى وأعلنوا الحرب على
الموحدين من أتباع عيسى عليه السلام فسلط الله عليهم من لا يرحمهم فسامهم
الرومان سوء العذاب ومزقهم الرومان شر ممزق فإذا هم أشتات وشرازم مبعثرة لا
يخلو منهم مكان .

ساحوا في الأرض بعد ضربات الرومان المتلاحقة .
ومن الأرض المباركة التي ابتليت بشرزمة قدرة عفة من هذه الشرازم الممزقة
المدينة الطيبة مدينة رسول الله .

" اليهود في المدينة "
انطلق اليهود إلى المدينة وهنالك أعلنوا أن الله عز وجل قد وعدهم في التوراة أنه
سيبعث نبياً ، وبينت التوراة صفة النبي ، بل وبينت الأرض الذي سيبعث فيها هذا
النبي ، واستعلى اليهود بمبعثه بل تعالوا بذلك على الأوس والخزرج ، وانتظروا
مبعث النبي ظناً أنهم سيبعث منهم فهم شعب الله المختار كما يزعمون .

وظلوا يتربصون هذه البعثة ليجمع لهم النبي المنتظر الملك من جديد فبعث الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من العرب لا من اليهود .

وقام النبي يدعوا الأمة كافة إلى لا إله إلا الله ومن هذه اللحظة كفر اليهود برسول الله وأعلنوا الحرب والعداء لدعوته ورسالته .

قال الله جل وعلا وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

البقرة 89

وقال تعالى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ البقرة 146

كفروا برسول الله بل لما ذهب عبد الله بن سلام حبر اليهود إلى النبي ونظر في وجهه وعلم أنه وجه النبي ليس بوجه كذاب آمن بالنبي وقال يا رسول الله اجمع بطون اليهود واسألهم عني ، فجمع النبي اليهود وقال :

ماذا تقولون في عبد الله بن سلام ؟
قالوا هو سيدنا وابن سيدنا .

فقام عبد الله بن سلام وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقام اليهود على لسان رجل واحد وقالوا : هو سفهينا وابن سفهينا !!

فاليهود متخصصون في نقض العهود والمواثيق ولا يستحي اليهودي من تغيير الميثاق أو نقض العهد !!

لا بد من معرفة هذه الطبيعة اليهودية الخبيثة الماكرة .

وهكذا أيها الأحبة الكرام هاجر النبي من مكة إلى المدينة المنورة ليقيم للإسلام دولة وسط صحراء تموج بالكفر .

وهنا انتقل اليهود من الحرب السرية للنبي صلى الله عليه وسلم ولدعوته إلى الحرب العلنية السافرة فأعلنوا العداء للإسلام بل وعلى رسول الإسلام .

ففي أول معركة كبرى من معارك الإسلام مع الشرك في غزوة بدر الكبرى نصر الله المسلمين نصراً مؤزراً وأعز الله جند التوحيد ، وهزم الله جند الشرك وتبعثر الجيش المشرك وسط الصحراء كتبعثر الفئران .

وهنا غلت مراحل الحقد والغل والحسد في قلوب اليهود في المدينة فقاموا بحملة إعلامية خبيثة حقيرة للنيل والتقليل والتحقير من النصر الإسلامي في غزوة بدر .

بل وقاموا ليثيروا الفتن والقتال والقتل ويحرضوا المسلمين في مكة للنار من محمد وأصحابه .

لما سمع النبي بمكر اليهود ، انطلق اليهم وجمعهم في سوق بني قينقاع ، وقال لهم المصطفى صلى الله عليه وسلم : " يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشا " فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قاتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وإنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله

تعالى في ذلك قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ بَلْ يَرَوْنَ الْكَافِرِينَ يَكُونُونَ لَهُمْ سَبِيلًا وَإِن كَفَرُوا فَسَاءَ لِمَنْ يَكْفُرْ

آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ الَّتَقَاتَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ آل عمران 12-13 (1)

فقام النبي وتركهم وما لبث أن قاموا بمؤامرة حقيرة يوم أن جلست مسلمة أبيّة – تربت أبيه – تربت في مدرسة النبي – إلى صانع يهودي في المدينة لتشتري منه ذهباً ، فراود اليهود المجرمون المسلمة العفيفة أن تكشف وجهها فأبت أن تكشف لليهود عن وجهها ، فتسلل الصانع اليهودي الوقح إلى المسلمة الأبية فعقد طرف ثوبها في ظهرها فلما قامت المسلمة انكشفت سواتها ، فاليهود متخصصون في كشف السوءات والعورات !!!

فلما انكشفت المسلمة ضحك اليهود وصرخت المرأة ، وسمع هذه الصرخة مسلم أبيّ فقام إلى هذا اليهودي فقتله .

شنتان شتان بين هذه المسلمة الأبية التي أبت أن تكشف لليهودي عن وجهها وبين المسلمات اللاتي ارتمين في أحضان الموضات العالمية في هوليدو!!!

وشنتان شتان بين رجل أبي سمع صراخ مسلمة فانقض على اليهودي المجرم فقتله وبين رجال يرون أعراض أخواتهن تنتهك ولكن " وما أنت بمسمع من في القبور " إنا لله وإنا إليه راجعون .

وهكذا أيها الأحبة : انقض المسلم على اليهودي فقتله ، فانقض اليهود على المسلم فقتلوه ، فقام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وقام الصادقون من الرجال الأطهار وحاصروا اليهود المجرمون على حكم النبي فغنم المسلمون أموال اليهود وأخرجوهم إلى أزروعات الشام .

وفي السنة الرابعة دبر يهود بنو النضير مؤامرة حقيرة لاغتيال البشير النذير محمد بن عبد الله يوم أن ذهب إليهم النبي لتحصيل الدية ، وجلس النبي إلى جوار حائط من جدران اليهود وخلا اليهود المجرمون ببعضهم البعض وقالوا : لن نجد الرجل في مثل هذه الحالة فمن منكم يقوم إلى صخرة كبيرة من فوق سطح هذه الدار ليلقيها على رأس الرجل ليريحنا منه .

فانبعث أشقى القوم عمرو بن جحاش بن كعب وقال : أنا لها ، فقام عمرو بن جحاش وصعد إلى سطح هذه الدار ليلقيها على رأس سيد الرجال ولكن " يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " فاطلع الله نبيه على ما أرادوا فقام النبي مسرعاً في الحال ، وقام معه أصحابه رضوان الله عليهم .

فلما أخبرهم بالخبر ، قالوا : يا رسول الله والله لا بد من إجلاء هؤلاء فانطلق النبي مع أصحابه فحاصروا يهود بني النضير فأخزاهم الله وقذف في قلوبهم الرعب وأجلاهم رسول الله وفيهم أنزل الله جل وعلا سورة الحشر بأسرها ، يقول الحق تبارك وتعالى هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ

الحشر 2

وبعد ذلك أيها الأحبة لعب يهود بني قريظة دوراً قذراً خطيراً داخل المدينة فلقد حاصر الأحزاب المدينة من كل ناحية .

وفي وقت حرج خطير نقض يهود بني قريظة العهد فشكّلوا تحدياً خطيراً للجبهة الداخلية في المدينة ، فلما علم المسلمون بذلك زلزلوا زلزلاً عظيماً حتى قام النبي

يرفع يديه إلى الله ويتضرع له بهذا الدعاء الحار الذي ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي قام النبي يلجأ إلى الله جل وعلا ويقول " اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب : اللهم اهزمهم وزلزلهم) (2)

واستجاب الله دعاء حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم فأرسل الله جنوداً من عنده ويا لها من قوة لا يعرف المسلمون قدرها .

وما يعلم جنود ربك إلا هو ... لكن المسلمون يخططون ويضعون الخطط السنوية والخمسية ويركعون للشرق والغرب ولا يضعون ضمن خططهم أبداً قوة الملك جل جلاله !!!

" وما يعلم جنود ربك إلا هو "

أرسل الله على الأحزاب جنداً من الريح فاقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم ، وأنزل الله الملائكة فألقت الرعب في قلوب الأحزاب فتبعثوا في الصحراء كتبعثر الفئران . ونصر الله عبده وأعز الله جنده وهزم الله الأحزاب وحده .

وانتهت المؤامرة ونزل جبريل على النبي وهو يلبس لباس الحرب وقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله قد وضعت السلاح !؟

فوالله إن الملائكة لم تضع لباس الحرب بعد فأخرج إليهم قال : فإلى هنا وأشار إلى قريظة " (3)

فقام المصطفى صلى الله عليه وسلم وأرسل منادياً ينادي في الناس " من كان سامعاً مُطيعاً فلا يُصَلِّينَ العصر إلا في بني قريظة " (4)

فانطلق الصادقون المؤمنون من أصحاب سيد النبيين والمرسلين إلى بني قريظة فحاصروا يهود بني قريظة حصاراً طويلاً .

وأخيراً نزل اليهود المجرمون على حكم سعد ابن معاذ بذلك الذي حكم فيهم بقتل الرجال وسبي الذرية وتقسيم الأموال فلما حكم فيهم سعد بن معاذ التفت إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال : " لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات " (5) وهكذا أخزى الله يهود بني قريظة .

وفي السنة السابعة انطلق النبي إلى يهود خيبر المجرمين الذي تحصنوا بحصونهم المنيعه المنيفة إلا أن الله عز وجل قد فتح الحصون على يد أسد الله الغالب علي بن أبي طالب الذي قال عنه النبي يومها : " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه " وفي الصباح أشرأبت الأعناق ، وتمنى الأبطال القيادة حتى عمر المتجرد التقي المخلص النقي يقول : والله ما تمنيت الإمارة إلا يومها!!

وفي الصباح وقف الأبطال على أطراف الأقدام ليرهم النبي وشق هذا السكون صوت النبي وهو يسأل عن القائد الذي سيدفع له الراية ليفتح الله عز وجل على يديه فقال " أين علي بن أبي طالب ؟ ونقب الحضور عن علي فلم يجده : ما حضر اليوم يا رسول الله لأنه اشتكى وجعاً في عينيه قال :

" فأرسلوا إليه فأتوني به " فلما جاء بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية " (6)

وانطلق على ابن ابي طالب ففتح الله على يديه حصون خيبر .

وهتف الجميع بما هتف به النبي أول يوم " الله أكبر خربت خبير.. الله أكبر خربت خبير ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " (7)

قال تعالى : " هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين " ودبر اليهود مؤامرة حقيرة لسمّ النبي في خبير إلا أن الله عز وجل قد نجى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم . وهكذا أجلى الله عز وجل اليهود من المدينة .

ولم ينته العنكبوت اليهودي الوقح عن نسج خيوطه الدقيقة وحبك مؤامراته الرهيبة التي بلغت أوجها في العصر الحديث بإخراج هذه الغدة السرطانية الخبيثة وبوضع هذا المولود اللقيط الذي يُعرف الآن بدولة اسرائيل فوق الثرى الطاهر للأرض المباركة على مسرى الحبيب محمد !!!

وضعت هذه الدولة عُصاة في قلب العالم الإسلامي بعد أن نجح اليهود في القضاء على الخلافة الإسلامية والقضاء على السلطان البطل عبد الحميد – طيب الله ثراه – ذلكم الرجل الذي شوّهت الصهيونية الحاقدة صورته وانطلقت البيغاوات العجماء لتحاكي ما يمليه الأسياد من الشرق والغرب دون وعي أو إدراك .

هذا البطل العظيم الذي حاول اليهود بكل الوسائل والسبل أن يبيع لهم أرض فلسطين فأبى وباؤوا بالفشل الذريع .

أرسل اليهود للسلطان عبد الحميد أول الأمر اليهودي الماسوني الثري " قره صوه " فذهب إليه وقال للسلطان : أنا مندوب إلى جلالتكم عن الجمعية الماسونية وجئت لأرجوا جلالتكم أن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية (انظر إلى وسائل اليهود لا تتغير بتغير الزمان والمكان) إلى خزينتكم الخاصة ولتقبل مائة مليون ليرة ذهبية لخزينة الدولة على أن تمنحوا لنا بعض الإمتيازات في دولة فلسطين فاستشاط السلطان غضباً ونظر إلى الجالسين معه في مجلسه وقال لهم :

" أو ما كنتم تعرفون ماذا يريد هذا الخنزير !!؟

والتفت إليه بقوة وقال : اخرج عن وجهي أيها السافل .

وكن اليهود لا يملّون ، فقفر أذهب إلى السلطان بنفسه مؤسس الصهيونية العالمية الأول " تيودر هيرترلز " وعرض عليه أن يبيع له فلسطين بأي ثمن فرد عليه السلطان رداً عجبياً وقال : إن هذه الأرض امتلكها المسلمون بدمائهم وهي لاتباع إلا بنفس الثمن... الله أكبر .

ثم قال السلطان البطل : انصحوا الدكتور هيرلترلز بالأ يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع فإنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبرٍ واحدٍ من هذه الأرض فهي ليست ملكي ولكنها ملك شعبي الذي ضحى في سبيلها وروى ترابها بدمائه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا مزقت امبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني أهون عليّ من أن أرى فلسطين وقد بُترت من امبراطوريتي فإنني لا أستطيع أن أوافق على تشريح أجسادنا ونحن لا زلنا على قيد الحياة !!!

هذا هو السلطان البطل الذي شوّهوا صورته ودرّسوا صورته المقلوبة لأبنائنا وبناتنا ولا زالت .

إلا إنهم ما ملأوا واستطاعوا من خلال إثارة النعرات القومية – وهذا خطر عظيم أن تثار النعرات داخل البلاد – أن يحققوا أغراضهم انظروا إلى الواقع على أرض أفغانستان اليوم .. ما الذي دَمَرَ قوة أفغانستان !!! إنها النعرات القومية . هذه طائفة كذا وهذه قبيلة كذا!! إن النعرات القومية من أعظم الأخطار التي تبدد القوى .

استطاع اليهود عن طريق الجمعية الماسونية اليهودية العالمية التي تعرف (بجمعية الإتحاد والترقي) إثارة النعرات القومية لعزل السلطان البطل عبد الحميد لإخلاء الطريق وتلميع اليهودي العميل الخائن كمال أتاتورك – لا طيب الله ثراه – الذي مثل رأس الأفعى اليهودية في القضاء على الخلافة الإسلامية .

ووقع هذا المجرم العميل الخائن معاهدة الذل والعار (معاهدة لوزان) وقضى بذلك على الخلافة الإسلامية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهكذا أيها الأحبة الكرام انقضت الخلافة : ولَمَعَ هذا اليهودي على أنه بطل قومي!!! وفي الثامن من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وسبعة عشر صدر (وعد بلفور) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين استطاع اليهود بخناية مفضوحة أن يحتلوا ما يزيد عن ثمانية وسبعين في المائة من أرض فلسطين . وهكذا أسست دولة لليهود في قلب العالم الإسلامي ساعدهم في ذلك الشرق الملحد والغرب الكافر ، والأنظمة العربية الخائنة وأسست هذه الدولة وأفرزت هذه الغدة السرطانية في قلب العالم الإسلامي .

هؤلاء هم اليهود !!! والله ما وعدهم (استالين) بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين إلا ليتخلص من شرهم !!

وما بحث لهم هتلر عن صندوق قمامة إلا ليظهر ألمانيا من قدرهم !! وأمريكا تعاني منهم اليوم ما تعاني !! ولكنها مغلوبة على أمرها فاللوبي الصهيوني يخنق أنفاسها تماماً !!

هؤلاء هم اليهود الذين أفسدوا العالم ودمروه !!
فاليهودي (كارل ماركس) كان وراء الشيوعية الملحدة التي أفسدت فطرة الإنسان !!

واليهودي (دور كايم) كان وراء علم الإجتماع الذي قَوَّض الأسرة !!
واليهودي (فرويد) كان وراء علم النفس الذي أسس بنيانه على الجنس الفاضح .
واليهودي (ساتر) كان وراء الوجودية الإباحية الملحدة !!

هؤلاء هم اليهود الذين فضحهم القرآن وعرَى نفسياتهم الخبيثة تعرية واضحة وعدَدَ القرآن صفاتهم الدنيئة ، والقرآن لا زال بين أيدينا يتلى .. ، لكن أن من يتدبر القرآن؟! لقد وضعت الأقفال على القلوب ولا حول ولا قوة إلا بالله علام الغيوب .

وها أنذا أعدد لك أيها الحبيب بعض الصفات التي ذكرها القرآن في حق اليهود :
اليهود متخصصون في الكذب على الله وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ التوبة 30
اليهود اتهموا الله بالبخل !!

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ المائدة 64

اليهود اتهموا الله بالفقر لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ آل عمران 181

اليهود متخصصون في تكذيب الأنبياء وقتلهم :
قال تعالى أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ البقرة 87

وقال تعالى وَقَالُوا فُلُونَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ البقرة 88
اليهود متخصصون في أكل الربا والسحت والحرام :

قال تعالى وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يُنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ المائدة 62

اليهود متخصصون في نقض العهود والمواثيق ويسعون في الأرض فساداً .
اليهود أحرص الناس على حياة وبأي ثمن .

قال تعالى وَتَجِدْتَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ البقرة 96
اليهود متخصصون في كتمان الحق والتلبيس والتضليل .

قال تعالى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ البقرة 146

اليهود أجبين خلق الله ولو أظهروا لنا الشجاعة والوحدة والألفة :

قال تعالى لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي فُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ الحشر 14
اليهود ملعونون على السنة الأنبياء .

قال جل وعلا لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ المائدة 78-79

أيها الأحبة :

هذه صفات اليهود ... هذه بعض صفات اليهود في قرآن الله جل وعلا ولا يُنبئكَ على اليهود مثلٌ خبير .

((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) الملك 14

هؤلاء هم اليهود يا زعماء العرب والمسلمين .. لا بد أن نعرف طبيعة اليهود قبل أن نمد إليهم أيدينا بالسلام المزعوم ، فأنا أتساءل مع حضراتكم أسئلة مريرة وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز .

أسئلة مريرة

لماذا نسيت أو تناست الأمة تاريخ اليهود؟! لماذا يا قوم والتاريخ بين أيدينا مسطور؟! لماذا يا قوم والحقائق معلومة للأحياء ، بل وللأموات داخل القبور؟! لماذا نسيت الأمة تاريخ اليهود?!

سؤال يحتاج إلى جواب، والجواب في كلمات قاطعة لأن المؤامرة على هذا الدين وعلى هذه الأمة قد حبكت تعليمياً وإعلامياً حبكاً دقيقاً محكماً !!

وضعوا المناهج الدراسية لنا ولأبنائنا وضعاً دقيقاً فشوهوا العقيدة وشوهوا مفهوم لا إله إلا الله ، ونَحَوَا عن الحكم شريعة الله وشوهوا التاريخ الإسلامي ، ومجدوا المناهج الجاهلية الأرضية .

مجدوا جاهلية حورس !! وجاهلية مينا !! وجاهلية "خوفو" !!

علمونا في المناهج أن " ماجلان " عبقرى وبطل كل زمان !!

ولم يعلمونا أنه هو الذي أضرم في المسلمين النيران !!

علمونا أن الدين هو الرجعية والتخلف !!

علمونا أن الحملة الفرنسية كانت فتحاً لمصر ولم تكن غزواً ولم يخبرونا أن نابليون

قد دخل الجامع الأزهر بخيوله لحرق قلوب العلماء والمسلمين !!

علمونا أن العلمانية هي الصراط المستقيم !! ومن يعرض عنها فإن له معيشة ضنكا

!!

علمونا أن التمسك بالدين رجعية ، وأن التمسك بالدين تخلف ، وأن خليفة المسلمين

هو الرجل المريض !!

علمونا فلسفة الشك منذ نعومة أظافرنا وحفظوا لنا " أنا أشك إذن أنا موجود " ولو

صدق المجرمون لقالوا أنا أشك إذن أنا دبوس !!!

علمونا منذ اللحظات الأولى في هذه المناهج الدراسية حب جبران ، السوبر مان

وشكسبير وسارتر وسيمون ودييوفوار وكل الوجوديات وما بها من أفكار وأن هؤلاء

هم الذين يقولون الحق ويعدلون به !!!

علمونا كيف يكون الإستسلام بذلٍ وعار ؟

بل وكيف يكون القبول للخروج من الأرض والديار ؟!

ولا زال مسلسل خروج المسلمين من الأرض مستمراً إلى هذا النهار !!

بدأت أولى حلقات " مسلسل خروج المسلمين من الأرض " في بلاد الأندلس .. ثم في

بلاد مورو في الفلبين .. ، في بخاري .. ، وفي طشقند..، وفي طجكستان ، وفي

تركستان ، في كشمير ، في الصومال ..، وفي البوسنة..، وفي الشيشان..، وفي

فلسطين..، ولا زال المسلسل مستمراً حتى الآن !!

إنه مسلسل دقيق كنتاج مسلسل "دالاس" ولكن الفارق بين المسلسلين أن مسلسل

خروج المسلمين من أرضهم وديارهم لا تتحرك له مشاعر الرأي العام ..ولم لا ؟!

وقد وضع المسلسل بدقة .

إنه من تأليف وسيناريو الصهيونية والصليبية الحاقدة ، ومن ألحان الماسون وأتباعهم

العلمانيين ، ومن انتاج وإخراج الفاتيكان !!!

وسؤال مرير آخر يملأ قلبي مرارة .

لماذا انتصر اليهود وانهزم المسلمون ؟!

لماذا انتصر اليهود وهم لا يزيدون عن بضعة ملايين ، وانهزم المسلمون وهم

يزيدون على ألف مليون ؟!!

والجواب في آية واحدة محكمة من الله جل وعلا إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ الرعد 11

فلما غيرت الأمة دين ربها وشريعة نبيها وتخلت عن أصل عزها أذلها الله .
إنه الذل لليهود الذين يتلاعبون بالعالم الإسلامي !! بل بالعالم كله !! فاستوى المسلمون مع اليهود في المعاصي والبعد عن الملك ، فترك الله المسلمين لليهود فذل اليهود المسلمين .

سُنَّةُ ثابتة ... إن الله لا يحابي أحداً من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة .

سُننُ ربانية في الكون لا تتغير ولا تتبدل لابد أن يعيها المسلمون من جديد .
وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ..

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه ، أتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد: فيا أيها الأحبة الكرام : بعد هذا العرض المر المؤلم لهذا التاريخ المسطور المعلوم يتساءل الشباب بل والمسلمون : ما السبيل ؟! ما الحل ما الطريق ؟!

وها أنذا أوجز هذا السبيل أو مشروع الخلاص وتمنيت والله لو يتبنى زعماء العرب والمسلمين هذا المشروع ليسعدوا في الدارين في الدنيا وفي الآخرة .. لتسعد بهم أمتهم وليسعدوا أمتهم وليعيشوا في عز وشرف وكرامة وشهامة ومروءة ورجولة .
في نقاط محددة نقدم مشروع الخلاص من هذا المأزق الحرج والواقع المر الأليم أولاً : أن ترجع الأمة إلى الله جل وعلا بتصحيح العقيدة والعبادة وتحكيم الشريعة وتقويم الأخلاق تحويل الإسلام إلى منهج عملي وواقع حياة .

ثانياً : أن تصطلح الأمة مع شبابها الطاهر المتوضئ ، المؤمن الذي تصب الأمة الآن علي رأسه جام غضبها في الوقت الذي تكرم فيه الساقطين والتافهين ممن سيكونون أول من يفر ساعة الجد كفرار الفئران لابد أن تعرف الأمة قدر الشباب الطاهر الذي سيقف في الميدان إذا جد الجد وحمي الوطيس .. لابد من الصلح معه فإن أمة تتحدى شبابها الطاهر أمة خاسرة لا كيان لها ولا بقاء .

هذا الشباب هو المحرك الحقيقي .. هذا الشباب هو الذي دفع اليهود المجرمين إلى أن يجلسوا مع عرفات على مائدة المفاوضات وقد صرح بذلك !!

هذا الشباب هو مصدر القلق والفرع والرعب لأعداء الله جل وعلا بل وقد صرح اليهود بذلك فقالوا : لقد استطعنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في المنطقة أن يظل الإسلام بعيداً عن حلقة الصراع ولا بد أن يبقى الإسلام بعيداً عن حلبة الصراع !!!

يا مسلمون : إن الصراع بيننا وبين اليهود ليس صراع أرض وحدود ولكن صراع عقيدة ووجود أسأل الله أن يرد الأمة إلى الإسلام رداً جميلاً .

ثالثاً : رفع راية الجهاد في سبيل الله ، فلا عز للأمة إلا بالجهاد .

فوالله ما ذلت الأمة وهانت إلا يوم أن ضيعت الجهاد ، الذي جعله رسول الله ذروة سنام هذا الدين .

ولقد حرص أعداؤنا على أن يحولوا بين الأمة وبين الجهاد وحاولوا بثتى الطرق ألا تربي الأجيال المسلمة على روح الجهاد وسير الأبطال الفاتحين !!
وها هو الواقع يصرخ في وجوه المخمورين الغافلين أن مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وجميع المحافل الدولية لن تعيد للأمة المكلومة أراضيها أو دماؤها أو كراماتها ، بل ولا سبيل لذلك مطلقاً إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله . فالعالم اليوم لا يحترم إلا الأقوياء !!

كما قال الإرهابي الكبير " مناحم بيجن " إننا نحارب إذن نحن موجودون !!! " تمنيت لو أن وعت الأمة هذه الحقائق ، وأضرع إلى الله سبحانه أن يردها إلى الحق رداً جميلاً .

ومع هذا فأنتي لعلى يقين أن المستقبل لهذا الدين رغم كيد اليهود المجرمين والمنافقين . أسأل الله أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين وأن يأذن بتحرير الأقصى من دنس الخائنيين

(1) رواه أبو داود رقم (3001) في الخراج ، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة ؟ وأخرجه الطبري رقم (6667) .

(2) رواه البخاري رقم (2933) في الجهاد ، باب الدعاء على المشركين ، ومسلم رقم (1742) في الجهاد ، باب الأمر بالصبر عند اللقاء ، والترمذي (1678) .

(3) أخرجه البخاري رقم (4117) في المغازي

(4) أخرجه البخاري رقم (4119) في المغازي ، ومسلم رقم (1770) في الجهاد والسير.

(5) رواه البخاري رقم (4121) في المغازي .

(6) أخرجه البخاري رقم (366/7) في المغازي باب غزوة خيبر ، وفي الجهاد باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسلم رقم (2406) في فضائل الصحابة .

(7) أخرجه البخاري (359/7) في المغازي باب غزوة خيبر ، وفي صلاة الخوف : باب التكبير والغسل بالصبح ، ومسلم رقم (1365) في الجهاد باب غزوة خيبر ، ومالك (468/2)، والترمذي رقم (1550)، والنسائي (272/1)، وأحمد (161/102/3) ، 164 ، 168 ، 206 ، 246 ، 263) .

الدر المنثور في الزود عن أصحاب الرسول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [الأحزاب: 70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.
طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني
وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في
جنته ودار كرامته.

إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير..

أحبتني في الله :

" الدر المنثور في الزود عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه
وسلم "

هذا هو عنوان لقاءنا في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثي مع
حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية "

أولاً : حرب حقيرة ليست الأخيرة!!

ثانياً : عدالة الصحابة من القرآن والسنة .

ثالثاً : وهل يسب الخيران !!؟

وأخيراً : هم القدوة فاعرفوا لهم قدرهم .

فاعيروني القلوب والأسماع والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

أولاً : حرب حقيرة ليست الأخيرة !!

أحبتني في الله :

إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الحياة على ظهر هذه الأرض ، والأيام دُول
كما قال الله عز وجل ((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) والإسلام العظيم منذ أن

بزغ فجره واستفاض نوره لا زال إلى يومنا هذا مستهدفاً من قبل أعدائه الذين يشنون
عليه حروبا ضارية على كل الجبهات وفي جميع الميادين !!

ومن أخطر هذه الحروب " حرب إسقاط الرموز " ابتداءً من الصحابة رضی الله
عنهم وانتهاءً بالعلماء والدعاة .

فهم يريدون أن يشككوا الأمة في دينها حينما يشككون الأمة في نقلة هذا الدين من
الصحابة الخيرين ، والعلماء العاملين والدعاة الصادقين . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى يريدون أن يفصلوا بين الأتباع والقيادة ، فإذا تم الفصل بين القائد
والأتباع تشرذمت الأمة لتصبح ذليلة كثيرة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة

!!

ومن آخر هذه الحروب وليست الأخيرة ما ينشر هذه الأيام على صفحات الجرائد والمجلات السوداء التي تعزف على وتر الجنس لإثارة الغرائز الهاجعة ولاستجاشة الشهوات الكامنة .

هذه الحرب التي تثار الآن..حرب سافرة تشن على رؤوس هذه الأمة ابتداءً من الصحابة الكرام!! .

حيث ترى دفاعاً مبطناً لهذه الجرائد والمجلات على هذا الخطيب الشيعي المحترق الذي سب أصحاب النبي سباً فظيلاً منكرأ يستحي اللسان العف أن يردد الآن لفظه واحدة مما قال!!

وتعمدت أن لا أعقب على هذا الشيعي المحترق ، وما استحللت لنفسي أن أرد عليه إلا بعد سماعي لكلماته بأذني رأسي عبر شريط الكاسيت .

فإنني لا أثق البتة فيما ينشر على صفحات الجرائد والمجلات لأنهم كما تعلمون يكذبون على الجميع .

أيها الأحبة الكرام :

يُسب أصحاب النبي !! ويشوه العلماء !!

وتعلن الحرب بضرارة على رؤوس الأمة ليتشكك الناس في الدين !!

فمن الذي نقل إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

إنهم الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على دربهم من التابعين لهم بإحسان ، والعلماء العاملين ، والدعاة الصادقين .

وهذه الحرب التي تعلن الآن على الأطهار هي التي دفعتني لأقف اليوم بين أيديكم لأذود عن حرمهم الكريم ولأزود عن عرضهم الطاهر لا لأرفع من قدرهم وشأنهم ،

فإن الذي رفع قدرهم هو الله ، وإن الذي رفع شأنهم وعدلهم رسول الله . وأنا أتحدث اليوم عن الصحب الأطهار لأرفع من قدر نفسي ومن قدر إخواني وأخواتي وأتضرع

إلى الله عز وجل بحبنا لهم أن يحشرنا معهم ، فالمرء مع من أحب يوم القيامة بموعد الحبيب محمد .

أيها الأحبة الكرام :

والله الذي لا إله غيره لا أرى مثلاً لهؤلاء الموتورين- الذين يتناولون اليوم على القمم السماء – لا أرى لهم مثلاً إلا كمثل ذبابة حقيرة سقطت على نخلة عملاقة فلما

هَمَّت الذبابة الحقيرة بالإنصراف قالت في استعلاء للنخلة العملاقة : أيتها النخلة تماسكي فإني راحلة عنك !!

فقالَت النخلة العملاقة : انصرفي أيتها الذبابة الحقيرة فهل شعرت بك حينما سقطت علىَ لأستعد لك وأنت راحلة عني؟!!!

نعم فهل يضر السماء أن تمتد إليها يد شلاء ؟!

وهل يوقف سير البواخر العملاقة الطحالي الحقيرة ولو اجتمعت على سطح الماء ؟!!
فَحَرِيْ بهؤلاء الموتورين أن يحطموا أعلامهم وأن يفرغوها من مدادها العفن .

ومن يكن ذا فم مريض ... يجد مرأ به الماء الزلالا!! ...

أعلموا أيها المسلمون الأخيار : وفقني الله وإياكم لمرضاته وجعلني الله وإياكم لمرضاته وجعلني الله وإياكم ممن يخشاه ويتقيه حق ثقاته .

اعلموا بأنه لا يجوز البتة لرجل زائع العقيدة.. ، مريض القلب..، مشوش الفكر أن يتحدث عن أصحاب النبي .

إذ أن الحديث عن الصحب الكرام يتطلب ابتداءً صفاءً في العقيدة وإخلاصاً في النية .. ودقةً في الفهم .. وأمانة في النقل.. ونظرة فاحصة مدققة لأراجيف المبطلين ، والوضاعيين ، والكاذبين ، والمغرضين ، وأصحاب الأهواء المبتدعين ومن هم على طريقهم كالعلمانيين!! لا بد من الفحص الدقيق لكل ما تقرأ ولكل ما ينشر عن أصحاب النبي ، فلا بد أن تعرف قدر هؤلاء ، ومكانة هؤلاء فهم الجيل القرآني الفريد الذي تربي على يد من رباه الله على عينه ليربي به الدنيا .

إنه الجيل الذي تربي على يد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكفى !!

وكل تلميذ يقتبس في العادة من أستاذه ، فلك أن تتصور كيف يكون الإقتباس إذا كان المعلم هو سيد الناس!!؟

وكل فهم تربوي يترك طابعه على طلابه الذين يتربون عليه ولك أن تتصور كيف يكون الطابع إذا كان المنهج التربوي الذي تربي عليه أصحاب النبي هو القرآن العظيم والسنة المشرفة وهم صفوة الخلق بعد الأنبياء .

أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه(1)

وهذا الأثر جسد أنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء ، إنهم المهاجرون والأنصار الذين حملوا دعوة النبي المختار وصدقوا ما عاهدوا عليه العزيز الغفار ، فاستحقوا بجدارة واقتدار أن يبشروا – وهم في الدنيا بالجنة والنجاة من النار .

إنهم أصحاب النبي الذين عدلهم ربهم ونبيهم وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء .

ثانياً : عدالة الصحابة من القرآن والسنة

قال الخطيب البغدادي فكتابه " الكفاية في علم الرواية " :

إن عدالة أصحاب النبي ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختيارهم بنص القرآن قال الرحيم الرحمن :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ آل عمران 110

والمخاطب ابتداءً بالخطاب الرباني هم أصحاب الحبيب النبي وهم المخاطبون ابتداءً بقوله تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم عَلَيْكُمْ شَهِيدًا البقرة : 143

وهم المخاطبون بقوله جل وعلا : الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ آل عمران 172- 174

وقال الله عز وجل في حقهم مخاطباً النبي يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الأنفال 64

وهم الذين قال اله عز وجل في حقهم وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا النساء 115

هم الذين قال اله في حقهم لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَاهُمْ فِتْحًا قُرَيْبًا الفتح 18

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التوبة 100

وهم الذين زكاهم الله عز وجل بقوله لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الحشر 8 - 9

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا الفتح 29

آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل زكى الله بها أصحاب النبي واكتفي بهذا القدر منها واسمع معي هذه الأوسمة من سيد النبيين .

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود : عن النبي قال (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم " (2)

وفي الصحيحين من حديث أنس قال :

مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَنْتَنِي عَلَيْهَا خَيْرًا ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ . وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَنْتَنِي عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ . قَالَ عُمَرُ: فِدَىٰ لَكَ أَبِي وَأُمِّي ، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَنْتَنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتَ وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَنْتَنِي عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَنْتَنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْتَنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ (3)

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا أصحابي " وفي رواية " لا تسبوا أحداً من أصحابي فلو أن أحداً أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفة " (4)

وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو : أن أبا سفيان أتى على سليمان وصهيب وبلال في نفرٍ فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ، قال أبو

بكر : أتقولن هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي فأخبره فقال " يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك "

فاتأهم أبو بكر فقال : يا إخوانه ! أغضبتكم ؟ قالوا : لا يغفر الله لك يا أخي (5)

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي قال ((يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: يانوح. فيقول لبيك وسعديك، فيقول الله: هل بلغت قومك؟! فيقول: نعم.. فيدعى قومه ويقال لهم: هل بلغكم نوح؟ فيقولون: لا ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقول الله جل وعلا من يشهد لك يانوح، فيقول نوح: يشهد لي محمد وأمه.. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فتدعون فتشهدون بأنه بلغ قومه وأشهد عليكم فذلك قول الله تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا الْبَقْرَةَ 143

(6)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه قال : صلينا المغرب مع رسول الله ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي بعد العشاء قال : فجلسنا فخرج علينا، فقال " " ما زلتم ههنا؟! " قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال " أحسنتم أو أصبتم " قال فرفع رأسه إلى السماء فقال: " النجوم أمانة للسماء فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون". (7)

وأختم بهذا الحديث الذي رواه الترمذي وابن حبان وأحمد والبيهقي وأبو نعيم وغيره وللأمانة العلمية أقول : إن به مجهولا لكن متن الحديث ثابت صحيح كما ذكرت آنفاً من حديث عبد الله بن مغفل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه) . (8) فبعد هذه الآيات وهذه الأحاديث الصحيحة لسنا في حاجة إلى مزيد بيان عن الصحب الكرام .

ومع ذلك فإني مُصر على أن أعطر هذا المجلس كذلك بكلمات ندية لأسد الله الغالب علي بن أبي طالب .

فإن الكلام من علي في هذا الموطن له مغزى وأود أن أحذر الأحبة جميعا من أن ينتقصوا قدر علي خشية أن يقعوا فيما وقع فيه الروافض .. كلا!!

فإننا نثبت لعلي مناقبه ، ونثبت لعلي مكانته فهو من هو؟! هو أسد الله الغالب .. هو الذي قال المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر – لما امتنعت حصون اليهود : " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه " وفي الصباح أشرأبت الأعناق ، وتمنى الأبطال القيادة حتى عمر المتجرد التقي المخلص النقي يقول : والله ما تمنيت الإمارة إلا يومها!!

وفي الصباح وقف الأبطال على أطراف الأقدام ليرهم النبي وشق هذا السكون صوت النبي وهو يسأل عن القائد الذي سيدفع له الراية ليفتح الله عز وجل على يديه فقال " أين عي بن أبي طالب ؟ ونقب الحضور عن علي فلم يجده : ما حضر اليوم يا رسول الله لأنه اشتكى وجعاً في عينيه قال :

"فأرسلوا إليه فأتوني به " فلما جاء بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع (9)

ودفع النبي له الراية وأمره أن ينطلق فانطلق أسد الله الغالب على ابن ابي طالب ففتح الله على يديه حصون خيبر .

وهتف الجميع بما هتف به النبي أول يوم " الله أكبر خربت خيبر.. الله أكبر خربت خيبر ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " (10)

أسأل الله عز وجل أن يُخربَ حصون اليهود بقدرته إنه على كل شئ قدير .

علي بن أبي طالب الذي تربي في حجر المصطفى صلى الله عليه وسلم وكفى !!

أول شبل من أشبال الإسلام يقف ليصلي خلف النبي ويسمع القرآن وحده من فم

رسول الله علي بن أبي طالب الذي اضطر لأن يفخر فقال :

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي ...

وجعفر الذي يمسي ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمي ...

ووبنت محمد سكني وزوجي ... منوط لحمها بدمي ولحمي ...

... ..

اسمع ماذا قال علي رضي الله عنه :

"سيكون بعدنا أقوام ينتحلون مودتنا يكذبون علينا ، مارقة ، وآية ذلك أنهم يسبون أبا

بكر وعمر رضي الله عنهما "

لقد ذكروا للإمام مالك بن أنس أن رجلا ينتقص من أصحاب النبي فقراً مالك بن أنس

رحمه الله قوله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أُنْزِ

السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا الفتح 29

ثم قال مالك : فمن وجد في قلبه غيظاً على أحد من أصحاب رسول الله فقد أصابته

هذه الآية " ليغيب بهم الكفار "

وقال الحافظ الكبير أبو زرعة رحمه الله : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب

النبي فاعلم بأنه زنديق ، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه

وسلم حق ، والقرآن الحق ، وما جاء به النبي حق ، والذي بلغنا ذلك كله عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم هم أصحابه فهؤلاء يريدون أن يهدموا الصحابة ليبتلوا

القرآن والسنة يريدون لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

الصف 8

وأختم بهذا العنصر بما قاله الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة قال رحمه الله :

ونحب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ولا نفرق في

حب أحد منهم ، ونبغض من أبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، محبتهم دين ، وإيمان ،

وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان أ . هـ (11)

أحبتني في الله

إننا نعيش زمانا تكلم فيه الروبيصات !!

بل وأفردت الصفحات للروبيضات !!

وحُجزت الساعات الطوال على الشاشات وفي الإذاعات للروبيضات !!

هل تدرون من الروبيضات ؟ اسمع الجواب من رسول الله .

والحديث رواه أحمد والحاكم في المستدرک وصححه الألباني من حديث أبي هريرة أنه قال سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدق فيها الكاذب ، ويُكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق الروبيضة قيل : وما الروبيضة ؟

قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة(12)

والله لقد نطق التافهون ، بل لقد نطق أبو الهول الذي لم يتكلم في شئ إلا في سب أصحاب النبي والتشهير بالعلماء المخلصين والدعاة الصادقين للفصل بين القيادة والأتباع لتنتشر ذم الأمة ولتصبح ذليلة كسيرة مبعثرة ليسهل على الذئاب أن يفترسوها وأن يأكلوها أكل الذئب للغنم ، أسأل الله عز وجل أن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين واكتفي بهذا القدر وأعرج على العنصرين الباقيين بسرعة بعد جلسة الاستراحة وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام

ثالثاً : وهل يسب الخيران أبو بكر وعمر ؟!

يسب هذا الشيعي المحترق أبا بكر وعمر رضي الله عنهما !!

والله الذي لا إله غيره بكلمات يعف اللسان عن ذكرها !!

يسب أبا بكر بأفبح الألفاظ !! يسب عمر الفاروق بأشنع كلمات !! لا تصدر إلا ممن شرب الخمر فلعبت برأسه فهو يهزي لا يدري ماذا يقول !!

أبو بكر ذلك الرجل الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار ، فألقى له الصديق حب الحُب على روض الرضا واستلقى الصديق على فراش الفقر أمنأ مطمئناً ، فرفع الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة وتركه هنالك ، ثم علا أفنان شجرة الصدق يغرد

للصديق بأغلى وأعلى فنون المدح ويتلوا في حقه قول ربه وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى

إِنَّ الْأَتْقَى هُوَ الصِّدِّيقُ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى الليل 17- 21

يسب أبا بكر ؟!! الذي استحق أن يكون أقرب الخلق إلى قلب رسول الله كما في صحيح مسلم قال عمرو بن العاص : يا رسول الله :

أي الناس أحب إليك ؟ قال "عائشة" قال : من الرجال ؟ قال أبوها(13) قال ثم من

قال : "عمر"

يسب أبا بكر ؟!! العملاق الذي قال في حقه المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة :

من أنفق زوجين من شئ من الأشياء في سبيل الله دُعِيَ من أبواب الجنة : يا عبد الله ! هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان . قال أبو بكر : هل على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، وفي رواية وقال : فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر (14)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة سأل المصطفى صلى الله عليه وسلم أصحابه يوماً فقال: " من أصبح اليوم منكم صائماً" قال: أبو بكر : أنا ، قال : " فمن تبع منكم اليوم جنازة "؟ قال أبو بكر : أنا قال " فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم " ما اجتمعن في رجل إلا دخل الجنة (15) وهل يُسبُ الفاروق عمر!!

ذلكم الرجل العملاق الذي بركت الدنيا بزینتها وزخارفها على عتبة داره فطلقها ثلاثاً !! وسرحها سراحاً جميلاً !! وقام ينفض يديه من علائق هذا المتاع الزائل ، واستأنف سيره وسط الصحراء تحت حرارة الشمس المحرقة !!

تراه يجري وراء بعير قد نَدَّ من إبل الصدقة يخشى عليه الضياع ، يخشى أن يسأل عنه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة !!

أو تراه وهو الفاروق الخليفة تراه منحنيماً على قدر فوق نار مشتعلة ينفخ النيران تحت القدر لتتضج النيران طعمة سريعة لأطفال يتضورون جوعاً !!

أو تراه واقفاً أمام خيمة رجل يبكي لامراته التي أدركها كرب المخاض وهي لا تجد أحداً يؤنسها فيسرع ليأتي بزوجة خليفة المسلمين لتقف مع هذه المسلمة حتى تضع ولدها !!

أو تراه يمشي في السوق ينفق أحوال الناس فيرى إبلاً ثمينة فيسأل عمر : إبل من هذه ؟!!

فيقولون : إبل عبد الله بن عمر ، وكان حية قد انقضت عليه فلدغته وأفرغت كل سمها في جوفه !! فيقول : بخ.بخ !! إبل عبد الله بن عمر؟! انتوني به .

ويأتي عبد الله يرتجف ويرتعد، وهو من هو؟ إمام في الزهد والورع . يقول عمر : يا عبد الله ما هذه الإبل ؟

فيقول عبد الله : يا أبي إبل مريضة هزيلة اشتريتها بخالص مالي وأطلقتها في الحمى ترعى وأنتيت بها إلى السوق لأبتغي ما يبتغيه المسلمون من الربح والتجارة .

فيقول عمر : بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين !! فإذا رأى الناس إبلك قالوا : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين !! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين !! فتسمن إبلك ويربوا ربحك يا ابن أمير المؤمنين ، يا عبد الله : قال : لبيك يا أبتني مرني بما شئت .

فقال عمر : بع الإبل الآن وخذ رأس مالك ، ورد الربح إلى بيت المسلمين !! يا خالق عمر سبحانك !!!

هذا هو عمر الفاروق الذي يسبه الآن هذا الشيعي المحترق !! يُسب عمر الفاروق!!

الذي اشتهدت زوجته الحلوى يوماً فأبى عليها
يا رافعا راية الشورى وخارسها ... جزاك ربك خيرا عن محبيها ...
رأي الجماعة لا تشقي البلاد به ... رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها ...
إن جاع في شدة قوم شركتهم ... في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها ...
جوع الخليفة والدنيا بقبضته ... منزلة في الزهد سبحان موليا ...
فمن يباري أبا حفص وسيرته ... أو من يحاول للفاروق تشبيها ...
يوم اشتهدت زوجه الحلوى ... فقال لها من أين لي ثمن الحلوى فأشربها ...
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى ... فقومي لببيت المال رديها ...
فذاك أخلاقه كانت وما عهدت ... بعد النبوة أخلاق تحاكيها ...

واسمع للمصطفى وهو يضع الأوسمة على صدر عمر الفاروق فيقول كما في سنن
الترمذي من حديث ابن عمر وهو حديث حسن قال صلى الله عليه وسلم " إن الله
جعل الحق على لسان عمر وقلبه " (16)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله إذ قال : " بينا
أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر
؟ قالوا : لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرا ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول
الله ؟ " (17)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول " بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص ،
فمنها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عليّ ابن الخطاب وعليه
قميص يجره ، قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله قال الدين " (18)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : " بينا أنا نائم أوتيت بقدر لبن ، فشربت منه حتى إنني
لأرى الرى يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب " قال من حوله
: فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال " العلم " (19)

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذن عمر
على النبي وعنده نسوة من قرين يكلمنه - وفي رواية يسألنه ويستكثرنه - عالية
أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له النبي فدخل
عمر والنبي يضحك قال عمر : أضحك الله سنك ، بأبي أنت وأمي ما أضحكك؟ فقال
: " عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب " قال
عمر : فأنت يا رسول الله لأحق أن يهبن ، ثم قال عمر : أي عدوات أنفسهن ،
أتهبني ولا تهبن النبي ؟

قلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إيه يا ابن
الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فحك
" (20)

يُسبُّ عمر فاروق الأمة؟! يُسبُّ الخيران!!?
أسأل الله جل وعلا أن يجمعنا بهما في جنات النعيم .
وأخيراً " هم القدوة فاعرفوا لهم قدرهم "

وأكتفي بهذا الأثر الذي رواه أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه قال : من كان مستنثاً فليتن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم أيها الوالد الكريم

تعلم سيرة الصحابة ، وعلم أبناءك سير الصحابة ، لقد آن الآوان لنربوا بأبصارنا إلى هذه القمم ... إلى هذه القدوات... إلى هذه المثل ... إن شبابنا الآن قدمت له قدوات فاسدة ومثل هابطة ، تعلم الكثير عن هؤلاء الأقرام في الوقت الذي لا يعلم فيه شيئاً عن هذه القمم الشماء ، وعن هؤلاء الأطهار الخيار الكرام .

تعلم سيرة أصحاب النبي ، عُد من جديد واسمع السيرة .. إقرأ السيرة ... اجتهد على أن تسأل عن سيرتهم بعد ما حرمتنا من صحبة أنفاسهم وأجسادهم ، وربى ولدك على هذه السيرة لنأخذ العبرة والعظة من ناحية ، ولتتدقق من جديد في عروقنا دماء العزة والكرامة والزهد والورع من ناحية أخرى والتي ضرب لها أروع المثل أصحاب النبي .

إننا نعيش زماناً قدم فيه التافهون ليكونوا القدوة والمثل ، وأن الآوان لأن ترنوا جميع الأبصار إلى هذه القدوات الطيبة والمثل العليا ويجب عليك أن تغار لأصحاب نبيك إذا قرأت كلمة تمس عرض واحد منهم ، يجب عليك أن تغار ودعك من هذه السلبيات القاتلة .

فهؤلاء هم رموز الأمة ، لا ينبغي أن تسقط هذه الرموز ، لا ينبغي أن تشوه صورهم .

أسأل الله عز وجل أن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين وأن يجزي عنا نبينا خير الجزاء وأن يجزي أصحاب النبي خير ما جزى به عباده الصالحين المصلحين وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم

- (1) أخرجه أحمد رقم (3600) وإسناده حسن وذكره الهيتمي في المجمع (17/1) ، (178) ، وقال : رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير ورجاله موثقون .
- (2) رواه البخاري (191/5) في الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، وفي فضل الصحابة ، ومسلم رقم (2533) في فضائل الصحابة ، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ، والترمذي رقم (3858) في المناقب .
- (3) رواه البخاري رقم (1367) في الجنائز ، باب ثناء الناس على الميت ، ومسلم رقم (949) في الجنائز ، باب فيمن يثنى عليه خيراً وشرّاً من الموتى .
- (4) رواه البخاري رقم (3673) في فضائل أصحاب النبي ، ومسلم رقم (254) في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ، وأبو داود رقم (4658) في السنة ، باب النهي عن سب أصحاب النبي ، والترمذي رقم (3860) في المناقب في باب من سب أصحاب النبي .

(5) رواه مسلم رقم (2504) في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضل سلمان، وصهيب وبلال رضي الله عنهم .

(6) رواه البخاري رقم (4487) في التفسير، باب "وكذلك جعلناكم أمة وسطا... الآية:

(7) أخرجه مسلم رقم (2531) في فضائل الصحابة ، باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه وكذا رواه بن حبان .

(8) رواه الترمذي رقم (3862)، وأخرجه أحمد في المسند(87،5/4 / 54، 57)

(9) أخرجه البخاري رقم(3701) في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، وسلم رقم (2407) في مناقب الصحابة، باب من فضائل علي ؟

(10) أخرجه البخاري رقم (359/7) في المغازي، باب غزوة خيبر ، وفي صلاة الخوف : باب التكبير والغسل بالصبح ، ومسلم رقم (1365) في الجهاد باب غزوة

خيبر ، ومالك (468/2)، والترمذي رقم(1550)، والنسائي(272/1) وأحمد (102/3 161،164،18،206،246،263،

(11) مهذب العقيدة الطحاوية (382،383) .

(12) رواه أحمد، والحاكم في المستدرک ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (1888) .

(13) رواه مسلم رقم (2348) والترمذي رقم (3885) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، رواه أيضاً أحمد في الفضائل(214)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (1235)، والنسائي في الفضائل (5) .

(14) رواه مسلم رقم (1027) في الزكاة ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر ، والترمذي رقم (3674) في الفضائل .

(15) رواه مسلم رقم (1028) في الزكاة ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر ، وفي فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر .

(16) أخرجه الترمذي رقم (3683) في المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، وإسناده حسن وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب .

(17) رواه البخاري رقم (3680) في فضائل أصحاب النبي باب فضائل عمر بن الخطاب ، وفي النكاح ، وفي التعبير ، مسلم رقم (2395) في فضائل الصحابة باب

فضائل عمر بن الخطاب وفي الإيمان وفي التعبير ومسلم رقم (2390) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر بن الخطاب .

(18) رواه البخاري رقم (391) في فضائل أصحاب النبي باب مناقب عمر بن الخطاب ، وفي الإيمان وفي التعبير ، ومسلم رقم (2390) في فضائل الصحابة ،

باب من فضائل عمر بن الخطاب / والترمذي رقم (2287) في الرؤيا ، باب ما جاء في رؤية النبي والنسائي في (113/8) في الإيمان باب زيادة الإيمان .

(19) رواه البخاري رقم (3681) في فضائل أصحاب النبي باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي العلم وفي التعبير ، ومسلم رقم (2390) في فضائل

الصحابة،باب من فضائل عمر بن الخطاب ، والترمذي رقم (2285) في الرؤيا باب رؤية النبي اللبن والقمص .

(20) رواه البخاري (37/7) في فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، ومسلم رقم (2396) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

مقتضيات الحب الصادق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]
أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار كرامته.

إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير..

أحبي في الله :

" مقتضيات الحب الصادق "

هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف نركز حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان الهام في العناصر التالية :

أولاً: البراءة من الشرك

ثانياً: تحقيق التوحيد

ثالثاً : تحكيم الشريعة

رابعاً : الولاء والبراء

خامساً:سمع بلا تردد..وطاعة بلا انحراف

وأخيراً: حب يفوق حب النفس بلا غلو أو إطراء

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من الأهمية بمكان لأننا نرى الأمة في هذه الأيام تحتفل بذكرى ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي

أمة لا تستحي من ربك جل و علا !!

إذ أن الأمة الآن تدعى أنها تحتفل برسول الله في الوقت الذي نحت فيه شريعته !!

فخذ مني أيها الحبيب المقتضيات التي إن حقتها وامتثلتها فأنت ممن أحب النبي حباً صادقاً ، تحشر مع النبي بالحب الصادق ، كما في حديث أنس المُخْرَج في الصحيحين :

جاء رجل إلى النبي فقال يا رسول الله متى الساعة؟! قال : وماذا أعددت لها ؟! قال ما أعددت كثير عمل إلا إني أحب الله ورسوله ، قال النبي " المرء مع من أحب " (1)

يقول أنس فما فرحنا بشئ كفرحنا بقول النبي " المرء مع من أحب " ثم قال: وأنا أحب رسول الله وأبو بكر وعمر وأرجوا الله أن أحشر معهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم .

أيها الحبيب الكريم : الحب الصادق له مقتضيات ... الحب الصادق له شروط

من يدعي حُبَ النبي ولم ... يفد من هديه فسفاهةً وهُراء

فالحب أول شروطه وفروضه ... إن كان صدقاً طاعةً ووفاءً

قال تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ((... آل عمران : 31

إن أردت أن يحبك الله جل وعلا ، وأن يحبك رسول الله فاتبع .. اتبع أثر النبي .. واتبع هدى النبي ، لتري المصطفى صلى الله عليه وسلم في نهاية هذا الطريق ينتظرك على الحوض إن شاء الله جل وعلا .

قف على مقتضيات الحب الصادق لتتعرف على زعم الأمة الباهت ، أنها تحتفل بالنبي وكان من الواجب أن يكون قدر النبي في قلوبنا عظيماً كما عظمه وأجله ربه جل وعلا .

لا ينبغي أن تحتفي الأمة بالنبي في ليلة ساهرة حافلة تحت الطبل والزمير واختلاطٍ فاحشٍ بين الرجال والنساء والشباب والشواذ!! ثم تنفض الليلة عند الفجر لينفض الجميع وما صلى أحدٌ منهم صلاة الفجر لله جل وعلا إلا من رحم ربك!! أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن رحم .

أول مقتضى من مقتضيات الحب الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم :

" البراءة من الشرك "

محالٌ أن تدعي الحب للنبي صلى الله عليه وسلم ولهدى النبي وسنة الحبيب النبي وقلبك ما نُقِيَ وطُهرَ من أي شائبة من شوائب الشرك .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

النفي المحض ليس توحيداً وكذلك الإثبات بدون النفي ، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات معاً .

قال علماءنا : لا بد من التخلية قبل التحلية .

والتخلية : هي أن تكفر بالأنداد والأرباب والآلهة والطواغيت .

نقّب في القلب هل أخليت القلب من هذا ؟ هل تبرأت من الأنداد والآلهة والطواغيت وأخلصت القلب لله وحده لا شريك له ؟.. هل كفرت بالطواغيت ؟

والطواغيت : جمع طاغوت والطاغوت كما قال عمر .. هو الشيطان .

وكما قال مالك : هو كل ما عبد من دون الله .

وكما قال ابن القيم : الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

فأنت مأمور يا من أحببت الله وأحبيت رسول الله أن تكفر بكل الطواغيت على ظهر الأرض قال جل وعلا فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ... البقرة 256

لاحظ أن الله قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ، إذ لا بد من التحلية قبل التحلية . وأن تكفر بالأنداد قال تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ البقرة 156

اللهم ارزقنا حبك وحب نبيك وحب من أحبك يارب العالمين .
المؤمن الصادق هو الذي امتلأ قلبه بحب الله وحب رسوله- لكن لاحظ أن كثيراً من الناس قد امتلأت قلوبهم بمحبة الأنداد من دون الله أو مع الله .. ألم تسمع عن امرأة قد تخلصت من حياتها وانتحرت بسبب موت العنديل الأسود !!؟
ألم تسمع عن رجل جلس في استادٍ للكرة فصرخ صرخةً فقد فيها روحه لأن فريقه قد مُنى بهدفٍ من الفريق الآخر !!؟؟

ألم تسمع قول القائل :

هيبوني عيداً يجعل العرب أمة ... وسيروا بجثمانى على دين بُرهم

سلامٌ على كافرٍ يُوحَدُ بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

ألم تسمع قول القائل : ...

أمنت بحزب البعث رباً لا شريك ... له وبالعروبة ديناً ماله ثانٍ

ألم تسمع قول القائل

إن مصر ستظل فرعونية ولو وقف الإسلام حَجَرَ عثرة في طريق فرعونيتنا لَنَحِينَا

الإسلام جانباً لتظل مصر فرعونية !!؟

ألم تسمع قول القائل :

لقد عزمنا على أن نأخذ ما عند الغربيين حتى الإلتهابات التي في رئتهم والنجاسات

التي في أمعائهم !!؟

ألم يقل ربك : تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ البقرة 156

قال رجل للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :

ما شاء الله وشئت يا رسول الله ، قال " أ جعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده " (2)

فهل كفرت بالأنداد؟! هل كفرت بالأرباب ؟ والأرباب جمع رب

قال تعالى اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ التوبة 31

اتخذوا العلماء والعباد أرباباً من دون الله .

دخل عدي بن حاتم على المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية فقال

عدي : لا يا رسول الله ، ما عبدناهم من دون الله ، ففسر له النبي الآية فقال الحبيب "

ألم يَجَلُّوا لهم ما حرم الله ويحرمون عليهم ما أحل الله فأطاعوهم ؟" قال : بلى ، قال

المصطفى صلى الله عليه وسلم " فتلك عبادتهم إياهم " (3)

أخي الحبيب : هل صرفت العبادة لله وحده ؟ هل امتثلت أمر الله ؟

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ الأنعام 162 - 163

وأخيراً أقول : إن أردت أن تتقّب عن حبك للنبي صلى الله عليه وسلم في قلبك فسل نفسك هل تبراّت من الأنداد والأرباب والآلهة ودخلت في المقتضى الثاني ألا وهو : "تحقيق التوحيد للعزیز الحميد " هذا هو المقتضى الثاني ، أن تحقق التوحيد بأقسامه لله جل وعلا وأن تقر بتوحيد الربوبية .

تدبر قوله تعالى " قل إن الأمر كله لله " هل حققت التوحيد لله ؟

ستعجب إذا قلت لك : إن توحيد الربوبية قد أقر به المشرك في أرض الجزيرة العربية .

فإذا سألت أبا جهل من خالفك ؟ قال الله

لو سألت المشرك من رازقك ؟ قال الله

قال جل وعلا وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ لَقَمَان 25

وقال جل وعلا وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ العنكبوت 63

قال جل وعلا وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الزخرف 9

بل لقد انفرد الأخشن بن شريق بأبي جهل .

فقال الأخشن : يا أبا الحكم لا يوجد معنا أحد الآن يسمعنا استخلفك بالله أمحمد صادق أم كاذب ؟!

فقال أبو جهل : ويحك يا أحنس والله إن محمداً لصادق !

فنزّل قول الله تعالى فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ الأنعام 33 فهم يعلمون صدق النبي .

بل قال قائلهم : والله إني لأقر لمحمد بالنبوة أكثر مما أقر لابني بالنبوة لأن الذي شهد بصدق محمد هو الله

وللأسف الشديد ومما يندي له الجبين أنه يوجد من بين ممن ينتسبون للإسلام من لم يحقق توحيد الربوبية للرحيم الرحمن .

يا صاحب الهم منفرج ... أبشر بخيرٍ فإن المفرج الله

وإذا بليت فتق بالله وارضى به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله

الله الذي يحدث بعد العسرة ميسرة ... لا تجزعن فإن الخالق الله

والله مالك غير الله من أحد ... فحسبك الله في كل لك الله

وأن تقر بتوحيد الأوهية (توحيد العبادة)

يعني أن تصرف العبادة بركنيها : من كمال الحب وكمال الذل وبشرطها : من الإخلاص والإتباع ، إلى من يستحق العبادة وهو الله وحده لا شريك له .

سل نفسك أيها الحبيب : هل استغثت بالله وحده؟ هل استغنت بالله وحده ؟ هل سألت

الله وحده ؟ هل ذبحت لله وحده ؟ هل نذرت لله وحده؟ هل حلفت بالله وحده ؟ هل

طفت ببیت الله في مكة فقط هل قال لسانك وصدق قلبك وترجم عملك هذه الأقوال وهذه الكلمات؟

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك ... وأبرأ من الأمل إلا فيك
وأبرأ من التسليم إلا لك ... وأبرأ من التفويض إلا إليك
وأبرأ من التوكيل إلا عليك ... وأبرأ من الصبر إلا على بابك
وأبرأ من الذل إلا في طاعتك ... وأبرأ من الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين
وأبرأ من الرهبة إلا لجلالك العظيم

... ..

هل امتثلت أمر الله؟ هل آمنت بأسماء الجلال وصفات الكمال من غير تحريف لألفاظها أو لمعانيها، وأُثْبِتَ ما أُثْبِتَهُ اللهُ لذاته وما أُثْبِتَهُ له رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم .

لا يمكن على الإطلاق أن تدع يالجب للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا إذا حققت هذا التوحيد لله جل وعلا .

المقتضى الثالث " تحكيم الشريعة "

أمة تدعى الحب للمصطفى وقد نَحَت شريعته فهي أمة كاذبة

أمة تحتفل بالمصطفى في كل ربيع من كل عام وقد حَكَمَت في الأموال والأعراض ، والدماء والفروج القوانين الوضعية الفاجرة الجائرة ونَحَت كتاب الله وشريعة رسوله أمة خاسرة ، لاساق لها ولا قدم .

وسترى الأمة تتعرض لمزيد من الضربات من إخوان القردة والخنازير ممن كتب الله عليهم الذل والذلة حتى تفتى الأمة إلى منهج ربها وإلى شريعة الحبيب نبيها .

فلا فلاح ولا عز ولا صلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا إذا عادت من جديد وقد أعلنت توبتها إلى الله وحققت هذه التوبة على أرض الواقع في إذعان لأمر الله وانقياد

لشرع رسول الله قال الله عز وجل على لسان نبيه يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَقَرِّفُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَلَمَّ

تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يوسف 39 - 40

فإن أرادت الأمة أن تعلن حب الله وحب رسول الله فلنسال الأمة نفسها : أين هي من شريعة نبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم !؟

أمة ترقص وتطبل وترمر وتسمع الكلمات الرنانة وتسمع الخطب المؤثرة وتسمع المواعظ الرقيقة !!

أمة راحت لتدوب في بوتقة الغرب الكافر وتركت بين يديها أصل العزة والكرامة ومازلت تقرأ وتسمع إلى آلاف من بين أبناء الأمة المخدوعين من يتغنى بالغرب !!

وكان الغرب الآن أصبح إله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !!

أين الولاء والبراء!؟

قال اله جل وعلا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ المائدة 51

قال تعالى وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ
الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ البقرة 120

وقال جل وعلا لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ...
... .. آل عمران 28

هذا قرآن ربنا... هذا هو القرآن لا زال يتلى علينا في الليل والنهار .
لا يكون توحيد إلا بالولاء والبراء ... لا يصح اعتقادك إلا بالولاء والبراء
أن توألي الله ورسوله والمؤمنين وأن تتبرأ من الشرك والمشركين
أتحب أعداء الله وتدعي ... حياً له؟! ما ذاك في الإمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه ... أين المحبة يا أبا الشيطان
أن المحبة أن توافق من تحب ... على محبته بلا نقصان
فإن أدعيت له المحبة مع خلافاك ... ما يحب فأنت ذو بهتان
نعم لو صدقت الله فيما زعمته ... لعاديت من بالله ويحك يكفر
وواليت أهل الحق سراً وجهرة ... ولما تعاديتهم وللكفر تنصرت
فلا كل من قد قال ما قلت مسلم ... ولكن بأشراط هنالك تذكر
مباينة الكفار في كل موطن ... بدا جاءنا النص الصحيح المقرر
وتصدع بالتوحيد بين ظهورهم ... وتدعوهم سراً لذاك وتجهر
هذا هو الدين الحنيفي والهدى ... وملة إبراهيم لو كنت تشعر
المقتضى الخامس : سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
... .. النور 51 - 52

هذا هو شعار المؤمنين... سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف
اعرض نفسك أخي الحبيب على الأمر النبوي والنهي النبوي والحد النبوي...
هل امتثلت أمر النبي؟ هل اجتنبت نهى النبي؟
هل وقفت عند حدود النبي؟

إن كنت ممن سمع الأمر وامتلل النهي فاجتنب والحد فوقف عنده فاسجد لربك شكراً
وسل الله أن يزيدك حباً على حب لحبيبيك المصطفى صلى الله عليه وسلم .
وأن كنت ممن سمع الأمر فلم ينته ، والحد فلم يقف فاعلم أن زعمك لحب النبي زعم
باهت بارد لا ساق له ولا قدم .

شعار المؤمنين السمع والطاعة ، أما شعار المنافقين السمع والمعصية
قال جل وعلا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا النساء : 60

هذا هو شعار المنافقين... ألم ترى يا محمد إلى هذا العجب العجاب إلى قوم يزعمون أنهم آمنوا بك وما أنزل عليك وما أنزل من قبلك ومع هذا الزعم الباهت البارد الفارغ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمرهم الله أن يكفروا به .

والله الذي لا إله غيره ما رُحِمَتْ هذه الأمة إلا ببركة السمع والطاعة .
لما نزل على رسول الله قول الله تعالى لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ الْبَقْرَةَ 284

قال أبو هريرة رضي الله عنه : اشتد ذلك على أصحاب النبي فانطلقوا حتى جئوا على الركب بين يديه وقالوا يا رسول الله كُلفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ولقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فغضب النبي وقال : أتريدون أن تقولوا ما قاله أهل الكتابيين من اليهود والنصارى " سمعنا وعصينا " بل قولوا " سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقتراها القوم ، وذلت بها ألسنتهم ، أنزل الله في إثرها آمنَ الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير البقرة 285

فلما فعلوا ذلك : نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وافر لنا وازحماً أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين البقرة 286

ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا قال : نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم ((وافر عنا وافر لنا وازحماً أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)) قال نعم(4)

استجاب الله وخفف عن الأمة ببركة السمع والطاعة .
وما تحياه الأمة الآن من شقاء وضيق إنما هو نتيجة لانحراف الأمة عن منهج السمع والطاعة .

فإن الأمة تجيد الآن الخطب الرنانة ، وتجيد المواعظ المؤثرة ، وتجيد السهرات الحافلة ، وعشقت الأمة الهزل يوم أن كرهت الجد والرجولة .

ماذا تنتظر من أمة تسهر أمام المباريات إلى مطلع الفجر؟!
ماذا تنتظر من أمة أقامت الليل أمام المسلسلات والأفلام والمباريات؟!
والله لن يحزر الأقصى جيل تربى على هذه الميوعة ، وتربى على هذه النجاسة والقذارة !!

والله لن يحزر الأقصى إلا جيل تربى على كتاب الله وعلى سنة الحبيب رسول الله !!
نسأل الله أن يخرجهم من الأرحام إنه ولي ذلك والقادر عليه .

شعار المؤمنين : السمع والطاعة .

فيا من تدعي الحب للنبي صلى الله عليه وسلم
أمرك المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصلاة في أوقاتها ؟
أمرك المصطفى صلى الله عليه وسلم بترك الحرام والربا.. فهل تركت الربا ؟

أمرك المصطفى صلى الله عليه وسلم بعدم شرب الخمر ... فهل تركت الخمر؟
أمرك المصطفى صلى الله عليه وسلم بترك الزنا... فهل انصرفت عن الزنا؟
أمرك ببر الوالدين .. هل امتثلت الأمر؟

أمرك بالإحسان إلى الجيران .. هل امتثلت الأمر؟
أمرك بالإحسان إلى الأخوة والأحباب.. هل امتثلت الأمر؟
أمرك بإعفاء اللحية فهل امتثلت الأمر؟

أوامر كثيرة .. أعرض نفسك على أوامر النبي ونواهيه وحدوده.

فإن كنت ممن امتثل الأمر واجتنب النهي ووقف عند الحد الذي حده المصطفى
صلى الله عليه وسلم فاسجد لله شكراً وسل الله أن يزيدك حباً على حبك لحبيبك
المصطفى صلى الله عليه وسلم .

واحذر هذه الدعوة التي يغني بطلانها عن إبطالها ويغني فسادها عن إفسادها .
ألا وهي :

أنه يجب أن نعود الآن إلى القرآن وفقط!! لأن السنة فيها الضعيف والموضوع!!
احذر هذا .. واعلم يقيناً بأنك إن عصيت رسول الله فإنك عصيت الله وإن أطعت
الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم فقد أطعت الله وإن صدقت
الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم فقد صدقت رسول الله ، وإن
امتثلت أمر النبي فقد امتثلت أمر الله .

قال جل وعلا وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . الحشر 7

وقال جل وعلا وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وسلم ... المائدة 92

وقال جل وعلا مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ
أَطَاعَ اللَّهَ ... النساء 80

وقال جل وعلا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ... النساء 65

وقال جل وعلا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ . الحجرات 1

قال ابن عباس : أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة .

قال مجاهد : أي لا تفتاتوا شيئاً على رسول الله حتى يقضي على لسان نبيه .

قال القرطبي : أي لا تقدموا قولاً على قول الله ولا تقدموا قولاً وفعلاً على قول رسول
الله .

قال الشنقيطي : لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا حلال إلا ما أحله الله ورسوله
ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسول الله .

فمن ضيع السنة فقد ضيع القرآن ، ومن كفر بالنبي فقد كفر بالرحمن .

ولقد حذر النبي من هذا الصنف الخبيث الذي يتغنى بالقرآن والإعراض عن سنة خير
ولد عدنان وحبيب الرحيم الرحمن .

ففس سنن أبي داود من حديث المقدم بن معد كزب أن النبي قال " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه (القرآن والسنة)، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته، يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، إن ما حرم رسول الله كما حرم الله " (5)

وخذ مني هذه الهدية وهى من كلام ابن القيم رحمه الله يقول : السُّنَّة مع القرآن على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن تكون السنة مؤكدة للقرآن من كل وجه وهذا يكون من باب تضافر الأدلة .

الوجه الثاني : أن تكون السنة موضحة لما أجمله القرآن .

فقد جاء الأمر بالصلاة في القرآن وجاءت السنة لتبين لنا كيفية الصلاة وحدود الصلاة إلى آخره .

الوجه الثالث : أن تكون السنة موجبة أو محرمة لما سكت عنه القرآن .

هذا واستغفر الله لي ولكم صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاد له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فيا أيها الحبيب الكريم : يجب أن يفوق حبك للحبيب حبك لنفسك ولوالدك بل والناس أجمعين روى البخاري ومسلم من حديث أنس أن النبي قال : " لا يؤمن أحدكم حتى

أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " (6)

سيقول الحاضرون جميعاً نشهد الله إننا نحب النبي أكثر من حبنا لأبائنا وأولادنا وأنفسنا .

أقول لك : قدم البرهان على هذه الدعوة .

ففي صحيح البخاري أن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذي نفسي بيده لأنت أحب إليّ من كل شئ إلا من نفسي .

فقال النبي " لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك "

فقال عمر : والذي نفسي بيده لأنت أحب إليّ من نفسي يا رسول الله

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " الآن يا عمر " (7)

قال أهل العلم : أي الآن قد كمل إيمانك يا عمر .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : قال الإمام الخطابي : " حب الإنسان لنفسه طبع ، وحب الإنسان لغيره إختيار بتوسط الأسباب " .

أي أنا أحبك لأسباب وأنت تحبني لأسباب ، أما حبك لنفسك وحبني لنفسي فهذه جبلّة طبيعية .

يقول: " وما طلب النبي من عمر حب الطبع بل أراد منه إلا حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جبلت عليه " .

أراد النبي أن يلفت نظر عمر إلى أن الله عز وجل قد منّ على عمر فنجاه من النار لما أرسل له المصطفى صلى الله عليه وسلم المختار .

وكن هناك فرق بين حب يدور على الإلتباع وبين غلو يدور على الإبتداع .
ففي البخاري من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي قال: " لا تطروني
كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله " (8)
قال الحافظ بن حجر : الإطراء : هو المدح بالباطل والكذب .
فلا إطراء ولا غلو .

والحق أن الغلو في رسول الله قد بلغ عند بعض مدعى المحبة حداً خطيراً فخلعوا
على رسول الله صفات ومنحوه خصائص الربوبية
كهذا الذي جعل رسول الله وحده ملاذه وملجأه إذا نزلت به الشدائد فقال المصطفى
صلى الله عليه وسلم مخاطباً المصطفى صلى الله عليه وسلم :
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم (9) .
ويقول آخر : فشأن محمد في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى فليس لمحمد من
محمد شئ ولذلك كان نوراً ذاتياً من عين ذات الله (10).
وهذه الشطحات كثيرة جداً ولا حول ولا قوة إلا بالله
ونقول لهؤلاء : تعالوا بنا لننتعرف على الحب الحقيقي ... الحب الصادق .

فهذا هو المغيرة بن شعبة يقف ليظلل على رأس النبي من الشمس في الحديبية فجاء
عروة بن مسعود الثقفي رسولا من قبل قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في
الحديبية .

وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي وكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة عند
رأس النبي ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ضرب يده
بنعل السيف، وقال:أخرَ يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم (11)
يبقي أن تعلم أن المغيرة بن شعبة ابن أخي عروة !!
هذا هو الحب الصادق .

وتخيل معي مشهد أبو دجاجة في غزوة أحد وهو يترس على رسول الله ، والنبل يقع
عليه وهو لا يتحرك .

وتدبر معي مشهد طلحة وهو يقاتل أمام النبي يمينه ويسره وتترس مع النبي بترس
واحد .

ففي البخاري من حديث قيس بن حازم ، قال : رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها النبي
يوم أحد" (12) هذا هو الحب .

لذلك استحق طلحة هذا الوسام العالي من سيد الناس محمد .
ففي سنن الترمذي أن الحبيب النبي قال: " من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على
وجه الأرض فلينظر إلى طلحة " (13)

وهذا أبو طلحة رضي الله عنه كان يسور نفسه بين يدي رسول الله ويرفع صدره
ليقيه من سهام العدو .

عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس على النبي محمد ، وأبو طلحة بين يديه
موجب عليه بجحفة له ، وكان رجلاً رامياً شديداً النزاع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاث

، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل ، فيقول انثرها لأبي طلحة ، قال ويشرف النبي ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك يا رسول الله (14) .

أحبتني في الله

هذا هو الحب الصادق : انهم جَسَدُوا الحب إلى واقع... إلى عمل... ليس الحب كلمة تقال .

إننا نرى أعظم احتفاء بالنبي قوله الصديق يوم أن اتهم المشركون رسول الله قوله الصديق يوم أن اتهم المشركون بالكذب ليلة الإسراء فرد الصديق بقوله : إن كان محمد قد قال ذلك فقد صدق (15) .

هذا هو الاحتفاء

نرى أن الاحتفاء الحقيقي في قوله لفاروق الأمة عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : أسنا على الحق؟! فيقول: بلى ، فيقول عمر : أليسوا على الباطل ؟ فيقول: بلى . فيقول عمر: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟! (16) هذا هو الاحتفاء .

نرى الإحتفاء الحقيقي يوم أن ارتقى النبي المنبر وحث الناس على الصدقة لتجهيز جيش العُسرة .

فجاء عثمان ، فقال :يا رسول الله عَلَيَّ مائة بغير بأخلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض النبي على الجيش ، فقام عثمان فقال يا رسول الله عَلَيَّ مائتا بغير بأخلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقام عثمان فقال : عَلَيَّ ثلاثمائة بغير بأخلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله من على المنبر وهو يقول :

" ما على عثمان ما فعل بعد هذه ، ما على عثمان ما فعل بعد هذه " (17)

هذا هو الاحتفاء

نرى الاحتفاء الحقيقي يوم أن نام على في فراش النبي ليلة الهجرة وهو يعلم أنه إلى فناء ! ولم لا .. فليفتني على وليبقى حامل لواء الدعوة الحبيب النبي .

هذا هو الإحتفاء .

فإن أرادت الأمة أن تحتفي بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فلنتبرأ من الشرك .. ولتحقق التوحيد.. وتحكم شريعة النبي .. وتوالى الله ورسوله والمؤمنين.. فلتحقق من جديد مبدأ السمع والطاعة لتسمع أمر ربها وأمر نبيها بلا تردد ولا انحراف.. ثم تنقب عن مكانة النبي في قلبها ورحم الله من قال :

من يدعي حب النبي ولم يفد ... من هديه فسفاهةٌ وهراء

فالحب أول شرطه وفروضه ... إذا كان صدقاً طاعةً ووفاءً

نسأل الله جل وعلا أن يجمعنا وإياكم على حوض الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

(1) رواه البخاري 452-461/10 في الأدب ، باب علامة حب الله عزوجل ، ومسلم رقم 2640 في البر والصلة ، باب المرء مع من أحب .

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (787) وابن ماجة (2117) وأحمد (1/214-294-283-247) وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (139).

- (3) رواه الترمذي رقم (3094) في التفسير ، باب من سورة براءة ، وأخرجه ابن جرير رقم (16631) ، (16632) ، (16633) وأورده السيوطي في الدر المنثور (230/3) وزاد نسبه لابن سعد وعبد بن حميد: وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والطبراني.
- (4) رواه مسلم رقم (125) في كتاب الإيمان / باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق .
- (5) رواه أبو داود رقم (4604) في السنة :باب لزوم السنة ، والترمذي رقم (2666) في العلم : باب رقم (60) وقال: هذا حديث حسن ، وأخرجه أحمد في المسند (130-132) وابن ماجه رقم 12 في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله .
- (6) رواه البخاري في الإيمان 55/1 ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم من الإيمان ، ومسلم رقم (44) في الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ، والنسائي في الإيمان أيضاً (114-115/8) باب علامة الإيمان وأخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم (167).
- (7) رواه البخاري في كتاب الإيمان والنذور (6632) :باب كيف كانت يمين النبي .
- (8) رواه البخاري (354-355/6) في الأنبياء ، باب قوله تعالى ((واذكر في الكتاب مريم)).
- (9) ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد الكيلاني ص :200 ط:الخطبي .
- (10) النغمات المقدسية في شرح الصلوات المحمدية الإدريسية محمد بهاء الدين البيطار. ط دار الجبل بيروت ص"9 .
- (11) رواه البخاري رقم (2731-2732) في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .
- (12) رواه البخاري رقم (3724) في فضائل الصحابة باب ذكر طلحة بن عبيد الله ، وفي المغازي .
- (13) أخرجه الترمذي رقم (3740) في المناقب/باب مناقب طلحة بن عبيد الله ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم 125 في المقدمة وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي (2940)
- (14) رواه البخاري (278/7) في المغازي باب "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما" وفي الجهاد، باب غزوة النساء وقتالهن مع الرجال ، ومسلم رقم (1811) في الجهاد وباب غزوة النساء مع الرجال .
- (15) ذكره الحافظ بن حجر في "الفتح" وقال رواه البيهقي في الدلائل .
- (16) رواه البخاري رقم (2731) في كتاب الشروط باب الشروط في الحرب .
- (17) رواه الترمذي رقم (3701) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه .

الغفلة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]
أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً.
حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار كرامته.

إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير..
أحبتني في الله :
" الغفلة "

هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم وكعادتنا فسوف نركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان الهام في العناصر التالية :
أولاً: التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة
ثانياً: الإستخفاف بأوامر الله ورسوله
ثالثاً: الغفلة عن الغاية
وأخيراً: ففروا إلى الله

فأعزني قلبك وسمعك فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من الأهمية بمكان والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعاً ممن يستمعون القلب فيتبعون أحسنه، وأن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الموحدين وعز الإسلام والمسلمين أنه ولي ذلك والقادر عليه .
أولاً: التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة

قال تعالي اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ : 1
كلمات تهز الغافلين هزاً... الحساب يقترب وهم في غفلة!! والآيات تتلى، ولكنهم معرضون ، لأنهم في اللهو والباطل والملذات والمتاع الزائل غارقون .

" لاهية قلوبهم " والقلب الغافل اللاهي عن الله صاحبه في ضنك وشقاء ولو كان في نعيم ورخاء ، فالشقاء ثمرة الضلال ، والضنك ثمرة الإعراض قال تعالي وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ

حَسْرَتِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى طه 124

فالشقاء ثمرة الضلال ، والضنك ثمرة الإعراض

أيها الأحبة : أليس عجيباً أن يعرض المسلم عن الله !؟

أيها الأحبة : أليس عجيباً أن يقضي المسلم جُلَّ عمره في غفلة عن مولاه !؟

لا تزيده نِعَمَ الله عليه إلا إعراضاً وعصياناً وضلالاً ، ولا يزيده حلم الله عليه ، وستر
الله عليه إلا تمادياً واستخفافاً وإعراضاً فمن الناس من يغتر بنعم الله عليه ، ويظن أن
الله عز وجل ما أنعم عليه بهذه النعم إلا لأن الله يحبه ، ولولا أنه أهل لهذه النعم ما
أنعم الله بها عليه ، مع أنه مقيم على المعاصي ، مقصر في الطاعات ، ونسى هذا
المسكين أن هذا استدراك له من رب العالمين ، كما قال سيد النبيين في حديثه
الصحيح الذي رواه أحمد والبيهقي في الشعب وغيرهما وحسنه الحافظ العراقي
وصححه الشيخ الألباني من حديث عقبة بن عامر أنه قال

((إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يُحبُّ وهو مقيم على معاصيه : فاعلم فإنما ذلك
منه استدراج)) (1)

ثم قرأ المصطفى صلى الله عليه وسلم قول الله جل وعلا فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ
فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الأنعام 44- 45

ومن الناس من يغتر بحلم الله عليه ، يظلم خلق الله وعباد الله ، يصد الناس عن سبيل
الله وعن دعوة الله ، يرتكب المعاصي والذنوب ولكن الله عز وجل يمهله فلا يأخذه
بذنوبه ، لا يؤاخذ به جُزْءاً منه !! فيظن هذا المسكين أن المعصية حقيرة وأن الذنب
هين !! ولو كان الذنب عظيماً عتد الله لأخذه الله بهذا الذنب في الدنيا وَلَعَجَلْ لَهُ
العقوبة !! ونسى هذا المسكين أن الله جل وعلا يمهله ولا يهمل كما في الصحيحين
من حديث أبي موسى أن النبي قال ((إن الله تعالى يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته
وقرأ المصطفى صلى الله عليه وسلم قول الله جل وعلا " وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ
الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ " هود : 102(2)

ومن الناس من ينصرف بكليته إلى الدنيا ، ويكرس لها كل وقته وجهده وفكره... بل
ويجعلها كل همه ويتفانى في السعى لها ولو على حساب الآخرة !!

ومع ذلك فقد يقولون : إنا نحسن الظن بالله ، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

وهذا الصنف من الناس لا يعرف الله طريقاً .. لا يعرف الله سبيلاً ، فإذا ما ذكر تذكر
...!! وإذا نُصِحَ ما انتصح !! وإذا دُلَّ صادق أمين على طريق الله سَخَّرَ به !!
واستهزأ منه وكان الأمر لا يعنيه !!

فكل همه الدنيا... كل غايته الدنيا... انصرف بكل طاقة إلى الحياة ، فهي معبوده الذي
يتوجه إليه بخالص العمل ، وبخالص العبادة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مع أنه لن يحصل من الدنيا إلا ما قدر الملك له قال المصطفى صلى الله عليه وسلم
وصححه الألباني بشواهد في الصحيحة من حديث أنس ومن حديث ابن عباس ومن
حديث زيد بن ثابت وغيرهم أن النبي قال ((من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره
وجعل فقره بين عينيه وفرق الله شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدر له ومن كانت

الآخرة همه جمع الله غناه في قلبه وجمع الله عليه شمله ، وأنته الدنيا وهي راغمة)) .

(3)

ألم يقل الحق جل وعلا : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
الطلاق : 2

ألم يقل الحق جل وعلا وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْأَعْرَافِ : 96

ألم يقل الحق جل وعلا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
لِلَّهِ وَقَارًا نوح : 10

ما لكم لا توحدون الله حق توحيدِهِ؟! ما لكم لا تعبدون الله حق عبادته؟! ما لكم لا
تعرفون الله حق معرفته؟! ما لكم لا تجلّون الله حق جلالته!!؟

وقد حذر الله جل وعلا من التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة تحذيراً شديداً فقال
سبحانه : أَلِهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ

شغلّتكم الدنيا وصرّفكم نعيمها الزائل فلم تنتبهوا إلا وأنتم في المقابر قد عاينتم
الحقائق كلها .

وفي التعبير القرآني بكلمة زرتم إشارة لطيفة إلى أن الميت في قبره ما هو إلا زائر
وحنماً ستتهي مدة هذه الزيارة ولو طال ليخرج هذا الزائر من القبر ليرجع مرة
أخرى إلى الله جل وعلا ليقف بين يديه ليرى ما قدمت يداه في كتاب عند ربي لا
يضل ربي ولا ينسى .

قال تعالى وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ
زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً وَيَوْمَ نُسَيِّرُهُ
الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ
صَفًا لَّفَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوَضِعَ الْكِتَابُ
فَلَمَّ تَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا الكهف : 45 -

49

تذكر وقوفك يوم العرض عُريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا ...

والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا ...

اقرأ كتابك يا عبد على مهل ... فهل ترى حرفاً غير ما كانا ...

فلما قرأت ولم تنكر قراءته ... وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا ...

نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعدي عصي للنار عطشاننا ...

المشركون غدا في النار يلتهبون ... والموحدون بدار الخلد سكانا ...

قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ

عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يونس : 7

هل سمعت هذه الآية؟ هذا قرآن يتلى !

من رضى بالدنيا واطمأن بها ولها ، محال أن يرجوا لقاء الله ... محال أن يفكر في لقاء الله .. لماذا؟!!

لأنه رضى بالحياة الدنيا واطمأن بها .. عمّر دنياه وخرّب أخراه !!
فهو يكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب .

هل يقبل أحد منا أن يترك العمارة والعمران لينتقل ليعيش في الخراب والصحراء؟!
مُحَال!!

عمّرنا الدنيا وخرّبنا الآخرة ، ولذا فنحن نخشى الموت ونكره الموت ، لأننا نكره أن
ننتقل من العمران إلى الخراب .

قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ
عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يونس : 7

يشرب الإنسان وَيَعْبُ من كؤوس الدنيا كما يشتهي ، فَيَفْرَط في أمور الآخرة ويتغافل
عن كل شئ يذكره بها .. لا يفكر في الآخرة .. بل إذا سمع آية تتلى خاف وغلقت أذنيه

! إذا سمع شريط محاضرة أو موعظة خاف وأغلق الكاسيت !

يخشى أن يفتضح أمام نفسه ، يخشى أن تعري نفسه أمام نفسه ، فهو لا يريد أن يسمع
الله موعظة ، ولا يريد أن يسمع الله أمراً ، ولا يريد أن يجتنب الله نهياً ولا يريد أن يقف

الله عز وجل عند حد !!

فيا أيها الغافلون، بل ويا أيها الطائعون :

اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ الحديد 20

هذا كلام ربنا جل وعلا وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الحقائق بعد ما
جلاها وبينها لنا القرآن فالقرآن يؤكد أن من غفل عن الله ومن نسي الله أنساه الله نفسه

قال جلا وعلا : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ الحشر 18 -
20

وقال تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمُ التوبة : 67

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
نسأل الله أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة .

الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يؤكد لنا هذه المعاني أيها
الأحباب وبيّن لنا حقيقة الدنيا حتى لا نتخذ الدنيا غاية يقول المصطفى صلى الله

عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث عمر بن عوف الأنصاري :

((ما الفقر أخشى عليكم وكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان
قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم)) (4)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي قال ((إن الدنيا خضرة وحلوة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء)) (5)

وفي سنن الترمذي أن النبي قال :

((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)) (6) وفي صحيح مسلم من حديث أنس يقول رسول الله :

((يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصْبَغُ في النار صبغةً ويقال له هل رأيت نعيماً قط ؟ فيقول لا وعزتك ما رأيت نعيماً قط ويؤتى بأبأس أهل الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة فيقال له هل رأيت بؤساً قط فيقول لا وعزتك ما رأيت بؤساً قط)) (7)

الله أكبر - أنساه نعيم الجنة كل شقاء ، والآخِر أنساه العذاب والجحيم كل نعيم !!
يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَيُنَادُونَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ هود : 105 : 108

اللهم اجعلنا من أهل السعادة ولا تجعلنا بفضلك ورحمتك لا بأعمالنا من أهل الشقاوة إنك ولي ذلك والقادر عليه يارب العالمين .

أيها الحبيب الكريم : من أجل ذلك كان يوصي النبي أصحابه والمؤمنين الصادقين من بعدهم بهذه الوصية فيقول لابن عمر رضي الله عنهما والحديث في البخاري ((يا ابن عمر كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) وكان ابن عمر يقول ((إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)) (8)

إن لله عبداً فُطِنَا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا ...

نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيِّ وطننا ...

جعلوها لِحْجَةٍ واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا ...

أيها الحبيب الكريم إنني أرجو لا تفهم هذه الآيات وهذه الأحاديث فهماً خاطئاً فنحن لا نريد بذلك أن ينصرف الناس عن الدنيا ، كلا .. بل إن الإسلام دين عمل ودين جدِّ ودين بطولة ، وكذلك لا نريد أيضاً أن ينغمس الناس في الدنيا على حساب الآخرة لا إفراطاً ولا تفريطاً .. بل إن الإسلام دين ودنيا .

فهذا رسول الله يقول في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

((اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنْيَايَ التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر)) (9)

انظر إلى هذا الجمع البديع بين الدين والدنيا .

فالدنيا مزرعة للأخرة ، وكل ذم وارد في القرآن والسنة في حق الدنيا لا ينصب أبداً على زمانها أو مكانها أو ما فيها من خيرات ونعيم فزمانها الذي هو الليل والنهار قد جعله الله خليفة لمن أراد أن يذكر أو أرادوا شكوراً .

ومكانها الذي هو الأرض قد جعلها الله عز وجل مسكناً لبني آدم وما فيها من خيرات ونعيم ، من سماء ، وأشجار ، وأنهار ، وكنوز وبحار إنما هي نِعَم الله عز وجل على عباده

إذن ما هو الذم الوارد في حق الدنيا؟! ما تفسيره؟! وما تفصيله؟!
الجواب أيها الأحباب : أن الذم الوارد في حق الدنيا في القرآن والسنة كما ذكرت ببعضه آنفاً ينصب على كل ما يُرتكب فيها من معاصي لا ترضي الله جل وعلا ...
فالعاقل اللبيب هو الذي يعرف حقيقة هذه الدنيا ويجعل الدنيا مزرعة للأخرة كما قال عي بن طالب رضي الله عنه :

الدنيا دار صدقٍ لمن صدَّقَهَا ، ودار غنى لمن تزود عنها ، ودار نعيم لمن فهم عنها فهي مهبط وحي الله وفيها مصلى أنبياءه وهي متجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة وكسبوا فيها الجنة .

لا بد من معرفة هذه الحقيقة لأن كثيراً من إخواننا حينما يتحدثون عن الدنيا يُشعرون كل صاحب نعمة في الدنيا أنه قد سقط ودلّ إلى الهاوية !! هذا كلام غير دقيق !!

إننا نركز الآن على جزئية خطيرة حُدّر منها الله جل وعلا في القرآن ألا وهي ((رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها)) غفل عن الآخرة !!

نسى القبر!! ونسى الموت!! ونسى العرض على الله!! ونسى الوقوف بين يدي الله!!
ونسى الميزان!! ونسى الصحف!! ونسى الجنة والنار!!

فتراه هائماً على وجه يأكل ويتمتع ويشرب وهو ينتسب إلى غلاسلام ولكنه لا يمثل للإسلام أمراً ولم يجتنب للإسلام نهياً ولم يقف للإسلام عند حد قال الله جل وعلا :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

الأعراف : 179

هذا هو الصنف الذي وصفه الله عز وجل بأنه أضل من الأنعام بنص القرآن أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

له عين ولكنه لا يرى بها !! له أذن ولكنه لا يسمع بها !! له قلب ولكنه لا يفقه به !! فهو لا ينظر بعينه إلا إلى الحرام !! ولا سمع بأذنه إلا الحرام !! ولا يفكر ولا يفقه بقلبه إلا من غير الرحيم الرحمن وعن غير سيد ولد عدنان !!

يا مسلمون: كم من الناس الآن ينتسب إلى الإسلام وهو في غفلة ، يكاد القلب أن يتمزق وينقطع !! لا يكاد يعرف شيئاً عن الدين ، لا يكاد ينتسب إلى الدين أبداً .

إن ذُكِرَ ما تذكر !! بل ربما يهزئ بك أو ربما يسخر منك .
إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ

وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ الْمَطْفِئِينَ 29-31

فانظر نفسي وإياكم أيها الأخيار الكرام بأن المال ظل زائل ، وبأن المنصب إلى زوال ، فالكرسي الذي تجلس عليه الآن أيها الحبيب جلس عليه قبلك المئات.. بل الألوف..

بل الملايين.. وسيجلس عليه من بعدك الألوفاً !! بل الملايين .. وسيجلس عليه من بعدك الألوفاً !! بل الملايين فاستحلفك بالله أن يقودك هذا الكرسي إلى الجنة ، إياك .. إياك أن يقودك هذا الكرسي إلى النار !!

فإن الكرسي زائل وإن المنصب فان ، وإن المال ذاهب .
المال ظل زائل وعارية مسترجعة والدنيا مهما طالت فهي قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة لأن الليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر وأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر ، فاتخذ الدنيا مزرعة للأخرة ولا تنسى الآخرة أبداً .

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور ...
إذا كورت شمسُ النهار وأدريت ... حتى على رأس العباد تسير ...
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعض الضياء كدور ...
وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير ...
وإذا الوحوش لدى القيامة ... وتقول للأملاك أين نسير ...
وإذا العشار تعطلت وتخربت ... خلت الديار فما بها معمور ...
وإذا الجليل طوى السماء بيمينه ... طوى السجل كتابه المنشور ...
وإذا الجليل طوى السماء بيمينه ... طوى السجل كتابه المنشور ...
وإذا الصحائف نشرت وتطايرت ... وتهتكت للعالمين ستور ...
وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مذعور ...
هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصير على الذنوب دهور ...
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ... ولها على أهل الذنوب زفير ...
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ... ولها على أهل الذنوب زفير ...
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاد صبور ...

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَفَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ الزمر 68- 69

أيها الأحباب الكرام : أذكر نفسي وإياكم وأسأل اله جل وعلا أن يجعلنا جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولى الألباب .
وأكتفي بهذا القدر لأعرج سريعاً على بقية العناصر في كلمات موجزة وأسأل الله أن يتقبل مني وإياكم صالح الأعمال وأقول قولي هذا واستقر الله لي ولكم ...

الخطبة الثانية

أن الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدهم الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستننى بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام

ثانياً " الإستخفاف بأوامر الله ورسوله

من أشبع صور الغفلة أن يستخف رجل ينتسب للإسلام أو امرأة لا تنتسب للإسلام
لأمر الله ورسوله ، فإذا قلت له : إن الله عز وجل يأمرك بالصلاة في وقتها .. الله عز
وجل يريد أن تخلص له العبادة كاملة .. الله عز وجل يأمرك أن تُدعن لشرعه .. الله
عز وجل يأمرك يا أختاه بالحجاب الشرعي ، رأيتَه يستخف بأمر الله ، بل يرد عليك
قائلاً : إني مشغول ولا أجد عندي وقت !!!

هذا واقع كلنا يعرفه كثير من المسلمين ، يسمع الأذان وهو في مكتبه أو وظيفته أو
في تجارته وكأنه ما سمع شيئاً وكأن الأمر لا يعنيه .
يا أختاه الحجاب فرض .. فتقولك أريد أن أقتنع أولاً !!

استخفاف بأوامر الله عز وجل وأوامر المصطفى صلى الله عليه وسلم ورب العزة
جل وعلا يقول لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا الْجاثية 18

أمر من الله تعالى للمصطفى وإلى المؤمنين الصادقين " ثم جعلناك على شريعة من
الأمر " .

واختزال الشريعة في الحدود أمرٌ ينبغي أن يترفع عنه كل من يحترم عقله ونفسه ،
فما الحدود إلا باب من أبواب المعاملات ، وما المعاملات إلا قسم من أقسام الشريعة
بمفهومها الشامل لأننا إذا ما تحدثنا عن الشريعة يخرج علينا على الفور من يقول :
تريدون أن تقطعوا الأيدي؟! تريدون أن ترجموا الزناة؟! تريدون كذا وكذا؟!!!
تتعطشون لشرب الدماء وسفك الدماء!!

أبدأ... إطلاقاً بل لا بد أن نعي أن إقامة الحدود لا بد له من ضوابط ، سفه أن تقطع يد
سارق وهو لا يجد لقمة وتعرض للتلطف والهلاك...

لا بد أن نفهم الدين... الإسلام دين عدل وإنصاف الإسلام دين يصلح البشرية في كل
زمان ومكان ، لا أقول صالح لكل زمان ومكان بل يصلح كل زمان ومكان ، لأنه
دين الله .

الإنسان الذي يشرع لئني جنسه إنساناً محكوم من ناحية الزمان والمكان ، محكوم
بضعفه.. محكوم بفقره ... محكوم بشهوته .. محكوم بهواه ... فإن رأى الإنسان في
مكان لن يرى ما في غيره .. وإن عاش الإنسان زماناً لن يعيش زماناً آخر، ومن ثم
يأتي تشريعه قاصراً ضيقاً أما تشريع الحق فهو تشريع الخالق الذي يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير .

لماذا لا نذهب لمنهج خالق الإنسان لنعلم ما يسعده وما يشقيه؟!
ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْجاثية 18
فالمؤمن الصادق يسمع هذا الأمر ويمتثل وشعاره " سمعنا وأطعنا " .

أمرك بالتوحيد : سمعنا وأطعنا ، أمرك بالصلاة : سمعنا وأطعنا
أمرك يا أختاه بالحجاب : سمعنا وأطعنا؟ ، أمرك بالإنفاق في سبيل الله سمعنا وأطعنا

كل أوامر الله ، وكل نواهي الله ، وكل حدود الله ، المؤمن الصادق يقف أمامها
بالسمع والطاعة :

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

النور 51 - 52

قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ الحجرات : 1-2

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي يُحْبَطُ
العمل فكيف بمن قَدَّمَ عقله ورأيه وسياسته على قول الله وقول رسول الله؟! تدبر هذا
جيداً .

بل أنا أقول : فكيف بمن رمى شريعة الله وسنة رسول الله بالجمود والرجعية
والقصور وعدم قدرتها وعدم مسايرتها لِمَدَنِيَّةِ القرن العشرين؟

رفع الصوت يحبط العمل ... فما بالك بمن يرمي شريعة الله ورسول الله بالقصور
والجمود والتخلف والرجعية وعدم قدرتها لمسايرة روح هذه المدينة!!

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ
يَتَّخِذُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا
بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا النساء 60 - 61

فالذي يسمع ويطيع هو المؤمن .. والذي يصد هو المنافق بنص القرآن أسأل الله أن
يحفظني وإياكم من التفلق وأن يجعلني وإياكم جميعاً من المؤمنين الصادقين وأتضرع
إليه أن يرد الأمة إلى شريعته رداً جميلاً أنه ولي ذلك والقادر عليه .

ثالثاً : الغفلة عن الغاية

أيها الوالد الكريم .. أيها الأخ الكريم .. أيها الإبن العزيز .. أيتها الأخت الفاضلة :
إننا مخلوقون لغاية لا بد أن نعيش لها من أجلها وألا نتغافل عنها أبداً ما
هي؟

قال تعالى وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُونِ الذاريات 56-57

هذه هي الغاية التي من أجلها خلقت ، ... ورد في الأثر الإلهي عن رب العزة أنه قال
(.. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد
منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا
على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً..يا عبادي لو أن أولكم
وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته، ما
نقص ذلك مما عندي إلا كما نقص المخييط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي
أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك
فلا يلومن إلا نفسه)) (10)

وقال جل وعلا وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فاعرف الغاية .
والعبادة لا تقتصر على الصلاة والزكاة والصيام والحج ، بل إن العبادة إسم جامع
لكل ما يحب الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

وأخيراً : ففروا إلى الله

والفرار نوعان : فرار السعداء وفرار الأشقياء

وفرار السعداء : هو الفرار إلى الله .

وفرار الأشقياء : هو الفرار من الله

ومع ذلك فلن تفر منه أبداً فلا ملجأ منه إلا إليه !! أين تذهبون !؟

يا نفس قد أزف الرحيل ... وأظلك الخطبُ الجليلُ ...

فتأهبي يا نفس لا يلعب ... بك الأمل الطويلُ ...

فلتنزلن بمنزلٍ ... ينسى الخليل به الخليلُ ...

وليركين عليك فيه ... من الثرى ثقلُ ثقيلُ ...

قرن الفناء بنا جميعاً ... فلا يبقى العزيز ولا الدليلُ ...

عد إلى الله أيها الحبيب ... يا من أشركت !! يا من عصيت !! يا من وقعت في كبائر

الذنوب !! يا من وقعت في عمل قول لوط !! يا من ضيعت الصلاة !! يا من ضيعت

الزكاة !! يا من عقتك الوالدين !! يا من ارتكبت الكبائر !! عد إلى الله واطرق باب

فمجال - محال أن تطرق الباب وأن يغلق الباب في وجهك قل يا عبادي الذين أسرفوا

على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيمُ

الزمر 53

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ *

الَّذِينَ يَبْتِغُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَلِ عَمْرَانَ : 133 -

135

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ

وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ لَّنَا وَغَفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ التحريم 8

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم لا تدع لأحد منا في هذا الجمع المبارك ذنباً إلا غفرته .

اللهم لا تدع لأحد منا في هذا الجمع المبارك ذنباً إلا غفرته .. ولا مريضاً إلا شفيته ،

ولا ديناً إلا قضيته ، ولا همماً إلا فجرته ولا ميتاً لنا إلا رحمته ، ولا عاصياً بيننا إلا

شرحت صدره وهديته ولا طائعاً معنا إلا زدته وثبته .

اللهم لا تتخلى عنا بذنوبنا ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، لا إله لنا سواك فندعوه ولا

رب لنا غيرك فترجوه .

يا منقذ الغرقى .. ويا منجي الهلكى .. ويا سامع كل نجوى .. يا عظيم الإحسان .. يا

دائم المعروف .

اللهم اغفر ذنوبنا.. اللهم استر عيبتنا.. اللهم فرج كربنا.. اللهم اكشف همنا.. اللهم أذل

غمنا .

اللهم اختم بالصالحات أعمالنا ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وبلغنا مما يرضيك آمالنا ..

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر .

اللهم أت نفوسنا تقواها وذكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا واجعل أرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأعلى بفضلك كلمة الحق والدين .

اللهم احمل المسلمين الحفاة واكسوا المسلمين العراة ، وأطعم المسلمين الجياع .

اللهم اجعل بلدنا مصر واحة الأمن والأمان ، اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان .

اللهم اجعل مصر سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم ارفع عن مصر الغلاء والبلاء والوباء برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم لا ترحم مصر من التوحيد والموحدين .

اللهم وفق ولاة الأمر إلى كل ما تحبه وترضاه برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم استرنا ولا تفضحنا وأكرمنا ولا تهنا وكن لنا ولا تكن علينا وإن أردت بالناس

فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونيين ، ولا مفرطين ولا مضيعين ولا مغيرين

ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .

أيها الخيار الكرام:

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني أنا

ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون به إلى

الجنة ويلقى به في جهنم وأعوذ بالله أن أنكركم به وأنساه صلى الله وسلم على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأقم الصلاة .

(1) رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في

الصحيحة رقم (414) وهو في صحيح الجامع حديث رقم (561) .

(2) أخرجه البخاري (8/267) في التفسير باب قوله " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ

القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " ومسلم رقم (2583) في البر والصلة

والآداب ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (3109) في التفسير باب ومن سورة

هود ، وأخرجه ابن ماجة رقم (4018) في الفتن باب العقوبات .

(3) رواه الترمذي رقم (2467) في صفة القيامة ، باب رقم 31 وصححه الألباني

في الصحيحة رقم (949) .

(4) أخرجه البخاري (11/208) في الرقائق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا

والتنافس فيها ، وفي الجهاد باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب ، وفي المغازي

باب شهود الملائكة بديراً ، وأخرجه مسلم رقم (2961) في الرقاق ، والترمذي رقم

(2464) في صفة القيامة ، باب خوف الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله

عليه وسلم على أمته أن تبسط لهم الدنيا .

(5) رواه مسلم رقم (2742) في الذكر باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، والترمذي رقم (2192) في جملة حديثه عن الفتن ورواه ابن ماجة رقم (4000) في الفتن باب فتنة النساء .

(6) أخرجه الترمذي رقم (2321) في الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل ، ورواه ابن ماجة رقم (2410) في الزهد ، باب مثل الدنيا وهو حديث حسن .

(7) أخرجه مسلم رقم (28907) في المنافقين ، باب صبح أشدهم بؤساً في الجنة .

(8) رواه البخاري أخرجه البخاري (199 / 11 - 200) في الرقاق ، باب قول النبي " كن في الدنيا كأنك غريب " والترمذي رقم (2334) في الزهد باب ما جاء في قصر الأمل .

(9) رواه مسلم رقم (3427 ، 3428) في الدعوات ، باب ما يقول إذا رأى المبتلى ورواه أيضاً ابن ماجة من حديث ابن عمر والبخاري والطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة وحسن اسناده المنذري في الترغيب والترهيب .

(10) رواه مسلم رقم (2577) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (2497) في صفة القيامة ، باب رقم (49) .

وقفة مع النفس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليقه ، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته .

وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأحباب الكرام ، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم جميعاً منزلاً من الجنة.

وأسال الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتى في الله :

عام هجرى جديد قد أهل علينا اليوم بذكرياته الكريمة التي تثير الجراح والأفراح .. والألام والأمال فى آن معاً .

ولست متحدثاً اليوم عن الهجرة فقد تحدثنا مراراً فى أعوام ماضية عن الهجرة .
عام يهل علينا .. وعام مضى .. فيها هى الأيام تمر والأشهر تجرى وراءها تسحب معها السنين ، وتجر خلفها الأعمار وتطوى حياة جيل بعد جيل ، وبعدها سيقف الجميع بين يدي الملك الجليل ليسألنا عن الكثير والقليل مصداقاً لقوله سبحانه :

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ % وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ
[الزلزلة:7-8]

من نفيس ما قاله لقمان الحكيم لولده : أى بنى إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا قد
استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة !!
فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها !!
وكان ثوبه بن الصمة رحمه الله تعالى من أشد الناس محاسبة لنفسه فلما بلغ الستين
من عمره تقريباً . عد أيام سنواته التي مضت فوجدها تزيد على واحد وعشرين ألف
يوم .

فصرخ وقال : يا ويلاه .. يا ويلاه !!
ألقى ربي بواحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفى كل يوم آلاف الذنوب!!?
والناس صنفان :

صنف حاسب نفسه وانتصر عليها وقهرها وجعلها مطية إلى الجنة !!
وصنف ظفرت به نفسه وانتصرت عليه نفسه وأمرته بالشهوات والنزوات فامتثل
أمرها فقادته إلى النار !!
قال تعالى : فَأَمَّا مَنْ طَغَى % وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا % فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى % وَأَمَّا
مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى % فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى
[النازعات:37-41]

وقال تعالى : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا
[الشمس:7-10]
عام مضى وانتهى ولن يعود إلى يوم القيامة فأبعدنا عن الدنيا عاماً .. وقربنا إلى
الآخرة عاماً .

فأحببت أن يقف كل واحد منا مع نفسه وقفه صدق ليحاسبها الآن حساب الشريك
الشحيح قبل أن يحاسب بين يدي الله جل وعلا يوم القيامة . ولذا فإن عنوان لقائنا
اليوم مع حضراتكم .
(وقفه مع النفس)

وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعاً فسوف ينتظم حديثي
مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية :
أولاً : النفس فى القرآن الكريم .
ثانياً : محاسبة النفس .
ثالثاً : مشقة الحساب يوم القيامة .

وأخيراً : أفق يا سابحاً فى بحار الغمرات !! فأعرنى قلبك وسمعك أيها الكريم فإن
هذا الموضوع والله من الأهمية والخطورة بمكان .
أولاً : ((النفس فى القرآن))

لقد وصف الله النفس فى القرآن بثلاث صفات وهى النفس المطمئنة ، والنفس
اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء .

قال تعالى فى حق النفس المطمئنة : يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ % ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي [الفجر:27-30]

والنفس مطمئنة هي التي اطمأنت بالرضا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً .

هي النفس التي اطمأنت إلى أمر الله ونهيه .

هي النفس التي اطمأنت إلى وعد الله وخافت من وعيده . هي النفس التي اطمأنت بذكر الله وعبادته وعبوديته .

هي النفس التي اشتاقت لربها جلّ وعلا .

والنفس اللوامة هي النفس التي قال الله في حقها بل وأقسم بها في قوله : لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ [القيامة:1-3]

والنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر .

تلوم صاحبها على الخير لماذا لم تكثر منه !؟

تلوم صاحبها على الشر لماذا وقعت فيه !؟

قال الحسن : إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه في كل حالاته ، أما الفاجر فإنه يمضى قدماً لا يعاتب نفسه !!

فالمؤمن يحاسب نفسه ويعاتب نفسه . أما الفاجر فيرى نفسه في أعلى عليين وفي أكمل درجات التمام والكمال .

أما النفس الأمارة بالسوء فهي التي قال فيها إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ [يوسف: 53]

وهذه النفس هي التي تأمر صاحبها بالشر والمعصية دوماً !! وتريد أن تخرجه من طريق الهداية إلى طريق الغواية والضلال !!

هذه النفس إن أهملها صاحبها وأهمل حسابها قادتته إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة .

وإن استعان بالله جلّ وعلا ووقف لها بالمرصاد وحاسبها محاسبة الشريك الصحيح قادتته إلى الفلاح في الدنيا والآخرة .

وهذا هو العنصر الثاني :

((محاسبة النفس))

قال الله جلّ وعلا ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [الحشر:18]

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزئوها قبل أن تُوزنوا !! وتزينوا للعرض الأكبر يوم لا تخفى منكم خافية .. فإنما يخف الحساب يوم القيامة عن حاسب نفسه في الدنيا.

وقال ميمون بن مهران : قد لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه محاسبة الشريك الصحيح .

وقال الحسن البصرى : إن المؤمن قوَّام على نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .

نعم أيها الأحباب :

فالمسلم إذا حاسب نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسب خف فى يوم القيامة حسابه وحضر عند السؤال بين يدي الله جوابه .

والمحاسبة نوعان : محاسبة قبل العمل ومحاسبة بعد العمل .

محاسبة قبل العمل : لمن أعمل ؟ وكيف أعمل ؟!

لماذا عملت ؟! لماذا تكلمت ؟ لماذا صَمَتَ ؟ لماذا أحببت ؟ لماذا أبغضت ؟ لماذا واليت ؟ لماذا عاديت ؟ لماذا أعطيت ؟ لماذا منعت ؟ لماذا أتيت ؟ لماذا دخلت ؟ لماذا خرجت ؟

هل تتبغى بعملك وجه الله ؟ ثم هل كان عمك هذا موافقا هدى رسول الله ﷺ ؟

فالسؤال الأول عن الإخلاص والسؤال الثانى عن المتابعة .

فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً .

والخالص هو ما ابتغيت به وجه الله والصواب هو ما وافقت به هدى الحبيب رسول الله ﷺ .

ومحاسبة بعد العمل : إن المؤمن يشمر عن ساعد الجد والطاعة فإن رأى نقصاً أتمه وإن رأى قدمه قد زلت فى حُفْرِ المعاصى وبرك الذنوب تاب وأناب إلى علام الغيوب .

إن رأى أنه مع الغافلين ومن الغافلين تذكر رب العالمين وعاد إلى الله سبحانه وتعالى فهو يحاسب نفسه على كل شىء !! يحاسب نفسه على ما تكلم به لسانه ، أو مشى رجلاه أو سمعت أذناه .

مصدقاً لقول مولاه : إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً [الإسراء : 36]

فالمؤمن الصادق هو الذى يحاسب نفسه على كل شىء . المؤمن الصادق دائماً يتهم نفسه بالتقصير ولا يرى للنفس فضلاً ولا خيراً إلا برحمة الله له .

الأخ الحبيب الكريم : حاسب نفسك الآن وقل لها ، يا نفس إن العمر هو بضاعتى فإن ضاع العمر فقد ضاع رأس المال ولن أربح أبداً .

يا نفس لقد أمهلنى الله هذا اليوم الذى أحياه وأعيش فيه الآن . وإذا توفانى فربما تمنيتى الرجعة لتعملى صالحاً .

فتوهى يا نفس أنك قد طلبت الرجعة من الله وأعادك الله جلّ وعلا فلا تضيعى هذا اليوم واعملى صالحاً قبل أن تقولى كما جاء فى كتاب الله : رَبِّ ارْجِعُونِ % لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ [المؤمنون:99-100]

فيأتى الجواب كالصفحة ((كلا)) قال تعالى : كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: 100]

ويحك يا نفس !! إن كنت قد تجرأت على معصية الله وأنت تعتقدين أن الله لا يراك فما أعظم كفرك بالله !!! .

ويحك يا نفس !! إن كنت قد تجرأت على معصية الله مع علمك أن الله يراك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك من الله .

ويحك يانفس !! هل تعرفين قدر نعمة الإسلام !!

يا نفس هل عشت بالإسلام وبذلت للإسلام !!

يا نفس هل حققت التوحيد لله جلّ وعلا !!
يا نفس هل استعنت بالله في كل أمر !!
يا نفس هل أخلصت العبادة لله وحده !!
يا نفس هل أذعنت لشرع الله وحده !!
يا نفس هل حافظت على الصلاة !!
هل حافظت على صيام رمضان هلى حافظت على الزكاة والحج مع قدرتك !!
يا نفس هل حرصت على بر الوالدين . يا نفس هل صدقت الوعد ووفيت العهد !!
يا نفس هل أعطيت من حرمك ووصلت من قطعك . وعفوت عن من ظلمك !!
يا نفس هل أحسنت إلى الجيران ؟ هل أحسنت إلى الناس فى كل مكان ؟ هل تخلقت
بأخلاق الإسلام ؟ هل حرصت على قراءة القرآن ؟ هل حرصت على قيام الليل لله
جلّ وعلا !!

ويحك يا نفس إلى متى تعصين وعلى الله تجترأين؟!
ويحك يا نفس إن القبر بيتك ، والتراب فراشك ، والدود أنيسك ، والموت موعدك .
ويحك يا نفس أما تنظرين إلى أهل القبور ، كانوا كثيراً وجمعوا كثيراً فأصبح جمعهم
بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً!!؟
ويحك يا نفس أمالك إليهم نظرة!!؟
أما لك فيهم عبرة !! أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين!!؟
هيهات .. هيهات .. ساء ما تتوهمين !!
ويحك يا نفس .. كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب !!
ويحك يا نفس .. أما تخافين من سوء الخاتمة !!
ويحك يا نفس أما تخافين من عذاب القبر وأيامه .. أما تخافين من سكرات الموت
وآلامه .. أما تخافين من الحساب ودقته .. أما تخافين من الصراط وحدته !!
أما تخافين من النار والأغلال والأهوال !!
أما تخافين أن تحجبى عن النظر إلى وجه الكبير المتعال !!
ويحك يا نفس .. اعلمى قبل أن لا تعملى !!!
وحاسبى قبل أن تحاسبى !!!
فإن الوقوف بين يدي الله طويل .. وإن الحساب عسير .. وإن الخطب كبير !!
وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء
(مشقة الحساب يوم القيامة)

أخى الحبيب : هل فكرت فى يوم سيتولى حسابك فيه ملك الملوك جلّ وعلا!!؟ هل
فكرت فى هذا المشهد؟!
ستخرج من قبرك حافياً عارياً كما فى صحيح البخارى ومسلم من حديث عائشة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يُحشر الناس يوم القيامة حُفَاءً عُرَاءً غُرُلًا)) (1)
حفاة : لا يلبسون نعلاً عراة : لا يلبسون ثياباً .
غرلا : (جمع أغرل) وهو الطفل قبل ختانه !!
ستحشر إلى الله بهذه الهيئة وتصور معى هذه المشاهد التى تخلع القلوب !!

فى أرض المحشر والناس فى طريقهم للحساب بين يدى الله جل جلاله كما فى الحديث الذى رواه الترمذى بسند حسن يقول : ((يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاةً وصنفاً ركباناً وصنفاً يمشون على وجوههم)) قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : ((إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كلَّ حدبٍ وشوك)) (2) الله أكبر .. اللهم سلِّمْ .. سلم يا رب العالمين .

صنفاً مشاةً يحشرون إلى الله جل وعلا وهم يمشون على أقدامهم .
وصنفاً ركباناً يركبون فى هذا اليوم العصيب !
نعم يركبون نجائب من نجائب الآخرة عليها سُرج من الذهب ، لا يعرف عظمتها وقدرها إلا من أعداها جل جلاله الله .

قال جلَّ وعلا : ((يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا)) [مريم:85]

وفداً : أى ركباناً ، يركب التقى وهو فى طريقه إلى رب العلى .
وصنفاً على وجوههم !! كيف يمشون على الوجوه ؟!
إن الذى أمشى الحية على بطنها بدون أَرْجُلٍ سيمشى الكافر على وجهه يوم القيامة .
قال تعالى : وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ

زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [الإسراء: 97]

وقال تعالى : الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا [الفرقان:34]

وفى صحيح البخارى من حديث أنس سأل رجلٌ رسولَ الله فقال يا رسول كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم ((أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)) (1) قال قتادة : بلى وعزة ربنا ، إنه لقادر على أن يمشى الكافر يوم القيامة على وجهه .
تصور معى

هذه المشاهد التى تخلع القلب .

صنف من الناس يحشر كما بينا فى ((سلسلة الدار الآخرة)) يحشر والنور يشرق من وجهه ، وعن يمينه ، ومن بين يديه .

اللهم اجعلنا من أهل الأنوار قال تعالى : يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ [الحديد: 12]

وصنف يحشر ونوره على إبهامه يوقد مرة ، ويطفأ مرة ، ومنهم من يحشر وهو ينادى فى أرض المحشر بالتلبية ((لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك)) ... مَنْ هَذَا !!

إنه الذى مات بلباس الإحرام فى الحج والعمرة ، يبعث يوم القيامة ملبياً كما مات ملبياً .

وهذا ينطلق إلى أرض المحشر وينبعث منه دم ، اللون لون دم ، والريح ريح المسك .. من هذا؟

إنه الشهيد فى سبيل الله جلّ وعلا
ومنهم من يبعث بطنه منتفخة لا يقوى على القيام بل ولا على الجلوس يتخبط ينام
يمنا وينام يسراً .. من هذا ؟ إنه أكل الربا .
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ [البقرة: 275]
وهذا آخر يحشر ومن حوله من الأطفال الصغار يدفعونه دفعاً ويجرونه جراً وقد
تعلقوا به !!

من هذا ؟! ومن هؤلاء ؟! إنه أكل أموال اليتامى وهؤلاء اليتامى !!
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا
[النساء: 10]

وهذا ينطلق فى أرض المحشر وهو يحمل على كتفيه ما سرقه فى هذه الدنيا !! من
سرق بيضة !! من سرق دجاجة !! من سرق نعجة !! من سرق ناقة !! من سرق
بنكاً !! من سرق أمة !!

وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران: 161]
ومنهم من يبعث وكأس الخمر معلق فى يده .

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((يبعث كل عبد على ما مات عليه)) (1)
هؤلاء جميعاً بهذه المناظر التى تلخع القلوب قد انقادوا لداعية كريم من عند الله جاء
ليقود البشرية كلها للحساب بين يدى الملك جل جلاله
السؤال همس !! والكلام تخافت !! وجلال الحى القيوم قد غمر المكان والنفوس
بالحيبة والعظمة والجلال .

قال سبحانه : يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ
إِلَّا هَمْسًا % يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا % يَعْلَمُ مَا
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا % وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ
مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا
[طه: 108-111]

بعد هذا الحشر حساب وعرض !! تصور نفسك الآن بين يدى الله جلّ وعلا ليحاسبك
عن كل ما قدمت .

الملائكة تحيط بك !! البشرية كلها فى أرض المحشر !! الأنبياء والملائكة ، والجن ،
الكل صامت !! الكل خاشع !! وجلال الحى القيوم غمر النفوس والمكان بالهيبة
والعظمة والجلال .

وفجأة : أين فلان بن فلان ؟! ... أنا ؟!!!!

هذا هو اسمى .. ماذا تريدون يا ملائكة الله ؟

أقبل للعرض على الله جلّ وعلا .

فتتخطى الرقاب يا عبد الله صفوف الملائكة و صفوف الإنس و صفوف الجن لترى
نفسك بين يدى الملك .

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم r : كما فى الصحيحين من حديث عائشة :
((من نوقش الحساب يوم القيامة غُذِب))

فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ :

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ % فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق:7-8]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم r : ((يا عائشة ليس ذلك هو الحساب إنما ذلك

هو العرض فمن نوقش الحساب يوم القيامة عذب)) (1)

ومعنى العرض : أن الله سيوقفك بين يديه ليعرض عليك الأعمال كلها !! ليعطيك صحيفة هذه الصحيفة لم تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها .

فكم من معصية قد كنت نسيتها ذكرك الله إياها !!؟

وكم من مصيبة قد كنت أخفيتها أظهرها الله لك وأبداها !!؟

فيا حسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك !!

اسمع لحبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم r وهو يقول كما في الصحيحين من

حديث عدى بن حاتم :

((ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن

منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا

يرى إلا النار ، تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة)) (1)

فإذا كنت من الصادقين المؤمنين الذين حاسبوا أنفسهم في هذه الدنيا أعطاك الله كتابك

بيمينك وقربك منه سبحانه ، وأدناك وستر عليك .

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث عمر رضى الله

عنهما :

((يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع رب العزة عليه كفه ويقرره بذنوبه

ويقول : لقد عملت كذا وكذا ، فى يوم كذا وكذا ، فيقول المؤمن : رب أعرف رب

أعرف ، فيقول الله جل وعلا : ولكنى سترتها عليك فى الدنيا ، وأغفرها لك

اليوم)) (2)

فيعطيك كتابك بيمينك فيشرق وجهك وينبعث النور من أعضائك ويقال لك : انطلق

إلى إخوانك إلى من هم على شاكلتك من أهل الأنوار فذكرهم بأن مصيرهم اليوم هو

الجنة فينطلق فى أرض المحشر ، وكتابه بيمينه ، والنور يشرق من وجهه ، ومن بين

يديه ، ومن أعضائه .

فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

قال الله جل وعلا :

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهُ % إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ

% فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ % فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ % قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ % كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا

بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة:19-24]

وإن كانت الأخرى أعادنا الله وإياكم من الأخرى .

أعطاه الله كتابه بشماله أو من وراء ظهره وأسودَّ وجهه وكسى من سراويل القطران

فى أرض المحشر يصرخ ويقول :

يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهُ % يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ % مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَهُ % هَلْكَ عَنِّي

سُلْطَانِيَهُ % خُدُوهُ فَعُلُوهُ % نُمْ الْجَحِيمَ صَلْوُهُ % نُمْ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا

فَأَسْلُكُوهُ % إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ % وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ % فَلَيْسَ

لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ % وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ % لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ
[الحاقة: 25-37]

دع ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذب
لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
الليل فاعلم والنهار كلاهما أنفا سنا فيهما تعد وتحسب
وفي صحيح مسلم من حديث أنس :

ضحك عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجره .

فقال لأصحابه : ((ألا تسألوني : مما أضحك ؟))

فقالوا : ممن تضحك يا رسول الله ؟

فقال أضحك من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول العبد لربه سبحانه : يارب ألم
تجرني من الظلم ؟ فيقول ربنا : بلى ، فيقول العبد : فأنا لا أجزى شاهداً على إلا من
نفسى ، فيختم على فيه ، ويأذن الله لأركانها وجوارحه أن تشهد فتنتطق فتشهد عليه
فيخل الله بيه وبين الكلام بعد ذلك فيلعلن أركانها وجوارحه ويقول : سحقاً لكن ، فعنكن
كنت أناضل))

يقول الله جل وعلا : أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
% وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ % وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا
تَعْقِلُونَ % هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ % اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ % الْيَوْمَ
نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ % وَلَوْ نَشَاءُ
لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ % وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى
مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ [يس: 60-67]

أيها الحبيب : اعلم بأنك لن تترك سدى فما خلقت سدى ، وما تركت سدى وما خلقت
عبثاً ولن تترك هملاً .

قال سبحانه : أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى [القيامة: 36]

وقال سبحانه : [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ][المؤمنون: 115]

أيها الحبيب : لم الغفلة ؟! وإلى متى هذا البعد ؟!

إلى متى هذه الغفلة ؟! إلى متى هذا الانحراف ؟!

أيها الحبيب : أقبل فإن الانفاس محسوبة ، وإن الأيام معدودة وإن أقرب غائب تنتظره
هو الموت !!

فيا أيها الوالد ويا أيتها الأخت ويا أيها الأخ ويا أيها الإبن الحبيب :

فلنعاهد ربنا أن نمثل أمره وأن نجتنب نهيه وأن نقف عند حدوده وأن نبدأ صفحة
جديدة في حياتنا لأنك لا تضمن متى سيأتيك ملك الموت .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من
اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الحبيب الكريم :

وأخيرا : أفق يا سابحاً في بحار الغمرات

أيها اللاهى . أيها الساهى . أيها المفرط أيها العاصى فلنعد جميعاً إلى الله ولنبدأ
صفحة طاعة مشرقة مع الله .

فلا تياس ولا تقنط فإن الفقيه هو الذى لا يُقنط الناس من رحمة الله ونعوذ بالله ممن
يملأ القلوب قنوطاً .

بل إن الله لا يجمع على العبد أمنين أو خوفين فمن أَمَّنَكَ فى الدنيا عَرَّضَكَ للخوف فى
الآخرة ، ومن خَوَّفَكَ فى الدنيا وجهك إن شاء الله تعالى لحياة الأمن فى الآخرة .

فيا أيها الخيار الكرام :

إعلموا أننا عبيده وأنه الرحمن الرحيم

فأقبل على الله سبحانه . واتهم نفسك وقف على عيوبها وأحذر نفسى وإياك بأن مكن
الخطر أن تتخدع بنفسك !! وأن تغرك نفسك !!

وأن تظن أنك على الهدى والخير مع تفريطك وتقصيرك . ولقد قالت عائشة رضى
الله عنها فى قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ... لو لقيت الله فى كل يوم بذنب فعد
أيام عمرك لتقف على حجم الذنوب ولا تنتظر إلى صغر المعصية ولكن انظر فى حق

من عصيت .

اتهم نفسك أذى الحبيب فهذه عائشة الصديقة التى أنزل الله براءتها من فوق سبع
سموات .

التى أحبها النبى صلى الله عليه وسلم من كل قلبه قال عبد الله بن عمرو كما فى
صحيح البخارى : ((من أحب الناس إليك يا رسول الله ؟ قال "عائشة" ، قال من

الرجال ؟ قال "أبوها" قال ثم من ؟ قال "عمر")) (1)

عائشة يسألها رجل ويقول : يا أمه أريد أن أفهم قول الله سبحانه :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ [فاطر : 32]

فألت عائشة : أى بنى ، السابق بالخيرات هؤلاء هم الذين سبقوا مع رسول الله وشهد
لهم رسول الله بالجنة .

والمقتصد : هم الذين مضوا على أثر رسول الله من أصحابه حتى لحقوا به .

والظالم لنفسه : مثلى ومثلك !!!

فألت : ((والظالم لنفسه مثلى ومثلك)) فجعلت عائشة رضى الله عنها نفسها معنا .

وهذا عمر فاروق الأمة ينام على فراش الموت ويثنى عليه ابن عباس خير الثناء .

فيقول عمر : والله إن المغرور من غررتموه ، وددت والله لو أن لى ملء الأرض
ذهبا لاقتديت به من عذاب الله قبل أن أراه . وددت أن أخرج من الدنيا لا لى ولا على

وخذ هذا المشهد لتابعى علم إنه سفيان الثورى رحمه الله .

لما نام على فراش الموت دخل عليه حماد بن سلمة فقال له حماد : أبشر يا أبا عبد الله إنك مقبل على من كنت نرجوه وهو أرحم الراحمين !!

فبكى سفيان الثوري وقال : يا حماد أستحلفك بالله أتظن أن مثلى ينجو من النار !!؟ فلا تغتر بعمل .. ولا تغتر بطاعة .. فنفسك أمانة .

ما وفقت للخير إلا بتوفيقه ومدده فضع أنفك في التراب ذلاً لمولائك .

لا تغتر بجاه .. لا تغتر بمنصب أو كرسي ، فلو دام الكرسي لغيرك ما وصل إليك !! ولا تغتر بمال ولا تغتر بأولاد ، ولا بطاعة لله .

وكن دائماً على وَجَلٍ فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون .

ومع هذا أقبل على الله بجد ورجولة .

أقبل على طاعة الله امتثل أمره واجتنب نهيه وقف عند حدوده ولا تنشغل بالدنيا ، لا

تقضى عمرك كله للدنيا فإن الدنيا إلى زوال وإن العمر إلى فناء . فمهما طالت دنياك

فهى قصيرة !! ومهما عظمت دنياك فهى حقيرة !! لأن الليل مهما طال لا بد من

طلوع الفجر ولأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر .

واسمع لهذا النداء العلوى من الرب العلى جل وعلا :

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر:53]

وفى الحديث القدسى الجليل الذى رواه مسلم والترمذى من حديث أنس واللفظ

للترمذى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :

((قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان ولا أبالى

، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك على ما كان منك

ولا أبالى ، يا بن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً

لأتيتك بقرابها مغفرة)) (1)

وضع رأسك فى الأرض شكراً لله فإنك من أمة الحبيب رسول الله فإن أمة النبى

صلى الله عليه وسلم أمة مرحومة وأختم بهذا الحديث الذى رواه مسلم أنه تلا قول الله

تعالى فى ابراهيم رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ

عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [ابراهيم:36]

وقرأ قول الله فى عيسى إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

[المائدة:118]

فبكى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم أمتى أمتى !! يا جبريل اذهب الى

محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله

بما قال وهو أعلم فقال الله جلَّ وعلا : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك

فى أمتك ولا نسوءك (2).

فأقبل ولا تخف ما من يوم يمر عليك إلا وربك ينادى كما فى صحيح مسلم من حديث

أبى موسى أنه قال :

((إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء

الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)) (3)

أيها الشباب أيها الأحباب عودوا إلى الله وليحاسب كل واحد منا نفسه حسابا شديدا.

فإن محاسبة النفس من أعظم الأدواء التي تنجى صاحبها من الهلاك في الدنيا والآخرة .

وإن إهمال محاسبة النفس من أعظم الأمراض التي تؤدي بهلاك صاحبها في الدنيا والآخرة.

(1) رواية البخارى(11/433) فى الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (9582) فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائى(4/411) فى الجنائز ، باب البعث .

(2) رواه الترمذى رقم (3141) فى التفسير ، باب ومن سورة ينى اسرائيل وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، وللحديث شواهد بمعناه يقوى بها .

(1) رواه البخارى رقم (6533) فى الرقاق ، باب الحشر ، وفى تفسير سورة الفرقان ، باب قوله(الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) ، ومسلم رقم (2806) فى المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه .

(1) أخرجه مسلم رقم(8782) فى الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

(1) رواه البخارى رقم(103) فى العلم ، باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه ، وفى تفسير سورة (إذا السماء إنشقت) وفى الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب ، ومسلم رقم(2876) فى الجنة ، باب إثبات الحساب ، وأبو داود رقم (3093) فى الجنائز ، باب عبادة النساء ، والترمذى رقم(2428) فى صفة القيامة ، باب من نوقش الحساب عذب .

(1) رواه البخارى رقم (7512) فى التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل ، رقم(7443) فى باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) وفى الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد وأخرجه مسلم رقم(1016) فى الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ، والترمذى رقم(2427) فى صفة القيامة باب فى شأن القصاص .

(2) رواه البخارى رقم(2441) فى المظالم ، باب قول الله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) وفى تفسير سورة هود ، باب قوله تعالى ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) وفى الأدب ، وفى التوحيد ، ومسلم رقم(2768) فى التوبة ، باب توبة القاتل وإن كثر قتله

(1) رواه مسلم رقم(2384)، والترمذى رقم(3885) وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أيضا أحمد فى الفضائل (214) وابن أبى عاصم فى السنة رقم (1235) والنسائى فى الفضائل رقم (5)

(1) رواه الترمذى رقم(3534) فى الدعوات باب رقم(106) وقال هذا حديث حسن غريب وذكره الحافظ فى الفتح وقال رواه ابن حبان فى صحيحه

(2) رواه مسلم رقم(346) فى الإيمان باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقته عليهم .

(3) رواه مسلم رقم(2759) فى التوبة باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة .

الهزيمة النفسية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبیین فى جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير..

أحبتى فى الله :

لقد ابتلى المسلمون بنكبات وأزمات كثيرة مروراً بأزمة الردة الطاحنة والهجمات التتارية الغاشمة.. والحروب الصليبية الطاحنة.. وسقوط الأندلس وزوال ظل الخلافة وضياع القدس الشريف!!

ومع ذلك فإن الأمة مع كل هذه الهزومات والنكبات كانت تمتلك مقومات النصر من إيمان صادق بالله واعتزاز بهذا الدين... أما اليوم فقد فقدت جُلَّ مقومات النصر!! فى الجانب الإيماني، والجانب المادي على حد السواء، فهزمت هزيمة نفسية نكراء وهذا هو موضوعنا مع حضراتكم اليوم فى هذا اللقاء

" الهزيمة النفسية "

وكعادتنا فسوف نركز احديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان الهام فى العناصر التالية :

أولاً: أعراض الهزيمة النفسية

ثانياً: أسباب الهزيمة النفسية

وأخيراً: ما العلاج

فأعزني قلبك وسمعك فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من الأهمية بمكان والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعاً ممن يستمعون القلب فيتبعون أحسنه، وأن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الموحدين وعز الإسلام والمسلمين أنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً: أعراض الهزيمة النفسية

أيها الأحبة : إن للهزيمة النفسية أعراضاً كثيرة خطيرة أهمها ما يلي:

العرض الأول : تنحية الشريعة الربانية وتحكيم القوانين البشرية !!

وهذا بلا منازع هو أخطر أعراض الهزيمة النفسية التي نُكبت بها الأمة المحمدية في هذا العصر الحديث.

يقول الله عز وجل ((وتلك الأيام نداولها بين الناس))

فالأيام دُول، والصراع بين الحق والباطل صراع دائم لا ينتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولا شك على الإطلاق أن الدولة والجولة الآن للغرب الذي انتصر في الجولة الأخيرة ، فراحت الأمة المهزومة عسكرياً ، واقتصادياً ، ونفسياً تحاكي الغرب الذي انتصر في هذه الجولة .

ويا ليت الأمة راحت تنقل أروع ما وصل إليه الغرب في الجانب العلمي والتكنولوجي ، ولكنها بكل أسف نقلت أسوأ ما وصل إليه الغرب في الجانب العقدي والايমানى والأخلاقي والروحي حتى رأينا من بني جلدتنا من يدندن على هذا الوتر ، يمجّد الغرب ويسبح بحمده ، حتى قال قائل قد عزمنا أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رأسهم والنجاسات التي في أمعائهم والله در القائل :

قالوا لنا الغرب !! ... قلت : صناعةً وسياحةً ومظاهرُ تغرينا ...

لكنه خاوي من الايمان ... لا يرعى ضعيفاً أو يسر حزينا ...

الغرب مقبرة المبادئ لم يزل ... يرمي بسهم المغريات الدينا ...

الغرب مقبرة العدالة كلما ... رفعت يد أبدا لها السكينا ...

الغرب يحمل خنجراً ورساصة ... فعلام يحمل قومنا الزيتونا ...

كفر وإسلام فإننا يلتقي ... هذا بذاك أيها اللاهونا ...

أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه ... لكن ألوم المسلم المفتزنا ...

أمتنا التي رحلت على ... درب الخضوع ترافق التتينا ...

وألوم فيها نخوة لم تنتفض ... إلا لتضربنا على أيدينا!! ...

راححت الأمة تقلد الغرب المنتصر في هذه الجولة وظنت الأمة المسكينة أنها بتتحيثها للشريعة الربانية وتحكيمها لشريعة الغرب العلمانية !!

ظنت أنها قد ركبت قوارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء والمواج المتلاطمة فخابت الأمة وخسرت وغرقت الأمة وأغرقت، ولا زالت الأمة إلى هذه الساعة تجني ثمار الخذلان واليأس والهزيمة النفسية بل والعسكرية والاقتصادية والعلمية .

والعودة إلى شريعة رب البرية ليست نافلة ولا تطوعاً ولا اختياراً فإن الحياة البشرية من خلق الله ولن تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله، ولن تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يقدم لها من يد الله، ولا يمكن أبداً أن يتعدى هذا الدواء كتاب الله وسنة الحبيب رسول الله

قال الله تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا النساء : 65

وقال تعالى وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا الأحزاب : 36
وقال تعالى إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ النور : 51 - 52

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ الحجرات: 1 - 2
قال ابن القيم :

إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي يحبط العمل فما ظنك بمن قدم قوله وفعله
وسياسته على قول الله وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
أسأل الله أن يرد الأمة إلى الشريعة الربانية رداً جميلاً أنه ولي ذلك والقادر عليه .
العرض الثاني : اليأس من إمكانية التغيير

وهذا عرض خطير أصاب كثيراً من المسلمين في هذه الأيام ممن يرددون هذه
الكلمات التي أصبحت تمثل معتقداً لدى غالب المسلمين فهم يرددون " لا فائدة " ، " أنت تؤذن في خرابة " ، " أنت تنفخ في رماد " عش عصرك ، " لا فائدة " " ربّ
أولادك " " تفرغ لتجارتك .. ولأولادك !!..لمكتبك .. لكرسيك .. لوظيفتك !! هلك
الناس "

إلى آخر هذه الكلمات التي تزيد المهزوم هزيمة والنشيط يأساً وخذلاناً.
وقد شخّص المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه النفسيات المهزومة تشخيصاً دقيقاً
في حديث صحيح رواه الإمام مسلم فقال :

" إذا قال الرجل هلط الناس فهو أهلكهم " (1)

قال الإمام النووي: أهلكهم برفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر ومعناها : أشدهم
هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها: هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة .
واتفق العلماء على أن هذا الدّم إنما هو يقال على سبيل الإزدراء على الناس
واحتقارهم ، وتفضيل نفسه عليهم ، وتقبيح أحوالهم ، لا أنهم هلكوا في الحقيقة .
واتفق العلماء على أن هذا الدّم إنما هو فيمن قيل على سبيل الإزدراء على الناس
واحتقارهم ، وتفضيل نفسه عليهم ، وتقبيح أحوالهم ، لأته لا يعلم سر الله في خلقه،
قالوا : فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه، وفي الناس من النقص في أمر
الدين فلا بأس عليه . أ . هـ (2)

فهذا عَرَضٌ خطير من أعراض الهزيمة النفسية ألا وهو اليأس من إمكانية التغيير
لهذا الواقع المر الأليم الذي تحياه الأمة ويريد كثير من أبناءها أن يفرضوا سياسة
الأمر الواقع على النشطين ممن يتحركون لدين الله ودعوة الله جل و علا .
العرض الثالث : السلبية القاتلة في الدعوة إلى الله وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
لقد ظلت سماء الأمة سحابة قاتمة من هذه السلبية القاتلة .

المسلم يرى أخيه المسلم على معصية : ويهز كتفه ويمضي كأن الأمر لا يعنيه .
ولم أرى في نفسي عيباً ... كنقص القادرين على التمام ...

وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((بلغوا عني ولو آية)) (3)

وقال كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري : " من رأى منك منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (4)
وتغيير المنكر كما نعلم جميعاً يكون بالضوابط الشرعية المعلومة .

فلا عذر لك أمام الله عز وجل فنحن جميعاً نركب سفينة واحدة فيها الصالح والطالح ، وإن نجت السفينة نجا الجميع ، وإن هلكت هلك الجميع كما في الحديث من حديث النعمان قال : ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم وآذوهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) (5)

العرض الرابع : الدفاع عن الإسلام كمتهم في قفص الاتهام
وهذا عرض خطير

فالغرب يثير من أن لآخر بل في كل آن شبهات خطيرة ضد الإسلام مثل: الإسلام دين إرهاب الإسلام دين تطرف !! الإسلام ظلم المرأة !! البيت للمرأة المسلمة سجن مؤبد !! .

الزواج سجان قاهر !! الأمومة تكاثر حيواني !! لماذا تزوج محمد تسعة ؟ لماذا يتزوج الرجل في الإسلام أربعة ؟! لماذا حرم الإسلام الخلوة بين الرجل والمرأة ؟!! لماذا حرم الإسلام الإختلاط ؟!

لماذا تقطع يد السارق ؟! لماذا يرحم الزاني ؟! إلخ... شبهات تثار !!
فينبغي للرد على هذه الشبهات فريق من أهل العلم وكن بمنطق أن الإسلام متهم في قفص الاتهام فتأتي الردود هزيلة ، لأنها ردود المهزوم نفسياً .

ومن الجفاء أن أذكر هذا العرض الخطير ولا أذكر بهذا الوجه المضئ المنير لسلفنا الصالح يوم أن اعتزوا بهذا الدين وارتفعت به رؤوسهم لتعانق كواكب الجوزاء .
أو إن شئت فقل لفضلهم وكرمهم تنزلت كواكب الجوزاء لتتوج هذه الرؤوس التي وحدت اله جل وعلا .

فها هو ربعي بن عامر ذالكم البطل المسلم.. ضعيف البنية قوي الإيمان الذي ركب جواده وانطلق لمقابلة قائد الفرس ، وكلكم يعلم القصة ولكني أردت أن أنبه لأمر هام ألا وهو الإستعلاء .. العزة بهذا الدين ... وأراد الحرس أن يدخل ربعي على رستم وهو يمشي على قدميه فأبى ودخل على ظهر جواده فسأله رستم قائد الجيوش الكسورية وقال: من أنتم وما الذي جاء بكم ؟

فقال ربعي : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد إن شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا

والآخرة .. ابتعثنا الله بدينه لندعوا الناس إليه فمن حال بيننا وبين دعوة الناس إلى دين الله قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله .

قال رستم: وما موعود الله!؟

قال ربعي : الجنة لمن مات على ذلك ، والنصر لمن بقي منا .

فقال رستم : لقد سمعت مقاتلك فهل لكم أن تأجلوا هذا الأمر لننظر فيه ولتنتظروا!؟

فقال ربعي : كم أحب إليكم ، يوم أو يومان ؟

قال رستم : لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا .

قال ربعي: لا ، قال رستم: ولم!؟ قال : ما سن لنا رسول الله أن نُأجل الأعداء عند

اللقاء أكثر من ثلاث فانظر أمرك وأمرهم !!

قال رستم : أسيدهم أنت ؟

قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم .

عزة .. استعلاء .. أما أن فقد شربت الأمة كؤوس الذل والهوان ألواناً وأصنافاً وأشكالاً

، هُزمت وراحت لتركع ولتخضع في محراب الشرق الملحد تارة ، ومحراب الغرب

الكافر تارة أخرى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

العرض الخامس : الخوف من إظهار الهوية الإسلامية

وهذا عرض فتاك من أعراس الهزيمة النفسية ، يخشى المسلم الآن في ظل هذه

الظروف أن يُظهر السنة!! وأن يظهر هويته وبعزة واستعلاء ويخشى أن يتهم

بالإرهاب !! يخشى أن يُتهم بالتطرف !! ويخشى أن يُتهم بالجود والرجعية والتخلف

، وضيق الأفق ، وعدم القدرة على الانفتاح العصري !! إلى آخر هذه التهم التي

يغني بطلانها عن إبطالها وفسادها عن إفسادها وكسادها عن إكسادها !! بل تجد

المسلم الآن إلا من رحم الله إذا تعامل مع غير المسلمين أو سافر إلى بلاد الشرق

والغرب يأكل كما يأكلون !! ويشرب كما يشربون !! ويلبس كما يلبسون !! ويتكلم

كما يتكلمون !! بل ويخشى أن يقول هذا حلال .. وهذا حرام وهذه سنة وهذه بدعة..

وهذا حق وهذا باطل !! لماذا!؟

لأنه مهزوم من داخله !

هُزِمَ نفسياً فلا يعترف بدينه ورحم الله من قال :

ومما زادني فخراً وتيبهاً ... وكدت بأخمي أن أطأ الثريا ...

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن أرسلت أحمد لي نبيا ...

ارفع رأسك واعتز بتوحيدك ... اعلن هويتك بكل كرامة .. واعلن السنة ... تمسك

بهذا الدين فأنت لك وظيفة .. أنت لك غاية .. لا تعش كهؤلاء الذين قال الله في حقهم:

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ الأعراف 179

وقال تعالى : وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ آل عمران 139

أحبتني في الله :

أن هذه الأعراض كانت نتيجة لأسباب عديدة وهذا هو عنصرنا الثاني .

أسباب الهزيمة النفسية

وأسباب الهزيمة النفسية في واقعنا عديدة عجيبة منها أسباب داخلية وأخرى خارجية

اسمحو لي أن أستهل الحديث بالأسباب الداخلية لأنه بكل أسف يقلل غالب المسلمين

من شأنها مع أن الله عز وجل قال أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آل عمران 165

الهزيمة من عند أنفسنا من الداخل

أولاً : الأسباب الداخلية

السبب الأول : ضعف الإيمان عند غالب المسلمين

أيها الحبيب : هذا بلا منازع أخطر سبب من أسباب الهزيمة النفسية والإيمان ليس قولاً باللسان فحسب ولكن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان .

الإيمان يزيد وينقص ، ويقوى ويضعف ، وهذا أصل من أصول أهل السنة وقد جسد لنا الحبيب هذه الحالة تجسيدا دقيقاً في حديثه الصحيح الذي رواه أبو النعيم من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي أنه قال : ((ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينا القمر مضيء إذ علته سحابة فاطلم ، إذ تجلت عنه فأضاء)) (4) فكذلك القلب ، تعلوا القلب من أن لآخر سحبٌ مظلمة من آثار المعاصي والذنوب ، فتضعف الإيمان في القلب ، فإذا زاد الإيمان وذاق الإنسان حلاوته انقشعت تلك السحب وأشرق القلب بأنوار التوحيد وقوى صاحب هذا الإيمان .

أيها الحبيب إذا أردت أن تتعرف على سر الإيمان إذا استقر وازداد في القلوب فبسرعة ارجع إلى التاريخ وعد إلى أصحاب الحبيب محمد الذين حولهم الإيمان من رعاة الإبل والبقر ، والغنم إلى سادة وقادة لجميع الأمم ... انطلقوا بهذا الإيمان إلى أعظم الإمبراطوريات على هذه الأرض وأقاموا للإسلام دولة وسط صحراء تموج بالكفر موجاً في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً !!!

الإيمان هو الذي جعل هذا البدوي الذي لا ذكر له في أرض الجزيرة يُرفع إلى عنان السماء يوم أن ترس بجسده على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وليجعل من ظهره حائط صدٍّ منيع لتتحطم عليه رماح وسيوف الأعداء ليحمي رسول الله وهو يقول للحبيب نحري دون نحرك يا رسول الله !!

الإيمان هو الذي جعل هذا العربي البدوي في أرض الجزيرة يقول للحبيب والله لا نقول لك ما قاله بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن نقول لك يا رسول الله : اذهب أنت وربك فقاتلا أنا معكما مقاتلون .

إنه الإيمان .. أنه الإيمان الذي يصنع الأعاجيب ، فضعف الإيمان سبب خطير من أسباب الهزيمة النفسية عند غالب المسلمين في هذه الأيام أسأل الله أن يزيد إيماننا وإيمانكم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

السبب الثاني : ترك الجهاد في سبيل الله

ترك الجهاد يساوي الذل والهوان والاستسلام وهذا وهو كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر أنه قال : ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)) (7) إنه الذل... إنه الهوان بترك الجهاد .

أيها الأحاباب : إن أعداء الأمة يعلمون علم اليقين أن الأمة إذا رفعت من جديد راية الجهاد في سبيل الله لأذلت الشرق والغرب ولذا هم يحرصون كل الحرص على أن تُنحَى الأمة عن الجهاد وروح الجهاد وعلى ألا تُربى هذه الأجيال على سير الجهاد وسير الأبطال الفاتحين لتظل الأمة ذليلة مبعثرة كالغنم في الليلة الشتائية الممطرة . لا عز لهذه الأمة إلا إذا عادت من جديد لترفع راية الجهاد في سبيل الله العزيز الحميد ولترفع ذروة سنام هذا الدين .

السبب الثالث : عدم المعرفة عند غالب المسلمين بطبيعة الطريق إن الطريق إلى الله ليس هيناً أيها المسلمون .. الطريق إلى الله ليس مفروشاً بالورود والزهور ، بل إن الطريق مفروش بالدماء والأشلاء ، محفوف بالعنت وبالأذى والابتلاء فيأتي كثير من الناس يردد كلمة الإيمان يحسبها سهلة هينة ، يردها في وقت الرخاء وهو يظن أن الكلمة هينة فإذا ما تعرض على الطريق لأول محك عملي من الفتن والأذى انقلب على عقبيه وتخلي عن طريق الله جل و علا .

فهو يردد كلمة التوحيد والعقيدة فإن رحبت فهو مع الرابحين . قال سبحانه وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ الحج 11 فلا بد من معرفة طبيعة الطريق حتى لا تنزلق مع أول منعطف من المنعطفات على طريق المحن والفتن و الابتلاءات قال تعالى :

الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ العنكبوت 1 - 3

أخي الحبيب : لا بد أن تعي هذه الطبيعة حتى لا تنقلب على عقبيك فمن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً

قال تعالى وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ آل عمران :

144

السبب الرابع : عدم المعرفة عند غالب المسلمين بالقدرات والإمكانات والطاقات مع قلة الطموحات .

فهذا سبب خطير من أسباب الهزيمة النفسية دائماً نقل من شأن الطاقات والقدرات والإمكانات الهائلة التي من الله بها علينا ، من أرض ومناخ وأموال وثروات وعنصر بشري هائل جبار فضلاً عن إسلام رضيع العزيز الغفار للبشرية كلها ديناً ، ومع ذلك ترى من أبناء هذه الأمة من يقلل من قدر هذه القدرات والطاقات والإمكانات .

أيها المسلمون : إن أموال المسلمين هي التي دير دفة السياسة العالمية في بنوك الشرق والغرب .

إن عقول المسلمين والعرب هي التي تخطط وتبني في بلاد الشرق والغرب اسألوا عن علماء الذرة . اسألوا عن علماء الجيولوجيا !! اسألوا عن علماء الهندسة !! اسألوا عن علماء الفيزياء وعربية حُجِرَ عليها في بلادها فقبلت بقانون الروتين القاتل للإبداع

فرحلت فاستقبلت في بلاد الشرق والغرب استقبال الأبطال الفاتحين ، ومنحوا
الإمكانيات الهائلة للعمل والعطاء والإبداع فأبدعوها وهذا واقع نعيشه الآن .
لقد ممرت على جسر رهيب جداً في نيويورك على المحيط ، ولو نظرت إليه كاد
عقلك أن يطيش !! ومانت المفاجأة حينما وصلنا إلى الشاطئ الآخر ووقف مرافقي
فقال لي: هل تعلم إن الذي صمم هذا الذي ترى مهندس مسلم من باكستان؟؟ هذه
عقولنا!!

أيها المسلمون :- إن لسلاحا واحدا كسلاح البترول استخدمه المسلمون والعرب
استخداماً صحيحاً للحظات فانقلبت الموازين كلها!!
إن عندنا قدرات وطاقات وإمكانيات وثروات هائلة وكننا لا نحسن الإستخدام ونقل
دائماً من شأن هذه القدرات والطاقات في الوقت الذي لا نرى فيه طموحاً على الإطلاق
.. لا يمكن أبداً أن نرى شاباً يطمح الآن إلا في أن يتخرج من الجامعة ، وأن يتزوج
بفتاة جميلة وأن يسكن سكناً مؤثناً تأثيثاً فاخراً ، وإن من الله عليه بسيارة فالحمد لله
وهكذا .

هل فكر في هذا الدين؟! هل فكر في أن يغير أمته ؟ أبداً لا يفكر في هذا؟! ولا يطمح
لهذا؟! ويظل المسلم غالباً لا ينظر إلا تحت قدميه!!
ومن يتهيب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر
وأختم هذه الأسباب حتلا لا أطيل بهذا السبب الهام ألا وهو :

السبب الخامس : النظرة الضيقة للزمان والمكان
شبابنا الآن ينظرون للمكان والزمان نظرة ضيقة فتصيبهم هذه النظرة باليأس
والقنوط كيف ؟ كثرت الفتن !! قل الملتزمون !! كثر المتبرجات !! الكتابيب توقفت
!! إذن بعد فترة لن نرى حافظاً للقرآن !!

هذه النظرة الضيقة للمكان الذي يعيش فيه تصيبه باليأس والقنوط فيهزم هزيمة نفسية
قاتلة فيشل عقله وفكره ، بل وحركته إن كان يستطيع أن يفعل شيئاً ، يتوقف تماماً
عن فعل أي شئ مع أنه لو خرج بها من قريته أو مدينته أو دولته ونظر نظرة أوسع
، ونظرة أشمل إلى المكان تعلم يقينا أن الأرض ما خلت ولن تخلوا أبداً من أبناء
الطائفة المنصورة التي لا يخلو منها زمان ولا مكان بشهادة الصادق سيد ولد عدنان
.. كن واسع النظرة كن شمولي النظرة كذلك، لا تنظر إلى الزمان نظرة ضيقة فشبابنا
الآن يقولون : ضاع الدين.. هزمت الأمة .. إن الإسلام يتعرض لأشد الهجمات .. بل
أن المسلمين يتعرضون لأشد الضربات يتعرض لأشد الهجمات .. بل أن المسلمين
يتعرضون لأشد الضربات على أيدي الأعداء!! : يقولون إذن لا فائدة !! إلى آخر
هذه الكلمات مع أنه لو نظر نظرة واسعة للزمان لعلم يقيناً أن الأمة قد نكبت نكبات
أشد ومع ذلك غير الله الواقع وبدل الله الحال .

أخي الحبيب

إني أقول لك بلغة يحدها الأمل وبقلب ملاء اليقين :
إن هذا الواقع سيتغير وأن هذا الحال سيتبدل .

يا مسلمون : لقد هجم التتار على المسلمين فملأت شوارع بغداد بأكوام اللحوم والأشلاء بل ولم تصلى صلاة جماعة في مسجد واحد من مساجد بغداد أربعين يوماً .. إلى هذا الحد؟! نعم أغلقت المساجد...!!

كان المسلم يخشى أن يخرج إلى المسجد خوفاً من القتل !!
كان المسلم إذا رأى التتاري، يقف في مكانه لا يتحرك خطوة حتى يأتي المجرم ليقتله!! انظر إلى حجم الهزيمة من الداخل .
ومع ذلك سلط الله على التتار مضمّن هزمهم شر هزيمة وغبر الله الحال وبدل الله الواقع .

الصليبيون هجوا على المسلمين ووضعوا الصليبان على كل حوائط المسجد الأقصى .. بل ومنعت الصلاة في المسجد الأقصى واحداً وتسعيناً عاماً.. تدبر وتذكر التاريخ، ومع ذلك قيض الله للأقصى من يطهره ، وبدل الله الحال وغير الله الواقع .
وإن كان الله قد قيض للأقصى من يطهره فإننا على يقين جازم أن الذي قيض للأقصى من طهره حي لا يموت !!

فلئن عرف التاريخ أوسا وخزرجا ... فله أوس قادمون وخزرج ...
وإن كنوز الغيب يفضي طلائعاً ... حرة ، رغم المكائد تخرج !! ...
أيها المسلمون : وهجم القرامطة على المسلمين في بيت الله الحرام .. فقتلوا المسلمين في الكعبة وهم يلبسون ملابس الإحرام وامتلاً بيت الله بالدماء والأشلاء وانطلق المجرم أبو طاهر القرمطي قائد القرامطة فانتزع الحجر الأسود من الكعبة المشرفة ورفع رأسه إلى السماء وصرخ في جوف بيت الله وقال : أين الطير الأبابيل؟! أين الحجارة من سجيل؟!

أنها فتنة تعصف بالقلوب يا عباد الله ، وظل الحجر الأسود بعيداً عن الكعبة المطهرة ما يزيد على عشرين عاماً .

ومع ذلك غير الله الحال وبدل الله الواقع !!
فيا أيها المسلمون : لا تياسوا ولا تقنطوا ، ولا تنظروا للزمان نظرة ضيقة فهذا من أخطر أسباب الهزيمة النفسية الداخلية .

أما الأسباب الخارجية للهزيمة النفسية : فنراها بالجملة حتى لا نطيل تتمثل في السبب الخطير ((التضخيم والتهويل من قوة أعداء الإسلام))

وترّ يعزف عليه بالليل والنهار بقصد أو بغير قصد.. قوة الأعداء .. القنابل النووية .. القنابل الجرثومية، .. الصواريخ .. الطائرات والدبابات... العلم والتكنولوجيا .

لا نود أن ننفي ما وصل إليه الغرب في هذا الجانب ولكننا نود أن نقول ينبغي أن نعلم يقيناً أن الله عز وجل ما أمر المسلمين بالإعداد إلا على قدر الإستطاعة فقال سبحانه وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ الأنفال : 60

وعبر الله جل وعلا بالقوة بصيغة التنكير ليبحث المسلمون عن القوة التي تناسب كل عصر وكل مصر وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ الأنفال : 60

فما عليك إلا أن تبذل أقصى ما في استطاعتك فإن علم الله منك أنك قد عملت أقصى ما في طاقتك وما في وسعك فاصبر واطمئن وكل النتائج إلى من بيده الكون كله .

قال تعالى وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ المدثر : 30

وقال تعالى إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِغُ صَادِ الفجر : 14

قال تعالى إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ غافر :

51

والله لو علم المسلمون قدر قوة الله وازداد إيمانهم وثقتهم بالله ، لغير الله الحال ولبدل الله الواقع .. لأن الله عز وجل لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

فلنعد إلى الله ابتداءً ولنحقق الإيمان لأن الله قد عَلِقَ النُّصْرَةَ به ((وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)) فلا ينبغي أن نضخم من قوة الأعداء في الوقت الذي يجب علينا فيه أن نبذل أقصى ما في استطاعتنا لإعداد القوة ، وقد شاء الله أن يرينا كيف أرغم

الفتنামيون أمريكا ووضعوا أتفهم في التراب !!؟

وكيف وضع الصوماليون الحفاة العراة الجياع أنف أمريكا في التراب !!؟ يوم أن جَرَّ شباب الصومال بعض الجنود الأمريكيين في الشوارع والطرقات ، ونقلت وكالات الأنباء هذه الصور فاضطرت أمريكا أن تسحب جيوشها من الصومال في الحال .

كيف وضع المسلمون في البوسنة أنف لا أقول الصرب فحسب إنما أقول كيف وضع

المسلمون في البوسنة أنف تأمر عالمي حاقد يهودي صليبي علماني رهيب !!؟

كل المراقبين قرروا أت الحرب في البوسنة لن تستمر أكثر من أسبوع وصد المسلمون في البوسنة !!

كل المراقبين قرروا أن الحرب في الشيشان ومرغوا أنف الدب الروسي الغبي في التراب .

والأفغان يوم أن صدقوا الله ورفعوا الراية للجهاد في سبيل الله وضعوا أنف الدب الروسي في التراب ، ويوم أن رفعوا الراية للعصبية المنتنة سلط الله بعضهم على بعض لنعي سنةً ربانية لا ينبغي أن نتجاهلها أبداً .

أيها الأحبة : يجب علينا أن نعي هذه الحقيقة وألا نبالغ لأن هذه المبالغة تزيد المهزوم هزيمة وتزيد المنتصر على نفسه خذلاناً وتكاسلاً .

وأكتب بهذا القدر لأعرج كثيرا على العنصر الأخير وذلك بعد جلسة الإستراحة وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

أن الحمد لله نعمه ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستننى بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام

" فما هو العلاج "

العلاج في نقاط سريعة لا تحتاج إلى تفصيل

أولاً : معرفة أسباب الداء فإن تشخيص الداء نصف الدواء
ثانياً : العودة الجادة الصادقة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ، وتربية أفراد الأمة على
العقيدة الصالحة بشمولها وكمالها ولا بد أن نعي أن العقيدة الآن هي التي تحرك العالم
كله فالحرب في الشيشان حرب عقديّة ، والحرب في الصومال حرب عقديّة ..
الحرب في فلسطين عقديّة .. والحرب في كشمير حرب عقديّة . والحرب في
البوسنة حرب عقديّة . فلا بد أن نربي الجيل على العقيدة الصحيحة بشمولها وكمالها .
ثالثاً: التخلص من الوهن كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث
ثوبان أن النبي قال ((يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها
قالوا أمن قلة يا رسول الله ؟ قال لا ، إنكم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزع عن الله
المهابة من قلوب أعدائكم وليقذفن الوهن في صدوركم قيل له وما الوهن يا رسول الله
؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت)) (8)

رابعاً : تربية شباب الأمة على روح الجهاد في سبيل الله
خامساً : العودة الصحيحة إلى التاريخ وسير السلف الصالح
لا لمجرد الثقافة الذهنية الباردة ، وإنما لأخذ العبر من ناحية ولتندفق في عروق
الأجيال دماء الغيرة والعزة والكرامة من ناحية أخرى .

وأخيراً : الاعتزاز المطلق بهذا الين وفي نصره رب العالمين .
قال الله تعالى وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا النور : 55

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً
ثُمَّ يُعْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ الأنفال : 36
وقال الله تعالى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ التوبة : 33

قال تعالى وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ الروم : 47
قال تعالى وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا الإسراء : 81
أسأل الله عز وجل أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال ، وأن يرزقنا وإياكم العز
والاستعلاء بالإيمان بهذا الدين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

- (1) أخرجه مسلم رقم (2623) في كتاب البر ، باب النهي عن قول هلك الناس
- (2) صحيح مسلم بشرح النووي (8 / 424) ط. دار الحديث القاهرة
- (3) رواه البخاري (6 / 361) في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل /
والترمذي رقم (2671) في العلم ، باب ما جاء في الحديث عن بني اسرائيل ،
وانظر شرح الحديث في "الفتح" حديث رقم (3461)
- (4) رواه مسلم رقم (49) في الإيمان ، باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان ،
والترمذي رقم (2173) في الفتن : باب ما في جاء في تغيير المنكر باليد ، وأبو
داود رقم (1140) في صلاة العيدين : باب الخطبة يوم العيد رقم (4340) في
الملاحم : باب الأمر والنهي والنسائي (8 / 111) في الإيمان باب تفضل أهل

الإيمان ، وأخرجه ابن ماجة رقم (4013) في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي
هن المنكر

(5) أخرجه البخاري (5 / 94) في الشركة ، باب هل يقرع في القسمة ، وفي
الشهادات : باب القرعة في المشكلات ، والترمذي رقم (2174) في الفتن، باب ما
جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب .

(6) أخرجه أبو النعيم في الحلية وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (2268)،
وصحيح الجامع(5682) .

(7) رواه أبو داود رقم (3462) في البيوع، باب في النهي عن العينة وصحة
شيخنا الألباني في صحيحه رقم (11)، والعينة: نوع من أنواع البيوع الربوية
المحرمة .

(8) رواه أبو داود رقم (4297) في الملاحم ، باب تداعي الأمم على الإسلام وفي
سنده أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمي ، وهو مجهول لكن قد رواه أحمد (5 /
278) من طريق آخر بسند قوي ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (956)،
وصحيح الجامع (8183) .

من أنا

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
[النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤَلُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]
أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
أحبتي في الله :

من أنا؟! والجواب بالتفصيل لأهمية الجواب على هذا السؤال أوصله بمقدمة مهمة
جداً بين يدي الجواب ، وأستهل هذه المقدمة بهذه الكلمات :

أقول : إن كل جهل مهما عظمت نتائجه قد يغفر ، إلا أن يجهل الإنسان خالقه سبحانه
وتعالى ، وسر وجوده ، والغاية التي من أجلها خلق ، فالجهل في جانب العقيدة لا
يغفر ، وهو أن يجهل الإنسان خالقه ، وأن يجهل الإنسان الغاية التي من أجلها خلق
، فأكبر عار على هذا الإنسان الذي آتاه الله - عز وجل - العقل والإرادة وميزه على
سائر المخلوقات في الكون أكبر عار عليه أن يعيش غافلاً عن الله ، فيأكل ويتمتع كما
تأكل الأنعام ، لا يفكر في خالق ، ولا يبحث عن غاية ، ولا عن الوظيفة الذي من

أجلها خلق ولها ابتعث ، ولا يبحث عن طبيعة دوره في هذه الأرض ، حتى يأتيه الأجل والموت ، دون أن يستعد لهذا اليوم فيجنى ثمرة الغفلة والجهل والانحراف في عمره الطويل أو القصير ، وحينئذ يندم يوم لا ينفع الندم ، وهو بين يدي الله تبارك وتعالى يرى نفسه أخس من البهائم والحيوانات ، فإن البهائم والحيوانات كلها عرفت ربها وسجدت له ، قال تعالى : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وقال تعالى في شأن

هذا الصنف الذي هو أخس من البهائم ، الذي يجهل خالقه ، ويجهل غاية وجوده وسر ابتعائه في هذه الأرض قال تعالى : وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ تدبر القول بعد ذلك أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ هذا الصنف الخبيث الذي يقول قائله :

جئت لا أعلم من أين ؟ ولكني أتيت .. ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت وسأمضي في طريقي شئت هذا أم أبيت ..كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟ لست أدري !! بهيمة ، نعم بهيمة ، لا يعرف خالق ، ولا يعرف غاية وسر وجوده في هذه الأرض كما قال الله- عز وجل- وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ فأى جهل أشنع وأفظع من أن يجهل الإنسان الذي يتعالى بعقله ، ويتعالى بإبداعاته المادية ، أي جهل من أن يجهل ربه وخالقه الذي خلقه وبعثه وأوجده - سبحانه وتعالى - هذا هو الجهل الذي لا يغتفر .

لهذا كان لزاماً على كل إنسان عاقل أن يبادر ويسأل نفسه هذا السؤال : لماذا خلقت؟ ، وما هي الغاية التي من أجلها خلقت ؟ وحتماً قبل طرح هذين السؤالين ، لا بد وأن تطرح على نفسك من أنا ؟ من أوجدني ؟ من خلقتني ؟ تسأل نفسك أيضاً إلى أين ؟ وما المصير ؟ وإلى أين أسير ؟ لا بد أن تطرح على نفسك هذه الأسئلة لتتعرف على الغاية التي من أجلها خلقت ، فإن عرفت من خالقك ، وعرفت الغاية التي من أجلها من أجلها خلقت ، حينئذ ستعرف من أنت ، وستعرف مصيرك ومسيرك ، فلا بد من الإجابة على هذه الأسئلة من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ أي : ولماذا خلقت ؟

هذه هي الأسئلة التي صاحبت الإنسان في كل فترات حياته ، وفي كل مكان وجد فيه ؟ وهي تطلب من أي إنسان الجواب الشافي لها في كل مرحلة من مراحل العمر ، وفي كل مكان على وجه البسيطة من يوم خلق الله - عز وجل - آدم - عليه السلام - من أين جئت أنا ؟ وإلى أين أسير ؟ ما هو مصيري ؟ وما هو مسيري الذي أتجه فيه ؟ وما هي الغاية التي من أجلها خلقت ، ولأجلها بُعثت ؟ ولا بد من هذه المقدمة قبل أن أشرع في الحديث عن العبادة تأصيلاً لغوياً واصطلاحياً .

أقول : أما السؤال الأول : من أنا ؟ أو من أين أنا ؟ فهوة عقدة العقد عند الماديين الملحددين في كل زمان ومكان أن يجيبوا أو أن يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال ، من أين ؟ من الذي خلقتني ؟ ومن الذي أوجدني ؟ هؤلاء الذين لا يؤمنون إلا بما تقع عليه الحواس أي : إلا بما تراه الأعين فهو يؤمن بهذا المصباح الذي يراه بعينه منيراً

مضيئاً ، لكنه في الوقت ذاته يغض الطرف عن تيار كهربائي لا يراه بعينه الذي هو سر إضاءة هذا المصباح!! فهو مادي أعمى لا يؤمن إلا بما تراه عينه حتى لو كذبه عقله ، هؤلاء يتخذون منطق العقل في رؤسهم - زعموا - دليلاً على الوصول إلى الحق والحقيقة ، ويصرون في عمى عجيب على أن هذا الكون بما فيه ومن فيه وُجِدَ وحده ، وكل ما في هذا الكون من إحكام وترتيب إنما هو صنع المصادفة العمياء !! أما الذين يستجيبون لنداء الفطرة في كل زمان ومكان ، فهؤلاء يقرون حتماً بأن لهذا الكون إله ورباً حكيماً عظيماً جل جلاله ، تتجه قلوبهم إليه - سبحانه وتعالى - بالتعظيم، والرجاء ، والخشية ، والتفويض ، والتوكل ، والإنابة والعبادة بصفة عامة، يشعرون بخالق هذا الكون ويتجهون إليه سبحانه بفطرهم السليمة النقية التي لم تعكرها الماديات والشبهات والشهوات ، قال تعالى فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الروم:30]

لكن هذا الصوت - أعني صوت الفطرة - قد يخفت في قلب وعقل إنسان ، أو قد يكبت هذا الصوت صاحبه عمداً ، نعم عمداً عن كبر ، فالمشركون ما أنكروا هذه الحقيقة ، ما أنكروا أن الله - عز وجل - هو الخالق بل كفروا به - سبحانه وتعالى - كبراً وعناداً ، إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ [الصفات:35] قال تعالى وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [النمل:14]

فهؤلاء يقرون بهذه الحقيقة لكنهم قد يرفضونها كبراً وعناداً - وركزوا معي جيداً ، فهذا كلام مهم جداً - فالفطرة قد تخفت في قلب وعقل إنسان عن قصد ، وعن عمد من صاحبه ، فإذا نزلت بهذا الإنسان نفسه أزمة أو أحداث مريرة أو مشكلة واهتز هذا الإنسان أمام هذه الأزمة وهذه الشدة وخاب أمله في كل الناس من حوله تراه ينطلق مرة أخرى مستجيباً لهذا الصوت الذي يعلو في أعماقه ، ألا وهو صوت الفطرة فيتجه مرة أخرى رغم أنفه لله - جل وعلا- .

تدبر معي هذا الحوار النفيس الجميل ، فلقد سأل رجل الأمام جعفر الصادق عن الله ، فاقبل له جعفر : ألم تركب البحر؟! فقال : بلى . فقال جعفر : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم ريح عاصفة؟! قال : نعم قال جعفر : وأنقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة؟ قال : نعم ، قال : فهل خطر في بالك وانقذ في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء؟! قال : نعم ، قال : هذا هو الله - سبحانه وتعالى - .

وهذه الحقيقة تثبتها آيات كثيرة جداً في القرآن ، تدبر معي قول الله تعالى : وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبٌ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [يونس:12] .

وقوله تعالى : وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [لقمان:32] وقال تعالى : وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ... [الإسراء:67] ولا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه طبيعة!! قال الله تعالى

: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ % الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار: 6-8] .

فإذا كان منطق الفكرة يهدهى الله تعالى ، والفطرة ليست وجداناً خالصاً ، بل وليست عقلاً خالصاً ، ولكنها مزيج بين الوجدان - أى القلب - والعقل .

أقول مع ذلك ، فإن العقل السوي فقط يرى الإيمان بالله تعالى ضرورة لا يستطيع الإنسان على الإطلاق أن يعيش بدونها ، فإن العقل بغير تعلم ، وبغير اكتساب يؤمن حتماً بقانون السببية ، هذه الورقة فى يدي الآن تهتز لسبب ، هذا هو قانون السببية ، لأننى أحركها ، فالعقل بدون تعلم وبدون اكتساب يؤمن بقانون السببية ، يؤمن بهذا القانون إيمانه بكل البدائيات والأولويات التي لا تحتاج إلى دليل ، يعني لا ينبغي لعقل إذا رأى الشمس ساطعة فى أفق السماء أن يقول : ما هو الدليل على أن الشمس طالعة ؟ بل يجب أن يسأل : ما هو الدليل على وجود عقله فلى رأسه ؟ هكذا الذى دخل يوماً على طلابه وأراد بهذا القانون أن يثبت الضد ، فقال لهم : يا أولاد هل ترون أستاذكم ؟ قالوا : نعم ، فقال : هل ترون السبورة التي أكتب لكم عليها ؟ قالوا : نعم ، قال : هل ترون الكرسي الذي أجلس عليه ؟ قالوا : نعم ، وتدرج بهذه الأسئلة إلى أن قال : هل ترون الله ؟

قالوا : لا ، قال : إذاً غير موجود !! فقيض الله تلميذاً صغيراً من تلاميذه ، فاستأذن أستاذه ووقف إلى جواره ، واتجه التلميذ إلى زملائه وقال : يا أخواني هل ترون عقل الأستاذ ؟ قالوا : لا ، قال : إذاً غير موجود !!

فالعقل بدون تعلم وبدون اكتساب يؤمن بقانون السببية إيمانه بالأمور الأولية الابتدائية التي لا تحتاج إلى دليل على وجودها ، فلا يقبل أبداً العقل السوي فعلاً بغير فاعل أبداً ، ولا يقبل العقل السوي صنفاً بغير صانع .

وهذا القانون هو الذى عبر عنه الأعرابي الأول ببساطة شديدة حيث لم يتخرج فى جامعة من الجامعات ، وأن شئت فقل ما تخرج إلا من جامعة الفطرة ، حينما سئل عن الله - عز وجل - فقال بعقله الذى آمن بقانون السببية البدائي هذا فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير ، سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل كل ذلك على اللطيف الخبير ؟ .

هذا هو القانون ببساطة شديدة ، هذا هو الذى عبر عنه الإمام أحمد - إمام أهل السنة طيب الله ثراه - حينما أمسك البيضة يوماً ، وقال : هذا حصن حصين أملس ليس له باب ، وليس له نفذ ، كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، وبينما هو كذلك إذا أنصدع جدره ، وخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن ، وصوت مليح !! هذا هو القانون الذى عبر عنه الإمام الشافعى حينما أمسك ورقة التوت يوماً فقال : ورقة التوت تأكلها الغزالة فتعطينا مسكاً ، وتأكلها الشاة فتعطينا لبناً ، وتأكلها دودة القز فتعطينا حريراً !!

إن الطعام واحد ، ولو كانت الأمور بالمصادفة العمياء ، لكانت عصارة الطعام للطعام الواحد واحدة ، ولكنها كانت فى الشاة لبناً ، وكانت فى الغزالة مسكاً ، وكانت فى الدودة حريراً ، أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور .

يقول عالم الطبيعة المشهور إسحاق نيوتن : لا تشكوا في الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هي قاعدة هذا الوجود !!
ليس ممكناً أبداً أن تكون الصدفة هي التي خلقت هذا الوجود بهذا الإبداع ، والجلال ، والجمال .

والله العظيم لو نظر عالم من هؤلاء العلماء الذين لا يؤمنون بالله ، والله لو نظر إلى كوز الذرة لوحد الله وعبده ، هذه الحبات اللؤلؤية البيضاء كيف رُصت على القولحة بهذا الجمال والإتقان والتناسق والإبداع ، والله لو أنصف لوحد الله وعبده .

يقول سبنسر نقلاً عن عالم آخر يقال له هرشل : إن العالم الذي يري قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأكسجين والهيدروجين بنسبة خاصة (ذرة أكسجين ، وذرتين هيدروجين) ، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخر غير الماء يعتقد في عظمة الخالق وقدرته وحكمته وعلمه الواسع بصورة هي أقوى وأعظم من هذا الذي لا يرى في قطرة الماء إلا أنها نقطة ماء فحسب !!

فالعالم الذي يدرك الحقائق ينظر إلى هذه الآية فيزداد إيماناً بالله سبحانه وتعالى فيختلف عن إيمان العبد الذي ينظر إلى قطرة الماء على أنها قطرة ماء .

يقول فرنسيس بيكون : إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد .

فهذه الفلسفة طريق للإلحاد . ، والعجيب أنهم كانوا يدرسون لنا في الثانوية قاعدة تقول : (أنا أشك إذا أنا موجود) ولو صدقوا لقلوا : (أنا أشك إذا أنا دبوس) لكن ما هي علاقة الشك بالوجود ؟ أي أنه بدأ حياته بالشك ابتداءً ، والشك لا يمكن أبداً أن يوصل إلى حقيقة مطلقة أبداً ، بل إن عصفت رياح الشكوك بالقلوب ضل الخلق ، ولذلك ربنا - سبحانه وتعالى - يصف المؤمنين بأن رياح الشك لا تهب ولا تعصف بقلوبهم أبداً إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا [الحجرات:15]

أى : لم يتشككوا ، إن من يبدأ بالشك لكي يصل إلى الحقيقة : هذا إضلال لعقول أبنائنا وأولادنا ، وكم من الناس من اقتنع بهذه النظريات الفلسفية الباهتة الفارغة ، التي يغني بطلانها من إبطالها ، لكننا وبكل أسف كنا نسلم القلوب والعقول لهؤلاء على أنهم لا ينطقون عن الهوى ، فإذا جاء القول من عالم غربي سلمنا العقل والقلب وكأنه لا يخطئ!!

ثم جاء بعد ذلك صنف خبيث ممن ينسبون إلى الإسلام في بلاد المسلمين ضخموا ، ونفخ فيهم ليكونوا شيئاً مذكوراً وهم في الحقيقة كالطبل الأجوف ، يُسمع من بعيد وباطنه من كل الخيرات خال .

يقول فرنسيس بيكون : ((إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد ولكن التعمق فيها - تعمق العقل في هذه الأشياء بإنصاف - ينتهي بالعقول إلى الإيمان ذلك لأن عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة هنا ينكر فلا يتابع السير إلى ما وراءها ولكنه إذا أمعن النظر شهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها لا يجد بدأ من التسليم بالله سبحانه وتعالى .

هذه شهادة أولئك الذين رسخوا في علم الكون - الطبيعة والفيزياء - وأنا لا أريد أن أستطرد في أقوالهم ، أنا لا استشهد بأقوال أهل العلم من علماء الطبيعة ، والجيولوجيا ، والفلك ، والرياضيات على صحة وصدق قول الله وقول الرسول صلى الله عليه

وسلم صلى الله عليه وسلم لا ، ولا أستشهد بالنظريات العلمية على صدق كلام رب البرية وكلام سيد البشرية ، إنما أثبت للناس ممن -وبكل أسف - يصدقون ما يأتي به الغرب أكثر من تصديقهم لكتاب الله ، بل أشد من تصديقهم لكلام الله ورسوله ، نعم هذا صنف موجود أنا لا أبالغ ، ولا أغالي ، ولا أجيش العواطف بكلام فارغ أجوف ورحم الله وتعالى القائل :

لله في الآفاق آيات لعلّ أقلها هو ما إليه هداكا
ولعل ما في النفس من آياته عجبٌ عجابٌ لو ترى عينكا
والكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيراً لها أعيكا
قل للطبيب تخطفته يد الردى من يا طبيب بطبه أرداكا
قل للمريض نجا وعوفي بعدما عجزت فنون الطب من عافاكا
قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنايا يا صحيح دهاكا
قل للبصير وكان يحذر حفرةً فهوى بها من ذا الذي أهواكا
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطدام من يفود خطاكا
قل للجنين يعيش معزولاً بلا راع ومرعى ما الذي يرعাকা
قل للوليد بكى وأجهش بالبكا ُ لدى الولادة ما الذي أبكاكا
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله من ذا با لسموم حشاكا
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاكا
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاكا
بل سائل اللبن المصفي كان بين دمٍ وفرتٍ من الذي صفاكا
وإذا رأيت الحي يخرج من حنا يا ميت فاسأله من يا حي قد أحياكا
قل للنبات يجف بعد تعهدٍ ورعايةٍ من بالجفافِ رماكا
وإذا رأيت النبات في الصحراء يربو وحد فاسأله من أرباكا
وإذا رأيت البدر يسري ناشراً أنواره فاسأله من أسراكا
واسأل شعاع الشمس يدنو وهي أبعد كل شيء ما الذي أدناكا
قل للمرير من الثمار من الذي بالمر من دون الثمار غذاكا
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله من يا نخل شق نواكا
وإذا رأيت النار شب لهيها فاسأل لهيب النار من أوراكا
هذا جواب على سؤالنا الأول من أنا ؟

أخلص من هذه الكلمات الدقيقة المهمة إلى هذه الحقيقة الكبيرة ألا وهي أن الإيمان بالله تبارك وتعالى ليس غريزة فطرية فحسب ، ولكنه ضرورة عقلية أيضاً ، وبدون هذا الإيمان سيظل هذا السؤال يحتاج إلى جواب .

ذلكم السؤال الخالد في قول الله تعالى : **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ [الطور: 35-36]**

سيظل هذا السؤال مطروحاً يحتاج إلى جواب من هؤلاء المعاندين ، والجواب : لا ، لا يقول عاقل أنه خلق من غير شيء ، والسؤال الثاني : فهل خلقوا أنفسهم ، والجواب : لا ، ما زعم عاقل على وجه الأرض منذ أن خلق الله ومن عليها خلق نفسه أو خلق الأرض أو خلق السماوات ، فيبقى السؤال مطروحاً ويحتاج إلى جواب من كل عاقل

منصف على وجه الأرض أم خُفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ % أم خَلُّوا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ [الطور: 35-36].

فهم يقولون ببساطة شديدة في مصير هذا الإنسان بعد رحلة هذه الحياة الدنيا يقولون :
إنه الفناء والعدم المطلق أن تطويه الأرض في بطنها كما طوت ملايين الحيوانات
الأخرى وأن تعيد هذا الجسد مرة أخرى إلى عناصره الأولى فيعود تراباً ثم تذروه
الرياح ، وهكذا!!..

هذه هي قصة الحياة عند هؤلاء الماديين أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، ولا جزاء ولا
حساب ، ولا نعيم ولا عذاب !!.. يستوي في ذلك عند هؤلاء من أحسن غاية
الإحسان، ومن أساء غاية الإساءة !!.. يستوي في ذلك من عاش عمره للناس على
حساب شهواته ، ومن عاش عمره لشهواته على حساب الناس !!.. يستوي في ذلك
من ضحى بحياته في سبيل الحق ومن ضحى بالحق في سبيل حياته !!.. يستوي في
ذلك من اعتدى على حياة الآخرين في سبيل الباطل ، ومن عاش من أجل أن يرد
ويدفع الباطل !!.. يستوي في ذلك من عبد الله وحده لا شريك له ، ومن عبد آلهة
أخرى باطلة مدعاة !!.. يستوي في ذلك الموحدون والمشركون !!.. يستوي في ذلك
الظالمون والمظلومون !!.. يستوي في ذلك المعذبون والمقهورون والمعذبون !!..

هذا ظلم .. أما المؤمن الذي منَّ الله عليه بالإيمان وكرمه بالقرآن ، وبرسالة محمد
فإنه لا يتعلم في الجواب طرفة عين ، يعرف المؤمن مصيره ، ويعرف المؤمن
مسيره ، يعرف المؤمن أين يصير ، ويعرف المؤمن المصير ، فهو يؤمن بقول الملك
القدير فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ شتان شتان ، ما بين مادي ملحد يسوي هذين
الصنفين ممن ذكرت، وبين مؤمن يعرف أن الله - عز وجل - هو العدل وهو الحق ،
فالمؤمنون يعلمون أنهم خلقوا لحياة الخلود ودار البقاء وهم في هذه الحياة الدنيا إنما
يستصلحون ويفقون ، ويهذبون ، ويعدون في هذه الدار إعداداً ليؤهلهم للعيش في دار
البقاء ، ليطيبهم الله تبارك وتعالى ، ليكونوا أهلاً لدار طيبة يكونوا أهلاً لسلام
الملائكة عليهم إذا دخلوا جنة ربهم جل وعلا وهم يقولون سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ .

إخوة الإسلام : إنه لعسير على العقل السوي أن يؤمن بخالق عليم عظيم حكيم أحسن
هذا الكون خلقاً وصنعاً ، وقد ربه كل شيء تقديراً بحكمة ، ثم يؤمن بعد كل ذلك أن
سوق الحياة تنتفض بالموت وقد سرق من سرق ، ونهب من هب ، وكفر من كفر ،
وظلم من ظلم وأساء من أساء واعتدى من اعتدى ، ثم لا يقف بعد ذلك هؤلاء جميعاً
بين يدي الله تعالى ليقتص للمظلوم من الظالم ، وليثيب الموحد على توحيده ، والعابد
على عبادته ، لا يصدق عقل سوي هذا أبداً ، وما أروع كلام الله - سبحانه وتعالى -
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون: 115-116]

وما أروع قول الله تعالى أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى [القيامة: 36] . أى مهملاً لا
سؤال ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ، كلا .

قال تعالى : أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الجاثية: 21]

ال تعالى : وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ [ص: 27-28]

وقال جل وعلا : وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ % إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ [الدخان: 38-40]
ومن أجمل وألطف ما قرأت في سنن ابن ماجة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : ((حدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحشبة؟)) قال فتية
منهم : بلى يا رسول الله ! بينا نحن جلوس ، مرت بنا عجوز من عجائز رهايينهم
تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم
دفعها ، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفت إليه فقالت : سوف
تعلم ، يا غدر ! إن وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي
والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غداً. قال : يقول
رسول الله : ((صَدَقْتُ صَدَقْتُ ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ)) (1)

انظروا إلى فطنة هذه المرأة ، وكيف أبرزت مشهداً من أعظم مشاهد يوم القيامة ، ألا
وهو مشهد الحساب ، ومشهد الميزان ، ومشهد الحق ، نعم إنه مشهد حق ، فلا بد من
قصاص :

أيها المظلوم صبراً لا تهن نم قرير العين وأهناً خاطراً
إن عين الله يقظى لا تنام فعدل الله بين الأنام
أيها الظالمون ، فإننا متظلمون ، وإنا إلى الله شاكون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون ، فلا بد من وقفة يقف فيها الجميع بين يدي الله تبارك وتعالى ليجازي الله كل
واحد بعمله فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة:
7-8] .

قال سبحانه : وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ
مَنْشُورًا أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الاسراء: 13-14]
فالمؤمن يعرف المسير ، ويعرف المصير ، يعرف أن المؤمنين إلى جنة عرضها
السموات والأرض ، وأن الكافرين إلى نار ، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا وإياكم
من أهل الجنان ، و يحررنا وإياكم على النار ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .
والسؤال الثالث والأخير والمهم : بعدما عرف الإنسان خالقه ، وبعدهما عرف الإنسان
مسيره ، ومصيره يجب عليه أن يسأل نفسه هذا السؤال : لماذا خلقت ؟ ما هي الغاية
التي من أجلها خلقت ؟

والجواب عند المؤمنين حاضر لا يحتاج إلى تفكير ، فكل صانع يعلم سر صنعته ،
لماذا صنعها ؟ ولماذا صنعها على نحو معين ؟

فالمؤمن حينما يبحث عن هذا السؤال عند خالقه يرى الجواب واضحاً إن سئلت لماذا
خلقت ؟ سيأتى الجواب من خالقك الذي يعلم الغاية من خلقك ، بل الذي خلقك لغاية
يعلمها ويريدها - سبحانه وتعالى - سيأتى الجواب واضحاً وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ [الذاريات: 56 - 58]

وتدبروا معي هذه الآية الجميلة التي قل من فكر فيها منا ، قال الله - سبحانه وتعالى -
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا [الطلاق: 12] فهذه الآية جعلت
معرفة الله - سبحانه وتعالى - هي الغاية من خلق السماوات والأرض ، فالغاية هي أن
تعرف الله ، أن تعرف أسماء جلاله ، أن تعرف صفات كماله ، أن تعرف قدره ، أن
تعرف عظمته ، أن تعرف أنك ما خلقت إلا لتوحده ، أنك ما خلقت إلا لتعبده ، أنك ما
خلقت إلا لتخشاه ، إلا لترجوه ، إلا لتتوكل عليه ، إلا لتخلص العبادة له وحده بلا
منازع أو شريك ، وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: 56] .
فالإنسان وبكل أسف يسأل عن الغاية التي من أجلها خُلق كل شيء في الكون ، مع أن
كل شيء في الكون خُلق من أجلك أنت أيها الإنسان .

فأنت تسأل لماذا خُلقت السماوات ؟ لماذا خُلقت الأرض ؟ لماذا شق الله البحار ؟ لماذا
تجري الأنهار ؟ لماذا خلق الله الأزهار ؟ لماذا كذا ؟ لماذا كذا ؟ في الوقت الذي لا
يسأل الإنسان عن سبب خلق نفسه هو ، وعن غاية خلقه ، لماذا خُلقت أنا ؟ إن سألت :
الله عز وجل خلق الماء للأرض ، وخلق الله - عز وجل - الأرض للإنبات وللحياة ،
خلق الله - عز وجل - النبات للحيوان وللإنسان ، وخلق الله - عز وجل - الحيوان
للإنسان ، وخلق الله - عز وجل - الإنسان له وحده ، نعم أنت مخلوق لله وحده ، أنت
مربوب لله وحده ، لا يجوز لك ألبتة أن تصرف العبادة لغير خالقك - سبحانه وتعالى -
، فالإنسان لله ، مخلوق لله ، ليفرد الله خالقه بالعبادة وحده لا منازع أو شريك ، هذه
العبادة وحده ، وهي الميثاق العظيم الذي أخذه الله على الخلق قال تعالى : أَلَمْ أَعْهَدْ
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ [يس: 60-61]

وقال تعالى : وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا
إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ
[الأعراف: 172-173] ، فلا عجب أن تكون العبادة هي الصيحة الأولى لكل نبي ،
وهي التوجيه الأول لكل رسول ، فما من نبي ولا رسول بُعث في قومه إلا ودعا
قومه أول ما دعاهم إلى عبادة الله وحده يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، دعوة
آدم ، وهذه دعوة إبراهيم وموسى وعيسى وهذه دعوة محمد .

قال الله - عز وجل - وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
[النحل: 36] .

قال الله - عز وجل - وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ [الانبياء: 25]

قال الله - عز وجل - هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ [الانبياء: 92] ،
فالعبادة أمر الله بها كل الخلق وأمر بها سيد الخلق قال الله تعالى : وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر: 99] ، واليقين هنا هو الموت .

فالتكليف بالعبادة لازم للنبي ، ولكل بشر على وجه الأرض حتى يلحق بربه تبارك وتعالى ، بل وبين الله - عز وجل - أن المسيح عيسى ابن مريم الذي عبده النصارى وجعلوه إله من دون الله ، بين عبوديته له - سبحانه وتعالى - فقال جلا وعلا : لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا [النساء:172] ، وعبادة الله هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق .
وأكتفى بهذا القدر ، وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم .

(1) حسن : رواه ابن ماجه رقم (4010) في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحسنه الألبانى فى مختصر العلو .

الحشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً.
حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين فى جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير..

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.
أحبتى فى الله:

فى رحاب الدار الآخرة

سلسلة علمية هامة تجمع بين المنهجية والرقائق، وبين التأصيل العلمى والأسلوب الوعظى تبدأ هذه السلسلة بالموت وتنتهى بالجنة.

وقد تحتاج هذه السلسلة إلى جهد شاق حتى تتضح لنا معالمها، لذا فإن الموضوع جد خطير ومن الأهمية بمكان، لذا استحلفكم بالله الذى لا إله إلا هو.. أن تعيرونى قلوبكم وعقولكم وأسماعكم حتى نقف على أهميتها ونسأل الله التوفيق، ونسأله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه ولى ذلك والقادر عليه ويجعلنا من الذين قال فىهم

اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر: 18].

أحبتى فى الله:

كنا قد انتهينا فى اللقاء الماضى عند البعث، وتوقفنا عند هذه المشاهد التى تخلع القلوب، فلقد وقفنا عند هذا المنظر المهيب الرهيب لخروج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا، كل يبعث على الهيئة التى مات عليها فمن مات على طاعة بعث على طاعة ومن مات على معصية بعث على نفس المعصية التى مات عليها. ذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح مسلم: ((يبعث كل عبد على ما مات عليه))([1]).

ولقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شئ مات عليه ومن مات على شئ بعث عليه..

وأول من يبعث، وتنشق عنه الأرض يوم القيامة حبيب الرحمن محمد ، فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أنه قال:

أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع وأول مُشَفَّعٍ))([2]).

وإذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أول من ينشق عنه القبر، فإن أول من يكسى يوم القيامة خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

كما فى صحيح مسلم من حديث ابن عباس أنه قال: ((يأبىها الناس إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام))([3]).

وفى رواية البيهقى من حديث ابن عباس أنه قال: ((أول الناس يكسى من الجنة يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ويؤتى بى فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر))

ولقد تكلم علماؤنا عن حكمة تقديم إبراهيم على نبينا محمد فى الكسوة يوم القيامة. ومن أجمل ما ذكره أهل العلم أن المشركين لما هموا بحرق إبراهيم وأشعلوا نار

متأججة وظلوا يجمعون لها الحطب شهورا، وأياما حتى ارتفع لهيبها فى عنان السماء فكانت الطيور تسقط من ارتفاع لهب هذه النيران فلما هموا بإلقائه جردوه من ثيابه

فلما صبر واحتسب وتوكل على الله جزاه الله سبحانه وتعالى عن ذلك فوقاه حر النار فى الدنيا والآخرة وكافأه يوم القيامة فكساه على رؤوس الأشهاد.

فأول الناس يبعث هو حبيب الرحمن، وأول الناس يكسى هو خليل الرحمن وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ترى ماذا يكون بعد البعث؟! ... إنه الحشر.

وهذا هو موضوع الحديث فى هذا اليوم الكريم المبارك، لذا أستحلفك بالله أذى الحبيب أن تعرنى قلبك وسمعك فإن الموضوع من الخطورة، والرهبة، والهيبة

بمكان.

وحتى لا ينسحب بساط الوقت سريعا فسوف ينتظم حديثنا عن الموضوع فى العناصر التالية:

أولاً: صفة أرض المحشر.

ثانياً: كيف يحشر الناس؟!!

ثالثاً: هول الموقف.

رابعاً: فى ظل عرشه.

أولاً: صفة أرض المحشر

ترى كيف تكون هيئة أرض المحشر؟!!!

أ تكون مثل أرض الحياة الدنيا؟!!

لا ريب أنها ستكون مختلفة تماماً عن أرض الحياة الدنيا التى نعيش عليها

لم لا؟! فإن الزمان غير الزمان.. فحتماً يكون المكان غير المكان.. حيث قال رحمان

الدنيا والآخرة: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

[إبراهيم: 48].

إذاً تتبدل أرض الدنيا وسموات الدنيا.

فأفقد وصف لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم طبيعة الأرض التى سيحشر الناس

عليها وصفاً دقيقاً بليغاً.

ففى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى

أنه قال:

((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علمٌ

لأحد))

وفى رواية إلى قوله ((كقرصة النقي)) ثم قال: قال سهل، أو غيره: ((ليس فيها معلم

لأحد))([4]).

أرض عفراء: أى بيضاء، والغفرة: البياض.

وعند ابن فارس: البياض الشديد الناصع البياض. قرصة نقي أو كقرصة نقي، أى

كالدقيق النقي من الغش والنخال.

قال سهل: ليس فيها معلم لأحد، المعلم: هو العلامات التى يتعارف بها الناس على

الشوارع، والطرقات، والمدن.

فهى أرض بيضاء مستوية كالفضة البيضاء لا يوجد عليها أشجار، أو أنهار، أو أبنية.

هذه هى صفة أرض المحشر كما أخبرنا الصادق المصدوق.

ولكن كيف يحشر الناس على هذه الأرض؟!!

ثانياً: كيف يحشر الناس على هذه الأرض؟!!

يخرج الناس من القبور حفاة عراة غرلاً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

صحيح مسلم من حديث عائشة.

يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً قالت عائشة: يارسول الله الرجال والنساء

ينظر بعضهم إلى بعض قال: ((ياعائشة الأمر أشد من أن يهتمهم ذلك))([5]).

نعم والله يخرجون من القبور بهذا العرى والذل والهوان.

قال تعالى: وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ

يَوْمَ الْخُرُوجِ [ق: 41-42].

نعم والله إنه يسير على الله أن يحشرهم جميعاً من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض

ومن عليها ولا يتخلف أحد ولا يمتنع.... كيف ذلك؟

يقول سبحانه وتعالى: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمُ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا [الكهف: 47-48]

حشر الله الخلق جميعاً ولا يتخلف ملك، ولا متكبر، ولا حاكم، ولا زعيم، ولا طاغية، فلم نغادر منهم أحداً سبحانه وتعالى: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا [مريم: 93-95].

هكذا كل يأتي الرحمن فلا يتخلف مخلوق فلقد أحصى الله الخلق من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة، فهم ينطلقون جميعاً وراء هذا الداعي الكريم الذي جاء ليقود الخلق جميعاً إلى المحشر، انطلقوا خلفه لا يتلفتون، ولا يتخلفون صامتين مستسلمين خاشعين.. يعلوهم صمت رهيب يزلزل قلوبهم سكون غامر يغمر المكان كله بالعظمة والهيبة والإجلال.

قال سبحانه: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا [طه: 108-111].

الكلام يومئذ همس!! والسؤال يومئذ لصاحب الأمر!!

وهل يستطيع مخلوق أن يتفقت أو يتخلف!!

وهل يملك طاغية أن يتغيب، أو يتأخر، وقد وكل الله بكل إنسان ملكين يسوقانه سوقاً إلى أرض المحشر.

قال تعالى: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [ق: 19 - 22].

ها هو رسول الله يجسد لنا معاني هذه الآيات - عن مشهد الحشر يخلع القلوب ويأخذ بالألباب - فيقول كما في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن يقول ((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ، صِنْفٍ مَشَاةٍ، وَصِنْفٍ رُكْبَانٍ، وَصِنْفٍ عَلَى وَجُوهِهِمْ))([6]).

وفي صحيح البخارى ومسلم من حديث أنس قال رجل: يانبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟! فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((أليس الذى أمشاه فى الدنيا على رجلين قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟)). قال قتادة: بلى وعزة ربنا([7]).

ونحن نقول: بلى وعزة ربنا إنه لقادر أن يحشر الكافرين يوم القيامة على وجوههم. أيها الحبيب:

هل تصورت قبل أن ترى الحية أن دابة تمشى على بطنها؟! إن الذى جعل الحية تمشى بدون أرجل سيحشر الكافر وهو يمشى على وجهه يوم القيامة، إنه على كل شئ قدير.

أناس يمشون على الأقدام وأناس يركبون، من هؤلاء الذين يركبون فى هذا اليوم العصيب؟!

اسمع لربك جل وعلا ... قال سبحانه: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا [مريم: 85].

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ [فصلت: 30].

ويقدم الملائكة لأهل التقى ركائب من دواب الآخرة عليها سُرُج من ذهب فيركب المتقون، وينطلقون بها فى أرض المحشر حتى لا يمشون على أقدامهم فى هذا اليوم العصيب.. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!.

والتقوى هى أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر.

وسئل أبو هريرة عن التقوى فقال: "هل مشيت على طريق فيه شوك؟" قال: نعم، قال: "فماذا صنعت إذا رأيت الشوك؟" قال: اتقيته، قال أبو هريرة: "كذلك التقوى".

وقال ابن المعتز:

خَلَّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى ...

واصنع كماش فوق ... أرض الشوك يحذر ما يرى ...

لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصى ...

قال طلق بن حبيب:

التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله.

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا مريم: 85-86.

فالتقى يحشر ركباً، والعاصي يحشر وارداً، أما المتكبرون الذين انتشوا وانتفخوا فى الدنيا ولم يذلوا أنفسهم لله، ولم يخفضوا جناح الذل لخلق الله بل تراه مغروراً بكرسيه الذى جلس عليه، وتراه مغروراً بمنصبه وتراه متكبراً بماله، وتراه متكبراً بسلطانه وجاهه.

فهذا والله الذى لا إله غيره سيحشر بمنظر وهيئة لو علمها لوضع أنفه فى التراب ذلاً لمولاه، ولخفض جناح الذل لخلق الله.

غداً أقصر فإنك مأكول ومشروب

يا ابن التراب ومأكول التراب

علام الكبرياء يا ابن آدم؟ وأنت تحمل البصاق فى فمك!! وتحمل العرق تحت

إبطيك!! وتحمل البول فى مثانتك!! وتحمل النجاسة فى أمعائك!! وتمسح عن نفسك

بيدك العذرة كل يوم مرة أو مرتين!!!

يا أيها الإنسان ما غرك!!

مر أحد السلف على رجل متبختر مختال فى مشيته فقال له هذا الرجل الصالح: يا ابن

أخى هذه مشية يبغضها الله ورسوله.

فقال له المتكبر: ألا تعرف من أنا؟! من أنت أيها المغرور؟!!

تصور معى مشهد حشر المتكبر يوم القيامة.

أخرج الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان))([8]).

يحشر المتكبرون يوم القيامة كذر تدوسه الأقدام والأرجل لأنه كان منتفخاً منتشياً متكبراً مغروراً في الدنيا.. والجزاء من جنس العمل.

فكما انتفخ واستعلى في الحياة الدنيا يحشر يوم القيامة في غاية الذلة والمهانة تطأه الأرجل والأقدام.

فإذا ما وصلت الخلائق كلها إلى أرض المحشر تنزلت الملائكة ضعف عدد من في الأرض.. تحيط الملائكة بأهل الأرض من كل جانب.

إن الموقف فيه من الأهوال والكروب ما يخلع القلوب وهذا هو عنصرنا الثالث ثالثاً: هول الموقف

إذا ما وصل الناس إلى أرض المحشر ازداد الهم والكرب والغم.. ولم لا!! وقد وقفوا قياماً طويلاً.. طويلاً!!

و هاهي الشمس تدنوا من الرؤوس. ففي صحيح مسلم من حديث المقداد أنه قال: ((تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم مقدار ميل)) قال الراوى: فوالله

مأدرى مايعنى بالميل: أمسافة الأرض، أو الميل الذى تكحل به العين؟! قال: ((فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من

يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إجماء)) وأشار بيده إلى فيه([9]).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أنه قال فى قوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف

أذانهم))([10]). هل تصورت هذا المشهد؟ حرارة تذيب الحديد والحجارة فوق الرؤوس ولك أن تتصور البشرية كلها تحشر فى مكان واحد على أرض واحدة.

زحام يخنق الأنفاس!! وفى هذا المشهد والموقف الرهيب يزداد الهم والكرب بإتيان جهنم.

إيه والله... يؤتى بجهنم فى أرض المحشر كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله: ((يؤتى بالنار يومئذ لها سبعون ألف

زام، ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها))([11]). فإذا أقبلت جهنم، وأحاطت بالخلائق، ورأت الخلق زفرت، وزمجرت غضباً منها

لغضب الله جل وعلا.. عند ذلك تجنوا جميع الأمم على الركب من الخوف والذلة.

قال تعالى: وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الجاثية: 28].

وليس ذلك فقط بل يحدث ما تشيب منه الرؤوس وتنخلع له القلوب!! اسمع إلى هذا الحديث الذى رواه الترمذى بسند صحيح قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ((يخرج عنق من النار له عيان تبصران وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إنى وكلت بثلاثة، لمن جعل مع الله إله آخر، وبكل جبار عنيد،

وبالمصورين))([12]).

ويسجل القرآن جزاء كل جبار عنيد فيقول عز وجل: **وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَنْجَرُّهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ [إبراهيم: 15-17].**

فى هذا المشهد فى الحر الشديد، والزحام الرهيب!!
وفى هذا التدافع فى هذا الموقف الذى ترتعد منه الفرائص وتشيب له الرؤوس، ويهتز له الوجدان فإن الأنبياء حينما يرون هول هذا الموقف لا يملكون إلا أن يقولوا: اللهم سلم.. سلم!!

هذه دعوتهم يومها، والكلام مقتصر عليهم دون غيرهم!!
يومها تذهل كل مرضعة عن رضيعها، وتضع كل ذات حمل حملها وينتاب الناس الهلع، والرعب حتى تظنهم سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.
يومئذ يفر المرء من أبيه، وأمه، وأخيه، وصاحبته، وينسى الابن أبويه اللذان برهما فى دنياه وألان لهما الجانب وأطاعهما فى غير معصية لله!!
يومها يفر الأخ من أخيه ولا تعد هناك روابط نسبية!!
ويومها تفر الزوجة من زوجها الذى أعطى لها كل عطفٍ وحنانٍ ورعايةٍ وصحبةٍ جميلةٍ حسنة!!

يومها ترمى الأم الحنون بطفلها فى غير وعى فلا أمومة فى هذا الموقف الرهيب المخيف، الكل يقول: نفسى... نفسى...! حتى الأنبياء!
الكل له شأن يليه، استمع لقول مولاك عز وجل **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس: 33-37].**

ولله در القائل :

مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
إذا كورت شمس النهار وأدببت حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت وتقول للأفلاك أين نسير
وإذا الجليل طوى السماء بيمينه طىَّ السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف نشرت وتطايرت وتهتكت للعالمين ستور
وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصر على الذنوب دهور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ولها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان ترخرفت وتطبيت ... لفتى على طول البلاء صبور ...
تذكر كل هذه المشاهد.. الزحام شديد يكاد يخنق الأنفاس والشمس يكاد تصهر الرؤوس والكل يتدافع.. السؤال همس.. والكلام تخافت وجلال الحى القيوم عمر المكان بالهيبة.

فى هذه اللحظات ينادى الحق جل جلاله على مجموعة من الخلق فى أرض المحشر أن يتقدموا ليظلمهم بظلمه يوم لا ظل إلا ظله.

من هؤلاء ياترى؟! والإجابة على هذا السؤال تكون بعد جلسة الاستراحة.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

الخطبة الثانية

أحبتى فى الله:

رابعاً: فى ظل عرشه

إن مجرد الكلام عن أهوال هذا اليوم ترتعد له الفرائص فكيف إذا عايناه وعاصرناه وعاشنا على أرض الواقع لا أرض الخيال؟!!

فى هذا الموقف ينادى الحق جل جلاله على أناس ليظلمهم بظلمه يوم لا ظل إلا ظله، ياترى من هؤلاء السعداء؟!!

فى صحيح البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة: قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((سبعة يظلمهم الله فى ظلمه يوم لا ظل إلا ظلمه إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه))([13]).

((إمام عادل)): أى حاكم عادل عاش ليقوم العدل فى الأرض، سعدت به رعيته، وسعد هو برعيته، وكان يتقى الله فى هذه الأمانة، يعلم يقيناً أن الحكم والمنصب أمانة سيسأل عنها بين يدي الله كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر: ((إن الولاية أمانة وإنها يوم القيامة حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها)). ترى ما جزاء هذا الحاكم؟! أن يظلمه الله يوم لا ظل إلا ظله.

((شاب نشأ فى عبادة الله))

أخى فى الله: إذا نشأت فى عبادة الله، وانصرفت عن معصية الله وإن زلت قدمك فى معصيته تبت إلى الله جل وعلا، أظلك الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله.

أيها الشاب الفتى.. أيها الشاب الزكى.. أيها الشاب الذى أسرفت على نفسك أرجو من الله عز وجل أن لا تتأخر لحظة عن التوبة وطاعة الله لأن الطاعة عز، الطاعة شرف.. فلا عز فى الدنيا والآخرة إلا بطاعة الله.

ولماذا خص الشاب؟!!

لأن الشاب تجرى دماء الشهوة فى عروقه، لأنه - لا سيما فى سن المراهقة وسن الفتوة - تعصف الشهوة بكيانه عصفاً، ولكن بخوفه من الله ومراقبته لله يعصم نفسه ويحارب شهواته ويحارب نفسه الأمانة بالسوء.

لذا كافأ الله هذا الشاب الطائع، التقى، النقى، الطاهر الذى نشأ منذ نعومة أظافره يعبد الله، ويطيع الله ويحفظ حقوق الله ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ويقوم حدوده، فيظلمه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

((ورجل قلبه معلق بالمساجد)) معنى ذلك أن قلبه فى المسجد، فإذا صلى الفرض، وخرج إلى الدنيا يسعى على رزقه من الحلال، أو عاد إلى بيته وأولاده يخرج من

المسجد، وقلبه مشتاق أن يرجع إلى المسجد مرة أخرى فهو متعلق بالمسجد يهوى الجلوس في بيت الله بل يتمنى أن لو يبسر الله له الوقت ليقضى جلّه في بيت الله جل وعلا وهذا خير من أن تقضى وقتك أمام المسلسلات والمباريات والأفلام!! لماذا لا تحرص على أن تقضى هذا الوقت في بيت الله جل وعلا؟! فإذا تعلق قلبك به أظلك الله في عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

((ورجلان تحابا في الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه))
إنه الحب في الله إن ((من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان))([14]) وإن أصرة الحب في الله هي أعلى أصرة.. وأن رابطة الحب في الله هي أعلى رابطة.. ألا وإن ((أوثق عرى الإيمان، الحب في الله والبغض في الله)) يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي وهو في الصحيحين: ((أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))([15]).

((ورجل دعتة امرأة - أي للزنا - ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله)) تذكر الله جل وعلا وراقبه وأعرض عن هذه الكبيرة خوفاً من الله جل وعلا.
((ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)) خلى بنفسه، وقام من الليل، وجلس يصلى أو يذكر الله سبحانه وتعالى فلما امتلأ قلبه بهيبة الله وبعظمة الله، فاضت عيناه بالدموع خوفاً منه وهيبة له سبحانه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله))([16]).
وهناك غير هؤلاء السبعة من الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة. ولقد جمع الحافظ ابن حجر في كتاب مستقل هؤلاء الذين يظلمهم الله في ظله غير هؤلاء السبعة في كتاب قيم سماه (معرفة الخصال الموصلة إلى الضلال) وبين أن الله سبحانه يظل غير هؤلاء السبعة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ففي الحديث الصحيح أنه قال:

من، أنظر (أمهل) معسراً أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله))([17]).
أيها الحبيب الكريم: احرص على طاعة الله وعلى هذه الخصال من خصال الخير ليظلك الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.
وحينئذ يقوم بقية الخلق في هذا الموقف قياماً طويلاً طويلاً، ويشد الكرب عليهم حتى يتمنى بعضهم أن يحشر إلى النار ولا يقف في مثل هذا الموقف المهيب الرهيب ظاناً أن النار لن تكون أشد عذاباً مما هو فيه من هم وكرب.
وهنا يبحث الخلق عن من يشفع لهم إلى الله جل وعلا ليقضى الله تبارك وتعالى بين الخلائق لينتهي هذا الموقف المهيب الرهيب، وهنا يقول كل نبي من الأنبياء: نفسي.. نفسي.

ويتقدم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود وصاحب الحوض المورود، وصاحب اللواء المعقود، وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين يتقدم ليشفع للخلائق في أرض المحشر ليقضى الله جل وعلا بينهم ونتوقف عند هذا المشهد الكريم عند مشهد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف جميعاً لنعيش مع هذا الموقف. لنتعرف عليه لاحقاً إن قدر الله لنا البقاء واللقاء.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

[1] رواه مسلم رقم (2878) ، فى الجنة ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

[2] رواه مسلم رقم (1178) ، فى الفضائل ، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ، أبو داود رقم (4763) ، فى السنة ، باب فى التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والترمذى رقم (3615) ، فى المناقب ، باب ماجاء فى فضل النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم .

[3] رواه البخارى رقم (6524) ، فى الرقاق ، باب كيف الحشر؟ ، ومسلم رقم (2860) ، فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، الترمذى رقم (2425) ، فى القيامة ، باب ماجاء فى شأن الحشر ، والنسائى (114/4) ، فى الجنائز ، باب البعث .

[4] رواه البخارى فى الرقاق ، باب يقبض الله الأرض ، ومسلم رقم (2790) فى صفات المنافقين ، باب فى البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة .

[5] رواه البخارى رقم (6527) فى الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (2859) فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائى (114/4) فى الجنائز ، باب البعث .

[6] رواه الترمذى رقم (3141) فى التفسير ، باب ومن سورة بنى إسرائيل .
وصححه شيخنا الألبانى فى المشكاة (5546) .

[7] رواه البخارى رقم (4760) فى التفسير ، سورة الفرقان ، ومسلم رقم (2806) فى صفات المنافقين ، باب يحشر الكافر على وجهه .

[8] رواه الترمذى رقم (2494) فى صفة القيامة ، وصححه شيخنا الألبانى فى المشكاة وهو فى صحيح الجامع برقم (8040) .

[9] رواه مسلم رقم (2864) فى صفة الجنة ، باب صفة يوم القيامة ، والترمذى رقم (2423) فى صفة القيامة ، باب رقم (3) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (2933) .

[10] رواه البخارى رقم (6531) فى الرقاق ، باب قوله تعالى : ألا يظن أولئك أنهم مبعثون . . . الآية ، ومسلم رقم (2862) فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فى صفة يوم القيامة .

[11] رواه مسلم رقم (2842) فى صفة الجنة ، باب فى شدة حر نار جهنم ، والترمذى رقم (2576) فى صفة جهنم ، باب ماجاء فى صفة النار .

[12] رواه الترمذى رقم (2577) فى صفة جهنم ، باب ماجاء فى صفة النار ، وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (512) ، وهو فى صحيح الجامع برقم (8051) .

[13] رواه البخارى (119/2) فى الجماعة ، باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، ومسلم رقم (1031) فى الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة .

[14] رواه أبو داود رقم (4681) في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ، وهو في صحيح الجامع (5965) .

[15] رواه مسلم رقم (2566) في البر والصلة ، باب في فضل الحب في الله ، والموطأ (952/2) في الشعر ، باب ماجاء في المتحابين في الله .

[16] رواه الترمذى رقم (1639) في فضائل الجهاد ، باب ماجاء في فضل الحرس في سبيل الله وصححه شيخنا الألبانى في المشكاة رقم (3829) ، وهو في صحيح الجامع رقم (4112) .

[17] رواه الترمذى رقم (1306) في البيوع ، باب في إنظار المعسر ، وصححه شيخنا الألبانى في صحيح الترغيب (900) ، وهو في صحيح الجامع رقم (6107) .

الشفاعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته و صلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبوأت من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير..

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله:

هذا هو لقاءنا الحادى عشر مع السلسلة الكريمة فى رحاب الدار الآخرة وكنا قد وقفنا عند هذا المشهد المزلزل المروع: الناس جميعاً وهم فى أرض المحشر، وقد بلغ بهم ما بلغ من الهول والغم والكرب، فالزحام حينذاك يخنق الأنفاس، والشمس فوق الرؤوس بمقدار ميل، والناس غرقى فى عرقهم كل بحسب عمله وبحسب قربه من الملك القدير ويزيد المشهد الرهيب العصيف غمماً فوق الغم وكرباً فوق الكرب بإتيان جهنم والعياذ بالله.

فقد سجل المولى في قرآنه قال تعالى: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ [الفجر: 23 - 26].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أنه قال: ((يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها))([1]).

فإذا ما رأت الخلائق زفرت وزمجرت غضباً منها لغضب الله. فحينئذ تجثوا جميع الأمم على الركب..

ولقد سجل القرآن هذا المشهد حيث قال الله تعالى: وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الجاثية:28].

وفي هذه اللحظة تطير قلوب المؤمنين شوقاً إلى الجنة، وتطير قلوب المجرمين فزعاً، وهلعاً، وهرباً من النار، ويعض صنف كثير من الناس في أرض المحشر على أنامله تحسراً على ما قدم في هذه الحياة الدنيا -ولكن- هيهات.. هيهات!! قال تعالى: الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا [الفرقان:26-29].

في هذا الكرب ينطلق بعض الناس ويقول بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه؟! ألا ترون ما قد بلغنا؟! ألا تنظرون من يشفع لكم عند ربكم ليقضى بينكم؟! فلا يتقدم للشفاعة يومئذ إلا صاحبها. سيد ولد آدم محمد بن عبد الله وحينها يقول كل نبي نفسى.. نفسى!! ويقول حبيبنا محمد أنا لها، أنا لها. وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أيدينا سريعاً فسوف ينتظم حديثنا في هذا الموضوع في العناصر الآتية :-
أولاً: الشفاعة العظمى.

ثانياً: من أسعد الناس بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم .
فأعرنى قلبك، وسمعك أيها الحبيب، و الله أسأل أن يجعلنى وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.
أولاً: الشفاعة العظمى

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أنه قال: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)) ثم قال: ((هل تدرون مم ذلك؟!!! يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعى وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس ألا ترون ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟!!! ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه

نهانى عن الشجرة فعصيت، نفسى، نفسى، نفسى... اذهبوا إلى غيرى. اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يانوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومي، نفسى، نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى إبراهيم... فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله، وخليله فى أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرها، نفسى، نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى. فيقولون: أنت رسول الله، فضلك برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس فى المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً وفى رواية: فيأتونى - فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فانطلق، فأتى تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تُشفع فأرفع رأسى، فأقول: ياربى أمتي))([2]).

فتعال معى أخی الحبيب نعيش مع بعض فقرات الحديث سريعاً:
لقد بلغ من الناس ما بلغ بهم من شمس تدنوا فوق الرؤوس بمقدار الميل، هم وكرب وغم ما لا يطيقون ولا يتحملون.

فلما بلغ بهم الحال لهذا الحد العصيب الرهيب بلغ بهم المقال، فقال بعض الناس لبعض: ألا ترون ما نحن فيه، ألا ترون ما قد بلغنا؟ ألا تنظرون من يشفع لنا إلى ربنا؟ فيقول بعضهم لبعض: أبوكم آدم. فيأتون آدم عليه السلام فيقول آدم عليه السلام: نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى...!! اللهم سلم سلم يا أرحم الراحمين. فيأتون نوح عليه السلام. ذلك العملاق الذى ظل يدعو إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً، ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الكريم الذى دعى قومه فى السر والعلن فى الليل والنهار فلم يستجيبوا إلا من رحم الله.

قال تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا

[نوح:5-9]

ما ترك هذا النبي صلى الله عليه وسلم الكريم العملاق سبيلاً إلا وسلكه، ألف سنة إلا خمسين عاماً لم ينم، ولم يهدأ، ولم يقر له قرار، ومع ذلك يقول نبي الله نوح: نفسى، نفسى، نفسى... اذهبوا إلى غيرى..

ولقد دعى نبي الله نوح دعوته، فلكل نبي دعوة مستجابة، كل نبي تعجل بهذه الدعوة فى الدنيا إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح مسلم ((لكل نبي دعوة مجابة، وكل نبي قد تعجل دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتي يوم القيامة)) [3].

نوح دعى على قومه كما سجل القرآن، فقال تعالى: وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا [نوح:26-27].

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول خليل الله: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ويذكر إبراهيم كذباته ثم يقول نفسى، نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى!!!

أتعرف ما هي كذبات إبراهيم؟! كذباته!!.. وهل كذب إبراهيم؟! الجواب من صحيح البخارى من حديث أبى هريرة قال: لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله، قوله: إِنِّي سَقِيمٌ [الصافات:89] وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا [الأنبياء:63].

وواحدة فى شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار، ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختى، فإنك أختى فى الإسلام، فإنى لا أعلم فى الأرض مسلماً غيرى وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، فأتاه، فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها، فأتى بها، فقام إبراهيم إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها: ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك، ففعلت فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأولىين، فقال: ادعى الله أن يطلق يدى، فلك الله أن لا أضرك ففعلت، وأطلقت يده، ودعا الذى جاء بها، فقال: إنك إنما جئتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر، قال: فأقبلت تمشى، فلما رآها إبراهيم انصرف، فقال لها: مهيم، قالت: خيراً، كف الله يد الفاجر وأخدمَ خادماً، فقال أبو هريرة: فتلک أمکم یابنی ماء السماء [4].

هذه كذبات إبراهيم التى ذكرها ثم قال: اذهبوا إلى غيرى... اذهبوا إلى موسى...!! إنه الكليم.. إنه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرسالة.. إنه المجتبى بالكلام إنه المصنوع على عين الله. وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي [طه:39].

اصطفاه الله برسالته على جميع الخلق واصطفاه بالكلام على جميع الخلق ومع ذلك يقول: نفسى.. نفسى.. نفسى!! اذهبوا إلى غيرى.. اذهبوا إلى عيسى.

سبحان الله!! حتى الكليم يقول: اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى!! فيأتون عيسى عليه السلام فيقول عيسى عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله

مثله ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيرى نفسى، نفسى، نفسى، ولم يذكر عيسى عليه السلام ذنباً من الذنوب اذهبوا إلى محمد بن عبد الله .

يقول الحبيب فيأتونى فأقول: أنا لها، أنا لها.

يقول: فأقوم فأخر ساجداً لربى تحت العرش فينادي عليه الملك جل جلاله ويقول يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول الحبيب أمتي أمتي.. يا رب أمتي. سبحان الله !! انظر كم حب الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لأمته !! إنه الحليم الأواه صاحب القلب الكبير صاحب القلب الرحيم الذى قال الله في حقه بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .

قرأ يوماً قول الله فى إبراهيم: رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [إبراهيم: 36]

وقرأ قول الله فى عيسى: إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة: 118].

فبكى فأنزل الله إليه جبريل عليه السلام وقال: باجبريل سل محمد ما الذى يبكيك؟ - وهو أعلم-، فنزل جبريل وقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال أمتي.. أمتي يا جبريل، فصعد جبريل إلى الملك الجليل. وقال: يبكى على أمته والله أعلم، فقال لجبريل: انزل إلى محمد وقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك فيقول: يا رب أمتي.. يا رب أمتي.. يا رب أمتي.

وفى حديث الصور الطويل الذى رواه الطبرى والطبرانى والبيهقى وأبو يعلى الموصلى وأورده السيوطى واستشهد به ابن أبي العز الحنفى، وللأمانة العلمية التى عاهدنا الله عليها فإن الحديث بطوله ضعيف، فيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف كما قال أهل الجرح والتعديل وفيه محمد بن زياد وهو مجهول. وفيه ما يتفق مع سياق حديث أبي هريرة الذى ذكرته آنفاً.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فأخر ساجداً تحت العرش فيقال لى: ما شأنك؟ وهو أعلم)) فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((يارب وعدتتى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فأقضى بينهم، فيقول الله جل وعلا قد شفعتك... أنا أتكم لأقضى بينكم)).

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم ((فأرجع لأقف مع الناس فى أرض المحشر)). وتنتظر البشرية كلها مجيء الملك جل جلاله مجيباً يليق بكماله وجلاله، فكل ما ورد ببالك فالله بخلاف ذلك ليس كمثله شىءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فصفة النزول، وصفة المجيء، وصفة الإتيان، وصفة الغضب، صفات لله جل جلاله نثبتها كما جاءت من غير تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل قال تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه:5].

قال علماؤنا: استوى كما أخبر، وعلى الوجه الذى أراد، وبالمعنى الذى قال، استواءً منزهاً عن الحلول والانتقال.

فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته والكرسى وعظمته، الكل محمول بلطف قدرته، مقهور بجلال قبضته.

فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

سأل رجل إسحاق بن راهويه وقال: يا إسحاق كيف تؤمنون بالله ينتزل كل ليلة من عرشه إلى السماء الدنيا؟! فقال: يا هذا إن كنت لا تؤمن به فإننا نؤمن بالله ينتزل كل ليلة من عرشه إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه عرشه.

من كان منا يتصور أن النمل يتكلم، وما عرف ذلك وفهمه إلا يوم أن قرأ في القرآن الكريم حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ [النمل-18].

من كان منا يتصور أن هناك شيء لا يمشى على رجليه وإنما يمشى على بطنه حتى رأيت الحية تمشى على بطنها وما شاكلها وهكذا.

من زعم أنه يعرف كيفية ذات الله جل وعلا فهو واهم لأنه سبحانه وتعالى يقول وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا [طه:110].

جل جلاله.. لا ند له، ولا كفاء له، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا مثيل له قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص:1].

والسؤال: من الذي يشفع للبشرية كلها لفصل القضاء!!؟

لم يشفع للبشرية كلها لفصل القضاء إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أيها الموحدون: والله لا يعرف قدر رسول الله إلا الله.

إن قدر رسول الله عند الله لعظيم! وإن كرامة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله لكبيرة!

فهو المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو المجتبي فلقد اصطفى الله من البشرية الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولى العزم واصطفى من أولى العزم الخمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد واصطفى محمد فضله على جميع خلقه. شرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وزكاه في كل شيء :

زكاه في عقله فقال سبحانه: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى [النجم: 2].

زكاه في صدقه فقال سبحانه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى [النجم: 3].

زكاه في صدره فقال سبحانه: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [الشرح: 1].

زكاه في فؤاده فقال سبحانه: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى [النجم: 11].

زكاه في ذكره فقال سبحانه: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ [الشرح: 4].

زكاه في طهره فقال سبحانه: وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ [الشرح: 2].

زكاه في علمه فقال سبحانه: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى [النجم: 5].

زكاه في حلمه فقال سبحانه: بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ [التوبة: 128].

زكاه كله فقال سبحانه: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: 4].

بأبى هو وأمى .. هو رجل الساعة، نبي الملحمة، صاحب المقام المحمود - الذى يغبطه عليه كل نبي فى أرض المحشر - الذى وعد الله به نبينا فى قوله :

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا [الإسراء-79].

فهذا هو المقام المحمود كما فى حديث مسلم من حديث أبى هريرة أنه قال: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفع))([5]).

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة كذلك أنه قال: ((إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل

الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))([6]).

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: ((فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم (فهو البليغ الفصيح) ونصرت بالرعب - وفى لفظ البخارى ((مسيرة شهر)) - وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيون))([7]).

هذه مكانة النبى صلى الله عليه وسلم محمد ، بل لقد أنزل الله قرآناً يتلى ليربى وليعلم الصحابة كيف يتأدبون ويعظمون رسول الله وكيف يوقرون رسول الله وكيف يتأدبون حتى فى النداء على رسول الله .. ولكن الآن ما الذى حدث للأمة!!؟

فإن الأمة لم تعرف قدر نبيها إلا من رحم الله، ولم تعظم رسولها بل وقد أساءت الأدب مع رسول الله . فهجرت الأمة شريعته، وَنَحَّتْ الأمة سنته ولم تعد الأمة تجيد إلا أن تتغنى برسول الله فى ليلة مولد، فى ليلة هجرة، فى ليلة نصف من شعبان!! فالأمة الآن ما عادت تجيد إلا الرقص والغناء، إنها عشقت الهزل وتركت الجد والرجولة، أمة تدعى الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتتغنى برسولها فى المناسبات والأعياد الوطنية فى الوقت الذى نحت فيه شريعته وهجرت فيه سنته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أحبتى فى الله:

الشمس فوق الرؤوس، الزحام وحده يخنق الأنفاس، البشرية كلها فى أرض المحشر من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة، فى هذا الموقف الرهيب المهيب. المصطفى واقف على حوضه، والحوض مأؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك عدد كيزانه بعدد نجوم السماء من شرب منه بيد الحبيب شربة لا يظماً بعدها أبداً ([8]) حتى يتمتع بالنظر إلى وجه الملك فى جنات النعيم. اللهم اسقنا منه شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً يأرحم الراحمين.

روى البخارى من حديث سهل بن سعد الساعدي يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ((أنا فرطكم على الحوض يوم القيامة فمن مر على شرب ومن شرب لا يظماً أبداً، وليردن على الحوض قوم أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم)) وفى لفظ فى الصحيح ((ثم يختلجون دونى)) فأقول: ((إنهم من أمتي. إنهم من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي))([9]).

ومعنى ذلك أن اتباع نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم هو سبيل الفوز والنجاة. انظر إلى الموحدين الذين امتثلوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، ونهيه، وتعلم كيف كانوا حتى فى آخر لحظات لهم فى هذه الدنيا.

فهذا معاذ بن جبل على فراش الموت نائم يدخل عليه الليل ويشتد به الألم فينظر لأصحابه ويقول هل أصبح النهار؟! فيقولون: لا لم يصبح بعد، فيبكي معاذ بن جبل ويقول: أعود بالله من ليلة صباحها إلى النار.

معاذ بن جبل يخشى أن يكون من أهل النار!!!

وهذا هو فاروق الأمة الأواب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى أجرى الله الحق على لسانه وقلبه، يدخل عليه ابن عباس بعدما طعن ليذكره وليثني عليه الخير كله

فيقول عمر: إن المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ملء الأرض ذهباً لافتديت به اليوم من عذاب الله قبل أن أراه. ثم قال عمر: وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً لا لي ولا على.

سبحان الله!!

وهذه هي عائشة تسئل عن قول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله [فاطر:32]. فتقول عائشة: يا بنى أما السابق بالخيرات فهو لاء الذين ماتوا مع رسول الله وشهد لهم رسول الله بالجنة، وأما المقتصد فهو لاء الذين اتبعوا أثر رسول الله حتى ماتوا على ذلك وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلك.

الله أكبر!! جعلت عائشة نفسها معنا. جعلت عائشة نفسها من الظالمين لأنفسهم!!! وهذا هو سفيان الثورى إمام الدنيا فى الحديث ينام على فراش الموت فيدخل عليه حماد بن سلمة فيقول: أبشر يا أبا عبد الله إنك مقبل على ما كنت ترجوه وهو أرحم الراحمين.

فبكى سفيان وقال: أسألك بالله يا حماد أتظن أن مثلى ينجوا من النار؟! انظر كيف كانوا؟! وماذا قالوا؟

انظر إلينا كيف أصبحنا؟! وماذا نقول؟!!

شتان. . شتان، نحن جميعاً نقول من منا لا يدخل الجنة؟! من منا لا يشفع له رسول الله؟!!

ها هو الحديث فى البخارى يبين فيه الحبيب النبى صلى الله عليه وسلم أنه سيحال بينه وبين أقوام حرّفوا وبدّلوا وانحرفوا عن سنته أسأل الله العظيم أن يغفر لنا ويرحمنا إنه ولى ذلك والقادر عليه. وأقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم الخطبة الثانية

ثانياً: من أسعد الناس بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؟ هذا هو عنصرنا الأخير فى هذا اليوم الكريم المبارك.

قال سبحانه وتعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران:31].

ليقف كل مسلم صادق مع نفسه سائلاً: هل امتثلت أمر الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم؟ هل اجتنبت نهيه؟! هل ارتبطت باللسان بالجنان والجوارح؟! هل التزمت بهدى النبى صلى الله عليه وسلم فى شتى الأمور بحب واتباع وإخلاص!!

من يدع حُبَّ النبى صلى الله عليه وسلم ولم ... يفد من هديه فسفاهةٌ وهراءٌ ... فالحب أول شرطه وفروضه ... إن كان صدقاً طاعةً ووفاءً ... أخى فى الله: من أسعد الناس بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؟

والجواب مباشرة من صحيح البخارى: قال أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة يا رسول الله؟ فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم ((لقد ظننت أنه لا يسألنى

عن هذا السؤال أحد قبلك لما رأيت من حرصك على الحديث يأبأ هريرة. أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً من قلبه))([10]).

وفى رواية ابن حبان ((أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه يصدق قلبه لسانه، ويصدق لسانه قلبه))

وفى صحيح مسلم أنه قال: ((لكل نبي دعوة مستجابة وإنى اختبأت دعوتى شفاعتاً لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً))([11]).

إذاً حتى يشفع لك رسول الله يوم القيامة يجب توفر شرط هام جداً هذا الشرط أن تحقق التوحيد. أن تقول كلمة التوحيد خالصة من قلبك.

فمن الناس الآن من يردد هذه الكلمة بلسانه ولا يدري ما يقول، ومن الناس من لم يخلص العبادة لله جل وعلا بل راح يصرف العبادة لغير الله.

فهو لا يعرف لكلمة التوحيد معنى ولا يقف لها على مضمون ولا يعرف لها مقتضى. ومن الناس من يردد بلسانه: لا إله إلا الله وقد انطلق حراً طليقاً ليختار لنفسه من المناهج الأرضية والقوانين الوضعية الفاجرة ما يوافق هواه.

ومن الناس من ينطق بالكلمة ولا يتبع منهج الحبيب محمد !!

ومن الناس من يردد كلمة لا إله إلا الله وهو لم يحقق الولاء والبراء !!

ومن الناس من يردد بلسانه كلمة لا إله إلا الله وقد ترك الصلاة وضيع الزكاة وضيع الحج مع قدرته واستطاعته، وأكل الربا، وشرب الخمر، وأكل أموال اليتامى، يسمع الأمر فيهز كتفه في سخرية وكان الأمر لا يعنيه، يسمع المواعظ فيهزأ وكان الأمر لا يعنيه!!

فلا بد من إخلاص التوحيد، كلمة التوحيد ليست مجرد كلمة يرددها الإنسان بلسانه فقط، بل إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فمن قال خيراً وعمل خيراً قُبِلَ منه. ومن قال خيراً وعمل شراً لم يُقْبَلْ منه.

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))([12]).

وفى رواية عتبان بن مالك: ((فإن الله حَرَّمَ على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله)).

والله لن يسعد بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا من أخلص التوحيد للعزیز الحميد واتبع المصطفى صلى الله عليه وسلم وأخلص له الاتباع.

ففى الحديث الذى رواه مسلم والترمذى واللفظ للترمذى من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى فى الحديث القدسى: ((يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة))([13]).

إنه التوحيد . فأسعد الناس بشفاعة الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، فكلمة التوحيد قد قيدت بشروط ثقال عند قبولها من الملك المتعال.

فهي شجرة طيبة جذورها الحب والإخلاص وساقها اليقين والقبول وأوراقها الانقياد ومن غير الماء والضوء لاتعيش، فالعلم لها ضوء والصدق لها ماء. أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

[1] رواه مسلم رقم (2742) ، فى صفة الجنة.

[2] رواه البخارى رقم (3340) فى الأنبياء ، ومسلم رقم (194) فى الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذى رقم (2436) فى صفة القيامة ، باب ماجاء فى الشفاعة.

[3] رواه البخارى تعليقاً فى الدعوات ، باب لكل نبي دعوة ، ورواه مسلم رقم (200) فى الإيمان ، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته.

[4] رواه البخارى (3358) فى الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ، ومسلم رقم (2371) فى الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم الخليل ، وأبو داود رقم (2212) فى الطلاق باب فى الرجل يقول لامرأته : ياأختي ، والترمذى رقم (3165) فى التفسير باب ومن سورة الأنبياء.

[5] رواه مسلم رقم (2278) فى الفضائل ، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ، وأبو داود رقم (4763) فى السنة ، والترمذى رقم (3615) فى المناقب.

[6] رواه البخارى (3535) فى المناقب ، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، ومسلم رقم (2286) فى الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. [7] رواه البخارى رقم (2977) فى الجهاد ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، ومسلم رقم (523) فى المساجد فى فاتحته ، والترمذى رقم (1553) فى السير ، والنسائى (3،4/6) فى الجهاد .

[8] رواه البخارى رقم (6579) فى الرقاق ، باب حوض النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسلم رقم (2292) فى الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم.

[9] رواه البخارى (6576) فى الرقاق ، باب فى الحوض ، ومسلم رقم (2304) فى الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم.

[10] رواه البخارى (99) فى العلم ، باب الحرص على الحديث.

[11] سبق تخريجه.

[12] رواه البخارى (3435) فى الأنبياء ، باب قول الله تعالى (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، ومسلم رقم (2640) فى الإيمان ، باب ماجاء فىمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله.

[13] رواه الترمذى رقم (3534) فى الدعوات ، باب رقم (106) ، وحسنه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (127) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (4338).

الشمس والدابة والدخان والخسوف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً. حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبیین فى جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير..

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار. أحبتى فى الله:

هذا هو لقاءنا السابع مع السلسلة الكريمة فى رحاب الدار الآخرة وما زلنا بحول الله ومدده نتحدث عن العلامات الكبرى للساعة والتي ذكرها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حديثه الصحيح الذى رواه مسلم من حديث حذيفة ابن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال: اطلع علينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((ما تذاكرون)) قالوا: نذكر الساعة، فقال: ((إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تسوق الناس إلى محشرهم))([1]).

وسأتحدث اليوم إن شاء الله تعالى عن بقية العلامات الواردة فى الحديث نظراً لأن المادة العلمية الصحيحة فى بقية هذه العلامات قليلة.

طلوع الشمس من مغربها

أيها الأحبة الكرام:

إن الشمس منذ أن خلقها الله عز وجل تشرق من المشرق وتغرب في المغرب بصورة متكررة منتظمة لا تتخلف يوماً ولا تتأخر بصورة تطالع الأنظار والمدارك لتستنطق الفطرة السوية للإنسان بوحدانية الرحيم الرحمن، قال جل وعلا:

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [يس: 38-40]

لا ريب أنها آية من الآيات التي تستنطق الفطرة السليمة النقية بوحدانية الله جل وعلا، علامة بارزة على قدرة الله.

ولذا نرى نبي من أنبياء الله - خليل الله إبراهيم - قد تحدى بهذه الآية طاغوتاً من طواغيت أهل الأرض وسجل الله جل وعلا ذلك في كتابه الحكيم:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [البقرة: 258].

انظر أيها الحبيب كيف تحدى الخليل الطاغية النمروذ بن كنعان، إذ يقول إبراهيم: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ .

فيرد الجاهل الطاغية المجرم: أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ .

ولكن أين يذهب هذه الغر الجاهل أمام نور النبوة الباهر، إذ قال له الخليل بذكاء النبوة ونورها الباهر: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .

فالشمس منذ خلقها الله تشرق من الشرق وتغرب في الغرب بصورة منتظمة متكررة لا تكاد تتخلف أو تتأخر في يوم من الأيام حتى إذا جاء الوعد الموعد استأذنت الشمس ربها أن تشرق كعادتها من المشرق فلا يأذن لها!!

ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر الغفاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوماً والشمس تغرب: ((أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟!)) قالوا الله ورسوله أعلم فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة لله جل وعلا فلا تزال كذلك حتى يقال لها:

ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترتفع، فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة لله عز وجل فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها (أي المشرق) فلا تزال كذلك لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تجرى ثم تستقر في مكانها تحت العرش فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي، ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك، فتصبح الشمس طالعة من مغربها))([2]).

لا تتعجب فكل شيء في هذه الكون يسجد لله.

قال جل في علاه: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [الحج: 18].

فكل شيء في الكون يسجد لرب الأرض والسموات إلا كفرة الجن والإنس.

انظر إلى الكون كله من عرشه إلى فرشه، ومن سمائه إلى أرضه لتتعرف على وحدانية الله، وعظمة الخالق جل في علاه.

انظر إلى السماء وارتفاعها، والأرض واتساعها، والجبال وأثقالها والأفلاك ودورانها، والبحار وأمواجها.

انظر إلى كل متحرك وساكن، والله إن الكل يقر بتوحيد الله ويعلم السجود لله ولا يغفل عن ذكر مولاه إلا من كفر من الجن والإنس ولا حول ولا قوة إلا بالله.

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة

ابحث وقل:

من ذا الذى يخرج منها الثمرة؟! ذاك هو الله

الذى أنعمه منهمرة ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

وانظر إلى الشمس التى جذوتها مستعرة فيها ضياء وبها حرارة منتشرة

ابحث وقل:

من ذا الذى يخرج منها الشررة؟! ذاك هو الله

الذى أنعمه منهمرة ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

الشمس والبدر من آيات قدرته والبر والبحر فيض من عطايه

الطير سبحه والوحش مجده والموج كبره والحوث ناجاه

والنمل تحت الصخور الصم قدسه والنحل يهتف له حمداً فى خلاياه

والناس يعصونه جهرا فيستترهم والعبد ينسى وربى ليس ينساه

اصبحى أيتها الشمس طالعة من المغرب فتسرع الشمس على الفور لتنفيذ أمر العزيز

الحميد فتصبح طالعة من المغرب، انظر إلى هذا العجب !!

وضح هذه المعنى رواية ابن مردويه بسند حسن بالشواهد من حديث عبد الله بن أبى

أوفى أن الصادق المصدوق قال: ((يأتى على الناس ليلة تعدل ثلاث ليالٍ من لياليكم،

فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه، ثم

ينام فيفزعون إلى المساجد فإذا هم يرون الشمس قد طلعت من مغربها))([3]).

انظر ماذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم الكريم فإذا كان كذلك يعرفها

المتنفلون: أى يعرفها القائمون بالليل لله رب العالمين !

الله أكبر!!! . ما الذى يترتب على هذه الآية العظيمة؟!

الذى يترتب على ذلك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فى رواية أبى ذر التى

ذكرتها آنفا قال:

((أتدرون متى ذاكم؟!)) أى أتدرون متى تطلع الشمس من مغربها؟! قالوا: الله

ورسوله أعلم، قال: ((ذاك حين لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ

فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا [الانعام: 158])).

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم ((إذا طلعت الشمس من مغربها ورأها الناس

آمنوا كلهم أجمعون))([4]).

ولكن هيهات هيهات !!

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أنه قال: ((ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض))([5]).

أيها الحبيب أذكر نفسى وأذكرك بالمبادرة بالتوبة والأوبة إلى الله عز وجل قبل أن يغلق الله باب التوبة علينا.

فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول والحديث رواه أحمد بسند صحيح قال: ((لا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل))([6]).

أيها اللاهى . . أيها الساهى . . أيها الغافل . . أيها المضيع للتوحيد . . أيها المضيع للصلاة . . أيها المضيع للزكاة . . أيها العاق لوالديه . . أيها المنصرف عن الله:

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وأبكها يا مذنب ...

لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاه تلعب ...

والروح منك وديعة أودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب ...

وغرور دنياك التى تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب ...

الليل فاعلم و النهار كلاهما ... أنفاسنا فيهما تعد وتحسب ...

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : كما فى صحيح مسلم من حديث أبى موسى الأشعري:

((إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها))([7]).

هنيئاً لمن طلعت الشمس عليه من مغربها وهو مستقيماً على طاعة الله، اللهم اجعلنا من أهل التوحيد والإيمان والاستقامة ووفقنا للعمل الصالح الذى يرضيك يا رب العالمين.

قال جل وعلا: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَجِيمٍ [فصلت:30-32].

الدابة

قال جل وعلا: وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ [النمل:82].

دابة تتكلم !! دابة تنطق !! تكلم الناس كلاماً مفهوماً واضحاً، بل وتقيم عليهم الحجة وتذكرهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله وكانوا لا يصدقون بها.

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر: ((أول أسراط الساعة طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيتها كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريباً))([8]).

الدابة أمر عجب . . أمر مذهل . . لو تدبرته كاد قلبك أن ينخلع، دابة تخرج تجوب الأرض كلها، تفرق الدابة بين المؤمن والكافر، وتعلم المؤمن بعلامة وتعلم الكافر

بعلامه، تسم الكافر على أنفه فيسود وجهه، وتسم المؤمن فيضئ وجهه كأنه كوكب درى. . أمر عجب !!

ورد فى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وصححه شيخنا الألبانى أن الحبيب النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم))([9]) أى تعلم الناس على الأنوف.

بل وخذ هذا الحديث العجيب الذى رواه أحمد فى المسند والترمذى فى السنن وللأمانة العلمية التى اتفقنا عليها وأصلناها من قبل أقول إن الشيخ الألبانى - حفظه الله - قد ضعف إسناد الحديث ومدار تضعيف الألبانى على على بن زيد بن جدعان قال الألبانى فيه ضعف إلا أن العلامة أحمد شاكراً قد صحح إسناد الحديث فقال على بن زيد بن جدعان مختلف فيه والراجح توثيقه وقال عن الحديث الإمام الترمذى حديث حسن قال : ((تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتسم أنف الكافر - أى تعلم أنف الكافر - وتجلو وجه المؤمن)) ويضئ وجه المؤمن كأنه كوكب درى، ((حتى أن أهل الخوان الواحد - أى المائدة - يجتمعون على طعامهم فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر))([10]). لأن الدابة بينت وأوضحت الحقيقة وميزت المؤمن من الكافر.

غالى بعض المصنفين - أقولها بصراحة - فى وصف الدابة وأعطوا لخيالهم العنان فوصفوا الدابة وصفاً درامياً خيالياً عجيباً، فمنهم من قال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد وقوائمها قوائم بعير إلى آخر هذا الوصف الدرامى.

الخطبة الثانية

أما بعد:

الدخان:

والدخان هو آخر العلامات التى سيشهدها المؤمن على ظهر الأرض، وبقية العلامات هذه لا يراها المؤمن ولا يشهد عذابها الموحدون، بل هذه العلامات التى سأذكرها الآن لا تقوم إلا على الكفرة الفجرة من شرار الخلق.

الدخان علامة كبرى:

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: إن هذا الدخان كان علامة من العلامات التى وقعت فى الدنيا بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم على المشركين.

والدخان هنا قد وقع بالفعل ولكن الدخان الوارد فى حديث حذيفة بن أسيد الغفارى الذى هو علامة من علامات الساعة الكبرى، يختلف تمام الاختلاف عن هذه العلامة التى رآها المشركون فى مكة بدعاء الصادق المصدوق قال تعالى فى حق هذه العلامة: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ([1]) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان:10-11].

إذا خرج الدخان لا يقبل الله التوبة كما ذكرت.

فإذا خرج الدخان يبعث الله ريحاً أليين من الحرير تقبض هذه الريح أرواح المؤمنين من على ظهر الأرض، فلا يبقى على ظهر الأرض مؤمن.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته ويبقى على الأرض شرار الخلق))([2]) الكفرة الفجرة ممن لا يؤمن بالله عز وجل.

كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق))([3]).
في رواية مسلم من حديث أنس أنه قال: ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله)).

لا يقال في الأرض (الله) لأن الموحدين قد قبضوا فلا يبقى إلا الكفرة وهؤلاء لا يعرفون الله ولا يوحدون الله جل وعلا وعلى هؤلاء تقوم الساعة بل تظهر بقية العلامات الكبرى التي هي عذاب في عذاب وبلاء في بلاء.

ما هي هذه العلامات !!؟

الخسوف الثلاثة

الخسوف الأول بالمشرق:

يقع الخسوف بالمشرق والخسوف كما هو معلوم انشقاق الأرض قال تعالى حكاية عن قارون: فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ [القصص:81].

فيقع خسوف بالمشرق على شرار الخلق بعد أن قبض الله أرواح المؤمنين.

الخسوف الثاني بالمغرب والخسوف الثالث بجزيرة العرب، وبعد هذه الخسوف تخرج العلامة الأخيرة من علامات الساعة الكبرى ألا وهي نار تخرج من قعر مدينة عدن (المعروفة الآن باليمن) فتطرد الناس جميعاً إلى محشرهم.

وفي رواية البخاري من حديث أنس أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال: لما نظرت إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فأمن بالنبي - والشاهد. أن عبد الله بن سلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أسئلة جيدة من بين هذه الأسئلة سأله عن أول أشراط الساعة فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس من المشرق إلى المغرب))([4]).

وقد يلح طالب العلم الفطن تعارضاً ظاهراً بين النصين لكن لا تعارض فقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في رواية حذيفة: ((وآخر ذلك نار)) أي أنها العلامة التي إن وقعت وقعت القيامة بعدها بالنفخ في الصور والبعث من القبور.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: ((يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير وعشرة على بعير، ويحشر بقية النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا))([5]).

قال القرطبي الحشر هو الجمع وهو أربعة أنواع الحشر الأول والثاني في الدنيا والحشر الثالث والرابع في الآخرة.

أما الحشر الأول: فهو المذكور في قوله تعالى في سورة الحشر: مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا [الحشر:2].

الحشر الثانى: هو الحشر الوارد فى حديث حذيفة وآخر ذلك نار تخرج من اليمين تطرد الناس إلى محشرهم، إذا حشر النار للناس لا يكون إلا فى الدنيا.

الحشر الثالث: حشر الناس من القبور وغيرها بعد البعث.
الحشر الرابع: حشر الناس إلى الجنة أو إلى النار نسأل الله أن يجعلنى وإياكم من أهل الجنان.

إذ الذى عليه جمهور المحققين من العلماء أن الحشر الوارد فى حديث حذيفة الذى هو علامة من علامات القيامة الكبرى لا يكون إلا فى الدنيا والدليل الصحيح الصريح على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكر أن الحشر فى الآخرة يحشر فيه المؤمنون والكافرون حفاة عراة غرلا كما فى الصحيحين من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((تحشرون حفاة عراة غرلا)) قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((يا عائشة الأمر أشد من أن يهتمهم ذلك))([6]).

وفى رواية أنس قال: ((يا عائشة لقد نزلت على آية لا يضرك أكان عليك ثياب أم لا)) فتلى النبى صلى الله عليه وسلم لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه [عبس: 37].

مثل وقوفك يوم العرض عُريانا مستوحشاً قلق الأحشاء خيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبد على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كان
فلما قرأت ولم تتكر قراءته أقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى وامضوا بعبد عصى للنار عطشاننا
المشركون غداً فى النار يلهثبوا والموحدون بدار الخلد سُكَّاننا
وهكذا تنتهى علامات الساعة الكبرى التى ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حديث حذيفة بن أسيد الغفارى الذى كنا معه طيلة اللقاءات الأربع الماضية لكن هناك علامة أخرى عجيبة غريبة قد تنزل الآن على القلوب فتهدى القلوب هزاً لم ترد فى حديث حذيفة، ترى ما هى هذه العلامة العجيبة الغريبة؟!
إنها هدم الكعبة الشريفة حجراً حجراً.

الكعبة بيت الله الذى تهوى إليه الأفئدة وتحن القلوب إليه الذى قال فى حقه علام الغيوب:

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا [البقرة:125].
مثابة للناس: أى لا يملون منه كلما نظروا إليه وإذا انصرفوا عنه تجدد الشوق إليه وازداد الحنين لزيارته ورؤيته.

إن من علامات الساعة الكبرى هدم البيت الحرام ونقضه حجراً حجراً.
قلت قبل ذلك: أن عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما ينزل إلى الأرض يقتل الدجال عليه من الله ما يستحقه، ويدعو الله أن يهلك يأجوج ومأجوج فيستجيب الله دعاءه، فيهلك يأجوج ومأجوج ويرسل المطر فنقى الأرض، فأصبحت كالزُلْفَة أو الزُلْفَة أو الزُلْفَة أى كالمرأة فى صفائها ونقاها، خرجت البركة من الأرض تنزلت الرحمات وحلت البركات، وعاش الناس فى أمن وسلام فى وجود نبى الله عيسى، فيذهب نبى الله عيسى ليحج البيت الحرام.

إذاً معنى ذلك أن يبقى الحج حتى فى عهد نبي الله عيسى، فإذا ما قدر الله على عيسى الموت.

فيموت نبي الله عيسى فى المدينة المنورة ويصلى عليه المسلمون من أمة محمد ويدفنون نبي الله عيسى مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الحجرة المباركة، وبعد ذلك تقع العلامات التى ذكرت الآن ولا يبقى إلا شرار الخلق، تمحى آيات الله من المصحف، لا يقول أحد كلمة لا إله إلا الله فلا يحجون البيت بل ولا يعرفون عن البيت شيئاً، من بين هؤلاء الأشرار رجل من الحبشة، هل تصدق أن الحبيب وصف شكله وكأنه ينظر إليه وهو يهدم الكعبة؟؟

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة))([7]).

رجل يقال له ذو السويقتين من الحبشة، بل وفى رواية البخارى من حديث ابن عباس قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((كأنى أنظر إليه أسود أفحج([8]) ينقض الكعبة حجراً حجراً))([9]).

وبهذا تنتهى الحياة الدنيا بطلوها ومرها، بحلالها وحرامها، بخيرها وشرها ولا يبقى إلا الكفرة من شرار الناس وعليهم تقوم الساعة وذلك بعد أن يأمر الله جل وعلا إسرافيل أن يلتقم الصور وأن ينفخ النفخة الأولى ألا وهى نفخة الفرع مصداقاً لقوله جل وعلا: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ [النمل:87].

وأقف عند هذه المشهد لأواصل الحديث إن شاء الله تعالى عن بقية المراحل التى تأخذ القلوب والألباب والله أسأل أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض.

[1] رواه مسلم رقم (2901) ، فى الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ، وأبو داود رقم (4311) ، فى الملاحم ، باب أمارات الساعة ، والترمذى رقم (2184) ، فى الفتن ، باب ما جاء فى الخسف.

[2] رواه البخارى رقم (4802) ، فى تفسير سورة يس ، وفى بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر ، ومسلم رقم (159) ، فى الإيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ، والترمذى رقم (3225) ، فى التفسير ، باب ومن سورة يس .

[3] رواه ابن مردويه بسند حسن .

[4] رواه البخارى رقم (6506) ، فى الرقاق ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((بعثت أنا والساعة كهاتين)) ، ومسلم رقم (157) ، فى الإيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ، وأبو داود رقم (4312) ، فى الملاحم ، باب أمارات الساعة .

[5] رواه مسلم رقم (158) ، فى الإيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ، والترمذى رقم (3074) ، فى التفسير ، باب ومن سورة الأنعام .

[6] رواه أبو داود ، فى البيعة ، باب ذكر الاختلاف ، وصححه الألبانى ، فى الإرواء (1208) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (7469) .

[7] رواه مسلم رقم (2760) ، فى التوبة ، باب غيرة الله تعالى ، وهو فى صحيح الجامع رقم (1871) .

[8] رواه مسلم رقم (2941) ، فى الفتن ، باب خروج الدجال ومكثه فى الأرض ، وأبو داود رقم (4310) فى الملاحم ، باب أمارات الساعة .

[9] رواه أحمد رقم (22209) ، وأبو داود ، وهو فى صحيح الجامع رقم (2927)

[10] رواه وأبو داود رقم (3186) فى التفسير ، باب ومن سورة النمل .

[1] مبين : واضح بين .

[2] رواه مسلم رقم (1924) ، فى الإمارة ، باب قوله : ((لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)) .

[3] رواه مسلم رقم (2949) ، فى الفتن ، باب قرب الساعة .

[4] رواه البخارى ، فى الهجرة فى قصة إسلام عبد الله بن سلام .

[5] رواه البخارى رقم (6522) ، فى الرقاق ، باب كيف الحشر ، ومسلم رقم (2861) ، فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي

(115،116/4) فى الجنائز ، باب البعث .

[6] رواه البخارى رقم (6527) ، فى الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (2859) ، فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي (114/4) ، فى الجنائز باب البعث .

[7] رواه البخارى رقم (1596) ، الحج ، باب هدم الكعبة ، ومسلم رقم (2909) ، فى الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان

الميت من البلاء ، والنسائي

(216/5) ، فى الحج ، باب بناء الكعبة .

[8] أفحج : متسع ما بين ساقيه .

[9] رواه البخارى رقم (1595) ، فى الحج ، باب هدم الكعبة .

الموت

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليته .. أدّى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ، وذكى الله هذه الأنفس ، وشرح الله هذه الصدور .
طبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبوأتكم من الجنة منزلاً .

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یجمعنی وإیاکم فی الدنیا دائماً وأبداً علی طاعته وفی الآخرة مع سید الدعاة وإمام النبیین فی جنته ودار کرامته.

إنه ولی ذلك ومولاه وهو علی کل شیء قدير..
أما بعد:-

فإن أصدق الحدیث کتاب الله، وخیر الهدی هدی محمد، وشر الأمور محدثاتها وکل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة وکل ضلالة فی النار.
أحبتی فی الله:

فی رحاب الدار الآخرة

سلسلة علمية هامة تجمع بین المنهجية والرقائق، و بین التأصيل العلمی والأسلوب الوعظی تبدأ هذه السلسلة بالموت وتنتهی بالجنة.

وقد تحتاج هذه السلسلة إلى جهد شاق حتى تتضح لنا معالمها، لذا فإن الموضوع جد خطیر ومن الأهمية بمكان، لذا استحلطکم بالله الذی لا إله إلا هو.. أن تعیرونی قلوبکم وعقولکم وأسماعکم حتى نقف علی أهميتها ونسأل الله التوفیق، ونسأله تعالی أن یجعلها خالصة لوجهه الکریم، إنه ولی ذلك والقادر علیه ویجعلنا من الذین قال فیهم الله الذین یستمعون القول فیتبوعون أحسنه أولیک الذین هداهم الله وأولیک هم أولو الأبواب [الزمر: 18].

أيها الأحبة الکرام:

وسوف أستهل هذه السلسلة بالحدیث عن الموت، فهذه هی المرحلة الأولى فی هذه الرحلة الطويلة.

أيها الأخیار الکرام:

لقد بین الله جل وعلا لنا الغاية التي من أجلها خلقنا فقال سبحانه وتعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاریات: 56].

بل و بین لنا حقيقة الدنیا التي جعلها محل اختبار لنا فقال سبحانه: اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ [الحديد: 20].

وأكد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة فی حديثه الصحيح الذی رواه الترمذی من حدیث سهل بن سعد الساعدي قال ((لو كانت الدنیا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء))([1]).

فالدنیا حقيرة عند الله أعطاها للمؤمن والكافر علی السواء، فلو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً قط شربة ماء واحدة، لذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم یوصی أحبابه بعدم الركون والطمأنينة إلى هذه الدار الفانية لا محالة، كما أوصی بذلك عبد الله بن عمر رضی الله عنهما كما فی صحیح البخاری: ((كن فی الدنیا كأنك غریب أو عابر سبیل))، وكان ابن عمر یقول: " إذا أمسیت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك".

ورحم الله من قال:
إن لله عبادةً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنة
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لِحَيِّ وطناً
جعلوها لِحَجَّةٍ واتخذوا صالح الأعمال فيها سُنْفناً
فالفطنة العقلة هم الذين عرفوا حقيقة الدار، فحراثوها وزرعوها... وفي الآخرة
حصدوها.

فالذم الوارد في القرآن والسنة للدنيا لا يرجع إلى زمانها من ليل ونهار فلقد جعل الله
الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، والذم الوارد للدنيا في الكتاب
والسنة لا يرجع إلى مكانها ألا وهو الأرض، إذ أن الله قد جعل الأرض لبني آدم سكناً
ومستقراً.

والذم الوارد في القرآن والسنة لا يرجع إلى ما أودعها الله عز وجل من خيرات، فهذه
الخيرات نعم الله على عباده وجميع خلقه.
إنما الذم الوارد في القرآن والسنة يرجع إلى كل معصية ترتكب في حق ربنا جل
وعلا.

إذاً لابد وحتماً من تأصيل هذا الفهم الدقيق لا سيما لإخواننا الدعاة وطلاب العلم الذين
ربما يغيب عن أذهانهم حقيقة الزهد في هذه الحياة الدنيا، فنحن لا نريد أن نُقنَّتْ أحداً
من هذه الدنيا، ولا نريد أن نثبت لعامل في هذه الدنيا ولو كان في الحلال أنه قد
تجاوز عن طريق الأنبياء والصالحين والأولياء... كلا!! كلا!!

بل الدنيا مزرعة للآخرة.
تدبر معي قول علي رضي الله عنه وهو يقول: " الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار
نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن أخذ منها، الدنيا مهبط وحى الأنبياء ومصلى
أنبياء الله ومتجر أولياء الله "

فالدنيا مزرعة للآخرة فتدبر معي هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم
من حديث أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : ((ما من
مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به
صدقة))([2]).

إذاً لابد من هذا التأصيل والفهم العميق لحقيقة الدنيا، لننتقل من هذه الدار الفانية إلى
دار تجمع بين سلامة الأبدان والأديان.. دار القرار.
فلا بد قبل العبور إلى دار القرار من المرور من دار الفناء، فالدنيا دار ممر والآخرة
هي دار المقر، الدنيا مركب عبور لا منزل حبور، الدنيا دار فناء لا دار بقاء، لابد
من وعى هذه الحقيقة التي لا مرأى فيها، لنزرع هنا بذوراً، لنجني هنالك ثماراً.
فاعلم أيها الحبيب هذه الحقائق جيداً، وكن على يقين جازم بأن الحياة في هذا الدنيا
موقوتة محدودة بأجل، ثم تأتي نهايتها حتماً لأبد، فيموت الصالحون.. ويموت
الطالحون.. يموت المجاهدون.. ويموت القاعدون.. يموت المستعلون بالعقيدة..
ويموت المستذلون للعبيد.. يموت الشرفاء الذين يأبون الضيم ويكرهون الذل،
والجناء الحريصون على الحياة بأى ثمن.. الكل يموت.

قال الله جل وعلا: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن:26-27].

فلا بد أن تستقر هذه الحقيقة في القلب والعقل معاً، إنها الحقيقة التي تعلن بوضوح تام على مدى الزمان والمكان في أذن كل سامع وعقل كل مفكر أنه لا بقاء إلا للملك الحي الذي لا يموت، إنها الحقيقة التي تصبغ الحياة البشرية كلها بصبغة العبودية والذل لقاهر السماوات والأرض!!

إنها الحقيقة التي شرب كأسها تباعاً الأنبياء والمرسلون بل والعصاة والطائعون!! إنها الحقيقة التي تذكرنا كل لحظة من لحظات الزمن بقول الحي الذي لا يموت: لا إله إلا هو كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص:88].

أيها الحبيب تذكر هذه الحقيقة ولا تتغافل عنها إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نكثر من ذكرها كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والحاكم وغيرهم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أكثرُوا من ذكر هادم اللذات))([3]).

إنها الحقيقة التي سماها الله في قرآنه بالحق فقال جل وعلا: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ [ق:19-21].

لا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله أكبر

إن للموت لسكرات.. هل علمت إن هذه الكلمات قالها حبيب رب الأرض والسماوات وهو يحتضر على فراش الموت؟

روى البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت: مات رسول الله بين حاقنتي وذاقنتي وكان بين يديه ركوة (علبة) بها ماء فكان يمد يده في داخل الماء ويمسح وجهه بأبي هو وأمي ويقول: ((لا إله إلا الله إن للموت لسكرات))([4]).

هكذا يقول حبيب رب الأرض والسماوات إن للموت لسكرات!! حبيب الرحمن يذوق سكرة الموت، فما بالنا نحن!!

وفي رواية الترمذي كان الحبيب يقول: ((إن للموت لسكرات وإن للموت لغمرات)). وفي رواية كان يدعو الله ويقول: ((اللهم أعني على سكرات الموت)).

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ وما أدراك ما السكرات!! وما أدراك ما الكربات!! في هذه اللحظات يزداد الهم والكرب، في لحظات السكرات إذا نمت يا ابن آدم على فراش الموت ورأيت في غرفتك التي أنت فيها دون أن يرى غيرك، رأيت شيطاناً جلس عند رأسك يريد الشيطان أن يضلِكَ عن كلمة الإخلاص " لا إله إلا الله"، يريد الشيطان أن يصدك عنها، يقول لك: مُت يهودياً فإنه خير الأديان، يقول لك: مُت نصرانياً فإنه خير الأديان.

واستدل أهل العلم على ذلك بصدور حديث صحيح رواه الإمام مسلم أن رسول الله قال: ((إن الشيطان يُحْضِرُ كلَّ شَيْءٍ لابن آدم..)).

بل وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية طيَّبَ اللهُ ثراه عن مسألة عَرَضَ الأديان على ابن آدم في فراش الموت، فقال في مجموع الفتاوى ([5]): "من الناس من تعرض عليه الأديان ومنهم من لا يعرض عليه شيء قبل موته، ثم قال: ولكنها من الفتن التي أمرنا

النبى صلى الله عليه وسلم أن نستعيز منها فى قوله : ((اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال))([6]).
فمن فتن الموت أن يأتىك الشيطان ليصدقك عن لا إله إلا الله، ليصدقك عن كلمة التوحيد، هذه من الكربات، هذه من أشد السكرات على ابن آدم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هل علمت أُخَيَّ فى الله أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل حينما نام على فراش الموت ذهبت إليه الشياطين لتنادى عليه بهذه الكلمات، قال عبد الله ولده: " حضرت وفاة أبى فنظرت إليه فإذا هو يغرق ثم يفيق ثم يشير بيده ويتكلم ويقول: لا بَعْد..!! لا بَعْد..!!
فلما أفاق فى صحوة بين سكرات الموت وكرباته، قال له ولده عبد الله: يا أبتي ماذا تقول؟! تقول: لا بعد، لا بعد..!! ما هذا؟! أتدرى ماذا قال إمام أهل السنة؟؟ قال لولده: يا بنى شيطان جالس عند رأسى عاضٌ على أنامله يقول لى: يا أحمد لو قُنتى اليوم ما أدركتك بعد اليوم وأنا أقول له: لا بعد، لا بعد حتى أموت على لا إله إلا الله.
فإذا كنت حقا من المؤمنين الصادقين.. من الموحدين المخلصين وجاءتك الشياطين ثبتك رب العالمين وأنزل إليك ملائكة التثبيت، كما فى حديث البراء بن عازب الصحيح وسأذكر الحديث بتفصيله لاحقا إن شاء رب العالمين، إلا أن محل الشاهد فيه الآن أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر: ((أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا نَامَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ جَاءَتْهُ مَلَائِكَةُ بَيْضِ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وَجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ فَيَجْلِسُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِ مُدَّ الْبَصَرِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلِكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَيُنَادِي عَلَى رُوحِهِ الطَّيِّبَةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَابْشُرِي بِرُوحٍ ۖ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ رَاضٍ عَنْكَ غَيْرِ غَضَبَانَ، فَتَخْرُجُ رُوحُ الْمُؤْمِنِ سَهْلَةً سَلْسَلَةً كَمَا يَسِيلُ الْمَاءُ مِنْ فِيِّ السَّقَاءِ فَلَا تَدْعُهَا الْمَلَائِكَةُ فِي يَدِ مَلِكِ الْمَوْتِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، ثُمَّ تَرْقَى بِهَا إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا..))([7]).
هكذا أيها الأحبة..

يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم: 27].

ولقد سجل الله هذه البشارة للموحدين فى قرآنه العظيم فقال تعالى:
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَرُؤُا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت: 30-32].
وقال تعالى: يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [إبراهيم: 27]

قال ابن عباس: القول الثابت هو لا إله إلا الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق: 19].
والحق أنك تموت والله حى لا يموت، الحق أن ترى عند موتك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ . والحق أن يكون قبرك روضة من رياض الجنة أو

حفرة من حفر النيران

ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ذَلِكَ ما كنت منه تهرب.

تحيد إلى الطبيب إذا جاءك المرض، وتحيد إلى الشراب إذا أحسست بالظمأ، ثم ماذا

أيها القوى القَتِي؟! ثم ماذا أيها العبقري الذكي؟! ثم ماذا أيها الوزير والأمير؟! ثم

ماذا أيها الكبير والصغير؟! ثم ماذا أيها الغنى والفقير!؟

اسمع يا هذا وذاك: ليس غيرُ الله يبقى

وكل ناع فسَيُنَعَى كل مذكور سَيُنْسَى ...

من علا فالله أعلى ..كل باك فسَيُبْكِي

أيا من يدعي الفهم

إلى كم يا أخا الوهم

تعبي الذنب والذم

وتخطي الخطأ الجم

أما بان لك العيب

أما أنذرك الشيب

وما في نصحه ريب

ولا سمعك قد صم

أما نادى بك الموت

أما أسمعك الصوت

أما تخشى من الفوت

فتحتاط وتهتم

فكم تسدر في السهو

وتختال من الزهو

وتنصب إلى اللهو

كأن الموت ما عم

وحتام تجافيك

وإبطاء تلافيك

طباعاً جمعت فيك

عيوباً شملها انضم

إذا أسخطت مولاك

فما تقلق من ذاك

وإن أخفق مسعاك

تلظيت من الهم

تعاصي الناصح البر
وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر
ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس
وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرسم
ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ
لما طاح بك اللحظ
ولا كنت إذا الوعظ
جلى الأحران تغتم

ستذري الدم لا دمع
إذا عاينت لا جمع
يقي في عرصة الجمع
ولا خال ولا عم

كأني بك تتخط
إلى اللحد وتتغط
وقد أسلمك الرهط
إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود
ليستأكله الدود
إلى أن ينخر العود
ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد
من العرض إذا اعتد
صراط جسره مد
على النار لمن أم

فكم من مرشد ضل

ومن ذي عزة ذل
وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم

فبادر أيها الغمر
لما يحلو به المر
فقد كاد يهيي العمر
وما أقلعت عن ذم

ولا تركن إلى الدهر
وإن لان وإن سر
فتلغى كمن اغتر
بأفعى تنفت السم

وخفض من تراقبك
فإن الموت لاقبك
وسارٍ في تراقبك
وما ينكل إن هم

وجانب صعر الخد
إذا ساعدك الجد
وزم اللفظ إن مد
فما أسعد من زم

ونفس عن أخ البيث
وصدقه إذا نث
ورمّ العمل الرث
فقد افلح من رم

ورش من ريشه انحص
بما عم وما خص
ولا تأس على النقص
ولا تحرص على اللم

وعادل خلق الرذل
وعود كفك البذل
ولا تستمع العذل

ونزها عن الضم

وزود نفسك الخير
ودع ما يعقب الضير
وهيء مركب السير
وخف من لجة اليم

بذا أوصيك يا صاح
وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح
بأدابي يآتم

وصدق الله عز وجل إذ يقول:

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالنَّفَقَاتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [القيامة: 26-30].

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرْقُوتَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ مَنْ
يرقيه؟! من يرقى بروحه؟! ملائكة الرحمة؟ أم ملائكة العذاب؟

من يبذل له الرقية؟ من يبذل له الطب والعلاج؟! فهو من هو؟!!

صاحب الجاه والسلطان! صاحب الأموال والأطيان! انتقل في طيارة خاصة إلى أكبر
مستشفى في العالم، التف حوله أكبر الأطباء، هذا متخصص في جراحة القلب
والبطن وهذا متخصص في جراحة المخ والأعصاب، وهذا متخصص في كذا، وذلك
متخصص في كذا!!.

التف حوله الأطباء يريدون شيئاً وملك الملوك أراد شيئاً آخر.

قال تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
[الأعراف: 34].

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ [النساء: 78].

والتف حوله الأطباء مرة أخرى، كل يبذل له العلاج والرقية!!

ولكن حاروا وداروا!!

اصفر وجهه، شحب لونه، بردت أطرافه، تجعد جلده، بدأ يشعر بزمهرير قارس
يزحف إلى أنامل يديه وقدميه!!

فينظر في لحظة السكره والكربة فيرى الغرفة التي هو فيها مرة فضاءً موحشاً ومرة
أخرى أضيق من سم الخياط.

وينظر مرة فيجد أهله يبتعدون عنه وأخرى يقتربون منه، اختلطت عليه الأمور
والأوراق!!

من هذا..؟! ملك الموت!! ملك الموت عند رأسه، ومن هؤلاء الذين يتنزلون من
السماء؟!!

إنه يراهم بعينه، إنهم الملائكة!! يا ترى ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟!!

يا ترى ماذا سيقول ملك الموت؟!!

هل سيقول لى الآن: يا أيتها الروح الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ورب راض غير غضبان!!؟

أم يقول يا أيتها الروح الخبيثة اخرجى إلى سخط الله وعذابه؟
ينظر لحظة الصحوه بين السكرات والكربات، فإذا هو يعى من حوله من أهله وأحبابه فينظر إليهم نظرة استعطاف !! نظرة رجاء !!
فيقول بلسان الحال وربما بلسان المقال: يا أولادى.. يا أحبائى.. يا أخوانى لا

تتركونى وحدى، ولا تفردونى فى لحدى !!
أنا أبوكم، أنا الذى بنيت لكم القصور !! أنا الذى عمّرت لكم الدور! أنا الذى نمّيت لكم التجارة !! فمن منكم يزيد فى عمرى ساعة أو ساعتين؟
افدونى بأموالى.. افدونى بأعماركم !!

وهنا يعلو صوت الحق كما قال جل وعلا :
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ [الحاقة:28-29].
وقد سجل التاريخ لهارون الرشيد عندما نام على فراش الموت فنظر إلى جاهه وماله وقال: ما أغنى عنى مالى هلك عنى سلطانيه !!

ثم قال: أريد أن أرى قبرى الذى سأدفن فيه !!
فحملوه إلى قبره، فنظر هارون إلى القبر وبكى ونظر إلى السماء وقال: يا من لا يزول ملكه.. ارحم من قد زال ملكه.
أين الجاه؟! أين السلطان؟! أين المال؟! أين الأراضى والأطيان؟! ذهب كل شئ !!

سبحانه.. سبحانه.. سبحانه.
سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان من كتب الفناء على جميع خلقه، وهو الحى الذى لا يموت.
سبحانك يا من ذلت بالموت رقاب الجبابرة.
سبحانك يا من أنهيت بالموت آمال القياصرة.

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ : مَنْ يَرْقَىٰ بِرُوحِهِ ؟!! أو من يبذل له الرقية والعلاج !!؟

وقال سبحانه وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالتَّقَتِ السَّقُ بِالسَّقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ .
إنه يوم المرجع.. إنه يوم العودة.. .. انتهى الأجل.. .. انتهت الدنيا وحنماً ستعرض على مولاك.

سأل سليمان بن عبد الملك عالماً من علماء السلف يقال له أبو حازم، قال سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟!
قال أبو حازم: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب !!
أحبتى فى الله:

فى زيارة إلى أمريكا نبهنى أحد القائمين على الدعوة هناك برجل من الله عليه بالأموال، وهو مسلم عربى ومع ذلك لا يصلى، ولا يعرف حق الكبير المتعال ذهبت

إليه لأذكره بالله فقال لى بلسان المقال: أنا أتيت إلى هذه البلاد من أجل الدولار وأعدك إن عدت إلى بلدى لا أفارق المسجد قط.
قلت: سبحان الله.. ومن يضمن لك يا مسكين أنك سترجع إلى بلدك؟!، أو أن يمر عليك يوم بكامله!!!؟

والله لا تضمن أن تتنفس بعد هذه اللحظات.
دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاه تلعب والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب وغرور دنياك التى تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب الليل فاعلم و النهار كلاهما أنفاسنا فيهما تعد وتحسب دنياك مهما طالت فهي قصيرة.. ومهما عظمت فهي حقيرة.. لأن الليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر.. ولأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر.
ثم سأل سليمان بن عبد الملك، وقال: يا أبا حازم كيف حالنا عند الله تعالى؟! قال: اعرض نفسك على كتاب الله.

قال سليمان: أين أجده؟! قال: فى قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار:13-14].
قال سليمان بن عبد الملك: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟! قال أبو حازم إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف:56].
فقال سليمان بن عبد الملك: فكيف عَرْضْنَا على الله غداً؟ قال: أما المحسن فكالعبد الغائب من سفر يقدم على أهله، فيستقبله الأهل بفرح، والمسيء كالعبد الأبق يقدم على مولاه.
وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه)).
قالت عائشة: يا رسول الله أكرهية الموت؟ كلنا يكره الموت.
قال: ((لا يا عائشة، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بسخط الله وعذابه كره لقاء الله وكره الله لقاءه)). [8].

وفى صحيح البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله قال: ((إذا وضعت الجنازة وحملها الرجال على الأعناق تكلمت وسمعها كل شئ إلا الثقلين - أو قال: إلا الإنسان - ولو سمع الإنسان لصعق، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني!! وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها...!! أين يذهبون بها!!)) [9] اللهم سلم.. سلم.

أيها اللاهى.. أيها الساهى.. أيها الشاب.. أيها الكبير.. أيها الصغير.. أيها الأمير.. أيها الوزير.. أيها الحقيير..
ذكر نفسك، وقل لها!!
وأظلك الخطب الجليل يا نفس قد أزف الرحيل يلعب بك الأمل الطويل فتأهبي يا نفس لا

ينسى الخليل به الخليل فلتنزلن بمنزل
من الترى حمل ثقيل وليركبن عليك فيه
فلا يبقى العزيز ولا الدليل قرن الفناء بنا جميعا
وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.
الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا
وحبيبنا محمداً نبيه ورسوله، اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه
وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.
أما بعد.. .. فيا أيها الأحبة الكرام.. ..

هكذا تبدأ رحلتنا فى رحاب الدار الآخرة بالموت بعدما بيننا بإيجاز حقيقة الدنيا
وتنتهى هذه المرحلة الأولى بالوصول إلى القبر، وها أنا سأقف معكم إن شاء الله
تعالى لاحقاً أمام القبر، وحقيقة القبر، وما معنى البرزخ؟ وما معنى النعيم؟ وما معنى
الجحيم؟ ولماذا لم يذكر الله عذاب القبر صراحة فى القرآن؟ وهل ثبتت أحاديث
صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ وما هى حقيقة القبر؟ وما هى حقيقة البعث؟
لنواصل هذه الرحلة التى هى من الأهمية بمكان.

ها أنا ذا أذكر نفسى أولاً ثم إخوانى وأحبابى فى هذه اللحظة بالتوبة والإنابة إلى رب
الأرض والسموات وأقول:

يا من أسرفت على نفسك بالمعاصى !!

يا من تركت الصلاة فى بيوت الله !!

يا من تركت الحجاب الشرعى وضيعت الصلاة !!

يا من شغلك هُبَلُ العصرى (التلفاز) والشيطان عن الله عز وجل !!

يا من أعرضت عن مجالس العلم وأماكن الخير والطاعة والعبادة !!

يا من قضيت عمرك على المقاهى وتركت طاعات الله.

تُبُّ مِنَ الْآنَ إِلَى اللَّهِ وَسَيَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَكَ إِنْ كَانَتْ خَالِصَةً لُوَجْهِهِ قَالَ تَعَالَى: قُلْ يَا
عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر: 53]

أقول لك أخی الحبيب:

تُبُّ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَيْأَسْ مَهْمَا بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ، مَهْمَا كَثُرَتْ مَعَاصِيكَ اطْرُقْ بَابَ الرَّحْمَنِ،
فَلَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ فِي وَجْهِكَ قَطْ مَا دَمْتَ تَسْتَغْفِرُ وَتَتُوبُ إِلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء: 48].

فعاهد نفسك من الآن على التوبة أينما كنت ألم يقل الله عز وجل!!

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحریم:8].

يقول: ((قال الله تعالى فى الحديث القدسى: يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى
غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم

استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة))([10]).
أيها الحبيب...

اجتهد في الدنيا وَعَمِّر الكون واربح ما استعطت من أموال ولكن بشرطين أن تريح من حلال، وتؤدي حق الكبير المتعال.

اجتهد في الدنيا وازرع للأخرة، فأنا لا أريد أن أفنتك من هذه الحياة قط وإنما أريد أن أذكر نفسي وإياك بأن الدنيا مزرعة للأخرة، فلا ينبغي أن ننشغل بالدار الفانية على الباقية، فغداً سترحل عن هذه الحياة ولن ينفعلك إلا ما قدمت.

((يتبع الميت ثلاث: ماله، وأهله، وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله))([11]).

وينادي عليك في القبر بلسان الحال:

رجعوا وتركوك و في التراب وضعوك

وللحساب عرضوك ولو ظلوا معك ما نفعوك

ولم يبقى لك إلا عملك مع رحمة الحي الذي لا يموت.

[1] رواه الترمذى رقم (2321) فى الزهد ، باب ما جاء فى هوان الدنيا على الله عز وجل ، وابن ماجه رقم (2410) فى الزهد ، باب مثل الدنيا ، وهو فى صحيح الجامع رقم (5292) .

[2] رواه البخارى رقم (2320) ، فى الحرث والمزارعة ، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ، ومسلم رقم (1553) فى المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع ، والترمذى رقم (1382) فى الأحكام ، باب ما جاء فى فضل الغرس .

[3] رواه الترمذى رقم (2308) ، فى الزهد ، باب ما جاء فى ذكر الموت ، والنسائى (4/4) ، فى الجنائز ، باب كثرة ذكر الموت ، وهو فى صحيح الجامع رقم (1210) .

[4] رواه البخارى رقم (4449) ، فى المغازى ، باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ، ومسلم رقم (418) فى الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر ، والترمذى رقم (978،979) ، فى الجنائز ، باب ما جاء فى التشديد عند الموت ، والنسائى (6،7/4) ، فى الجنائز ، باب شدة الموت .

[5] مجموع الفتاوى لابن تيمية (255/4) .

[6] رواه البخارى رقم (1377) ، فى الجنائز ، باب التعود من عذاب القبر ، ومسلم رقم (588) ، فى المساجد ، باب ما يستعاذ منه فى الصلاة ، والترمذى رقم (3599) ، فى الدعوات ، باب الاستعاذة من جهنم ، والنسائى (275،276/8) ، فى الاستعاذة ، باب الاستعاذة من عذاب جهنم .

[7] رواه البخارى رقم (1369،4699) ، فى الجنائز ، باب ما جاء فى عذاب القبر ، ومسلم رقم (2870) ، فى الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وأبو داود رقم (3231) ، فى الجنائز ، باب المشى فى النعل بين القبور ، والنسائى (97/4) ، فى الجنائز ، باب مسألة الكافر .

[8] رواه البخارى رقم (6507) ، فى الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومسلم رقم (2683) ، فى الذكر والدعاء ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، والترمذى رقم (1066) ، فى الجنائز ، باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله أحب لقاءه ، والنسائى (10/4) ، فى الجنائز ، باب فيمن أحب لقاء الله .

[9] رواه البخارى رقم (1314) ، فى الجنائز ، باب حمل الرجال الجنائز دون النساء ، والنسائى (41/4) ، فى الجنائز ، باب السرعة بالجنائز .

[10] رواه الترمذى رقم (3534) ، فى الدعوات ، وحسنه الألبانى فى الصحيحة رقم (127) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (4338) .

[11] رواه البخارى رقم (6514) ، فى الرقاق ، باب سكرات الموت ، ومسلم رقم (2960) ، فى الزهد فى فاتحته ، والترمذى رقم (2380) ، فى الزهد .

الميزان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين فى جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير..

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

ونحن اليوم بحول الله ومدده على موعد مع اللقاء الثامن عشر من لقاءات هذه السلسلة الكريمة، وكنا قد توقفنا فى اللقاءات الخمسة الماضية على التوالى مع البشرية كلها وهى تقف كلها على بساط العدل فى ساحة الحساب بين يدي الملك جل جلاله، وتعرفنا على أهم قواعد العدل التى يحاسب بها الله فى ساحة الحساب، وتعرفنا على أول أمة ينادى عليها لتحاسب بين يدي الله جل وعلا، وتعرفنا على أول من يقضى الله بينهم وعلى أول ما يحاسب عليه العبد، وعلى أول حق من حقوق العباد يقضى الله فيه بين الخلق، ثم تعرفنا فى اللقاء الماضى على أصناف الناس فقلنا

بأن من الناس من يأخذ كتابه بيمينه ويحاسبه الله حساباً يسيراً، ومن الناس من يأخذ كتابه بشماله وراء ظهره ويحاسبه الله حساباً عسيراً.

ومن الناس من يدخل مباشرة من غير حساب ولا عذاب.

هل يا ترى بانتهاء الحساب تنتهي أهوال القيامة!!؟

كلا..!! كلا..!!

بل إذا انقضى الحساب أمر الله جلا وعلا أن ينصب الميزان فإن الحساب لتقرير الأعمال، وإن الوزن لإظهار مقدارها ليكون الجزاء بحسابه وليظهر عدل الله للبشرية كلها في ساحة الحساب فتوزن أعمال المؤمن لإظهار فضله، وتوزن أعمال الكافر لإظهار خزيه وذلك على رؤوس الأشهاد وما ربك بظلام للعبيد.

والآن نسأل...

ما هو الميزان؟!

ما الذي يوزن فيه!!؟

ما هي الأعمال التي تنقل في الميزان يوم القيامة!!؟!

هذه الأسئلة الثلاثة هي موضوع لقاءنا مع حضراتكم، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أولاً: ما هو الميزان؟!

الميزان على صورته وكيفيته التي يوجد عليها الآن من الغيب الذي أمر الصادق المصدوق أن يؤمن به من غير زيادة ولا نقصان، وهذه هي حقيقة الإيمان، فإيا خسران من كذب بالغيب وأنكر وضع الميزان، و قدح في آيات الرحيم الرحمن واستهزاء بكلام سيد ولد عدنان، ثم تطاول فقال قول ملحد خبيث جبان: " لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال أو الفوال " وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً([1]).

لأنه بجهله وغبائه وانغلاق قلبه ظن أن ميزان الآخرة كميزان الدنيا، ومن البدهي أن جميع أحوال الآخرة لا تكيف أبداً ولا تقاس البتة بأحوال الدنيا، ولقد نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله إجماع أهل السنة على: الإيمان بالميزان وأن الميزان له لسان وكِفتان - بكسر الكاف وفتحها واللغتان صحيحتان - وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة.

وقال الإمام بن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية المشهورة قال: " والذي دلت عليه السنة أن الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان حسيتان مشاهدتان "أ.هـ([2]).

والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

أيها المسلم لا يعلم حقيقة الميزان وطبيعة الميزان وكيفية الميزان إلا الملك الرحمن، وإلا فهل تستطيع أن تتصور ميزانا يوضع في يوم القيامة يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((لو وزنت فيه السموات والأرض لوزنها)).

كيف تصور هذا الميزان؟!

ففي الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک وصححه على شرط مسلم وأقر الحاكم الذهبي بل وصح إسناد الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث سلمان

الفارسي أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوزنهما، فإذا رآته الملائكة قالت: يارب لمن يزن هذا؟ قال: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)).

تأمل.. لقد عرفت الملائكة أنها ما عبدت الرحمن حق عبادته من شدة الهول والرعب، فإن مشهد الميزان من أروع مشاهد القيامة فالميزان حق، قال جل وعلا وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:47].

بين الله تعالى أنه يضع الموازين بالقسط (أى بالعدل) وكفى بالله جل وعلا حسيبا، والراجح من أقول أهل العلم أن الميزان يوم القيامة ميزان واحد.

فما جوابك على الجمع فى قوله تعالى ونضع الموازين الراجح من أقوال العلماء أن الجمع فى الآية باعتبار تعدد الأوزان أو الموزون، لأن الميزان يوزن فيه أشياء كثيرة، وبين الملك العدل أن الميزان إن ثقل لو بحسنة واحدة فقد سعد صاحبها سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف الميزان ولو بسيئة واحدة فقد شقى صاحبه شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، قال جل وعلا: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ [المؤمنون:101-104].

انظر إلى دقة عدل الملك وسعة فضله؛ من ثقل ميزانه ولو بحسنة واحدة سعد سعادة لا شقاوة بعدها أبداً، ومن خف ميزانه بأن كان من أهل الشرك شقى شقاوة لا سعادة بعدها أبداً، أما من استوت موازينه، أي استوت حسناته مع سيئاته، فهو على الراجح من أقوال العلماء من أهل الأعراف الذين قصرت بهم سيئاتهم فلم يدخلوا الجنة ومنعتهم حسناتهم من أن يدخلوا النار، يحبسون على قنطره بين الجنة والنار، إذا التفت أهل الأعراف إلى أهل الجنة سلموا عليهم سلاماً عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ [الأعراف: 46].

أى لم يدخلوا أهل الأعراف الجنة وهم يرجون رحمة الله، ويطمعون أن يدخلوا الجنة، وإذا التفتوا إلى الناحية الأخرى ورأوا أهل الجحيم تضرعوا إلى الملك العليم ألا يجعلهم مع القوم الظالمين.

قال جل وعلا: وَيَبَيِّنُهُمَا جِبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [الأعراف:46-47].

إذا أيها المسلم الموحد حرى بك إذا ما تعرفت على أقسام الموازين الثلاثة ألا تحنقر أى عمل صالح ولو قل، وألا تستهين بمعصية واحدة ولو صغيرة، فاعلم أنه بحسنة واحدة يثقل الميزان وبسيئة واحدة يخف الميزان، بل بكلمة واحدة نقاد إلى رضا الرحمن، وبكلمة واحدة ننال سخط الجبار.

ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((إن العبد ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها فى الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً فيهوى بها فى جهنم))([3]).

قد يستهين كثير منا بخطورة الكلمة، وكم من كلمات أشعلت حروباً بين أمم ودول !!
وكم من كلمات أطفأت حروباً بين أمم ودول.

يا صاحب الكلمة اعلم علم اليقين أن كلمة تدخل المرء في دين الله، وكلمة تبني بيتاً
وكلمة تهدم بيتاً، وكلمة تحل فرج امرأة لرجل، وكلمة تحرم فرج امرأة لرجل.

فالكلمة لها خطرهما الجسيم في دين الله فبكلمة تنال الرضوان، وبكلمة تتعرض لسخط
الرحمن، فحسنة تثقل ميزان العبد وتدخله الجنة وسيئة تخف ميزان العبد وتدخله
النار، لذا ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقَ أخاك بوجه طلق))([4]).

لا تقل هذا عمل بسيط، هذه طاعة صغيرة أو حقيرة، فكم من عمل صغير عظمته
النية !! وكم من عمل عظيم حقرته النية!!

فلا تحقرن من المعروف شيئاً فإن عجزت فإنك لن تعجز أيها المسلم أن تهش وتبش
في وجه إخوانك، فما من بيت تخلو منه المشاكل، فابتسامتك هذه التي تحتقرها من
الممكن أن تسعد قلب حزين، فابتسامتك هذه ممكن أن تزيل ألم أخيك النفسى، فما
ذنب أخيك أن تلقاه بوجه عبوس كئيب.

بل لقد أخبرنا الصادق المصدوق ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: ((أن
امراً بغياً رأت كلباً في يوم حار يطوف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له
بموقها (أى أنها استقت له من البئر، والموق هنا هو الخف) فغُفِرَ لها))([5]).

أود أن أقول: إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا فكيف تصنع الرحمة بمن
وحد رب البرايا!؟

نعم نحتاج إلى رحمة، نحتاج إلى رفق، فالرحمة والرفق لا يهدمان ولا يفسدان أبداً،
والشدة والعنف يهدمان ويفسدان، هذه سنة الله في خلقه، ما كان الرفق فى شىء إلا
زانه وما نزع الرفق من شىء إلا شانه.

ففى الصحيحين البخارى ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : ((عذبت
امراً فى هرة حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النار قال: فقال - والله أعلم -
لا هى أطعمتها ولا سقتها حين حبستها ولا هى أرسلتها تأكل من خشاش
الأرض))([6]).

لذا يأمرنا الصادق المصدوق كما فى الصحيحين من حديث عدى بن حاتم يقول :
((اتقوا النار، ولو بشق تمره))([7]).

فقد ينجو العبد من النار بشق تمره، فإن ثقل الميزان بحسنة سعد العبد بعدها سعادة لا
شقاوة بعدها أبداً، وإن خف الميزان ولو بسيئة شقى العبد شقاوة لا سعادة بعدها أبداً،
وإن تساوت الموازين فهو من أهل الأعراف والراجح من أقوال أكثر أهل العلم أن
الله جل وعلا يتعمدهم برحمته فيدخلهم الجنة.

ثانياً: ما الذى يوزن فى الميزان؟

أيها الأحبة فى الله:

لقد اختلف أهل العلم فى الجواب على هذا السؤال على ثلاثة أقوال، فأعرنى قلبك
وسمعك جيداً فإن الموضوع منهجى دقيق يحتاج إلى حسن متابعة.

أولاً: القول الأول

إن الذى يوزن فى الميزان هو الأعمال ذاتها - أى أعمال العبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وبر وصدقة وغير ذلك من الطيبات الصالحات.

ولكن رفض البعض وقالوا: هذه الأعمال أعراض لا أجسام، والأعراض لا توزن ولا توضع فى الميزان، فكيف توزن الصلاة وهى ليست حجم؟! وكيف توزن الزكاة وهى كذلك؟! فكيف تقولون بأن الأعمال هى التى توزن يوم القيامة؟! والجواب: أن الله جل وعلا يوم القيامة يحول الأعراض إلى أجسام توضع فى الميزان يخف الميزان ويثقل بحسب الحسنات والسيئات. والأدلة على ذلك من السنة الصحيحة كثيرة فتدبر معى، أرف إليك سيلاً من الأدلة الصحيحة من السنة.

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم))([8]).

انتبه يا مسلم الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقول كلمتان عرض وليس جسماً بهما يثقل الميزان.

بل فى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وصححه شيخنا الألبانى فى مشكاة المصابيح من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق))([9]).

فحسن الخلق أثقل شىء فى ميزان العبد يوم القيامة، بل وأخبرنا الصادق المصدوق أن القرآن الكريم يأتى يوم القيامة ليقف أمام العبد بين يدي الله جل وعلا على هيئة غمامة، أى على هيئة ظلة على رأس العبد يوم القيامة ليشفع له أمام الله، بل ويحاج القرآن عن العبد بين يدي الحق تبارك وتعالى.

اسمع ماذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث رواه مسلم من حديث أبى أمامه الباهلى يقول الصادق المصدوق: ((اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شافعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحجان عن صاحبهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركه وتركها حسره ولا تستطيعها البطلة (السورة))([10]).

وفى صحيح مسلم يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان وبينهما شرف أو كأنهما غمامتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما ظلة من طير صواف تحجان عن صاحبهما))([11])، أى بين يدي الله جل وعلا.

كل هذه أدلة من السنة الصحيحة على أن الأعراض تتحول يوم القيامة إلى أجسام وما استطعنا أن نعى كل هذه الحقائق إلا لأننا أردنا أن نحكم قوانين الآخرة الغيبية بقوانين الدنيا الحسية فعجزنا.

أيها المسلم لا تعطل ولا تكيف ولا تمثل ولا تشبه، فلا يستطيع أحداً منا الآن أن يعاند أو يكابر أو يمتنع عن الاعتراف بعالم يعيش بيننا، آلا وهو عالم النحل، بل ولا

يستطيع أحد منا أن ينكر أن النمل يتكلم بدليل أن الله لما فك رموز لغة النمل لسليمان عليه السلام، فهم سليمان لغة النمل وتجاوب مع النمل، فقد سجل الله في قرآنه العظيم: حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ [النمل: 18 - 19] .

إذاً لا يستطيع أحداً منا أن ينكر وجود عالم النمل، بل لا يستطيع أحد منا أن ينكر أن النمل يتحدث ويتكلم، ومع ذلك ما رأينا واحداً قد جاء بمكبرات صوت دقيقة جداً وقربها إلى مجموعة نمل ليسمع كلامها مع أنه يعلم أن النمل يتكلم، لماذا!!! لأنه ما أعطى لعقله العنان في أن يدرك كيفية لغة النمل لأن الله ما فك له رموز هذه اللغة، والنمل خلق من خلق الله.

فكيف لعقلك أن يدرك الذات الإلهية؟!

لا تكيف ولا تمثل ولا تعطل ولا تشبه، فعالم الآخرة ليس كعالم الدنيا، الظلم عين الظلم أن نحكم عالم الآخرة الغيبي وقوانينه بعالم الدنيا وقوانينه وهو عالم حسي، فالله سبحانه بقدرته يحول الأعراض إلى أجسام توضع في الميزان، يثقل الميزان ويخف بحسب الحسنات والسيئات بل أخبرنا الصادق أيضاً: ((أن العمل يأتي لصاحبه في القبر على هيئة رجل))، نعم والحديث رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي والحاكم والترمذي وابن حبان وغيرهم وصحح الحديث ابن القيم وأطال النفس في الرد على من أعل الحديث وصحح الحديث الألباني من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر العبد المؤمن إذا وضع في قبره فقال: ((ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟، فيقول: ربي الله، ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: محمد، فيقولان: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وأمنت به وصدقت، فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً من الجنة يأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له قبره مد البصر، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول صاحب القبر له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده أنا عمك الصالح)).

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الكافر: ((ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، من نبيك؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، ما دينك؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له فراشاً من النار وألبسوه لباساً من النار، وافتحوا له باب من النار يأتيه من روحها وسمومها ثم يضيق عليه قبره فتختلف أضلاعه، ويأتيه رجل أسود الوجه قبيح المنظر نتن الريح فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي يأتي بشر، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك أنا عمك الخبيث))([12]).

أرأيت يا مسلم كيف يكون العمل في هيئة جسم إنسان وكيف يتكلم؟

إياك!! إياك!! أن يشوش عليك كلام العلمانيين ممن يريدون أن يجعلوا من سلطان العقل والمادة قانوناً يحكمونه في صريح القرآن وصحيح السنة، فإننا نشهد الآن نبتة

سوء ينكر أصحابها عذاب القبر، إن غداً لناظره قريب، هذا كلام الصادق الذى لا ينطق عن الهوى، بل ولقد أخبر الصادق أن الموت نفسه يأتى يوم القيامة كهيئة كبش أملح.

والحديث فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((يؤتى يوم القيامة بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادى مناد: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم، وكلهم قد رآه، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: وأنذرهم يوم الحسرة إذا قضى الأمر، وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون [مريم:39]. وأشار بيده إلى الدنيا))([13]).

إذاً ثبت بالأدلة الصحيحة التى ذكرت الآن أن الأعراض تتحول إلى أجسام توضع فى الميزان يوم القيامة ويثقل الميزان ويخف بحسب الحسنات والسيئات، هذه أدله أصحاب القول الأول الذين قالوا بأن الأعمال التى توزن فى الميزان يوم القيامة. ثانياً: القول الثانى

قالوا: بل إن الذى يوزن فى الميزان هو العامل وليس الأعمال. واستدل أصحاب هذا القول بأدلة صحيحة كذلك منها ما رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه، وقال: اقرؤوا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً))([14]).

رجل سمين عظيم منتفخ منتفش يأتى يوم القيامة فيوضع فى الميزان فلا يزن عند الله جناح بعوضه، إذ أن الموازين إذا وضع فيها العباد لا تخف ولا تثقل بحسب ضخامة الأبدان وكثرة الشحم والدهن إنما تخف وتثقل بحسب الحسنات والسيئات، ألم أقل لك: عين الظلم أن نحكم قوانين الدنيا فى قوانين الآخرة وفى عالم الآخرة، وفى المقابل يؤتى بساقين ضعيفتين لرجل نحيف ضعيف فإن وضعتا فى الميزان فى كفة، وجبل أحد فى كفة أخرى لرجحت كفة هذا الرجل، من هو؟!!!

إنه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، إنه رجل ضعيف البنية قوى الإيمان رجل خفيف الجسم ثقيل الأعمال، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث تفرد به الإمام أحمد فى مسنده بسند جيد قوى كما قال الحافظ ابن كثير وغيره، يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه: " سعد ابن مسعود رضى الله عنه يوماً على شجرة أراك يجنى سواكاً فجعلت الريح تكفأه فضحك القوم، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((مما تضحكون؟)) قالوا: نضحك من دقة ساقيه يا رسول الله فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من جبل أحد))([15]).

هذه أدله أصحاب القول الثانى ممن قالوا بأن الذى يوزن فى الميزان هو العبد. ثالثاً: الرأى الثالث

قالوا بل إن الذى يوزن فى ميزان العبد يوم القيامة هو الصحف.

واستدلوا على ذلك أيضا بحديث صحيح رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي ورواه ابن حبان وأبو داود وغيرهم وصح الحديث شيخنا الألباني من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أنتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا يارب فيقول الله جل وعلا: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: احضروه، فيقول: يارب ما تفعل هذه البطاقة مع هذه السجلات؟، فيقول: إنك لا تظلم، فوضعت السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء))([16]).

وهذا ما استدل به أصحاب الرأى الثالث. وبعدهما تجولنا سوياً حول الآراء الثلاث الماضية.

ترى ما هو القول الراجح من هذه الأقوال وما هى الأعمال التى تثقل الميزان؟ هذا ما سنعرفه بعد جلسة الاستراحة.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله أما بعد.. أيها الأحبة الكرام:

القول الراجح والله أعلى وأعلم أن الأعمال والعامل والصحف كل ذلك يوضع فى الميزان يوزن العامل بأعماله وبصحفه وهذا ما رجحه صاحب القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد وهذا ما أميل إليه.

لذا أرى أنه من الواجب على أن أذكر نفسى وأحبابى ببعض الأعمال التى تثقل الميزان يوم القيامة.

ثالثاً: ما هى الأعمال التى تثقل الميزان يوم القيامة؟

من أعظم الأعمال التى تثقل الميزان يوم القيامة كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم حسن الخلق فى الحديث الذى خرجته فى أول اللقاء من حديث أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذىء))([1]).

نعم حسن الخلق وآه من الحديث عن حسن الخلق، والله ما أحوج الأمة بحكامها وعلمائها وشيوخها ودعاتها ورجالها ونسائها وشبابها وأطفالها إلى حسن الخلق، فإن حسن الخلق لمنهج نظري منير، فإننا نرى بوناً شاسعاً رهيباً بينه وبين سوء الخلق كمنهج واقعى عملى.

أين أخلاق الإسلام؟! أين أخلاق محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام؟! فما أيسر التنظير.

إن أرفف المكتبات فى بيوتنا وفى مدارسنا وفى جامعتنا تنن بأطنان المجلدات التى سطر فيها المنهج النظرى المشرق المنير، ولكن لو نقبت فى واقع الأمة ونظرت نظرة سريعة إلى أحوال الناس، لرأيت بوناً شاسعاً بين هذا المنهج النظرى المنير وبين الواقع المؤلم المر المرير.

يا أمة الإسلام يا أمة سيد ولد عدنان!!

أين الصدق؟! أين الإخلاص؟! أين الرفق؟! أين الحلم؟! أين العفو؟! أين البر؟! أين الحياء؟! أين الرجولة؟! أين الشهامة؟! أين الكرامة؟! بل أين أين أين.....!!؟؟

أين أخلاق محمد بن عبد الله .

والله والله إنى لأتهم نفسى وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طيب يداوي الناس والطيب عليل

فأسأل الله أن يستر على وعليكم وأن يردنى وأن يردكم وأن يرد الأمة جمعاء إلى الخلق الجميل رداً جميلاً إنه ولى ذلك والقادر عليه.

يا شباب الأمة ما أوجنا إلى محاسن الخلق ما أوجنا إلى مكارم الأخلاق، إننى أقول دوماً وأبداً، لقد نجح المصطفى صلى الله عليه وسلم فى أن يقيم للإسلام دولة من فتات متناثرة وسط صحراء تموج بالكفر موجاً، فإذا دولة الإسلام بناء شامخ لا يطاوله بناء، نجح المصطفى صلى الله عليه وسلم فى ذلك يوم أن طبع عشرات الآلاف من النسخ من المنهج التربوى الإسلامى العظيم، ولكنه لم يطبعها بالحبر على صحائف الأوراق، وإنما طبعها على صحائف القلوب بمداد من النور، فحول أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم المنهج الأخلاقى الإسلامى إلى واقع عملى يتألق سمواً وروعةً وجلالاً فى دنيا البشر أذهل البشرية - لكنى أقول إن أعظم حجر يقف الآن فى سبيل الإسلام فى الشرق والغرب هو أخلاق المسلمين إلا من رحم الله، فإن الرجل فى الشرق والغرب ينظر إلى المسلمين هناك فيرى المسلم يزنى ويشرب الخمر ويبيع الخنزير ولا يحافظ على الصلوات، فينظر الرجل إلى المسلم الذى يتغنى بالإسلام فلا يرى أنه يفوقه خلقاً، فالحجر العاثر والعقبة الكئود فى طريق الزحف الإسلامى فى الشرق والغرب هو أخلاقنا إلا من رحم الله.

نسأل الله أن يجعلنا جميعاً ممن رحم، ولذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)) وأرجو أن نعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى ميزان المؤمن، إذ أن الإيمان أصل سابق، أرجو أن ننتبه لهذه اللطيفة، إذ أن الإيمان أصل سابق بل لقد أخبر الصادق المصدوق كما فى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى بسند صحيح قال حينما سئل عن أكمل المؤمنين إيماناً قال: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))([2]).

لقد أخبر الصادق المصدوق كما فى الحديث الذى رواه أبو داود وابن حبان وغيرهما من حديث عائشة بسند صحيح قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((إن العبد المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))([3]).

وهؤلاء أصحاب الأخلاق العليا من أقرب الناس إلى رسول الله يوم القيامة قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((إن من أحبكم إليّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً))([4]).

ومن أعظم الأعمال التى تنقل الميزان يوم القيامة أيضاً ((الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض))([5]).

هل تعجز - أختى فى الله - عن هذا الطهور؟! هل تعجز أن تحمد الله وتسبحه بقلبك قبل لسانك؟!

واسمع ماذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم؟! يقول: ((لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس))([6]).

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر))([7]).

لكن أحببى فى الله أهمس فى كل أذن تسمعنى أن يردد اللسان ويصدق الجنان، وأن تترجم الجوارح والأركان.

[1] شرح الطحاوية بتحقيق الألبانى : ص : 419 .

[2] شرح الطحاوية بتحقيق الألبانى ص 417 .

[3] رواه البخارى رقم (6478) فى الرقاق ، باب حفظ اللسان ، ومسلم رقم (2988) فى الزهد ، باب التكلم بالكلمة يهوى بها فى النار ، والترمذى فى الزهد .

[4] رواه مسلم رقم (2626) فى البر والصلاة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء .

[5] رواه البخارى رقم (3321) بدء الخلق ، باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم رقم (2245) فى السلام ، فضل سقى البهائم المحتبسة ، واللفظ له ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (2550) فى الجهاد .

[6] رواه البخارى رقم (2365) فى المساقاة ، باب فضل سقى الماء ، واللفظ له ، ومسلم (2619) فى البر والصلاة ، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها .

[7] رواه البخارى رقم (1417) فى الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمره ، ومسلم رقم (1016) فى الزكاة باب الحث على الصدق ولو بشق تمره ، والنسائى (74 ، 75) فى الزكاة .

[8] رواه البخارى رقم (6406) فى الدعوات ، باب فضل التسبيح ، ومسلم رقم (2694) فى الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

[9] رواه الترمذى رقم (2003،2004) فى البر والصلة ، باب ما جاء فى حسن الخلق ، وأبو داود رقم (4799) فى الأدب ، باب حسن الخلق ، وهو فى صحيح الجامع رقم (5721) .

[10] رواه مسلم رقم (804) فى صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

الغياية : كل شئ أظل الإنسان وغيره من فوق ، وهى كالسحابة .

الفرق : الجماعة المنفردة من الغنم والطيور وغير ذلك .
صواف : جمع صافة ، وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران .
[[11]] رواه مسلم رقم (805) فى صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن
وسورة البقرة ، والترمذى رقم (2886) فى ثواب القرآن ، باب ما جاء فى سورة آل
عمران .
[[12]] رواه البخارى رقم (1374) فى الجنائز ، باب ما جاء فى عذاب القبر ،
ومسلم رقم (2870) فى الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة
والنار ، وأبو داود رقم (3231) فى الجنائز ، والنسائى (97/4 ، 98) فى الجنائز .
[[13]] رواه البخارى رقم (6548) فى الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم
رقم (2850) فى الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون .
[[14]] رواه البخارى رقم (4729) فى تفسير سورة الكهف ، باب أولئك الذين
كفروا بربهم ، ومسلم رقم (2785) فى صفة القيامة .
[[15]] رواه أحمد فى المسند رقم (920) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .
[[16]] رواه الترمذى رقم (2641) فى الإيمان ، باب ما جاء فى من يموت وهو
يشهد أن لا إله إلا الله ، وصححه الشيخ الألبانى فى الصحيحة رقم (135)

[[1]] سبق تخريجه .
[[2]] أخرجه أبو داود رقم (4682) والترمذى رقم (1162) وقال : حسن صحيح
وهو فى صحيح الجامع رقم (1230) .
[[3]] رواه أبو داود رقم (4798) فى الأدب وأحمد فى المسند رقم (24236 ،
24476) .
[[4]] رواه الترمذى رقم (2019) فى البر والصلة ، باب ما جاء فى معالى الأخلاق
، وللحديث شواهد يثق بها ، وخرجه الشيخ الألبانى فى الصحيحة (791) ، وهو فى
صحيح الجامع (2201)
[[5]] رواه مسلم رقم (223) فى الطهارة باب فضل الوضوء ، والترمذى رقم
(3512) فى الدعوات والنسائى (5،6/5) فى الزكاة وهو فى صحيح الجامع
(3957) .
[[6]] رواه مسلم رقم (2695) فى الزكاة والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح
والدعاء ، والترمذى رقم (3591) فى الدعوات .
[[7]] رواه الترمذى رقم (3462) فى الدعوات ، وقال : حسن صحيح وهو جزء من
حديث طويل رواه مسلم رقم (2691) .

عذاب القبر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله .. أدّى
الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، ونصّح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده

حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته و صلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً. حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یجمعنی وإیاکم فی الدنیا دائماً وأبداً علی طاعته و فی الآخرة مع سید الدعاة وإمام النبیین فی جنته ودار کرامته.

إنه ولی ذلك ومولاه وهو علی كل شیء قدير..

أما بعد:-

إن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. أحبتي في الله:

فی رحاب الدار الآخرة:

سلسلة علمية كريمة تجمع بين المنهجية والرقائق وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوجداني، الهدف منها تذكير الناس بالآخرة في عصر طغت فيه الماديات والشهوات وانصرف فيه كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسموات. لعل الغافل أن ينتبه ولعل النائم أن يستيقظ قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون.

لقد انتهينا في اللقاء الماضي مع الجنازة وهي في طريقها إلى القبر تتكلم!!، كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي قال: ((إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت سالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الثقلين - أو قال: إلا الإنسان - ولو سمع الإنسان لصعق))([1]).

وها نحن قد وصلنا بالجنازة إلى القبر فقف معي الآن عند القبر وأهواله وفتنة القبر وأحواله. أسأل الله جل وعلا أن يحفظنا وإياكم من فتنته إنه ولي ذلك والقادر عليه. وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا اليوم مع حضراتكم في هذه العناصر التالية:

أولاً: الأدلة على عذاب القبر ونعيمه.

ثانياً: أسباب عذاب القبر.

ثالثاً: ما السبيل للنجاة من عذاب القبر؟

فأعزني قلبك وسمعك أيها الحبيب الكريم والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولاً: الأدلة على عذاب القبر ونعيمه

نحن اليوم في أمس الحاجة لهذا الموضوع الذي نحن بصدده فهو من الأهمية بمكان لا سيما بعد ما قرأنا على صفحات سوداء في مقال أسود بعنوان " عذاب القبر خرافات وخزعبلات !!!"

هكذا يعنون لمقاله فضيلة الأستاذ الدكتور ثم يتناول هذا الأستاذ الدكتور الجريء فيقول: "إن جميع الأحاديث التي وردت في مسألة عذاب القبر مجرد خرافات!!"، ثم أظهر جهله الفادح، فقال: "إن عذاب القبر غيب والقرآن بيّن لنا أن النبي لا يعلم الغيب!!" جهل مركب..!

معنى ذلك يا فضيلة الدكتور أنه ينبغي أن ننكر ونكذب كل أمر غيب أخبرنا به المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كالإيمان بالله، وكالإيمان بالملائكة، وكالإيمان باليوم الآخر وكالإيمان بالقدر خيره وشره... إلى سائر الغيبات التي أخبر عنها رسول الله .

نسي هذا المسكين قول رب العالمين في سيد المرسلين: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ [النجم: 3-5] .

أما تقرأ يا مسكين في سورة البقرة قوله تعالى: أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [البقرة: 1-2].

وتمنيت يا فضيلة الدكتور لو قرأت من جديد هذه الآيات، إن أول صفة من صفات المؤمنين الإيمان بالغيب.

وخرج علينا أستاذ آخر فكتب كتاباً ضخماً يزيد عن الثلاثمائة صفحة، ينفي فيه من أول صفحة إلى آخر صفحة عذاب القبر ونعيمه، يلوي أعناق النصوص ليأ عجيباً، وها أنا الآن أرد على هؤلاء المتطاولين المكذبين المنكرين، الذين قال عنهم الإمام القرطبي والإمام الحافظ ابن حجر: "لم ينكر عذاب القبر إلا الملاحدة، والزنادقة، والخوارج، وبعض المعتزلة، ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة، وخالفهم جميع أهل السنة

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "عذاب القبر حق ومن أنكره فهو ضال مضل" أيها الحبيب: سأقدم إليك سيلاً من الأدلة الصحيحة على عذاب القبر من كلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ولن أطيل الوقفة مع القرآن! لماذا؟! .. لأن القرآن حمّل ذو أوجه كما قال علي بن أبي طالب لابن عباس وهو في طريقه لمناظرة الخوارج.

قال علي: يا ابن عباس جادلهم بالسنة ولا تجادلهم بالقرآن فإن القرآن حمّل ذو أوجه. استهل الحديث بين يدي هذا العنصر الهام بمقدمة اقتبسها من كلام أئمتنا الأعلام وأبدأ هذه المقدمة بكلام دقيق نفيس للإمام ابن أبي العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية على شارحها ومصنفها الرحمة من الله جل و علا.

قال: اعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، وكل إنسان مات وعليه نصيب من العذاب فله نصيبه من العذاب قُبِرَ أو لم يُقْبَر سواء أكلته السباع أو احترق فصار رماداً في الهواء أو نسف أو غرق في البحر.

تأملوا يا من تحكمون العقول في هذا الدليل الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي قال: ((قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه. ثم ذرّوه، نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين. فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم. فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر الله

البحر فجمع ما فيه. ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك، وأنت أعلم فغفر الله له))([2]).

الشاهد من الحديث أن الله أحياه بعدما حُرق وُدْرَى رماده في البحر والبر فقال له الملك: كن فكان على الفور.

قال تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [آل عمران: 59]

وقال تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جَمْرِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 259] .

وقال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة: 260] .

إن قدرة الله لا تحدها حدود، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأنهى هذه المقدمة بكلام نفيس للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، حيث قال:

"إن الله تعالى قد جعل الدور ثلاثة، وهى: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار" ثم قال: "وجعل الله لكل دار أحكاماً تختص بها، فجعل الله الأحكام في دار الدنيا تسيير على الأبدان، والأرواح تتبع لها، وجعل الأحكام في دار البرزخ تسرى على الأرواح، والأبدان تتبع لها، وجعل الأحكام في دار القرار تسرى على الأرواح والأبدان معاً" ثم قال ابن القيم: "واعلم أن سعة القبر، وضيقة، ونوره، وناره ليس من جنس المعهود للناس في عالم الدنيا".

ثم ضرب للناس مثلاً عقلياً دقيقاً رائعاً فقال :

"أنظر إلى الرجلين النائمين في فراش واحد أحدهما يرى في نومه أنه في نعيم، بل وقد يستيقظ وأثر النعيم على وجهه ويقص عليك ما كان فيه من النعيم، قد يقول لك: الحمد لله لقد رأيتني الليلة وأنا مع رسول الله ورأيت النبي وكلمت النبي ورد على النبي وقال لي النبي .. الخ

من رأى النبي في المنام فقد رآه حقاً، وأخوه إلى جواره في فراش واحد قد يكون في عذاب ويستيقظ وعليه أثر العذاب ويقص عليك ويقول: كابوس كاد أن يخنق أنفاسي!!"

هل تدبرت أخي في الله في هذا الكلام؟! الرجلان في فراش واحد هذه روحه كانت في النعيم، وهذا روحه كانت في العذاب مع أن أحدهما لا يعلم عن الآخر شيئاً.

هذا في أمر الدنيا فما بالك بأمر البرزخ الذي لا يعلمه إلا الله؟! مقدمة دقيقة ولو تدبرتها لوقفت على الحقيقة.

وأنا أقول: متى كان العقل حاكماً على الشرع والدين!!

لله در عليّ يوم أن قال: "لو كان أمر الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه"([3]).

إليك الأدلة الصحيحة الصريحة على عذاب القبر أستهلها بهذه الترجمة الفقهية البليغة لإمام الدنيا في الحديث - الإمام البخاري - فقد ترجم في كتاب الجنائز باباً بعنوان ((باب ما جاء في عذاب القبر)) وتكفي هذه الترجمة، ولقد فقه البخاري في تراجمه كما قال علماء الحديث وعلماء الجرح، وساق البخاري في هذا الباب الآيات الكريمة عن الله جل وعلا وروى فيه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأكتفي بأية واحدة استدلت بها جميع أهل السنة بلا خلاف على ثبوت عذاب القبر: قال الله تعالى: وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [غافر: 45-46].

قال جميع علماء أهل السنة: ذكر الله في هذه الآية عذاب دار البرزخ وعذاب دار القرار ذكراً صريحاً، وحق بال فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً أي: صباحاً ومساءً هذا في دار البرزخ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب: أي: يوم القيامة.

فذكر الله عذابين في الآية: عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة عذاب دار البرزخ وعذاب دار القرار.

وقبل أن أرف إليك الأدلة الصحيحة التي تلجم المنكرين الأحبار أود أن أنوه إلى أن الله قد أنزل على النبي وحيين وأوجب الله على عباده الإيمان بهما ألا وهما القرآن والسنة الصحيحة.

انطلق هؤلاء المنكرون وقالوا: كفانا القرآن وظنوا أنهم - بهذه الدعوى التي يغنى بطلانها عن إبطالها، ويغنى فسادها عن إفسادها - أنهم قد خدعونا والله ما خدعوا إلا أنفسهم.

من كذب بالسنة الصحيحة فقد كفر بالقرآن..ومن رد السنة فقد رد القرآن. تدبر معي آيات الله عز وجل: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الحشر: 7]. وقال تعالى: من يطع الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً [النساء: 80].

وقال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: 65] .

وقال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا [الأحزاب: 36] .

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات: 1-2].

فالسنة حكمها مع القرآن على ثلاثة أوجه.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين: السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

"الوجه الأول: أن تأتي السنة مؤكدة لما جاء به القرآن وهذا من باب تضافر الأدلة. الوجه الثاني: أن تأتي السنة مبينة وموضحة لما أجمله القرآن.

قال تعالى: وأقيموا الصلاة لكن لم يذكر عدد الصلوات، ولا أركان الصلاة، ولا كيفية الصلاة ولا مواقيت الصلاة، فجاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لكي يبين لنا عددها وأركانها وكيفيةها ومواقيتها وهكذا.

الوجه الثالث: أن تأتي السنة موجبة أو محرمة لما سكت عنه القرآن، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه))، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((ألا إن ما حرم الله كما حرم رسول الله))([4]). وإليكم الأحاديث الصحيحة التي تثبت أن عذاب القبر حقيقة لا ريب:

ففي الحديث الذي رواه أحمد والحاكم وغيره وحسنه الشيخ الألباني "كان عثمان إذا وقف على القبر بكى وإذا ذكر الجنة والنار لا يبكي فقيل له: يا عثمان تذكر الجنة والنار فلا تبكي فإذا وقفت على القبر تبكي، قال عثمان: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((القبر أول منازل الآخرة فإن نجي منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه صاحبه فما بعده أشد منه)).

وانظر إلى هذا الحديث الصحيح قال المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما مر على قبرين فقال: ((أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير))، ثم قال: ((أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله - أو لا ينتزعه من بوله -))([5]). وقف مع هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي كان يدعو الله ويقول: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر))([6]).

وفي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وابن حبان والبخاري وغيرهم من حديث زيد بن ثابت: ((بينما النبي في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ جاءت به (أي البغلة) فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة، أو خمسة، فقال: ((من يعرف أصحاب هذه الأقبُر؟)) قال رجل: أنا، قال: ((فمتى ماتوا؟)) قال: في الشرك، فقال: ((إن هذه الأمة تُبْتَلَى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)) ثم أقبل علينا بوجهه فقال: ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)) قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر))([7]).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((دَخَلْتُ عَلَى امرأة من يهود المدينة فذكرت عذاب القبر فقالت المرأة لعائشة: أعاذك الله من عذاب القبر فلما خرجت اليهودية سألت عائشة النبي عن عذاب القبر فقال: ((نَعَمْ عذاب القبر)) وفي رواية: ((عذاب القبر حق)) فقالت عائشة: ((فما رأيت النبي يصلى بعدها إلا ويستعيز من عذاب القبر))([8]).

واسمع إلى هذا الحديث العمدة في المسألة، وهو أصل من أصول هذا الباب رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والبيهقي في سننه والنسائي في سننه وأبو داود في سننه ورواه الحاكم في المستدرک وصححه على شرط الشيخين وأقره الإمام الذهبي وصحح الحديث الإمام ابن القيم في كتاب تهذيب السنن وإعلام الموقعين وأطال النفس للرد على من أعلَّ هذا الحديث وصحح هذا الحديث الشيخ الألباني وغيره من حديث البراء بن عازب أنه قال: خرجنا مع النبي في جنازة رجل

من الأنصار فلما انتهينا إلى القبر جلس النبي على شفير القبر (حافة القبر) وجلسنا حوله وكان على رؤوسنا الطير (لا يتكلمون) وفي يد النبي عود ينكت به الأرض ثم رفع النبي رأسه فنظر وقال لأصحابه: ((استعينوا بالله من عذاب القبر، استعينوا بالله من عذاب القبر، استعينوا بالله من عذاب القبر)) قالها النبي مرتين أو ثلاثة ثم التفت إليهم النبي وقال: ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة ببض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوا عبدي إلى الأرض، فأني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله، فيقولان له وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟! فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ لا تفتح لهم أبواب السماء فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرْحاً فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، فيقولان: له ما دينك؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها،

ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعده فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة!!))([9]).

معذرة أيها الحبيب لقد أطلت عليك الجولة مع الأدلة على عذاب القبر ونعيمه، وسأعرج سريعاً على العنصرين الآخرين وهي أسباب عذاب القبر، ما السبيل للنجاة؟، وذلك بعد جلسة الاستراحة. وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

ثانياً: أسباب عذاب القبر:

والحديث عنها له وجهان مجمل ومفصل، أما المجمل فإن معصية الله عز وجل أصل لكل بلاء وعلى رأس هذه المعاصي الشرك، فإن أعظم زاد تلقى الله به هو التوحيد، وإن أبشع وأعظم ذنب تلقى الله به هو الشرك، قال الله: [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] لقمان: [13].

أما التفصيل فقد ذكر النبي كما ذكرت آنفاً أن النسيمة من أسباب عذاب القبر، وهناك الآن أناس متخصصون في النسيمة.

فالنسيمة سبب من أسباب عذاب القبر، وأيضا عدم الاستتار من البول، وعدم التنزه منه وهذا ما ذكره النبي في حديثه الذي كنا بصده من قبل.

أيضا من أسباب عذاب القبر الكذب والربا وهجر القرآن كما في حديث سمرة بن جندب الطويل الذي رواه البخاري الذي لا يتسع المقام لذكره الآن لقد ذكر فيه النبي من أسباب عذاب القبر الكذب والرياء وهجر القرآن والزنا، والغلول (كل شيء يأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم) ويدخل تحت الغلول السحت والحرام.

فعن أبي قال: خرجنا مع رسول الله إلى خيبر ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهباً، ولا ورقاً، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي يعنى وادي القرى ومع رسول الله عبد له، وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيبي، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله يحلُّ رحله، فرمي بسهم، فكان فيه حتفه فقلنا: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلا والذي نفسى محمد بيده، إن الشَّمْلَةَ (إزار يتشح به) لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم يوم خيبر، لم يصبها المقاسم)) قال: ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (الشراك: سير من سيور النعل) فقال: أصبته يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((شراك من نار، أو شراك من نار))([1]).

أيها الأحباب: والسؤال الآن فما السبيل للنجاة من عذاب القبر؟!

ثالثاً: السبيل للنجاة من عذاب القبر:

أقول لك بإيجاز شديد، أعظم سبيل للنجاة من عذاب القبر أن تستقيم على طاعة الله جل وعلا وأن تتبع هدي النبي .

قال الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت: 30-32].

ومن أنفع الأسباب كذلك للنجاة من عذاب القبر ما ذكره الإمام ابن القيم في كتابه القيم (الروح)، قال: ومن أنفعها أن يتفكر الإنسان قبل نومه ساعة ليذكر نفسه بعمله، فإن كان مقصراً زاد في عمله وإن كان عاصياً تاب إلى الله، وليجدد توبة قبل نومه بينه وبين الله.

فإن مات من ليلته على هذه التوبة فهو من أهل الجنة، نجاه الله من عذاب القبر ومن عذاب النار.

ومن أعظم الأسباب التي تنجي من عذاب القبر:

أن تداوم على العمل الصالح كالتوحيد، والصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، وحضور مجالس العلم والعلماء التي ضيعها أناس كثيرون وانشغلوا عنها بلهو قتل الوقت.

أيضا من أعظم الأسباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، كل عمل يرضي الرب فهو عمل صالح ينجي صاحبه من عذاب القبر والنار.

وأبشركم... أن من أعظم الأعمال التي تنجي صاحبها من عذاب القبر الشهادة في سبيل الله ورد في الحديث الذي رواه الحاكم وحسن إسناده الشيخ الألباني أن النبي قال: ((للشهيد عند الله ست خصال، الأولى: يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، الثانية: ينجي به الله عز وجل من عذاب القبر، الثالثة: يأمنه الله يوم الفزع الأكبر، الرابعة: يلبسه الله تاج الوقار، الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها، الخامسة: يزوجه الله بثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، السادسة: يشفعه الله في سبعين من أهله)).

ولن أترك مكاني هذا إلا بعد أن أزف إليكم حديثا يملأ القلب أملا ورضا، والحديث رواه الحاكم في المستدرک وصححه وأقره الذهبي وصحح إسناده الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح عن ابن مسعود قال: ((سورة الملك، تبارك الذي بيده الملك، هي المانعة وهي المنجية تنجي من عذاب القبر))([2])

[1] رواه البخارى رقم (1314) ، في الجنائز ، باب حمل الرجال الجنائز دون النساء، والنسائي في (41/4) ، في الجنائز ، باب السرعة بالجنائز .

[2] رواه البخارى رقم (7506) ، في التوحيد ، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله ، ومسلم رقم (2756) ، في التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، والموطأ (240/1)، في الجنائز ، باب جامع الجنائز ، النسائي (113/4) في الجنائز ، باب أرواح المؤمنين .

[3] رواه أبو داود رقم (162،163،164) في الطهارة ، باب كيف المسح ،
وصححه الشيخ الألباني ، والأرناؤوط في تخريج جامع الأصول .

[4] رواه أحمد رقم (17128) وأبو داود رقم (4604) في السنة باب في لزوم
السنة والحاكم ، وهو في صحيح الجامع رقم (8186) .

[5] رواه البخارى رقم (216) ، في الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من
بوله ، ومسلم رقم (292) ، في الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب
الاستبراء منه ، والترمذى رقم (70) ، في الطهارة ، باب ما جاء في التشديد في
البول ، وأبو داود رقم (20،21) في الطهارة ، باب الاستبراء من البول ، والنسائي
في الطهارة ، باب التنزه عن البول .

[6] رواه البخارى رقم (1377) في الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم
رقم (588) ، في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ، و الترمذى رقم (3599)
في الدعوات ، باب الاستعاذة من جهنم ، والنسائي (275،276/4) ، في الاستعاذة ،
باب الاستعاذة من عذاب جهنم .

[7] رواه مسلم (2867) ، في صفة الجنة ،باب عرض مقعد الميت من الجنة
والنار عليه .

[8] رواه البخارى رقم (1372) في الجنائز ، باب عذاب القبر ، ومسلم رقم
(584) ، في المساجد ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ، والنسائي (104/4) ،
في الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر .

[9] رواه أبو داود رقم (3212) في الجنائز ، باب الجلوس عند القبر ، ورواه ابن
خزيمة والحاكم ، والبيهقى في شعب الإيمان ، وقد جمع الألباني روايات هذا الحديث
من جميع مصادرهِ وصححه في صحيح الجامع رقم (1676) .

[1] أخرجه البخارى رقم (4234) ، في المغازى ، باب غزوة خيبر ، ومسلم رقم
(115) ، في الإيمان ، باب غلظ تحريم الغلول ، الموطأ (459/2) في الجهاد ، باب
ما جاء في الغلول، وأبو داود رقم (2711) في الجهاد ، باب في تعظيم الغلول ،
النسائي (24/4) في الإيمان والندور .

[2] رواه الترمذى رقم (2892) في ثواب القرآن وصحح إسناده شيخنا الألباني .

العلامات الصغرى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى
الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد في الله حق جهاده
حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته
ورسالته و صلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه
وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...
أما بعد:-

فحياً الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یجمعنی وإیاکم فی الدنیا دائماً وأبداً علی طاعته وفی الآخرة مع سید الدعاة وإمام النبیین فی جنته ودار کرامته.

إنه ولی ذلك ومولاه وهو علی کل شیء قدير..
أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله :

في رحاب الدار الآخرة

سلسلة علمية هامة تجمع بين المنهجية والرقائق، وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي، تبدأ بالموت وتنتهي بالجنة أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها.

وهذا هو لقاءنا الثالث من لقاءات هذه السلسلة المباركة، وكنا قد أنهينا الحديث في اللقاء الأول وتوقفنا مع الجنازة وهي في طريقها إلى القبر تتكلم، ثم توقفنا في اللقاء

الماضي مع الجنازة وقد أغلق عليها القبر، ليعيش صاحبها في نعيم مقيم، أو في عذاب أليم إلى قيام الساعة، وكان من الحكمة والمنطق قبل أن أتكم عن مراحل

الساعة أن أتحدث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى، ولذا فإن حديثنا اليوم مع حضراتكم عن العلامات الصغرى بين يدي الساعة.

وكعادتنا سوف ينتظم حديثنا اليوم مع حضراتكم في العلامات الصغرى في العناصر التالية :

أولاً: الساعة آتية لا ريب فيها

ثانياً: العلامات الصغرى التي وقعت وانقضت

ثالثاً: العلامات الصغرى التي وقعت ولم تنقض

رابعاً: العلامات الصغرى التي لم تقع بعد

فأعزني قلبك وسمعك أيها الحبيب، والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعاً ممن: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

[الزمر:18].

أولاً: الساعة آتية لا ريب فيها:

أحبتى في الله:

إن الحديث عن اليوم الآخر ليس من باب الترف العلمي ولا من باب الثقافة الذهنية الباردة التي لا تتعامل إلا مع العقول فحسب، بل إن الإيمان باليوم الآخر ركن من

أركان الإيمان بالله جل وعلا لا يصح إيمان العبد إلا به أصلاً وابتداءً، كما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب وفيه أن جبريل عليه السلام سأل الحبيب

المصطفى صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ فقال الحبيب: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)).

لا يمكن أن يستقر الإيمان باليوم الآخر في قلب عبد من العباد إلا إذا وقف على حقيقة هذا اليوم وعرف أحواله وكروبه وأهواله.

ومن ناحية ثالثة إذا استقرت حقيقة الإيمان باليوم الآخر في قلب عبد صادق، دفعه هذا العلم بهذا اليوم إلى الاستقامة على منهج الله وعلى طريق الحبيب رسول الله ، لأنه سيعلم يقينا أنه غدا سيفق بين يدي الله جل و علا ليكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ليقول له الملك: **أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** [الإسراء:14].

فالهدف من هذه السلسلة تذكير المسلمين للاستيقاظ من غفلتهم ورقدتهم الطويلة، وإيقاظ المسلمين بالتوبة والإنابة إلى الله جل و علا قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون.

أيها المسلمون قال الله جل و علا: **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** [الحج:6-7].

وإذا كان البشر يرون الساعة بعيدة فإن خالق البشر يرى الساعة قريبة قال جل و علا: **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا** [المعارج: 6-10].

وقال سبحانه: **أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةَ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** [القمر:1].

وقال جل و علا: **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** [النحل:1].

وقال سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** [الحشر:18].

أما عن وقت قيام الساعة فإن هذا من خصائص علم الله جل و علا لا يعلم وقت قيام الساعة ملك مقرب أو نبي مرسل.

قال سبحانه في سورة الأعراف: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** [الأعراف:187].

وقال سبحانه في سورة الأحزاب: **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** [الأحزاب: 63].

وقال سبحانه في سورة النازعات: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا كَانَتْهُمُ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** [النازعات:42-46].

فلا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله.

إن جبريل عليه السلام هو أعلى الملائكة ومحمد هو أعلى الخلق منزلة ومع ذلك جاء جبريل إلى النبي فقال له: متى الساعة؟

فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ما المسئول عنها بأعلم من السائل!! وهو جبريل والمسئول هو البشير النذير، لا يعلمان وقت قيام الساعة... أفيتجراً عاقل بعد ذلك ليقول بأنه على علم بوقت قيام الساعة. في صحيح البخاري من حديث ابن عمر أن النبي قال: ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وتلى النبي قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ

عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان:34].

وإذا كان الله عز وجل قد أخفى وقت قيام الساعة، فقد أخبر سبحانه وتعالى ببعض
العلامات والأمارات التي تكون بين يدي الساعة، لينتبه الخلق بالإنابة والتوبة إلى الله
جل وعلا، وقد سمي القرآن هذه العلامات والأمارات بالأشراط فقال سبحانه: فَهَلْ
يُنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا [محمد:18].

أي فقد جاءت علاماتها وأماراتها وهأنا ذا أقسم العلامات إلى ثلاثة أقسام:
أولاً: علامات صغرى وقعت وانتهت.

ثانياً: علامات صغرى وقعت ولم تنقض مازالت مستمرة.

ثالثاً: علامات صغرى لم تقع بعد.

أولاً: علامات صغرى وقعت وانتهت.

وأول هذه العلامات بعثة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ففي الصحيحين أنه قال: ((بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة
والوسطى))([1]) فبعثة النبي علامة صغرى وموت النبي أيضاً وكلاهما مضيئاً.

كما في صحيح البخاري من حديث عوف بن مالك قال: ((أعدد ستاً بين يدي
الساعة...))([2]) وذكر النبي أولها موته .

ومن هذه العلامات الصغرى أيضاً التي وقعت وانقضت انشقاق القمر قال سبحانه:
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رواها الإمام مسلم في صحيحه أذكر حضراتكم بحديث واحد من
هذه الأحاديث.

من حديث أنس قال: طلب أهل مكة من رسول الله أن يريهم آية فأراه انشقاق القمر.
فقال: ((ماذا تريدون؟))، قالوا: نريد أن تشق لنا القمر في السماء نصفين فسأل
الحبيب ربه فاستجاب الله للمصطفى وشق له القمر في السماء نصفين فقال المصطفى
صلى الله عليه وسلم : ((اشهدوا.. اشهدوا))([3]). ومع ذلك أنكروا وأعرضوا
وقالوا: سحر مستمر.

ومن هذه العلامات الصغرى أيضاً خروج نار في أرض الحجاز روى البخاري
ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم
الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصْرَى))([4]).

وبُصْرَى بلد تسمى حوران في ديار الشام، ولقد وقعت هذه الآية بمثل ما حَدَّثَ
الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

قال الإمام القرطبي في التذكرة: ولقد وقعت هذه الآية بمثل ما حدث الصادق
المصدوق . ففي يوم الأربعاء في الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين
وستمائة خرجت نار من أرض الحجاز كانت لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته رآها
من أرض الحجاز جميع أهل الشام.

ثانياً: العلامات الصغرى التي وقعت ومازالت مستمرة لم تنقض بعد، جاء في صحيح
مسلم من حديث حذيفة بن اليمان قال: ((قام فينا رسول الله مقاماً ما ترك شيئاً يكون
في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّثَ به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه))([5]).

أخبر النبي بالفتن التي ستقع وقال كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وغيره قال : ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا))([6]).
فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل على الإيمان فلا يأتي الليل عليه إلا وقد كفر بالرحيم الرحمن!

ويمسي على الإيمان فلا يأتي الصباح عليه إلا وقد كفر بالله عز وجل!!
ومن الفتن التي يتعرض لها المسلم اليوم فتنة الغربية: فالمسلم الصادق يعيش الآن فتنة قاسية ألا وهي فتنة الغربية قال الحبيب كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء))([7]).

فأهل الغربية الآن يفرون بدينهم من الفتن بل لقد روى الترمذي في سننه بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((سيأتي على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على جمر بين يديه))

ومن الفتن التي تعرض لها المسلم فتنة الشهوات: وفي الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة أنه قال: قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافس فيها من كان قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم))([8]).

إذ يرى المسلم واقع أمته مرُ أليم في الوقت الذي يرى فيه أمم الكفر ودول الكفر قد قفزت قفزات سريعة جدا في عالم الحضارة والرقى والتطور والمدنية. فينظر المسلم الشاب الغيور إلى واقع الأمة فيرى الأمة ذليلة كسيرة مبعثرة كالغنم في الليلة الشتائية الممطرة، وتعصف الفتنة بقلبه ويتساءل مع نفسه أهذه هي الأمة التي دستورها هو القرآن ونبيها محمد عليه الصلاة والسلام وربها هو الرحيم الرحمن، ما الذي بدل عزها إلى ذل؟! ما الذي غير علمها إلى جهل؟! ما الذي حول قوتها إلى ضعف وهوان؟!

وهناك فتنة الأولاد وفتنة الزوجات قال جل وعلا: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن:14].

فتن كثيرة قال المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أنس قال : ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد))([9]).
بل لقد ورد في سنن الترمذي بسند صحيح أن النبي قال: ((يتقارب الزمان بين يدي الساعة فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ويكون اليوم كاحتراق السعفة))([10]) احتراق جريدة من النخيل.

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ولم تنقض إسناد الأمر إلى غير أهله. ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : أن أعرابيا دخل على النبي وهو يحدث الناس فقال الأعرابي: يا رسول الله متى الساعة؟ فمضى النبي في حديثه ولم يجب الأعرابي على سؤاله فلما أنهى النبي حديثه قال: ((أين السائل عن الساعة أنفا؟)).. فقال الأعرابي: ها أنا ذا يا رسول الله. قال: ((إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)).

فقال الأعرابي الفقيه: وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: ((إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)) ([11]).

تدبر معي حديث النبي الذي رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدرکه وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع من حديث أبي هريرة قال: ((سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الروبيضة)) قيل من الروبيضة يا رسول الله؟ قال: ((الرجل التافه يتكلم في أمر العام)).

ومنها تداعي الأمم على أمة الحبيب المحبوب ، ففي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان وهو حديث صحيح بمجموع طرقه أنه قال: ((يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها)) قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: ((كلا.. إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل... وليوشكن الله أن ينزع المهابة من قلوب عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن)) قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: ((حب الدنيا وكرهية الموت)) ([12]).

واقع نعيش فيه.. واقع تحياه الأمة !! تداعت أذل أمم الأرض من اليهود ومن عباد البقر و الملحدین على أمة الإسلام في كل مكان، وطمع في الأمة الذليل قبل العزيز، والضعيف قبل القوى، والقاصي قبل الداني، وأصبحت الأمة قصعة مستباحة للأمم الأرض!!

ومن العلامات: كما في الحديث الذي رواه أحمد والطبراني في الكبير بسند صحيح من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: ((بين يدي الساعة رجال معهم سياط كأنها أذنان البقر يغدون في سخط الله ويروحون في غضب الله)) ([13]).

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((صنفان من أهل النار لم أرهما رجال معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسمنه البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)) ([14]).

أيها الأحبة الكرام لا أريد أن أطيل عليكم أكثر من ذلك، وأرجيء الحديث عن العلامات الصغرى التي لم تقع بعد إلى ما بعد جلسة الاستراحة. والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم
الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.
أما بعد:

ثالثاً: علامات صغرى لم تقع بعد

من هذه العلامات التي أخبر عنها النبي ولم تقع ما رواه البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها)) ([1]).

من أهل العلم من قال: إن هذا قد وقع على عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. ومن العلامات التي لم تظهر ما أخبر عنه الصادق المصدوق كما جاء في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، فيقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذي أنجو)) وفي رواية قال : ((يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً))([2]).

ومن العلامات أيضاً التي لم تظهر بعد: ظهور المهدي رضي الله عنه فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً منى - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))([3]).

يخرج هذا الرجل يؤيد الله به الدين يملك سبع سنين ([4]) يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، تخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطى المال بغير عدد.

قال ابن كثير: في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزرور غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدد راغم، والخير في أيامه دائم.أ.هـ([5]). وقد تواترت الأحاديث في المهدي تواتراً معنوياً، وقد نص على ذلك الأئمة والعلماء. ونكتفي بذلك القدر ونسأل الله أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[1] رواه البخارى رقم (6503) في الرقاق ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((بعثت أنا والساعة كهاتين)) ومسلم رقم (2950) في الفتن ، باب قرب الساعة .
[2] أخرجه البخارى رقم (3176) في الجهاد ، باب ما يحذر من الغدر .
[3] رواه مسلم رقم (2800) في صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر .
[4] رواه البخارى رقم (7118) في الفتن ، باب خروج النار ، ومسلم رقم (2902) في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز .
[5] رواه مسلم رقم (2891) في الفتن وأشراف الساعة ، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون.

[6] رواه مسلم رقم (118) في الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن والترمذى رقم (3196) في الفتن .

[7] رواه مسلم رقم (145) في الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً .

[8] أخرجه البخارى رقم (6425) في الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ومسلم رقم (2961) في الرقاق ، والترمذى رقم (2464) في صفة القيامة.

[9] رواه البخارى رقم (80 ، 81) ، في العلم ، باب رفع العلم وظهور الجهل ، ومسلم رقم (2671) ، والترمذى رقم (2301) ، وابن ماجه (40405) .

[10] رواه الترمذى رقم (2434) وصححه شيخنا الألبانى في المشكاة (5389) .

[11] رواه البخارى رقم (59) في العلم ، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتى الحديث ثم أجاب السائل .

[12] رواه أبو داود رقم (4297) في الملاحم ، باب تداعى الأمم على الإسلام وفي سننه أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمى ، وهو مجهول لكن قد رواه أحمد رقم (22296) من طريق آخر بسند قوى وصححه شيخنا الألبانى في الصحيحة رقم (956) .

[13] رواه مسلم رقم (2857) في الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

[14] رواه مسلم رقم (2128) في الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

[1] رواه البخارى رقم (7121) في الفتن ، باب خروج النار ، ومسلم رقم (157) في الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها .

[2] رواه البخارى رقم (7119) في الفتن ، باب خروج النار ، ومسلم رقم (2894) في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، وأبو داود رقم (4313:4314) في الملاحم ، والترمذى رقم (2572 : 2573) في صفة الجنة .

[3] رواه أبو داود رقم (4282) في المهدي ، والترمذى رقم (2231 : 2232) في الفتن باب ما جاء في المهدي وقال : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال .

[4] رواه أبو داود رقم (4265) في المهدي ، والحاكم في المستدرک (4 / 557) وحسنه الألبانى في صحيح الجامع رقم (6612) .

[5] النهاية في الفتن والملاحم .

المسيح الدجال

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته و صلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبواتم من الجنة منزلاً .

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یجمعنی وإیاکم فی الدنیا دائماً وأبداً علی طاعته وفی الآخرة مع سید الدعاة وإمام النبیین فی جنته ودار کرامته.

إنه ولی ذلك ومولاه وهو علی کل شیء قدير..
أما بعد:-

فإن أصدق الحدیث کتاب الله، وخیر الهدی هدی محمد، وشر الأمور محدثاتها وکل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة وکل ضلالة فی النار.
أحبتي فی الله:

هذا هو لقاءنا الرابع مع دروس سلسلة الدار الآخرة، وكنا قد أنهينا أنفا الحدیث عن العلامات الصغرى التي ستقع بین یدی الساعة، والآن حدیثنا عن العلامات الكبرى التي ستقع قبل قیام الساعة مباشرة، وقد ذكر النبی هذه العلامات فی حدیثه الصحیح الذي رواه مسلم فی كتاب الفتن وأشرط الساعة من حدیث حذيفة بن أسید الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع علينا النبی ونحن نتذاكر فقال: ((ما تذاكرون؟)) قلنا: نذكر الساعة قال: ((إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آیات، فذكر الدخان، والدجال، والداابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عیسی بن مریم، ویأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من الیمن تطرد الناس إلى محشرهم))([1]).

ولقد ذكر المصطفى صلی الله علیه وسلم هذه العلامات بغير هذا الترتیب فی روايات أخرى صحیحة والذي یترجح من الأخبار كما قال الحافظ ابن حجر فی "فتح الباري":

أن خروج الدجال هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغییر الأحوال العامة فی معظم الأرض وینتهي ذلك بموت عیسی بن مریم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغییر الأحوال وینتهي ذلك بقیام الساعة ولعل خروج الدابة یقع فی نفس الیوم الذي تطلع فیهِ الشمس من المغرب، والله أعلم([2]).
ولكن علی أي حال فإن العلامات الكبرى ستقع متتابعة فهي كحبات العقد إذا انفرطت منه حبه تتابعت بقية الحبات.

ففی الحدیث الذي رواه أحمد والحاكم فی مستدرکه وصححه علی شرط مسلم وأقره الحاكم والذهبي والألباني من حدیث أنس أن النبی قال: ((الأمارات (أي العلامات الكبرى) خرزات منظومات فی سلك، فإن یقطع السلك یتبع بعضها بعضاً))([3]).
واسمحو لی أن أستهل الحدیث الیوم مع حضراتکم فی العلامات الكبرى عن الآیة العظيمة الأولى التي تؤذن بتغییر الأحوال علی الأرض، ألا وهي المسیح الدجال...
وكعادتنا حتى لا ینسحب بساط الوقت من بین أیدینا سريعا فسوف أركز الحدیث فی العناصر التالية:

أولاً: الدجال أعظم فتنة علی وجه الأرض.

ثانياً: وصف دقیق للدجال وفتنته.

ثالثاً: ما السبیل إلى النجاة.

فأعزني قلبك جيداً... وأعزني سمعك تماماً... فإن الموضوع من الخطورة بمكان.

أولاً: الدجال أعظم فتنة على وجه الأرض، فتدبر جيدا أيها الحبيب وقِفْ على خطر هذه الفتنة!، فالدجال أعظم فتنة على وجه الأرض من يوم أن خلق الله آدم إلى قيام الساعة.

لماذا سمي الدجال بالمسيح الدجال؟!!!

سمى الدجال بالمسيح لأن عينه ممسوحة قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((الدجال ممسوح العين))([4]) وسمى بالدجال لأنه يغطي الحق بالكذب والباطل فهذا دجل فسمى بالدجال وفتنة الدجال فتنة عظيمة!!

وفى صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال))([5]).

وأمرُ الدجالِ أمرٌ غيبي والأمرُ الغيبي لا يجوز أن نتكلم فيه بشيء من عند أنفسنا إنما ننقل عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وأنه أيضاً أننا لا نلتفت إلا لما صح من حديث رسول الله كعادتنا والله الحمد والمنة.

روى ابن ماجه في سننه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في المستدرک وصحح الحديث الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أن الحبيب قال: ((إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة المسيح الدجال ولم يبعث الله نبيا إلا وقد أذر قومہ الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج الدجال وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج الدجال من بعدي فكل امريء حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم)).

يا لها من كرامة لأمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

فتنة الدجال عظيمة!.. أعظم فتنة على وجه الأرض بشهادة الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

أحبتني في الله:

لقد وصف النبي الدجال وصفاً دقيقاً محكماً وبين لنا فتنته بياناً شافياً حتى لا يغتر بالدجال أحد من الموحدين بالله رب العالمين... وهذا هو عنصرنا الثاني.

ثانياً: وصفٌ دقيقٌ للدجال وفتنته

وصف النبي الدجال فقال: والحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :

قام رسول الله في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى على الله بما هو أهله.... فذكر الدجال فقال: ((إنني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أذر قومہ الدجال، ولقد أذر نوح قومہ، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه ألا فاعلموا أنه أعور وأن الله ليس بأعور))([6]).

وفى رواية ((أعور العين اليمنى))، وفي رواية أخرى صحيحة ((أعور العين اليسرى))، اعلموا أنه أعور وأن الله ليس بأعور جل جلاله، جل ربنا عن الشبيه.. وعن النظير.. وعن المثيل.. لا كفاء له، ولا ضد له، ولا ند له ولا شبيه له، ولا زوج له ولا ولد له: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

ثم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام: ((الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مسلم))([7]).

ماذا تريد بعد ذلك من الرحمة المهداة والنعمة المسداة من الذي قال ربه في حقه: بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ .

يبين لك لتتعرف على الدجال إن خرج بين أظهرنا، يقول لك ممسوح العين... مكتوب بين عينيه كافر... يقرؤه كل مسلم.

وفى رواية حذيفة في صحيح مسلم قال: ((الدجال، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب))([8]).

لا ينبغي أن نصرف لفظ النبي على غير ظاهره، الكتابة على جبين الدجال كتابة حقيقية لدرجة أنه وردت في رواية في صحيح مسلم قال: ((الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر))([9]).

وصف عجيب للدجال من رسول الله عليه الصلاة والسلام!

أستحلفك بالله أن تتدبر معي هذا المطلع العجيب الذي رواه مسلم في كتاب الفتن وأشرط الساعة من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال الذي لا ينطق عن الهوى: ((لأنا أعلم بما مع الدجال من الدجال، معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض، والأخر رأى العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليغمض، ثم ليطأطأ رأسه فليشرب منه فإنه ماء بارد))([10]).

يقول لنا الصادق المصدوق لا تخش نار الدجال فهو دجال يغطي الحق بالكذب والباطل، إن رأيت ناره فاعلم بأنها ماء عذب بارد طيب.

وفى رواية أخرى في صحيح مسلم لحذيفة أن النبي قال: ((يخرج الدجال وإن معه ماءً وناراً، فما يراه الناس ماءً فهي نار تحرق وما يراه الناس ناراً فهو ماء بارد عذب))([11]).

في حديث النواس بن سمعان أنه قال: سأل الصحابة رسول الله عن المدة التي سيمكثها الدجال في الأرض، فقال الحبيب: ((أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كسائر أيامكم))، قلنا: يا رسول الله اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: ((لا، اقدروا له قدره))([12])، يعنى صلوا الفجر وعدوا الساعات التي كانت قبل ذلك بين الفجر والظهر، وصلوا الظهر، وعدوا الساعات التي كانت بين الظهر والعصر وهكذا.

فسأل الصحابة رسول الله - وما زلنا في حديث النواس ابن سمعان -: وما سرعته في الأرض؟! ((يمكث في الأرض أربعين ليلة فيمر على الأرض كلها؟ سرعته كالغيث - أي المطر - استدبرته الريح))... يعنى يمر في كل أرجاء وأنحاء الأرض.

ثم قال الحبيب: ((يأتي الدجال على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبيون، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ماكانت ذراً وأسبغه ضروعاً وأمدته خواصر)).

فتنة رهيبة !!

فلو عقل هؤلاء لعلموا أن صفات النقص من أعظم الأدلة على كفره وبطلان إدعاءاته.

رب يبول الثعلبان برأسه... لقد ذل من بالت عليه الثعالب
لو كان ربا كان يمنع نفسه... فلا خير في رب نأته المطالب
برئت من الأصنام في الأرض كلها... و أمنت بالله الذي هو غالب
إن الذي يستحق أن يعبد هو المتصف بكل صفات الكمال والإجلال.
ثم ينطلق الدجال إلى قوم آخرين فيقول لهم: أنا ربكم. فيقولون: لا ويكذبونه.
يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك
فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل)) أي جماعات النحل
فتنة رهيبه!!

ثم تزداد الفتنة !!!

يقول النبي ثم يدعوا رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين، فيمشى
الدجال بين القطعتين أمام الناس ويقول للشاب قم فيستوي الشاب حيا بين يديه !!
فتنه رهيبه !!!

وفى رواية أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم ([13]) يقول المصطفى صلى الله
عليه وسلم : ((فيخرج إليه شاب فتلقاه المسالِح، مسالِح الدجال (أي أتباعه من اليهود
الذين يحملون السلاح) فيقولون له: أين تعمد؟

فيقول: إلى هذا الذي خرج (أي إلى الدجال) فيقولون له أولا تؤمن بربنا؟ فيقول: ما
بربنا خفاء، أي لو نظرت إلى الدجال سأعرفه!

فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أو ليس قد نهانا ربنا أن نقتل أحداً دونه،
فينطلقون بهذا الرجل المؤمن إلى الدجال، فإذا نظر المؤمن إليه قال: أيها الناس! هذا
المسيح الدجال الذي ذكره لنا رسول الله يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :

((فيأمر الدجال به فيشج، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال:
فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار من
مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشى الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له: قم،

فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة؟ قال: ثم
يقول: يا أيها الناس: إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه
فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه

ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه في النار وإنما ألقى في الجنة)) فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((هذا أعظم الناس شهادة عند رب
العالمين))([14])

وسأختم حديثي عن فتنة الدجال بحديث عجيب رواه مسلم وأبو داود والترمذي
وغيرهم من حديث تميم الداري من حديث فاطمة بنت قيس عن تميم الداري قالت:
سمعت منادي رسول الله ينادي: "الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع

رسول الله ، وكنت في النساء التي تلي ظهور القوم فلما قضى الرسول صلى الله
عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: ((أيها
الناس ليلزم كل إنسان مصلاه)) ثم قال ((أتدرون لم جمعتمكم؟)) قالوا: الله ورسوله
أعلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أما إني والله ما جمعتم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام "قبيلتان عربيتان مشهورتان" فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤوا([15]) إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا جزيرة فلقيتهم دابة أهلب([16]) كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره، فقالوا: ويلك، من أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة، قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فلما سمع لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشدّه وثاقاً، مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني: ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل الذي في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن بيسان قلنا: وعن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين، ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال أما إن ذلك خيراً لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عنى، أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فسأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاها، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها)) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وطعن بمخصرته في المنبر ((هذه طيبة.. هذه طيبة)) يعنى: المدينة ((ألا هل كنت حدثتكم عن ذلك؟)) فقال الناس: نعم، قال: ((فإنه أعجبنى حديث تميم لأنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو؟ من قبل المشرق ما هو؟، وأوماً بيده إلى المشرق)) قالت: فحفظت هذا من رسول الله

أيها الأحبة الكرام:

هذا قليل من كثير، فلا زال هناك الكثير عن فتنة الدجال، فقد أجملت لكم ما يسر الله عز وجل، لنقف على خطورة هذه الفتنة.

وهناك سؤال لا بد أن يطرح في هذا المجال ألا وهو:

هل سيقتل الدجال؟! ومن الذي سيقتله!!!

نعم... أبشروا سيقتل الدجال وسيقتله عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

روى ابن ماجه في سننه والحاكم في المستدرک وصحح الحديث الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أنه قال: ((بينما إمام المسلمين يصلی بهم الصبح في بيت المقدس إذا نزل عيسى بن مريم، فإذا نظر إليه إمام المسلمين عرفه، فيتقهقر إمام المسلمين لنبي الله عيسى ليصلی بالمؤمنين - من أتباع سيد النبيين محمد- فيأتي عيسى عليه السلام ويضع يده في كتف إمام المسلمين ويقول: لا بل تقدم أنت فصل الصلاة لك أقيمت))، وفي لفظ ((فإمامكم منكم يا أمة محمد ويصلی نبي الله عيسى خلف إمام المسلمين لله رب العالمين، فإذا ما أنهى إمام المسلمين، قام عيسى وقام خلفه المسلمون، فإذا فتح عيسى باب بيت المقدس، رأى المسيح الدجال معه سبعون ألف يهودي معهم السلاح، فإذا نظر الدجال إلى نبي الله عيسى ذاب كما يذوب الملح في الماء، ثم يهرب فينطلق عيسى وراءه فيمسك به عند باب لد في فلسطين، فيقتله نبي الله عيسى ويستريح الخلق من شر الدجال)).

ويبقى هنا سؤال ألا وهو: ما السبيل إلى النجاة؟

والإجابة على هذا السؤال تكون بعد جلسة الاستراحة

وأقول قولني هذا واستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد أحبتي في الله:

فما السبيل إلى النجاة؟

أحبتي الكرام: أجيب لكم عن هذا السؤال من كلام سيد الرجال محمد بن عبد الله حتى تطمئن قلوبكم وتستريح، ثبتكم الله.

ففي الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه والحاكم في مستدرکه وصححه الألباني.

قال: ((من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال))([1]).

وفى لفظ: ((من حفظ عشر آيات من أوائل سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)).

وفى لفظ: ((من حفظ عشر آيات من أواخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)).

لقد تبينتم الآن أمر الدجال، فالأمر جد خطير، هل نقف على مثل هذه الخطورة

ونحفظ عشر آيات فقط من سورة الكهف، أراكم تقولون لا بل حفظ السورة بالكامل

أمر يسير أمام هذه الخطورة الشديدة، أرى منكم أناساً يقولون نذهب إلى مكة أو

المدينة، سأقول لكم لا بأس، من يستطيع الفرار منكم إلى مكة المباركة أو طيبة طيبها

الله، فله ذلك، فهما محرمتان على الدجال أن يدخل واحدة منهما وذلك من سبل النجاة.

لكنني لا أجد لك سبيلا للنجاة أكبر وأشرف وأجل وأعظم من أن تُوحّد الله جلّ وعلا
وتعرف معنى كلمة.. "لا إله إلا الله".. فهذا هو أصل الأصول وبر الأمان لكل مؤمن
يريد الأمان حقا في الدنيا والآخرة.

ألم يقل لك المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه لا يقرأ كلمة كافر بين عيني الدجال
إلا مؤمن موحد للكبير المتعال، واعلم يقينا بأن الإيمان ليس كلمة يرددها لسانك
فحسب.. بل الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان "يعنى القلب"... وعمل بالجوارح
والأركان... ولا بد أن تعلم أن أركان الإيمان... أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه،
ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره فلا بد لك من الآن أن تصحح إيمانك بالله
جلّ وعلا وتحقق الإيمان يقينا.

وقد قال الحسن: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب
وصدقه العمل، فمن قال خيراً وعمل خيراً قبل منه ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل
منه.

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزِّلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت:30-
33].

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ
أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ
إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا
[الكهف:107-110].

[1] رواه مسلم رقم (2901) في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل
الدجال، وأبو داود رقم (4311) في الملاحم، باب أمارات الساعة، والترمذي رقم
(2184) في الفتن، باب ما جاء في الخسف.

[2] فتح الباري (353/11).

[3] أخرجه أحمد في المسند رقم (7040) وقال محققه: إسناده صحيح.

[4] رواه مسلم رقم (2933)، في الفتن، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وأبو
داود رقم (4316،4317،4318) في الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي رقم
(2246) في الفتن

[5] رواه مسلم رقم (2946) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال.

[6] رواه البخاري رقم (7127) في الفتن، باب ذكر الدجال، ومسلم رقم (169)
في الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، وأبو داود واللفظ له رقم
(4757) في السنة، باب في الدجال، والترمذي رقم (2236،2242) في الفتن،
باب ما جاء في علامة الدجال.

([7]) رواه مسلم رقم (2933) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (3416 - 3418) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2246) فى الفتن .

([8]) رواه مسلم رقم (2933) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (3416 : 3418) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2246) فى الفتن .

([9]) رواه مسلم رقم (2933) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

([10]) رواه البخارى رقم (7130) فى الفتن ، باب ذكر الدجال ، ومسلم رقم (2934،2935) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، وأبو داود رقم (4315) فى الملاحم ، باب خروج الدجال .

([11]) رواه مسلم رقم (2934 ، 2935) فى الفتن ، باب ذكر الدجال .

([12]) رواه مسلم رقم (2937) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، وأبو داود رقم (4321 ، 4322) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2241) فى الفتن ، باب ما جاء فى فتنة الدجال .

([13]) رقم (2938) فى الفتن وأشرط الساعة ، باب فى صفة الدجال .

([14]) رواه البخارى رقم (7132) فى الفتن ، باب لا يدخل المدينة ، ومسلم رقم (2938) فى الفتن ، باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه .

([15]) أرفأت السفينة : قربتها إلى الشط وأدنيته من البر .

([16]) الهلب : ما غلظ من الشعر والأهلب : الغليظ الشعر الخشن .

000000000000

([1]) رواه مسلم رقم (809) فى صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، وأبو داود رقم (4323) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2888) فى ثواب القرآن

مجئ الرب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليئه.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یجمعنی وإیاکم فی الدنیا دائماً وأبداً علی طاعته وفی الآخرة مع سید الدعاة وإمام النبیین فی جنته ودار کرامته.

إنه ولی ذلك ومولاه وهو علی کل شیء قدير..
أما بعد:-

فإن أصدق الحدیث کتاب الله، وخیر الهدی هدی محمد، وشر الأمور محدثاتها وکل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة وکل ضلالة فی النار.
أحبتی فی الله:

هذا هو لقاءنا الثانی عشر من لقاءات هذه السلسلة الکریمة المبارکة وکنا قد توقفنا فی اللقاء السابق مع البشریة کلها، وهي فی أرض المحشر وقد أصابها من الكرب، والهیم، والغم مالا یستطیع بلیغ علی وجه الأرض أن یجسده، الشمس فوق الرؤوس تکاد تذیب الجماجم بل والعظام، والزحام وحده یکاد یخنق الأنفاس، فالبشریة کلها منذ أن خلق الله آدم إلى آخر رجل قامت علیه الساعة تقف فی موقف واحد فی أرض واحدة

العرق یکاد یغرق الناس کلُّ بحسب عمله فی عرقه، والأهوال تزداد شدة عندما یؤتی بجهنم لها سبعون ألف زمام مع کل زمام سبعون ألف ملک یجرونها، یؤتی بها إلى أرض المحشر فإذا ما رأت جهنم الخلائق زفرت وزمجت غضباً منها لغضب ربها جل وعلا، حینئذ تجثوا جمیع الأمم علی الרכب من هول الموقف، بل ولا یتکلم یومها إلا الأنبیاء ودعوتهم یومئذ اللهم سلم سلم!! اللهم سلم سلم!!!
ویزداد الكرب والهیم علی الخلق فیقول بعضهم لبعض ألا ترون ما نحن فیہ ألا ترون ما قد بلغنا ألا تنتظرون من یشفع لکم إلى ربکم، ویذهبون إلى صفوة الله من خلقه إلى الأنبیاء والمرسلین فیقول کل نبی: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله ولن یغضب بعده مثله ثم یقول کل نبی نفسی، نفسی، نفسی!!! إلا المصطفى صلی الله علیه وسلم محمد بن عبد الله إنه التجارة الرابعة.. إنه صفوة الله من خلقه..، وأکرّم الخلق علی الله.

یقول الحبيب : فیأتونی فیقولون یا رسول الله، ألا ترى ما نحن فیہ؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! ألا تشفع لنا إلى ربک؟!!

فأقوم وأقول: أنا لها، أنا لها، ویخر ساجداً تحت عرش الرحمن جل جلاله ویثنی علی الله سبحانه وتعالی بمحامد لم یفتح الله به علی أحد من قبله فینادی علیه ربه ویقول: یا محمد ارفع رأسک وسل تعطی واشفع تشفع فیقول المصطفى صلی الله علیه وسلم : ((یا رب..أمتی، أمتی، أمتی))

وفی حدیث الصور الطویل الذي خرجناه فی اللقاء الماضي مع حدیث الشفاعة الذي ذكرت الآن یقول الله جل وعلا لنبیه المصطفى صلی الله علیه وسلم ما شأنک؟ وهو أعلم، فیقول الحبيب : ((یا رب قد وعدتني الشفاعة. فشفعني فی خلقک، فأقض بینهم، فیقول الله جل جلاله: قد شفعتک، أنا آتیکم لأقضي بینکم)). فیرجع الحبيب المصطفى صلی الله علیه وسلم ليقف مع الناس فی أرض المحشر لینظروا جمیعاً مجيء الرب جل جلاله لفصل القضاء بین العباد.

وهذا هو لقاءنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك، وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعاً فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولاً: مجيء الرب جل جلاله.
ثانياً: أول من يكلمهم الله يوم القيامة.
ثالثاً: العرض على الله جل وعلا وأخذ الكتب.
فأعبروني القلوب والأسماع فإن هذه الكلمات تكاد تخلع القلوب ورب الكعبة.
أولاً: مجيء الرب جل جلاله:
أحبيتي في الله:

هل منكم من أحد قد حضر يوماً محكمة من محاكم الدنيا؟!
يوم يؤتى بالمتهمين ليقفوا وراء هذا القفص الحديدي وفجأة وقد امتلأت قاعة المحكمة بأهل المتهمين وبالمحامين، يدخل القضاة ليجلسوا على منصة القضاء ويصرخ الحاجب: محكمة، فنصمت الأنفاس، وتتقطع وتكاد القلوب أن تقفز من الصدور، ويبدأ المحامون في المرافعات، والمجادلات والمعاذير وتسمع هيئة القضاء، ويردون، ويترافعون، ويتناقشون ثم يسدل الستار على هيئة القضاء ليتناقش القضاة في إبرام الحكم وفي النطق به، وفي المرة الثانية يدخل القضاة ليصدروا الحكم في هذه القضية.

أسألك بالله أنظر إلى وجوه الناس في قاعة المحكمة.
العيون تبتكي.. والقلوب تكاد تقفز من الصدور.. والأنفاس متقطعة الكلام همس..
والسؤال تخافت.. الكل ينظر بأى شئ سيحكم؟! وما الذي سينطق به القاضي؟! وهو العبد الحقير الفقير إلى الله الملك القدير. تصور هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلب بل تكاد القلوب أن تقفز إلى الحناجر لتقف على حجم الهول والخلق جميعاً في أرض المحشر ومن بينهم الأنبياء يقفون وينظرون إلى السماء وهم ينظرون مجئ الملك العدل جل جلاله.

يقول الحق جل وعلا:

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا
يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا
[طه:108-111].

تنشق السماء وينزل أهل السماء الأولى من الملائكة بضعف من في الأرض من الإنس والجن.

قال الله تعالى: وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالعَمَامِ وَنَزَّلَ المَلائِكَةُ نَزالًا [الفرقان:25].

يقول ابن عباس: ينزل أهل السماء الأولى من الملائكة بضعف من في الأرض من الجن والإنس فتحيط الملائكة بالخلائق في أرض المحشر، فإذا ما نظرت الخلائق إلى الملائكة قالوا أفياكم ربنا؟! فتقول الملائكة: لا وهو آت.

قال الله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ العَمَامِ وَالمَلائِكَةُ وَفُضِي الأَمْرُ وَإلى اللهُ تُرْجَعُ الأُمُورُ [البقرة:210].

ويقول الحق سبحانه: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا
يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ [الفجر: 22-26].

اللهم سلم سلم.. اللهم سلم سلم يا أرحم الراحمين.

يأتي الحق جل وعلا إتياناً يليق بكماله وجلاله.

لا تعطل صفة المجيء ولا تكيف صفة المجيء، ولا تشبه صفة المجيء، ولا تشبه
الله بأحد من خلقه، فكل ما دار ببالك، فالله بخلاف ذلك.

جل ربنا عن الشبيه والنظير وعن المثيل، لا ند له، ولا كفاء له، ولا شبيه له، ولا
صاحبة له، ولا ولد له: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
[سورة الإخلاص].

قال جل جلاله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: 5].

استوى كما أخبر وعلى الوجه الذي أراد وبالمعنى الذي قال، استواءً منزهاً عن
الحلول والانتقال.

فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته والكرسي وعظمته، الكل
محمول بلطف قدرته، مقهور بجلال قبضته، سبحانه وتعالى.

فلا استواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

قال جل جلاله: أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: 11].

وقال جل جلاله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا [طه: 110].

قال جل جلاله: فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ [النحل: 74].

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ

ثم ينتزل أهل السماء الثانية من الملائكة بضعف من في الأرض من ملائكة السماء
الأولى والجن والإنس فيحيط أهل السماء الثانية بأهل الأرض من الملائكة والإنس
والجن.

وهكذا أهل السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة على قدر ذلك من
التضعيف.

ثم ينتزل حملة عرش الملك جل وعلا وهم يحملون العرش يسبحون الله سبحانه
ويقولون: سبحان ذي الملك والملكوت.. سبحان ذي العزة والجبروت.. سبحان من
كتب الموت على الخلائق ولا يموت. سبح قدوس.. قدوس.. قدوس.. رب الملائكة
والروح.

اسمع لربك جل وعلا وهو يقول:

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَاحِدَةً وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ
وَقَعَتِ الْوَالِقَةُ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ
رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة: 13-18].

ويضع الحق جل جلاله كرسيه حيث شاء من أرضه ويقول: يا معشر الجن والإنس
إني قد أنصت إليكم منذ خلقتكم، أسمع قولكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا اليوم إليّ،

فإنما هي أعمالكم وصحفكم تُقرأ عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ثم يقول الحق جل جلاله: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يس:60-65].

أندرون من هم أول من يكلمهم الله في هذا الموقف العصيب؟! هذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء.

ثانياً: أول من يكلمهم الله جل و علا:

أول من يكلمه الله جل و علا يوم القيامة في هذا الموقف العصيب هو آدم عليه السلام ينادي عليه الحق سبحانه كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: ((يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك! وسعديك! والخير كله في يديك! فيقول الله جل و علا! أخرج بعث النار فيقول آدم: وما بعث النار؟ فيقول الله جل و علا: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)) فاشتد ذلك على أصحاب الحبيب محمد فقالوا: يا رسول الله! أينما ذلك الرجل؟ فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجلٌ)) ثم قال: ((والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة)) فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: ((والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة)) فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: ((والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار))([1]).

قال الله سبحانه وتعالى مخاطباً أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ يَا مَنْ خَلَقْتَنَا مُوحِدِينَ وَجَعَلْتَنَا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ.

ثم بعد ذلك ينادى رب العزة تبارك وتعالى: يا نوح.. يقول لبيك وسعديك، فيقول الله سبحانه هل بلغت قومك؟! فيقول نوح: نعم يارب والله أعلم فيقول الحق جل جلاله: يا قوم نوح هل بلغكم نوح؟! فيقولون لا ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقول من يشهد لك يا نوح؟! فيقول نوح: محمد وأمته!

((فتدعون فتشهدون أنه قد بلغ أمته ثم ادعى فأشهد عليكم))([2]) وفي لفظ ابن ماجه بسند صححه شيخنا الألباني يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((فيقول الله لأمتي ما الذي أخبركم أن نوح قد بلغ قومه))؟! فنقول الأمة الميمونة لربها جل و علا: جاءنا نبينا محمد فأخبرنا أن الرسل جميعاً قد بلغوا قومهم فصدقناه. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((فذلك قول الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا شَهِيدًا [البقرة:143].

ثم يدعى عيسى عليه السلام ويقال له يا عيسى: ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة:116].

لماذا خص الله عيسى من بين سائر الرسل بهذا السؤال!!؟

لأنه ما من رسول بعث في قومه إلا وقد آمن به من آمن من قومه، وكفر من كفر، إلا قوم عيسى فمنهم من قال: إن عيسى هو الله!! ومنهم من قال أن عيسى هو ابن الله!! ومنهم من جعل عيسى وأمه إلهين من دون الله!! فهل هناك إله يأكل؟! إله يشرب؟! إله يتزوج؟! إله يقضي حاجته!!؟

ولله در ابن القيم يقول:

أعباد المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه ...

إذا مات الإله بصنع قوم ... أماتوه فهل هذا إله؟! ...

ويا عجباً لقبر ضم رباً ... وأعجب منه بطن قد حواه ...

أقام هناك تسعاً من شهور ... لدى الظلمات من حيض غزاه ...

وشقَّ الفرج مولوداً صغيراً ... ضعيفاً فاتحاً للثدى فاه ...

ويأكل ثم يشرب ثم يأتي ... بلازم ذاك فهل هذا إله؟! ...

تعالى الله عن إفك النصارى ... سيسأل كلهم عما افتراه ...

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المائدة: 116-117].

ثم يقول عيسى عليه السلام لربه الرحمن: إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة: 118].

فيرد الله جل وعلا على عبده المصطفى صلى الله عليه وسلم ونبيه عيسى عليه السلام يقول: قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [المائدة: 119].

ثم يدعي جميع الرسل قال تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [المائدة: 109].

واسمع لله جل وعلا وهو يقول: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ [الأعراف: 6].

يجمع الله سبحانه وتعالى الرسل بجلال العبودية بل وجلال العبودية في جواب الرسل على الله جل جلاله وهم يقولون: لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ .

أيها الأخيار: يسأل الرسل والملائكة بل والأنبياء بل والشهداء؟ فهل نترك بعد هؤلاء!!؟

قال الله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ [الزمر: 68-70].

ويبدأ العرض على الله جل وعلا وكيف يبدأ الحساب؟

هذا ما سوف نتعرف عليه بإيجاز بعد جلسة الاستراحة

وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى أصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد.

ثالثاً: العرض على الله جل وعلا وأخذ الكتب:

أيها الأحبة الكرام:

بعد ذلك يبدأ الحساب وسنقف مع الحساب وقفات، فالحساب يبدأ بالعرض على الله جل جلاله بالوقوف بين يدي الحق الملك العدل سبحانه فأنت في أرض المحشر

ستستمع إلى نداء الملائكة: أين فلان بن فلان؟

هذا هو اسمي.. ماذا تريدون يا ملائكة الله؟!

أقبل للعرض على الله جل وعلا!!

وقد وكلت الملائكة بأخذك، وسوقك في أرض المحشر على رؤوس الأشهاد، والخلائق كلها تنتظر إليك، فيقرع النداء قلبك ويصفر وجهك وترتعد فرائصك

وتضطرب جوارحك وترى نفسك بين يدي الحق جل جلاله ليكلمك ليس بينك وبينه ترجمان كما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم أنه قال: ((ما منكم من أحد إلا

سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه (أي عن يمينه) فلا يرى إلا ما

قدم (أي في هذه الحياة الدنيا) وينظر أشأم منه (أي عن شماله) فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة))([1]) أي

ولو بنصف تمرة تتصدقون بها إلى الله جل وعلا.

يقرع النداء القلب ويأمر الله تبارك وتعالى بالصحف وبالكتب فيأخذ كل إنسان صحيفته.

تلك الصحيفة التي لا تغادر بلية كتبتها ولا مخبأة أسرتها. فكم من معصية قد كنت نسيتها.. ذكرك الله إياها. وكم من مصيبة قد كنت أخفيتها.. أظهرها لك وأبداها..

فيا حسرة القلب ساعتها على ما فرطنا في دنيانا من طاعة موالنا.

اسمع لربك جل وعلا، وهو يقول: وَيَوْمَ نُسِطِرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ

أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف:47-49].

أيها المسلم :

مُستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا ... تذكر وقوفك يوم العرض عُريانا ...

على العصاة و رب العرش غضبانا ... والنار تلهب من غيظ ومن حنقٍ ...

فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا ... إقرأ كتابك يا عبدُ على مهلٍ ...

إقرار من عرف الأشياء عرفانا ... فلما قرأت ولم تنكر قراءته ...

وأمضوا بعبد عصى للنار عطشانا ... نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ...

والمؤمنون بدار الخلد سكانا المشركون غداً في النار يلتهبوا ...
أقف عند هذا القدر مع العرض على الله جل وعلا لنواصل الحديث إن قدر الله لنا
البقاء واللقاء لنتعرف على: كيفية العرض؟، كيفية الحساب؟! كيف يحاسب الله
المؤمن يوم القيامة؟! وكيف يقرأ المؤمن كتابه؟! وهل تظهر الحسنات أولاً أم تظهر
السيئات؟! وما الذي يقوله الله للمؤمن؟!!

وكيف يحاسب الله الكافر يوم القيامة؟! وكيف يقرأ الكافر صحيفته وكتابه؟!
أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا. إنه ولي ذلك والقادر عليه
([1]) رواه البخارى رقم (6530) فى الرقاق باب قوله عز وجل: إن زلزلة الساعة
شئ عظيم ، ومسلم رقم (222) فى الإيمان ، باب قوله (يقول الله لأدم : أخرج
(واللفظ له .

([2]) رواه البخارى رقم (4487) فى التفسير ، باب قوله تعالى : وكذلك جعلناكم
أمة وسطاً، والترمذى رقم (2965) فى التفسير ، باب ومن سورة البقرة -----
-

([1]) رواه البخارى رقم (7512) فى التوحيد، باب كلام الرب عز وجل ، ومسلم
رقم (1016) فى الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ، والترمذى رقم
(2427) فى صفة القيامة .

البعث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى
الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده
حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته
ورسالته وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه
وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...
أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.
طبتم جميعاً وطاب مشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً.
حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعنى
وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبیین فى
جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شئ قدير..
أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.
أحبتى فى الله:

هذا هو لقاءنا التاسع مع رحلة في رحاب الدار الآخرة وها نحن الآن على موعد مع حديث مروّع مهيب يحدث حين وقوع الساعة.

قال الله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ [الزمر: 68-70].

فبعد أن تكلمنا أنفاً عن الصور، ونفخة الفزع، والصعق بقي لنا أن نتكلم عن نفخة البعث؟ وكما تعودنا أيها الأحبة الكرام حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعاً سوف ينتظم حديثي في هذا الموضوع الهام في العناصر التالية:

أولاً: نفخة البعث

ثانياً: الأدلة على البعث من القرآن والسنة

ثالثاً: من مات على شيء بعث عليه: لقد انتهينا في اللقاء الماضي عند هذا المشهد الرهيب في وسط هذا الكون المذهل المهيب حينما ينطق صوت جليل قريب يسأل صاحب الصوت ويجيب فلا يومها من سائل غيره ولا مجيب.

ويقول بعد فناء كل الخلق قاطبة أين الملوك؟! أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟! ثم ينادى جل جلاله بصوته سبحانه ويقول: لمن الملك اليوم؟! فلا يجيب على الله أحد لأنه لا أحد، يجيب على ذاته جل في علاه ويقول: الله الواحد القهار.

مات كل مخلوق ولم يبق إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، كان آخراً كما كان أولاً: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

هو الأول فلا شيء قبله وهو الآخر فلا شيء بعده وهو الظاهر فلا شيء فوقه وهو الباطن فلا شيء دونه وهو السميع العليم.

أولاً: نفخة البعث

والله لا يعلمها إلا من وسع علمه كل شيء؟! ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: ((بين النفختين أربعون)) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: أبيت قالوا: يا أبا هريرة أربعون شهراً؟ قال: أبيت قالوا: يا أبا هريرة أربعون سنة؟ قال: أبيت ([1]). ومعنى قوله أبيت أي: أبيت أن أسأل رسول عن ذلك فعلمها عند الله. بعد أربعين إذا أراد الله أن يحيى ويبعث خلقه أنزل من السماء ماءً فتنبت به الأجسام في القبور تحت باطن الأرض كما ينبت البقل.

ففي صحيح مسلم أنه قال: ((كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب)) ([2]) منه خلق ابن آدم (ومنه يركب)) ([3]) فإذا ما أراد الله أن يبعث الخلائق أتى بهذه العظمة الدقيقة وأتى بجسد صاحبها. ماتفرق منه في البحار.. وما تفرق منه في التراب.. وما ذهب منه إلى بطون الحيوانات والسباع.. يأتي به الله جل وعلا ويركب الله جل وعلا جسد صاحبها والله يعلم عظمة كل إنسان خلقه من لدن آدم إلى يوم القيامة فتكتمل الأجساد في القبور وحينئذ يأمر إسرافيل بعد ما يحييه أن يلتقم الصور ([4]) وينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح.. أرواح المؤمنين لها نور وأرواح المشركين لها ظلمة!! فتسرى الأرواح إلى الأجساد التي اكتملت كما يسرى السم في اللديغ ([5]) وحينئذ يأمر الله

جل وعلا الأرض أن تتزلزل وأن تتشقق ليخرج منها الناس من لدن آدم إلى آخر
رجل قامت عليه القيامة.

قال تعالى: **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ
وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ [الزمر: 68-70].

وقال تعالى: **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاتِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن**
بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
[يس: 51-54].

وقال تعالى: **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ**
يَوْمَ الْخُرُوجِ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ
حَشْرٌ عَلَيْنَا يَا سِيرٌ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَن
يَخَافُ وَعِيدٍ [ق: 41-45].

واستمع معي إلى قول الله عز وجل: **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ**
أَنْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ
النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُ [الزلزلة: 1-8].

تعال معي أخي في الله لنتجول سريعاً مع معاني هذه الآيات: **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ**
زُلزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا : أي إذا حدث زلزال الأرض العظيم الذي ليس له
مثيل على الإطلاق، فلفظت الأرض ما حوته من جثث الخليقة وقالت بلسان الحال:
لقد أنقلتموني كثيراً بذنوبكم ومعاصيكم فتحملت منكم الكثير، من سفك دماء، وسلب
ونهب، وطغيان، وعربدة، وسرقة، وما إلى ذلك من تلك المعاصي؟
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا : ما الذي حول أمنها إلى اضطراب؟! ما الذي حول سكونها إلى
زلزلة؟! ما الذي حدث؟! فترد الأرض عليهم وتقول: إنها أوامر الله... سبحان الله
الأرض تتكلم! إنها إرادة الله!!

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا : في هذا الوقت سوف تعرف الأحداث،
سوف تعرف الأخبار وذلك بأمر من الله رب السموات والأرض.
يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ : بالله عليك عش بقلبك، وكيانك معي هذا المشهد الذي يخلع القلب
ويزلزل الكيان. الأرض تتشقق وتفتتح القبور متناثرة هنا وهناك في شمال وجنوب
وغرب وشرق، تتشقق تلك القبور ويخرج من كل قبر عشرة أو مائة أو ألف يخرج
من هنا وهناك يخرج هذا وذلك، شخَصَ البصر إلى اتجاه واحد لا يلتفت يمينا ولا
يساراً إلى هذا الداعي - الملك الكريم - الذي جاء بأمر رب العالمين ليقود الناس
جميعاً إلى أرض جديدة عفراء لم يطأها أحد من قبل بقدميه ألا وهي أرض المحشر.
قال جل وعلا: **يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا**
تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا [طه:108-111].

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ لَا يَلْتَفَتُ أَحَدٌ وَلَا يَتَخَلَفُ أَحَدٌ، أَيْتَهَا العظام البالية أَيْتَهَا العظام النخرة، يا أكفاناً خاوية ويا قلوباً خاوية ويا عيوناً سائلة ويا أبداناً فاسدة.

أَيُّهَا النَّاسُ جَمِيعاً فِي الْقُبُورِ حَانَ وَقْتُ الْقِيَامِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْغَفُورِ. ترى كيف يخرج الناس من قبورهم؟! يخرج الناس من القبور حفاة، عراة، غُرلاً، لا نعال في أقدامهم، لا ثياب تغطي أبدانهم. لا شيء يستترهم.

غرلاً: جمع أغرل والأغرل هو الصبي الصغير المولود قبل ختانه.

قال تعالى: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء:104].

يقول النبي: ((يحشر الناس حفاة عراة غرلاً))

فتعجبت عائشة أم المؤمنين قالت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض!! فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((يا عائشة الأمر أشد من أن يهتمهم ذلك))([6]).

قال جل وعلا: فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس:33-37].

تصور هذا المشهد يا عبد الله لتقف على هول وفضاعة هذا اليوم.

مثل وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشا قلق الاحشاء حيرانا

النار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرا كتابك يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا

لما قرأت ولم تنكر قراءته اقرار من عرف الاشياء عرفانا

نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصي للنار عطشانا

المشركون غدا في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

يا عبد الله دثر نفسك في هذا اليوم برداء طيب كريم ألا وهو رداء العمل الصالح..

دثر جسدك في هذا اليوم برداء العمل الصالح.. رداء الطيبات الصالحات الباقيات

عند رب الأرض والسموات.

ذلك أن العمل الصالح هو القائد الوحيد إلى جنان العزيز الحميد.

ثانياً: الأدلة على البعث من القرآن والسنة:

ها هو أحد الجاحدين يأتي إلى النبي بعظم فيفته بين يديه ويذره في الهواء ويقول

للنبي صلى الله عليه وسلم في سخرية واستهزاء: يا محمد أتزعم أن ربك يبعث هذا

بعد ما صار رميماً؟! فقال له النبي: ((نعم يمينك ثم يحيك ثم يدخلك النار))

فنزّل قول الله جل وعلا: أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ

ثَوِقُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ

الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ

كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس:77-83].

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده بسند حسن من حديث بسر بن جحاش القرشي أن الحبيب النبي بصق يوماً على كفه ووضع المصطفى صلى الله عليه وسلم أصبعه عليها ثم قال: قال الله تعالى: ((يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت الروح التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة))([7]).

قال تعالى: أَيْخَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [القيامة:36-40].

بلى وعزته وجلاله إنه لقادر على أن يبعث الموتى.

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي قال: قال الله تعالى: ((كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، أما تكذبيه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد))([8]).

قال تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَشَاعِرٌ ثُمَّ لَتَنُوبُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ [التغابن:7].

أي سيبعثهم الله وسوف يقرأون في الصحائف التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة ولا تظلم مثقال ذرة من أعمالهم التي اقترفوها.

فرد الكفار المعاندون المكابرون وقالوا كما جاء في كتاب الله: وَقَالُوا أَنَدَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لِمَبْعُوثِينَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء:49-52].

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: ((كان رجل يسرف على نفسه فلما حضرته الوفاة جمع بنيه وقال: يا بني إذا أنا مت فحرقوني فإذا صرت فحماً فاسحقوني فإذا كان يوم ريح عاصف فذروني - وفي لفظ فذروا نصفي في البر ونصفي في البحر - فلا إن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين)). وأخذ هذا الرجل العهود والمواثيق على أولاده أن يحرقوه وأن يسحقوه وأن ينثروه في الريح في البر والبحر فلما مات الرجل فعلوا به ذلك. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر الله البحر فجمع ما فيه وقال: الملك جل جلاله لهذا الرجل كن، فإذا هو رجل قائم بين يديه سبحانه ثم قال: عبدي ما حملك على ذلك؟ قال: خشيتك يا رب وأنت تعلم. فغفر الله له))([9]).

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي يقول: قال الله: ((يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة))([10]).

ولقد ضرب الله لنا أمثلة عملية في كتابه الكريم نرفها إلى كل من يجهل حقيقة البعث وينكر هذه الحقيقة التي لا ريب فيها.

قال سبحانه: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة: 259-260].

يقول أهل التفسير: مر العزير على قرية بيت المقدس وقد دمر القرية بختصر وأصبحت لا مظهر فيها لأسباب الحياة فوق العزير أمام هذه القرية متأملًا متدبراً ثم قال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها!!؟

كيف يبعث الله جل وعلا هؤلاء الأموات!!؟ وكيف يعيد الحياة إلى هذه القرية الخاوية!!؟ فأماته الله مائة سنة ثم بعثه، وخاطبه بواسطة الملك قال: يا عزير كم لبثت؟! فوجد العزير الشمس تميل إلى الغروب فظن أنها شمس اليوم الذي نام فيه فقال:

لبثت يوماً أو بعض يوم قال: يا عزير لقد لبثت مائة سنة. قال: كيف ذلك!!؟ انظر إلى وجهي المقارنة الثابت، والمتحرك، انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته.

فكر في هذا جيداً لتعلم أن الملك على كل شيء قدير.. انظر إلى حمارك فإذا به قد بلي وتحول إلى عظام رميم فأمر الله جلا وعلا أن يحيي هذا الحمار أمام عينه وبين يديه ليجعله برهاناً دامغاً للناس جميعاً على أن الله على كل شيء قدير، أمر الله تعالى الأرض أن تجمع العظام، فجاءت العظام من هنا ومن هناك بعدما صارت رميم فالتصمت واكتملت وصار كل عظم إلى جوار العظم الذي يليه فتركبت العظام وأصبح الحمار هيكلاً عظيماً فقط بين يدي العزير وعلى الفور أمر الله جل وعلا أن تكسى العظام باللحم وبالتوالي أمر أن يكسى اللحم بالشعر، وفي التو أمر الله الملك أن ينفخ الروح فنهق الحمار بإذن الله سبحانه الذي أحى العظام وهي رميم!! هذه هي طلاقة القدرة التي انفرد بها الواحد الفرد الصمد!! فنظر العزير إلى هذه وقال: أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وإبراهيم الخليل عليه السلام قال: رب أرني كيف تحي الموتى بعد هلاكها!!؟ قال: أُولِمُ تُوْمِنُ يَا إِبْرَاهِيمُ؟! قال: بلى يا رب ولكن ليطمئن قلبي قال: يا إبراهيم خذ أربعة من الطير اذبحهن و علمهن واخبط العظم مع اللحم مع الريش؟ وخذ كوماً من لحم وعظم وريش مخلوط وممزوج وضع كل جزء من الخليط هذا على رأس جبل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: وجعل إبراهيم رؤوس الطيور في يديه ثم وقف إبراهيم عليه السلام ونادى على هذه الطيور فجاءت تسعى إلى إبراهيم ولم يأت طيراناً لينظر إبراهيم بعينه وليطمئن أنه هو بعينه الذي ذبحه وعلمه بيده حتى جاء كل طير إلى إبراهيم.

يقول الحافظ: فكان إبراهيم إذا قدم رأساً لطائر ليست رأسه أبي فإذا قدم الرأس لجسدها التأم الرأس في الجسد بإذن الله.

وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، قدرة الله لا تحدها حدود.. قدرة الله ليس لها نهاية.. قدرة الله العقل قاصر عن إدراك حدودها.

ولقد ذكر الله مثلاً ثالثاً سنختم به هذا العنصر الهام. وذكر الله أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم موتى ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعة: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيقِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجَزَائِنِ أَحْسَى لِمَا لُبُّوا أَمَدًا [الكهف:9-12].

الله أكبر... أماتهم الله هذه السنوات ثم بعثهم ليجعلهم آية للناس إنه جل وعلا على كل شيء قدير.

أيها الأخيار: إن من كآف عقله ليصل إلى حدود قدرة الله كالذي كلف نملة أن تنقل جبلاً من موضعه إلى موضع آخر.

قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداك؟!!

قل للمريض نجا وعوفي بعدما عجزت فنون الطب من عافاك؟!!

قل للصحيح مات لا من علة من يا صحيح بالمنيا دهاك؟!!

بل سائل الأعمى وسط الزحام بلا اصطدام من يقود خطاك؟!!

بل سائل البصير كان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذي أهواك؟!!

وسل الجنين يعيش معزولاً بلا راع ولا مرعى من ذا الذي يرعاك؟!!

وإذا الوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة ما الذي أبكاك؟!!

وإذا ترى الثعبان ينفث سمه من ياتعبان بالسموم حشاك؟!!

وسله كيف تعيش ياتعبان أو تحيي وهذا السم يملأ فاك؟!!

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاك؟!!

بل سائل اللبن المصفي كان بين فرثٍ ودم من ذا الذي صفاك؟!!

أإله مع الله !! إله مع الله !! إله مع الله!!!

لا إله إلا الله، ولا رب غيره، ولا معبود بحق سواه

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت به نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

أحبتني في الله:

ثالثاً: من مات على شيء بعث عليه:

أخي في الله مرة ثانية أعرنى قلبك وسمعك فإن الموضوع من الأهمية والخطورة القصوى بمكان.

فلقد ورد في حديث في صحيح مسلم أن النبي قال: ((يبيعت كل عبد على ما مات عليه))([1]).

يا عبد الله ستبعث على أي هيئة مت عليها فإن كنت من السعداء مت على طاعة ستبعث يوم القيامة عليها، وإن كنت من الأشقياء مت على معصية ستبعث عليها يوم القيامة.
الله أكبر...

هناك من يبعث والنور يشرق من وجهه، ومن أعضائه، وعن يمينه، ومن بين يديه قال تعالى: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحریم: 8].

ورد في الأثر الذي أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه وروى الحاكم الأثر في المستدرک وصححه على شرط الشيخين وتعقب الحاكم الذهبي وقال: بل هو صحيح على شرط البخاري: أن عبد الله بن مسعود قال: "منهم من يكون نوره كالجبل ومنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم، ومنهم من يكون نوره على إبهامه يوقد مرة ويطفأ مرة، ومنهم من تحيط الظلمة به من كل ناحية".

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ [الحديد: 13].

ينادى أهل الظلمات أهل الأنوار: يا أهل الأنوار انتظرونا، لا تتركونا في هذا الظلام الحالك الدامس!! ألم نكن معكم؟ ألم نصل معكم صلاة الجماعة؟ ألم نشهد معكم الغزوات؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وقرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وقرتكم بالله الغرور [الحديد: 14].

ومنهم من يبعث فينطلق إلى أرض المحشر صرخ بأعلى صوته لبيك اللهم لبيك. من هذا؟

هذا من مات بلباس الإحرام في الحج والعمرة يبعث به ملبياً يوم القيامة ففي الصحيحين عن عبد الله بن عباس قال: بينما رجل واقف مع النبي بعرفة، إذ وقع من راحلته، قال أيوب: فأوقسته فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((اغسلوه بماء وسدر وكفونوه في ثوبين ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً))([2]).

((ومنهم من يخرج منه دم اللون لون الدم، والريح ريح المسك)). من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: ((هم الشهداء في سبيل الله)).

يقول: ((والذى نفسى بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً اللون لون الدم والعرف عرف المسك))([3]).
أحبتى في الله:

نحب أن ننوه إلى أنه قد يظهر أمام الناس شخص قتل في غزوة أو معركة ويقال: أنه شهيد وهو ليس كذلك!.. لماذا؟!!

لأنه لا يعلم السر وأخفى إلا الله، فلا تحكم لأحد بالشهادة الجازمة في الدنيا، لذا لا يقال: الشهيد فلان، ولكن قل نرجو الله أن يتقبله عنده في الشهداء ومن يعلم النيات غير الله!!

ومنهم من يبعث وبطنه منتفخة لا يقوى على القيام بل ولا يستطيع الجلوس يتخبط عن يمينه وعن شماله يتكفأ على وجهه، من هؤلاء؟!!

هؤلاء هم أكلة الربا: قال الله تعالى: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا [البقرة: 275].

انظروا معي إلى المشهد الآخر...

رجل يسير في أرض المحشر ومن حوله مجموعة من الأطفال الصغار هذا يتعلق بيده وهذا يتعلق بقدمه!! وهذا يجره جراً وهذا يدفعه دفعاً!! مشهد رهيب.. مَنْ هذا؟! مَنْ هؤلاء؟!...

هذا هو أكل أموال اليتامى بالباطل وهؤلاء هم اليتامى!! إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا [النساء: 10].

ومنهم من يبعث من النساء وعليها جلباب من لعنة الله ودرع من النار وقد وضعت يدها على رأسها وهي تسير على أرض المحشر وتقول: ياويلاه... ياويلاه... أتدرون من هذه؟!!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها النائحة.. النائحة هي التي تسير خلف الجنازة تبكي وتصرخ وتلطم وجهها وتشق جيبها وتضع التراب على رأسها وتقول.. ياويلاه!!... يا ويلاه!!

ومنهم من يبعث وفي يده كأس الخمر..

ومنهم من يبعث وهو يحمل على كتفه ماسرقة في الدنيا. قال تعالى: وَمَنْ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران: 161].

قال الحافظ بن كثير: لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

فإن أردت أخي الحبيب أن تبعث على طاعة فأطع الله جل وعلا في دنياك، وإن زلت قدمك في معصية فاحدث بعد المعصية توبة، فإذا ما جاءك ملك الموت وأنت على طاعة. قبضك وأنت على ذات الطاعة. وحشرت يوم القيامة في زمرة الطائعين تحت لواء سيد النبيين وقائد المرسلين محمد بن عبد الله .

وأختم حديثي معكم عن هذا العنصر بهذين المشهدين اللذين يخلعان القلوب.

شاب أمريكي من أصل أسباني، دخل على إخواننا المسلمين في أحد المساجد في نيويورك في مدينة "بروكلين" بعد صلاة الفجر وقال: لهم أريد أن أدخل في الإسلام، قالوا: من أنت؟ قال: دلوني ولا تسألوني فاعتسل ونطق بالشهادة، وعلموه الصلاة فصلى بخشوع نادر احتقر رواد المسجد جميعاً أنفسهم أمام خشوع وسجود وبكاء هذا الشاب وتعجبوا لحاله.

وفى اليوم الثالث خلى به أخ مصري ذكي واستدرجه وقال: يا أخي بالله عليك ما حكايته؟ قال: والله لقد نشأت نصرانياً وقد تعلق قلبي بالمسيح عليه السلام ولكنني نظرت في أحوال الناس فرأيت الناس قد انصرفوا عن أخلاق المسيح تماماً فبحثت عن الإسلام وقرأت عنه فشرح الله صدري للإسلام، ولكنني في الليلة التي دخلت عليكم فيها نمت بعد تفكير عميق وتأملت في البحث عن الحق فجاءني المسيح عليه السلام في الرؤيا وأنا نائم وأشار لي بسبابته هكذا، وقال لي: كن محمدياً.

يقول: فخرجت أبحث عن مسجد فأرشدني الله إلى هذا المسجد فدخلت عليكم وبعد هذا الحديث القصير أذن المؤذن لصلاة العشاء ودخل هذا الشاب الصلاة مع المصلين، وسجد في الركعة الأولى، وقام الإمام بعدها ولم يقم أخونا المبارك بل ظل ساجداً لله فحركه من بجواره فسقط فوجدوا روحه قد فاضت إلى الله جل وعلا. الله أكبر واستحلفك بالله يا أخي في الله أن تتأمل طويلاً في هذه الخاتمة.

وهذه أخت من مدينة السويس عادت مع زوجها بعد رحلة الحج في الباخرة سالم اكسبريس، وصرخ الجميع بأن الباخرة تغرق، وصرخ زوجها: هيا أخرجي فقالت: والله لن أخرج حتى ألبس حجابي كله فقال: هذا وقت حجاب! أخرجي! فإننا سنهلك!! قالت: والله لن أخرج إلا وقد ارتديت حجابي بكامله فإن مت ألقى الله على طاعة. فلبست ثيابها وخرجت مع زوجها. فلما تحقق الجميع من الغرق تعلقت به وقالت: استحلفك بالله هل أنت راضٍ عني؟ فبكى. قالت: هل أنت راضٍ عني؟ فبكى. قالت: أريد أن أسمعها قال: والله إنني راضٍ عنك. فبكت المرأة التقية الشابة في ريعان شبابها وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وظلت تردد الشهادة حتى غرقت فبكى الزوج وهو ويقول: أرجو من الله أن يجمعنا بها في الآخرة في جنات النعيم.

وها هو رجل عاش أربعين سنة يؤذن للصلاة لا يبتغي إلا وجه الله، وقبل الموت مرض مرضاً شديداً فأقعده في الفراش، وأفقدته النطق فعجز عن الذهاب إلى المسجد، فلما اشتد عليه المرض بكى وقال في نفسه: يارب أذن لك أربعين سنة وأنت تعلم أنني ما ابتغيت الأجر إلا منك، وأحرم من الأذان في آخر لحظات حياتي. يقسم أبناؤه أنه لما حان وقت الأذان وقف على فراشه واتجه للقبلة ورفع الأذان في غرفته وما إن وصل إلى آخر كلمات الأذان: لا إله إلا الله، خر ساقطاً على الفراش فأسرع إليه بنوه فوجدوا روحه قد فاضت إلى مولاها.

إنما الأعمال بالخواتيم.

وهذا شيخنا المبارك عبد الحميد كشك رحمه الله يقبض في يومٍ أحبه من كل قلبه في يوم الجمعة يغتسل، ويلبس ثوبه الأبيض، ويضع الطيب على بدنه وثوبه ويصلى ركعتي الوضوء، وفي الركعة الثانية وهو راكع يخر ساقطاً فيسرع إليه أهله وأولاده، فوجدوا أن روحه قد فاضت إلى الله جل في علاه. لقد أجرى الكريم عادته بكرمه؛ أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا. إنه ولي ذلك والقادر عليه

[1] رواه البخارى رقم (4814) فى التفسير سورة الزمر باب قوله : ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله ، ومسلم رقم (2955) فى الفتن باب ما بين النفختين ، والموطأ (1 / 239) فى الجنائز ، وأبو داود رقم (4743) فى السنة ، باب فى ذكر البعث والصور ، والنسائى (111/4) فى الجنائز .

[2] عجب الذنب : عظمة دقيقة صغيرة لاتزيد عن حبة العدس توجد فى آخر السلسلة الفقرية فى كل إنسان . هذه العظمة لاتبلى أبداً ، يبلى الجسد كله وتبقى هذه العظمة الدقيقة .

[3] رواه مسلم رقم (2955) فى الفتن ، باب ما بين النفختين وهو نفس الحديث السابق إلا أن هذه الزيادة ليست فى البخارى .

[4] الصور : البوق وهو القرن .

[5] اللديغ : أى الذى لدغه ثعبان أو عقرب .

[6] رواه البخارى رقم (6527) فى الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (2859) فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائى (114/4) فى الجنائز ، باب البعث .

[7] أخرجه أحمد فى المسند (17769) ، وعند ابن ماجة رقم (2707) .

[8] رواه البخارى رقم (4974) فى تفسير سورة قل هو الله أحد والنسائى (112/4) فى الجنائز ، باب أرواح المؤمنين .

[9] رواه البخارى رقم (7508) فى التوحيد ، باب قوله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله ، ومسلم رقم (2756) فى التوبة ، باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، والموطأ (1 / 240) فى الجنائز ، باب جامع الجنائز ، والنسائى (113/4) وفى الجنائز باب أرواح المؤمنين .

[10] رواه الترمذى رقم (3534) فى الدعوات ، باب رقم (106) ، وحسنه شيخنا الألبانى فى الصحيحة برقم (127) وهو فى صحيح الجامع رقم (4338) .

[1] رواه مسلم رقم (2878) فى الجنة ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

[2] رواه البخارى رقم (1265) فى الجنائز ، باب الكفن فى ثوبين ، ومسلم رقم (1206) فى الحج باب ماذا يفعل المحرم إذا مات ، وأبو داود رقم (3238،3239) فى الجنائز ، والنسائى (195/5) فى الحج ، باب غسل المحرم بالسدر إذا مات .

[3] رواه البخارى رقم (2803) فى الجهاد ، باب من يجرح فى سبيل الله ، ومسلم رقم (1876) فى الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله .

أبناؤنا بين البر والعقوق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليئه.. أدّى

الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً. حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار كرامته.

إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير..

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أحبتني في الله

أبناءؤنا بين البر والعقوق، هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك، وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعاً فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان المهم في العناصر الآتية:

أولاً: حقاً إنها مأساة.

ثانياً: خطر العقوق.

ثالثاً: فضل البر.

رابعاً: حقوق تقابلها واجبات.

خامساً: إنها مسئولية المجتمع.

فأعيروني القلوب والأسماع، والله أسأل أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

أولاً: حقاً إنها مأساة.

لا شك أن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى حب ورعاية الأولاد، بل وإلى التضحية للأولاد بكل غالي ونفيس، فكما تمتص النبتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فقات، وكما يمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشرة هشة، فكذلك يمتص الأولاد كل رحيق وعافية واهتمام مع ذلك فهما سعيدان، فإذا بالوالدين في شيخوخة فانية، ولكن من الأولاد من ينسى سريعاً هذا الحب والعطاء والحنان والرعاية، ويندفع في جحود وعصيان ونكران ليسيء إلى الوالدين بلا أدنى شفقة أو رحمة أو إحسان، وتتوارى كل كلمات اللغة على خجل واستحياء بل وبكاء وعويل حينما تكتمل فصول المأساة، ويبلغ العقوق الأسود ذروته حينما يقتل الولد أمه، وحينما يقتل الولد أباه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإليك قصة غاية في البشاعة والإجرام والجحود.

لقد وقعت فى إحدى قرى دكرنس جريمة مروعة شنعاء هى التى دفعتنى إلى الحديث اليوم عن هذا الموضوع.

فى أسرة فقيرة تتكون من عشرة أبناء، يقضى الوالد المسكين ليله ونهاره ليوفر لأبنائه العيشة الطيبة الكريمة ويلحقهم بأرقى الكليات بالجامعة، ومن بين هؤلاء الأبناء ولد عاق، بدلاً من أن يساعد أباه فى نفقات هذه الأسرة الكبيرة راح يلهب ظهر والده بالمصروفات ليضيعها على المخدرات والفتيات، فقال له والده المسكين: أى بني أنا لا أقدر على نفقاتك ومصروفاتك، دعنى لأواصل المسيرة مع إخوانك وأخواتك، وأنت قد وصلت إلى كلية العلوم فاعمل وشق طريقك فى الحياة، ولكن الولد تمرد على التقاليد والقيم وعلى سلطان البيت والأسرة، بل وعلى سلطان الدين، راح هذا الولد العاق يفكر كيف يقتل أباه؟! إى والله حدث ما تسمعون!! إنه طالب فى كلية العلوم راح يستغل دراسته استغلالاً شيطانياً خبيثاً حيث أعد مادة كيميائية بطريقة علمية معينة، وأخذ كمية كبيرة، وعاد إلى البيت، وانتظر حتى نام أبوه المسكين، فسكب المادة الكيميائية على أبيه وهو نائم، فأذابت المادة لحم أبيه وبدت العظام، الله أكبر!! لا إله إلا الله!! لا إله إلا الله!!

والله إن الحلق ليجف، وإن القلب لينخلع، وإن العقل ليشط، وإن الكلمات لتتوارى فى خجل وحياء، بل وبكاء وعويل، أمام هذه المأساة المروعة الشنعاء بكل المقاييس. قد يرد الآن عليّ أب كريم من آبائنا أو أخ عزيز يجلس معنا ويقول إنه الفقير، قاتل الله الفقير!!

والجواب: مع تقديري لكل آبائي وأحبائي، ما كان الفقير سبباً ليقتل الولد أباه، وإذا أردت الدليل فخذ الحادثة الثانية المروعة التى طالعنتنا بها جريدة الأهرام منذ أسبوعين اثنين فقط.

أسرة ثرية وصل الوالدان فيها إلى مرتبة اجتماعية مرموقة، فالأم تحمل شهادة الدكتوراه فى الهندسة جلست هذه الأم المثقفة لتناقش ابنها فلذة كبدها الذى أنهى دراسته الجامعية فى أمر خطيبته التى أراد أن يتزوجها، فالأم تعارض هذا الزواج لاعتبارات وأسباب ترى أنها وجيهة من واقع خبرتها ومسئوليتها تجاه ولدها، فاحتج الولد على أمه وما كان من هذا المجرم العاق إلا أن أسرع بسكين، ثم انقض بالسكين على أمه بطعنات قاتلة حتى فارقت الحياة، ما هذا؟!]

والله إن الحلق ليجف، وإن القلب لينخلع، من هول هذه الصورة البشعة من صور العقوق للأباء والأمهات الذى حذر الله جل وعلا منه فى أدنى صورته، وأقل أشكاله وألوانه، فقال جل وعلا: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [الإسراء: 23-24].

أيها المسلمون: أيها الأبناء: اعلّموا علم اليقين أن العقوق كبيرة تلى كبيرة الشرك بالله وهذا هو عنصرنا الثانى. ثانياً: خطر العقوق.

العقوق من أكبر الكبائر فى الصحيحين من حديث أبى بكره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا أتيتكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً)) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ((الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، أو قول الزور)) - وكان متكئاً فجلس - فما زال يكررها حتى قلنا: ليتها سكت([1])

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه)) فقال الصحابة: وهل يشتم الرجل والديه؟ فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((نعم يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه))([2]).

انظر إلى هذا السؤال الإنكارى من الصحابة رضوان الله عليهم، وهل يشتم الرجل والديه لا أن يقتل والديه؟ لا يتصور الصحابة فى مجتمع الظهر مجرد أن يشتم الرجل والديه، فقال الحبيب المحبوب: أن يشتم رجل بأبيه فيرد هذا الرجل على الشاتم بأن يشتم أباه، وبهذا يكون الرجل سب أباه بطريق غير مباشر، وهذا الفعل من أكبر الكبائر والعياذ بالله.

أيها الأبناء: العقوق سبب من أسباب الحرمان من الجنة والطرده من رحمة الله التى وسعت كل شىء، فى الحديث الذى رواه النسائى و البزار بسند جيد وحسنه الألبانى، ورواه الحاكم فى المستدرک، وصححه على شرط الشيخين البخارى ومسلم من حديث عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة)) قيل: من هم يا رسول الله؟! قال: ((العاق لوالديه، والمرأة المترجلة([3])، والديوث([4]))([5]).

أيها الأبناء: أيها الآباء: تدبروا قول الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة)) خابوا وخسروا ورب الكعبة هؤلاء هم الذين طردوا من رحمة الرحمن، التى وسعت كل شىء، وأول المطرودين: العاق لوالديه.

أيها الأبناء: أخاطبكم بكل قلبى وكيانى، يا من من الله عليكم الآن بنعمة الآباء والأمهات، وأنتم لا تدركون قدر هذه النعمة، ولن تشعروا بها إلا إذا فقدتم الوالدين، أسأل الله أن يبارك فى أعمار أبائنا وأمهاتنا، وأن يختم لنا ولهم بصالح الأعمال إنه على كل شىء قدير.

أيها الأبناء: العقوق لا ينفع معه أى عمل، سواء صلاة أو زكاة أو حجاً أو صياماً، ففي الحديث الذى رواه الإمام الطبرانى وابن أبى عاصم فى كتاب السنة بسند حسن، وحسن الحديث الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة من حديث أبى أمامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً([6]) ولا عدلاً: العاق لوالديه والمنان والمكذب بالقدر))([7]).

ولكى أختتم هذا العنصر لأعرج على بقية عناصر الموضوع أقول: إن العقوق دين لا بد من قضائه فى الدنيا قبل الآخرة، فكما تدين تدان، فإن بذلت البر لوالديك سخر الله أبناءك لبرك، وإن عقت والديك سلب الله أبناءك لعقوقك، ستجنى ثمرة العقوق فى الدنيا قبل الآخرة، فى الحديث الذى رواه الطبرانى والبخارى فى التاريخ وصححه

الألباني من حديث أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين)) ([8]).

تدبر معي والدي الكريم وأخي الحبيب: هذا ابن عاق يعيش معه والده في بيته فكبر الوالد، و انحنى ظهره، وسال لعابه، واختلت أعصابه، فاشمأزت منه زوجة الابن، - وكم من الأبناء يرضون الزوجات على حساب طاعة الأمهات والآباء - فطرد الولد أباه من البيت، فَرَقَ طفلاً صغيراً من أبنائه لجدته فقال له: لماذا تطرد جدنا من بيتنا يا أباي، فقال: حتى لا تتأفون منه، فبكى الطفل لجدته وقال: حسناً يا أباي، وسوف نصنع بك هذا غداً إن شاء الله!! العقوق دين لا بد من قضائه.

وهذا ابن آخر يصفع والده على وجهه، فيبكي الوالد ويرتفع بكاءه، فيتألم الناس لبكاء هذا الشيخ الكبير، وينقض مجموعة من الناس على هذا الابن العاق ليضربوه، فيشير إليهم الوالد ويقول لهم: دعوه. ثم بكى وقال: والله منذ عشرين سنة، وفي نفس هذا المكان صفعت أباي على وجهه!! العقوق دين لا بد من قضائه.

وهذا ابن ثالث عاق يجر أباه من رجليه ليطرده خارج بيته، وما إن وصل الولد بأبيه وهو يجره حتى الباب، وإذا بالوالد يبكي ويقول لولده: كفى يا بني، كفى يا بني إلى الباب فقط، فقال: لا بل إلى الشارع، قال: والله ما جررت أباي من رجليه إلا إلى الباب فقط!! كما تدين تدان.

أيها الأخ الحبيب اذهب اليوم إلى أبيك فقبل يديه وقدميه، وارجع اليوم إلى أمك فقبل يديها وقدميها فثم الجنة، ما أشقاها والله من حياة: حياة العقوق، وما أطيبها وأروحها وأسعدها وألذها من حياة، ألا وهي حياة البر وهذا عنصرنا الثالث.

ثالثاً: فضل البر.

أيها الحبيب الكريم. . يكفي أن تعلم أن الله جل وعلا قد قرن بر الوالدين والإحسان إليهما بتوحيده قال تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [الإسراء: 23]

وقال تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وقال تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [البقرة: 83].

قال ابن عباس ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاثة، لا يقبل الله واحدة بدون قرينتها.

أما الأولى فهي قوله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [محمد: 33].

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلن يقبل منه.

وأما الثانية فهي قول الله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ [البقرة: 43].

فمن أقام الصلاة وضيع الزكاة لن يقبل منه.

أما الثالثة فهي قول الله تعالى: أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ [لقمان: 14]. فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لن يقبل منه.

حياة البر ما أروعها من حياة، إنها حياة السعادة والطمأنينة، إنها حياة الأمن والأمان، يالها من لذة!! فيها ستشعر بانسراح الصدر، ستشعر بالسعادة في كل الخطأ، بل سيوسع الله عليك رزقك، بل سيبارك الله لك في عمرك، في حياة بر الوالدين.

البرُّ سبب دخول الجنة:

تدبر معى كلام النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الذى رواه مسلم من حديث أبى هريرة ، قال الحبيب : ((رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه)) قيل من يا رسول الله؟ قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة))([9]).

الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقول: رغم أنفه ثلاثاً: أى ذل وهان وتعرض للخيبة و الخذلان من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما، ثم لم يكونا سبباً فى دخوله الجنة.

إياك أن تضيع هذا الخير، يا من منَّ الله عليك به الآن.

بر الوالدين من أعظم القربات إلى رب الأرض والسموات.

اسمع كلام سيد المرسلين، فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله: أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: ((الصلاة على وقتها)) قال: ثم أى؟ قال: ((ثم بر الوالدين)) قال: ثم أى؟ قال: ((الجهاد فى سبيل الله))([10]).

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر قال رجل للنبى :

أجاهد؟ قال: ((لك أبوان؟)) قال: نعم. قال: ((ففيهما فجاهد))([11]).

وفى رواية مسلم أن رجلاً جاء للنبى فقال: يا رسول الله جئت أبياعك على الهجرة والجهاد فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((هل من والديك أحدٌ حى؟)) قال: نعم، بل كلاهما. قال: ((فتبتغى الأجر من الله؟)) قال: نعم. قال: ((فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما))([12]).

بر الوالدين سبب تفريج الكربات:

فى الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غارٍ فى الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها: فقال أحدهم: اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران، ولى صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رُحْتُ عليهم فحلبت، بدأت بوالداي أسقيهما قبل ولدي، وإنه نأى بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقامت عند رؤسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء.

((....))([13])

إلى آخر الحديث.

انظر جيداً فى معنى هذا الحديث لما تقرب الرجل إلى الله عز وجل ببر والديه استجاب الله دعاءه، فعليك ببر الوالدين بإخلاص تكن مستجاب الدعوة.

أيها الأحبة الكرام: معلوم أن بر الأم مقدم على بر الأب فى الصحيحين من حديث أبى هريرة جاء رجل إلى رسول الله فقال: ((مَنْ أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال:

((أمك)) قال: ثم من؟ قال: ((أمك)) قال: ثم من؟ قال: ((أمك)). قال: ثم من؟ قال: ((أبوك))([14]).

بل وتدبر معى هذا الحديث الرقيق الرقراق الذى رواه البيهقي ورواه ابن ماجه وحسنه شيخنا الألبانى فى السلسلة الصحيحة من حديث معاوية بن جاهمة، أن جاهمة عندما جاء إلى النبی صلی الله علیه وسلم فقال: یا رسول الله أردت أن أغزو – أى فى سبيل الله وقد جئت أستشيرك، فقال: ((هل لك أم؟)) قال: نعم. قال: ((فالزمها، فإن الجنة عند رجلها))([15]).

وقد يتحسر الآن أبائنا وأحبائنا ممن حرموا من نعمة الوالدين لذا أسوق إليهم حديثاً ربما وجدوا فيه العزاء: وللأمانة العلمية التى عاهدنا الله عليها فى سنده على بن عبيد الساعدى، لم يوثقه إلا ابن حبان وبقيّة رجال السند ثقات عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقى علىّ من بر أبوي شىء أبرهما بعد موتهما؟ فقال: ((نعم الصلاة عليهما- أى الدعاء لهما والترحم عليهما، والاستغفار لهما- وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما))([16]).

فيجب علينا أن ندعو لأبائنا ونستغفر لهما ونحج عنهما ونتضرع إلى الله بالدعاء لهما فنقول: ربى ارحمهما كما ربياني صغيراً.

فلقد كان السلف رضوان الله عليهم إذا ماتت أم أحدهم بكى وقال: ولم لا أبكي وقد أغلق اليوم علىّ باب من أبواب الجنة.

رابعاً: حقوق تقابلها واجبات..

كما أن للوالدين حقوقاً على الأبناء فإن للأبناء حقوقاً على الآباء، كم من آباء، وكم من أمهات قد ضيعوا الأبناء؟! إن التربية منذ أول اللحظات مسئولية كاملة للوالدين بل وقبل أن يأتى الولد للحياة، فالوالد مسئول عن هذا الابن الذى لم يأتى بعد، كيف ذلك؟! أن يحسن اختيار أمه التى يجب أن تربيته بعد ذلك على الصلاح والفضائل.

أحبتى فى الله:

أسألكم بالله أن تدبروا معى هذه الكلمات التى سأطرحها على حضراتكم، ماذا تقولون لو قلت لحضراتكم الآن: بأن أباً قد عاد اليوم إلى بيته فأخرج ورقة وكتب عليها استقالة لزوجته من تربية أبنائه؟! حتماً سيتهم هذا الوالد بالجنون.

أقول وماذا تقولون لو أن أمّاً قد عادت اليوم من عملها إلى بيتها فسحبت ورقة وكتبت عليها استقالة لزوجها من تربية الأبناء؟! حتماً ستتهم هذه المرأة بالجنون، بل وقد يفكر هذا الوالد المسكين فى طلاقها.

فماذا تقولون لو قلت لحضراتكم بأن نظرة صادقة إلى الواقع الذى نحياه تقول بأن استقالة جماعية قد حدثت فى بيوت المسلمين؟ نعم لقد استقال كثير من الآباء تربوياً، واستقالت كثير من الأمهات تربوياً، الوالد المسكين يظن أن دوره يتمثل فى أن يكون وزيراً للمالية والنفقات، طوال النهار فى التجارات والسفريات والأعمال أو على المقاهى والمنتديات فإذا ما حلّ الليل رجع لينام أو ليسهر أمام التلفاز، ما فكّر مرة أن يخلوا بأولاده يطمئن على أحوالهم.

أنا لا أقول فرغ كل وقتك لولدك لأننى أعلم ظروف الحياة وأعلم الحالة الاقتصادية الطاحنة التى ترهق ظهور الآباء.

لكن أقول: والله إن جلوس الأب بين أبنائه وهو صامت لا يتكلم فيه من عمق التربية ما فيه، فما بالكم إذا تكلم فدكّر بجنةٍ، وحدّر من نارٍ، وحل مشكلة، ووجه نصيحة، وأشعر أولاده أنه يشعر بهم و بأحاسيسهم، وسأل عن صديق الولد، وسأل عن صاحبة البنت، بكل حنان ورحمة وأبوة حانية.

والله يا أخوة لقد جاءنى فى الأسبوع الماضى شاب تزين اللحية وجهه وهو يكاد يبكى، قلت له: لماذا؟ قال: إن أبى يقسم علىّ بالله إن ذهبت إلى المسجد فسوف يطردنى من البيت!! أيها الوالد أنت مسئول أن تربي ابنك من أول لحظة.

مشى الطاووس يوماً باختيالٍ فقلد مشيته بنوه

فقال: علام تختالون؟ قالوا لقد بدأت ونحن مقلدوه

يشب ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

أيها الوالد الكريم: إذا رببت ولدك على الفضائل، والأخلاق الكريمة والصلاح منذ نعومة أظفاره، شب حتماً على هذه الفضائل والأخلاق، نعم قد يقول لى والد: إننى أربى ولدى فى البيت وسيخرج إلى الشارع ليعود وقد طمس بناؤه الجميل الذى اجتهدت فى تزيينه وتجميله، سأقول لك أبشر واطمئن فما دام الأصل سليماً وما دام الجوهر نقياً، فسرعان ما يزول هذا الغبش الذى تأثر به ظاهره، وسرعان ما يعود إلى أخلاقه وجوهره النقي، الذى اجتهدت فى تأصله فى بيتك على كتاب الله و سنة رسول الله .

أيها الوالد الكريم: ابنك أمانة، اجتهد لا تضيع ولدك فسوف تسأل عنه. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم: 6]

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل فى أهل بيته راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته)) ([17])

وتزداد المأساه يا مسلمون إذا انضم إلى استقالة الآباء استقالة الأمهات، فالأم هى الحضن التربوى الطاهر، الأم هى المدرسة الأولى للتربية، ماذا تقولون لو أغلقت المدرسة الأولى للتربية؟! ألا وهى مدرسة الأم.

ليس اليتيم من انتهى أبواه وخلفاه فى هم الحياة ذليلاً

إن اليتيم هو الذى ترى له أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً

ماذا تقولون لو علمتم كما ذكرت لحضراتكم أن من الآباء من يمنع ولده من الذهاب إلى المسجد أو يمنع ولده من الذهاب إلى مجالس العلم؟ نعم أسأل الله أن يجعلنى من المنصفين، أنا لا أريد أن أقلل الآن – بعد ما أصلت ما لوالدين من حقوق – من شأنهما عند أبنائنا وإخواننا، وإنما أود أن أقول لإخواني وأبنائي قد يأمرك الوالد بذلك من منطلق الخوف عليك، وهذا هو الواقع، فالولد قرّة عين أبيه، وثمرة فؤاده، فإن أمر الوالد ولده بذلك فليعلم الوالد الكريم أن المعصية أكبر، وبأنه سيزداد خوفه

بصورة أكبر إذا منع الولد من معرفة طريق المساجد، وإذا حال بين الولد وطريق السنة، وسوف يبكي الوالد دماً بدل الدموع إذا رأى ولده يحقن نفسه بحقنة مخدرات أو يتعاطى المخدرات أو يمشى مع فتاة في الحرام ولا حول ولا قوة إلا بالله، لذا أذكر آبائي الكرام بأن يفتحوا الباب على مصراعيه لأبنائهم، وليسلخوا طريق سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

أيها الأحباب الكرام: إن للوالدين حقوقاً على الأبناء، وإن للأبناء حقوقاً على الوالدين وهناك من الوالدين من يقع في عقوق ولده قبل أن يقع ولده في عقوقه.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين أشكو إليك عقوق ولدي، فقال: انتنى به، فجاء الولد إلى عمر ، فقال عمر: لم تعق أباك؟ فقال الولد: يا أمير المؤمنين ما هو حقي على والدي؟ فقال عمر: حَقُّك عليه أن يحسن اختيار أمك، وأن يحسن اختيار اسمك وأن يعلمك القرآن. فقال الولد: والله ما فعل أبي شيء من ذلك، فالتفت عمر إلى الوالد وقال: انطلق لقد عقت ولدك قبل أن يعقك.

وأخيراً حتى لا أطيل عليكم إنها مسئولية الجميع، أرجىء الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة، وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الأحباب الكرام

خامساً: إنها مسئولية الجميع.

نعم يجب أن نعلم أن المسئولية تقع على كواهلنا جميعاً، فعلى البيت مسئولية، وعلى مناهج التعليم مسئولية، وعلى المدرسة مسئولية، وعلى الإعلام مسئولية، وعلى الشارع مسئولية، فالمسئولية تقع على كواهل الجميع، تبدأ من البيت ومن الأسرة، ولكن قد يتألم الآن بعض الأحبة ويقول إذا كان الوالد من الصالحين فاجتهد في تربية أبنائه تربية ترضى الرب سبحانه واجتهدت الأم كذلك، لكن خرج من بين هؤلاء الأبناء ابن عاق انحرف عن الطريق.

نقول: إن هذا لا يقدر في أصل القاعدة فإنني أرى بيتاً من بيوت المسلمين يشرف على التربية فيه نبي كريم من أنبياء الله وهو نبي الله نوح عليه السلام، ومع ذلك لا يخرج الولد من هذا البيت عاقاً وإنما يخرج كافراً والعياذ بالله، وألمح بيتاً آخر يقوم على أمر التربية فيه فرعون مصر طاغوت الدنيا بأسرها، ويكون هو المشرف على تربية طفل، هذا الطفل هو نبي الله موسى عليه السلام كلِّم الله.

فابذل ما استطعت واجتهد، وضع النتائج بعد ذلك إلى الله الذي يعلم كل شيء، والذي يعلم الحكمة إنه عليم حكيم.

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الفاضلة: تبدأ المسئولية في التربية للأبناء من البيت فهو المدرسة الأولى لكل نَشء، وهو المكان التربوي الأكبر الذي يؤثر في شخصية وتكوين الأبناء، فاجتهدوا واتقوا الله في التربية ولا تهنوا ولا تحزنوا، فمن زرع

حصد، واعلموا يقيناً أن من زرع خيراً سيجد خيراً بإذن الله، ومن زرع شراً فسوف يجنيه بإذن الله.

أولادكم أمانة في أعناقكم، فهذه مسئولية، ويالها من مسئولية!! عندها تتوارى كل المسئوليات، فالأبوة بمعناها الحقيقي هي العطاء بلا حدود، هي العطف، هي الحنان، هي الرحمة، هي الشفقة، هي البذل والتضحية بكل غالي وثمانين، هي النصيحة هي الاهتمام، هي الشعور بمشاعر الأولاد ومعايشة أحزانهم وأفراحهم وحوائجهم، فالأبوة في خصالها السامية لم ولن تعادلها مسئولية قط، ولم لا؟! وأنت تبني جيلاً الآن يصبح صرح أمة التوحيد الشامخ غداً، يصبح صاحب الكلمة غداً، يصبح رافع راية لا إله إلا الله غداً، ما أسماها من مسئولية! وما أرفعها من مكانة!!

فكن لابنك كما كان محمد لأولاده، ياله من أب جمع كل حسنات في التربية، وكوني أيتها الأم كما كانت أمهات المؤمنين.

ولن يقع عاتق المسئولية جمعاء على البيت فقط، فالمدرسة لها دور في صناعة جيل الأمة حامل الراية غداً، والإعلام له دور خطير في توجيه النشء، فليترك الله كل مسئول في الإعلام في فلذات أكبادنا فإن الإعلام سلاح خطير ومهم في تعليم أبنائنا الأخلاق العالية والمثل السامية إذا أحسن استغلاله. وسلاح مدمر للفرد والأسرة والمجتمع إذا أسىء استغلاله فإن الكثير من وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة تعزف على وتر الجنس وعلى وتر أخلاق الغرب التي تصطدم بديننا الحنيف وتقاليدنا العريقة وبعض هذه الوسائل تعزف على وتر التحرر. ولذا أصبح الولد ينظر إلى أبيه المحافظ صاحب الأخلاق والفضائل نظرة احتقار، نظرة ازدراء، نظرة سخرية.

هكذا أشرب في قلبه أن كل من يتمسك بالأخلاق الفاضلة فهو رجل رجعي. فلا غرابة أن تجد ولداً يقول لأبيه: أنت رجل رجعي لا تعيش عصرك، أنت لا تعيش زمانك، إنكم مازلتُم تعيشون في مجاهل القرون الماضية.

العزف بصورة واضحة على نغمة التحرر، جعل الأبناء يتمردون على كل شيء، على سلطة الأسرة، على سلطة الوالدين، بل وتمرد الأولاد أخيراً على سلطة الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فعلى القائمين على الإعلام أن يتقوا الله، وأيضاً على المدارس ومناهج التعليم وكل المسئولين عن دفة التعليم مسئولية كبيرة، فهم يبنون عقول نشء، وانظر إلى من يبنى عقلاً، هذا العقل سوف يكون مستقبلاً قائداً للأمة أو أميراً أو طبيباً أو مهندساً أو معلماً أو.... فانظر كيف يُبنى هذا العقل؟! إن لم يُبنَ على أسس وقواعد وأخلاق وغايات وقيم ومبادئ قرآنية محمدية، فكيف يكون هذا العقل مستقبلاً؟ والله إن لم نربي أولادنا على مناهج ربانية محمدية فسوف نجنى أسوأ الثمار، بل سوف نجنى أشواك تجرحنا قبل الآخرين، وتؤذينا قبل الآخرين، فاعلموا أيها المسئولون عن التعليم أن جزءاً كبيراً جداً من دفة المسئولية موضوع في أيديكم فاتقوا الله فيه.

فالمدرسة أب ثانی وأم ثانیة لنشء هو قررة أعیننا وقررة أعینکم قبلنا، فإن ما نسمع الآن من تناول الطالب على مدرسه ليدمع العين دماً، لذا يجب أن تعود المدرسة من جديد إلى دورها الريادي في التربية قبل أن تعلم أبناءنا العلم، وإن ما نسمع من

أخلاق البنات فى مدارس البنات ليستحى اللسان أن يتلفظ به، فمن أجمل ما قال محمد إقبال رحمه الله: إن العلوم الحديثة تحسن أن تعلم أبناءنا المعاني والمعارف، ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع، وقلوبهم الخشوع.

وعلى الشارح أيضاً دور، فلو خرج الأبناء إلى الشوارع بأخلاق البيوت الطيبة لتغير الحال، إذا المسئولية مشتركة وعلى الجميع، فكل مسئول يجب عليه أن يؤدي ما عليه بأمانة واقتدار حتى نجني قرة عين لا شيطان، لا أريد أن أطيل عليكم أكثر من ذلك. أسأل الله أن يقر أعيننا وإياكم بصلاح أبنائنا وستر بناتنا، إنه ولى ذلك والقادر عليه...

[1] رواه البخاري رقم (2653) فى الشهادات ، باب ما قيل فى شهادة الزور ، ومسلم رقم (87) فى الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، والترمذي رقم (2302) فى الشهادات ، باب ما جاء فى شهادة الزور.

[2] رواه البخاري رقم (5973) فى الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه ، ومسلم رقم (90) فى الإيمان ، باب الكبائر وأكبرها ، وأبو داود رقم (5141) فى الأدب ، باب بر الوالدين.

[3] المرأة المترجلة : التى تتشبه بالرجال فى هيئتهم وأفعالهم.

[4] الديوث من الرجال : هو الذى لا غيره له ولا حمية.

[5] رواه النسائى (80 / 5) فى الزكاة ، باب المنان بما أعطى ، ورواه أيضاً أحمد فى المسند و الحاكم فى المستدرک وهو فى صحيح الجامع (3063)

[6] صرفاً ولا عدلاً : أى فرضاً ولا نفلاً ولا عملاً

[7] رواه الطبراني فى الكبير (7547) وابن أبى عاصم فى السنة رقم (323) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (3065).

[8] رواه أحمد فى المسند (36 / 5) والحاكم فى المستدرک (177 / 4) وصححه ووافقه الذهبي وهو فى صحيح الجامع (137).

[9] رواه مسلم رقم (2551) فى البر والصلة ، باب رغم من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ولم يدخل الجنة ، والترمذي رقم (3539) فى الدعوات ، ورواه أحمد فى المسند (345/2) رقم (8538) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (3511).

[10] رواه البخاري رقم (5970) فى الأدب ، باب البر والصلة ، ومسلم رقم (85) فى الإيمان: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

[11] رواه البخاري رقم (5972) فى الأدب ، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.

[12] رواه مسلم رقم (2549) فى البر والصلة ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ، وأبو داود (2530) فى الجهاد ، والترمذي (1671) فى الجهاد ، والنسائى (6 / 10) فى الجهاد

[13] رواه البخاري رقم (5974) فى الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والديه ، ومسلم رقم (2743) فى الذكر ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ، وأبو داود رقم (3387) فى البيوع باب فى الرجل يتجر فى مال الرجل بغير إذنه.

[14] رواه البخاري رقم (5971) فى الأدب ، باب البر والصلة ، ومسلم رقم (2548) فى البر والصلة ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

[15] رواه النسائي (11 / 6) في الجهاد ، باب الرخصة في التخلف لمن له والدته ، وابن ماجة (2781) في الجهاد ، باب الرجل يغزو وله أبوان ، ورواه أيضاً أحمد في المسند (429 / 3) وصححه الحاكم وذكره الهيثمي في المجمع (138 / 8) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

[16] رواه أبو داود رقم (5142) في الأدب ، باب بر الوالدين ، وابن ماجة رقم (3664) في الأدب ، باب صل من كان أبوك يصل ، وابن حبان رقم (2030) وضعفه الأرنؤوط والألباني في ضعيف سنن أبي داود.

[17] رواه البخاري رقم (893) في الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، ورواه مسلم (1829) في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، والترمذي (1705) في الجهاد ، باب ما جاء في الإمام ، وأبو داود (2928) في الإمارة ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية.

يأجوج ومأجوج

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله .. أدّى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، ونصّح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته و صلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد
فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ، وذكى الله هذه الأنفس ، وشرح الله هذه الصدور .
طبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً .
حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعني وإياكم في الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفي الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار كرامته .

إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير
أحبتى فى الله

في رحاب الدار الآخرة:

سلسلة علمية هامة تجمع بين المنهجية والرقائق وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي الهدف منها:

تذكير الناس بحقيقة الدنيا للإنابة والتوبة إلى الله جل وعلا قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون .

وهذا هو لقاءنا السادس من لقاءات هذه السلسلة ، وحديثنا اليوم إن شاء الله تعالى عن علامة من علامات الساعة الكبرى التي ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع علينا

النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((ما تذاكرون))؟ فقالوا: نذكر الساعة، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))([1]).

تكلما عن الدجال ونزول عيسى عليه السلام وحديثنا اليوم إن شاء الله تعالى عن يأجوج ومأجوج.

وكعادتنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعا، فسوف أركز الحديث مع حضراتكم اليوم عن يأجوج ومأجوج في العناصر التالية:

أولاً: تأصيل لغوى شرعي مختصر.

ثانياً: بعث النار.

ثالثاً: ذو القرنين ويأجوج ومأجوج.

رابعاً: خروجهم بين يدي الساعة.

خامساً: عيسى بن مريم والدعاء المستجاب.

فأعزني قلبك وسمعك أيها الحبيب، والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

أولاً: تأصيل لغوى وشرعي مختصر:

أيها الأحبة: لقد أورد كثير من المؤرخين والمفسرين أخباراً عجيبة وروايات غريبة عن يأجوج ومأجوج، ذكروا في هذه الروايات والأخبار أصلهم، ونسبهم، وأشكالهم، وألوانهم، ومكانهم!!

وهذه الأخبار والروايات لا تعدو أن تكون مجرد خرافات وأوهام وخيالات وأساطير، لأنها أُخذت من الإسرائيليات.

أُخذت من غير المصادر اليقينية أي القرآن والسنة النبوية الصحيحة، فلا يجوز لأحدٍ بحال أن يتكلم في مثل هذه الأمور الغيبية إلا بالدليل الصريح من القرآن أو بالدليل الصحيح من سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

فلسنا في حاجة على الإطلاق لأن نلهث وراء الإسرائيليات والأخبار العجيبة والموضوعة لنتكلم عن يأجوج ومأجوج أو عن ذي القرنين، وإنما يجب علينا جميعاً أن نقف عند النص اليقيني في كتاب ربنا وفي سنة الحبيب نبينا ففيه الغنى.

يأجوج ومأجوج أمّتانٍ من البشر من ذرية آدم عليه السلام يتميزان عن بقية البشر بالاجتياح المروع والكثرة الكاثرة في العدد والتخريب والإفساد في الأرض بصورة لم يسبق لها مثيل.

وقال المحققون من أهل اللغة نقلاً عن ابن منظور في لسان العرب وغيره قالوا :

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان مشتقان من أجيج النار أي من التهابها ومن الماء الأجاج وهو الشديد الملوحة والحرارة .

فشبّهوهم بالنار المضطربة المتأججة وبالمياه الحارة المحرقة المتموجة لكثرة تقلبهم، واضطرابهم، وتخريبهم، وإفسادهم في الأرض .

هذا هو التأصيل اللغوي الذي لا بد منه بداية حتى لا نطلق لخيالنا العنان لنلهث وراء الخرافات والأساطير والأوهام .

لذا أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يأجوج ومأجوج هم بعث النار يوم القيامة وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء:
ثانياً: بعث النار:

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي قال: ((يقول الله يوم القيامة: يا آدم فيقول آدم: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول الله جل وعلا: أخرج بعث النار فيقول آدم عليه السلام: وما بعث النار يا رب؟، فيقول الملك: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى جهنم، وواحد إلى الجنة)) فشق ذلك على أصحاب النبي المختار، وفي رواية ((فيأس القوم حتى ما أبدوا بضحكة))، وفي رواية ((فيكى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد)) فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((أبشروا! أبشروا! فمن يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد)) ثم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة)) فكبرنا. قال: ((والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة)) فكبرنا . فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم في الثالثة: ((والله لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة)).
أمة النبي أمة مرحومة . أمة النبي أمة ميمونة .

و كدت بأخمصي أطأ الثريا ومما زادني فخرا وتيها ...

وأن أرسلت أحمد لي نبيا دخولي تحت قولك يا عبادي ...

اسجد له شكراً أنك من أمة الحبيب محمد ، فأمة المصطفى صلى الله عليه وسلم أمة مرحومة أثنى عليها ربها وأثنى عليها نبيها .

قال الله لها: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

قال الله لها: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [البقرة: 143] .

وفى الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه بسند حسن قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((أنتم موفون سبعون أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله جل وعلا))([2]).

أنتم خير الأمم.. أنتم أكرم الأمم على الله جل وعلا .

بل وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي قال: ((يدعى نوح يوم القيامة فيقال له يا نوح هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم يا رب. فيدعى قومه ويقال لهم: هل بلغكم نوح؟ فيقول قوم نوح: لا ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقول الحق جل وعلا: وهو أعلم، من يشهد لك يا نوح؟ فيقول نوح: يشهد لي محمد وأمته، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم ادعى فأشهد عليكم))([3]).

وذلك قول الله جل وعلا : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

بل ومن الأحاديث الممتعة التي تبين فضل السابقين واللاحقين من أمة سيد النبيين ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي أتى المقبرة يوماً فقال: ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)) ثم قال الحبيب: ((وددت أننا قد رأينا إخواننا)) فقال الصحابة: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: ((أنتم أصحابي، وإخواننا قوم لم يأتوا بعد)) فقال الصحابة: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((أرأيت لو أن رجلاً له خيلٌ عُزٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظَهْرِي خَيْلٍ دُهْمٌ بُهْمٌ (أي سود) ألا يعرف خيله))؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((فأنهم يأتون عُراً محجلين من الوضوء)) ([4]).

أحبتي في الله:

أقف الآن وحضراتكم مع هذا الحوار الجميل بين ذي القرنين وقوم تعرضوا للفساد والإيذاء على أيدي يأجوج ومأجوج وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز .
ثالثاً: ذو القرنين ويأجوج ومأجوج:

لقد حكى الله قصة ذي القرنين في سورة واحدة من سور القرآن ألا وهي سورة الكهف قال الله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنقِذُ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا [الكهف: 83-98].

هذه هي قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج وأقول لك أن قصة ذي القرنين هي الأخرى قد نسج حولها من الأساطير والخرافات والخيالات والأوهام ما يندى له جبين التحقيق خجلاً وحياءً.

لا يجوز لأحد يحترم علمه وعقله أن يتجاوز النص القرآني في قصة ذي القرنين فما ذكره الله في القرآن عن ذي القرنين فيه الغنى وفيه الكفاية، ولسنا في حاجة لأن نلهث وراء الإسرائيليات لننسج حول شخصية ذي القرنين الأساطير والخرافات والأوهام .
والآن أدعوك لنتجول سوياً لنتعرف على قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج بالنص القرآني والتفسير اليسير.

ذو القرنين عبد صالح اختلف أهل التفسير في نبوته لكن لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك.

والقصة تبدأ بسؤال المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم المصطفى صلى الله عليه وسلم ويأتي الجواب من الله جل وعلا: "قل" يا محمد، وكلمة "قل" يسميها علماء التفسير وعلماء اللغة قل التلقيني أي القصة ليست من عند رسول الله بل هي وحي من عند الله جل وعلا: قُلْ سَأَلْتُوْا عَنِّيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا : كلمة " منه " التبعية: أي سألتوا عليكم بعض الشيء من قصة ذي القرنين ولو علم الله في الزيادة عن النص القرآني خيراً لذكرها لنا فلنقف عند ما ورد في القرآن وما ثبت في حديث النبي عليه الصلاة والسلام: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ : تدبر ... فمن الذي مَكَّنَ لذي القرنين؟ فالتمكن إن نقتب عنه في القرآن ستري أنه في كل مرة وردت لفظة التمكين تنسب إلى الله رب العالمين، وهذه القاعدة البلاغية تؤصل في القلوب قاعدة إيمانية .

فالذي يُمكن للدول والأمم والشعوب هو الله، فيجب علينا جميعاً أن نعلق قلوبنا بالملك الذي يفعل كل شيء، مع الأخذ بالأسباب فهذا من حقيقة التوكل على الله . لا تسود أمة إلا بإذن الله ولا تزول أمة إلا بإذن الله .

قال تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران:26].
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا . أخذ بهذه الأسباب والوسائل للتمكين والنصر والفتح والظهور .

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج:41].

فهناك من الأمم من يمكن الله لها فتأخذ بأسباب التمكين فيزيدها الله ثباتاً وتمكيناً فإن فرطت أذهب الله عنها التمكين. وهناك من الناس من إذا مكن الله له أخذ بوسائل التمكين فزاده الله رفعة ونصراً فإن فرط في هذه الأسباب والوسائل أمر الله عز وجل بزاوله وهلاكه .

وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . أعطاه من الأسباب ما يستطيع أن يفتح وأن ينتصر وأن يجوب البلاد شرقاً وغرباً .

يبدأ ذو القرنين الرحلة الجهادية الأولى في سبيل الله نحو المغرب .
حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا .
ومن المعلوم أنه ليس للشمس مشرقاً واحداً ولا مغرباً واحداً بل لها عدة مشارق ومغارب .

قال الله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ [المعارج:40].
فالشمس لها مشارق ومغارب بحسب فصول السنة وأيامها وشهورها، لها مشارق ومغارب بحسب المكان، لها مشارق ومغارب بحسب رؤية الرائي إلى قرص الشمس أثناء الشروق أو الغروب .

قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا .
فبين ذو القرنين منهجه العادل ودستوره الحكيم، فقال كما ذكر في كتاب ربنا: قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا .

وأما من ظلم نفسه بالشرك وعدم اتباعي فسوف أعذبه وله عند الله العذاب العظيم،
أما من اتبعني وآمن بما جننت به ووحد الله واستقام على منهج الله فله الحسنى وهى
الجنة، أما من ناحيتي فسنقول له يسرا .

ثم انطلق نحو المشرق في رحلة ثانية :

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا . لا
يحمى هؤلاء الناس والقوم شيء على الإطلاق، لا يحول بينهم وبين الشمس شيء .
كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا : أي علم الله عز وجل كل ما يدور في قلبه وفي نفسه .
وتبدأ الرحلة الثالثة التي هي محل الشاهد في موضوعنا:

حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَالسَّيِّدِينَ: الجبلين العظيمين .

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا .

لا يعرفون لغة ذي القرنين أو لا يستطيعون أن يفتحوا على غيرهم من الأمم، فهم
قوم منعزلون على أنفسهم، تعرضوا إلى أشد الهجمات وأعنف الضربات على يدي
يأجوج ومأجوج، فلما رأوا ذا القرنين الملك الفاتح العادل توسلوا إليه وانطلقوا وقوا
بين يديه وقالوا: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا .

هؤلاء القوم يقولون لذي القرنين هل نبذل لك من أموالنا ما تشاء وما تريد على أن
تبنى لنا سدا منيعا يحمينا من يأجوج ومأجوج .

فرد عليهم بزهد وورع وقال: قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ .

لقد أعطاني الله عز وجل من وسائل التمكين ما أغنانى به عن مالكم ولكنه لمح فيهم
الكسل، فأراد أن يشركهم في هذا المشروع العظيم وفي هذا العمل الضخم، فقال لهم
ولكن!

فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . أي قال بلغة العصر: التخطيط الهندسي
والمعماري والإنفاق المادي لبناء هذا السد ولإقامة هذا المشروع، سنتكفل نحن بذلك،
ولكننا في حاجة إلى العمال، في حاجة إلى عمالة يحملون ويبنون ويقيمون هذا
العمل: فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا .

وبدأ ذو القرنين المهندس البارع الذي سبق علماء الهندسة المعاصرين بعدة قرون .

أمر بالبداية في المرحلة الأولى من مراحل هذا المشروع .

ءَأْتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ : أي اجمعوا لي قطع الحديد الضخمة وأمرهم بوضع هذه القطع
في مكان ضيق بين هذين السدين، فلما وضعت قطع الحديد حتى ساوت قمة الجبلين
قال: انفخوا النار المشتعلة التي تصهر هذا الحديد، ولك أن تتصور حجم هذه النيران
التي اشتعلت لتصهر أطناناً من الحديد لا يعلم وزنها إلا العزيز الحميد، اشتعلت
النيران تحت هذا الحديد بين السدين في مكان ضيق، يريد أن يسد على يأجوج
ومأجوج الطريق الذي ينفذون منه إلى هذه الأمم المسكينة المغلوبة على أمرها .

فأشعل النيران حتى انصهر الحديد وذاب بين السدين أي بين الجبلين، فأمر ذو
القرنين أن يدخلوا في المرحلة الثانية من مراحل البناء، ألا وهي أن يذبيوا النحاس
حتى ينصهر .

فلما انصهر النحاس أمرهم بصب النحاس على الحديد فتخلل النحاس الحديد فأصبح النحاس والحديد معدناً واحداً ليزداد صلابة وقوة فلا تستطع يدي بأجوج ومأجوج أن تتسلقه أو أن تنقبه .

وبذلك يكون ذو القرنين قد سبق العلم المعاصر في تقوية الحديد بالنحاس فلما ساوى بين الصَّدْفَيْن بهذا الحديد وبهذا النحاس ليبين لنا سمات القيادة الفذة الناجحة التي تستطيع أن تجمع بين الخيوط والخطوط .

التي تستطيع أن تجمع بين المواهب والطاقات والقدرات والإمكانات لتستغل الموارد والطاقات أعظم استغلال.

ذو القرنين يبين لنا سمات القيادة الناجحة، وما أحوج الأمة إلى هذه القيادة الفذة، فلما نظر إلى هذا السد العظيم لم يسكره نشوة القوة والعلم، لم يقل فن الإدارة!!

لم يقل: إنما أوتيته على علم عندي!! وإنما نسب الفضل لصاحب الفضل جل وعلا فقال: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا

درس عظيم .. هذا رحمة من ربي ثم بين للحضور معتقده الصافي في الإيمان بالبعث والإيمان بيوم القيامة فقال لهم إن الذي أمر ببناء هذا السد هو الله، وأن الذي أمر بحجز يأجوج ومأجوج هو الله، وأن الذي سيأذن لهم بالخروج هو الله، وحتما سيأتي يوم على هذا السد المنيع ليجعله الله عز وجل دكاء أي ليسويه بالأرض وذلك لا يكون إلا بين يدي الساعة كما سيسوى جبال الأرض كلها بالأرض .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا .
هكذا يبين ذو القرنين العقيدة الصافية في الإيمان بالبعث، في الإيمان بيوم القيامة وعلامته الكبرى حين يأذن الحق تبارك وتعالى ليأجوج ومأجوج في الخروج حينئذ يستطيعون أن ينفذوا هذا السد ويخرجوا وهذا هو عنصرنا الرابع من عناصر هذا اللقاء:

رابعاً: خروجهم بين يدي الساعة:

في صحيح البخاري من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي دخل عليها يوماً فزعا وهو يقول: ((لا إله إلا الله، لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)) وحلق بأصبعه السبابة والإبهام فقالت زينب بنت جحش: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((نعم إذا كثر الخبث))([5]).

يهلك الصالح والطالح ويبعث الله الصالحين والطالحين على نياتهم .

وتدبر معي هذا الحديث: الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم في المستدرک وصحح الحاكم الحديث على شرط الشيخين وأقر الحاكم الذهبي والألباني في السلسلة من حديث أبي هريرة أن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قال: ((إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قالوا: ارجعوا فستحفرونه غداً فيرجعون فيعد الله السد أشد مما كان، حتى إذا أراد الله أن يبعثهم خرجوا يحفرون السد فقال الذي عليهم إذا ما رأوا شعاع الشمس ارجعوا وستحفروه غدا إن شاء الله تعالى فيعودون فيرون السد كهينته التي تركوه عليها فيحفرونه ويخرجون))([6]) وفي رواية مسلم في حديث النواس بن سمعان

((فيمرون على بحيرة طبرية فإذا مرَّ أوائل يأجوج ومأجوج شربوا ماء البحيرة كله فإذا مر آخرهم قال: لقد كان في هذه البحيرة ماء)).

فيخرجون فيخاف الناس ويتحصنون منهم في الحصون، يتركون لهم الشوارع والطرق لا قدرة لأحد بقتالهم كما سألهم في رواية النواس بن سمعان قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((أوحى الله إلى عيسى: يا عيسى إني قد بعثت قوما (أي يأجوج ومأجوج) لا يدان لأحد بقتالهم (أي لا طاقة لأحد بقتالهم) فحرز عبادي إلى الطور أي اجمع عبادي من المؤمنين إلى جبل الطور في سيناء)). ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيقول يأجوج ومأجوج: لقد قتلنا أهل الأرض تعالوا لنقتل أهل السماء.

انظر إلى الفجور!! وبهذه العبارة فقط تستطيع أن تتصور حجم الفساد في الأرض إذ تجرأ هؤلاء وفكروا في أن يقاتلوا أهل السماء وبالفعل يوجهون النشاب (أي السهام) إلى السماء فيريد الملك أن يبتليهم فيرد الله عليهم نشابهم ملطخة دماً فتنة من الله تعالى فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء في الوقت الذي تبتلى فيه الأرض بهذه الفتنة تكون فتنة أخرى عصفت بأهل الأرض عصفاً ألا وهي فتنة الدجال فينزل عيسى عليه السلام وهذا ما سنتعرف عليه بعد جلسة الاستراحة.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

خامساً: عيسى بن مريم والدعاء المستجاب :

يُنزل الله تعالى عيسى عليه السلام كما في حديث النَّوَّاس بن سمعان الذي رواه مسلم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فبينما هو كذلك (أي الدجال) إذ أنزل الله عز وجل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين أي ثوبين مصبوغين واضعاً كَفَّيْهِ على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ)) إذا رفع نبي الله عيسى رأسه تقطر منها الماء كحبات اللؤلؤ الأبيض . يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فيطلب عيسى بن مريم الدجال حتى يدركه بباب لُدَّ (مدينة بفلسطين)). فيقتل عيسى بن مريم الدجال عليه لعنة الله: ((ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويبيشرهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور)) (أي لا طاقة ولا قدرة لأحد بقتالهم) يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون)). ينتشرون، يغطون وجه الأرض من فوق المرتفعات والجبال.

فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مَرَّة ماءٌ ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه أن يتضرعوا إلى الله عز وجل أن يهلك يأجوج ومأجوج فيستجيب الله دعاء عيسى وأصحابه من أمة النبي محمد .

اسمع ماذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فيرسل الله على يأجوج ومأجوج النغف)) النغف: هو الدود الصغير.

تدبر قدرة الملك وعظمة الملك، والله ما أحوج الأمة إلى أن تمتلئ قلوبها يقينا بقدرة الملك جل جلاله.

ما أحوجنا إلى أن نتعرف على عظمة الله وعلى جلال الله، وعلى قوة الله، وعلى قدرة الله، فإن أمر الله بين الكاف والنون .

فيرسل الله عليهم النغف أى الدود الصغير في رقابهم فيهلكهم الحق جل وعلا فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة)) في رواية ((يطلب نبي الله عيسى واحداً من هؤلاء المتحصنين الخائفين أن يخرج وأن يبذل نفسه ليرى ماذا فعل بأجوج ومأجوج في الأرض فيخرج وهو مستعد للقتل والهلاك فيرى هذه الكرامة والمعجزة والآية فيرجع لنبي الله عيسى وينادي عليه وعلى أصحابه: أبشروا لقد أهلك الله بأجوج ومأجوج)). يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((ثم يهب نبي الله عيسى مع أصحابه فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم (الزهم: الدهن والشحم) لا يقوى الناس على هذه الرائحة الكريهة النتنة. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله أن يطهر الأرض من هذه النتن، فيرسل الله عز وجل طيراً كأعناق البخت (أي كرقاب الإبل) فتحملهم فتطرحهم حيثما شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلْفَةِ (أي تصبح الأرض كالمرآة في صفائها ونقاؤها) وحينئذ يقال للأرض أنتبي ثمرتك وردي بركتك)). يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة تأخذ الناس تحت آباطهم فتقبض هذه الريح روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون في الأرض تهارج الحمر (أي الحمير) وعليهم تقوم الساعة)).

وبذلك يكون قد أنهيت الحديث عن أجوج ومأجوج من المصادر اليقينية من كتاب الله والسنة الصحيحة، وأنصح أحبائي أن لا يقفوا بعد ذلك وراء الأساطير والأوهام والإسرائيليات التي وردت في ذلك.

أسأل الله جل وعلا أن يرزقنا وإياكم العلم النافع وأن يفقهنا وإياكم في الدين وأن يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شئ قدير.

اللهم استرنا ولا تفضحنا وأكرمنا ولا تهنا وكن لنا ولا تكن علينا اللهم لا تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنباً إلا غفرته ولا مريضاً إلا شفيته ولا ديناً إلا قضيته، ولا همماً إلا فرجته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا عاصياً إلا هديته، ولا طائعاً إلا سدده، ولا حاجة هي لك رضاً ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا رب العالمين.

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً، وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقياً أو محروماً.

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى.

اللهم إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم احمل المسمين الحفاة واكسوا المسلمين العراة وأطعم المسلمين الجياع.

اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان.

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين برحمتك يا أرحم الراحمين.

أحبتني في الله..

هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون عليه إلى الجنة ويُلقى به في جهنم ثم أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

وصلّى اللهم وسلم وزد وبارك على محمد صلى الله عليه وسلم.

000000000000

[1] سبق تخريجه .

[2] رواه البخارى رقم (4478) فى التفسير ، باب قوله تعالى (وكذلك جعلناكم

أمة وسطاً) والترمذى رقم (2965) فى التفسير ، باب ومن سورة البقرة ، وهو فى

صحيح الجامع رقم (8034) .

[3] رواه البخارى رقم (3339) فى أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل (

ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه (ورواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، ورواه أيضاً

أحمد فى المسند رقم (11222)

[4] رواه البخارى رقم (136) فى الوضوء ، باب فضل الوضوء والغر المحجلون

، ومسلم رقم (249) فى الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فى الوضوء

، والموطأ (28-30/1) والنسائى (95/93/1) فى الطهارة .

[5] رواه البخارى رقم (3346) فى أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ،

ومسلم رقم (2880) فى الفتن ، باب اقتراب الفتن ، والترمذى رقم (2188) فى الفتن

[6] رواه ابن ماجة رقم (4080) والحاكم وهو فى صحيح ابن حبان (1908) .

قواعد الحساب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:-

فحياً الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور.

طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنى

وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبیین فى

جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير..

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أحبتني في الله

هذا هو لقاءنا الثالث عشر من لقاءات هذه السلسلة الكريمة المباركة وكنا قد توقفنا في اللقاء الماضي مع هذا المشهد المهيب الكريم حين يأتي الملك الحق جلا جلاله إلى أرض المحشر إتياناً يليق بكماله وجلاله مصداقاً لقوله سبحانه هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [البقرة:210].

وهنا يبدأ الحساب للعباد، وهذا هو لقاءنا اليوم مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وحتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعاً فسوف ينظم حديثنا في العناصر التالية:

أولاً: لا ظلم اليوم.

ثانياً: العرض على الله وأخذ الكتب.

ثالثاً: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

فأعيروني القلوب والأسماع. والله أسأل أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه حلیم كريم رحيم.

أولاً: لا ظلم اليوم:

أيها الأحباب الكرام: والله لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، فهم عبيده في ملكه، فالمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولكنه برحمته سبحانه وتعالى وكرمه وحنانه ولطفه بعبده قد حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ [النساء: 40].

وقال جل وعلا: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت: 46].

وقال تعالى وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ [غافر: 31].

وقال أيضاً في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر عن الحبيب النبي عن رب العزة قال تعالى: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))([1]).

فإن الله جل وعلا عدل، لطيف، حلیم، كريم لا يظلم أحداً من خلقه، ولا يظلم أحداً من عباده، ولذا فإن الله جل وعلا يحاسب العباد يوم القيامة وفقاً للقواعد التالية:

القاعدة الأولى: العدل التام الذي لا يشوبه أى ظلم.

قال تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:47].

إعلم أنك لن تعرض على محكمة كحاكم الدنيا ففي محاكم الدنيا قد يجيد الخصوم التزوير والتحريف ولكن اعلم بأن الذي سيتولى محاكمتك يوم القيامة هو الله الذي قال: يَعْلمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [غافر:19-20].

وقال جل وعلا: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: 47-49].

قال تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: 7-8].

فالمقصود أن عمل ابن آدم كله محفوظ و مسطور في كتاب عند الله جل وعلا لا يضل ربي ولا ينسى واعلم علم اليقين أن ما نسيه الإنسان لا ينساه الرحمن. دع عنك ماقد فات في زمن الصِّبَا واذكر ذنوبك و ابكها يا مذنب لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ والروح منك وديعة أودعتها سترُدها بالرغم منك وتُسَلَّبُ و غرورُ دنياك التي تَسْعَى لها دارُ حقيقتها متاعٌ يذهبُ الليلُ فاعلم والنهارُ كلاهما أنفاسنا فيهما تُعَدُّ وَتُحَسَبُ

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ لَا تَزُرْ وَزَارَةَ وَزُرْ أُخْرَى قال تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَفْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزُرْ وَازِرَةً وَزُرْ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: 13-15].

وقال تعالى: أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى الْأُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى [النجم: 36-41].

فلا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، بل سيمر الولد يوم القيامة على والده فيقول له والده: أي بني أنا أبوك! اعطني حسنة من حسناتك فلقد كنت لك نِعَمَ الأب فيقول الابن لأبيه: نفسي! ويقول الابن لأمه: نفسي.

وكيف لا؟! وقد قال كل نبي من الأنبياء نفسي، نفسي، نفسي. إلا الحبيب المحبوب محمد .

القاعدة الثالثة: إعدار الله لخلقته:

إن الله سبحانه يعلم عمل العباد من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة، ومع ذلك من عظيم عدله وفضله وكرمه، أن يعرض على العباد أعمالهم يوم القيامة حتى لا يكون لأحد عذر بين يديه.

قال تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران: 30].

وقال سبحانه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ [التكوير: 14].

وقال سبحانه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ [الانفطار: 5].

القاعدة الرابعة: إقامة الشهود على العباد يوم القيامة:

وإن أعظم شهيد على العباد يوم القيامة هو الملك الذي يعلم السر وأخفى وعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا [النساء: 33]

ثم تأتي الرسل وتشهد على جميع الأمم ثم تأتي أمة الحبيب لتشهد على جميع الأمم، يشهد كل رسول على أمته وتأتي أمة المحبوب لتشهد على جميع الأمم ثم يأتي خير الأولين والآخرين ليشهد على الجميع.

الله أكبر!! الله أكبر!!

قال تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [البقرة: 143].

وقال الملك لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء: 41].

وفى صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي قال: ((يُدْعَى نوحُ يوم القيامة فيقال له: يا نوح، فيقول نوح: لبيك وسعديك. فيقول الله: هل بلغت قومك؟ فيقول نوح: نعم يا رب فيدعى قوم نوح ويقال لهم: هل بلغتكم نوح؟ فيقولون: لا ما أتانا من أحد. فيقول الله جل وعلا: من يشهد لك يا نوح؟ فيقول نوح: يشهد لي محمد وأمته، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: فتدعون فتشهدون له ثم أشهد عليكم فكذلك قول الله تعالى وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ([2]).

ثم تشهد الملائكة، قال تعالى: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ [ق: 21].

ثم تشهد الأرض بما عمل على ظهرها من طاعات وسيئات ففي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة أنه: ((قرأ يوماً قول الله: يومئذ تحدث أخبارها [الزلزلة: 4]). قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أخبارها أن تشهد الأرض على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها فتقول: يا رب لقد عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذا أخبارها))([3]).

فيجادل العبد اللئيم ربه الكريم ويقول يا رب أنا أرفض هذه الشهادة وأرفض هؤلاء الشهود ولا أقبل شاهداً إلا من نفسي.

كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أنس قال: كنا عند رسول الله فضحك، فقال: ((هل تدرون ممّ أضحك؟)) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: ((من مخاطبة العبد ربه، فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ يقول: بلى، فيقول: فإني لا أجزى اليوم على نفسي شاهداً إلا مني. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، والكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، ويقول لأركانها: انطقي بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعْدًا لَكِنَّ سَحَقًا، فعنك كنت أناضل))([4]).

قال تعالى: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يس: 65].

وقال جل وعلا: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ

عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ [فصلت: 19-24].

القاعدة الخامسة: مضاعفة الحسنات لأهل الإيمان:

مضاعفة الحسنات لأهل التوحيد والإيمان ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد: 21].

فإنه سبحانه وتعالى يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها.

قال تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الأنعام: 160].

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وحسن الحديث شيخنا الألباني من حديث أبي ذر الغفاري أن النبي قال: ((قال الله تعالى في الحديث القدسي: الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة واحدة أو أغفرها))([5]).

وفى الحديث الذي رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث ابن مسعود أن النبي : ((من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن (ألف) حرف (ولام) حرف (وميم) حرف))([6]).

تدبر معي أيها الحبيب الكريم بل قد يضاعف الله الحسنة إلى أكثر من سبعمائة ضعف فذلك قول الله تعالى: مَثَلُ الَّذِي يُنْفِقْ أَمْوَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [البقرة: 261]. وهناك من الأعمال ما لا يعلم ثوابها إلا الله.

قال تعالى في الحديث القدسي المخرج في الصحيحين: قال : ((قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))([7]).

ولك أن تتصور الجزاء من الواسع الكريم جل جلاله على الصبر.

قال الله فيه: إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [الزمر : 10]

القاعدة السادسة والأخيرة: تبديل السيئات حسنات:

إن الله تبارك وتعالى بمنه وكرمه على عباده المؤمنين يبذل سيئاتهم حسنات قال تعالى: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذْ فِيهِ مَهَاتًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الفرقان: 68 - 70].

وفى الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر أنه قال: حدثنا الصادق المصدوق فقال: ((إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها، فيقال له: عملت يوم كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه

((

وفى هذه الحالة الرهيبة من الرعب والفرع يقال له: ((إن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول العبد: ربي قد عملت أشياء لا أراها هاهنا))، قال أبو ذر فلقد رأيت النبي ضحك حتى بدت نواجذه (([8]).

هذا فضل الله جل وعلا على عباده المؤمنين.

أحبتني في الله: هذه هي القواعد التي يحاسب الله بها العبد يوم القيامة
ثانياً: العرض على الله وأخذ الكُتُب:

فقد سجل الله في قرآنه العظيم: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [ق:21-29].

وفى الصحيحين من حديث عائشة أنه قال: ((من نوقش الحساب يوم القيامة عُدب)) قالت عائشة: يا رسول الله أو ليس الله يقول: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق:7-8]

فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك))([9]).

فمن نوقش الحساب عذب.

سينادى عليك كما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم أنه قال: ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينة وبينه تُرْجُمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قَدَّمَ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة))([10]).

تتادى الملائكة أين فلان بن فلان؟!!

من؟! هذا هو اسمي.

فإذا تَبَيَّنَتْ أنك أنت المطلوب، قرع النداء قلبك فاصفر لونك وتغير وجهك وطار قلبك، وقد وُكِّت الملائكة بأخذك أمام الخلق أجمعين، على رؤوس الأشهاد، ويرفع الخلائق جميعاً أبصارهم إليك وأنت في طريقك للوقوف بين يدي الملك تتخطف الصفوف يا عبد الله.

وأسألك بالله أن تتصور هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلوب.

تتخطف صفوف الملائكة، صفوف الجن و صفوف الإنس، في أرض المحشر لترى نفسك واقفا بين يدي الحق جل جلاله ليكلّمك الله لتعطى صحيفتك!!

هذه الصحيفة التي لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسرتها، فكم من معصية قد كنت نسيتها؟! ذكرك الله إياها، وكم من معصية قد كنت أخفيتها؟! أظهرها الله لك وأبداها!!!

فيا حسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك، فإن كان العبد من أهل السعادة ممن رضي الله عنهم في الدنيا والآخرة - اللهم اجعلنا منهم بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين - أعطاه الله كتابه بيمينه وأظهر له في ظاهر الكتاب الحسنات، وفي

باطنه السيئات فيأمر العبد أن يبدأ فيقرأ السيئات فيصفر لونه ويتغير وجه وترتعد فرائصه.

فإذا ما أنهى قراءة السيئات وجد في آخر الكتاب، هذه سيئاتك قد غفرتها لك، فيتهلل وجهه ويسعد سعادة لا يشقى بل لن يشقى بعدها أبداً ويواصل القراءة حتى إذا ما وصل إلى آخر الكتاب قرأ الحسنات فازداد وجهه إشراقاً وازداد فرحاً وسروراً وقال له الملك جل جلاله: انطلق إلى أصحابك وإخوانك - أي من أهل التوحيد والإيمان - فبشرهم أن لهم مثل ما رأيت فينطلق وكتابه بيمينه والنور يشرق من وجهه ومن أعضائه يقول لأصحابه وخلّائه: ألا تعرفونني؟! فيقولون: من أنت لقد غمرتك كرامة الله؟! فيقول: أنا فلان بن فلان انظروا هذا كتابي بيميني اقرأوا كتابيه اقرأوا هذا الكتاب معي، شاركوني الفرحة والسعادة، انظروا هذا توحيدي وهذه صلاتي، وهذه زكاتي، وهذه صدقتي، وهذا حجي، وهذا قيامي الليل، وهذا إحساني، وهذا برى بوالدي، وهذا إحساني للأهل والجيران، وهذا أمري بالمعروف، وهذا نهبي عن المنكر، وهذا بعدي عن الغيبة والنميمة، وهذا بعدي عن ظلم العباد: فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ مِنِّي كِتَابِيهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة: 19-24].

أما إذا كان من أهل الشقاوة - أعادنا الله وإياكم من ذلك - ممن غضب الله عليهم في الدنيا والآخرة، ينادى عليه أين فلان بن فلان؟! وسبحان الله! من لا تختلف عليه الأصوات ولا تشتبه عليه اللغات ولا تشتبه عليه الأسماء والصفات. أين فلان بن فلان؟! مَنْ.. هذا هو اسمي ماذا تريدون يا ملائكة الله؟! هلم إلى العرض على الله جل وعلا فيتخطى الصفوف ليرى نفسه بين يدي الله فيعطى كتابه بشماله أو من وراء ظهره.

فيقرأ فيسود وجهه ثم يكسى من سراويل القطران ويقال له: انطلق إلى من هم على شاكلتك فبشرهم أن لهم مثل ما رأيت، فينطلق في أرض المحشر وقد اسود وجهه وعلاه الخزي، والذل والعار، وكتابه بشماله أو من وراء ظهره فينطلق فيقول لخلّائه ومن هم على شاكلته: ألا تعرفونني؟! فيقولون لا إلا أننا نرى ما بك من الخزي والذل فمن أنت؟!!

فيقول: أنا فلان بن فلان وهذا كتابي بشمالي ولكل واحد منكم مثل هذا، فلقد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

يصرخ بأعلى صوته ويقول: وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهِ يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ خُدُوهُ فَعُلُوهُ نَمَّ لَجْجِيمَ صَلْوَهُ نَمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحْضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَئِمَّ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ [الحاقة: 25-37].

ولله در القائل:

مَثَلٌ وَقَوْفِكَ يَوْمَ الْعَرْضِ عُرْيَانَا مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الْأَحْشَاءُ حَيْرَانَا
وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنْقٍ عَلَى الْعَصَا وَرَبُّ الْعَرْشِ غَضْبَانَا

اقرأ كتابك يا عبدُ على مهلٍ فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كاناً
فلما قرأتَ ولم تنكر قراءتَهُ إقرارَ من عرَفَ الأشياءَ عرفاناً
نادى الجليل خذوهُ يا ملائكتي وامضوا بعبيدِ عصَى للنار عطشاناً
المشركون غداً في النار يَلْتَهَبُوا والمؤمنون بدار الخلدِ سَكَّاناً
وأخيراً: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.
وأرجئ الحديث إلى ما بعد جلسة الاستراحة.
وأقول قولِي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم..
الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه. اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله
وأصحابه وأتباعه وأحبابه وكل من اقتفى أثره إلى يوم الدين...
أما بعد:

ثالثاً: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا:

أيها الأحبة الكرام: هذه صورة مصغرة على قدر جهلي أقدمها لحضراتكم عن
الحساب، ولك أن تعيش بقلبك وكيانك كله هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلوب، فإنه لا
ينأثر بموعظة ولا يستجيب لأية أو حديث إلا من كان له قلب.
قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق:37].
أيها الأخ الكريم حاسب نفسك قبل أن تحاسب بين يدي مولاك يوم لا ينفع الندم ولا
التحسر.

روى الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:
"أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض
الأكبر يوم لا تخفى منكم خافية فإنما يخف الحساب يوم القيامة عن حاسب نفسه في
الدنيا" فحاسب نفسك واعلم بأن النفس أمارة بالسوء ولقد فصلت ذلك في خطبة
كاملة.

لقد وصف الله النفس في القرآن بثلاث صفات ألا وهي: المطمئنة واللّوامة والأمارة
بالسوء.

المطمئنة: هي التي اطمأنت إلى الرضا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً
هي التي اطمأنت إلى وعد الله ووعيده.

هي التي اطمأنت إلى ذكر الله وعبوديته.
هي التي تشتاق دوماً للقاء الله سبحانه.

اللّوامة: هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر.

تلوم صاحبها على الخير فنقول: لماذا لم تكثر منه!!

وتلوم صاحبها على الشر فنقول: لماذا وقعت فيه!! لماذا تسوف التوبة!! لماذا

تتأخر عن الصلاة في بيوت الله!! إلى متى وأنت على هذا الضلال والبدع!!

تلوم صاحبها على الخير والشر معاً.

أما النفس الأمارة بالسوء: فهي التي تريد أن تخرجك من طريق الهداية إلى الغواية، من طريق النعيم إلى طريق الجحيم، من طريق السنة إلى طريق البدعة. من طريق الحلال إلى طريق الحرام.

حيث قال تعالى: وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ [يوسف: 53].

فهذه النفس إن لم تشغلها بطاعة الله شغلتك بالمعصية، وإن لم تلجمها بلجام التقوى شغلتك بالباطل، فالنفس كالطفل إن فطمت الطفل عن ثدي أمه انطم، كذلك النفس إن فطمتها عن معصية الله وأجمتها بلجام الطاعة والتقوى انقادت.

فإن زلت نفسك لبشريتك ولضعفك فلست ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ فسرعان ما يدفعك إيمانك وعلمك بنفسك الأمارة إلى التوبة والأوبة والعودة إلى الله جل جلاله، وأنت على كل حال من الأحوال على طريق طاعة الكبير المتعال، وسيد الرجال محمد .

فحاسب نفسك الآن أيها الحبيب قبل أي عمل وبعد أي عمل صغر أم كبر قبل العمل: اسأل النفس: لماذا أذهب؟ لماذا سأتكلم؟ لماذا أصمت؟ لماذا أحب؟ لماذا أبغض؟ لماذا أدخل؟ لماذا أخرج؟

وبعد العمل: هل كان العمل خالصاً لوجه الله؟! هل كان العمل موافقاً لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ العمل لا بد أن يتحقق فيه شرطان. الشرط الأول: الإخلاص والشرط الثاني: أن يكون العمل على هدي النبي محمد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه: إن دين الله الذي هو الإسلام مبنى على أصليين. الأول: أن تعبد الله وحده لا شريك له، والأصل الثاني: أن يعبد بما شرعه على لسان رسوله وهذان الأصلان الكبيران هما حقيقة قولنا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله .

أيها المسلم إن كنت تريد حساباً يسيراً فحاسب نفسك محاسبة الشريك الشحيح فقد قال ميمون بن مهران: "لا يبلغ العبد درجة التقوى إلا إذا حاسب نفسه محاسبة الشريك الشحيح".

إياك إياك أن تغتر بطاعة، إياك إياك أن تغتر بعلم، كن دائماً على وِجَلٍ فإن العبرة بالخواتيم.

فاسمع إلى من أضاءوا الدنيا بعلمهم وزهدهم وورعهم. هذه الصديقة بنت الصديق عائشة الطاهرة المبرأة من السماء، يسألها أحد المسلمين عن قول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله [فاطر: 32].

ما معناها يا أمه؟ قالت الصديقة: يا بني أما السابق بالخيرات فقوم سبقوا مع رسول الله وشهد لهم بالجنة، وأما المقتصد فقوم صاروا على دربه وماتوا على ذلك، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك.

يا سبحان الله. عائشة تقول ذلك!! ونحن نقول ومن منا لا يدخل الجنة وإن لم ندخلها نحن فمن يدخلها!!

عائشة لا تغتر بنسبها ولا بزواجها من النبي وهي التي بشرها النبي بالجنة، فهي تعرف حق المعرفة للنفس قدرها وخطرها.

و هاهو فاروق الأمة الذي حاكى أخلاق النبوة في إمارته. عمر الفاروق ينام على فراش الموت بعدما طعن فيدخل عليه ابن عباس فيثنى عليه الخير كله. فيقول عمر: والله إن المغرور من غررتموه وددت أن أخرج اليوم من الدنيا كفافاً لا لي ولا علي، والله لو أن لي ملاً الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

وهذا هو معاذ بن جبل حبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال له رسول الله والله إني أحبك يا معاذ!! لقد نام على فراش الموت بعد ما أصيب بطاعون الشام فقال لأصحابه: انظروا هل أصبح الصباح؟ هل أصبح الصباح؟ ثم بكى معاذ وقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار.

وهذا هو سفيان الثوري إمام الورع والحديث ينام على فراش الموت فيدخل عليه حماد بن سلمة فيقول له: أبشر يا أبا عبد الله، إنك مُقْبِلٌ على من كنت ترجوه، وهو أرحم الراحمين.

فبكى سفيان وقال: أسألك بالله يا حماد أتظن أن مثلي ينجو من النار؟! فيا أيها المسلم لا تغتر بعلم ولا تغتر بعمل وكن دائماً على وجل. كما كان رسول الله وهو النبي الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فحاسب نفسك قبل أي عمل وبعد أي عمل، وحاسب نفسك على كل معصية، وحاسب نفسك على كل تقصير، وحاسب نفسك على كل تفريط.

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: يا أبا حازم مالنا نحب الدنيا ونكره الآخرة؟ فقال أبو حازم: لأنكم عمَّرتُم دنياكم وخرَّبتُم أخراكم وأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

فقال سليمان: فما لنا عند الله يا أبا حازم؟

قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله لتعلم مالك عند الله.

فقال سليمان: وأين أجد ذلك في كتاب الله؟

قال أبو حازم: عند قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار: 13-14].

قال سليمان: أين رحمة الله؟

فقال أبو حازم: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف: 56].

قال فكيف القدوم على الله غداً؟ قال أبو حازم: أما العبد المحسن فكالغائب يرجع إلى أهله وأما المسيء فكالعبد الأبق يرجع إلى مولاه.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[1] رواه مسلم رقم (2577) في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (2497) في صفة القيامة.

[2] رواه البخاري رقم (4487) في التفسير، باب قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، والترمذي رقم

(2965) في التفسير، باب ومن سورة البقرة.

- [3] رواه الترمذى رقم (3350) فى التفسير ، باب ومن سورة إذا زلزلت .
- [4] رواه مسلم رقم (2969) فى الزهد .
- [5] رواه مسلم رقم (2687) كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء وابن ماجة رقم (3821) فى الأدب وهو فى المسند رقم (21212) واللفظ له .
- [6] رواه الترمذى رقم (2912) فى ثواب القرآن ، باب ماجاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر وصححه شيخنا الألبانى فى المشكاة (2137) وهو فى صحيح الجامع برقم (6469) .
- [7] رواه البخارى رقم (1894) فى الصوم ، باب فضل الصوم ، ومسلم رقم (1151) فى الصيام ، باب حفظ اللسان ، وباب فضل الصيام ، والموطأ (310/1) فى الصيام ، وأبو داود رقم (2363) فى الصوم ، والترمذى رقم (764) فى الصوم ، والنسائى (162،165/4) فى الصوم .
- [8] رواه مسلم رقم (190) فى الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذى رقم (2599) فى صفة الجنة ، باب رقم (10) .
- [9] رواه البخارى رقم (103) فى العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، ومسلم رقم (2876) فى الجنة باب اثبات الحساب ، وأبو داود رقم (3093) فى الجنائز ، باب عبادة النساء ، والترمذى رقم (2428) فى صفة القيامة ، باب من نوقش الحساب عذب 0
- [10] رواه البخارى رقم (7512) فى التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل ومسلم رقم (1016) فى الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ، والترمذى رقم (2427) فى صفة القيامة .

الأخوة فى الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً.

حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبیین فى جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير
أحبتى فى الله ...

إننا اليوم على موعد مع موضوع من الأهمية القصوى بمكان وهو بعنوان ((الأخوة فى الله)) وكما تعودنا دائماً سوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان الرقيق فى العناصر التالية:-

أولاً: حقيقة الأخوة فى الله.

ثانياً: حقوق الأخوة.

ثالثاً: الطريق إلى الأخوة.

فاسمحوا لى أن أقول: أعرونى القلوب والأسماع والوجدان، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم ألوا الألباب. أولاً: حقيقة الأخوة.

أحبتى فى الله:

لقد أصبحت الأمة اليوم كما تعلمون غشاء كغشاء السيل، لقد تمزق شملها ونشتت صفها، وطمع فى الأمة الضعيف قبل القوى، والذليل قبل العزيز، والقاصى قبل الدانى، وأصبحت الأمة قصعة مستباحة كما ترون لأحقر وأخزى وأذل أمم الأرض من إخوان القردة والخنازير، والسبب الرئيس أن العالم الآن لا يحترم إلا الأقوياء، والأمة أصبحت ضعيفة، لأن الفرقة قرينة للضعف، والخذلان، والضياع، والقوة ثمرة طيبة من ثمار الألفة والوحدة والمحبة، فما ضعفت الأمة بهذه الصورة المهينة المخزية إلا يوم أن غاب عنها أصل وحدتها وقوتها ألا وهو ((الأخوة فى الله)) بالمعنى الذى جاء به رسول الله فمحال محال أن تتحقق الأخوة بمعناها الحقيقى إلا على عقيدة التوحيد بصفاتها وشمولها وكمالها، كما حولت هذه الأخوة الجماعة المسلمة الأولى من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم، يوم أن تحولت هذه الأخوة التى بنيت على العقيدة بشمولها وكمالها إلى واقع عملى ومنهج حياة، تجلى هذا الواقع المشرق المضىء المنير يوم أن آخى النبى صلى الله عليه وسلم ابتداءً بين الموحدىن فى مكة، على الرغم من اختلاف ألوانهم وأشكالهم، وأسنتهم وأوطانهم، آخى بين حمزة القرشى وسلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى وأبى ذر الغفارى، وراح هؤلاء القوم يهتفون بهذه الأنشودة العذبة الحلوة.

أبى الإسلام لا أب لى سواها إذا افتخروا بقبس أو تميم

راحوا يرددون جميعاً بلسان رجل واحد قول الله عز وجل:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الحجرات: 10].
هذه هى المرحلة الأولى من مراحل الإخاء.

ثم آخى النبى صلى الله عليه وسلم - ثانياً - بين أهل المدينة من الأوس والخزرج، بعد حروب دامية طويلة، وصراع مر مرير، دمر فيه الأخضر واليابس!!

ثم آخى رسول الله بين أهل مكة من المهاجرىن وبين أهل المدينة من الأنصار، فى مهرجان حُبِّ لم ولن تعرف البشرية له مثيلاً، تصافحت فيه القلوب، وامتزجت فيه الأرواح، حتى جسد هذا الإخاء هذا المشهد الرائع الذى جاء فى الصحيحىن من حديث أنس بن مالك قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً، سأقسم مالى بينى وبينك شطرىن، ولى امرأتان فانظر أعجبهما

إليك، فأطلقها حتى إذا حَلَّتْ تزوجتْها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك. دلوني على السوق، فلم يرجع يومئذٍ حتى أستفضلَ شيئاً من سَمْنٍ وأقِطٍ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله وعليه وَضْرٌ من صُفْرَةٍ فقال له رسول الله ((مَهَيْمٌ؟)) قال: تزوجتُ امرأةً من الأنصار قال: ((ما سقت إليها؟)) قال: وزن نواة من ذهب أو نواة من ذهب فقال: ((أولم ولو بشاة)) ([1]) وقد نتحسر الآن على زمن سعد بن الربيع ونقول أين سعد بن الربيع الذي أراد أن يشاطر أخاه ماله وزوجه!!؟ والجواب: ضاع. وذهب يوم أن ذهب عبد الرحمن بن عوف. فإذا كان السؤال: من الآن الذى يعطى عطاء سعد؟! فإن الجواب: وأين الآن من يتعفف بعفة عبد الرحمن بن عوف!!؟

لقد ذهب رجل إلى أحد السلف فقال: أين الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وَعَلَانِيَةً [البقرة: 274] فقال له: ذهبوا مع من لا يسألون النَّاسَ إِحْافًا [البقرة: 273].

هذا مشهد من مشاهد الإخاء الحقيقى بمعتقد التوحيد الصافى بشموله وكماله، والله لولا أن الحديث فى أعلى درجات الصحة لقلت إن هذا المشهد من مشاهد الرؤيا الحالمة.

هذه هى الأخوة الصادقة، وهذه هى حقيقتها، فإن الأخوة فى الله لا تبنى إلا على أوامر العقيدة وأوامر الإيمان وأوامر الحب فى الله، تلكم الأوامر التى لا تنفك عراها أبداً.

الأخوة فى الله نعمة جمة من الله، وفضل فيض من الله يغدقها على المؤمنين الصادقين، الأخوة شراب طهور يسقيه الله للمؤمنين الأصفياء والأزكياء. لذا فإن الأخوة فى الله قرينة الإيمان لا تنفك عنه، ولا ينفك الإيمان عنها فإن وجدت أخوة من غير إيمان، فاعلم يقيناً أنها التقاء مصالح، وتبادل منافع، وإن رأيت إيمان بدون أخوة صادقة فاعلم يقيناً أنه إيمان ناقص يحتاج صاحبه إلى دواء وعلاج لمرض فيه، لذا جمع الله بين الإيمان والأخوة فى آية جامعة فقال سبحانه إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات: 10].

المؤمنون جميعاً كأنهم روح واحدة حل فى أجسام متعددة كأنهم أغصان متشابهة تنبتق كلها من دوحة واحدة، بالله عليكم أين هذه المعانى الآن!!؟ ولذلك لو تحدثت الآن عن مشهد كهذا الذى ذكر أنفا ربما استغرب أهل الإسلام هذه الكلمات، وظنوها كما قلت من الخيالات الجميلة والرؤيا الحالمة لأن حقيقة الأخوة قد ضاعت الآن بين المسلمين، وإن واقع المسلمين اليوم ليؤكد هذا الواقع الأليم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فلم تعد الأخوة إلا مجرد كلمات جوفاء باهتة باردة لا حرارة فيها إلا من رحم الله.

فإن الأخوة الموصلة بحبل الله المتين نعمة امتن بها ربنا جل وعلا على المسلمين الأوائل فقال سبحانه:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران: 102-103].

فالأخوة نعمة من الله امتن بها الله على المؤمنين وقال تعالى: فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ وَقَالَ تَعَالَى: وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال: 63].
ثانيا: حقوق الأخوة في الله.

الحق الأول: الحب في الله والبغض في الله.

ففي الحديث الذي رواه أبو داود والضياء المقدسي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أنه قال ((من أحبَّ لله، وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان))([2]).

في الصحيحين من حديث أنس أنه قال: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))([3]).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصبٍ وجمال، فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه))([4]). هل فكرت في هذا الحديث النبوي الشريف !! يوم تدنو الشمس من الرؤوس، والزحام وحده يكاد يخنق الأنفاس، فالبشرية كلها - من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة - في أرض المحشر، وجهنم تزفر و تزمجر، قد أتى بها ((لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها))([5]) في ظل هذه المشاهد التي تخلع القلب، ينادى الله عز وجل على سبعة ليظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله - سبحانه وتعالى - ضمن هؤلاء السبعة السعداء: رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، يالها ورب الكعبة من كرامة!!

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته، ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ فقال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا. غير أنى أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه))([6]).

وفي موطأ مالك وأحمد في مسنده بسند صحيح، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي أن أبا إدريس الخولاني رحمه الله قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى شابٌ براق الثنايا والناس حوله فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن قوله و رأيه. فسألت عنه؟ فقيل: هذا معاذ بن جبل فلما كان الغد هجرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، فانتظرت حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه. ثم قلت: والله إنى لأحبك في الله، فقال: الله؟ فقلت: الله. فقال: الله؟ فقلت: الله. فقال: الله؟ فقلت: الله. قال: فأخذ بحبوة ردائي، فجبذني إليه، وقال: أبشر، فإني سمعت رسول

يقول: ((قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتبادلين فيّ)) ([7])

وفى الحديث الذى رواه مسلم وأبو داود أنه قال: ((والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)) ([8]).

فسلم على أخيك بصدق وحرارة، لا تسلم سلاماً باهتاً بارداً لا حرارة فيه. إننا كثيراً لا نشعر بحرارة السلام واللقاء ولا بإخلاص المصافحة. لا نشعر أن القلب قد صافح القلب

ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال عليه الصلاة والسلام: ((الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فخيرهم فى الإسلام خيارهم فى الجاهلية إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)) ([9]).

قال الخطابى: فالخير يحنو إلى الأخيار والشرير يحنو إلى الأشرار هذا هو معنى ما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تنافر وتناكر من الأرواح اختلف، لذا لا يحب المؤمن إلا من هو على شاكلته من أهل الإيمان والإخلاص، ولا يبغض المؤمن إلا منافق خبيث القلب، قال الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا [مريم: 96].

أى يجعل الله محبته فى قلوب عباده المؤمنين، وهذه لا ينالها مؤمن على ظهر الأرض إلا إذا أحبه الله ابتداءً. كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً، فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم يُنادى فى السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء. قال ثم يوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه فقال: فيبغضه جبريل ثم يُنادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثم توضع له البغضاء فى الأرض)) ([10]).

أيها الأحباب الكرام: المرء يوم القيامة يحشر مع من يحب، فإن كنت تحب الأخيار الأطهار ابتداءً من نبيك المختار وصحابته الأبرار والتابعين الأخيار، وانتهاء بإخوانك الطيبين فإنك ستحشر معهم إذا شاء رب العالمين، وإن كنت تحب الخبيث و الخبائث وأهل الفجور واللغو واللعب كنت من الخاسرين فتحشر معهم إذا شاء رب العالمين.

ففى الصحيحين من حديث أنس بن مالك: ((أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة. فقال: يا رسول الله متى الساعة. قال: ((وما أعددت لها؟)). قال: لا شيء، إلا أنى أحب الله ورسوله. فقال: ((أنت مع من أحببت)) قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبى: ((أنت مع من أحببت)). قال أنس فأنا أحب النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم وإن لم أعمل بعملهم)) ([11]).

نحن نشهد الله أننا نحب رسول الله وأبا بكر، وعمر، وعثمان وعليّ وجميع أصحاب الحبيب النبى، وكل التابعين لنهجه وضربه المنير، ونتضرع إلى الله بفضله لا بأعمالنا أن يحشرنا معهم جميعاً بمنه وكرمه، وهو أرحم الراحمين.

ولله در القائل:

أتحب أعداء الحبيب وتدعى حياً له، ما ذاك في الإمكان
وكذا تعادى جاهداً أحبابه أين المحبة يا أبا الشيطان
إن المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا نقصان
فلئن ادعيت له المحبة مع خلاف ما يحب فأنت ذو بهتان
لو صدقت الله فيما زعمته لعاديت من بالله ويحك يكفر
وواليت أهل الحق سراً وجهرة ولما تعاديهم وللکفر تنصر
فما كل من قد قال ما قلت مسلم ولكن بأشراط هناك تذكر
مباينة الكفار في كل موطن بذا جاءنا النص الصحيح المقرر
وتخضع بالتوحيد بين ظهورهم تدعوهم لذلك وتجهر

من السنة إذا أحب الرجل أخاه أن يخبره كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود
من حديث المقدم بن معد يكرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أحب
الرجل أخاه فيلخبره أنه يحبه)) ([12]).

وفي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أنس: أن رجلاً كان عند النبي فمر به
رجل فقال: يا رسول الله! إنى لأحب هذا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:
((أعلمته؟)) قال: لا. قال: ((أعلمه)) قال: فلحقه، فقال: إنى أحبك في الله. فقال: أحبك
الذي أحببتني له ([13]).

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد وغيرهما من حديث معاذ بن جبل أن النبي
أخذ بيده وقال: ((يا معاذ والله إنى لأحبك))
فقال معاذ: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فوالله إنى لأحبك. فقال: ((أوصيك يا معاذ
في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك
)) ([14]).

وامتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الكريم، فإنى أشهد الله أنى أحبكم جميعاً في
الله، وأسأل الله أن يجمعنى مع المتحابين بجلاله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله،
إنه ولى ذلك والقادر عليه.
أقول قولى هذا، و أستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد ألا إله
إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله اللهم صل وسلم وزد وبارك
عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته
واقتنى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد أيها الأحبة الكرام.

الحق الثانى: أن لا يحمل الأخ لأخيه غلاً ولا حسداً ولا حقداً.
أحبتى في الله:

المؤمن سليم الصدر، طاهر النفس، نقى، تقى القلب، رقيق المشاعر رقيق
العواطف، فالمؤمن ينام على فراشه آخر الليل - يشهد الله فى عليائه - أنه لا يحمل

ذرة حقد، أو غل، أو حسد لمسلم على وجه الأرض البتة ، والنبي يقول كما فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك : ((لا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تنافسوا، وكونوا عباد الله إخوانا))([1]).

إن الحقد والحسد من أخطر أمراض القلوب والعياذ بالله، فيرى الأخ أخاه فى نعمة، فيحقد عليه ويحسده، ونسى هذا الجاهل ابتداءً أنه لم يرض عن الله الذى قسم الأرزاق، فليثق الله وليعد إلى الله سبحانه وتعالى، وليسأل الله الذى وهب وأعطى أن يهبه ويعطيه من فضله، وعظيم عطائه، ويردد مع هؤلاء الصادقين: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [الحشر: 10].

وردد مع هؤلاء بصفاء، وصدق، وعمل، فقد قال الله فيهم: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: 9].

ففى مسند أحمد بسند جيد من حديث أنس قال كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة)) فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه فى يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لا حيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤينى إليك حتى تمضى فعلت؟ قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار - أى انتبه فى الليل - وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله غير أنى لم أسمع يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليالٍ وكدت أن احتقر عمله، قلت يا عبد الله إني لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات: ((يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة)) فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن أوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدى بك، فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قال: ما هى إلا ما رأيت. قال: فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التى بلغت بك، وهى التى لا نطيق. ([2])

إن سلامة الصدر من الغل والحسد بلغت بهذا الرجل أن يشهد له رسول الله بالجنة، وهو فى الدنيا. يا لها من كرامة.

الحق الثالث: طهارة القلب والنفس.

إن من حقوق الأخوة فى الله أنك إن لم تستطع أن تنفع أخاك بمالك فلتكف عنه لسانك، وهذا أضعف الإيمان، فإن تركنا الألسنة تلقى التهم جزافاً دون بينة أو دليل، وتركنا

المجال فسيحاً لكل إنسان أن يقول ما شاء فى أى وقت شاء، فإنما ينتشر بذلك الفساد والحسد، والبغضاء، فإن اللسان من أخطر جوارح هذا الجسم، قال الله جل وعلا : مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: 18].

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [النور: 19].

وقال جل فى علاه: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ [النور: 23-25].

تورع عن إخوانك، أمسك عليك لسانك، واتق الله، فوالله ما من كلمة إلا وهى مسطرة عليك فى كتاب عند الله لا يضل ربي ولا ينسى.

ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة أنه قال : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))([3]).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى قال:قلت: ((يا رسول الله أى المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده))([4]).

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة واللفظ للبخارى أنه قال : ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، فيرفعه الله بها فى الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، فيهوى بها فى جهنم))([5]).

وفى حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربا الربا استطالة الرجل فى عِرْضِ أخيه))([6]).

وأختم هذه الطائفة النبوية الكريمة بهذا الحديث الذى يكاد يخلع القلب والحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده، وأبو داود فى سننه من حديث يحيى بن راشد قال : ((من قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال))([7]). وردغة

الخبال: عصارة أهل النار، والرْدِغَةُ – بفتح الدال وسكونها- الماء والطين.

والله لو نحمل فى قلوبنا ذرة إيمان ونسمع حديث من هذه الأحاديث للجم الإنسان لسانه بألف لجام قبل أن يتكلم كلمة، ولكن لا أقول ضعف إيمان، بل إنا لله وإنا إليه

راجعون.

الحق الرابع: الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك.

واسمع إلى هذا الحديث الذى تتلأأ منه أنوار النبوة: عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أن رجلاً جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول! أى الناس أحب

إلى الله؟ وأى الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور يدخله

على مسلم، أو يكشف عنه كربه، أو يقضى عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى فى حاجة أخى المسلم أحب إلى من أن اعتكف فى المسجد شهراً - يعنى:

مسجد المدينة -، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى

حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله قدمه يوم تَزَلُّ الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل))([8]).

فمن حق المسلم على المسلم إن استطاع أن يعينه في أمر من أمور الدنيا أن لا يبخل عليه، فأنت يا مسلم لنن مشيت في حاجة أخيك المسلم أفضل عند الله تعالى من أن تعتكف في المسجد شهراً وثبت الله قدمك يوم تزل الأقدام.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((من نَفَسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...))([9]).

فيا أخى المسلم، يا مَنْ منَّ الله عليك بمنصبٍ أو جاه. إن استطعت أن تنفع إخوانك فافعل ولا تبخل، وبالمقابل يجب على المسلمين، أن لا يكلفوا إخوانهم بما لا يطيقون، وإن كلفوهم فعجزوا فليعذروهم قال تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة: 286].

وما أجمل أن يقول الأخ لأخيه: أسأل الله أن يجعلك مفتاح خير، وهذه حاجتى إليك، فإن قضيتها حمدت الله، ثم شكرتك، وإن لم تقضها لى حمدت الله ثم عذرتك، هذه هى الأخوة.

الحق الخامس: بذل النصيحة بصدق وأمانة.

ففى صحيح مسلم من حديث تميم الدارى أن رسول الله قال: ((الدين النصيحة)) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))([10]).
لكن أتمنى من الله أن يعي إخوانى الضوابط الشرعية للنصيحة.
قال الشافعى: من نصح أخاه بين الناس فقد شأنه، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه.

الناصح الصادق: رقيق القلب، نقى السريرة، مخلص النية، يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإن رأى أخاه فى عيب دنا منه بحنان، وتمنى أن لو ستره بجوارحه لا بملابسه، ثم قال له حبيبي فى الله. ثم يبين له النصيحة بأدب ورحمة، وتواضع، فلنشعر أخاك وأنت تنصحه: بحبك له، وتواضعك وخفض جناحك له، فقد سطر الله فى كتابه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... [الفتح: 29].

جلس رجل فى مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المسلمين، فقال له عبد الله بن المبارك: يا أخى هل غزوت الروم؟! قال: لا. قال: هل غزوت فارس؟! قال: لا. فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!
والذى بُذِلَ له النصيحة عليه أن يحسن الظن بأخيه الناصح ولا تأخذه العزة بالإثم، وأن يتقبلها منه بلطف، وأدب، وتواضع، وحب، ويشكره عليها، ويدعو له بظاهر الغيب.

ورحم الله من قال: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبى.

الحق السادس: التناصر

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف تنصره ظالماً؟ فقال: ((تأخذ فوق يديه))([11]).

انصر أخاك في كل الأحوال، إن كان ظالماً خذ بيده عن الظلم، وإن كان مظلوماً وأنت تملك أن تنصره انصره، ولو بكلمة، وإن عجزت فبقلبك، وهذا أضعف الإيمان. الحق السابع: أن تستر عيب أخيك المسلم وتغفر له زلاته: وهذا من أعظم الحقوق: فالأخ ليس مَلَكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، فإن زل الأخ في هفوة فهو بشر، فاستر عليه

قال العلماء: الناس صنفان. صنف اشتهر بين الناس بالصلاح والبعد عن المعاصي، فإن زل ووقع وسقط في هفوة من الهفوات على المسلمين أن يستروا عليه، ولا يتبعوا عوراته.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي برزة الأسلمي أنه قال: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولما يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه في بيته))([12]).

نسأل الله أن يسترنا وإياكم بستره الجميل. والصنف الثاني من الناس: يبارز الله بالمعاصي ويظهر بها، ولا يستحي من الخالق، ولا من الخلق، فهذا فاجر، فاسق، لا غيبة له. وأخيراً: الطريق إلى الأخوة.

وأنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن الطريق قد وضع في ثنايا المحاضرة، ولكنني أجمل هذا الطريق في خطوتين اثنتين لا تالفة لهما. أما الخطوة الأولى: العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا فلنعد إلى هذه الأخلاق السامية التي ينفرد بها الدين الإسلامي لتعود لنا الأخوة الصادقة في الله، تعود الأخوة الحقيقية. لتلتئم الصفوف، وتضم الجراح، وتلتقى الأمة على قلب رجل واحد.

فوالله ثم والله لا أفة، ولا عزة، ولا نصرة، ولا تمكين، إلا بالعودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين، وإن شئت فقل العودة الصادقة إلى أخلاق سيد المرسلين، فلقد لخصت عائشة رضي الله عنها أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في كلمات قليلة ولكنها عظيمة فقالت: ((كان خلقه القرآن))([13]) نعم والله إنه كان قرأناً يمشي على الأرض في دنيا الناس.

أيها الأحبة: قد يكون من اليسير جداً - كما أقرر دائماً - تقديم منهج نظري في التربية والأخلاق، بل إن المنهج هذا موجود بالفعل وسَطَّر في بطون الكتب والمجلات، ولكن هذا المنهج لا يساوي قيمة الخبر الذي كتب به، إن لم يتحول في حياة الأمة مرة أخرى إلى واقع عملي وإلى منهج حياة فإن البون شاسع بين منهجنا المنير المضيء ووقعنا المر المرير الأليم.

الخطوة الثانية: نتحرك لدعوة المسلمين إلى هذه الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة.

بعد أن نحول هذه الأخلاق النظرية إلى واقع عملي منير مضيء في حياتنا يجب علينا بعد ذلك أن نتحرك لدعوة المسلمين إلى هذه الأخلاق بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة، والكلمة الرقيقة الرقراقة، والرفق والحلم، فهذا هو مقام دعوة الناس إلى الله في كل زمان ومكان قال الله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل: 125].

وقال تعالى: وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضْتُمَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ [آل عمران: 159].

أسأل الله أن يربط قلوبنا برباط وثيق ورباط الحب في الله، حتى نعود مرة أخرى إلى عزتنا وكرامتنا وسيادتتنا وتحقق السنن الربانية فينا بحوله ومدده إنه ولي ذلك والقادر عليه.

1- رواه البخاري رقم (3781) فى مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار ، ومسلم رقم (1427) فى النكاح ، باب الصداق ، وجواز كونه تعليم القرآن وخاتم حديد ، والموطأ (2 / 545) فى النكاح ، وأبو داود رقم (2109) ، والترمذي رقم (1094) ، والنسائي (6 / 119 ، 120) .

([2]) رواه أبو داود رقم (4681) فى السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ، وأخرجه أيضاً أحمد فى المسند (3 / 438) ، وهو فى صحيح الجامع (5965) .

([3]) رواه البخاري رقم (16) فى الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، ومسلم رقم (43) فى الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

([4]) رواه البخاري (1423) فى الزكاة ، باب الصدقة باليمين ومسلم (1031) فى الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ، والموطأ (2 / 952) فى الشعر ، باب ما جاء فى المتحابين فى الله ، والترمذي رقم (2392) فى الزهد ، والنسائي (8 / 222) ، (223) فى القضاء .

([5]) رواه مسلم رقم (2842) فى صفة الجنة ، باب فى شدة حر نار جهنم ، والترمذي رقم (2576) فى صفة جهنم ، باب ما جاء فى صفة جهنم .

([6]) رواه مسلم رقم (2567) فى البر و الصلة ، باب فضل الحب فى الله ، وأخرجه أحمد فى المسند رقم (408 – 2 / 463)

([7]) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ (2 / 953 ، 954) فى الشعر ، باب ما جاء فى المتحابين فى الله وأحمد فى المسند (5 / 229) وإسناده صحيح وصححه الحاكم

(4 / 168 ، 169) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وابن حبان فى صحيحه (2510 موارد) وقال ابن عبد البر : هذا إسناد صحيح

([8]) رواه مسلم رقم (54) فى الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمن من الإيمان ، وأبو داود رقم (5193) فى الأدب ، باب فى إفشاء السلام والترمذي رقم (3689) فى الاستئذان .

([9]) رواه مسلم رقم (2638) فى البر والصلة ، باب الأرواح جنود مجندة ، وأبو داود رقم (4834) فى الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس. وهو فى صحيح الجامع (6797) .

[10] رواه البخاري رقم (3209) في بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ، ومسلم (2637) في البر والصلة ، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عبادة ومالك في أو الموطأ (953 /2) في الشعر ، والترمذي رقم (3160) في التفسير .
[11] رواه البخاري رقم (3688) في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، ومسلم رقم (2639) في البر والصلة ، باب المرء مع من أحب ، وأبو داود رقم (5127 في الأدب ، والترمذي رقم (1386) في الزهد .

[12] رواه أبو داود (5124) في الأدب ، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إليه ، والترمذي رقم (2393) في الزهد ، باب ما جاء في إعلام الحب وصحة الألباني في صحيح الجامع (279)

[13] رواه أبو داود رقم (5125) في الأدب ، باب إخبار الرجل بمحبته إليه ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (4274) .

(13) رواه أبو داود رقم (1522) في الصلاة ، باب الاستغفار ، والنسائي (53/3) في السهو باب نوع آخر من الدعاء ، والحاكم في المستدرک (273-274 /3) ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووفقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (7969) .

[1] رواه البخاري رقم (6065) في الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، ومسلم (2563) في البر والصلة ، باب تحريم الظن والتحسس والتنافس ، و مالك في الموطأ (907 /2 ، 908) في حسن الخلق وأبو داود (4882 ، 4917) في الأدب ، باب في الغيبة ، والترمذي (1928) في البر والصلة ، باب ما جاء في شفق المسلم على المسلم .

[2] رواه أحمد في المسند (166 /3) رقم (12633) وقال محققه إسناده صحيح ، ووراه أيضاً الترمذي رقم (694) والطبراني في الكبير (206 /10) ، والحاكم في المستدرک وصحة ووافقه الذهبي .

[3] رواه البخاري رقم (6138) في الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، ومسلم رقم (48) في الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان ، والموطأ (929 /2) في صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

[4] رواه البخاري رقم (11) في الإيمان ، باب من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومسلم رقم (42) في الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام ، والترمذي رقم (2506) في صفة القيامة ، والنسائي (106 /8 ، 107) في الإيمان .

[5] رواه البخاري رقم (6478) في الرقاق ، باب حفظ اللسان ، ومسلم رقم (2988) في الزهد ، باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار ، والموطأ (985 /2) في الكلام ، والترمذي في الزهد ، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس .

[6] رواه الطبراني في الأوسط (143 /1) وقال الألباني في الصحيحة (1871) : والحديث بمجموع طرقه صحيح ثابت ، وهو في صحيح الجامع (3537) .

- [7]] أخرجه أحمد في المسند (70 / 2) وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، وأبو داود رقم (3597) في الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها وصححه الألباني في الصحيحة (437) .
- [8]] رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص 80 رقم 36 وحسنه الألباني في الصحيحة (906) وهو في صحيح الجامع (176) .
- [9]] رواه مسلم رقم (2699) في الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر وأبو داود رقم (4946) في الأدب ، باب من المعونة للمسلم ، والترمذي (1425) في الحدود ، باب ما جاء في الستر على المسلم ، وهو في صحيح الجامع (6577) .
- [10]] رواه مسلم رقم (55) في الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، والترمذي رقم (1927) في البر والصلة من حديث أبي هريرة .
- [11]] رواه البخاري رقم (2444) في المظالم ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ، والترمذي رقم (2256) في الفتن .
- [12]] رواه أبو رقم (4880) في الأدب ، باب في الغيبة ، ورواه أيضاً أحمد في المسند (421 / 4) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (4083) .
- [13]] رواه مسلم رقم (746) في صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض

كن ربانياً ولا تكن رمضانياً

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته و صلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

إننا اليوم على موعد مع لقاء من الأهمية البالغة بمكان وهو بعنوان: "كن ربانياً ولا تكن رمضانياً" وكما تعودنا دائماً حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا فسوف نركز هذا الموضوع في العناصر التالية:

أولاً: الثوابت الإيمانية.

ثانياً: عرفت فالزم.

ثالثاً: استعن بالله ولا تعجز.

فأعيروني القلوب والأسماع والوجدان أيها الأحبة، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب.

أولاً: الثوابت الإيمانية.

أحبتني في الله:

ها هو رمضان قد انتهى فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد فات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، لقد انتهى شهر الصيام، انتهى شهر القيام والقرآن، انتهى شهر البر والجود والإحسان، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر. فليت شعري من المقبول منا في رمضان فنهنيه ومن المطرود المحروم منا فنعزيه. فيا عين جودي بالدمع من أسف على فراق ليالي ذات أنوار على ليالي لشهر الصوم ما جعلت إلا لتمحيص أئام و أوزار ما كان أحسننا و الشمل مجتمع منا المصلي و منا القانت القاري فابكوا على ما مضى في الشهر و اغتتموا ما قد بقي من فضل أعمار أيها الفضلاء الأعزاء:

مما لا ريب فيه أن الله جل وعلا قد فضل شهر رمضان على سائر الشهور والأزمان، واختصه بكثير من رحماته وبركاته، ويسر الله فيه الطاعة لعباده مما لا يحتاج إلى دليل أو برهان، فأنت ترى المسلمين في رمضان ينطلقون بأريحية ويسر إلى طاعة الرحيم الرحمن جل وعلا، ولم لا؟! وقد عُقِّت أبواب الجحيم، وفتحت أبواب النعيم، وغل فيه مردة الجن والشياطين، فأنت ترى الناس تقبل على طاعة الله وعبادته بأريحية عجيبة، ولكن ما يحزن القلب ويؤلم النفس أنك ترى كثيراً ممن عطروا بأنفاسهم الزكية المساجد في رمضان يعرضون عن طاعة الله رب البرية بعد رمضان، وكأنهم في رمضان يعبدون ربا آخر، فالإيمان له ثوابت لا يستغني عنها المؤمن حتى يلقي الكبير المتعال، فمثلاً الصلاة: من من المؤمنين الصادقين يستغني عن الصلاة بعد رمضان؟! انظر إلى المساجد في رمضان، وانظر إلى ذات المساجد بعد رمضان.

أيها الموحدون: هل يستغني مؤمن صادق مع الله عن هذا الأصل الأصيل وعن هذه الثوابت الإيمانية حتى يلقي رب البرية وهو الركن الثاني من أركان هذا الدين قال تعالى: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ [البقرة:238] وقال جل وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج:77].

وحذر الله أشد التحذير من تضييع الصلاة ومن تركها في رمضان أو غير رمضان فقال جل وعلا: فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا [مريم:59].

وقال جل وعلا: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ اليمينِ فِي جنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ [المدثر:38-43].

فيا من هيا الله له صيام شهر رمضان لا تضع الصلاة، فالصلاة صلة لك بالله، ومعين لك يطهرك من المعاصي والذنوب، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي قال: ((من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلاً في الجنة كلما غدا أو راح)) [1].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي قال: ((ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟)) قالوا: بلى يا رسول الله قال: ((إسباغ الوضوء على

المكاره، وكثرة الخطأ إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط))([2]).

افترض الله على المؤمنين الصلاة وتعبدهم بها في كل زمان ومكان حتى يلقي العبد ربه ليسأل أول ما يسأل عن الصلاة.

فعن أبي هريرة قال: ((إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر))([3]).

أيها الموحدون: ومن الثوابت الإيمانية: القرآن

إن القرآن حياة القلوب والأرواح، القرآن حياة النفوس والصدور، القرآن حياة الأبدان، القرآن شراب النفس وطعامها، فهل يستغني مؤمن عن روحه؟! هل يستغني مؤمن عن أصل حياته، إن القرآن يهدى للتي هي أقوم فلا تضيعوا هذا الطريق ولا تنصرفوا عنها.

إن طرف القرآن بيد الله، وإن طرفه أيديكم فإذا تمسكتم بهذا الحبل المتين لن تضلوا، ولن تهلكوا أبداً، وهل يستغني أحد عن أن يكلمه الله في اليوم مرات، فمن أراد أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن، وهل تستغن عن ربك أيها الموحد؟! لا تضيع القرآن بعد رمضان، واعلم أن الله قد منَّ عليك بالقرآن في رمضان فجعلت لنفسك ورداً يومياً، فلماذا بعد رمضان تركت هذا الورد ووضعت المصحف في علبة كأنك لن تحتاج إليه إلا في رمضان المقبل؟! فيا أيها الحبيب الكريم:

اقرأ القرآن واعمل بما فيه، فإنه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه، ففي صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه)) ((اقرأوا الزهراوين: البقرة، وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما)) ((اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة))([4]).

ويقول كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: ((لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل أعطاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار))([5]).

((رجل أتاه القرآن فهو يقرأه آناء الليل وآناء النهار)) أي في سائر العام فلا تهجروا القرآن يا أمة القرآن بعد رمضان، ومن الثوابت التي لا غنى عنها للمؤمن بعد رمضان: ذكر الرحيم الرحمن.

أخي الكريم:

إذا كنت تحافظ على الأذكار والاستغفار في رمضان، فهل تستغني عن هذا الزاد بقية العام، إن الذكر شفاء من الأسقام ومرضاة للرحمن ومطرودة للشيطان، فرطب لسانك دوماً بذكر الرحيم الرحمن جل وعلا، واسمع لحبيبي المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني من حديث معاذ بن جبل يقول: ((ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها لدرجاتكم، وخير لكم

من إعطاء الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم)؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ((ذكر الله عز وجل))([6]).

انظر إلى فضل الذكر، فالذاكر في معية الله، كما في الصحيحين أنه قال: ((قال الله جل وعلا: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أتاني يمشى، أتيته هرولاً))([7]).

فاذكر الله جلا وعلا لتكون دوماً في معيته سبحانه وتعالى، والمعية نوعان: معية عامة، ومعية خاصة، أما المعية العامة فهي معية العلم والمراقبة والإحاطة والمعية الخاصة فهي معية الحفظ والنصر والعون والمدد والتأييد، فهل تستغني أيها المؤمن عن معية الله جل وعلا؟!!

فإذا أردت ذلك فداوم على الذكر ولا تضع هذا النور أبداً، ويكفى أن تعلم أن النبي قال في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري الطويل ((... وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم، وكذلك العبد لا يُحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله))([8]).

إذاً لا بد لك من هذا الزاد لأن فيه الخير العظيم، فالذكر من الثواب التي لا غنى عنها بحال لا في رمضان ولا في غير رمضان.

ومن الثواب الإيمانية أيضاً: الإحسان إلى الناس. إننا نرى كثيراً من الناس لا تظهر عليهم علامات الجود والكرم إلا في رمضان فقط، فإذا ما انتهى رمضان لا تجد إلا العبوس في وجه الفقراء ولا نجد إلا البخل والشح ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أنت قد من الله عليك بالإنفاق على الفقراء والمساكين وكثير من أوجه الخير في رمضان فهلا عودت نفسك على الإنفاق حتى ولو بالقليل.

ففي الصحيحين من حديث عدي أن الحبيب النبي قال: ((ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمره))([9]).

فالإحسان من الثواب الإيمانية التي لا يستغني عنها مؤمن في رمضان ولا في غير رمضان حتى يلقي ربه جل وعلا.

ومن هذه الثواب الإيمانية أيضاً: قيام الليل. في رمضان وُفقت بفضل الله ورحمته ومنته إلى صلاة التراويح والقيام فلماذا لا تستمر على هذا الدرب المنير؟.. لماذا تضيع القيام بالليل.

اسمع للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في الحديث الذي رواه الحاكم وابن خزيمة والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب من حديث أبي أمامة يقول: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهارة عن الإثم وتكفير للسيئات))([10]).

فاعمل أخي المسلم على أن تكتب من القائمين الليل ولو بركعة واعمل جاهداً أن تكون من أصحاب هذه الآية: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [السجدة:16].

ومن الثوابت الإيمانية: التوبة.

ما منا أحد إلا وتاب وأناب إلى الله في رمضان، فهل معنى ذلك أنه إذا انتهى رمضان انتهى زمن التوبة ولا نحتاج إلى توبة وأوبة إلى الله جل وعلا؟! وانظر إلى حال الكثير من المسلمين تجد أن الكثير منهم ينفلتون يوم العيد إلى المعاصي والشهوات وكأنهم كانوا في سجن وبمجرد أن تم الإفراج عنهم مغرب اليوم الأخير من رمضان انطلقوا وكأنهم خرجوا من هذا السجن وسرعان ما انكبوا على أنواع المعاصي والشهوات كجائع انكب على الطعام من شدة الجوع الذي ألمَّ به، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ذلك ليس بحال المؤمن الموحد، فإن المؤمن الموحد عمره كله عنده عبادة لرب الأرض والسموات فتجده ينتقل من عبودية إلى عبودية، ومن طاعة إلى طاعة ومن فضل إلى فضل، لذا يجب عليك أن تكون دائماً في عبودية حتى تلقى رب البرية، يقول النبي كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))([11]).

النبي صلوات الله عليه وسلامه يقسم بالله، أنه يتوب ويستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بل وفي رواية مسلم قال ((يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه واستغفره في اليوم مائة مرة))([12]).

هذا حال سيد الخلق أجمعين وإمام المرسلين فما حالنا؟! فالتوبة من الثوابت الإيمانية التي لا غنى عنها لمؤمن بعد رمضان، وهذه بعض الثوابت التي نحافظ عليها في رمضان، ويتخلى عنها أكثرنا بعد رمضان، فأحببت أن أذكر نفسي وأحبابي وأخواتي بهذه الثوابت الإيمانية التي لا يستغني عنها مؤمن بحال حتى يلقي رب البرية جل وعلا.

ثانياً: عرفت فالزم.

ذقت حلاوة الإيمان وعرفت طعم الإيمان، عرفت هذا في رمضان، ما منا من أحد صام وقام رمضان وقام ليلة القدر إلا وذاق هذه الحلاوة، حلاوة شرح الصدر وسرور القلب، عرفت فالزم، الزم هذا الضرب المنير، واستقم على هذا الصراط المستقيم، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي قال: ((يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل))([13]). وفي صحيح مسلم من حديث عائشة قالت: ((كان رسول الله إذا عمل عملاً أثبته))([14]). أي داوم عليه وحافظ عليه.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي عمرة سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ((قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك)). قال الحبيب: ((قل أمنت بالله ثم استقم))([15])، قل أمنت بالله ثم استقم، أي استقم على ضرب الإيمان، استقم على طريق التوبة، استقم على طريق الاستغفار، استقم على طريق قيام الليل، استقم على طريق الإحسان، استقم على طريق هذه الثوابت الإيمانية التي

أعانك الله عليها في رمضان، قال جل وعلا: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت: 30-32].

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا قَرَأَهَا يَوْمًا عَلَى الْمَنبِرِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ فَلَمْ يَرُوعُوا رُوعَانَ الثَّعَالِبِ، وَالِاسْتِقَامَةُ هِيَ الْمَدَاوِمَةُ وَالثَّبَاتُ عَلَى الطَّاعَةِ.

أيها الحبيب الكريم: عرفت فالزم.. الزم هذا الدرب ولا تتحرف عنه.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد أيها الأحبة الكرام.

ثالثاً: استعن بالله ولا تعجز.

من أعانه الله على الطاعة فهو المعان، ومن خذله الله فهو المخذول لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول لك على طاعته، ولا قوة لك على الثبات على دينه إلا بمدده سبحانه فاستعن بالله ولا تعجز واتقه ما استطعت واطلب المدد والعون منه أن يثبتك على طريق طاعته وعلى درب نبيه وتدبر وصيته لمعاذ بن جبل.

كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما أن النبي ال لمعاذ بن جبل يوماً: ((يا معاذ والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في كل صلاة - وفي رواية- دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))([1]).

نعم اطلب العون والمدد من الله على عبادته سبحانه وأنت إن سلكت هذا الدرب المنير لن يخزك الله أبداً، أليس هو القائل: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت: 69].

هذا وعد من؟! وعد رب العالمين، ورب الكعبة سيصرف الله بصرك عن الحرام، وسيصرف الله قلبك عن الشهوات والشبهات، وسيحفظ الله فرجك من الحرام، وسيصرف الله يدك عن البطش في الحرام، وسيصرف الله قدمك من الخطأ الحرام، فأحسن أيها المسلم الموحد ليكون الله معك، فمن توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به نجاه، ومن فوض إليه أمره كفاه، قال جل في علاه: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ... [الزمر: 36].

علق قلبك بالله سبحانه فهو الغنى الذي لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية، ومع ذلك لو تاب إليه عبده الفقير الحقير مثلى لفرج بتوبته وهو الغنى عن العالمين يقول النبي : ((لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دويبة مهلكة، معه راحلته

عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهب راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله - قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ، فإذا راحلته عنده، عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده))([2]).
وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب : ((قدم على النبي سَبِيٍّ، فإذا امرأة من السَّبِيِّ تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فأصقته ببطنها وأرضعته)) فقال لنا النبي : ((أترون هذه طارحة ولدها في النار؟)) قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال ((الله أرحم بعباده من هذه بولدها))([3]).

والله لو تدبرت هذا الحديث لوقفت على العجب العجاب، لذا قال أحد السلف: اللهم إنك تعلم أن أمي هي أرحم الناس بي وأنا أعلم أنك أرحم بي من أمي، وأمي لا ترضى لي الهلاك أفترضاه لي وأنت أرحم الراحمين!!

نعم إنها رحمة الله جل وعلا، ينادي بها على عباده بهذا النداء الندى العذب: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر:53].

إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء فاستعن بالله ولا تعجز، و إن زلت قدمك عُذْ وإِنْ زلت أخرى عُذْ، وإِنْ زلت للمرة الألف عُذْ، واعلم بأن الله لا يمل حتى تملوا، نحن عبيده هو الذي خلقنا ويعرف ضعفنا وفقرنا وعجزنا لذا لا يريد منا الطاعة وإنما يريد منا العبودية له سبحانه وتعالى.

فالتطاعة لك أنت، فهو سبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ففي صحيح مسلم من حديث أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر أن رسول الله قال: قال الله تعالى: ((... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً...))([4]).

أيها الموحد: استعن بالله على الطاعة، واستعن بالله على أن تثبت على هذا الدرب المنير، واعلم يقيناً أن من أعظم الأسباب التي تعين العبد على أن يثبت على طاعة الله جل وعلا أن يكون وسطاً معتدلاً في طاعته لربه، لا غلواً في الإسلام ولا تنطع، فخير الأمور الوسط، لا غلو، لا إفراط، لا تفريط، لذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((إن الدين يسرٌ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا و أبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة))([5]).

وعن أنس بن مالك قال: دخل رسول الله فإذا حبل ممدود بين السارين فقال: ((ما هذا الحبل؟)) قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي : ((لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فترَ فليقعد))([6]).

وكلكم يعلم قصة الرهط الذين جاءوا لبيوت النبي والحديث في الصحيحين من حديث أنس: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ؟ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء إليهم النبي فقال: ((أنتم الذين قلتُم كذا

وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))([7]).

نعم لقد جمع النبي هذا المنهج الوسط وحوله إلى منهج عملي على أرض الواقع في هذا الدعاء الرقيق الرقراق الذي رواه مسلم فقد كان النبي يدعو الله ويقول: ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر))([8]).

إنه منهج الوسط.. منهج الاعتدال، لقد جمع النبي بكلماته هذه بين خيري الدنيا والآخرة لأن من كسب الدنيا بالعمل الصالح كسب الآخرة بإذن الله، ومن خسر الدنيا بالعمل السيء خسر الآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[1] رواه البخارى رقم (662) فى الأذان ، باب فضل من غدا إلى المسجد أو راح ، ومسلم رقم (669) فى المساجد ، باب المشى إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات .

[2] رواه مسلم رقم (251) فى الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، والموطأ (161 / 1) فى قصر الصلاة فى السفر ، والترمذى رقم (51) فى الطهارة ، والنسائى (89-90/1) فى الطهارة .

[3] رواه الترمذى رقم (413) فى الصلاة ، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، والنسائى (232 / 1) فى الصلاة والحاكم (263 / 1) ورواه أيضاً أحمد فى المسند (72 / 5) وهو فى صحيح الجامع (2573) .

[4] رواه مسلم رقم (804) فى صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، والترمذى رقم (2886) فى ثواب القرآن ، باب ما جاء فى سورة آل عمران .

[5] رواه البخارى رقم (5026) فى فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن ، ومسلم رقم (815) فى صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، والترمذى رقم (1937) فى البر والصلة .

[6] الموطأ موقوفاً (112 / 1) فى القرآن ، باب ما جاء فى ذكر الله تعالى ، ومرفوعاً عند أحمد فى المسند (239 / 5) ، (447 / 6) والترمذى رقم (3374) فى الدعوات ، وابن ماجه رقم (3790) فى الأدب وصححه الأرنؤوط فى تخريج جامع الأصول .

[7] رواه البخارى رقم (7405) فى التوحيد ، باب قول الله تعالى : ويحذركم الله نفسه ومسلم رقم (2675) فى الذكر ، باب الحث على ذكر الله تعالى .

[8] أخرجه الترمذى رقم (2867) فى الأمثال ، باب ما جاء فى مثل الصلاة والصيام والصدقة والطبرانى فى الكبير (285 / 3) رقم (3427) وابن خزيمة وابن حبان (1222 موارد) والحاكم (117 / 1) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وهو فى صحيح الجامع (1724)

[9] رواه البخارى (6539) فى التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل ، ومسلم (1016) فى الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ، والترمذى (2427) فى صفة القيامة

[10] رواه الترمذى رقم (3543 ، 3544) فى الدعوات وابن أبى الدنيا فى ((كتاب التهجد)) وابن خزيمة فى صحيحه وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (620) وهو فى صحيح الجامع (4079)

[11] رواه البخارى رقم (6307) فى الدعوات ، باب استغفار النبى صلى الله عليه وسلم فى اليوم واللييلة .

[12] رواه مسلم رقم (2702) فى الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه

[13] رواه البخارى (6462) فى الرقاق ، باب القصد والمداومة فى العمل ، ومسلم (782) فى الصلاة ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، واللفظ له والموطأ (118 / 1)

وأبو داود (315 / 1) فى صلاة الليل ، والنسائى (218 / 3) فى صلاة الليل .

[14] رواه مسلم رقم (141 / 746) فى صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل .

[15] رواه أحمد فى المسند (413 / 3 ، 385 / 4) ومسلم رقم (38) فى الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، والترمذى رقم (2412) فى الزهد ، باب ما جاء فى حفظ اللسان قال هذا حديث صحيح ، وابن ماجه رقم (3972) فى الفتن ، والدارمى (2710) فى الرقاق ، والبيهقى فى السنن (320 / 6) وعبد الرزاق فى مصنفه (2011) وابن حبان (2543 موارد) والحاكم فى المستدرک (313 / 4) ، والخطيب فى تاريخه (370 / 2)

[1] رواه أبو داود رقم (1522) فى الصلاة ، باب الاستغفار ، والنسائى (3 / 53) فى السهو ، والحاكم (273 / 3 - 274) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى هو فى صحيح الجامع (7969) .

[2] رواه البخارى رقم (6308) فى الدعوات ، باب التوبة ، ومسلم رقم (2744) فى التوبة ، باب فى الحض على التوبة ، والترمذى رقم (2499 ، 2500) فى صفة القيامة باب المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه .

[3] رواه البخارى رقم (5999) فى الأدب ، باب رحمة الولد وتقيله ومعانفته ، ومسلم رقم (2754) فى الفضائل ، باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

[4] رواه مسلم رقم (2577) فى البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، والترمذى رقم (2497) فى صفة القيامة .

[5] رواه البخارى رقم (39) فى الإيمان ، باب الدين يسر وهو فى صحيح الجامع (1611)

[6] رواه البخارى رقم (1150) فى التهجد ، باب ما يكره من التشديد فى العبادة ، ومسلم رقم (784) فى صلاة المسافرين ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره .

[7] رواه البخارى رقم (5063) فى النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ، ومسلم (1401) فى النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة .

[8] رواه مسلم رقم (3427 ، 3428) فى الدعوات ، باب ما يقول إذا رأى المبتلى .

إن الإسلام قادم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران :

[102

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]

النساء : [1

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب 70-71]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

ثم أما بعد:

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأحباب الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً .

وأسال الله العظيم الكريم جل وعلا الذى جمعنا وإياكم فى هذا البيت المبارك على طاعته ، أن يجمعنى وإياكم فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه .

أحبتى فى الله (إن الإسلام قادم!)

هذا ما أعنون به موضوع لقاءنا اليوم مع حضراتكم فى هذا اليوم الكريم الأعز، وفى هذه الظروف العصيبة الرهيبة التى تمر بها أمتنا الحبيبة .

وكما تعودنا أحبتى حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعاً

سوف أركز الحديث مع إخواني تحت هذا العنوان فى العناصر التالية .

أولاً: واقع مُر أليم .

ثانياً: ولكن الإسلام قادم

ثالثاً: منهج عملى واجب التنفيذ .

فأعروني القلوب والأسماع جيداً، والله أسأل أن يقر أعيننا بنصر الإسلام وعز
الموحدين، وأن يشفى صدور قوم مؤمنين، إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء
قدير .

أولاً: واقع مر أليم .

أحبتى الكرام.

لقد ابتليت الأمة الميمونة بنكسات وأزمات كثيرة على طول تاريخها، مروراً بأزمة
الردة الطاحنة، والهجمات التنترية الغاشمة، والحروب الصليبية الطاحنة، لكن الأمة
مع كل هذه الأزمات والمآزق كانت تمتلك مقومات النصر من إيمان صادق، وثقة
مطلقة في الله واعتزاز بهذا الدين، فكتب الله لها جل وعلا النصر والعزة والتمكين،
ولكن واقع الأمة المعاصر واقع مر أليم، فقدت فيه الأمة جل مقومات النصر بعد أن
انحرفت الأمة انحرافاً مروعاً عن منهج رب العالمين وعن سبيل سيد المرسلين ،
انحرفت الأمة ووقعت في انفصام نكد بين منهجنا المضيء المنير وواقعها المؤلم
المر المرير، انحرفت الأمة في الجانب العقدي، والجانب التعبدي، والجانب
التشريعي والجانب الأخلاقي، والجانب الفكري، بل وحتى في الجانب الروحي، وما
تحياه الأمة الآن من واقع أليم وقع وفق سنن ربانية لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي هذه
السنن أحداً من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات تستدعي المحابه، بل ولن
تعود الأمة إلى عزها ومجدها إلا وفق هذه السنن التي لا يجدى معها تعجل الأذكىاء
ولا هم الأصفياء، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [الرعد:
11] .

والله لقد غيرت الأمة وبدلت في جميع جوانب الحياة، فتأمل ستجد الأمة استبدلت
بالعبير بعري، وبالثرى ثرى، وبالرحيق المختوم حريق محرق مهلك مدمر، وظنت
الأمة المسكينة أنها يوم أن نَحَّتْ شريعة الله وشريعة رسول الله وراحت تلهث وراء
الشرق الملحد تارة ووراء الغرب الكافر تارة أخرى أنها قد ركبت قارب النجاة،
فغرقت الأمة وأغرقت وهلكت الأمة وأهلكت، ولن تعود الأمة إلى سيادتها وريادتها
إلا إذا عادت من جديد إلى أصل عزها ونبع شرفها ومعين كرمها ومعين بقاءها
ووجودها إلى كتاب ربها وسنة حبيبها ورسولها .

أيها الشباب لقد انحرفت الأمة فزلت وأصبحت قصعة مستباحة لكل أمم الأرض،
وصدق في الأمة قول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما في كما في حديثه
الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث ثوبان أنه قال: ((يوشك الأمم أن
تداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها)) فقال قائل: من قلة نحن يومئذ. قال:
((بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غشاء كغشاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم
المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن)) قيل وما الوهن يا رسول الله؟! قال: ((حب
الدنيا وكراهية الموت))([1]).

نعم والله صدقت يا حبيبي يا رسول الله لقد أصبحت الأمة الآن غشاء، ذلت بعد عزة،
جهلت بعد علم، ضعفت بعد قوة، وأصبحت الأمة الإسلامية في ذيل القافلة الإنسانية
كلها، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب، الدليل الحاذق الأرب، بعد أن كانت تقود

القافلة الإنسانية كلها بقدرارة واقتدار، أصبحت الأمة الآن تتسول على مائدة الفكر الإنساني .

بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب منارة تهدي الحيارى التائهين ممن أحرقهم لفتح الهاجرة القاتل وأرهقهم طول المشي في التيه والظلام، لقد أصبحت الأمة المسكينة تتأرجح في سيرها بل لا تعرف طريقها الذي ينبغي أن تسلكه ويجب أن تسير فيه، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب جداً الدليل الحاذق الأرب في الضروب المتشابكة في الصحراء المهلكة التي لا يهتدى لليسر فيها إلا الأدلاء المجربون .

أهذه هي الأمة التي زكاها الله في القرآن، ووصفها بالخيرية في قوله تعالى :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [آل عمران: 110]

أهذه هي الأمة التي زكاها الله في القرآن بالوسطية في قوله تعالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا [البقرة: 143] أهذه هي الأمة التي أمرها الله بوحدة الصف والاعتصام بحبل الله المتين في قوله سبحانه تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [آل عمران: 103] .

وفى قوله سبحانه وتعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران: 105] .

إن الناظر إلى واقع الأمة المر المرير الأليم الذي لا يكاد يخفى على أحد ومما تتعرض له اليوم - لا أقول دولة بعينها بل ما تتعرض له الأمة كلها- من إذلال مهين، وما تتعرض له الآن من ذل وهوان وضرب ليؤكد تأكيداً جازماً هذا الواقع المر الأليم الذي لا يحتاج لمزيد بيان أو مزيد تشخيص أو تدليل . أيها الأحبة الكرام ..

لا ريب على الاطلاق أن الأمة في سبات منذ أمد طويل، ولا ريب أنها مرضت وغاب مرضها وجهلت وعظم جهلها، وضلت وضل قائدها، وتراجعت للوراء بعيداً بعيداً، ولكن مع كل هذا وذاك بحول الله وقوته لم تمت ولن تموت هذه الأمة الميمونة بموعود الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، لإن أبناء الطائفة المنصورة في هذه الأمة لا يخلو منها زمان ولا مكان بشهادة سيد الخلق أجمعين كما في الصحيحين من حديث معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس))([2]).

أسأل الله العلي القدير أن يجعلنا وإياكم من أبناء هذه الطائفة المنصورة التي تعيش لدين الله وتتمنى أن تنصر بكل سبيل دين الله .

ولئن عرف التاريخ أوساً خزرجا فله أوس قادمون وخزرج

وإن كنوز الغيب تخفى طلائع حرة رغم المكائد تخرج

صبح تنفس بالضياء وأشرفا وهذه الصحوة الكبرى تهز البيرقا

وشببية الإسلام هذا فيلق في ساحة الأمجاد يتبع فيلقا

و قوافل الإيمان تتخذى المدى ضرباً و تصنع للمحيط الزورقا

وما أمر هذه الصحوة الكبرى سوى وعد من الله الجليل تحققا

هي نخلة طاب الثرى فنى لها جذع طويل في التراب وأعدقا

هي في رياض قلوبنا زيتونة في جزعها غصن الكرامة أورقا

فجر تدفق من سيحبس نوره؟! أرني يداً سدت علينا المشرقا

ثانياً: ولكن الإسلام قادم!!

ولكن الإسلام قادم.. هذا وعد ربنا رغم أنوف المشركين والمنافقين والمجرمين إن الإسلام قادم.. نعم قادم، أنا أعى ما أقول، وأعى واقع الأمة المر الأليم الذى ذكرت باختصار سالفاً، ومع ذلك أؤكد لكم جميعاً بيقين جازم أن الإسلام قادم، فلقد سطر علام الغيوب فى كتابه العزيز:

وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 139]. بالإيمان لا تهنوا، بالإيمان ولا تحزنوا، بالإيمان أنتم الأعلون، والله إنني أعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا يوجد على وجه الأرض شر محض، بالرغم ما نراه الآن من تهديدات لا لبلد ما، بل للأمة كلها، فأقول: إن هذا الشر سيجعل الله جل وعلا فيه خيراً كثيراً، فما من أزمة مرت بالأمة إلا وجعلها الله تبارك وتعالى سبب لقوة الإسلام، وما من ابتلاء إلا وجعله الله سبباً لتمحيص الصدور، وسبب لتمييز الخبيث من الطيب، فلقد قال الله فى كتابه العزيز أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ . [العنكبوت: 2 - 3]

ولقد ذكر سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام فى البلاء سبعة عشر فائدة، ذكر هذه الفوائد كلها فى البلاء، فلا تظن أنه مع هذه الأزمة سيزول الإسلام، وسينتهى المسلمون لا وألف لا، لا والله

لقد هجم القرامطة على المسلمين فى بيت الله، وذبحوا الطائفين حول بيت الله، واقتلع أبو طاهر القرمطى الخبيث الملعون المجرم الحجر الأسود من الكعبة، وظل يصرخ بأعلى صوته - عليه لعنة الله - فى صحن الكعبة وهو يقول: أين الطير الأبايل؟! أين الحجارة من سجيل!؟

انظروا إلى هذه الفتنة العاصفة الطاحنة على كل مسلم، وظل الحجر الأسود بعيداً عن بيت الله ما يزيد عن عشرين عاماً، ومع ذلك كله رد الله الحجر، ورد الله المسلمين إلى دينه، وانتصر الإسلام على القرامطة كما تعلمون .

وها هو بلاء آخر لقد هجم التتار الكافر على بغداد وظلوا يذبحون ويقتلون أربعين يوماً حتى جرت الدماء فى شوارع بغداد، ومع ذلك كله رد الله المسلمين إلى الإسلام، وأخذ الله الصليبيين والتتار وهزمهم شر هزيمة على أيدى الصادقين المخلصين الأبرار، أليس هو القائل:

وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 139]

ولكننا يا أمة الإسلام نريد تحقيق الإيمان فتدبروا معنى الآية الأنفة الذكر تقول لا تهنوا بالإيمان ولا تحزنوا بالإيمان أنتم الأعلون بالإيمان، إذاً لا مفر البتة من تحقيق الإيمان الصادق المخلص بالله رب العالمين .

وتدبروا معنى قوله تعالى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف: 8-9].

وتدبروا معي واسمعوا وعوا جيداً قول رب العالمين: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة: 32-33] .

إن المجرمين الكفرة الفجرة يريدون أن يطفئوا دين ال، له وأبداً أبداً يأبى الله إلا أن يتم نوره، أعتقد اعتقاداً جازماً أنها معركة غير متكافئة، لأنها بين القادر القاهر وبين الكفرة الفجرة، إى والله إنها معركة غير متكافئة، فمن له اليد العليا !!؟
اسمع لقول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال: 36].

نعم سينفقون آلاف الملايين ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، فهذا هو الإسلام مازال قوياً شامخاً وسيبقى قوياً شامخاً، أين القرامطة؟! أين التتار؟! أين الصليبيون؟! أين المجرمون؟! بل أين فرعون وهامان؟! بل أين أصحاب الأخدود؟! أين كل من عاد وحارب الإسلام أين؟! هلك الجميع وبقي الإسلام، وسيبقى بموعد الرحمن قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال: 36]

استحلفكم بالله الذى لا إله إلا هو أن تنتهبوا جيداً، وتعوا ما أقوله وما سأقصه عليكم الآن لقد كنت فى زيارة لأمريكا فى العشرة الأواخر من رمضان الماضى ووقفت على وثيقة التنصير الكنسي، ورأيت بابا الفاتيكان جون بول الثانى يصرخ فى هذه الوثيقة على كل المبشرين - أى على كل المنصرين فى أنحاء الأرض - قائلاً: هيا تحركوا بسرعة لوقف الزحف الإسلامى الهائل فى أنحاء أوربا، ما تحرك أحد للإسلام، والله لو بُذِل للإسلام ما يبذل لأي دين على وجه الأرض، ما بقى إلا الإسلام

فى الثالث والعشرين من رمضان الماضى التقيت برئيس جمعية شرطة المسلمين فى أمريكا، وهو ضابط أمريكى الأصل، دار بينى وبينه حوار طويل، بدأت حوارى بسؤال فقلت له: كيف أسلمت؟! وتعجبت كثيراً حينما قال لى بأنه كان قسيساً متعصباً للنصرانية، يقول: لقد قرأت القرآن - أى الترجمة - وقرأت عدد لا بأس به من أحاديث صحيح البخاري وقد ذهبت يوماً إلى زميل لى وهو أمريكى مسلم فقالوا: إنه بالمسجد، فدخلت المسجد لأنادى عليه، فسمعت الأذان وأنا بباب المسجد، يقول: لقد هزت كلمات الأذان أعماقي وشعرت بتغيير كبير فى داخلي، لا أستطيع أن أعبر لك عنه، لأننى ما تذوقت طعمه قبل أن أستمع إلى هذه الكلمات الأذان، ثم نظرت إلى المسلمين وهم يصلون يقومون معاً ويسجدون معاً، وأنا أنادى على زميلى وهو فلا يرد علىّ، فلما فرغ من الصلاة قلت له: أنا رئيسك فى العمل وأنادى عليك، فلم لا تجيبنى؟! قال: أنا فى صلاة بين يدي ربي جل وعلا لا أجيب إلا هو، فأحسست بسلام عميق فى صدرى لهذا الدين. فقلت لزميلى: ماذا تصنعون إن أردتم أن تدخلوا الإسلام؟! فأمرنى بالإغتسال، فاغتسلت وخرجت إلى صحن المسجد، فشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وكان إسمى مايكل، فأصبح اسمى عبد الصبور، فقلت له سائلاً: ما نظرتك لمستقبل الإسلام فى أمريكا؟! قال: الإسلام قوى جداً جداً

فى أمريكا، وأرجو أن تدققوا الألفاظ فأنا أقول: الإسلام لا أقول المسلمون، ثم قال لى أبشرك بأن كثيراً من الأمريكان بدأوا يفهمون أن رسالة عيسى هى رسالة محمد، هى الإسلام، فقلت له: فهل لك أن تقص على قصة مؤثرة لعضو من أعضاء جمعيتكم؟! قال يا أخى القصة الوحيدة التى أستطيع أن أؤكد لها هى أن الإسلام ينتشر بقوة فى الشرطة الأمريكية، ولقد ذهبت مع بعض إخوانى من الدعاة والمشايخ إلى إخواننا الأمريكان من السود بمسجد التقوى، فورب الكعبة لقد احتقنا أنفسنا بينهم، ترى الواحد منهم فى صلاته خاشعاً يذكرك بسلف هذه الأمة، والتقيت بضابط يقول لى: أصبح من بين هذا العدد ولله الحمد ما يزيد على ألفين وخمسين ضابط يوحدون الله جل وعلا، وهذا عدد كبير ليس بالعدد القليل الهين، ثم قص على قصة طريفة، فقال لقد أسلمت ضابطة أمريكية، وجاءت فى اليوم التالى تلبس الحجاب، فقال لها رئيسها: ما هذا؟! قالت: لقد أسلمت قال: لا حرج، لكن اخلعى هذا الثوب .

قالت: لا، وردت المرأة بقول عجيب أتمنى أن تستمع إليه كل متبرجة فى بلدنا، وتنتسب إلى الإسلام، قالت: إن الله هو الذى أمرنى بالحجاب، ولا توجد سلطة على وجه الأرض تملك أن تنزع عنى هذا الحجاب إلا بأمر الله، الله أكبر!! إنه اليقين، نعم اليقين، كلمات عجيبة ورب الكعبة، قلت له: أذى أود منك أن توجه ثلاثة رسائل: الرسالة الأولى للأمريكان، والرسالة الثانية للمسلمين فى أمريكا، والرسالة الثالثة للمسلمين فى مصر، فقال: أما رسالتى الأولى للأمريكان هى إننا نؤمن بعيسى كما نؤمن بمحمد، سبحان الله!! إنه فهم دقيق للدين، ولا عجب فقد كان الرجل قسيساً، ونود أن يعلم هؤلاء أننا نجل عيسى ونجل مريم عليهما السلام.

قلت: وجه رسالة للمسلمين فى أمريكا، قال: أقول لهم اصبروا ولا تتعجلوا فإنه لا يتحقق شىء أبداً بدون الصبر (ترجمة حرفية لكلام الرجل)، ثم أقول لهم إن أخطأ واحد منكم فلا ينبغى أن تفزعوا وتحزنوا، فلو لم نخطأ ما احتجنا الرب سبحانه وتعالى، فإننا نخطأ لتتوب إلى الله عز وجل. إنه ورب الكعبة أفق رجل عميق الفكر دقيق النظر .

قلت: فوجه رسالة أخيرة للمسلمين فى مصر سأقلها على لسانك إلى الآلاف من المسلمين، فقال: قل لهم: إن بعدت بيننا وبينكم آلاف الأميال فإن رحمة الله قد وسعت كل شىء، وإننا نحبكم فى الله .

أيها الشباب: اعلّموا أنه قد بلغ عدد المساجد فى قلب قلعة الكفر ما يقرب من ألفى مسجد، وفى ولاية نيويورك فقط مائة وخمسة وسبعون مركزاً ومسجداً إسلامياً .
ألم يقل ربنا: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

وإن آخر الإحصائيات تقول بأن عدد المسلمين فى فرنسا يزيد على خمسة ملايين مسلم، وفى بريطانيا عدد المسلمين يزيد على مليوني مسلم، وفى كل سنة يدخل الإسلام من البريطانيين ما يزيد على ألفى مسلم من أصل بريطاني، أرقام تبشر بالخير!! فالإسلام دين الفطرة، وإنه لقادم لا محال ومهما وُضعت فى طريقه العقبات والسدود والعراقيل قال تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا [الفتح: 28] ..

إن هؤلاء الكفرة لو سمعوا عن الإسلام وعرفوا صورته الحقيقية جاءوا إليه مسرعين، فإنهم يعيشون حالة قلق رهيبه، ومن سافر إلى بلاد الشرق والغرب وقف على حجم عيادات الطب النفسي، وعرف حجم هذا الخطر، فإنهم قد أعطوا البدن كل ما يشتهي، وبقيت الروح في أعماق أبدانهم تصرخ وتبحث عن دواءها وغذاءها، ولا يعلم دواءها وغذائها إلا الله، قال جل في علاه: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: 85] .

وها هم العلمانيون يريدون أن يخلعوا عباءة الإسلام عن تركيا بكل قوة يريدون أن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [التوبة 32] .
ففي زيارتي الأخيرة يقول لي أخ تركي: إن عدد المساجد في تركيا يزيد عن خمسة وستين ألف مسجد، ويقسم لي بالله أنهم في رمضان الماضي كانوا يصلون الفجر خارج المسجد كأنهم في صلاة الجمعة، ومع ذلك انظر إلى الضربات التي تكال على تركيا كيلاً، فإن أتباع أتاتورك الخبيث الهالك يريدون أن يجعلوها علمانية، بعيداً عن الإسلام، لكنهم عاجزون، إنهم يرقصون رقصة الموت لما يرون كل يوم من شباب في ريعان الصبا، وفتيان في عمر الورود يغذون هذا المد الإسلامي الهائل، لا أقول في مصر ولا في بلاد المسلمين بل في العالم كله.

إننا والله نرى العجب العجاب، ونرى الخير الكثير هذا من باب قول الله سبحانه: وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 139] .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث حذيفة بن اليمان وهو حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)) ([3])
أسأل الله أن يعجل بالخلافة التي على منهاج النبوة، وأن يمتعنا بالعيش في ظلها، وإن لم يقدر لنا فأسأله أن لا يحرم أبنائنا وأولادنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث ثوبان أن الصادق المصدوق قال: ((أن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها)) ([4])

يا أمة التوحيد: لم اليأس؟! إن اليأس سيزيد النشيط خذلاناً، وسيزيد اليأس والقنوط يأساً وقنوطاً .

الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم هو في أحلك الأزمان والأوقات وهو يُطارَد، وأصحابه مهاجرون يقول لخباب بن الأرت ((والله لِيُتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه)) ([5])
أليس الله هو القائل: وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 139] .

يا أهل التوحيد: اعلّموا علم اليقين بأن كل ابتلاء يزيد الإسلام صلابة، ويزيد المسلمون قوة، ويخرج من الصف من اندس في صفوف المؤمنين وقلبه مملوء بالنفاق، يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث صهيب عنه: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)) ([6]).

في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه على شرط الشيخين وأقر الحاكم الذهبي، وقال الألباني: بل هو صحيح على شرط مسلم من حديث تميم الداري أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبي إلا أدخله الله هذا الدين، بعزٍ عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)) ([7]).

ومن جميل ما قاله المفكر الشهير اشبنكنز: إن للحضارات دورات فلكية فهي تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة أوشكت على الشروق في أروع صورة، ألا وهي حضارة الإسلام الذي يملك وحده أقوى قوة روحانية عالمية نقية.

أيها الموحدون: والله والله ما بقي إلا أن ترتقى هذه الأمة إلى مستوى هذا الدين وأن تعرف الأمة قدر هذه النعمة التي امتن بها علينا رب العالمين .

لقد ذكرت أنفاً أن ما وقع للأمة وقع وفق سنن ربانية لا تتبدل ولا تتغير، ولن تعود الأمة إلى عزتها وسيادتها إلا وفق هذه السنن التي لا يجدى معها تعجل الأذكىاء ولا وهم الأصفىاء، إذاً محال محال أن ينصر الله عز وجل هذه الأمة وهي خاذلة مضیعة لدينه، بل لا بد أن تنصر الأمة دين الله لينصرها، أليس الله هو القائل: وَلَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج: 40]

أليس الله هو القائل: إِنَّا لَنُنصِرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر: 51].

أليس الله هو القائل: وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم: 47]
أليس الله هو القائل: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [النور: 55].

إذاً لا بد أن نقف جميعاً على بنود هذا المنهج العملي الواجب التنفيذ، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء، و أرجىء الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، وأحبابه، وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الأحبة الكرام .

ثالثاً: منهج عملي واجب التنفيذ .

أول خطوة عملية على طريق عودة الأمة إلى عزتها وسيادتها وعلى طريق نصره الله لها هي أن تعود عوداً حميداً إلى كتاب الله وسنة رسول الله والعودة إلى القرآن والسنة ليست نافلة ولا تطوعاً ولا اختياراً من الأمة، بل إنها عودة واجبة بل إنها حد الإسلام وشرط الإيمان، فلقد سجل الله في كتابه العزيز: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: 65]

فالخطوة العملية الأولى أن أبدأ بنفسى وتبدأ بنفسك، ولا ينبغي أن نعلق كل ما نسمع على غيرنا، فلنبدأ من الآن قال تعالى: أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ [آل عمران: 165] .

فلو بدأ كل واحد منا وحوّل هذا الكلام في بيته وفي عمله وفي شتى أمور حياته كلها إلى واقع عملي ومنهج حياة، والله لغير الله حالنا، فليرجع كل مسلم إلى الله وإلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله وليعلم كل مسلم على وجه الأرض أن شعار المنافقين واليهود هو: سمعنا وعصينا، وأن شعار المؤمنين سمعنا وأطعنا .

قال تعالى: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [النور: 51]

هذا قول الله، ومن أصدق من الله قولاً!؟

أما شعار أهل النفاق فقد سطر الله في كتابه عنهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا [النساء: 60-61] .

الخطوة الثانية: تمايز الصف المؤمن عن الكافر.

اختر لنفسك الطريق وحدد السبيل والغاية من الآن، وقل لنفسك هل أنت متمثل لأمر الله ولأمر رسول الله – شعارك: سمعنا وأطعنا، أم شعارك: سمعنا وعصينا، واعلم: ((أن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) .([1]) .

الخطوة الثالثة: إقامة الفرقان الإسلامي

هذه هي الخطوة العملية الثالثة من بنود المنهج، ليبدأ كل منا بنفسه ليستبين سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين، لا نريد أن نعيش هذه الحالة التي عليها الأمة ... حالة الغبش، و حالة التذبذب، وحالة اللا ولاء، واللا براء بهذه الحالة لن نقيم لله ديناً في أرضه، بل لا بد أن توالى الله ورسوله والمؤمنين وأن تتبرأ من الشرك بكل صورته والمشركون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، علينا أن نُطَهِّرَ عقيدة الولاء والبراء، ونربي أولادنا على هذه العقيدة.

أين الولاء لله ورسوله وللمؤمنين في كل مكان وزمان؟! وأين البراء من الشرك كله والمشركين أينما وحينما وجدوا؟! لا بد من إقامة الفرقان الإسلامي حتى يستبين سبيل المجرمين وسبيل المؤمنين .

ومن أروع صور الولاء والبراء ما رواه ابن جرير الطبري وغيره بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ادعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول)) فلما جاء قال له رسول الله: ((ألا ترى ما يقول أبوك يا عبد الله؟)) فقال عبد الله: وماذا يقول أبي، بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)) فقال عبد الله: لقد صدق والله يا رسول الله، فأنت والله الأعز، وهو الأذل، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب لا يعلمون أحداً أبرّ بأبيه مني، أما وقد قال فلنسمعن ما تقرُّ به عينك.

فلما قدموا المدينة قام عبد الله على بابها بالسيف لأبيه ثم قال: أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟!!! أما والله لتعرفن هل العزة لك أم لرسول الله، والله لا يأويك ظلها ولا تبينن الليلة فيها إلا بإذن من الله ورسوله . فصرخ عبد الله بن أبي: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي!! فاجتمع إليه رجال فكلموه. فقال: والله لا يدخل بيته إلا بإذن من الله ورسوله. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال: ((اذهبوا إليه فقولوا له: يقول لك رسول الله خله ومسكنه)) فأتوه، فقالوا له ذلك، فقال:

أما وقد جاء الأمر من رسول الله فنعم. ليعلم من الأعز ومن الأذل إنه الولاء لله ورسوله .. أليس الله هو القائل: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ [المجادلة: 22]

رابعاً: رفع راية الجهاد .
لنرفع راية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، لا من أجل وطنية ولا من أجل قومية ولا من أجل حرية لقول سيد البشرية ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)) [2]

ولن ترفع الأمة راية الجهاد إلا إذا عادت ابتداءً إلى كتاب الله وسنة رسول الله. خامساً: تحويل الإسلام في حياتنا بأخلاقه وسلوكياته إلى واقع عملي ومنهج حياة . إننا نرى بوناً شاسعاً بين منهجنا وواقعنا، بين ما نتعلمه من أخلاق وما نحن عليه من أخلاق، فلا بد أن نحول هذا الدين العظيم إلى واقع عملي في بيوتنا وفي عملنا وفي شوارعنا وشتى أمور حياتنا .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
لنعلم يقيناً أن القول إذا خالف العمل بذر بذور النفاق في القلوب .
كما قال علام الغيوب: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: 2-3].

أيها الأحبة الكرام: إننا لا نخاف على الإسلام لأن الذي وعد بإظهاره على الدين كله هو الله الذي يقول للشيء كن فيكون، هو الله، وإنما نخاف على المسلمين إن هم تركوا

الإسلام وضيعوا الإسلام، نسأل الله جل في علاه أن يرد المسلمين إلى الإسلام رداً جميلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه .
اللهم قيد لأمة التوحيد أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية يا رب العالمين .

[1] رواه أبو داود رقم (4297) فى الملاحم ، باب فى تداعى الأمم على الإسلام ورواه أحمد فى المسند (278 / 5) وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم (958) .
[2] رواه البخارى رقم (3641) فى المناقب ، باب رقم (28) ، ومسلم رقم (1037) فى الإمارة ، باب قوله : ((لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق)) وأبو داود (4252) فى الفتن ، والترمذى رقم (2177 ، 2230) فى الفتن .
[3] رواه أحمد فى المسند (273 / 4) وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم (5) .

[4] رواه مسلم رقم (2889) فى الفتن و اشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

[5] رواه البخارى رقم (3612) فى المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام ، رواه أيضاً أحمد فى المسند : (271 / 2) ، (109 - 110 - 111) ، (295 / 6) وأبو داود رقم (2649) فى الجهاد ، والنسائى رقم (204 / 8) فى الزينة .

[6] رواه مسلم رقم (2999) فى الزهد ، باب المؤمن أمره كله خير .

[7] رواه أحمد فى المسند (103 / 4) رقم (16894) ورواه ابن حبان فى صحيحه رقم (1631 ، 1632 موارد) وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم (3)

(8) رواه مسلم رقم (2563) فى البر والصلة ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس . [2] رواه البخارى رقم (2810) فى الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، ومسلم (1904) فى الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، والترمذى (1646) فى فضائل الجهاد ، وأبو داود رقم (2517) فى الجهاد ، وابن ماجه رقم (2783) .

علامات الساعة الكبرى ونزول عيسى بن مريم عليه السلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

[النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أحبتني في الله :

في رحاب الدار الآخرة

هذا هو لقاءنا الخامس مع السلسلة الكريمة ولا زلنا مع حديث حذيفة بن أسيد الغفاري :

اطلع علينا النبي ونحن نتذاكر فقال النبي : ((ما تذاكرون؟)) فقالوا: نذكر الساعة فقال: ((إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر، الدخان، والدجال، والداية، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))([1]).

وها نحن الآن على موعد مع إحدى هذه العلامات الكبرى ألا وهي نزول عيسى عليه السلام.

أيها الحبيب الكريم: أعرنى قلبك وسمعتك وعقلك فإن الموضوع من الأهمية بمكان، وحتى لا ينسحب بساط الوقت سريعا من بين أيدينا فسوف أركز الموضوع في العناصر التالية:

أولاً: عيسى بن مريم والميلاد المعجز.

ثانياً: بل رفعه الله إليه.

ثالثاً: نزول عيسى من السماء إلى الأرض.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

أولاً: عيسى بن مريم والميلاد المعجز

أخي في الله لن أجد لك بداية أرحب ولا أجمل أبدأ بها حديثي معك الآن أجل من هذه الكلمات الجميلة في قوله تعالى: إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آل عمران: 35- 37].

وقبل أن نتجول سويا في بستان هذه الكلمات الرقيقة الرقراقة أقول لك إنه لأول مرة في تاريخ البشرية الطويل منذ أن خلق الله آدم من تراب ينسب نبي لأمه.

مريم هي الأنثى الوحيدة في الوجود كله التي اختصها الله من بين النساء قاطبةً ليوذعها سره الأكبر في أصفى حمل وأعجز ميلاد، فمريم هي الفتاة العذراء النقية التقية التي اصطفها الله جل في علاه من بين نساء العالمين فنفخ فيها من روحه ومنحها هذه المكانة الرقيقة الرقراقة من بين أمهات الدنيا جمعاء.

فأمها حنة بنت فاقد وصلت إلى سن اليأس، فتمنت على الله أن يرزقها الولد، والله على كل شيء قدير فاستجاب الله دعائها وابتهاها إليه، فتحرك الحمل في أحشائها بقدرة من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات بقدرة من يقول للنساء كن

فيكون. فلما تحرك الحمل في أحشائها أحببت أن تشكر الله على هذه النعمة فقالت: رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

نَذَرْتُ ما في بطنها لله جل وعلا "أي لخدمة بيت المقدس"، جزاء على ما رزقها هذه النعمة. بعد ما وصلت لهذه السن.. وبعد مرور أشهر الحمل وضعت بنتا جميلة رقيقة طيبة، فنظرت إليها بحزن وقالت رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .
فقالت حنة: رباه إني وضعتها أنثى وأنت أعلم مني بما وضعت أي: أنت الذي رزقتني وقدرت لي ذلك، فليس الذكر كالأنثى في القوة والجلد وخدمة الأقصى وإني يا رب أعيذها بك من شر الشيطان وذريتها - وهو ولدها عيسى بن مريم فاستجاب الله لها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من مولود يولد، إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه))([2]).

فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا أَي إنه تقبل نذر أمها حنة وجعل شكلها مليحاً وأعطى لها منظرأً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قال: وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهَا كَانَتْ يَتِيمَةً ويقال أنها كانت سنّة جَدْبٍ فكفلها زوج خالتها لكي تكون تحت رعاية خالتها وحنانها ولا منافاة بين القولين، وقيل أنه زوج أختها وقد ذكر القرآن لنا أيضا وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ [آل عمران: 44] .

أي ما كنت معهم يا محمد لتخبرهم عن معانينة ما جرى، بل أطلعك الله عليه كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم لما اقترحوا في شأن مريم أيهم يكفل هذه الطاهرة التقية الورعة ليكن له الأجر، فحين خرجت بها حنة إلى بني الكاهن بن هارون أخی موسى عليهما السلام. وقالت هي نذيرة، ولا يدخل المسجد حائض، ولكني نذرتها، وأنا لا أردّها إلى بيتي. فقال زكريا: ادفعوها لي فخالتها تحتي، فقالوا: بذلك تطيب أنفسنا لأنها ابنة إمامنا. وقالوا: نقترح وبالفعل اقترحوا، فما هي القرعة؟!
أن يرموا الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة في نهر الأردن وقالوا أي قلم يثبت ولا يجري مع التيار بل يعاكسه هو كافلها وبالفعل حدث ووقع ذلك على قلم واحد، ... ترى من صاحب هذا القلم؟!!

إنه زكريا عليه السلام... وذلك لحكمة يعلمها الله... ويعلمها لنا ألا وهي لتتعلم مريم وتقتبس من النبي الزكي زكريا عليه السلام العلم والفقه وكان إمامهم وكبيرهم وسيدهم وعالمهم ونبيهم حين ذلك.

قال تعالى: كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا
تعجب زكريا من هذا الطهر والزهد والعفاف والتوحيد الذي وصلت به مريم البتول إلى مكانة عالية عند الله عز وجل فكلمها دخل عليها وجد عندها رزقا.

ثم قال لها زكريا عليه السلام: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا أَي من أين لك هذا الرزق؟!
قالت البتول الطاهرة: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَي ذلك لا دخل للمخلوق فيه بل هو من الخالق، وهو يرزق من يريد بغير حدود تحده.
وهكذا أيها الأحبة الكرام

اصطفى الله مريم في بستان الورع بين أزهار التقى والنقاء والعفاف والصلاح، هذه هي الزهرة والنبته الطيبة، نشأت مريم في هذا المكان وهذا الجو الإيماني الطاهر العفيف فاصطفاها الله وبشرها بهذه البشارة التي انفردت بها دون نساء العالمين ويالها من بشارة يالها من خصوصية اختص الله بها الطاهرة..

إيه يا مريم.... إيه بماذا اختصك ربك؟!

يقول الملك: وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ [آل عمران: 42-43].
يا لها من مكانة أترك بها الله دون نساء الدنيا يا مريم!

فلم تتوان مريم عن عبادة الرب فطلت البتول ساجدة وراكعة حتى أراد الله عز وجل أن يمنحها تلك المكانة الرفيعة من بين أمهات الدنيا

قال تعالى: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا [مريم: 16-21].

وفي يوم من الأيام خلت مريم لنفسها لقضاء شأن من شؤون العذراء الخاصة... وفجأه انحبس صوتها وشخص بصرها، إنها مفاجأة مذهلة تأخذ بالعقول بل وتصدع الأفئدة، بشر سوي في خلوة العذراء البتول الطاهرة. وسرعان ما استغاثت برب الأرض والسموات ولجأت إليه بشدة وقالت: أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا .
انظر إلى الفطنة والذكاء والورع! لم تقل أعوذ بالجبار منك ولم تقل أعوذ بالغفار منك وإنما استجاشت الرحمة في قلبه بذكر الرحمن فقالت أعوذ بالرحمن منك، أي ارحم ضعفي! ارحم أنوثتي! ارحم خلوتي!!

ولكن قدر الله لها مفاجأة أعظم. أن أنطق هذا البشر السوي في خلوة البتول الطاهرة ليقول لها: لا تخافي ولا تحزني فإنا رسول ربك إليك لأهب لك غلاماً زكياً قالت: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا لم أكن أبداً صاحبة فاحشة، فهي لم تتصور مطلقاً وسيلة للإنجاب غير وسيلة التقاء الرجل بالمرأة وهي لم تتزوج بعد، ولم تفكر أيضاً ألبته في الرذيلة، وهنا يأتي الرد القاطع الحاسم فيقول الملك والرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم الكريم قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا .

فهنا يقول المولى وَالتّي أَحْصَنْتُ فَرْجَهَا فَفَقَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء: 91].

فهنا حدث أمر غير مألوف ما اعتادت عليه الخليقة فَفَقَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا لتتجب عيسى عليه السلام، أي نفخ الملك جبريل في أعلى القميص بأمر من الله عز وجل وهذا ليبين للخلق طلاقة قدرة الخالق، إنها قدرة لا تحدّها حدود، إن من يحاول أن يصل بعقله القاصر إلى حدود قدرة الله كمن يحاول أن يكلف نملة أن تنقل جبلاً من مكان إلى آخر وما هي بناقلته إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس: 82].

فلا تفكر بعقلك القاصر البتة لتصل إلى منتهى قدرة الملك.
إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [آل عمران: 59].

فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات، فمن الذي خلق السماء بغير عمد ترونها؟!

من الذي خلق الأرض وشق فيها الأنهار والبحار وزينها بالأشجار؟
من الذي خلق سنبل القمح وغلفها بهذه الأغلفة الحصينة المكيئة؟
وجعل فوق كل حبة شوكة؟؟ ولم جعلها هكذا!؟

لأن الله قدر أن تكون هذه الحبة قوتاً لك أيها الإنسان دون الطيور أو غير ذلك !!
من الذي خلق كوز الذرة ورص على قولته هذه الحبات اللؤلؤية البيضاء بهذا
الجمال والإبداع!!؟

ومن الذي خلق الإنسان بهذا والجمال والإبداع!؟

هو الله....!!! هو الله...!!! هو الله...!!!

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الحشر: 22-23].

قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداك ؟

قل للمريض نجى وعوفي بعد ما عجزت فنون الطب من عافاك؟

قل للصحيح مات لا من علة من يا صحيح بالمنيا دهاك ؟

بل سل الأعمى خطأ وسط الزحام بلا صدام من يأعمى يقود خطاك؟

بل سل البصير كان يحذر حفرة فهو بها من ذا الذي أهواك ؟

وسل الجنين يعيش معزولاً بلا راع ولا مرعى من ذا الذي يرعاك ؟

وسل الوليد أجهش بالبكاء لدى الولادة من الذي أبكاك ؟

وإذا ترى الثعبان ينفث سمه فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك ؟

واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاك ؟

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاك ؟

إنه الله.. إنه الله.

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا

انتهى الأمر وقدره الله عز وجل.

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ

هو الذي خلق الخلق.. خلق آدم يوم خلقه بلا أب أو أم!! وكذلك خلق عيسى من أم بلا

أب!! ليكون للناس دليلاً على طلاقة قدرة الخالق.

قال تعالى: وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ

بِكَلِمَاتٍ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ [التحريم: 12].

ولقد ظهر الحمل.. والراجح من أقوال المفسرين أن الحمل بعيسى كان حملاً عادياً

تسعة أشهر وأنه لا ريب أن الله جلا وعلا كان قادراً ولا زال سبحانه على أن تحمل

مريم بعيسى وتضعه في لحظة واحدة، ولكن أراد الله بها أن يختبر مدى صبرها

ومدى تحملها على هذا الابتلاء العظيم التي لا تستطيع أن تقدر عليه إلا مريم ابنة عمران العذراء البتول، فهذا من تمام الابتلاء.

وبدأت بوادر الحمل تظهر على الطاهرة المطهرة، وهنا نظر يوسف النجار - ذلك الرجل الذي كان يخدم بيت المقدس - إلى بطن الطاهرة تعلو يوماً بعد يوم ويتعجب ولكن كثيراً ما كان يدفع أي خالجة تمر بذهنه لعلمه بطهر البتول، ولكن ها هي جبلية البشرية قد غلبته، وما استطاع أن يكتب هذه الخوارج عن لبه فقال لها: يا مريم إنني سائلك عن شيء ولكن لا تعجلي علي، فقالت الطاهرة العذراء: سل ما شئت يا يوسف وقل قولاً جميلاً. فقال لها يوسف: هل ينبت زرع بلا بذر؟! وهل ينبت شجر بلا غيث أو مطر؟! وهل يكون ولد بغير أب؟!!! فقالت مريم: نعم يا يوسف هو كذلك. قال: وكيف يكون ذلك يا مريم؟! قالت: ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم أنبته من غير بذر!! وأنبت الشجر يوم خلقه بغير غيث أو مطر، وخلق آدم يوم خلقه بغير أب أو أم!! قال يوسف: أعلم أن الله على كل شيء قدير! الله أكبر..

قال الله تعالى: فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا فَأشارت إليه قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [مريم: 22- 33].

هكذا قال عيسى الذي ما زال في المهد لا حول له ولا قوة له إلا بالله أنا عبد الله، وأعطاني الإنجيل وجعلني نبياً، وأمرني بالصلاة، والزكاة ما دامت بي حياة، ومحسناً إلى العذراء أمي، ولم يجعلني من الجبارين في الأرض ولا من الأشقياء.

ويكمل لنا القرآن قصة عيسى عليه السلام ويقول: ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [مريم: 34 - 36].

تعالى الله عما قاله النصارى فالكمال صفة من صفاته! أيقن له أن يتخذ ولداً؟! ولم يتخذ ولد وهو الغني عن خلقه ولن تغني الخليفة عنه!!

فالله هو الغني عن الولد والصاحب والزوج.

فيا عباد المسيح لنا سؤال نريد جوابه ممن وعاه

إذا مات الإله بصنع قوم أماتوه فهل هذا إله؟!!

ويا عجباً لقبر ضم رباً وأعجب منه بطن قد حواه

أقام هناك تسعاً من شهور لدى الظلمات من حيض غزاه

وشق الفرج مولوداً صغيراً ضعيفاً فاتحاً للثدي فاه

ويأكل ثم يشرب ثم يأتي بلازم ذاك هل هذا إله؟!!

تعالى الله عن إفك النصارى سيسأل كلهم عما افتراه

وصدق الله إذا يقول قل هو الله أحد يا من تشركون بالله... فالله لا ند له.. ولا كفاء له.. ولا شبيه له.. ولا زوج له... ولا ولد له ولا والد له ليس كمثل شئ وهو السميع البصير [الشورى:11].

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
أما بعد : أيها الأحبة الكرام :

أحبتي في الله: أرى أنه من الجمال أن أختم هذا العنصر بهذا الحوار المبارك الجميل الذي برىء به ربنا ساحة نبيه عيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة:116 - 118].

ثانياً: بل رفعه الله إليه

زعم اليهود عليهم لعائن الله المنتابعة أنهم قتلوا عيسى بن مريم وصلبوه، وزعم النصراني بجهل وغباء أن عيسى صلب وقتل ودفن وخرج من قبره بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الرب أبيه، وهو ينتظر إلى يوم الخلاص ليقتضى بين الأحياء والأموات!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً
فبين الله الحق وكذب اليهود والنصارى فقال سبحانه وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتيباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً [النساء:157 - 159].

قال أهل التفسير: إن الله عز وجل لما أراد أن يرفع نبيه عيسى إلى السماء بعد ما انطلق اليهود لقتله ألقى الله شبه عيسى على يهوذا الأسخريوطي الخائن الذي أخذ اليهود ليدلهم على مكان عيسى فابتلاه الله فألقى عليه شبه عيسى فأخذه اليهود فقتلوه وصلبوه وهذا قول.

والقول الآخر: ثبت عن ابن عباس بسند صحيح كما روى ابن أبي حاتم والنسائي بسند صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة النساء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لما أراد الله أن يرفع عيسى خرج إلى بيت فيه اثني عشر رجلاً من الحوارين فقال: نبي الله عيسى: إن منكم من سيكفر بي بعد أن آمن بي، ثم قال لهم: أيكم يقبل أن يلقي عليه شبه ليقتل مكاني ليكون معي في درجتي في الجنة فقام شاب أحدثهم سناً (أصغر الجالسين) فقال له: أنا، فقال: اجلس، فجلس، ثم أعاد عيسى القول مرة ثانية فقام نفس الشاب فقال له: اجلس فجلس، ثم أعاد عيسى

قوله للمرة الثالثة فقام نفس الشاب فقال عيسى هو أنت فألقى الله على هذا الشاب شبه عيسى ورفع الله عيسى إلى السماء".

وجاء الطلب من اليهود أي الذين يطلبون عيسى لقتله فأخذوا هذا الشاب فقتلوه فصلبوه فكفر بعض أتباع عيسى ممن آمنوا به كما ذكر لهم قبل قليل.

ثم ينزل الله عز وجل عيسى بعد ذلك لحكم عديدة خذوا منها:

أن الله تبارك وتعالى سينزل عيسى عليه السلام ليكذب اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه، وليكذب النصارى الذين جهلوا هذه الحقيقة، وليبين للناس جميعاً أن محمداً وأن الموحدين معه من أمته أولى الناس بعيسى عليه السلام لأنه سيحكم العالم كله بكتاب الله وبشريعة محمد رسول الله .

سينزل عيسى ليموت في الأرض فما قولك إذاً في قول الله تعالى: اذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْخُرْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنْ الْمَشْرِقِ وَمِنْ الْمَغْرِبِ وَإِذَا سَبَّحْتَ بِحَمْدِ رَبِّكَ فَقَدِ ابْتَدَأَ الضَّالُّونَ السُّبْحَ وَلِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ ذُرِّيَّتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران: 55].

والجواب كما قال جمهور المفسرين :

أن الوفاة في الآية معناها الوفاة الصغرى وهي النوم كما في قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ [الأنعام: 60].

وكما في قوله: اللَّهُ يَتَوَفَّاكَ لَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُّ وَحِينَ تُصْبِحُ [الزمر: 42].

أي في منامها كما في قول المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من منامه: ((الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور))([1]).

إني متوفيك أي ألقى الله عليه سنةً من النوم، وهذه هي الوفاة الصغرى باتفاق ثم رفعه الله عز وجل ثم ينزله الله تبارك وتعالى في الوقت الذي يشاء.

ثالثاً: نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء.

بين الله جل وعلا أنه رفع عيسى إليه إلى يوم الوقت المعلوم الذي سينزل فيه إلى الأرض مرة أخرى ليكون علامة كبرى من العلامات الدالة على قيام الساعة فقال في قرآنه: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ وَقَالُوا أَلَيْهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِجْدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [الزخرف: 57-61].

انتبه جيدا ففي قراءة ابن عباس ومجاهد وإنه لعلم للساعة أي نزول عيسى أمارة وعلامة على قيام الساعة. بل وروى ابن جرير بسند صحيح أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِلسَّاعَةِ أي خروج عيسى عليه السلام، فإن نزل فهذه علامة كبرى تدل على قرب قيام الساعة، وقال الله تعالى في الآية التي ذكرت آنفاً وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَإِلْيَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ بِقُرْبِهِمْ إِنْ يَبْصُرُونَ عِلْمَ الْيَوْمِ الْآخِرِ [آل عمران: 120].

وقد بينت السنة الصحيحة المتواترة نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء.

ففى الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي قال: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))([2]).

وانظر ماذا قال الحبيب في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس نبى بينى وبين عيسى بن مريم وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، إنه رجل مربوع ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالسمين ولا بال نحيف مائل إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر ماء من غير بلل))([3]).

وفى رواية النواس بن سمعان في صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشرط الساعة أنه قال: ((ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين)) في الرواية الأولى التي ذكرت آنفاً ((بين مصرتين)) أي ثوبين مصبوغين بصفرة خفيفة يسيرة ((واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كحبات اللؤلؤ)). يتوجه نبى الله عيسى من دمشق إلى بيت المقدس وقد أقيمت الصلاة فإذا رأى الإمام الفطن الذكى اللبى نبى الله عيسى عرفه وتقهر للخلف ليتقدم نبى الله عيسى فيقول له نبى الله: لك أقيمت فإن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة فيصلى نبى الله عيسى خلف إمام المسلمين فإذا انتهوا من الصلاة انطلق نبى الله عيسى إلى باب بيت المقدس وأمرهم أن يفتحوا الباب فإذا فتحوا الباب رأوا الدجال خلف الباب ومعه سبعون ألف من اليهود بالسيوف فإذا نظر الدجال إلى نبى الله عيسى ذاب كما يذوب الملح في الماء فيريد الدجال أن يهرب فيتبعه نبى الله عيسى ويدركه عند باب لد مدينة معروفة الآن بفلسطين فيقتله، ويريح الناس من شره.

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم قولاً عجيباً كما في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان وصحح السند الحافظ ابن حجر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أن رسول الله قال: ((فيهلك في زمان عيسى الممل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله المسيح الدجال، وتنزل الأمانة في الأرض حتى ترعى الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئب مع الغنم))([4]).

استحلفك بالله أن تنظر لبداية الحديث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم تهلك كل الممل إلا الإسلام...

سبحان الله...!! والله أكبر!!

أبشر أيها الموحد.. أبشر يا من تحب " لا إله إلا الله "

نعم والله ستهلك كل الأديان إلا الإسلام إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ [آل عمران:19].
وانظر مرة أخرى ومحص النظر.

ترعى الأسود مع الإبل...!! والنمار مع البقر...!!

والذئب مع الغنم...!!

وفي رواية أبي أمامة وسندها صحيح قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :
((فيكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها ويمر الوليد على الأسد فلا يضره وتمر الوليدة

على الحية فلا تضرها، رفع الظلم واستقر الأمن والأمان والرخاء وزادت البركة حتى تنزل الأمانة في الأرض))

بل في رواية النواس بن سمعان قال : ((فيقال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل (اللبن) حتى أن اللقحة (الوليدة التي وضعت ولدها) من الإبل لتكفي الفئام من الناس (الجماعة) واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس....)) [5] سبحان الله!!

وهكذا تعيش الأرض حالة لا نسيج لها في التاريخ كله، حتى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الديلمي والضياء المقدسي وصححه في الصحيحة الألباني من حديث أبي هريرة أن الحبيب النبي قال: ((طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات حتى إذا بذرت حبك على الصفا لنبت ولا تشاحن ولا تحاسد، ولا تباغض، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض)) [6].

الدعاء

[1]

رواه مسلم رقم (2901) في الفتن ، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ، وأبو داود رقم (4311) في الملاحم ، باب أمارات الساعة ، والترمذي رقم (2184) في الفتن ، باب ماجاء في الخسف .

[2] رواه أحمد رقم (7182) ومسلم رقم (2366) في الفضائل ، باب فضل عيسى بن مريم وهو في صحيح الجامع رقم (5785).

[1] رواه البخاري رقم (6312) في الدعوات باب ما يقول إذا نام ، والترمذي رقم (3413) في الدعوات باب ما يدعو به عند النوم ، وأبو داود رقم (5049) في الأدب باب ما يقال عند النوم .

[2] رواه البخاري رقم (2222) في البيوع ، باب قتل الخنزير ، ومسلم رقم (155) في الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأبو داود رقم (4324) في الملاحم باب خروج الدجال ، والترمذي رقم (2234) في الفتن ، باب ما جاء في نزول عيسى عليه السلام .

[3] رواه أبو داود رقم (4324) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، وصححه الألباني في الصحيحة (2182) وهو في صحيح الجامع رقم (5389) .

[4] مسند أحمد رقم (8902) .

[5] رواه مسلم رقم (2937) في الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال .

[6] صححه شيخنا الألباني ، في الصحيحة حديث رقم (1926) .

=====

عبدة الشيطان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران :

[102]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء : 1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب 70 – 71]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد:

فحياكم الله جميعا أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأحاب الكرام الأعزاء وطبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً .

وأسال الله العظيم الكريم جل وعلا الذى جمعنا وإياكم فى هذا البيت المبارك على طاعته ، أن يجمعنى وإياكم فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه .
أحبتى فى الله :

لا ينبغى للعلماء أن يكونوا بموضوعاتهم فى واد ، وأن تكون الأمة بجراحها ومشكلاتها فى واد آخر ، ومن هذا المنطلق فإن لقاءنا اليوم مع حضراتكم بعنوان عبدة الشيطان

وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية :

أولا : كلمات حزينة !!

ثانيا : تاريخ أسود !!

ثالثا : عقيدة فاسدة وطقوس شيطانية غامضة .

رابعا : الشياطين تعترف !!

وأخيرا : الأسباب والعلاج .

فأعيرونى القلوب والأسماع ، فإن هذا الموضوع من الأهمية والخطورة بمكان والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

اولا : كلمات حزينة

مسكين والله هذا الجيل الذى يُنَشَأُ ويُربى فى ظل حملة هائلة من التناقضات والأزمات والمشكلات ، وكأنه يعيش فى بحر لَجَى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب إذا أخرج يده لم يكد يراها .

بل إذا امتدت إليه يد حانية مشفقة طاهرة لتنتقذه من هذا الغرق المحقق ، جذبتة أيادٍ أخرى كثيرة بكثرة الأعداء المتربصين بهذا الجيل ممن لا يريدون لهذا الجيل أن يتربى أبداً على منهج الإسلام وعلى سنن النبي صلى الله عليه وسلم محمد بعد سنوات طوال عجاف.

وبعد تجربة مريرة طويلة حان وقت الحصاد فلن تجد الأمة إلا الفشل الذريع فى كل مجالات الحياة يوم أن أعرضت الأمة عن الله جلّ وعلا .

وأيقن الآن المنصفون ممن يحترمون أنفسهم ويحترمون عقولهم ، الذين كانوا يدافعون بالأمس القريب عن المناهج التربوية الغربية الدخيلة على عقيدتنا وأخلاقنا وديننا .

أيقن المنصفون منهم أنهم قصدوا سرايا وزرعوا حنظلاً ، وحصدوا شقاءً ، وتعاسةً ، وصدق ربي إذ يقول :

فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [طه:123-124]

إنهم يرون الآن نبتة السوء !!

يرون النبتة التى سقيت طيلة السنوات الماضية بمداد خبيث !! يرون النبتة التى غذيت طيلة السنوات الماضية بفكر منحرف زائغ ضال ضائع تائه .

تتمثل هذه النبتة فى مجموعة من شباب هذه الأمة يعبدون الشيطان الرجيم !! لا فى أوروبا ، ولا فى أمريكا ، بل فى مصر بلد الأزهر ، وإنا لله وإنا إليه راجعون !!

وخرج علينا الإعلام بل وخرج علينا الكثيرون ليقولوا إنهم مساكين !! إنها شرذمة شاذة خرجت من بين هذه الضغوط التى مورست عليهم فى وسط هذا المجتمع !!

يريد الإعلام أن نعتقد أن هذه الجماعة قد خرجت من خلال الصدفة ، وأرادوا أن يلبسوا على الأمة ذلك !!

إن جماعة عبدة الشيطان جماعة منظمة لها عقيدة مؤصلة ، ولها طقوس منظمة ، وهاهو عنصرنا الثانى بإيجاز لأعرج على العناصر كلها إن شاء الله تعالى .

تاريخ أسود

أيها المسلمون :

لاشك أن الشيطان قد عبد فى الأرض منذ أول لحظة كفر فسها الإنسان بالرحمن ، وأطاع فيها الشيطان

إلا أن أقدم وثيقة وجدت لعبادة الشيطان ترجع إلى العام الثانى والعشرين بعد الألف من ميلاد المسيح عليه السلام فى مدينة ((أورلانس)) بفرنسا .

ومن فرنسا خرجت جماعة ((فرسان الهيكل)) الماسونية مع الحملات الصليبية المبكرة على بلاد المسلمين ، واستطاعت هذه الجماعة أن تنشئ لها كنيسة خاصة

لتمارس فيها طقوس عبادة الشيطان لأول مرة فى بلاد المسلمين فى عام 1118م ، وذلك فى مدينة القدس بفلسطين .

ومن القدس الشريف أخذوا فى نشر دعوتهم إلى عبادة الشيطان داخل أوروبا .

ومع هجرة الأوربيين إلى أمريكا الجديدة نقلوا معهم معتقداتهم الفاسدة ، وأصبحت أمريكا بعد ذلك مرتعا خصبا لعبادة الشيطان ، بل وقذفت هذه العبادة قفزات هائلة جدا على يد هذا الكاهن الأمريكى الخبيث ((أنطون لافى)).

الذى أنشأ أخطر كنيسة على وجه الأرض تسمى ((كنيسة عبدة الشيطان)) التى يقدر عدد المنتسبين إليها بحوالى خمسين ألف عضو من الشباب والفتيات ينتسبون إلى أغنى العائلات !!!

ثم أنشأت الكنيسة فروعاً لها فى بعض الولايات الأمريكية ، وفى بعض المدن الأوربية ، وفى جنوب أمريكا .

وأخرجت مبشرين لها ودعاة لفرها فى مختلف أنحاء العالم !!
ثم كتب أنطون لافى ((الإنجيل الأسود)) ونشره فى عام 1969 بأكثر من لغة فى عدة طبعات فخمة فاخرة يدعوا فيه إلى عبادة وتمجيد الشيطان وكرهية الملك الرحمن !!

وفى عدد أكتوبر من عام 1982 أفردت مجلة التايم الأمريكية موضوعاً فى خمس وعشرين صفحة تحت عنوان ((عودة الشيطان إلى الولايات المتحدة الأمريكية)) وقالت : إن عبادة الشيطان تتم ضمن أجواء خاصة فى احتفالات أسبوعية دورية تبدأ بالرقص العارى مع الموسيقى الصاخبة ، ثم يعلن بعدها البدء فى ممارسة الجنس بصورة جماعية مع استمرار الموسيقى الصاخبة والأضواء المتحركة إلى أن يصل الجميع إلى حالة من الهستيريا تُرتكب خلالها بعض الجرائم الشاذة والغامضة !!!
لاحظ أن هذه الصورة قد انتقلت بحذافيرها إلى هؤلاء المجرمين المتمردين فى مصر بلد الأزهر !!

وقد أعلنت الجرائد ذلك ، بل وقد صرحت التقارير الأمنية بذلك ونشر ولم يعد هذا خافيا على أحد ، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء:
ثالثا : عقيدة فاسدة وطقوس شيطانية غامضة

أيها المسلمون : إن هؤلاء الموتورين يعتقدون أخبث وأقدر عقيدة على وجه الأرض ، إنهم يعبدون الشيطان . ويكفرون بالرحمن الذى حذر من عداوة هذا العدو اللدود . فقال سبحانه: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:6]

وبين سبحانه أن الشيطان سيتبرأ من أتباعه فقال تعالى : كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [الحشر:16]
وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [ابراهيم:22]

هم يعتقدون أن الله تعالى قد ظلم إبليس بإخراجه من الجنة !!
وهم يعتقدون أنه لا بد من اتباع إبليس لأنه هو الذى سيخلص العالم من الشر !!! وما ملأ العالم كله بالشر إلا إبليس !!
عقيدة خبيثة !!! عقيدة فاسدة !!!

فى طقوس شيطانية يقدمون العبادة للشيطان !!
التى لا تخرج عن الجنس الفاضح وتعاطى المخدرات . فالهدف الرئيسى هو إشباع
الغريزة الجنسية بغض النظر عن الوسيلة !!

فهم يبيحون ممارسة الجنس بين الذكور والذكور ، وبين الإناث والإناث، وبين
الذكور والإناث ولا يجدون غضاضة فى فعل الفاحشة فى جثث الموتى أو الإعتداء
على الآباء والأمهات والأبناء !!

وتبدأ حفلاتهم بالرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة وسط جو مشبع بالبخور ،
ودخان المخدرات ، ويقوم أعضاء الجماعة بتمديد إحدى الفتيات على الأرض وهى
شبه عارية !!

ثم تبدأ الطقوس الخبيثة بذبح خنزير أو دجاجة على جسد الفتاة ثم يلطخون جسمها
بالدماء إيماناً بقبول النذر للشيطان !!

ثم يتناوب عليها أعضاء الجماعة لممارسة الجنس الفاضح !!
ثم يلتفون ويدورون حول نجمة خماسية وضعت الشموع السوداء فى أركانها ، ثم
يمرون عليهم كوباً قد ملئ بالدماء فيرتشفون منه كدليل عملى على ولائهم للشيطان
!!

ثم يقومون بهز رؤوسهم بشكل رأسى بصورة هستيرية حتى يصابون بحالة دوار
يفقدون فيها الوعي !!

وهاهى بعض الاعترافات الخطيرة لبعض قادة هذا التنظيم الشيطانى فى مصر ،
وهذا هو عنصرنا الرابع :
الشياطين تعترف

يقول المتهم الاساسى : (وهو شاب فى العشرين من عمره فى المدرسة الثانوية
الإنجليزية بالزمالك) : لقد تلقى المصريون هذه الأفكار من خلال مجموعة من
الإسرائيليين !!

فالصهاينة لا يملون من تدبير المؤامرات لتدمير الشباب المصرى فملأوا أرض
سيناء الطاهرة بالعاهرات اللاتى أفسدن شباب البدو ، ومصصن دمه .

وهم الذين نشروا العاهرات اللاتى يحملن فيروس الإيدز فى كل مكان !!
وهم القائمون على صناعة سينما الديانة والدعارة فى هوليوود ، ومنها إلى كل مكان
!! وصدق الله إذ يقول : وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ

[البقرة: 120]

إن اليهود هم الذين بدأوا فى نشر أفكار ومعتقدات هذا المذهب الخبيث فى أوساط
الشباب المصرى عن طريق استدراجهم من خلال الجنس ، وتعاطى المخدرات ،
والخمور ، ومن خلال الحفلات الموسيقية الصاخبة !!

ثم يقنعون هذا الشباب بعد ذلك بمعتقدات هذه الطائفة التى تركز على تقديس وتمجيد،
وعبادة الشيطان وكراهية الرحيم الرحمن .

ثم يقول : وهناك اتصالات وتبادل معلومات بين أعضاء هذه الطائفة فى مصر
وإسرائيل .

ويقول طالب آخر وهو فى كلية الهندسة : نحن نعبد الشيطان لسببين !!!

السبب الأول : لأن الشيطان يبيح المتعة السريعة فى الدنيا ، ويبيح كل ما حرمه الدين!!

والسبب الثانى : هو الخروج عن المألوف والظهور بمظهر يختلف عن الآخرين للتميز عليهم !!

يقول الفتيات مثلا يستخدمن المانيكير الأسود لطلاء الأظافر !!
والرّوج الأسود للشفاف !! ويتعمدن إطالة الأظافر بشكل ظاهر !!
أما الشباب فالمظهر هو الشعر الطويل ، والأظافر الطويلة ، ورسم الوشم.
ثم يقول : وقد قمت بتنظيم حفلات قدمت فيها أغانى تمجد الشيطان ، وكل شىء فى هذه الحفلات مباح لأن أى شىء تحرمه الشريعة نمارسه فى حفلاتنا بعد رسم النجمة الخماسية المقدسة على الأرض للرقص حولها !!

نبته سوء وحصاد مر !!
ومأساة مروعة تخلع قلوب الغيورين الصادقين الذين تتقطع قلوبهم حشرات على أحوال هذه الأمة المسكينة التى يتكالب عليها الأعداء من شتى أقطار الأرض حتى لا تقوم لها قائمة ، بالقضاء على شبابها بل على سواعدها التى تبنى وتعمر !!!
السؤال الخطير : فما هى الأسباب التى أدت إلى ظهور هذه النبته السيئة ؟!!
وهذا هو عنصرنا الخامس من عناصر هذا اللقاء .

خامسا : ما الأسباب ؟ والعلاج
السبب الأول : استقالة الأسرة وغياب القدوة .
أيها الآباء .. أيها الأخوات .. أيها الأخوة :
ماذا تقولون لو قلت لحضراتكم إن والدًا قد قدم استقالة مكتوبة لأسرته من تربية أبناءه ؟!!

ستضحكون بملء أفواهكم وستقولون : إنه أب مجنون .
ماذا تقولون ، لو قلت لكم إن أمًا قد قدمت استقالة مكتوبة أو شفوية لزوجها من تربية الأبناء ؟! سننهم بالجنون .

وهنا أقول : إنكم لو نظرت نظرة فاحصة مدققة لواقع مُر أليم تحياه بيوت المسلمين لرأيتم استقالة لا أقول فردية بل جماعية من كثير من الآباء والأمهات .
استقال الأب عن أعلى وظيفة له !!

واستقالت الأم أيضا من أشرف وظيفة لها وهى التربية !!
الطفل ينزل كصفحة بيضاء ، وأول الخطوط التى تخط على هذه الصفحة تخط فى داخل الأسرة وفى داخل البيت أين الوالد ؟! أين الأم ؟! أين الأب الذى استقال منذ زمن ؟!

أين الأم التى استقالت منذ زمن ؟!
ظن الأب المسكين أن وظيفته أن يكون ممثلاً لوزارة المالية !!
لقد صرح والد أحد هؤلاء المنحرفين وقال : أنا لم أر ولدى منذ سنة !! قلنا ربما كان الوالد مسافراً !!

قال : لا لم أكن مسافراً !!
وقالت أم : أنا لم أدخل غرفة ولدى ، ولم أر هذه المناظر إلا الآن !!

أين الأب؟! أين الأم!؟

انشغل الأب بالوظيفة ، بالتجارات والأموال بالسفر ، بالجلّ والترحال قد أقول لكم الآن بأننى أعذر كثيراً من الآباء لأن الظروف الاقتصادية تطحن الناس طحنا ، فقد لا يجد الوالد رماً من الوقت ليوفر لأولاده الحياة الطيبة الكريمة !! هذا صنف لكننى أتكلم عن صنف آخر حتى لو تبقى له رماً من الوقت فى آخر النهار يرجع ليقتل هذا الرمح قتلاً بالمكث أمام الشيطان الذى جسم على صدورنا فى البيوت !!

يجلس ليقضى ما تبقى من الوقت أما فيلم داعر ، أو مسلسل هابط أو برنامج العالم يغنى ، وهامم الأولاد رقصوا وغنوا . أين الأب!؟ .

إن جلوس الأب بين أبنائه ولو كان صامتا فيه من عمق التربية ما فيه . فما بالك لو تكلم!؟ !

لو ذكّر أبنائه بالجنة والنار ، لو حل مشكلة .. لو أجاب على تساؤل .. لو أزاح همأ .. لو خطط لأبنائه فى داخل البيت وخارجه .. ماذا ستكون النتيجة؟

وتزداد الكارثة إذا انضمت إلى استقالة الأب استقالة الأم ، فانشغلت الأم المسكينة بالمسلسلات والمباريات والأفلام والضرب فى الأسواق واللهث وراء أحدث

الموضات والموديلات .

انشغلت الأم وتركت الأبناء وانشغلت عن الأبناء فانطلقوا وهم يشعرون باليتم

التربوى ليفتاتوا من الشوارع ، ومن وسائل الإعلام التى تبث الرذيلة

وليس اليتيم من انتهى أبواه إن اليتيم هو الذى ترى له

وخلفاء فى همّ الحياة ذليلاً أما تخلت أو أبأ مشغولاً

ويشعر الأبناء حقاً باليتم ، فأنا أقول إن غالب فساد الأبناء يرجع فى المقام الأول إلى

إهمال الأمهات والآباء ، إلا ما رحم ربك .

فقد يكون الوالد صالحاً ، وقد تكون الأم الصالحة ، ويخرج الولد على الطريق ، وهذا

الاستثناء لا ينقض أصل القاعدة .

فها أنذا أتذكر الآن بيتاً هو أظهر بيت فى زمانه ، الوالد الذى يقوم فيه على التربية

نبي من أنبياء الله ومع ذلك خرج ابن هذا النبي صلى الله عليه وسلم كافراً مشركاً

بالله جل و علا

وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي

إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ [هود: 42-

43]

وفى المقابل أرى بيتاً هو أخبت بيت على وجه الأرض فى زمانه إنه بيت فرعون

يقوم على أمر التربية فيه طاغوت يقول : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى .. ومع ذلك خرج من هذا

البيت نبي الله موسى الذى قال الله جل و علا : وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي [طه: 41]

لكن غالب فساد الأبناء يرجع إلى إهمال الأمهات والآباء .

أيها الآباء الفضلاء : كما أن للوالدين حقوقاً على الأبناء فإن للأبناء حقوقاً على

الآباء.

وما أروع ما أصلّه فاروق الأمة عمر يوم جاءه والد يشكوا إليه عقوق ولده فقال :

أتنى به فجاء الشاب فوق بين يدي عمر .

فقال له : لم تعق والدك ؟

فقال الشاب : ما حقى على أبى يا أمير المؤمنين ؟

قال : حقك عليه أن يحسن اختيار أمك ، وأن يحسن اختيار اسمك ، وأن يعلمك القرآن .

فقال الشاب : والله ما فعل أبى شيئاً من ذلك يا أمير المؤمنين .

فالتف عمر إلى الوالد وقال : لقد عقت ولدك قبل أن يعقك ولدك !!

عقوق متبادل !!

إن إهمال الوالدين للأبناء لم يضر الأبناء فحسب بل يضر الآباء قبل الأبناء فى الدنيا

والآخرة قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحریم:6]

وقى الصحيحين من حديث ابن عمر أنه قال :

((كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع

فى أهله ومؤول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ،

والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته)) (1)

فإن غش الراع الرعية حرم الله عليه الجنة .

ففى الصحيحين من حديث معقل بن يسار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:(ما من

عبد يسترعيه الله عية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه

الجنة)) (2)

فاستقالة الأسرة وغياب القدوة أمر خطير !! الولد يرى أباه لا يصلى كيف يتعلم

الصلاة ؟ إلا إذا وفقه المولى جل فى علاه .

البنات التى ترى الأم متبرجة مستهترة لا تخلص لزوجها كيف ستتعلم الفضيلة ؟ مشى

الطاووس يوماً باختيال فقلد مشيته بنوه !!

فقال علام تختالون ؟ قالوا لقد بدأت ونحن مقلدوك

يشب ناشيء الفتیان منا .. على ما قد عوده أبوه

العلاج : أن تعى الأسرة مسئولية التربية وأن يتقى الله الوالدان ، وأن يعلما يقينا أنهما

مسئولان بين يدي الرحمن جل و علا .

أسأل الله أن يستر علىّ وعليكم فى الدنيا والآخرة .

السبب الثانى : المناهج التعليمية الحديثة .

إن المناهج التعليمية الحديثة فى مدارسنا وجامعاتنا تحسن أن تعلم الجيل المعارف

والمعاني، والعلوم ، ولكنها لاتحسن أن تعلم عيونهم الدموع ولا قلوبهم الخشوع .

قد يدرس الشاب أربع سنوات لا يجد آية تقربه إلى الله !!!

لا يجد قدوة بين يديه يذكره بالله .

فالعملية التعليمية تحتاج إلى مراجعة . اختلاط مدمر !! وأعتقد أنه قد آن الأوان أن

يحترم كل منصف نفسه ، ولا يقول بأن الاختلاط سيخفف حدة الكبت الجنسى عند

الصنفين والنوعين فما هى نتيجة الاختلاط

نقدم النار فنقربها من بنزين يضطرب ونقول إياك أن تشتعل .

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال إياك إياك أن تبتل بالماء
أمر عجيب : شاب له غريزته ، وله شهوته . وشابة أو فتاة لها غريزتها ولها شهوتها
.. متزينة .. متجملة .. كأنها ما خرجت إلا لمسرح أو لسينما ، ما خرجت إلى

"الحرم" الجامعي كما يقولون !!

ماذا تنتظرون يا سادة بعد هذا !!؟

الصحابة وهم أصحاب أطهر القلوب على وجه الأرض بعد الأنبياء أمرهم الله جل
وعلا ، إذغ كلموا أمهات المؤمنين أن يكلموهن من وراء حجاب : وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ
مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ [الأحزاب: 53]

إن قلنا أن الإسلام حرم الاختلاط . قالوا هذا عين التطرف !!

انظروا إلى التاريخ الإسلامي في كتب أبنائنا !!؟

أين سير الصحابة في كتب التعليم ؟

حذفت من كتب أبنائنا قصة الفدائي الصغير لعلى بن أبى طالب يوم أن فدا النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة .

قلت : لعلمهم وضعوا الفدائي الكبير أبو بكر أو رسول الله ، وإذا بهم في مثل هذا
الموضع يضعون قصة مخترع السننيماء . بدلا من على بن أبى طالب !!

والله لا نقول هذا للإثارة أبدا ، وإنما أحمل الجميع المسؤولية أمام الله فمحال أن يخلوا
هذا الجمع الكبير المهيب من مسئول له كلمة نسمع فاتق الله أيها الحبيب وقل قولة
حق بإسلوب طيب رقيق رقيق لعل الله أن ينفع بقلمك ، بعل الله أن يرفع بنصيحتك
الضرر الكبير عن أبنائنا وبناتنا ، وبالجملة عن هذه الأمة المسكينة .

وأكمل الحديث عن الأسباب والعلاج

بعد جلسة الاستراحة ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة
فكشف الله به العمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولا عن دعوته وصلى اللهم وسلم
وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن
بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام :

السبب الثالث : الإعلام ، وما أدراك ما الإعلام :

إن القائمين على الإعلام لا يرقبون في المؤمنين إلا ولا ذمة ؟ ، وأستطيع أن أعلن
بكل ثقة واطمئنان أن الناظر إلى الخريطة الإعلامية المقدمة سيخرج بهذه النتيجة
الحتمية ألا وهى : أن هذه الخريطة فى الجملة تعزف على وتر الجريمة والعنف
والجنس !!

كم عدد الأفلام التى تعرض للفاحشة بأدق التفاصيل ؟

كم عدد الأفلام التى تعرض للعزف على وتر الجريمة ؟

يجلس الطفل المسكين أما التلفاز أو حتى الشاب فيرى ممثلاً ساقطاً هابطاً لا يجيد إلا أدوار العنف والقذارة والجريمة ، وفي فيلم آخر ومسلسل جديد يرى نفس المجرم يلبس العباة ، وقد ركب لحية وأمسك مسبحة ويتمتم بآيات القرآن وبحديث النبي صلى الله عليه وسلم عله الصلاة والسلام .

فتختل في قلب أبنائنا وبناتنا الفضيلة ، وتستوى الفضيلة مع الرذيلة ، ويستوى الحلال مع الحرام ، والحق مع الباطل !!

وفي وسط هذا الغناء ((حديث الروح)) ثم فاصل من الرقص الراقى الذى يسمونه بفن الباليه ، وإن شئت فقل فن البلاء !!!

وأصبح الممثلون والممثلات والملاعبون هم القدوة ويقدمون على أنهم الأبطال فيتمنى الطفل أن يصبح مثل هؤلاء !!

غياب القدوة أمر خطير ، ونعتقد أن جهاز التلفاز من أخطر الوسائل للدعوة إلى الأفكار .

رابعا : الفراغ الدينى القاتل ، وعدم قيام المساجد بدورها التى ينبغى أن تقوم به . إن هذا الشاب الذى خرج ليعبد الشيطان ما عرف الرحمن وغيره من الشباب يعيش

الآن فى فراغ دينى قاتل ، والدين هو الوقاية والعصمة والحصن .

قال تعالى : **فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** [طه:123-24]

وأنا أود أن أقول للجميع الآن قارنوا مقارنة سريعة بين الشباب الطاهر الطائع الذى بين يدي وبين هذا الشباب التائه الضائع .. إنه الدين إنه الدين

شابٌ يُبتلى ويفتن ومع ذلك يقبض على دينه كأنما يقبض على الجمر إن ذل بمعصية يبكى ويعتصر قلبه والله لقد وقفت على دراسة كاد قلبى أن ينخلع .

أجريت الدراسة فى جامعة القاهرة على عينة عشوائية من الطلاب تتكون هذه العينة من سبعمائة طالب وطالبة فكانت النتيجة مروعة

سنة وثلاثون وأربعة عشر فى المائة (36,4%) من نتيجة العينة شربوا المخدرات وخمسين فى المائة (50%) من نتيجة العينة شموا الهيروين .

الشباب يتجهون إلى المخدرات لأنهم يعانون من فراغ دينى قاتل .
والعلاج : هو المسجد

المساجد هى الحصن التربوى الطاهر الذى يحمى أبنائنا بإذن الله من الانحراف .. لما أفقلت المساجد فى وجوه الشباب ، انطلق الشباب ليريحوا عن العلم فى الظلام فأتى

العلم مظلماً !!
ولما حيل بين الشباب وبين العلماء والدعاة انطلق الشباب ليريحوا عن العلم فى بطون

الكتب فجاء العلم فى بعض الاحيان منحرفاً من خلال الفهم الخاطيء فمن كان شيخه كتابه غلب خطأه صوابه .

فلم تخشوا من المساجد افتحوا المساجد للعلماء والدعاة وللشباب ليتربى أبنائنا وبناتنا ، بل وأبائنا وأمهاتنا فى الأحضان التربوية الطاهرة وقد أن الأوان أن تُرفع من كل

وسائل الإعلام كل صور الامتهان للعلماء والشيوخ والدعاة .
لا زلنا إلى الساعة نمر على أبنائنا فى المدارس فيقولون : إرهابى !!

متطرف !! إفراز للإعلام .

قدمت له هذه الصورة ، صورة اللحية صورة سنة الحبيب محمد على أنه الإرهاب ، ولم يفرق الإعلام بين الإرهاب وبين الدين فينبغي أن ترد كرامة التدين وكرامة أهل الدين .

أسأل الله العظيم أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين

000000000000

(1) رواه البخارى(7138) فى الأحكام فى فاتحته ، وكذلك فى الجمعة والاستقراض والعنق ، وفى الوصايا ، وفى النكاح ، ورواه مسلم رقم(1829) فى الإمارة باب فضيلة الإمام العادل ، والترمذى رقم(1705) فى الجهاد ، باب ما جاء فى الإمام ، وأبو داود رقم(2928) فى الإمارة ، باب ما يلزمه الإمام من حق الرعية .

(2) البخارى(13/112) فى الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ، ومسلم رقم(142) فى الإيمان ، باب استحقاق الوالى الغاش لرعيته النار ، وفى الإمارة باب فضيلة الإمام العادل ، وأخرجه أيضا أحمد فى مسنده (27,25/5).

لا تقنطوا من رحمة الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.. أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة ، جاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد

فحياً لله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وذكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور. طبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً. حياكم الله جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائماً وأبداً على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين فى جنته ودار كرامته.

إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير..

« لا تقنطوا من رحمة الله »

هذا هو عنوان خطبتنا فى هذا اليوم المبارك أسأل الله جل وعلا أن يذل لى ولكم الصعاب، وأن يبسر لى ولكم الأسباب وأن يفتح لى ولكم الأبواب إنه الحليم الكريم الوهاب.

ونظراً لطول هذا الموضوع فسوف ينتظم حديثى مع أحببى فى العناصر التالية:

أولاً: الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار.

ثانياً: خطر الذنوب والمعاصى.

ثالثاً:نداء علوى رقيق.

وأخيراً: فهل من توبة.

فأعيروني القلوب والأسماع. فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

أولاً: الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار

أيها الحبيب الكريم. من يوم أن وجدت في هذه الدنيا وأنت مبتلى، وأنت مختبر، إن مَنْ الله عليك بالمال فأنت في بوتقة اختبار، إن مَنْ الله عليك بالعافية والصحة فأنت مبتلى .. إن ابتلاك الله بالشك والضيق فأنت مبتلى.

وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ([1]) هذه الدنيا دار إبتلاء وبوتقة اختبار ليست دار قرار وإنما هي دار بلاء ودار زوال.

اسمع إلى الكبير المتعال جل جلاله وهو يقول:

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ([2])
هذا حكم الله جل وعلا على هذه الدار.

فانتبه أيها الحبيب.. ولقد تعمدت أن أبدأ الموضوع بهذا العنصر لينتبه كل غافل وليستعد كل ظالم.. ولينتبه كل مسوف للتوبة ظنا منه أن هذه الدنيا دار إقامة.. ، ودار قرار.. كلا إن الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختيار.. ومهما طالتي فهي قصيرة.. ومهما عظمت فهي حقيرة، لأن الليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر ولأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر.

استمع إلى حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يبين لنا حقيقة هذه الدار في هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة :

يقول الحبيب: ((إن ثلاثة نفر في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال أي شيء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرتني الناس ([3]). فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسناً وجلداً حسناً قال فأى المال أحب إليك قال الإبل - فأعطى ناقه عشرة فقال: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعْر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرتني الناس. فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً. قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطى بقرة حاملاً وقال: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرُدَّ الله إليَّ بصري، فأبصر به الناس. فمسحه فرُدَّ الله إليه بصره. قال: فأى المال أحب إليك قال الغنم. فأعطى شاةً والداً فأنتج هذان وولد هذا - قال - فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم»

اسمع أيها الحبيب: فأرسل الله جل وعلا الملك إليهم مرة أخرى لكن الملك ذهب إلى كل واحد منهم على صورته التي كان عليها من قبل فذهب الملك في صورة رجل أبرص إلى الرجل الأول.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: « ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مَسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ ([4]) فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الْوَنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَنْتَبَلُغَ بِهِ ([5])

فِي سَفَرِي . فَقَالَ الْحُقُوفُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ: لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أُبْرِصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ؟
 فَقَبِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟! فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ!!»
 استمع إليها الحبيب: ألم أقل لك أن الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار .. لما أعطاه الله
 المال نسي أصله ونسى فقره وعجزه وحين ينسى الإنسان أصله .. تعالى ..، وتكبر ..،
 واستعلى .. إذا نسي الإنسان أنه كان شيء لا يذكر
 أصلك يا ابن آدم من تراب .. وفصلك يا ابن آدم من النطفة ..!!
 وأصلك يوطأ بالأقدام .. وفصلك تطهر منه الأبدان ..!!
 قال تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ
 صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ [6]

ورد في مسند الإمام أحمد بسند حسن من حديث بسر بن جحاش القرشي أن رسول
 الله بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال : قال الله عز وجل : « يَا ابْنَ آدَمَ
 أَنِّي تُعْجِرُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ
 وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَيُؤَدُّ فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ وَأَتَى أَوْانِ
 الصَّدَقَةِ » [7].

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
 كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [8]
 أحبتي في الله نعود إلى الحديث : يقول الملك :

ألم تك أبرص يقدرك الناس ، فقيرا فأغناك الله؟!
 فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر !! كلمتان كانت السبب في محو هذه
 النعمة وفي زوال هذا الخير.. يقول له الملك : «إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت
 »

يعلق الحافظ ابن حجر في الفتح ويقول : وجاء في النص النبوي إن الله عز وجل قد
 فعل به ورده إلى ما كان إليه أول مرة.

ثم ذهب الملك إلى الرجل الثاني وقال لما مثل ما قال للرجل الأول فرد عليه مثل
 ما رد عليه الرجل الأول فقال له الرجل الأول فقال الملك: إن كنت كاذبا فصيرك الله
 إلى ما كنت فصار إلى ما كان كما قال الحافظ ابن حجر، ثم ذهب الملك إلى الرجل
 الثالث وهو الأعمى فقال: «رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَإِنِّي سَبِيلٌ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي
 فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَتْ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ، شَاءَ أَنْتَبَلُغَ بِهَا فِي
 سَفَرِي؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ
 لَا أَجْهَدُكَ [9] الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِي عَزَّ وَجَلَّ

فَقَالَ الْمَلِكُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمُ، فَقَدْ رُضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَيَّ صَاحِبِيكَ
 [10]

ألم أقل لك أيها الحبيب بأن الدنيا دار ابتلاء .. ألم أقل لك أيها الحبيب بأن الدنيا دار
 اختبار.

اَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا [11]

أيها الحبيب الكريم : قال لقمان الحكيم لولده: أى بنى إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا استديرت الدنيا، واستقبلت الآخرة، فأنت على دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها.

أيها الحبيب الكريم.. أيها الشاب .. أيها الوالد الفاضل.. أيتها الأخت الكريمة الفاضلة :

أيها الحبيب الكريم .. الدنيا دار ابتلاء وبوتقة اختبار، وليست دار قرار ، وإنما دار القرار هي الجنة، جنة الكبير المتعال أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها. هذا بإيجاز عن العنصر الأولى حتى أُعَرِّج على بقية عناصر الموضوع إن شاء الله جل وعلا.

ثانيا : خطر الذنوب والمعاصي

لما كان الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان ويعلم ضعفه وفقره وعجزه ويعلم أنه لا يستطيع أن يقنن أو يشرع لنفسه ما يسعده في الدنيا والآخرة. جعل الله للإنسان منها ما يضمن له السعادة في الدنيا والآخرة فقال:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ تَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ([12])
أيها الحبيب

وضع الله للبشرية منها ما يضمن لها السعادة في الدنيا والآخرة. فمن اتبع منهج الله. سعد في دنياه وسعد في أخراه، ومن أعرض عن منهج الله وعصى مولاه شقى في دنياه، وهلك في أخراه.

فالمعاصي سبب للشقاء في الدنيا والآخرة.. المعصية سبب للشقاء في الدنيا والآخرة. الله جل وعلا يأمرك .. فاتمرك نهاك فانتهى .. حد لك حدودا لسعادتك فامتثل حدود الله، وأوامر الله.. احفظ الله يحفظك..

يقول الحافظ ابن رجب : احفظ الله بالإمتثال لأوامره والإستجابة لنواهيهِ والوقوف عند حدودهِ. إن فعلت ذلك فأنت ممن حفظ أوامر الله تبارك وتعالى.
أيها الحبيب الكريم :

المعصية ابتعاد عن منهج الله، ابتعاد عن حدود الله، تحد لأوامر الله تبارك وتعالى، فمن أخطر آثار المعاصي والذنوب أنها أخرجت الأبوين الكريمين من الجنة. نعم بسبب المعصية. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ([13]) . فمن الذي أخرج الأبوين الكريمين من الجنة.. وما الذي طرد إبليس من رحمة الله.. وما الذي أهلك قوم فرعون.. وما الذي أهلك قوم عاد.. وما الذي أهلك قوم ثمود.. وما الذي أهلك قوم قارون.. وما الذي أهلك الظلمة والفجرة والجبابرة في كل عصر وحين.. إنه شؤم المعاصي والذنوب. فالمعاصي سبب للشقاء في الدنيا والآخرة.

وانتبه أيها الحبيب الكريم : فمن أخطر آثار المعاصي والذنوب..

1- حرمان العلم:

يقول عبد الله بن مسعود ، فى قوله تبارك وتعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ([14])

انتبه.. فإن كثيراً من طلاب العلم يشتكى سوء حفظه وضعف ذاكراته ولو فتشت أيها الحبيب الكريم لعلمت أن السبب هو المعاصي والذنوب.

يقول ابن عباس:

إن للمعصية سواداً في الوجه، وظلمة في القبر وَوَهْنًا في البدن، وضيقاً في الرزق، وَبُغْضًا في قلوب الخلق، وإن للطاعة: نوراً في الوجه، ونوراً في القلب، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق.

ويقول ابن مسعود:

إن لأحسب أن الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنوب يعمله.

لما أراد الشافعي الإمام أن يتلقى العلم على يدي سيد المسلمين في زمانه الإمام مالك بن أنس بعدما تلقى العربية وفنونها في قبيلة هُذَيْل. عاد الشافعي يتكلم العربية بلغة فصيحة عجيبة فاغتاظ منه أحد بني أعمامه وقال: يا شافعي يعز عليّ ألا أرى مع هذه اللغة فقهاً وعلماً. فقال الشافعي: فَعَلَى يَدِ مَنْ أَطْلَبَ الْعِلْمَ: قال على يد سيد المسلمين، اذهب إلى مالك بن أنس في مدينة رسول الله، وانطلق هذا الشاب الزكي العبقرى الصغير الذي لم يكن حينها قد جاوز الخامس عشرة من عمره، انطلق الشافعي ليبحث عن كتاب الإمام مالك «الموطأ» فاستعار الموطأ من رجل وعكف الشافعي مع الموطأ فحفظه عن ظهر قلب في تسع ليال. وأخذ في صدره، وانطلق إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وجلس الشافعي الإمام بين يدي أستاذه وشيخه مالك بن أنس وافتتح الشافعي الموطأ من حفظه، فكلما نظر مالك إلى الشافعي يقرأ الموطأ من صدره أعجب بذكاءه، وبحسن قراءته وقوة حافظته وذاكرته وببلاغته.

يقول الشافعي: فكلما نظرت إلى مالك تهيبت أن أوصل القراءة، فنظر إلى مالك وقد أعجب بحسن قراءتي وحفظي وقال لي: زد يا فتى.. زد يا فتى.. زد يا فتى.. حتى أنهيت الموطأ كله في أيام قليلة. فلما رأى مالك هذا الذكاء وهذا الحفظ من الشافعي قال:

يا شافعي إنى أرى قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

أحبتى.. ألم أقل إن للطاعة نورا في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق.

ألم أقل كما قال ابن عباس:

إن للمعصية سواداً في الوجه، وظلمة في القلب والقبر، وضيقاً في الرزق، وَوَهْنًا في البدن، وَبُغْضًا في قلوب الخلق.

فيا أيها الحبيب الكريم:

اعلم بأن من أخطر آثار الذنوب والمعاصي أن تحرم من العلم، فإن زلت قدمك..، وجاذبتك أشواك الطريق يا طالب العلم فأنت بشر.. لست ملكاً مقرب، ولست نبياً مرسلًا، إنما ورد في الحديث إن رسول الله قال:

« كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » ([15])

فإن زلت قدمك وجاهدك أشواك الطريق فتب إلى الله، وعد إلى الله واعلم بأنك على الحق إن شاء الله جل وعلا.

2- حرمان الرزق:

فقد ورد في المسند بسند جيد بأن رسول الله قال: «وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ»

قد يقول قائل: ما بال هؤلاء الكفرة الملاحدة يتنعمون بأرزاق الله؟ نقول لقد تكفل الله سبحانه وتعالى برزق الخلق جميعاً من أخذ بالأسباب أعطته الأسباب النتائج بأمر مسبب الأسباب تبارك وتعالى حتى لو أخذ بهذه الأسباب كافر بمولاه. هذا عهد الله جل وعلا ويتبقى الحساب في ويوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وإذا رأيت الرجل في نعمة الله. فاعلم أنه استدراج له من الله إن كان على معصية مولاه، اسمع إلي الله جل وعلا وهم يقول: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ([16])

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ([18])

كلا- كلا ليس الأمر كما تقولون وكما تدعون فليس كل من يسر الله عليه يكون قد فاز برضوان الله وليس كل من ضيق عليه يكون قد باء بغضب الله .

إذن أيها الحبيب الكريم:

اعلم بأن من عند الله لا ينال إلا طاعته وإياك أن تظن أن ما عند الله ينال بمعصيته، واحرص على أن تأكل الحلال الطيب. فإن العمر قليل، وإن أقرب غائب تنتظره هو الموت، وإن جسداً نبت على السُّحت وعلى أكل الحرام، فالنار أولى به.

فإياك والرشوة، وإياك والحرام، وإياك والباطل، وإنما أدخل على ولدك الحلال الطيب.. ليربي الله لك ولدك التربية الطيبة الصالحة في حياتك وبعد مماتك.
وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ([19])

دخلوا على عمر بن العزيز وهو على فراش الموت: وقالوا: يا أمير المؤمنين ألا توصى لأولادك بشيء، فلقد أقفرت أفواه بنيك. فقال: أجلسوني، فاجلسوه فقال: فوالله ما ظلمتهم حقا هو لهم، ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم، وإن وصي فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ([20])

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فالله ستولى الصالحين وإما غير ذلك فلن أترك له ما يستعين به على معصية الله. ادعوا لي بني، فأتوه.

فلما رأهم ترقرقت عيناه وقال: بنفسى فنتة تركتهم عالية لا شئ لهم وبكى، يا بني إنى قد تركت لكم خيراً كثيراً، لا تمرّون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقاً. يا بني إنى قد خبرت بين أمرين إما أن تستغنوا وأدخل النار أو تفتنقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتنقروا إلى ذلك أحب إليّ، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله.

وَأَيُّخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [21]

3- الذل والهوان:

لا تغتر بأهل الدنيا إن كانوا محادين لله ورسوله.

إن الله يذل العاصي لشهوته.. لكرسيه.. لزوجته.. لابنه الضال.. وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذلك المعصية في قلوبهم.. يأبى الله إلا أن يذل من عصاه.

يا ابن آدم.. يا من عبت الكرسي والمنصب الفاني.. إن غرتك قوتك فلم استحكمت فيك شهوتك، وإن غرك غناك فارزاق عباد الله في أرض الله يوماً واحداً.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا [22]

لا على شرق ملحد، ولا على غرب كافر. وإنما على الله

من أعجب ما قرأت في الحلية لأبي نعيم: أن إبراهيم بن أدهم جلس يوماً يأكل بعض قطع اللحم المشوى فجاءت قطة فأخذت قطعة لحم وانصرفت، فجرى وراءها إبراهيم بن أدهم ليراقب الموقف وإذ به يرى القطة تضع قطعة اللحم أمام جحر مهجور فراقب الموقف بشدة وانتباه فينظر إبراهيم فيرى ثعباناً أعمى يخرج من جحره ليأخذ قطعة اللحم ويرجع مرة أخرى، فبكى إبراهيم بن أدهم ورفع رأسه إلى الرزاق ذي القوة المتين وقال: سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضاً.

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

ولكن لما قلت ثقنا في الرزاق.. وضعف يقيننا في الرزاق.. رأينا الفسق وباركناه، وفتحنا أندية القمار وزكيناها.. وفتحنا الأبواب على مصراعيها للسياحة الداعرة.. وقننا وشترنا لهم شرب الخمر في بلاد المسلمين مادام أن المسلمين لا يشربون الخمر فما الضير في ذلك؟! ما داموا يدخلون لنا الأموال التي حرمتها الكبير المتعال جل وعلا.

ليس هناك ثقة في الرزاق!! والله سبحانه وتعالى يقول: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [23]. الله أكبر

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا [24]

إذن أيها الحبيب الكريم من آثار المعاصي والذنوب.. الذل والذلة والمهانة.. العز في الطاعة.. والذل في المعصية.

المعصية ذلة وذل ومهانة وحقارة وضعف.. ولكن إن تبت إلى الله وعدت إلى الله فأنت كريم على الله.. عزيز على الله جل وعلا.

* وخذوا هذه العبارة التي ينبغي أن تسطر بالنور لا بالذهب من شيخ الإسلام والمسلمين القائم ببيان الحق ونصرة الدين: ابن تيمية رحمه الله وطيب الله ثراه: يقول:

الأصل في الكبائر التوبة وليس إقامة الحدود.

عبارة عجيبة.. إن وقعت في كبيرة من الكبائر وسَتَرَكَ اللهُ، استرد على نفسك، وتب إلى الله جل وعلا.. أما إن وصل أمرُك إلى ولى الأمر وجب عليه حينئذ أن يقيم عليك حد الله، ولا ينبغي أن تأخذنا الشفقة والعطف والرحمة بعينها هي أن يقام حد الله على الجاني، ليموت هذا من أجل أن يحيا المجتمع بأسره.

قال تعالى: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ([25]) اسمع إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح من حديث ثوبان أنه قال: «وَشَيْكُ الْأُمَّةِ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غَتَاءٌ كَغَتَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» ([26]).

الأمة الآن في ذل .. بسبب الإعراض عن منهج الله ... أذلها الله لإخوان القرردة والخنازير من أبناء يهود. لماذا؟ لأن الأمة قد تخلت عن أصل عزها وعن نبع شرفها وعن معين كرامتها ووجودها .

فراحت تبحث عن العز والسيادة في الشرق الملحد تارة ، وفي الغرب الكافر تارة أخرى ، فأذلها الله ، وسلط الله عليها ذلاً لن ينزعه إلا إذا عادت مرة أخرى إلى دين ربها، وإلى كتاب ربها وإلى سنة الحبيب محمد .

ها نحن نرى الأمة الآن ذلت بعد عزة .. وضعفت بعد قوة .. وجَهَلت بعد علم .. وأصبحت في ذيل قافلة الإنسانية ، بعد أن كانت بالأمس القريب تقود القافلة كلها بجدارة واقتدار .. ونرى الأمة الآن تتسول على موائد الفكر الإنساني، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب ، منارة تهدي الحيارى وتائهيين، الذين أحرقهم لفتح الهاجرة القاتل وأرهقهم طول المشى في التيه والظلام ، ونرى الأمة اليوم تتأرجح في سيرها ولا تعرف طريقها التي يجب عليها أن تسلكه ، وأن تسير فيه بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب الدليل الحاذق الأرب في الدروب المتشابكة في الصحراء المهلكة التي لا يهتدي فيها إلا الأدلاء المجربون .

فمن أخطر آثار المعاصي والذنوب « الضنك والضيق » الذي يعيشه الناس نعم أيها الأحباب :

ورد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله قال: « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ » ([27])

فانظر أيها الحبيب إلى هذا الحديث العظيم وانظر إلى حالنا وتفكر .. كأن النبي يجسد حال الأمة الآن ..

أظهرنا الفاحشة .. فظهرت الأمراض والأوجاع وانقصنا الميزان .. فأخذنا بالسنين
وشدة المؤونة، وهل هناك شدة أكثر مما نحن عليه.

ونقصنا عهد الله وعهد رسوله بعد أن بعدنا عن مصدر عزنا ونبع شرفنا .. فسلط الله
علينا الآلام وطمع فينا الضعيف قبل القوى ، والدليل قبل العزيز ، والقاصي قبل
الداني ، وسلبت أرضنا .. وضاع قدسنا وراح شرفنا ، وانتهك عرضنا وإنا لله وإنا
إليه راجعون.

«مَا لَمْ تَحْكُمُ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»

وضعنا كتاب الله وسنة رسول الله واستبدلنا بالعبير بعرأ والثريا ثرى والرحيق
المختوم حريقاً محرقاً وشأننا في ذلك كشأن الجعل يتأذى من رائحة المسك الفواح
ويحیی ويعيش ويسعد برائحة القدر والنتن في الخلاء والمستراح . وإن لله وإنا إليه
راجعون .

وأخيراً من آثار المعاصي والذنوب .. وانتبه لهذه الأخيرة لأنها من أخطر آثار
المعاصي والذنوب أيها الشباب .. أيها الأحباب .. أيتها الأخوات الفضليات .. إن إدمان
المعصية يؤثر على صاحبها عند الموت فلا يتمكن من النطق بكلمة التوحيد.
والله إن لم يكن من آثار المعاصي والذنوب إلا هذه لارتعدت منها القلوب في
الصدور.

يخون القلب واللسان صاحبه العاصي إذا نام على فراش الموت فكيف يوفق بالنطق
بلا إله إلا ا وهملجت بهم البرادين فإن ذلك المعصية في قلوبهم .. يابى الله إلا أن يذل
من عصاه.

يا ابن آدم .. يا من عبدت الكرسي والمنصب الفاني .. إن غرتك قوتك فلم استحكمت
فيك شهوتك، وإن غرك غناك فارزاق عباد الله في أرض الله يوماً واحداً.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا (22)

لا على شرق ملحد، ولا على غرب كافر. وإنما على الله

من أعجب ما قرأت في الحلية لأبي نعيم : أن إبراهيم بن أدهم جلس يوماً يأكل بعض
قطع اللحم المشوى فجاءت قطة فأخذت قطعة لحم وانصرفت، فجرى وراءها إبراهيم
بن أدهم ليراقب الموقف وإذ به يرى القطة تضع قطعة اللحم أمام جحر مهجور
فراقب الموقف بشدة وانتباه فينظر إبراهيم فيرى ثعباناً أعمى يخرج من جحره ليأخذ
قطعة اللحم ويرجع مرة أخرى، فبكى إبراهيم بن أدهم ورفع رأسه إلى الرزاق ذي
القوة المتين وقال: سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضاً.

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

ولكن لما قلت ثقتنا في الرزاق .. وضعف يقيننا في الرزاق .. رأينا الفسق وباركناه،
وفتحنا أندية القمار وزكيناها .. وفتحنا الأبواب على مصراعيها للسياحة الداعرة .. وقتنا
وشرنا لهم شرب الخمر في بلاد المسلمين مادام أن المسلمين لا يشربون الخمر
فما الضير في ذلك؟! ما داموا يدخلون لنا الأموال التي حرّمها الكبير المتعال جل
وعلا.

ليس هناك ثقة في الرزاق!! والله سبحانه وتعالى يقول: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا
وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ [23]. الله أكبر

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا [24]
إذن أيها الحبيب الكريم من آثار المعاصي والذنوب .. الذل والذلة والمهانة.. العز في
الطاعة.. والذل في المعصية.

المعصية ذلة وذل ومهانة وحقارة وضعف.. ولكن إن تبت إلى الله وعدت إلى الله
فأنت كريم على الله .. عزيز على الله جل وعلا.

* وخذوا هذه العبارة التي ينبغي أن تسطر بالنور لا بالذهب من شيخ الإسلام
والمسلمين القائم ببيان الحق ونصرة الدين : ابن تيمية رحمه الله وطيب الله ثراه:
يقول:

الأصل في الكبائر التوبة وليس إقامة الحدود.

عبارة عجبية.. إن وقعت في كبيرة من الكبائر وسَتَرَكَ اللهُ، استرد على نفسك، وتب
إلى الله جل وعلا.. أما إن وصل أمرُك إلى ولى الأمر وجب عليه حينئذ أن يقيم عليك
حد الله، ولا ينبغي أن تأخذنا الشفقة والعطف والرحمة بعينها هي أن يقام حد الله على
الجاني، ليموت هذا من أجل أن يحيا المجتمع بأسره.

قال تعالى: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [25] اسمع إلى
المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح من حديث ثوبان أنه قال:

«وَشَيْكُ الْأُمَمِ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قَلْبِ نَحْنُ
يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غِنَاءٌ كَغِنَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ
عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ
قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» [26].

الأمة الآن في ذل .. بسبب الإعراض عن منهج الله ... أذلها الله لإخوان القردة
والخنازير من أبناء يهود.

لماذا؟ لأن الأمة قد تخلت عن أصل عزها وعن نبع شرفها وعن معين كرامتها
ووجودها .

فراحت تبحث عن العز والسيادة في الشرق الملحد تارة ، وفي الغرب الكافر تارة
أخرى ، فأذلها الله ، وسلط الله عليها ذلاً لن ينزعه إلا إذا عادت مرة أخرى إلى دين
ربها، وإلى كتاب ربها وإلى سنة الحبيب محمد .

ها نحن نرى الأمة الآن ذلت بعد عزة .. وضعفت بعد قوة .. وجَهِلَتْ بعد علم ..
وأصبحت في ذيل قافلة الإنسانية ، بعد أن كانت بالأمس القريب تقود القافلة كلها
بجدارة واقتدار .. ونرى الأمة الآن تتسول على موائد الفكر الإنساني، بعد أن كانت
الأمة بالأمس القريب ، منارة تهدي الحيارى وتائهين، الذين أحرقهم لفتح الهاجرة
القاتل وأرهقهم طول المشى في التيه والظلام ، ونرى الأمة اليوم تتأرجح في سيرها
ولا تعرف طريقها التي يجب عليها أن تسلكه ، وأن تسير فيه بعد أن كانت الأمة

بالأمس القريب الدليل الحاذق الأرب في الدروب المتشابكة في الصحراء المهلكة
التي لا يهتدي فيها إلا الأدلاء المجربون .
فمن أخطر آثار المعاصى والذنوب « الضنك والضيق » الذي يعيشه الناس
نعم أيها الأحباب :

ورد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله قال:
« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرَ
الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطَّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ
مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخْدُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ
الْمُؤْنَةِ وَجُورِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ
وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا
مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَنُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا
أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ » ([27])

فانظر أيها الحبيب إلى هذا الحديث العظيم وانظر إلى حالنا وتفكر .. كأن النبي يجسد
حال الأمة الآن ..

أظهرنا الفاحشة .. فظهرت الأمراض والأوجاع وانقصنا الميزان .. فأخذنا بالسنين
وشدة المؤونة، وهل هناك شدة أكثر مما نحن عليه.

ونقضنا عهد الله وعهد رسوله بعد أن بعدنا عن مصدر عزنا ونبع شرفنا .. فسلط الله
علينا الآلام وطمع فينا الضعيف قبل القوى ، والدليل قبل العزيز ، والقاصى قبل
الداني ، وسلبت أرضنا .. وضاع قدسنا وراح شرفنا ، وانتهك عرضنا وإنا لله وإنا
إليه راجعون.

« مَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَنُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ »

وضعنا كتاب الله وسنة رسول الله واستبدلنا بالعبير بعراً والثريا ثرى والرحيق
المختوم حريقاً محرقاً وشأننا في ذلك كشأن الجعل يتأذى من رائحة المسك الفواح
ويحى ويعيش ويسعد برائحة القذر والنتن في الخلاء والمستراح . وإن لله وإنا إليه
راجعون .

وأخيراً من آثار المعاصى والذنوب .. وانتبه لهذه الأخيرة لأنها من أخطر آثار
المعاصى والذنوب أيها الشباب .. أيها الأحباب .. أيتها الأخوات الفضليات .. إن إدمان
المعصية يؤثر على صاحبها عند الموت فلا يتمكن من النطق بكلمة التوحيد .
والله إن لم يكن من آثار المعاصى والذنوب إلا هذه لارتعدت منها القلوب في
الصدور.

يخون القلب واللسان صاحبه العاصى إذا نام على فراش الموت فكيف يوفق بالنطق
بلا إله إلا الله من غفل في دنياه ، عن ذكر مولاه واتبع هواه ، وكان أمره فرطاً؟
كيف يوفق للنطق بكلمة بالتوحيد؟

لا يوفق للنطق بكلمة التوحيد ، إلا من عاش في الدنيا على الطاعة وعاش على
التوحيد ، وامتلاً قلبه بالتوحيد ، وتحرك التوحيد وأشرب قلبه التوحيد .

أما من عاش على المعاصي ، وأشرب قلبه بحب المعاصي ، وابتعد عن الطاعة ، واستمر على غير حق، وعلى غير هدى .. هذا من عدل الله أنه يختتم له بسوء الخاتمة عيادا بالله .. أعاذنا الله وإياكم من سوء الخاتمة، فوالله إنما الأعمال بالخواتيم . أخبرنا علماؤنا كابن القيم وابن الجوزي والطبري والطبراني والقرطبي وغيرهم في مراجعهم: أن رجلاً كان يعمل بالأذان في مصر مدة طويلة وقام يوماً ليرفع الأذان ، فمرت عليه امرأة فسألته سؤالاً وقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب. فنظر الرجل إليها نظرة ، فوقعت في قلبه فأشار إلى باب داره وقال: هذا هو حمام منجاب، فدخلت المرأة الدار على أنه الحمام الذي يتجمل فيه النساء، فلما نظرت وعلمت أنها وقعت في فخ المعصية ، وأنه قد خدعها ، أظهرت له البشر والفرح بإجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا ، وتقر به عيوننا فقال لها : الساعة أتيتك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج ، وتركها في الدار، ولم يغلقها ، فأخذ ما يصلح لهما ورجع ، فوجدها قد خرجت وذهبت ، فهام الرجل ، وجعل يمشى في الطرقات ويقول:

يارب قائلةً يوماً وقد تعبت أين الطريقُ إلى حمام منجاب وظل الرجل يردد هذا البيت وامتنع عن الأذان وعن الصلوات إلى أن نام على فراش الموت فذهب إليه بعض الصالحين ليلقنوه كلمة التوحيد.. ويذكروه بالأذان الذي رفعه حيال السنوات الماضية نسأل الله العصمة والسلامة .. فكان يرد عليهم بقوله :

يارب قائلةً يوماً وقد تعبت أين الطريقُ إلى حمام منجاب وخُتِمَ له وهو يردد هذا البيت واليعاذ بالله.
فإنما الأعمال بالخواتيم يقول الحافظ ابن كثير:
لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شئ مات عليه ومن مات على شئ بعث عليه .

فإن عشت على الطاعة مت على الطاعة وبعثت على الطاعة وإن عشت على المعصية مت على المعصية وبعثت على المعصية ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: أن رسول الله قال:

« يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ » [28]
فانتبه ! وأحذر نفسي وإياك ورب الكعبة إنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ [29]
فإن العاصي يُخشى عليه أن يخونه قلبه ولسانه وجوارحه التي استغلها طيلة عمره في معصية الله جل وعلا.

فيا أيها الحبيب استعن بالله واستقم على الطاعة وابتعد عن المعاصي والذنوب ، فإن البعد عن المعاصي والذنوب سبب رئيسي من أسباب حسن الخاتمة أسأل الله أن يختم لي ولك بها.

أما إذا ما نزل الإنسان ووقع في كبيرة من الكبائر أو معصية من المعاصي وضاعت عليه الأرض بما رحبت وضاعت عليه نفسه وظن أنه قد هلك .. وظن أنه قد ضاع ..ظن أنه قد فقد كل شئ

فليستمع إلى هذا النداء العلوى الندى الراقى .. الذي يملأ عليه أركان جوارحه وينادى عليه صاحب هذا النداء جل جلاله .. لا تقنط ولا تيأس .

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ([30])

يا الله نداء عذب .. نداء ندى .. نداء رخي يملأ القلوب أمنا .. واطمئنانا .. ورجاء في الرحيم الكريم اللطيف جل جلاله .

إن وقعت .. زلت قدمك فأنت بشر فأصنع سمعك ، وأحضر قلبك لهذا النداء العلوى الجليل

واسعد واسجد لربك شكراً أن نَسَبَكَ اللهُ لتكون عبداً له .

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ

يا له من شرف؟؟ أن ينسب الله الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي والذنوب وجعلهم عبداً لعلام الغيوب جل جلاله.

من أنا؟ ومن أنت؟ على المعصية ننسب عبداً لله .. ما طردنا الله من هذه الصلة.. لا والله لأنه خالفنا .. لأنه هو الذي يعلم ضعفنا ، ويعلم فقرنا ويعلم عجزنا.. ويعلم جهلنا .. ويعلم ذلنا.

فإن ذلت قوتك ووقعت في كبيرة من الكبائر.. أو في معصية من المعاصي .. فهيا..

إياك أن يخذلك الشيطان .. وأن يصرفك عن قرع باب الرحيم الرحمن لا تتردد ..

تعالى .. تعال إلى ربك .. على الرغم من ذنوبك .. على الرغم من معاصيك ..

واسمع إلى الله.. إلى هذا النداء العلوى:

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ

اسمع إلى الله جل وعلا وهو ينادى عليك في الحديث القدسي الجليل الذي رواه مسلم والترمذي واللفظ للترمذي.

قال سبحانه وتعالى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ

فِيكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا

أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا

لَأَتَيْنَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» ([31])

يا ابن آدم ! لوبلغت ذنوبك عنا السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي .. إنها

رحمة الله جل وعلا.. وفضل الله سبحانه وتعالى.

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم .. وبعد .

هيا أيها الحبيب أقبل وتب إلى الله تبارك وتعال، ألق عن المعاصي والذنوب ، يا من

قضيت الوقت على المقاهي أمام المباريات .. وضيعت حق رب الأرض والسماوات

.. يا من أسرفت على نفسك بالمعاصي والذنوب.. انتبه فإن الموت قادم .. والله إن

العمر قليل.. وإن أقرب قادم تنتظره هو الموت ولن تنفك هذه اللحظات التي قضيتها أمام المباريات غافلاً عن السجود والركوع بين يدي رب الأرض والسماوات يامن تجلس الآن على المقهى مضيعاً أمر الله ، وحق الله، وحق الله... أعلم بأنك على خطر ويخشى أن تموت على غير الإسلام.

هل من توبة ؟ هل من عودة ؟ هل من أوبة ؟ من منا سيعاهد الله الليلة أن يتوب إلى الله ؟ ... وأن يعود إليه .. وأن يحرص على صحبة الأطهار الأخيار الأبرار .. وأن يحرص أن يسأل من الليلة عن دينه، ليرضى ربه العزيز الغفار.. وليرضى نبيه المختار .. من منا سيعاهد الله بالتوبة والأوبة ؟

هيا تب إلى الله ، وعد إلى الله وأعلم بأن الدنيا مهما طالتي فهي قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة وأن الليل مهما طال ، لا بد من طلوع الفجر وأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر... أعلم بأن السفر بعيد وبأن العقبة كؤود .. وبأن الناقد بصير.

سفرى بعيد وزادى لن يبلغنى وقوتى ضعفت والموت يطلبني

ولى بقايا ذنوب لست أعلمها الله يعلمها في السر والعلن

وأنا الذى أُغلقُ الأبواب مجتهداً على المعاصى وعين الله تنظرني

ما أحلم الله عنى حيث أمهلتى وقد تماديت في ذنبي ويسئرنى

كأننى بين تلك الأهل منطرحاً على الفراش وأيديهم تُقلبني

وقد أتوا بطبيب قد يعالجنى ولم آر الطبيب اليوم ينفعنى

واشتد نزعى وصار الموت يجذبها من كل عرق بلا رفق ولا هون

كأننى وحولى من ينوح ومن يبكى على وينعانى ويندبنى

وقام من كان احب الناس فى عجل نحو المغسل يأتينى يغسلنى

فجاننى رجلٌ منهم فجردتنى من الثياب وأعرانى وأفردنى

وأودعونى على الألواح منطرحاً وصار فوقى خريز الماء ينظفنى

وأسكب الماء فوقى وغسلنى غسلًا ثلاثاً ونادى القوم وأعرانى وأفردنى

وحملونى على الأكتاف أربعة من الرجال وخلفى من يشيعنى

وأخرجونى من الدنيا فوأسفا على رحيل بلا زاد يبلغنى

وقدمونى إلى المحراب وانصرفوا خلف الإمام فصلنى ثم ودعنى

صلوا على صلاة لا ركوع لها ولا سجود لعل الله يرحمنى

وانزلونى إلى قبرى على مهلٍ وقدموا واحداً منهم يُلحدنى

فكشف الثوب عن وجهي لينظرني فأسكب الدمع من عينيه أغرقنى

وقال هُلُوا عليه التراب واعتنموا حسنَ الثواب من الرحمن ذى المنن

وتقاسم الأهل مالى بعدما انصرفوا وصار وزرى على ظهري فاتقلنى

فلا تغرنك الدنيا وزينتها وانظر إلى فعلها في الأهل والوطن

يانفس كفى عن العصيان فعلا جميلاً لعل الله يرحمنى

يانفس ويحك توبى وأعملى حسنا عسى تجزين بعد الموت بالحسن

وأمنن على بعفو منك يا أملى فإنك أنت الرحمن ذو المنن

أيا من يدعى الفهم الى كم يا أخى الوهم

تعب الذنب والذنب وتطى الخطأ الجم

أما بان لك العيب أما اذناك الشيب
وما فى نصحه ريب أما نادى بك الموت
أما أسمعك الصوت أما تخشى من الفوت
فتحتاى وتهتم فكم تسير فى السهو
وتختال من الزهو وتنفض الى اللهو
كأن الموت ما عم كأتى بك تنحط
إلى اللحد وتنغط وقد أسلمك الرهط
إلى أضيى من سم هناك الجسم مدود
ليستأ كله الدود إلى أن ينخر العود
ويمسى العظم قد رم فزود نفسك الخير
ودع ما يعقب الضير وهىئ مركب السير
وخف من لجة اليم بدأ أوصيك يا صاح
وقد بحتك من باح فطوبى لفتى راح
بأداب محمد يأتى

يانفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل
فتأهبى يانفس لاي لعب بك الأمل الطويل
فلا تنزلن ينسى الخليل به الخليل وليركن عليك فيه من الثى ثقل ثقيل
قُرّن الفناء بنا جميعا فلا يبقى العزيز ولا الدليل
هل من توبة ؟ هل من توبه ؟

وأول شرط من شروطها .. أن تطلع عن المعصية .. وشرطها الثاني وركنها الأعظم
.. هو الندم على ما فرط منك ، وأن يتقطع قلبك وأن تحترق أحشاؤك وأن تقضى
سائر عمرك على وجل ألا يقبلك الله فى الصالحين .
يا من ضيعت الصلاة.. يا من ضيعت الزكاة.. يا من حاربت منهج الله.. يا من حاربت
دين الله.. يا

من حاربت الأطهار والأخيار. يا من حاربت سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .
يا من عقت أباك . يا من عقت أمك . يا من قطعت رحمك . يا من آذيت الجيران.. يا
من آذيت الأحباب .. عد إلى الله وتب إلى الله .
واندم على ما فات .. واعلم بأن ربك غفور رحيم
وشرط التوبة الثالث أن تداوم على الطاعات وأن تعاهد رب الأرض والسماوات .
اسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى ... وصفاته العلا... أن يرزقنا قبل الموت توبة ..
اللهم ارزقنا قبل الموت توبة اللهم ارزقنا قبل الموت توبة وعند الموت
شهادة وبعد الموت جنة ورضوانا.. اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا .. لا
تدع لأحد منا فى هذا الجمع المبارك ذنبا إلا غفرته .. ولا مريضا إلا شفيته .. ولا
دينا إلا أديته .. ولا طائعا إلا ثبته .. ولا عاصيا إلا هديته.. ولا حاجة هي لك رضا
ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يراب العالمين .. اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً ..
وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً.. ولا تجعل اللهم فينا شقياً ولا محروماً.
اللهم اهدنا وأهد بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى .

اللهم احفظ شبابنا واستر نساءنا.

اللهم وفق إخواننا وأبناءنا الطلاب وذلّل لهم الصعاب.. ويسر لهم الأسباب وافتح لهم الأبواب وأدخل على أهلهم السعادة والسرور يا تواب اللهم أرحمنا برحمتك فأنت بنا راحم و لا تعذبنا فأنت علينا قادر اللهم لا تعاملنا بذنوبنا .. فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة اللهم عاملنا بفضلك يا أهل الإحسان.

اللهم أنت غياثنا فبك نعوذ.. وأنت عيادنا فبك نعوذ، اللهم أنت ملاذنا فبك نلوذ.. يا ودود يا ودود .. يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد .. يا من ملأ نوره أركان عرشه.

يا مغيث المستغيثين ويا مجيب المضطرين . يا مفرج كرب المكروبين فرج كرب أمة حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأعل بفضلك كلمة الحق والدين ، اللهم فك أسر إخواننا المأسورين.. اللهم اربط على قلوبنا وإياهم يا أرحم الراحمين .

اللهم احفظ نساءهم .. واحفظ بناتهم .. واحفظ أولادهم .
اللهم اقبلنا وتقبل منا وتب علينا وارحمنا .. أنك أنت التواب الرحيم . هذا واستغفر الله لي ولكم .

هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.
وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.
وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون عليه إلى الجنة ويقذف به في جهنم.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[1] سورة الأنبياء: 35

[2] سورة الحديد: 20.

[3] أى تباعدوا عنى وكرهوني

[4] أى الأسباب.

[5] أى أبلغ بها المنزل الذي أريد.

[6] سورة الأنفطار: 6-8

[7] رواه أحمد في مستنده (210/4) ، (17809).

[8] سورة المؤمنون: 99-100.

[9] لا أجهدك: أى لا أشق عليك في الأخذ والامتثال

[10] متفق عليه: [ص.ج: 2052]، رواه البخارى (364/6) في الأنبياء، ومسلم رقم (2964) في الزهد.

[11] سورة الكهف: 45-46.

[12] سورة طه : 124-127.

[13] سورة طه: 121.

[14] سورة البقرة: 282.

[15] حسن: [ص.ج: 4515]، [المشكاة: 2341] ، رواه الترمذى رقم (2501) في صفة القيامة وابن ماجة رقم ، (4251)، في الزهد، والدرامي (203/2) في الرقاق، وأحمد (198/3).

[16] سورة المؤمنون: 55-56.

[17] سورة الأنعام: 44-45

[18] سورة الفجر: 15-16

[19] سورة النساء: 9.

[20] سورة الأعراف: 196

[21] سورة النساء: 9.

[22] سورة هود: 6.

[23] سورة الأعراف: 96.

[24] سورة نوح: 10-13

[25] سورة البقرة: 179.

[26] صحيح [ص.ج: 8183]، أخرجه أبو داود رقم (4297) في الأمم ، ورواه أحمد (278/5) انظر

الصحيحة رقم (958)

[27] صحيح [صحيحة: 106]، جه (4019) نعيم في الحلية (333-334/8)

[28] صحيح [ص.ج: 8015]، رواه مسلم رقم (2878) في الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت.

[29] سورة: يوسف 53.

[30] سورة الزمر: 53.

[31] حسن [ص.ج: 4338]، [الصحيحة: 127]، [المشكاة : 4336] . رواه الترمذى (270/2)، والدارمي (322/2)، وأحمد (172/5).

الاستنساخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه ، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته ، وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد :

فحياكم الله جميعاً أيها الأبناء الفضلاء وأيها الأخوة الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبواتم من الجنة منزلاً . وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي

جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم مع سيد الدعاة
المصطفى صلى الله عليه وسلم في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .
أحبتني في الله :

قنبلة علمية أذهلت العالم كله في الأيام الماضية !!

بل وأصابت العالم كله بالدوار !!

وذلك من خلال ما يسمى بالاستنساخ !!

ونظراً لأن الموضوع يمس العقيدة ويمس قدرة الله في قلوب المسلمين رأيت أنه من
الواجب عليّ في مثل هذا الجمع المهيب .. في مثل هذا اليوم الكريم الحبيب أن أبين
الحق في هذا الموضوع الخطير ليزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتابوا في عظيم قدرته
وجلال عظمته جل و علا

ومن ثم كان لقائنا في هذا اليوم المبارك بعنوان ((الاستنساخ))

وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم في هذا الموضوع الخطير في العناصر
التالية :

أولاً : العلم يدعو إلى الإيمان .

ثانياً : هل خلقوا نعمة بالفعل؟!

ثالثاً : هذا خلق الله .

وأخيراً : يا أيها الإنسان ما غرك !!

فأعيروني القلوب والأسماع جيداً أيها الفضلاء الكرام والله أسأل أن يتقبل مني ومنكم
جميعاً صالح الأعمال

أولاً : العلم يدعو إلى الإيمان

إن نور الوحي لا يطمس نور العقل أبداً بل يباركه ويزكيه ، ويقويه شريطة أن يذعن
العقل مع الكون كله لله رب العالمين .

وإنه لواجب علينا أن نحترم العقل والإدراك البشري بالقدر الذي أراده الله له من
التكريم في مجاله الذي يحسنه ويبدع فيه حتى لا نمضى بالعقل البشري والإدراك
البشري بعيداً بعيداً عن حدود هذا المجال وعن حدود قدراته وإبداعه وحتى لا
نمضى في التيه والضلال بلا دليل أو برهان :

أيها الأحبة الكرام :

ما كان الإسلام أبداً ولن يكون نداءً للعلم وكيف ذلك؟!

والإسلام هو الذي دعا للعلم منذ لحظاته الأولى يوم أن تنزلت الآيات على قلب الأُمي
الذي علم المتعلمين نزل عليه قول الله جل و علا :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: 1 _ 5]

وقال سبحانه : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان: 34]

فالعلم صفة من أجَلِّ صفات الله جل و علا :

فإنه جل جلاله يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

قال تعالى : وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام:59]

ولكن الله جل وعلا قدر منذ الأزل وشاء منذ الأزل أن يعلم الإنسان شيئاً من علم الله في الوقت الذي يشاءه الله ، وبالقدر الذي يريد الله قال جل في علاه : وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ [البقرة: 255]

وقال جل جلاله : وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [البقرة: 31-33]

فكل علم يعلمه الإنسان اليوم إنما ورثه الله جل وعلا لهذا الإنسان من خلال أبيه آدم الذى علمه الله أسماء وعلوم كل شئ وظل هذا العلم مكنوناً فى هذا الكون . إن الإنسان الذى أسكرته نشوة العلم وأعماه غرور العلم .

هذا الإنسان إلى الآن لا يعلم نفسه !! لا يدرى حقيقة مشاعره !! لا يدرى حقيقة عقله !! لا يدرى حقيقة روحه !!

ومع ذلك فإنه يتبجح ويستعلى على الله بما شاء وأراده الله له أن يكتشفه !! وهنا فإن العلماء ينقسمون تجاه الآيات الكونية والآيات العلمية إلى قسمين :

القسم الأول : فريق من العلماء تزيده الاكتشافات العلمية عناداً وإحداً كبيراً وطغياناً وكفراً !!

وهؤلاء عند الله بعلومهم أضل من البهائم قال تعالى :
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ [الأعراف:179]

القسم الآخر : تزيده الاكتشافات العلمية والآيات الكونية إيماناً برب البرية وهؤلاء الذين قال الله فى حقهم :

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر: 28]

أيها الأحبة الكرام :

العلم يدعو إلى الايمان بالله جل وعلا وأختم هذا العنصر الهام بكلمات دقيقة لعالم الطبيعة الفيلسوف الأمريكى (ماريت ستانلى).

إذ يقول : إن العلوم التى يصل إليها الانسان تبدأ بالاحتمالات وتنتهى كذلك بالاحتمالات ، وأن أى نتيجة يصل إليها الانسان من خلال نظرية علمية ليست نهائية وإنما هى إجتهادية وقابلة للتعديل بالإضافة أو الحذف وإنما لنرى العالم عندما يصل إلى قانون أو نظرية يقول : هذا ما وصلنا إليه حتى الآن ثم يترك الباب مفتوحاً لما يستجد من التعديلات .

وهذه الكلمات تلخص حقيقة ما وصل إليه العلم من نتائج فى أى جانب من الجوانب.

فطالما أن الانسان هو الذى يحاول الوصول إلى هذه النتائج فإنه من الحتم أن تكون هذه النتائج مطبوعة بطباع الانسان أى لها نفس خصائصه من قصور وجهل وخطأ ومحدودية ونقص !!

فالانسان محدود من ناحية الزمان ومن ناحية المكان ومحكوم بقصوره وجهله وضعفه وشهواته ونزواته .

فالوسيلة التى يصل بها الانسان إلى أى نتيجة هى التجربة والقياس ، وهذه الوسيلة باعتراف أهل العلم قاطبة تؤدي إلى نتيجة ظنية وليست يقينية .
ولا سبيل أبداً إلى نتيجة قطعية وحقيقية يقينية إلا عن طريق هدى الله الذى يبينه للناس .

ومن ثم يبقى علم الانسان لنفسه علماً ظنياً لا يصل إلى مرتبة اليقين بحال من الأحوال .

وهذا هو ما أثاره العلماء المتخصصون من تساؤلات حول استنساخ النعجة دولى .

وهذا هو عنصرنا الثانى : هل خلقوا نعجة بالفعل ؟!

هل خلقوا نعجة بالفعل ؟!

لقد ثار العالم كله وهز مشاعره خبر هذه النعجة المستنسخة فى معهد روزلين باسكتلندا واصطاد العلمانيون فى الماء العكر وخرجوا علينا بكلمات خبيثة تزعر العقيدة فى قلوب ضعاف النفوس الذين لا يخلوا منهم زمان ولا مكان .

خرج علينا من يقول : ((انتهت أسطورة الأمومة))!!!

وخرج علينا من يقول : ((لم تعد هناك حاجة لدور ملح للرجل))!!!

وخرج علينا من يقول : ((لقد أن الأوان للعذراء التى لم تتزوج أن تختار طفلاً بالصفات الوراثية التى تشاء دون الزواج))!!!

وخرج علينا من العلمانيين من يقول : ((لقد أحدثت النعجة دولى إنقلاباً فى كل الموازين والمقاييس))!!!

وخرج علينا من يقول : ((النعجة دولى قلبت كل الموازين والمقاييس البيولوجية والأخلاقية والدينية منذ أن خرجت إلى النور فى يوليو الماضى ووضعت الانسان فى حيص بيص ، لسبب بسيط وهو أنها ولدت بدون أب))!!! (1) .

وخرج العالم كله والعلمانيون يطبلون ويزمرون .

وهذه كلها مغالطات وأوهام سخيفة .

فماذا حدث بالفعل حتى لا تختل العقيدة فى قلب مسلم أو مسلمة ؟!

ولتقفوا على حقيقة ما حدث ليتملىء قلبك الآن بعظمة الملك وجلال الملك .. وقدرة الملك جل جلاله .

ما حدث بالفعل أن هذا الفريق العلمى قد أخذ خلية من ثدى نعجة ومنطقة الثدي تسمى ((activearea)) أى منطقة نشطة .

هذه الخلية تحتوى على كافة الجينات التى تحمل كل الصفات الوراثية وهذه الخلية الحيوانية تحتوى على اثنين وخمسين كروموزوم ناتجة عن تلقيح حيوان منوى لبويضة ، والحيوان المنوى فى الحيوان يحتوى على ستة وعشرين كروموزوم والنواة فى البويضة تحتوى على ستة وعشرين كروموزوم والنواة فى البويضة

تحتوى على ستة وعشرين كروموزوم . فإذا ما إجتمع هذا العدد فى الحيوان المنوى مع هذا العدد فى نواة البويضة وخصبت البويضة تكونت الخلية التى تحتوى على إثنين وخمسين كروموزوم .

أما الخلية فى الانسان فإنها تتكون من ستة وأربعين كروموزوم ، ثلاثة وعشرين كروموزوم فى الحيوان المنوى للرجل ، وثلاثة وعشرين كروموزوم فى بويضة المرأة .

إذن فهذه الخلية تنتج حتماً تلقيح الحيوان المنوى للبويضة ثم تتوالى إنقساماتها بعد ذلك لتخليق أعداد هائلة من الخلايا الخاصة بالقلب والكبد والرأس وغيرها من أجزاء الجسم .

ماذا فعل هذا الفريق العلمى فى اسكتلندا !!؟

أخذوا هذه الخلية التى أخذت من ثدى النعجة وضعوها فى بيئة ذات تركيز غذائى منخفض لتجويج الخلية حتى لا تنقسم .

المرحلة الثانية : أخذوا بويضة من نعجة ثانية لم تخصب بحيوان منوى أى تحتوى على ستة وعشرين كروموزوم فقط فأزالوا النواة أو الدانا DNA من هذه البويضة أى تخلصوا من هذا القدر من الكروموزومات ثم دمجوا الخلية الأولى التى تحتوى على 52 كروموزوم ودمجوها عن طريق الحث الكهربى بالبويضة الجديدة التى نزعوا منها النواة .

وبعد ستة أيام حملوا هذه البويضة الجديدة التى تحتوى على كافة الجينات كما لو كانت ملقحة .

حملوها إلى رحم نعجة أخرى ثالثة فأخرجت نعجة صغيرة هى نسخة من الأم الأولى التى أخذوا منها الخلية الأولى التى تحتوى على 52 كروموزوم .

هذا هو كل ما حدث فى موضوع الاستنساخ ببساطة شديدة !!!

ثم خرج علينا من يدعى أن الانسان قد شارك الله فى الخلق !!!

أقول بعد هذا البيان : هل يدعى عاقل يحترم نفسه ويحترم عقله أنهم خلقوا نعجة !!؟

إن الخلق إيجاد من عدم وليس تركيب مكونات هى أصلاً من خلق الملك !!

وأنا أسأل علماء الهندسة الوراثية على وجه الأرض بل وأتحدى أمام هذا الجمع أن يخلق علماء الهندسة الوراثية حيواناً منوياً واحداً أو أن يخلقوا بويضة أو أن يخلقوا خلية !!!

لماذا ذهبتم إلى الخلية التى هى أصلاً من خلق الملك فأخذتموها وأجريت التجارب !!؟

لماذا لم توفروا على أنفسكم هذا الجهد الهائل وهذه المليارات الطائلة وتخلقوا خلية من أول الأمر تحمل كل الصفات الوراثية التى تريدونها والتى لا تريدونها !!؟

فالخلية خلق مَنْ ؟!

والحيوان المنوى خلق مَنْ ؟! والبويضة خلق مَنْ ؟!

((ذلکم الله فأنى توفكون))

ثم ها أنذا أتساءل وأقول : أيهما أيسر أن نستنسخ إنساناً جديداً أم أن نبقى حياة إنسان يعيش بيننا ؟!

الجواب : أن نبى حياة إنسان يعيش بيننا .
إننا نتحدى الدنيا وعلماء الهندسة الوراثية فى أمريكا وبريطانيا واسكتلندا وإيطاليا والصين وفى كل الأرض نتحداهم أن يخلدوا (بيل كلينتون) أو (جون ميجور) أو (نتنياهو) .

قال تعالى : وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ [الانباء: 34]

اسمع أيها الموحد لربك ليمتلىء قلبك إيماناً بالله إسمع لقول الله :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج: 73_74]

إننا نتحدى وسيظل التحدى قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فإن استطاع الإنسان أن يستنسخ جنينا حيوانيا فإن الأمر فى الجنين الإنسانى يختلف تماما . وهذا ما أكده جميع علماء الهندسة الوراثية .

والسبب هو أن الدانا(DNA) من أجنة الأغنام تختلف عن الدانا من أجنة الإنسان فضلا عن أن الجنين فى بطن أمه فى وقت محدد معلوم ينفخ الله فيه روحه ثم يُنشأ خلقا آخر .

وعند هذه اللحظة التى تدب فيها الحياة فى هذا الجنين خرج العالم الفرنسى الكبير (الكسيس كاريل) الذى ظل يتابع الجنين يوما بيوم ، وساعة بساعة . وحينما تحرك الجنين فى بطن أمه ودبت فيه الحياة بعدما نفخ الله فيه من روحه خرج العالم وقال :
(Here is God) .. ((هنا الله)) .

من أين جاءت هذه الحياة !!! أأله مع الله !!! ((قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين))
(هذا خلق الله))

يقول سبحانه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الحج:5]

وقال سبحانه : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون:12-14]

وقال سبحانه : أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُشْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الرُّؤُوسَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [القيامة:36-40]

فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى وجعل الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى.

سبحانه من شملت قدرته كل مقدور .. ومشينته فى خلقه بتصاريف الأمور

يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا [الشورى: 49-50]

والله لو فكر الإنسان المغرور فى الحكمة من خلق الإنسان من ذكر وأنثى لسجد لله شكراً على هذه النعمة .

بل وكم من نعمة تغمرنا آناء الليل وأطراف النهار !!! ونحن غافلون .. سادرون بل ومن الناس متجبرون كافرون !!

فلو خلق الله الإنسان من خلية واحدة تنقسم كما تنقسم البكتيريا لأصبح ملايين البشر نسخة واحدة مملة مكررة !!

ولكن الحكيم الخبير جل وعلا ربط التناسل بالذكر والأنثى لينفرد كل إنسان عن غيره حتى ولو كانوا توأمين !!

فإلخاليا تحمل الكروموزومات التى تحمل الصفات الوراثية وتنقسم الخلية فى خصية الرجل وفى مبيض المرأة بحيث يحتوى الحيوان المنوى على نصف العدد من هذه الكروموزونات وكذلك البويضة عند المرأة .

فإذا اجتمعنا كونا النطفة الأمشاج أى المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة وهكذا .

قال تعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ [الروم: 22]

إذن فالنطفة الأمشاج هى بداية مرحلة خلق الإنسان .

والله لو فكر الإنسان بإنصاف فى مراحل أطوار الجنين فى بطن أمه لسجد مع الكون كله لله رب العالمين .

فها هو الرجل يلتقى بامرأته ويُلقي نطفته التى تحتوى على مئات الملايين من الحيوانات المنوية التى تنطلق لتبحث عن البويضة .

والبويضة لا تخرج من المبيض عند المرأة إلا مرة واحدة فى الشهر .

تخرج وعليها تاج مشع كأنها عروس تتهادى وتبعث شيئاً من أريجها لتلك الحيوانات الهائلة التى تقطع المفاوز والمخاطر لعلها تحظى ولو بنظرة إلى هذه العروس الفاتنة الجميلة فتهلك كل هذه الحيوانات المنوية ويختار الله جل وعلا حيواناً منوياً واحداً من هذه الملايين ليصل سالماً إلى البويضة !!

ولم يكتشف العلماء هذه الحقيقة العلمية إلا فى القرن العشرين فى الوقت الذى أخبر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم منذ مئات السنين .

ففى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى أن الحبيب النبى صلى الله عليه وسلم قال ((ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيئاً لم يمنعه شيء)) (1)

يختار الله جل وعلا حيواناً منوياً واحداً من بين هذه الملايين ليصل سالماً إلى البويضة تلك العروس المزينة فتعش له مرحبة وتفرز مادة لزجة لتسهل للحيوان المنوى أن يلتصق بجوارها .

ويقوم الحيوان المنوى هو الآخر بفرز مادة خاصة لها القدرة على إذابة جزء من المنطقة المشعة أو التاج المشع المحيط بالبويضة .

فإذا ما دخل الحيوان المنوى أغلقت الباب وأحكمتها تماماً .

فإذا ما تم التخصيب وتكونت النطفة الأمشاج من الحيوان المنوى والبويضة ، يصنع الله جل وعلا للبويضة الملقحة جداراً سميماً لا يمكن لأى حيوان منوى آخر اختراقه كما أن البويضة تخلع عنها تاجها المشع الذى كان يغرى الحيوانات المنوية بالإقتراب منها.

ومنذ هذه اللحظة تبدأ بالإنشطار فى الخلية فتتحول إلى خليتين والخليتان إلى أربع وهكذا حتى تتكون مئات الخلايا على هيئة ثمرة التوت ، وفى خلال خمسة أيام أو سبعة أيام على الأكثر تكون قد وصلت إلى الرحم الذى استعد لها هو الآخر بالفرش والوسائد أى بالأوعية الدموية التى تغذيها وتنميتها .

ثم تتحول هذه النطفة الأمشاج بعد ذلك إلى المرحلة التالية وهى مرحلة العلقه وسميت بذلك لتعلقها بجدار الرحم .

وتبدأ العلقه فى اليوم السابع فى التمايز إلى طبقتين خارجية وداخلية أما الخارجية فهى تأكل خلايا الرحم لتمتص الغذاء منها .

وأما الداخلية فوظيفتها تكوين الجنين .

وفى الأسبوع الرابع تتحول هذه العلقه إلى مضغه وقد سميت بذلك لانها بمقدار ما يمتص من اللحم وقد بين العلم الحديث أن الجنين فى هذه المرحلة يبدو وكأن أسنانا قد غرزت فيه ومضغته ثم قذفته ثم تتحول هذه المضغه بقدره الله جل وعلا إلى عظام وعضلات .

وفى الأسبوع السادس والسابع تُكسى هذه العظام باللحم .

ثم يأتى الطور الأخير وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ فى الروح وصدق ربي إذ يقول :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا

آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون:12]

وفى الحديث الذى رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكان ، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يا رب! أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما يشاء ، ثم يقول يا رب ! رزقه . فيقضى ربك ما يشاء ، ويكتب الملك . ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده ، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص)) (1).

وفى رواية بالصحيحين من حديث أنس أنه قال :

((إن الله عز وجل قد وَكَّلَ بالرحم ملكاً فيقول : أى رب نطفة . أى رب ! علقه ، أى رب ! مضغه . فإذا أراد الله أن يقضى خلقاً قال الملك : أى رب ! ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه)) (2)

إذا كان العلم الحديث يستطيع أن يتعرف على نوع الجنين فى مرحلة معينة من مراحل النمو فإن الله جل وعلا قد علم نوع الجنين قبل أن يلتقى الرجل مع امرأته .

ويعلم الله هل سيكون المولود ولداً أم أنثى .

ويعلم الله هل سيكون هذا المولود شقياً أم سعيداً .

ويعلم الله رزقه ويعلم الله بأى أرض يموت . اسألوا أهل العلم وقولوا لهم أنتم أعلم أم الله؟!

قل للطبيب تخطفته يد الردى.. يا شافى الأمراض من أرداك؟!
قل للمريض نجا و عوفي بعدما عجزت فنون الطب من عفاك؟!
قل الصحيح مات لا من علة من يا صحيح بالمنايا دهاك؟!
بل سائل الأعمى خطى وسط الزحام بلاً أصطدام من يا أعمى يقود خطاك؟!
بل سائل البصير كان يحذر حفرةً فهوى بها من ذا الذي أهواك؟!
وسل الجنين يعيش معزولاً بلا راع ومرعى من ذا الذي يرعاك؟!
وسل الوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة ما الذي أبكاك؟!
وإذ ترى الثعبان ينفث سمه فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك؟!
وأسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
وأسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاك؟!
بل سائل اللبن المصفى من بين فرث ودم من ذا الذي صفاك؟!
وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا ميت فاسأله من أرباك؟!
وإذا رأيت النبات فى الصحراء يربو وحدة فاسأله من أحيائك؟! ...
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فسأله من يا نخل شق نواك؟!
وإذا رأيت البدر يسرى ناشراً أنواره فسأله من أسراك؟!
وإذا رأيت النار شب لهيبها فسأل لهيب النار من أوراك؟!
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحا قمم السحاب فسله من أرساك؟!
لله فى الأفاق آيات أقلها هو ما إليه هداك؟!
ولعل ما فى النفس من آيات عجب عجاب لو ترى عيناك؟!
والكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيرها لها أعيالك؟! ...
ألله مع الله؟! ألله مع الله؟! ألله مع الله!!

سل الواحة الخضراء والماء جارياً. وهذه الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروص مزدانا سل الزهر والندى سل الليل والأصباح والطيور شاديا
سل هذه الأنسام والأرض والسما سل كل شىء تسمع التوحيد لله ساريا
ولو جن هذا الليل وامتد سرمدا فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا
ألله مع الله؟! ألله مع الله؟! ألله مع الله!!
انظر لتلك الشجرة ... ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة
ابحث وقل من ذا الذى يخرج منها الثمرة
ذاك هو الله الذى أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغية وقدرة مقتدرة

وأخيراً : يا أيها الإنسان ماغرك!!?
عتاب مخجل من الله للإنسان الذى يقف بين يديه سبحانه وهو مقصر مذنب!! مغتر
، متبجح!! غير مقدر لعظمة الله وقدرته وجلاله .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار: 6-8]

أيها الإنسان المغرور من تكون؟! وأين أنت من خلق السموات والأرض!!
قال سبحانه: لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [غافر: 57]

فالسماوات والأرض معروضتان للإنسان يراها بالليل والنهار ويستطيع أن يقيس نفسه إليهما فإذا علم حقيق النسب والأبعاد وحقيقة القوى والأحجام يتصاغر ويتضاءل ويعلم أنه لا ذكر له ولا كرامة إلا بتكريم الله له ، وتشريفه بعبوديته له جل وعلا لينسجم مع هذا الكون الهائل الذي جاء مطيعاً منقاداً لله جل جلاله .
ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [فصلت: 11]

فيا أيها الإنسان المغرور اعرف قدر ربك لتعرف قدر نفسك !!
اعرف عظمة ربك لتعرف قدر نفسك !!

اعرف كمال ربك لتعرف ضعف نفسك : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [فاطر: 15/17]

- (1) الأهرام فى 1997/3/22 بقلم : عزت السعدنى .
(1) رواه مسلم رقم (8341) فى النكاح باب حكم العزل .
(1) رواه مسلم رقم (2645) فى القدر باب كيفية الخلق الأدمى فى بطن أمه .
(2) رواه البخارى ومسلم رقم (2646) فى القدر باب كيفية الخلق الأدمى فى بطن أمه .

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة .. ، الحمد لله الذى أنهى بالموت آمال القياصرة .. ، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور .. ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد .. ، ومن ملاعبة النساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان .. ، ومن التمتع فى الطعام والشراب إلى التمرغ فى الوحل والتراب .
سبحانه .. سبحانه .. سبحانه

اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك ، ومن الأمل إلا فيك ومن التسليم إلا لك ، ومن التفويض إلا إليك ، ومن التوكل إلا عليك ، ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين اللهم تتابع برك .. ، واتصل خيرك .. ، وكمل عطاؤك .. ، وعمت فواضلك .. ، وتمت نوافلك .. ، وبر قسمك .. ، وصدق وعدك .. ، وحق على أعدائك وعيدك ووعدك .. ، ولم تبق حاجة لنا إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

* هو الواحد الذى لا ضد له ..، وهو الصمد الذى لا منازع له..، وهو الغنى الذى لا حاجة له، وهو القوى الذى لا يعزه شئ فى الأرض ولا فى السماء ..، وهو جبار السموات والأرض .. لا راد لحكمه.. ولا معقب لأمره.

* هو الأول فلا شئ قبله ..، وهو الآخر فلا شئ بعده ..، وهو الظاهر فلا شئ فوقه ..، وهو الباطن فلا شئ دونه ..، وهو على كل شئ قدير.

هو الحى الذى لا يموت ..، صاحب الملك والملكوت ..، صاحب العزة والجبروت ..، الذى كتب الفناء على جميع خلقه ..، وهى الحى الباقى الذى لا يموت .

* وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أدى الرسالة ..، وبلغ الأمانة ..، ونصح الأمة ..، وكشف الله به الغمة ..، وعبد ربّه حتى لبى داعيه ..، وجاهد في سبيله حتى أجاب مناديه ..، وعاش طوال أيامه ولياليه ..يمشى على شوك الأسى ويخطو على جمر الكيد والعنت ..، يلتمس الطريق لهداية الضالين ..، وإرشاد الحائرين ..، حتى علم الجاهل ..، وقوم المعوج ..، وأمّن الخائف ..، وطمأن القلق ..، ونشر أضواء الحق والخير والأيمان والتوحيد ..، كما تنشر الشمس ضيائها في رابعة النهار. فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته ..، وصلى اللهم وسلم.. وزد وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد

أحبتى في الله : لقد خلق الله الأرض ، واختار منها بلده الحرام ففضّله على جميع بقاع الأرض .

وخلق الله السموات سبعا ، فاختار العليا منها ففضلها بالقرب من كرسيه ومن عرشه جل وعلا.

وخلق الله الجنان وفضلّ جنة الفردوس على سائر الجنان فسقّفها عرش الرحمن .

وخلق الله الملائكة واصطفى منهم جبريل وإسرافيل وميكائيل.

فجبريل صاحب الوحي الذى به حياة القلوب والأرواح.

وميكائيل صاحب القطر الذى به حياة الأرض ومن عليها من الأحياء.

وإسرافيل صاحب السور الذى بنفخته يُبعث الناس ليوم النشور.

وخلق الله البشر واصطفى منهم الأنبياء والرسل واصطفى من الرسل أولى العزم

والخمسة واصطفى من أولى العز خليله وحبيبه محمداً ففضله على جميع الأنبياء

والمرسلين. وتلبية لرغبة إخواننا وأحبابنا فإن موعدنا اليوم مع رسول الله بين التكريم

والموت

وما أجمل أن يكون اللقاء مع رسول الله !

وما أحلى أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم !

فهو إمام الأنبياء .. وإمام الأتقياء .. وإمام الأصفياء.

وخاتم الأنبياء .. وسيد المرسلين .. وقائد الغر المحجلين.

وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين .. وصاحب الحوض المورود

شرح الله له صدره ..، ورفع الله له ذكره ..، ووضع الله عنه وزره .، وزكاه في كل

شئ.

زكاه في عقله فقال سبحانه: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى
وزكاه في صدقه فقال سبحانه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى
وزكاه في علمه فقال سبحانه عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى
وزكاه في بصره فقال سبحانه مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى
وزكاه في فؤاده فقال سبحانه مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى
وزكاه في صدره فقال سبحانه أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ
وزكاه في ذكره فقال سبحانه وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ
وزكاه كله فقال سبحانه وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

فهو حبيب الله.. وهو خليل الله.. وهو أكرم الخلق على الله عز وجل .

وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يؤمن برسول الله وأن
ينصره إذا بعث كما قال الله جل وعلا في سورة آل عمران:

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَكُمْ لْتُؤْمِنُوا بِهِ وَلْتَنْصُرُوهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ
فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [1]

* وفي الحديث الذي أخرجه مسلم والترمذي وأحمد من حديث أبي هريرة أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال :

فضلت على الأنبياء بست :

1- أعطيت جوامع الكلم

2- وئُصرتُ بالرعب (رواية البخاري مسيرة شهر)

3- وأُحلت لي الغنائم

4- وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً

5- وأرسلت إلى الخلق كافة

6- وختم بي النبيون [2]

وفي الحديث الذي رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وأحمد ، من حديث أبي

هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل

رجل بنى بُنياناً فأحسنه و أجملته، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس

يطوفون به ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا

خاتم النبيين » [3]

* وفي الحديث الذي رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وأحمد ، من حديث أبي

هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من

ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» [4]

ففى يوم يزداد همهُ وكربه، على جميع الناس، يومَ تدنو الشمسُ من الرءوس فتغلى

من حرارتها ثم يؤتى بجهنم كما أخبر الحبيب فى الحديث الذى رواه مسلم من حديث

عبد الله بن مسعود :« يؤتى بجهنم ، لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف

مَلَكٍ يجرُّنها» [5]

فإذا رأت الخلائق زفرت ، وزمجرت غضباً لغضب الله عز وجل فإذا رآها الخلائق لا يقوم مخلوق على أرض المحشر أن يقف على قدميه من الحسرة والفرع والهول فيخر جاثياً على ركبته.

((وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً)) ([6])

ويطول الموقف على جميع الناس ، حتى الأنبياء ، فيقول بعضهم لبعض ألا ترون من أنتم فيه ..، ألا ترون ما قد بلغكم ..، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض اتنوا آدم عليه السلام.

* والحديث رواه البخارى ومسلم وأحمد وهذا لفظ أحمد من حديث أبى هريرة أنه قال يوماً : أنا سيدُ الناس يوم القيامة وهل تدرون ممّ ذلك؟

يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد.

فيقول بعضُ الناس لبعض اتنوا آدمَ فيقولون يا آدمُ : أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيتُ ، نفسى .. ، نفسى..، نفسى..، اذهبوا إلى غيرى

اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوحُ أنت أولُ الرسلِ إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك ن ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول نوحُ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ، وإن كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي نفسى ..، نفسى ..، اذهبوا إلى غيرى.

أذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيمُ أنت نبيُّ الله وخليلُهُ من أهل الأرض ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، لا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته. نفسى ..، نفسى..، نفسى ..، اذهبوا إلى غيرى.

اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسى.. نفسى..، نفسى..، اذهبوا إلى غيرى.

اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى .

فيقولون: يا عيسى أنت رسولُ الله وكلمتهُ ألقاها على مريم وروحُ منه ، قال : هكذا هو . وكلمتُ الناسَ فى المهد فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي .. ، نفسي .. ، اذهبوا إلى غيري .

اذهبوا إلى محمد

فيأتوني . فيقولون يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فأتى تحت العرض فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله عليّ ويُلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحهُ علي أحد قبلي.

فيقال : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، اشفع تُشفع فأقول : يارب أمي أمي ، يارب أمي أمي . وفي الروايات الأخرى فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فأقض بينهم فيقول سبحانه وتعالى شفعتك أنا أتیکم فأقض بينكم ([7])

وصدق الله عز وجل إذا يقول :

((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))

وبالجملة أيها الأحاباب:

فإن الله عز وجل قد كرم نبيه محمداً تكريماً في الدنيا والآخرة ما كرمه لأحد من العالمين

فهل منعه هذا التكريم من الموت : كَلَّا وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ([8])

إلى أن نزل عليه قول الله جل وعلا: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ([9])

أخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله أنه قال لما نزلت هذه السورة. قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لجبريل: « نعت إلى نفسي يا جبريل»

فقال جبريل: والآخرة خير لك من الأولى

وفي الحديث الذي انفرد به البخاري عن ابن عباس أنه قال سورة النصر هو أجل رسول الله

وفي الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس لما نزلت قل : « نعت إلى نفسي » ([10])

وقال مجاهد والضحاك وغيرهم إنها أجل رسول الله

وفي أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة بدأ رسول الله يحس بالألم الشديد في رأسه فكان أول ما ابتدأ به رسول الله أنه خرج إلى بقيع الغرقد. فسلم على أهل البقيع واستغفر لهم.

تقول عائشة رضي الله عنها فلما رجع رسول الله من البقيع وجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أول وارأساه فقال: « بل أنا والله يا عائشة وارأساه » ([11])

فقامت عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق ترقى النبي صلى الله عليه وسلم

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن عائشة رضي الله عنها قال: « كان رسول الله إذا اشتكى نَفَثَ على نفسه بالمعوذات ومسح عينه بيده فلما اشتكى وجعه الذي

تُوِّفَى فِيهِ طَفَقَتْ أَنْفُثٌ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعْوِذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفُثُ وَأَسْمَحَ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ»

وفي رواية للإمام مالك.

واسمح بيد رسول الله لأنها كانت أعظم بركة من يدي»

* واشتد الوجع برسول الله وهو في بيت ميمونة رضى الله عنها فدعا نساءه فاستأذنه في أن يمرض في بيت عائشة فإنَّ له رضى الله عنهن. واشتد الوجع والألم برسول الله حتى قَلِقَ الصحابةُ قلقاً شديداً وحنوا حزناً بليغاً فشعر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحزن وهذا القلق. فأمرهم أن يصبوا عليه الماء.

كما ورد في الحديث الذي رواه البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت:

لما دخل رسول الله بيتي واشتد به وجعه قال هريقوا عليَّ من سبع قري لعلى أعهد إلى الناس. وفي رواية ابن إسحاق حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم.

تقول عائشة فأجلسناه في مخضبٍ لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصبُ عليه من تلك القرب حتى طفق يشيرُ إلينا بيده أن قد فعلتن (وفي رواية ابن إسحاق) حتى طفق يقول حسبكم حسبكم

ثم خرج إلى الناس عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر.

فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناس عليه ذكر أصحابٍ أحدٍ فاستغفر لهم ودعا لهم وأكثر الصلاة عليهم. ثم قال :

«أيها الناس إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر لأنظر إليه من مقامي

هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها كما تنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكتكم» ([12])

ثم قال :

«أيها الناس إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر لأنظر إليه من مقامي

هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها كما تنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكتكم» ([12])

ثم قال :

إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا والأخرة وبين ما عند اله فاختر ما عند الله ففهمها أبو بكر وعرف أن العبد المخير هو رسول الله فبكى الصديق وقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله .

بل نحن نفديك بأبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا فعجب الناس من بكاء أبى بكر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا أبا بكر.

ثم قال: أيها الناس إن أمن الناس على بصحبته وماله أبو بكر

كلكم كان له عندنا يدٌ كافأناه بها متخذاً إلا الصديق فإننا تركنا مكافأته لله عز وجل.

لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة وصحبة وانظروا إلى هذه الأبواب النافذة إلى المسجد فسدوها إلا بيت أبى بكر ([13])

ثم قال : « يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيتها لا تزيد وإنهم كانوا عييتي التي أويت إليها فأحسنوا إلى مُحْسِنِهِمْ وتجاوزوا عن مُسِيئِهِمْ » ([14])

والحديث رواه البخاري ومسلم

ثم نزل رسول الله فدخل بيت عائشة وتقام به وجعه، وثقل عليه المرض، ولم يعد يقدر على الخروج للصلاة بالمسلمين، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلى أبو بكر بالمسلمين . وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن عبد الله بن مسعود دخل على رسول الله وقد اشتدت به الحمى فقال:

إنك لتوعك وعكاً شديداً يا رسول الله قال: « أجل يا عبد الله إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم قلت إن لك لأجرين قال: كما نعم والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرضى مما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها» ([15])

ثم: دخل على عبد الرحمن بن أبي بكر كما تقول عائشة رضى الله عنها فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم قالت :

« إن الله جمع بين ريقى وريقه عند الموت دخل على عبد الرحمن وبیده سواك، وأنا مسندة رسول الله إلى صدرى، فرأيتَه ينظر إلى السواك ، وأنا أعرف أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك يا رسول الله ، فأشار برأسه : أن نعم . فتناولته فأخذته ، ومضغته، ثم لينته ، قم طيبته ، ثم أعطيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاك به جيداً، فلما انتهى أخذت السواك وأخذتُ أمتص من السواك ريق رسول الله فكان هذا هو آخر عهدى بريق المصطفى صلى الله عليه وسلم .»

فجمع الله بين ريقى وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

وكان بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يُدخل يده في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول :

« لا إله إلا الله إن للموت لسكرات . اللهم أعنى على سكرات الموت» ([16])

وأقبلت عليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها وكانت من أحب الناس إلى رسول الله وكانت إذا دخلت عليه في حالة صحته قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه ولكنه اليوم لا يستطيع القيام كما ورد في الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى والنسائى . وابن حبان والحاكم من حديث عائشة رضى الله عنها.

« ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً برسول الله بقيامها وقعودها من فاطمة وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه»

فلما مرض الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم دعا كما ورد في الحديث الذى رواه البخارى من حديث عائشة : « دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام في شكواه الذى قبض فيه فسارها بشئ فبكت ثم دعاه فسارها بشئ فضحكت فسألنا عن ذلك فقال : سارنى النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذى توفى فيه ، فبكيته ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهله (لحوقاً به) يتبعه، فضحكت» ([17])

ثم قال: يا فاطمة إن جبريل كان يعارضنى القرآن في كل عام مرة ولقد عارضنى القرآن ، في هذا العام مرتين وما أراه إلا أنه قد اقترب الأجل يا فاطمة فبكت رضى

الله عنها فقال : يا فاطمة إنك أشد نساء المسلمين مصاباً بي بعد موتى فلا تكوني أقل امرأة منهم صبراً فاصبري يا بنتي واحتسبي عند الله اجركي فقامت فاطمة تبكي وتقول احتسبتك عند الله يا رسول الله .

* فلما كان يوم الأثنين الذي توفى فيه رسول الله خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر وقام على باب عائشة فكاد المسلمون يُفنتون في صلاتهم فرحاً برسول اله حين رأوه وهمّ أبو بكر أن يتأخر فأشار إليهم أن أثبتوا على صلاتكم وتبسم لما رأى من هينتهم في صلاتهم ثم رجع وأرخى الستر ([18])
* وعاد وقد اقترب الأجل وبدأت اللحظات الأخيرة من عمره الشريف تتلاشى وتنتهي .

تقول عائشة: «مات رسول الله بين سحري ونحري وأنا مسندته إلى صدري فرأيته رفع يده أو إصبعه ثم قال : بل الرفيق الأعلى ..، بل الرفيق الأعلى ..، بل الرفيق الأعلى فعلمت أنه لا يختارنا» ([19])

وعن أنس قال : لما نفل النبي جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها : ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب» ([20])

• مات رسول الله .. مات المصطفى صلى الله عليه وسلم محمد ... مات خير خلق الله .. مات إمام الأنبياء ومات إمام الأصفياء.. مات إمام الأتقياء.

وقام عمر يصرخ ويقول : إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات وإن رسول الله والله ما مات ولكنه ذهب إلى لقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات وعقر على فقعد في الأرض لا يستطيع القيام.

وخرس لسان عثمان يذهب به ويأتي به من يده لا يتكلم .

وجاء الصديق وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل الجسمان الطاهر الشريف وهو مسجى في بيت عائشة فكشف الثوب عن وجهه وأقبل عليه يقبله ، وبكى وهو يقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنبياءه واصفياه واخليلاه. أما الموتة التي قد كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موته أبداً ثم رد البرد على وجهه ، خرج إلى الناس فقال : على رسلك يا عمر فأبى إلا أن يتكلم فأقبل الناس على أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ على الناس قول الله تعالى : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ([21])

فو الله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية قد نزلت وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أقواهم. فلما سمعها عمر عقر ووقع على الأرض لا تحمله رجلاه وعلم أن رسول الله قد مات ([22])

وجاءت فاطمة تبكي وتقول : يا أبتاه أجاب رباً دعاه..، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ..، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ([23])

ثم غسلوه في ثبابه ، وكفونوه ، ودفنوه في حجرة عائشة رضى الله عنها .
والله إن العين لتدمع .. وإن القلب ليحزن .. وإنا لفراق رسول الله لمحزونون.
الخطبة الثانية :

إنها الحقيقة الكبرى يا عباد الله ...
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ . [24]

إنها الحقيقة التي تسربل بها طوعاً أو كرهاً العصاة والطائعون وشرب كأسها الأنبياء
والمرسلون.. إنها الحقيقة التي تصبغ الحياة البشرية كلها بصبغة الذل والعبودية لقهار
السموات والأرض . إنها الحقيقة التي تعلن على مدى الزمان والمكان في أذن كل
سامع وعقل كل مفكر وأديب أنه لا بقاء إلا لله الحي القيوم.

أيا عبد كم يراك الله عاصياً حريصاً على الدنيا وللموت ناسياً
أنسيت لقاء الله والحدّ والثرى ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثياباً من الثقى تجرد عرياناً ولو كان كاسياً
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول حياً وباقياً

فلترسخ هذه الحقيقة في القلوب والعقول ولنعلم أن قدر رسول الله في قلوبنا على قدر
اتباعنا له. فمحبتنا له تستلزم اتباعه في كل ما أمر والانتهاه عما نهى عنه وزجر
وتصديقه في كل ما أخبر ومحبه أكثر من النفس والمال والولد دون غلوا أو إطراء
.. اللهم صلى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واجزه عنا خير
ما جزيت نبياً عن امته ورسولا عن دعوته ورسالته واحشرنا في زمرة وتحت لواءه
واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً يارب العالمين... الدعاء

(1) سورة آل عمران:81

[2] صحيح: [ص.ج:4222]، رواه البخاري رقم(90/6) في الجهاد، ومسلم رقم
(523) في المساجد، والترمذي(1553) في السير، والنسائي (3/6، 4) في الجهاد
[3] صحيح: [ص.ج: 5857]، رواه البخاري رقم (408/6) في الأنبياء، ومسلم
رقم (2286) في الفضائل، والترمذي (2866) في الأمثال.
[4] صحيح: [مختصر مسلم: 1524] ، رواه مسلم رقم (2278) في الفضائل،
وأبو داود رقم (4763) في السنة ، والترمذي رقم (3615) في المناقب، وأحمد في
مسنده (540/02).

[5] صحيح [ص.ج:8001]، رواه مسلم رقم (2842) في صفة الجنة، والترمذي
رقم (2576) في صفة جهنم

[6] سورة الجاثية: 28

[7] صحيح [ص.ج: 1466]، رواه البخارى (334-335/2) ، ومسلم (1-127/1-
129) ، واحمد (435/2) ، واين خزيمه (197) ، وابو عوانه (170-175/1)
والترمذى (70-71/2) وصحيحه.

[8] سورة ق: 19

[9] سورة النصر

- [10] صحيح: رواه البخارى رقم (4969) في التفسير
- [11] صحيح [صحيح ابن ماجه: 1179]، رواه ابن ماجه رقم (1465) في الجنائز ، والدارمى (37/1) المقدمة
- [12] متفق عليه [ص.ج: 2469]، رواه البخارى (414/11) في الرقاق ، وفي الجنائز ، وفي الأنبياء ، وفي المغازى ، ومسلم رقم (2296) في الفضائل.
- [13] متفق عليه: رواه البخاري (22/1، - 429 ، 638/2) وابن أبى شيبة (6/12) ، ابن أبى عاصم في السنة (1227)
- [14] متفق عليه: [ص.ج: 959]، أخرجه ابن حبان (2293) ، وأحمد (187/3) ، (206 - 205) ، وأحمد (162/3).
- [15] متفق عليه: [ص.ج: 5763]، رواه البخارى (116/10) من المرض ، ومسلم (127/16) في البر والصلة.
- [16] صحيح [ص.ج: 7175]، رواه البخاري (640/2) باب « مرضى النبي».
- [17] صحيح: رواه البخاري (638/2)
- [18] صحيح: رواه البخارى (640/2) في مرض النبي صلى الله عليه وسلم .
- [19] صحيح: رواه البخارى (638، 639، 640، 641/2) باب « آخر ما تكلم النبي صلى الله عليه وسلم »
- [20] صحيح: رواه البخارى (641/2)، (755/7) في كتاب المغازى، وأحمد (204/3)، والدارمى (40، 41/1) ، وابن ماجة (1630) وغيرهم.
- [21] سورة آل عمران: 144
- [22] صحيح: رواه البخارى (640، 641/2)
- [23] صحيح: رواه البخارى (641/2) باب « مرض النبي صلى الله عليه وسلم »
- «
- [24] سورة آل عمران: 185.

رحلتي إلى أمريكا بين الحقائق والآمال والواجبات

الحمد لله الذى نور بكتابه القلوب.. وأنزله فى أوجز لفظ وأعجز أسلوب.. فأعيت بلاغته البلاء.. وأعزت حكمته الحكماء.. وأبكرت فصحاته الخطباء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله البشير النذير.. السراج المزهر المنير.. خير الأنبياء مقاماً.. وأحسن الأنبياء كلاماً .

رافع الإصر والأغلال.

والداعي إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناس صنفان.

مغضوب عليهم جفاه.. وضالون غلاة.

فجاء بالدين الوسط.. ، وحذر من الزيغ والشطط.. ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت به نبياً عن أمته.. ، ورسولاً عن دعوته.. ،
ورسالته.. ، وصلى اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد.. فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة وزكى الله هذه الأنفس وشرح الله هذه
الصدور وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال وأن يجمعنا وإياكم في الدنيا
على طاعته وفي الآخرة في جنته ودار كرامته.
أيها الأحبة:

اسمحو لى أن يكون لقاؤنا اليوم بعد هذه الغيبة بعنوان:
« رحلتي إلى أمريكا بين الحقائق والآمال والواجبات».

فلقد شرفني الله جل وعلا بالمشاركة في ثلاثة مؤتمرات إسلامية عُقدت في أمريكا
في الأيام الأخيرة من هذا العام المنصرف في النصف الثاني من شهر ديسمبر.
أما المؤتمر الأول فقد عُقد في مدينة إنديانا بوليس تحت إشراف جمعية القرآن السنة
التي يقوم عليها إخوة كرام أفاضل يقدمون الإسلام غصاً صافياً من القرآن والسنة
بفهم سلف الأمة.

يقدمونه للناس في بيئة أحرقتها لفحُ الهاجرة القاتل وأرهبها طول المشى في التيه
والظلام.

وكان موضوع المؤتمر في هذا العام بعنوان: « العمل الإسلامي المعاصر بين عذاب
الاختلاف ورحمة الائتلاف».

وقد شارك فيه مجموعة كريمة من العلماء والدعاة وحضره عدة مئات من المسلمين
والمسلمات».

أما المؤتمر الثاني فقد عقد في مدينة « ديترويت » تحت إشراف رابطة الشباب
المسلم العربي التي يقوم عليها إخوة يعتز بهم كل مسلم. إخوة واصلوا الليل بالنهار
في العمل الجاد المخلص للإسلام في هذه البلاد وبلغوا درجة من التنظيم والتنسيق
تبعث على الفخر والاعتزاز.

وقد حضر هذا المؤتمر ستة آلاف مسلم ومسلمة في مظاهرة إسلامية تُبكي العيون
فرحاً وتملاً القلوب أملاً!!

وقد شارك فيه عدد كبير من أكابر العلماء والدعاة أيضاً من معظم أنحاء العالم
الإسلامي. وكان موضوع المؤتمر « الأمة الإسلامية شروق لا غروب».

أما المؤتمر الثالث فقد عُقد في كندا تحت إشراف الاتحاد الإسلامي الصومالي وكان
يقوم عليه إخوة فضلاء من الصومال، وقد حضره عدة مئات من المسلمين
والمسلمات وشارك فيه مجموعة من العلماء والدعاة وكان موضوعه « نحو منهج
السلف».

ثم قمنا بزيارة بعض المراكز الإسلامية، وكانت سعادتنا غامرة ونحن نتجول في
مركز الدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
في فرجينيا هذا الصرح الذي افتتح رسمياً منذ عام تقريباً ويقدم جهداً عظيماً للدعوة
إلى الله في مثل هذه البلاد بأحدث الطرق العلمية والتقنية للعرب والأمريكان.

ومن بديع ما قدمه هذا المعهد في هذه الفترة القربية برنامجاً بالكمبيوتر لتعليم الإسلام باللغة الإنجليزية لغير المسلمين. بالإضافة إلى التعليم وطبع النشرات والدوريات وترجمة بعض الكتب.

ويقوم عليه إخوة كرامٌ أفاضل يحملون همَّ الدين فنسأل الله لهم ولجميع الإخوة العاملين للإسلام الثبات والتوفيق إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير. وبعد هذه الجولة السريعة في عدة ولايات استطيعُ أن أسجل لكم بعض انطباعاتي بين الحقائق والآمال والواجبات في نقاطٍ سريعة.

أولاً- الحقائق:

وإن أكبر حقيقةٍ أذكر بها نفسي وإياكم أن من قدرَّ الله له زيارة هذه البلاد عرف أن أعظم نعمةٍ امتن الله بها علينا هي نعمةُ الإسلام والإيمان وذلك محضُ فضلِ الله علينا ابتداءً وانتهاءً.. قال الله عز وجل : وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ [2]

وقال سبحانه وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [2]. وقال عز وجل: يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [3]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي قال: « كَلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ » [4] وفي لفظ مسلم : « ما من مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَيُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيمجسانه كَمَا تَنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةِ جَمْعَاءَ » [5].

(أي مجتمعة الأعضاء) ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم قول الله عز وجل: فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله [6]

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار وفيه أن النبي قال: « قال الله تعالى: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَنتَهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَنَبْتَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ».

فمن نحن ليشرفنا الله بعبادته وتوحيده وطاعته جل وعلا.. إنه فضل الله علينا ابتداءً وانتهاءً لم ننله بفضل عقل ولا بقوة بدن.

ومما زادني فخراً وتيهاً وكدت بأخمصى أطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمدَ لي نبياً فلا يسعنا إلا ان نخر لله سجداً

وأن نحمده في كل نفس من أنفاس حياتنا على هذه النعمة العظيمة. وأن نضرع إليه مخلصين أن يحفظها علينا، وأن يختم لنا بها عند الموت لنسعد في الدنيا والآخرة. ويزداد فضل الله علينا، وتغمرنا رحمته وبركته ويغشانا إحسانه بعد إنعامه علينا بنعمة الإسلام والإيمان بأن يختار بيئته طيبة تعيننا على طاعة الله وتذكرنا به إذا نسينا..

فإن البيئة هناك لا تذكرك بالله أبداً بل تدفعك دفعاً ولو كنت ورعاً تقياً لي معصية الله جل وعلا..!!

ففي كل مكان ترى المعصية، في الطائرة..، في القطار..، في الباص..، في الشارع..، في الفندق..، في المحل..، في المطعم..، في المأكل..، في المشرب..، وتخشى إذا ابتعدت عن إخوانك أن تأكل أو أن تشرب، فهي بيئة تتصاعد منها أنفاسُ العصاة في كل لحظة.

ومن رأى هذه البيئة، وعاش فيها عرف يقيناً. وأقسم على ذلك بالله العظيم إن أظهر وأشرف بيئة على ظهر هذه الأرض، تعيينك على طاعة الله، وتحجزك عن مصية الله هي بلاد الحرمين الشريفين، ولا ينكر ذلك إلا جاحدٌ مريضُ القلب، فهي جزيرة الإسلام ومهبط الوحي وأرض الرسالات والنبات وفيها بيت الله جل وعلا ومسجدُ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم و نبيه المجتبي .

و كيف لا وقد قال الصادق المصدوق مخاطبة مكة يوم هجرته منها :
« واللّهي إنك لخيرُ أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ » أخرجه الترمذي وابن ماجه واسناده صحيح .

ودعا الحبيب لمدينته الغراء كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس أن رسول الله قال: « اللهم أجعل بالمدينة ضِعْفِي ما جعلت بمكة من البركة » (7) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » (8)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: « إن إيمان لبارزُ ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » (9). وفي لفظ مسلم « أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يارزُ (أى ينضمُ ويجمع) بين المسجدين أي بين المسجد الحرام والمسجد النبوي كما تآرز الحية إلى حجرها » (10).

وقال بأبي هو وأمى في جزيرة العرب كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال :

« إن الشيطان قد أنس أن تَعْبُدَهُ المصلُّون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » (11). أي بإيقاع الفتن بين الناس وحمل بعضهم على بعض فمن من الله عليه، وأسكنه هذه البلاد، وتلك الأرض، فليحمد الله عزوجل وليعرف قدر هذه النعمة فإنها والله أرضٌ مباركة طيبة تدفعك دعفاً إلى طاعة الله، وتحول بينك وبين معصية الله، وتعيش فيها آمناً على دينك ، وهذا أعظمُ أمانٍ على الإطلاق.

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي قال:
« قد أفلح من أسلم ورزُق كَفَافاً وقنَّه الله بما أتاه » (12). وفى لفظ الترمذي من حديث فضالة بن عبيد أنه قال : « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنَّه ». فكيف بمن هداه الله للإسلام وأسكنه بلاد الإسلام وأغدق عليه العطاء والنعم فلنعرف نعمة الله علينا ولنخر له سجداً شاكرين ولنؤدى حق الله علينا في كل هذه النعم ونضرع إلى الله تعالى أن يجعل بلاد الحرمين آمناً أماناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين إنه على كل شيء قدير.

ثانياً- الآمال...

وهي كثيرة والله الحمد والمنة .. وكلها تردد بثقةٍ ويقينٍ قائله:

إن الإسلام قادم كقدم الليل والنهار.

نعم.. إن أمة الإسلام قد مرضت وطال مرضها.. ونامت وطال رقادها.. ولكنها بفضل الله جل وعلا لا تموت. وإن الذي يفصل في الأمر في نهاية المطاف ليس قوة الباطل، ولكن الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق. ولا شك على الإطلاق أن معنا الحق الذي من أجله خلقت السموات والأرض..، والجنة والنار..، ومن أجله أنزلت الكتب ..، وأرسلت الرسل. معنا رصيد الفطرة.. فطرة الكون وفطرة الإنسان.. وقيل كل ذل وبعد كل ذلك معنا الله، ويا لها والله من معية كريمة مباركة وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ([13]).

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [14])

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ([15])
نعم أيها الأحباب:

إنه وعد الله الذي لا يخلف وسنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل.

يقول المفكر الشهير (ماكنيل): « إن الحضارة الغربية الآن في الطور الأخير من أطوار حياتها... »

نعم أيها الأحبة:

فقد استطاعت الحضارة الغربية أن تقدم تكنولوجيا رائعاً وتقدمًا علمياً مذهلاً، يناطح السحاب وحولت العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق التقدم المذهل في عالم الاتصالات والمواصلات.

ولكنها فشلت أن تقدم الراحة للقلوب ..، والطمأنينة للنفوس..، والسكينة للإنسان..، والاستقرار للضمير..، والهدوء للأعصاب. والسبب بسيط جداً وهو:

أن هذه الأمور تتعلق بالروح، بالشق الثاني من هذا الإنسان والروح لا يشبعها ولا يسعدها ولا يريحها إلا أن تعبد خالقها عز وجل.

فالحضارة الغربية فضلت في أن تتعامل مع إنسانية الإنسان لأنها لا تُقاس بالأمتار..، و توزن بالجرام..، و لا تخضع للبارومتر الزئبقي..، ولا تتجمد في بوتقه الاختيار في المعامل ولذا حصل الشقاء بحقٍ لإنسان هذه الحضارة من اليأس..، والقلق..، والألم..، والملل..، والتمرد..، والتمزق..، والمأساة..، والشذوذ..، والجنس بكل صورته وأشكاله.

حتى يقول آرثر ميللر الكاتب الأمريكي الشهير: «إن أكثر الأماكن براءةً في بلدي هو مصحة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون». حتى لقد عقد جامعة هارفارد في عام 1979 مؤتمراً لكبار الأساتذة والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع وجميع مجالات العلوم الإنسانية وطرح عليهم سؤالين هما:

* الأول: ما معنى الحياة في أمريكا؟

* والثاني: ما هي فلسفة التعليم وهدفه في أمريكا؟

ويلخص شوبنهاور حياة الغرب في كلمات فيقول: « إن الحياة تتأرجح من اليمين إلى اليسار، من الألم إلى الملل، ليستغث هذا الغرب المسكين إلهه إذا شاء إنه سيطل فريسةً مصيره فالقدر لا يرحم». »

وهناك إحصائيات أخيرة وخطيرة جداً تؤكد هذا الخطر.

ذلك وعد الله عز وجل:

قال سبحانه: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [16]

ومن أروع ما قرأت للكاتب المشهور شبنجلز في كتابه سقوط الحضارة يقول: « إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية».

واليكم هذه البشائر التي تُسعدُ كل مسلمٍ مسلمة:

*ففى الشهر الماضي أقيم في البنجاب حفلٌ فريد من نوعه لأول مرة في تاريخ أمريكا وهو حفل تنصيب إمام أمريكي مسلم للصلاة بالمسلمين في الجيش الأمريكي وسمح لهم القانون بأداء الصلاة في أوقاتها في وقت العمل الرسمي. وهذا الإمام هو النقيب المسلم عبد الرشيد محمد وهو أمريكي مسلم.. وحضر الحفل عدة وفود تمثل سفارات بعض الدول الإسلامية وقد اهتمت وكالات الأنباء والصحف والمجلات في أمريكا بهذا الخبر الجديد.

*وصل عدد المسلمين في أمريكا إلى ما يقرب من ستة مليون مسلم ومسلمة.

*وصل عدد المساجد الآن في أمريكا إلى ما يقرب من 1000 مسجد.

في شيكاغو وحده التي تعتبر من أكبر أماكن العالم في الجريمة بها 49 مركز إسلامي.

*مؤسسة إسلامية كبيرة تعرف بمؤسسة الأخت كليرا محمد أنشأت خمسين مدرسة إسلامية في أكثر من ولاية وأنشأت كلية المعلمين المسلمين أخيراً في فرجينيا لتخريج المدرسين.

*افتتح في آخر الشهر المنصرف أول برنامج إذاعي إسلامي في إذاعة جديدة تسمى صوت الحق تبث برامجها للأمريكيين المسلمين باللغة الإنجليزية.

*افتتح منذ عام تقريباً معهد الدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الذي يعطى شهادة البكالوريوس والماجستير في الدراسات الإسلامية، إلى جانب الأعمال الدعوية الأخرى في ولاية فرجينيا وغيرها من الولايات.

*وجود مثل هذه المؤتمرات والندوات والمجلات والدوريات التي يصدرها الأخوة الكرام واختلافهم فأدعو الله أن يجمع شملهم وأن يوحد صفهم وأن يؤلف بين قلوبهم إنه ولى ذلك ومولاه.

وأخيراً أيها الأحباب:

فالإسلام قادم كقدوم الليل والنهار.. ذلكم وعد الله ووعدُ رسوله الذى لا ينطق عن الهوى وفي الحديث الذي رواه أحمد والطبرانى في الكبير والحاكم وقال صحيح على شر الشيخين وأقره الذهبي من حديث تميم الدارى أنه قال: « ليلغن هذا الأمر ما بلغ

الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر».

والمبشرات القرآنية النبوية كثيرة وقد أفردت لها لقائين بعون (المستقبل لهذا الدين) وكذلك (بشرى وأمل). وها هي كتائب الصحوة الإسلامية العالمية المباركة تتوالى يغذيها كل يوم شبان في ريعان الصبا وفتيات في عمر الورود تلکم الكواكب الكريمة.. وأخيراً الواجبات: فما هو دورنا وما واجبنا وما الذي قدمناه وما الذي يجب علينا أن نقدمه أيها الحبيب أيتها المسلمة: كلنا على ثغر من ثغور الإسلام. فواجبنا جميعاً أن نكون إيجابيين متجردين في العمل لهذا الدين. أغرس على قدر استطاعتك..، ولا تتعجل الثمرة حتى ولو أكلها غيرك، فما عليك أنت إلا أن تغرس لهذا الدين حتى ولو قامت الساعة كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغررسها فليغررسها فله بذلك أجر». فلا تحقرن من المعروف شيئاً، وابذل جهدك لدين الله على قدر استطاعتك وأحمل هم هذا الدين وتحرك بقلب يتحرق على الأمة التي نزلت دماؤها في كل مكان ومزقت أشلاؤها، وانتهكت أعراضها وسلبت أرضها. فهل أنت كذلك أم أنك تنام ملء جفنيك وتأكل ملء بطنك وتضحك ملء فمك؟ علينا جميعاً أن نعمل على للإسلام لنكون ممن شرفهم الله بالسير على طريق الأنبياء. ففي الصحيح عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا وكان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويفتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولن ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبه خردل » (17). وعلينا أن نتحرك للدعوة فيه الآن كما قال علماؤنا فرض عين على كل مسلم ومسلمة وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بلغوا عني ولو آية » فكم تحفظ من الآيات وكم تعرف من الأحاديث؟! وإن أعظم عمل نقدمه الآن للإسلام هو أن نشهد له شهادة عملية على أرض الواقع كما شهدنا له جميعاً من قبل شهادة قولية فإننا لن نعيد الإسلام من جديد بالخطب الرنانة والمواعظ المؤثرة وإنما نعيده منهجاً للحياة فهل من مدكر؟! نسأل الله العظيم أن يرد البشرية إلى الإسلام رداً جميلاً وأن يقر أعيننا بنصره الإسلام وعز الموحدين

[1] سورة النحل : 53.

[2] سورة الحجرات: 7،8.

[3] سورة الحجرات: 17.

[4] صحيح: [ص.ج: 4559]، أخرجه البخاري (1/348-341)، ومسلم (53/8) والطيالسي (2359) ، أحمد (293/2).

[5] صحيح: [ص.ج: 5784]، رواه البخاري في الجناز (3/176، 197، 199)، وأخرجه مسلم رقم

- (2658) في القدر، والموطأ (52) الجنائز ، والترمذي رقم (2139) في القدر، أبو داود رقم (4714) في السنة.
- [6] سورة النمل : 53.
- [7] متفق عليه: [ص.ج: 1256]، أخرجه مسلم رقم (1369) في الحج.
- [8] متفق عليه : [ص.ج: 4029]، رواه البخاري(82/4) في الفضائل وفي الطب وفي الفتن ،
- ورواه مسلم رقم (1379) ، (1380) في الحج ، والموطأ (892/2) في الجامع، والترمذي
- رقم (2244) في الفتن.
- [9] متفق عليه: [ص.ج: 1589]، رواه البخاري (80،81/4) في فضائل المدينة، ومسلم
- رقم (147) في الإيمان.
- [10] صحيح: [ص.ج : 1651]، رواه مسلم رقم (2812) في الفتن.
- [11] صحيح: [ص.ج 1651]، رواه مسلم رقم (92812) في الفتن.
- [12] صحيح: [ص.ج : 1651] ، رواه مسلم رقم (2812) في الفتن.
- [13] سور يوسف: 21.
- [14] سورة الصافات: 173.
- [15] سورة الصافات: 7.
- [16] سورة الأنعام : 44،45.
- [17] صحيح: رواه مسلم رقم (50) في الإيمان ، باب ((كون النهي عن المنكر من الإيمان)).

أمة لا تعرف قدر نبيها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد : فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة وزكى الله هذه الأنفس ، وشرح الله هذه الصدور وطبتم جميعا أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأعزاء ، وطاب ممشاكم

وتبواتم من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذى جمعنا وإياكم فى هذا البيت المبارك على طاعته ، أن يجمعنى وإياكم فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه .
أحبتى فى الله :

((أمة لا تعرف قدر نبيها))

هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم فى هذا اليوم الكريم المبارك ونظراً لأن الحديث فى هذا الموضوع ذو شجون فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية :

أولاً : وإنك لعلى خلق عظيم .

ثانياً : القرآن يربى ويعلم .

ثالثاً : الواقع خير شاهد .

وأخيراً : هذا هو الحب أيها المحب .

فأعرنى قلبك وسمعك أيها الحبيب سائلاً المولى جل وعلا أن يجعلنى وإياكم جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولى الألباب .

أولاً : ((وإنك لعلى خلق عظيم))

روى الطبرانى عن عبد الله بن سلام بسند رجاله ثقات أن زيد بن سعنه -وهو الحبر الكبير من أحبار يهود - قال : ما من شىء من علامات النبوة إلا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت إليه إلا إثنين الأولى : يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلاًماً يقول زيد بن سعنه : فخرج رسول الله يوماً من الحجرات مع على بن أبى طالب وإذ برجل من الأعراب يقبل على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله إن قومى فى قرية بنى فلان قد دخلوا الإسلام ولكنهم دخلوا فى الإسلام طمعاً ، فلقد أخبرتهم أنهم إن دخلوا فى الإسلام أتاهم رزقهم رغداً وقد نزلت بهم اليوم شدة وقحط فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فى الإسلام طمعاً فإن رأيت أن ترسل إليهم بشىء تغيثهم به فعلت يا رسول الله ، فالتفت الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم صاحب الخلق إلى على بن أبى طالب وسأله ((هل عندنا شىء من المال ؟)) .

فقال على بن أبى طالب : لا والله يا رسول الله لقد نفذ المال كله .

يقول زيد بن سعنه : فدنوت من محمد وقلت له : يا محمد هل تبيعنى تمراً معلوماً فى حائط بنى فلان إلى أجل معلوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ((نعم أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل معلوم لكن لاتسمى حائط بنى فلان)) فوافقت على ذلك ، وأعطيت النبى صلى الله عليه وسلم ثمانين مثقالاً من الذهب ، يقول زيد بن سعنه : فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم كلها وأعطاهم لهذا الأعرابى وقال ((اذهب إلى قومك فأغثهم بهذا المال)) فانطلق الأعرابى بالمال كله ، ولم يمض غير قليل من الوقت، ورسول الله مع أبى بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه بعد أن صلى جنازة على صاحب له وأتى إلى جدار ليجلس إليه فى ظله فاقترب منه زيد بن سعنه ونظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم بوجه غليظ وأخذ بقميص النبى صلى الله عليه وسلم وردائه وهز الحبر اليهودى رسول الله هزاً عنيفاً وهو يقول له :

((أدي ما عليك من حق ومن ديني يا محمد ! ، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا مُطلاً في أداء الحقوق وسداد الديون .

فالتفت إليه عمر بن الخطاب وعينه تدور وقال له : يا عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل برسول الله ما أرى؟! والذى نفسى بيده لولا أنى أخشى فوته وغضبه لضربت رأسك بسيفى هذا .

يقول زيد بن سعنه : وأنا أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بالنبي ينظر إلى فى سكون وهدوء ، ثم التفت المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى عمر بن الخطاب وقال له : ((يا عمر لقد كنت أنا وهو فى حاجة إلى غير ذلك ، يا عمر لقد كان من الواجب عليك أن تأمرنى بحسن الأداء وأن تأمره بحسن الطلب ...)) فبهت الحبر أمام هذه الأخلاق السامية ، وأمام هذه الروح الوضيئة العالية من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بأبى هو وأمى .

أندرون ماذا قال الحبيب صاحب الأخلاق العظيمة ؟

التفت الحبيب إلى عمر وقال

((يا عمر خذه وأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمرٍ جزاء ما روعته !!))

يقول زيد بن سعنه : فأخذنى عمر بن الخطاب وأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعاً من تمر .

فقلت له : ما هذه الزيادة يا عمر !؟

فقال : أمرنى رسول الله أن أزيدكها جزاء ما روعتك

فالتفت الحبر اليهودى إلى عمر وقال : ألا تعرفنى ؟

قال : لا ، قال : أنا زيد بن سعنه .

قال عمر : حبر اليهود !؟ قال : نعم .

فالتفت إليه عمر وقال : فما الذى حملك على أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت ؟ وعلى أن تفعل برسول الله ما فعلت فقال زيد : والله يا ابن الخطاب ما من شىء من علامات النبوة إلا وقد عرفته فى وجه رسول الله حين نظرت إليه ولكننى لم أختبر فيه خصلتين من خصال النبوة .

فقال عمر : وما هما ؟

قال حبر اليهود : الأولى : يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً أما وقد عرفتها اليوم فى رسول الله فأشهدك يا عمر أنى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

أيها الأحبة :

ماذا أقول أمام هذه الأخلاق !؟ وبأى لغة أعلق !؟

وأنا أسأل الآن وأقول : هل فى لغة البشر ما أستطيع أن أعبر به عن هذه الأخلاق السامقة ؟ ورب الكعبة فلا !!

فلندع المشهد يتألق سمواً وروعةً وجلالاً ولتردد معى أيها المحب للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الشهادة العظيمة من خالقه جل وعلا : ((وإنك لعلى خلق عظيم)) .

وروى ابن اسحاق بسند صحيح مرسلا وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : أخرجه الطبرانى عن أنس ورجاله رجال الصحيح من حديث عروة بن الزبير أن عمير بن وهب أُسِرَ ولده وهب بن عمير فى غزوة بدر فجلس عمير بن وهب مع صفوان بن أمية وكان على الكفر والشرك ، جلساً إلى جوار الكعبة فتذكرا يوم بدر فقال عمير بن وهب لصفوان بن أمية : والله لولا دَيْنٌ على وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد لأقتله ، فإن لى قبلهم علة ، ابنى أسيرٌ فى أيديهم ، فاغتنمها صفوان بن أمية وقال : علىَّ دَيْنُكَ أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، لا أمنع شيئاً عنهم . فقال له عمير : فاكنتم شأنى وشأنك ، قال : أفعل فانطلق عمير إلى المدينة وقد شحذ سيفه وسَمَّه ، فلما أناخ راحلته على باب المسجد رآه الفاروق الملهم عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه .

فقال عمر : هذا عدو الله عميرُ بن وهب والله ما جاء إلا لشر . ثم أخذ عمر بحمالة سيفه فى عنقه فلبَّيه بها ثم أدخله على رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر ، ثم قال : ادن يا عمير ، فدنا من رسول الله ثم قال له رسول الله : ما الذى جاء بك يا عمير ؟ فقال : ابنى أسيرٌ فى أيديكم جئت لتحسنوا فى فدائه .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : أصدقنى يا عمير ، مالذى جاء بك قال : ما جئت إلا لهذا .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : فما بال السيف فى عنقك فقال عمير بن وهب : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر !؟ فقال ((أصدقنى يا عمير مالذى جاء بك)) قال عمير : ما جئت إلا لذلك .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : ((بل جلست أنت وصفوان بن أمية فى حجر الكعبة فذكرتما أهل بدر من قريش ، ثم قلت لصفوان : لولا دين علىَّ وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد لأقتله ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلنى ، والله حائل بينك وبين ذلك ...))
الله أكبر

فقال عمير بن وهب : أشهد أنك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره)) هل فى لغة البشر ما أستطيع أن أعبر عن هذه الأخلاق السامية !؟

وروى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قال : لما قسم النبى صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أعطى لقومه من قريش ولسائر العرب ولم يعط الأنصار من الغنائم شيئاً حتى وَجَدَ الأنصار فى أنفسهم على رسول الله حتى قال قائلهم : والله لقد لقي رسول الله قومه ، فلما سمع سعد بن عبادة الأنصارى هذه العبارة انطلق إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى لقد وَجَدَ الأنصار عليك فى أنفسهم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : فيما يا سعد
فقال سعد : لأنك قسمت الغنائم وأعطيت قومك من قريش وأعطيت سائر العرب ولم
تعط الأنصار .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : ((اجمع لى الأنصار يا سعد
((فجمع سعد بن عبادة الأنصار رضوان الله عليهم وخرج النبي صلى الله عليه
وسلم على الأنصار وقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فى الأنصار :
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ((يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالةً
فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم))
فسكت الأنصار فالتفت إليهم نبينا الحبيب المختار وقال :

((ألا تجيبون يا معشر الأنصار))
فقالوا : ماذا نقول وبماذا نجيب؟! المنّ لله ولرسول الله فقال الحبيب المصطفى
صلى الله عليه وسلم : ((والله لو شئتم لقلتم فصدقتم : جئتنا طريداً فأويناك وعائلاً
فواسيناك ، وجئتنا مخذولاً فنصرناك ، وجئتنا خائفاً فأمنّاك))
فقال الأنصار : ((المن لله ورسوله))

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : ((يا معشر الأنصار لقد
وجدتم فى أنفسكم علىّ فى لعاعة تألفت بها قلوباً دخلت الإسلام حديثاً ، ووكلتكم أنتم
إلى ما منّ الله عز وجل به عليكم من الإسلام ، يا معشر الأنصار : أما ترضون أن
يذهب الناس بالشاة والبعير إلى رحالهم ، وتذهبون أنتم برسول الله إلى رحالكم ، يا
معشر الأنصار : والله لو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب
الأنصار : والله لو لا الهجرة لكنت رجلاً من الأنصار ، فاللهم ارحم الأنصار ، وابناء
الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار))(1) .

فبكى الأنصار رضوان الله عليهم وأرضاهم وارتفعت أصواتهم بالبكاء واخضلت
لحاهم وقالوا على لسان رجل واحد لصاحب الأخلاق السامية : رضينا بالله رباً
وبرسول الله قسماً ومغنماً .

هل فى لغة البشر ما نستطيع به أن نعبر عن هذه الأخلاق من رسول الله .
يوم أن قال لهم ((لولا الهجرة لكنت من الأنصار)) ويوم أن كرمهم هذا التكريم !!
ورب الكعبة فلا فلتردد معى أيها المسلم هذه الشهادة الذكية التى زكاه بها ربه وخالقه
((وإنك لعلى خلق عظيم)) .

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ... وأنه خير خلق الله كلهم
أغرّ عليه للنوة خاتم من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي صلى الله عليه وسلم لإسمه إذ قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد

أيتها الأحبة : والله الذى لا إله غيره لو ظللت الدهر كله أتحدث عن أخلاق رسول الله
ما استطعت ولكن لخصت عائشة الصديقة الحصان الرزان هذا الخلق العظيم فى
كلمات محددة فقالت : كان خلقه القرآن

كان رسول الله قرآنا متحركا بين الناس .. ولقد جمع الله جل وعلا في شخص الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أشخاصا كثيرة ومتعددة في آن واحد .
فهو رسول الله من عند الله يتلقى الوحي من السماء ليربط السماء بالأرض بأعظم رباط وأشرف صلة !!

وهو رجل سياسة من طراز فريد ، يقيم أمةً ودولةً من فتات متناثر فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء تذلل الأكاسرة ، وتهين القياصرة ، وتغير مجرى التاريخ في فترة لا تساوى في حساب الزمن شيئا !!

وهو رجل حرب من طراز أوحده ، يقود الجيوش ، ويخطط للمعارك ، ويتخذ غرفة العمليات عن بعد من أرض المعركة وهذا لم يعلمه التاريخ إلا في القرن الحالى ، وقام ليختار القادة فاختر قائداً للميمنة وقائداً للميسرة ، بل ولما انفضت الجموع فى حنين قام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم رافعاً سيفه فى ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف ، ذالك الميدان الذى تصمت فيه الألسنة الطويلة ، وتخطب فيه السيوف والرماح على منابر الرقاب .

وقف الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم أن انفض الأبطال والقادة ليعلن بأعلى صوته قائلاً : ((أنا النبى صلى الله عليه وسلم لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب)) .

((اللهم نزل نصرك)) قال البراء : كنا والله إذا احمر البأس ننتقى به وإن الشجاع منا الذى يحاذى به (يعنى رسول الله) (1)

وهو أب وزوج ورب أسرة كبيرة تحتاج إلى كثير من النفقات ، من نفقات الفكر .. من نفقات الشعور .. من نفقات التربية .. من نفقات النصح .. فضلا عن نفقات المال .

فيقوم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذا الدور على أعلى نسقٍ شهدته الأرض ، وعرفه التاريخ .

وهو إنسانى من طراز فريد كأنه ما خلق ليزيل الدموع ، كأنه ما خلق إلا ليمسح الآلام عن القلوب .. يمنح الناس وقته ، وفكره ، وعقله ، وماله ، ونصحه ، وروحه وشعوره كأنه ما خلق إلا ليسعد الناس فى الدنيا قبل الآخرة .

وهو قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك قائم على أعظم وأشرف دعوة شهدتها الأرض ، أخذت عقله وفكره ، وروحه ، ودمه .

فيقوم المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه الأدوار كلها كأنه ما خلق إلا لكل دورٍ من هذه الأدوار ، ليقوم به على أعلى نسقٍ وأكمل صورة .

فلقد بعث الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قدوةً طيبةً فقال : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا

[الأحزاب:21]

والسؤال الآن : هل بعث الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لتكون سيرته قصةً تتلى فى يوم من أيام شهر ربيع ؟! ما أرخصه من حب !!

ما أرخصه من اتباع وما أرخصه من تقدير !!

أمةً والله لا تعرف قدر نبيها !!

هل بعث الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لتكون سيرته قصة تتلى كقصة
أبى زيد الهلالي؟!!! وكأننا ما كلفنا أن نحول هذه السيرة فى حياتنا إلى واقع عملى
ومنهج حياة .

حاول أعداء الأمة أن يحولوا بين الأمة وبين رسولها أن يحولوا بين الأمة وبين سيرة
النبي صلى الله عليه وسلم العظيم الخاتم لتظل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فى
حياة الأمة قصة تُتلى ، وحكاية جميلة ترددها الألسنة ، وقصائد مزوقة ، وكلمات
منمقة ، يحتفل بها عليّة القوم وسادة الناس .

تحتفل الأمة برسول الله عَبْرَ قصيدة ، أو عَبْرَ أبيات شعرية ، أو عبر خطبة رنانة أو
عبر ندوة طنانة ، أو عبر ليلة ماجنة ... ليلة يؤتى فيها براقص يسمونه (مَدَاخًا)
يقف هذا الراقص بين جموع تصرخ ، وترقص !!

أليس فى بلادنا من الفقراء من هم فى أمس الحاجة إلى هذا المال .. اتقوا الله يا أيها
الناس والله أنه الكذب . إنه الكذب .. إنه الدّجل .. ينفق فى ليلة من هذه الليالى الآلاف
بحجة أننا نحتفل بذكرى رسول الله .. أنحتفل بذكرى رسول الله بالموسيقى والغناء
ومزامير الشيطان .. إنه الدّجل بعينه .. بدعة منكرة لا أصل لها ولا وجود .

والله ما فعل ذلك أبو بكر .. والله ما فعل ذلك عمر .. والله ما فعل ذلك عثمان .. والله
ما فعل ذلك علىّ .. إن الإحتفال برسول الله لا يتمثل فى هذه الليالى الساهرة الماجنة
التي يختلط فيها الشباب بالفتيات وترتكب فيه جل المحرمات وإنا لله وإنا له راجعون

أهذا هو الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!

أهذا هو الحب يا عباد الله!!!

أيها الأحبة : لا يعلم قدر رسول الله إلا الله جل وعلا فأنزل الله القرآن ليربى ويعلم
أصحابه وليعلم لمسلمين من بعدهم كيف يعاملون رسول الله وكيف يوقرون رسول
الله؟

وهو عنصرنا الثانى من عناصر هذا اللقاء ((القرآن يعلم ويربى))

قال الله عز وجل : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

[الحجرات: 1- 3]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة .

قال مجاهد : أى لا تفتاتوا على رسول الله حتى يقضى الله على لسان رسوله

قال الضحاك : أى لا تفضوا شيئاً من شرائع دينكم دون الله ورسوله .

قال القرطبى : لا تقدموا قولاً ولا فعلاً على قول الله وعلى قول رسول الله فإن
من قدم قوله وفعله على قول وفعل رسول الله فإنما قدمه على الله لأن رسول الله إنما
يأمر بما أمر الله عز وجل به .

قال الشنقيطي : ((لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)) ويدخل في ذلك دخولا أولياً
تشريع مالم يأذن به الله وتحريم مالم يحرمه الله وتحليل مالم يحلله ، إذ لا حلال إلا ما
أحلّه الله على لسان رسوله ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه
الله على لسان رسوله

والسؤال الآن : هل امتثلت الأمة أمر الله فتأديت مع رسول الله؟ هل امتثلت الأمة أمر
الله فلم تقدم قولها وحكمها وفعلها على حكم وقول وفعل رسول الله ؟
والجواب : لا ، والواقع خير شاهد .

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء أرجى الحديث عنه إلى ما بعد جلسة
الإستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة
فكشفت الله به العممة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولا عن دعوته و صلى اللهم وسلم
وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن
بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام :

((الواقع خير شاهد))

نعم أيها المسلمون : إن واقع الأمة خير شاهد على أن الأمة لم تمتثل أمر الله وأمر
رسوله .

أمة تدعى أنها تحتفل برسول الله في شهر ربيع في الوقت الذي نُحت فيه شريعته
وسخرت فيه من سنته !!

هل هذا حب ؟!! هل هذا إحتفال ؟!!

أين السنة ؟! أين شريعة رسول الله ؟!

هل تعلمون أن الأمة الآن قد حكمت في الأموال والأعراض والدماء والفروج
القوانين الوضعية الفاجرة الجائرة وعطلت شريعة النبي صلى الله عليه وسلم
المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟!

إن الأمة قد عطلت كتاب الله !! وعطلت سنة رسول الله !! واستبدلت بالعبير بعراً
بالثريا ثرى وبالرحيق المختوم حريقاً محرقة مدمراً .

أين الأمة من دماء تسفك ؟! وأشلاء تمزق ؟! وأعراض تنتهك ؟! ومقدسات تدنس ؟!
وهي تغنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!!!

والله إنها أمة لا تستحي أين الأمة من قول رسول الله :

((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) (1)

المسلمة في البوسنة تصرخ ، والمسلمون في بلاد المسلمين يأكلون عروسة المولد !!
المسلمة في البوسنة ينتهك عرضها ولا زال الكبار يرقصون ويغنون بحب رسول الله
!!!

أين أنتم من رسول الله؟! أين أنتم من محبته؟!
المسلمة من أربع سنوات تصرخ ، وأخيراً قالت : أيها المسلمون إن عجزتم عن مَدنا
بالسلاح فأمَدّونا بحبوب منع الحمل حتى لا تعظم المصيبة!! أين المسلمون
الراقصون؟! أين المسلمون الذين يتغنون في الليل والنهار؟! المسلمة في البوسنة
تصرخ وتقول :

أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمى هنا يامسلمون يراق
عرضى يدنس أين شيمتكم أما فيكم أبى قلبه خفاق
أختاه ... أمتنا التي تدعونها صارت على درب الخضوع تساق
أودت بها قومية مشؤومة وسرى بها نحو الضياع رفاق
إن كنت تنتظرينها فينتهى نفق من بعده أنفاق
فهدى إلى الرحمن كف تضرع فلسوف يرفع شأنك الخلاق
لا تياسى فأمام قدرة ربنا ... تتضائل الأنساب والأعراق
يا من احتضنت طفلك فى صدرك ، وضحكت ملء فمك ، وأكلت ملء بطنك لقد أخذ

الطفل من أحضان أمه على أرض البوسنة ، بل فى أرض الصومال .
والله الذى لا إله غيره رأيت بعينى على شاشات التلفاز فى أمريكا منظرأ يخلع القلب
رأيت امرأة صومالية خرجت فى ظل هذه الحرب الطاحنة وخرج معها أبناءها فى
صحراء مقفرة ، نفذ الطعام ، ونفذ الشراب ، وسقطت الأم من الإعياء وهى تحمل
رضيعها ، وتحمل طفلاً آخرأ على ظهرها وأطفالها يجرون ثيابها من خلفها ، تمشى
هذه الأم فى الصحراء ونامت وطال نومها فقبض الله روحها وماتت ، وانطلق
الأطفال يبحثون عن طعام وشراب ، فلما لم يجد الأطفال طعاماً ولا شراباً انطلق
الأطفال يفتشون عن ثدى الأم ، فالتقموا الثدى فلما جف الثدى ولم يعد يعطى لبنا ،
انطلق الأطفال يبحثون عن شىء آخر فلم يجدوا ، فانقضوا على لحم أمهم ليأكلوه !!
هذه صورة فى الصومال على مرأى ومسمع من العالم كله .

وفى البوسنة ينتزع الطفل ليشوى ويبيع أمام أمه .. طفل يباع أمام أمه !!
أطفالنا ناموا على أحلامهم وعلى لهيب القاذفات آفاقوا
أطفالنا بيعوا وأوربا التى تشرى ففيها راجت الأسواق
أين النظام العالمى .. أما له أثرٌ ألم تتعق به الأبواق
يا مجلس الأمن الذى فى ظله كسر الأمان وضع الميثاق
أو ما يحركك الذى يجرى لنا أو ما يترك جرحنا الدفاق
يعفى عن الصرب الذين طغوا وتجبروا ويفرد بالعقاب عراق
وحشية يقف الخيال أمامها ... متضائلاً وتمجها الأذواق ...

أين الذين يغنون ويرقصون بحب رسول الله!!?
أين هم من هذه المأسى المروعة فى الصومال فى الشيشان فى طجكستان ، فى
تركستان فى كشمير ، فى الفلبين ، فى كل مكان .
أين الذين يغنون ويرقصون بحب رسول الله!!?
أين هم من هذه المأسى المروعة فى الصومال فى الشيشان فى طجكستان ، فى
تركستان فى كشمير ، فى الفلبين ، فى كل مكان .

ففى كل بلد على الإسلام دائرة ... ينهد من هولها رضوى وسهلان
ذبح وصلب وتقتيل بإخوتنا كما أعدت لتشفى الحقد نيران
يستصرخون ذوى الإيمان عاطفة فلم يغتهم بيوم الروع أعوان
فهل هذه غيرة أم هذه ضعة للكفر ذكر للإسلام نسيان

...
وأخيرا :

((هذا هو الحب أيها المحب))

فرق كبير بين حب مبني على الابتداع وحب مبني على الاتباع .
فالحب الصادق هو الذى يُبنى على الإتباع .. امتثال أمر النبى صلى الله عليه وسلم ،
واجتناب نهى النبى صلى الله عليه وسلم .. والوقوف عند حدود النبى صلى الله عليه
وسلم

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ((والذى نفس بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين))(1)
لا يكتمل الإيمان فى قلبك إلا إذا كان حبك للنبى يفوق حبك لولدك .. لوالدك .. للناس
أجمعين ، بل لنفسك التى بين جنبيك .
فليسأل كل منا نفسه الآن :

هل أنا أحب رسول الله أكثر من حبي لولدى ؟

لا تخدع نفسك .. كن صادقاً مع نفسك وابحث عن إجابة دقيقة لهذا السؤال.

هل حب رسول الله فى قلبك يفوق حبك لوالدك !؟

هل حب رسول الله فى قلبك يفوق حبك لنفسك التى بين جنبيك؟! ففى صحيح
البخارى عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد
عمر بن الخطاب

فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إليّ من كل شىء إلا نفسى

فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ((لا والذى نفسى بيده حتى
أكون أحب إليك من نفسك))

فقال له عمر : والله لأنت أحب إليّ من نفسى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : ((الآن يا عمر))

والمراد أنه لا يكتمل إيمان العبد حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله
عليه وسلم أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه فضلا عن ماله وأهله وولده
أحبتى فى الله : إن المحبة الصادقة ليست كلمة تقال باللسان فحسب . فما أسهل
الإدعاء ولكن المحبة الحقيقية هى إتباعه واقتفاء أثره وامتثال أمره ، واجتناب نهيه ،
فإن المحب لمن يحب مطيع .

وقد ذكر العلماء علامات لمعرفة محبة النبى صلى الله عليه وسلم نذكر أهمها
باختصار من أهم العلامات لمعرفة محبة النبى

* فقد رؤيته أشد من فقد أى شىء آخر فى الدنيا .

بمعنى أنه لوخير بين رؤية النبى صلى الله عليه وسلم إن كان ذلك ممكنا وبين أن
يفقد فى سبيل ذلك أى شىء هام من أغراض الدنيا لاختر أن يرى حبيبه .

* يتمنى حضور حياته عليه الصلاة والسلام كي يبذل نفسه وماله دونه .

* يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه .

* ينصر سنته ويذب عن شريعته .

ولقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة لأسمى مراتب الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اكتفى بهذا المشهد المهيّب لهذا الصحابي الجليل الذي يعلمنا درسا في الحب الصادق ليس له نظير

ها هو خبيب بن عدي يصلبه المشركون في مكة ويحتشدون حوله في شماته ظاهرة ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية فالتفت إليهم خبيب قائلاً : دعوني أركع ركعتين ، فتركوه فصلاهما فلما سلم قال : والله لولا أن تقولوا أن ما بي جَزَعٌ لزدت .

ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بديداً ولا تبق منهم أحداً

فاقترب منه أبو سفيان قائلاً : أيسرُك أن محمداً عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟ فقال : لا والله ما يسرني أني في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه(1) .

بالله هل في لغة البشر من الكلمات ما نستطيع أن نعبر بها عن مدلول هذا الحب ؟ وجوابي : اللهم لا .. ألا فلندع المشهد بروعته وجلاله يعمل في القلوب عمله دون تدخل أو تعليق !!

أيها الأحباب هذا هو الحب والحديث عن محبة الصحب الكرام لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديث طويل جميل فعلينا أن نراجع أنفسنا بصدق أين نحن من هؤلاء الأطهار؟؟ وهل نحن حقاً محبون للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعنا بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وأن يسقينا بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً حتى نستمتع بالنظر إلى وجهه الله جل وعلا

000000000

(1) رواه البخارى (37/8_42) فى المغازى ، باب غزوة الطائف ، ومسلم رقم

(1061) فى الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام

(1) رواه البخارى (37/8-21) فى المغازى ، وفى الجهاد ، باب من قاد دابة غيره

فى الحرب ، ومسلم رقم (1776) فى الجهاد ، باب غزوة حنين ، والترمذى رقم

(1688) فى الجهاد ، باب ما جاء فى الثبات عند القتال .

(1) رواه البخارى(10/366) فى الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم رقم

(2586) فى البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

(1) رواه البخارى فى الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله

عليه وسلم من الإيمان ، ومسلم رقم (44) فى الإيمان ، باب وجوب محبة النبى

صلى الله عليه وسلم ، والنسائى فيه أيضا (8/114,115) باب علامة الإيمان ، وابن

ماجة فى المقدمة رقم (167) .

(1) انظر القصة كاملة في خبر غزوة الرجيع في صحيح البخارى في كتاب المغزى رقم (4086) باب غزوة الرجيع ورعل زكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن الثابت وخبيب وأصحابه ، ومسند أحمد (7915) ، وابن سعد (55/2) ، وغيرهم وانظر أيضا زاد المعاد (245,244/3) ط . مؤسسة الرسالة

الإسلام وسعادة البشرية

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب .. وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب .. فأعيت بلاغته

البلغاء .. وأعجزت حكمته الحكماء .. وأبكرت فصاحته الخطباء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، وخليقه، البشير النذير.. والسراج

المزهر المنير .. خير الأنبياء مقاما.. وأحسن الأنبياء كلاماً.

رافع الإصر والأغلال.

والداعى إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال.

أرسله الله عز وجل والناس صنفان.

مغضوب عليهم جفاة .. وضالون غلاة.

فجاء بالدين الوسط وحذر منم الزيغ والشطط وتركنا على المحجة البيضاء ليلها

كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت به نبياً عن أمته

ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلِّ اللهم، وسلم، وزد وبارد عليه وعلى آله وصحبه

أجمعين.

وبعد ... فحيا الله هذه الوجوة الطيبة المشرقة وزكى الله هذه الأنفس وشرح الله هذه

الصدور وأسأل الله أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال وأن يجمعنا وإياكم فى الدنيا

على طاعته وفي الآخرة فى جنته ودار كرامته.

أحبتى فى الله:

وسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية :

أولاً: الناس جميعاً يبحثون عن السعادة ثانياً: سعادة العالم بين الوهم والحقيقة.

ثالثاً: الإسلام وسعادة البشرية.

رابعاً: السعادة الحقيقية ووسائلها.

أو لا : الناس جميعاً يبحثون عن السعادة

أحبتى فى الله .. ما من إنسان على ظهر هذه الأرض إلا وهو يبحث عن السعادة ..

غاية يتفق فيها الخلق على اختلاف عقائدهم، وعقولهم، ومشاربهم ومبادئهم وغاياتهم.

فلو سألت أى إنسان على وجه البسيطة عن أى عمل قام به لأجابك على الفور بقوله:

أبحث عن السعادة ..، سواءً قالها بحروفها أم بمعناها. فكلُّ الناس يريدون السعادة

ولكن كثيراً منهم يخطئ هذا الطريق.

* فكثيرٌ من الناس يظنُّ أن السعادة الحقيقية فى جمع المال !!

وبداية فأننا لا أقلل أبداً من شأن المال.. بل إننى لعلى يقين جازم أن المال عصبُ

الحياة .. وأن المال هو الذي يدير الآن دفة السياسة العالمية بلا نزاع.

وما أكرمه من مال حينما تحركه أيدي الصالحين والشرفاء.

وفي الحديث الصحيح الذي وراه أحمد والتزمذى واللفظ له من حديث أبي كبشة الأنماري وفيه انه قال:

« إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةٍ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَزُرْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمَلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَزُرْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ لَمْ يَزُرْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمَلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَوَزْرُهُمَا سَوَاءٌ » ([1]).

فإننا لا نقلل أبدأ من شأن المال ونقرر أن المال سبب من أسباب السعادة.. لكن ليس كل صاحب مال سعيداً.

بل ربما يكون المال سبباً من أسباب التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة إذا لم يدرك صاحب المال غايته.

وكلكم يتذكر الآن معى قصة قارون الذي خرج على قومه في زينته في غاية السعادة حتى قال الناس إنه لذو حظ عظيم وكانت النتيجة كما تعلمون.

فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ([2])

* ويقفز إلى ذهني الآن قصة معاصرة عجيبة تؤكد أن المال وحده لا يمكن أن يكون سبباً للسعادة، إنها قصة « كرسيتينا أوناسيس » ابنة الملياردير الشهير « أوناسيس » الذي يملك المليارات والجزر والأساطيل وشركات الطيران، ومات أبوها فورثت هذه الفتاة مع طوجة أبيها كل هذه المليارات.

ومع ذلك فهل كانت سعيدة !؟

والجواب . لقد تزوجت هذه الفتاة برجل أمريكي عاش معها شهوراً ثم طلقها أو طلقته.

ثم تزوجت بعده برجل يوناني ثم عاش معها شهوراً فطلقها أو طلقته.

ثم تزوجت للمرة الثالثة برجل شيوعي روسي فتعجب كثير من الناس أن تلتقى قمة الرأسمالية مع قمة الشيوعية.

وعندما سألتها الصحفيون قالت بالحرف الواحد: (ابحث عن السعادة).. وعاشت معه سنة ثم طلقها أو طلقته.

ثم تزوجت برجل فرنسي وبعدها حضرت حفلاً كبيراً في فرنسا وسألها الصحفيون هل أنت أغنى امرأة !!؟

فقلت: نعم أنا أغنى امرأة ولكني أشقى امرأة!!

ثم عاش معها الفرنسي فترة وطلقها أو طلقته ثم وجدوها بعد ذلك جثة هامدة فارقت الحياة في إحدى الشاليهات فى الأرجنتين.

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية فى الشهرة.

وهذا يكون من أسباب السعادة وقد يكون كذلك من أسباب التعاسة والشقاء.

ولعلكم سمعتم وقرأتم ما ذكره بعض أهل الفن ممن تاب الله عليهم.

• وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية في المنصب والجاه!!
وقد يكون المنصب سبباً من أسباب السعادة إذا اتقى صاحب المنصب ربّه جلا وعلا
وعلم يقيناً أن المنصب إلى زوال ولو دام لغيره ما وصل إليه فنظر إليه على أنه أمانة
كما قال النبي لأبي ذر :

« يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي
عَلَيْهِ فِيهَا » [3]

ولله درُّ ابن الخطاب الذي رآه عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً يجري تحت
حرارة الشمس المحرقة التي تكاد تذيب الحديد والصخور فينادى عليه عثمان: ما
الذي أخرجك في هذا الوقت الشديد الحرِّ يا أمير المؤمنين؟
فيقول عمر : بعير من إبل الصدقة قد نذَّ وأخشى عليه الضياع فأسأل عنه بين يدي الله
جلا وعلا!!

فقال عثمان: لقد أتعبت كلَّ من جاء بعدك يا عمر!!

وهؤلاء ومن سار على دربهم هم الذين يسعدون بالمنصب في الدنيا والآخرة.
وقد يكون المنصب سبباً من أسباب التعاسة والشقاء في الدنيا بل والآخرة إذا نظر
إليه صاحبه على أنه غاية من ثمَّ فهو يبذل من أجل هذه الغاية وقته وعقله وماله بل
ودينه!!! ولا يحرص إلا على إرضاء من ولأه وإن خالف ذلك أوامر مولاه سبحانه
وتعالى.

وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا
مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ» [4].

فيا صاحب المنصب : الله الله في هذه الأمانة. واعلم بأن دنياك مهما طالمت فهي
قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة وأن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر وأن
العمر مهما طال فلا بد من دخول القبر .. ويومها قد تتدم كثيراً وساعتها لا ينفع
الندم!!

* وقد يظن البعض أن السعادة الحقيقية في بلاد الغرب. وأن أبناء الغرب هم الذين
يعيشون هذه السعادة، ومن ثمَّ فالسعداء هم الذين يعيشون في الغرب ويطبقون
أحكامه ويدورون في فلكه وهذه من الفتن التي تعصف الآن بقلوب الكثيرين من
المسلمين والمسلمات.

ونحن أيها الأخوة والأخوات لا ننكر ما وصل إليه الغرب في الجانب المادي ولكن
الحياة ليست كلها مادة . ولا يمكن لطائر جبار أن يخلق في أجواء الفضاء بجناح
واحد وإن نجح في ذلك لفترة وإن طال فإنه حتماً سيسقط لينكسر جناحه الآخر.

فإن الغرب قد أعطى البدن كل ما يشتهيهِه وبقيت الروح تصرخ تبحث عن غذائها
ودوائها وهنا وقف الغربيون في حيرة .. لأن الروح لا توزن بالجرام ولا تُقاس
بالترمومتر ولا تخضع لبوتقة التجارب الإضافية في معامل الكيمياء والفيزياء ..
وهنا كذلك وقف علماء الطب والنفوس في دهشة وحيرة أمام الحالات المتزايدة
للمصابين بالأمراض النفسية والعصبية بل وأمام حالات الانتحار الجماعية.

وصدف الله إذ يقول: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

ومن سافر إلى بلاد الغرب واطلع على الدراسات العديدة التي تجرى هناك من أن
لآخر أدرك يقيناً أن أبناء الغرب يفتقدون السعادة ولا ينبغي أن ننهر بالمظاهر
الخداعة التي تكاد تخطف أبصار من لا بصيرة لهم !!
قالو الغرب قلت صناعةً وسياحةً ومظاهرٌ تُغرينا
لكنه خاوٍ من الإيمان ... لا يرعى ضعيفاً أو يسرُّ حزينا
الغرب مقبرة المبادئ لم يزل ... يرمى بسهم المغريات الدينا
الغرب مقبرة العدالة كلما ... رفعت يدٌ أبدى لها السكينا
الغرب يكفر بالسلام وإنما ... بسلامه الموهوم يستهوينا
الغرب يحمل خنجراً ورصاصةً ... فعَلام يحمل قومنا الزيتونا
كفرٌ وإسلام فأنى يلتقى ... هذا بذلك أيها اللاهونا
ثانياً : سعادة العالم بين الهم والحقيقة

إن العالم اليوم محروم من الأمن والأمان رغم عظم الوسائل الأمنية المذهلة التي
وصل إليها العلم الحديث ورغم الاختراعات الكثيرة التي يولد منها الجديد والجديد
كل يوم، ورغم التخطيط الهائل المبني على أسس علمية ونفسية لمحاربة الجريمة
بشتى صورها وبالرغم من كله فإن العالم لا زال يبحث عن الأمن والأمان وسط
الركام.. بل لد تحولت هذه الوسائل الأمنية نفسها إلى مصدر رعب وفرع إبادة
للجنس البشري..

فما منن يوم يمر – بدون مبالغة- إلا وتسفك فيه دماء وتتمزق هنا وهناك أشلاء
وتدمر مصانع وتحرق بيوت وتباد مزارع وتتحطم مدارس.
والعالم يجتمع وينفضُ والدينا تقوم وتقع والخبراء يدرسون ويبحثون ويقررون ومع
هذا كله فإن الآلاف من البشر يعيشون في حالة من الذعر والرعب والخوف وهم
ينتظرون الموت في كل لحظة من لحظات حياتهم لكثرة ما يرونه من إبادة وقتل
وإفناء .. وقد أصبحت الدنيا في نظرهم مظلمة بالرغم من كثرة الأضواء..
وأصبحت عليهم ضيقة بعد ما شردوا وطرّدوا من ديارهم وأموالهم.
وهكذا حُرِمَ العالمُ من الأمن والأمان على كثرة منظماته وهيئاته وموثيقه وقوانينه
وأصبح الإنسان يفعل بالإنسان ما تخجل الوحوش أن تأتيه في الغابات.
والعالمُ اليوم أيضاً محرومٌ من الرخاء الاقتصادي رغم كثرة الأموال والمصانع
واتساع الأسواق واختراع أحسن الوسائل في كل مجالات الاقتصاد.
نعم بالرغم من هذا كله فإن الملايين من البشر لا زالوا يبحثون عن لقمة الخبز
ويبذلون ماء وجوههم للحصول على الثوب ويضحون بأرواحهم لتوفير المسكن
ومنهم من يموت جوعاً وبرداً ومنهم من يسكن الجبال ويعيش بين القبور.
والمفكرون يبحثون عن الأسباب والخبراء يضعون الحلول ثم لا أسباب ولا حلول .
والعالم اليوم محروم من الطمأنينة النفسية وراحة البال وخلو القلب من الهموم ،
والنفس إذا لم تتوافر لها الطمأنينة لا تستلذ العيش ولو كان رخاء أ ولا تستمتع بملبس

ولو كان فاخراً. ولا تنهاً بمركبٍ ولو كان فارهاً. ولا يمكن أبداً للقصور الشامخة والمراكب الفارهة والفرش الوثيرة والأموال الكثيرة والشهرة الجاه والمناصب والمتاع لا يمكن لهذا كله أن يهب للنفس الطمأنينة الروحية أو السعادة القلبية.

وهذا الحرمان الأمنى والاقتصادي والنفسي عبر الله جل وعلا عنه في القرآن بقوله فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (1).

ولسوف يظل العالم بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة يعيش في هذا الضنك والشقاء. وسيظل لفح الهاجرة المحرق يصفع وجهه وسيظل تائهاً شارداً متعباً قلقاً حتى يعود من جديد إلى منهج الله عز وجل الذي جعله الله جل وعلا سبباً للسعادة في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الإسلام وسعادة البشرية

والسؤال الآن.. هل حقق الإسلام السعادة من قبل؟ والجواب نعم.

فقد حقق منهج الله في الأرض الأمن والأمان والسعة والرخاء والسعادة والاطمئنان لا للمسلمين الذي حولوا منهج الله إلى واقع عملي فحسب.. بل لليهود والنصارى الذين عاشوا تحت ظلال الحكم الإسلامي الوارفة.

فهذا يهودي يسرق درع علي – – وكان خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين فقاضاه إلى قاضيه شريح ولم يأمر علي باعتقاله أو بسجنه أو بقتله أو بأخذ درعه بالقوة. ومثّل علي مع اليهودي أمام القاضي المسلم ونادى القاضي علي بكنيته قائلاً: يا أبا الحسن ، ونادى على اليهودي باسمه دون أن يكنيه، فغضب علي وقال للقاضي: إما أن تكني الخصمين معاً أو تدع تكنيتهما معاً. ثم سأل شريح أمير المؤمنين عن قضيته فقال علي: الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فسأل شريح اليهودي فيما قاله علي فرد اليهودي بخبث ودهاء معهودين قائلاً: الدرع درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فيقول شريح لعلّي: هل من بينة؟

فقال علي صدقت يا شريح: ما لي بينة.

وكان موقف شريح رائعاً كموقف أمير المؤمنين فلقد حكم بالدرع لليهودي لعدم وجود البينة عند المدعى ، وهو أمير المؤمنين وأخذ اليهودي الدرع ومضى وهو يحدث نفسه قائلاً: أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضى عليه إن هذه والله لأخلاق أنبياء ثم عاد فقال : يا أمير المؤمنين الدرع درعك سقطت من علي بعيرك فأخذتها. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فيرد عليه علي قائلاً : أما وقد أسلمت فهي هدية مني لك.. الله أكبر.

ذاك يهودي وهذا قبطي يسبق ابن عمرو بن العاص في مصر ويغضب ابن والي مصر أن سبقه القبطي فضربه ابن عمرو ضربة على رأسه وهو يقول خذها وأنا ابن الأكرمين فرحل والد هذا القبطي إلى واحة العدل والأمن والأمان إلى المدينة المنورة

حيث عمر بن الخطاب الذي استدعى عمرو وولده فوراً ويأمر عمر بالقصاص وأعطى القبطى عصاه وهو يقول له اضرب ابن الأكرمين ثم التفت إلى عمرو وقال قولته الخالدة يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟
 ففي ظل الإسلام عاش اليهود والنصارى في أمن وأمان وها هو التاريخ مفتوحة صفحاته لمن أراد أن يتعرف على الحق ولقد حقق منهج الله الرخاء الاقتصادي بوضع نظام اقتصادى عادل يربط الغنى بالفقير ويقضى على الجشع والشح والطمع ، حتى جاء يوم أرسل فيه خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز منادياً يبحث عن الفقراء ليغنيهم وعن المحتاجين ليواسيهم وعن الشباب العاجز عن الباءة ليزوجه. والإسلام الذي حقق هذا كفيل بتحقيقه اليوم لمن يأوون إلى رحابه ويعيشون في ظلاله.

ولقد حقق منهج الله الطمأنينة النفسية والسعادة القلبية والعصبية لأن طمأنينة النفس وسعادة القلب وانسراح الصدر نعمة لا يحظى بها إلا المؤمنون . وفى صحيح مسلم من حديث صهيب الرومى أن النبي قال : « عَجِبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ فَصَبَرَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا » [5].

ولقد آن الأوان أن نعرف إسلامنا وأن نحوله على أرض الواقع إلى منهج حياة لنقدمه للبشرية كلها لتسعد في الدنيا والآخرة فإننا لن نقدم الإسلام للبشرية بالخطب الرنانة والمواعظ المؤثرة ولكن بتحويل هذا الإسلام على أرض الواقع مرة أخرى إلى منهج حياة وأقول قولى هذا واستغفر الله لي ولكم.
 الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعين ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .
 أحبتي في الله :

وأخيراً .. السعادة الحقيقية ووسائلها

أما في الدنيا فلا تتحقق إلا في الإيمان بالله والعمل الصالح قال تعالى: مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وأما السعادة في الآخرة ففي الجنة وأعلىها التمتع بالنظر إلى وجه الله جل وعلا قال تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ [6].

وقال تعالى يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ [7].

وفي صحيح مسلم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يقول الله تعالى » يا أهل الجنة فيقولن : لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لانرضى وقد أعطيتنا مما لم نعط أحداً من خلقك فيقول :

ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولن : يارب وأى شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » ([8]).

وسائل السعادة

أولاً: الاستقامة على منهج الله عز وجل .. قال
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ
ثانياً: الإيمان بالقضاء والقدر.. فُلْدَةُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ سَعَادَةٌ لَا يَحْطَى بِهَا إِلَّا
الموحدون.

ثالثاً: الإحسان إلى الناس.. ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ، عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال :

« من نَفَسَ عن مؤمن كُرْبَةً من كرب الدنيا، نَفَسَ اللهُ عنه كربةً من كرب يوم القيامة،
ومن يُسِّرَ على مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، من سَتَرَ مسلماً، ستره اللهُ في
الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً
يلتمس فيه علماً، سهل اللهُ له به طريقاً إلى الجنة وما جلس قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتْهم
الملائكة وذكرهم اللهُ فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» ([9]).

رابعاً: النظر إلى من هو فوقك في أمور الدين وإلى من هو دونك في أمور الدنيا..
وفي صحيح مسلم أنه قال: « انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو
فوقكم فهو أجدر إلا تزدروا نعمة الله »

اللهم أسعدنا بطاعتك في الدنيا وبرضوانك في الآخرة يارب العالمين.....

0000000000000

([1]) صحيح: [ص.ج: 3024] رواه الترمذى (2326) في الزهد، وأحمد في ()
المسند (231/4، 230)، وابن ماجه(4228). وهو جزء من حديث « ثلاث أقسم
عليهن ... »

([2]) سورة القصص: 81

([3]) صحيح: [ص.ج: 7833] رواه مسلم رقم (1826) في الإمارة.

([4]) متفق عليه [ص.ج: 5740] رواه البخارى رقم (7150) في الأحكام، ومسلم
رقم (227) في الإيمان، وأحمد (73/1).

(1) سورة طه: 123-127.

([5]) صحيح: [ص.ج: 3980] أخرجه مسلم رقم (2999) في الزهد ، وأحمد في
المسند(116/6)

([6]) سورة القيامة: 22

([7]) سورة هود : 105-108

([8]) متفق عليه: رواه البخاري رقم (6549) في الرقاق، رقم(7518) في
التوحيد، رواه مسلم (9/2829) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والترمذي رقم
(2555)، وأحمد في مسند(88/3).

([9]) صحيح: [ص.ج: 6577] رواه مسلم رقم (2699) في الذكر والدعاء، وأبو داود رقم (4946) في الأدب، والترمذي رقم (1425) في الحدود، رقم (1931) في البر والصلة ، رقم (2946) في القراءات

حجة النبي صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب .. وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب .. فأعيت بلاغته البلغاء .. وأعجزت حكمته الحكماء .. وأبكرت فصاحته الخطباء .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله البشير النذير .. السراج المزهر المنير .. خير الأنبياء مقاماً .. وأحسن الأنبياء كلاماً .
رافع الإصر والأغلال والداعى إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال
أرسله الله عز وجل والناس صنفان:

مغضوب عليهم جفاه .. وضالون غلاه .

فجاء بالدين الوسط .. ، وحذر من الزيغ والشطط ..، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت به نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلى الله وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد... فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ، وزكى الله هذه الأنفس وشرح الله هذه الصدور ، وأسأل الله أن يتقبل منا ، إياكم صالح الأعمال ، وأن يجمعنا وإياكم في الدنيا على طاعته وفي الآخرة في جنته ودار كرامته .

أحبتى في الله:

وهذا هو لقائنا الثانى مع هذا الموضوع الكريم... وأود أن أوضح في البداية أن كلمة رحلة ليست بمعنى النزهة أو الفسحة وإنما الرَّحْلة والرَّحْلة والتَّرْحُلُ والارتحال بمعنى الانتقال والمسير يُقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل بمعنى سار ورجل وخورل وقوم رُحَلٌ أى يرتحلون كثيراً .

وفي حديث ابن مسعود إنما هو رَحْلٌ أو سَرَجٌ فَرَحَلْتُ إلى بيت الله وسَرَجٌ في سبيل الله يريد أن الإبل تُركب في الحج والخيل تُركب في الجهاد .

وإنما أردت أن أبين ذلك لأن بعض الأحبة قد ظن أن الرحلة بمعنى النزهة والفسحة ورأى أنها لا تليق بحج بيت الله الحرام فأردت التوضيح والبيان ومن ثم فتعالوا بنا لنرحل سوياً على جناح السرعة لنعبش مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في حجته الوحيدة والتي تُسمى بحجة الوداع .

وقد ورد فيها حديثٌ طويلٌ عظيم يتمل على كثير من الفوائد والنفائس والقواعد الفقهية الجليلة حتى صنف فيه الإمام أبو بكر بن المنذر جزءاً كبيراً وخرج منه ما يزيد على مائة وخمسين مسألةً من مسائل الفقه وتعقبه الإمام النووى فقال ولو تقصى لزيد على هذا القدر من المسائل ما يساويه .

وهذا الحديث العظيم الجليل من أفراد مسلم أى رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ولم يروه الإمام البخاري في صحيحه والحديث : عن جعفر

بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى إلىي
فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين.. فقال جابر مرحباً بك يا ابن أخي سل عما شئت.
فقال محمد بن علي بن الحسين فسألته وهو أعمى فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله

... فقال جابر: إن رسول الله مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن
رسول الله حاج وقد استدل بعض أهل العلم بهذا على جواز التراخي في الحج لأن
الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم فرض عليه الحج سنة تسع عند
أكثر أهل العلم من المحققين وأخره النبي صلى الله عليه وسلم إلى السنة العاشرة
ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أخره لأنه كره الاختلاط في الحج بأهل الشرك لأنهم
كانوا يحجون ويطوفون بالبيت وهم غراه فلما طهر الله البيت الحرام منهم حج النبي
صلى الله عليه وسلم.. ولذا فمن يسر الله له النفقة والاستطاعة وجب عليه الحج فوراً
لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وهو حديث حسن: «
تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ يَعْني الْقَرِيضَةَ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرضُ لَهُ».
يقول جابر بن عبد الله: ثم أذن في الناس في السنة العاشرة أن رسول الله حاج فقدم
المدينة بشر كثير كلهم يلتئم أن يأتهم برسول الله ويعمل مثل عمله.
يقول جابر: فخرجنا معه حتى أتينا ذا الخليفة.

* وذو الخليفة ميقاأ أهل المدينة والذي يُسمى اليوم (بأبيار على)
* والميقات الثاني هو الجحفة وتعرف الآن برابع وهي ميقاأ لأهل الشام ومصر
ومن مر بها.
* والميقات الثالث هو قرن المنازل ويُعرف الآي بالسيل الكبير وهو ميقاأ لأهل نجد
والطائف ومن مر به.
* والميقات الرابع هو يلمم ويعرف الآن بالسعدية وهو ميقاأ لأهل اليمن ومن مر
به.

هذه هي المواقيت المكانية لمن أراد الحج أو العمرة فيجب عليه ان يحرم منها أو
بمحاذاتها ومن تجاوزها بدون إحرام فعليه دم جبران وهو قول جمهور أهل العلم.
يقول جابر: فخرجنا مع رسول الله حتى أتينا ذا الخليفة فولدت أسماء بنت عميس
محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله كيف أصنع؟ قال: اغتسلي واستنثري
بنوب وأحرمي.

وفي هذا دليل على استحباب الغسل للحائض والنفساء وهو قول الجمهور وفيه أيضاً
صحة إحرام الحائض وأن عليها أن تفعل كل ما يفعله الحاج غير أنها لا تطوف
بالبيت.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها حاضت قبل أداء مناسك العمرة فأمرها
النبي صلى الله عليه وسلم أن تحرم بالحج غير أن لا تطوف بالبيت حتى تطهر وأن
تفعل ما يفعله الحاج.

أما إن جاء الحيض بعد طواف الإفاضة والسعي وقبل طواف الوداع سقط عنها
طواف الوداع لأن الحائض والنفساء ليس عليها طواف الوداع.
يقول جابر: فصلى رسول الله في المسجد.

ولذا استحَبَّ الجمهور أن يكون الإحرامُ بعده صلاة . إما فريضة وإما نافلة .
يقول جابر: فصلَّى رسول الله في المسجد ثم رَكِبَ القَصْوَاءَ (وهو اسم لناقاة الرسول
صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم) حتى إذا استوت به ناقته على البيداء
نظرتُ إلى مدِّ بصرى بين يديه من راكبٍ وماشٍ وعن يمينه مثلُ ذلك وعن يسارٍ مثلُ
ذلك ومن خَلْفِهِ مثلُ ذلك .

ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزلُ القرآن وهو يعرفُ تأويله وما عمل به من شيءٍ
عملنا به فأهل النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ
لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ »

وهذه التلبية أيها الأحبة كانت تحتاجُ منا إلى لقاء كاملٍ مستقلٍ وقد علق عليها الإمام
ابن القيم تعليقاَ بديعاً واستخرج منها أكثر من عشرين فائدة في تعليقه على سنن أبي
داود لمن أراد أن يراجعها في كتاب عون المعبود .

ومن بين هذه الفوائد البديعة التي ذكرها أن التلبية هي شعارُ حج التوحيد الذي هو
روحُ الحج ومقصده بل هو روحُ العباداتِ كلها وتتضمن هذا التلبية من الخضوع
والذلِّ والمحبة والقرب ما تتحقق به العبوديةُ لله عز وجل كما أنها متضمنة للرد على
كل مُبطل في صفات الله عز وجل وتوحيده فهي مبطلَةٌ لقول المشركين وقول
الجهمية المعطلين ولقول مجوسِ الأمة المعاندين.. لأنها تثبت كل صفات الكمال
والجلال لله رب العالمين.

ولذا ورد في الحديث الذي رواه مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال:
كان المشركون يقولون: لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك قال ابن عباس : فيقول
رسول الله قَدِ قَدِ أَي قَدِ كفاكم هذا فافتصروا عليه ولا تزيدوا لأنهم كانوا يقولون:
بعدها إلا شريكاً هو لك تملكُهُ وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت».

يقول جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم إذا أتينا البيت معه استلم الركن. أى مسحة
بيده وهو سنة في كل طواف وفي صحيح مسلم أن رسول الله كان لا يستلمُ إلا الحجر
والركن اليماني وقد أجمعت الأمة على استحباب استلام الركنين وتقبيل الحجر
الأسود إن أمكن ذلك من غير إيذاء لأحدٍ من المسلمين والمسلمات.

وفي الحديث الذي رواه مسلم أن عمر بن الخطاب قَبَّلَ الحجر الأسود وقال والله إنى
لأقبلُك وإنى أعلمُ أنك حجر وأنك لا تضرُّ ولا تنفع ولولا أنى رأيتُ رسولُ الله يقبلُك
ما قبلتُك»

يقول جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرَمَلْ ثلاثاً ومشى أربعاً .
والرمل هو إسراعُ المشي مع تقارب الخطأ وهو مستحب في الأشواط الثلاثة الأولى .
وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس قال قدم رسولُ الله وأصحابه مكة وقد وهنتهم
حُمى يثرب فقال المشركون: إنه قدمُ عليكم غداً قومٌ قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة
فجلسوا مما يلي الحجرَ وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرمُلوا ثلاثة أشواطٍ
وأن يمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جَدَّهُم فقال المشركون هؤلاء الذين
زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلدُ من كذا وكذا قال ابن عباس ولم يمنعهُ أن
يأمرهم أن يرمُلوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم».

يقول جابر : ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ

فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين [قرأ فيها قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد] ثم رجع إلى الركن. فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ:

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : أبدأ بما بدأ به الله عز وجل فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة وفي رواية أبي هريرة في صحيح مسلم (ورفع يديه) فوحده الله وكبره وقال : « لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات.

ثم نزل إلى المروة حتى إذا أتى المروة ففعل عليها كما فعل على الصفا . حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً» فَقَامَ سُرَاقَةً بِنُ مَالِكٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ «دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي لِأَبَدٍ الْأَبَدِ».

قال جابر: فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدياً فلما كان يوم التروية (ويوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة) . توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله صلى بنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بخيمة تُضرب له بنمره فسار رسول الله ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجز رسول الله حتى أتى عرفه فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنْ أَوْلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتُهُ هُدَيْلٌ وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوْلَ رَبًّا أَضَعُ رَبًّا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»

ثم قال: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ثم قال: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»

ثم قال: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّبْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِأَصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدْنَى ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئاً ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ [بالقرب من الصخرات] وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ [يدعو الله عز وجل] فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْفُرْصُ وَأُرْدِفَ أَسَامَةُ خَلْفَهُ. وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَقَّ لِلْقَصْوَاءِ الرِّمَامَ [حتى لا تسرع] وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسِيرُ إِلَى النَّاسِ بِيَدِهِ الْيُمْنَى أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ حَتَّى أَتَى الْمُرْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ

يُسَبِّحُ بَيْنَهُمَا شَبِيحًا] أى لم يصل بينهما نافلة] ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقُصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْفَيْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جَدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ...

حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الْكُبْرَى فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْحَرِ فَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً بِيَدِهِ وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ رَسُولِ اللَّهِ أَتَى مِنِّي فَرَمَى وَنَحَرَ ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْيَمَنِ ثُمَّ الْأَيْسَرَ ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ لِلنَّاسِ»

قال جابر: ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَاضَ إِلَى الْبَيْتِ [أى طاف طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين] ثُمَّ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ الظُّهْرَ وَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْتَقُونَ عَلَى زَمْرَمَ فَقَالَ: «انزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ» فَنَازَلُوهُ دَلُّوا فَشَرِبَ مِنْهُ تَقُولُ عَائِشَةُ كَمَا فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَسَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مِنَّى فَمَكَثَ بِهَا لِيَالِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلُّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَيَقِفُ عِنْدَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ وَيَتَضَرَّعُ وَيَرْمِي الثَّلَاثَةَ وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا

وبعد انتهاء أيام التشريق عاد النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى إلى مكة ليطوف طواف الوداع كما في صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: كَانَ النَّاسُ يَنْصَرِفُونَ فِي كُلِّ وَجْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ .

وهذا بايجاز هو حج المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى قال : «خذوا عنى مناسككم».

وهذه هى الحجة الوحيدة التى حجها النبي صلى الله عليه وسلم وصلى الله وسلم على محمد

الصوم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (1)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (3)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله:

لقد كان موضوع خطبتنا الماضية (وصايا رمضان) واليوم بإذن الله وعونه وحوله وطوله وتوفيقه فإن

موضوعنا اليوم هو: ((من أحكام الصيام))

وسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولاً: معنى الصيام وحكمته.

ثانياً: أركان الصيام.

ثالثاً: مبطلات الصيام.

رابعاً: رخص الصيام وآدابه.

وأخيراً: أخطاء في الصيام.

أولاً: معنى الصيام وحكمته

الصيام لغةً: هو الإمساك والكف عن الشيء كما قال تعالى حكاية عن مريم عليها

السلام : إني نذرت للرحمن صوماً أى إمساكاً عن الكلام والصيام

شرعاً: الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية ،

أما حكمة مشروعية الصيام: فهي كثيرة والله الحمد.

فما من عبادة شرعها الله لعبادة إلا لحكمة بالغة علمها من علمها وجهلها من جهلها

وليس جهلنا بحكمة

شيء من العبادات دليلاً على أنه لا حكمة لها بل هو دليلٌ على عجزنا نحن إدراك

حكمة اله سبحانه

وتعالى القائل: وما أوتيتم من العلم إلا قليل

ومن ثمَّ فإن من أعظم حكم الصيام أنه سبب للتقوى كما قال سبحانه وتعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

.[4].

والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين من خلقه.

وهي كما عرفها ابن مسعود :

أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى .. ، وأن يشكر فلا يكفر .

وعرفها طلق بن حبيب بقوله:

التقوى هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ..، ترجو ثواب الله ..، وأن تترك

معصية الله .. ،

على نور من الله .. ، تخاف عقاب الله.

والصوم من أعظم العبادات التي تهيب النفوس لتقوى الله بامتنال أوامره واجتناب

نواهيه.

لأن الصوم أمرٌ موكولٌ إلى نفس الصائم، وضميره، إذ لا رقيب عليه إلا الله.

ومن هنا قال الله تعالى في الحديث القدسي: « كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنةٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يُرْفُثْ، ولا يَصْحَبْ، فإن شاتمه أحدٌ أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوفُ فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه » ([5]).

ومن حكمة العظيمة تربية النفس بكفها عن شهواتها والحد من كبريائها حتى تخضع للحق وتلين للخلق.

ومن حكمه البليغة تذكير الأغنياء الذين يرفلون في نعم الله جل وعلا بأن لهم إخواناً لا يتضورون جوعاً في نهار رمضان فحسب بل في جميع أيام العام...!! بل ومنهم من يموت جوعاً. ومن ثم يتحرك أصحاب القلوب الحية والنفوس الأبية للبذل والإنفاق والعطاء.

أما فوائد الصيام الصحية فلا يجهلها أحد .
فما أعظم حكمة الله وأبلغها وصدق الله إذ يقول: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ([6]).

ثانياً : أركان الصيام

الركن الأول – النية :

وهي ركن في جميع العبادات وهي عمل من أعمال القلب لقوله سبحانه: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ([7]).

ولقوله في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب:

« إنما الأعمال بالنيات وإنما لك امرئ ما نوى... » ([8])

ويرى جمهور الفقهاء تبييت النية ليلاً في صيام الفرض لما رواه أصحاب السنن بسند صحيح عن حفصه رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له » ([9])

وهذا خاص بصيام الفرض أما صيام النوافل فلا يجب في تبييت النية من الليل ، بل يجوز بينة من ليل أو نهار ، إن لم يكن قد طعم شيئاً للحديث الذي رواه مسلم وغيره من حديث عائشة رضى الله عنها قالت :

دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال " هل عندكم شئ . قلنا : لا ، قال : فإنى إذا صائم ، ثم أتانا يوماً آخر ، قلنا : يارسول الله أهدى لنا حيس ([10]) فقال : « أرنييه فلقد أصبحت صائماً فاكل » ([11])

وهنا سؤال : هل تكفى نية واحدة لصيام الشهر كله ؟

والجواب أن العلماء قد اختلفوا في ذلك على قولين :

الأول : للمالكية حيث قالوا بأن نية واحدة في اول الشهر تكفى لصيام الشهر كله.

أما القول الثانى وهو الراجح والله تعالى أعلى وأعلم وهو قول جمهور الفقهاء حيث قالوا لا بد من تبييت النية لكل يوم.

ومن رحمة الله تعالى أنه لا يشترط التلفظ بالنية وإنما يكفي أن ينوى بقلبه. فضلاً عن أن سحوره يعتبر نية والحمد لله على تيسيره وفضله هذا هو الركن الأول من أركان الصيام.

الركن الثاني – الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس : لقوله سبحانه : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ نَمَّ أَيْمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) ([12]) والمراد بالخيط الأبيض . والمراد بالخيط الأسود سواد الليل لما ورد في الصحيحين من حديث عدى بن حاتم :

قال لما نزلت هذا الآية : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى ...) عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتها تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله فأخبرته فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال : " إن وسادك إذا لعريض طويل إنما هو سواد الليل وبياض النهار " ([13]) ولا شك أن الركن الثالث هو الصائم نفسه ويشترط أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً قادراً على الصوم وهذا بين للجميع بإذن الله.

ثالثاً : مبطلات الصيام

ونبدأ بأشدها وأكبرها إثماً وهو :

أولاً : الجماع :

فمتى جامع الصائم في نهار رمضان بطل صومه ووجب عليه القضاء والكفارة المغلطة وهي :

عتق رقبة مؤمنة. فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لعذر شرعي ، كأيام العيدين ، أو لعذر حسي كالمرض ، فإن أفطر لغير عذر ولو يوماً واحداً ألزمه أن يستأنف الصيام من جديد مرة أخرى ليحصل التتابع. فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

وأختلف الفقهاء في حكم الكفارة هل هي على الترتيب أم على التخيير والراجح أنها على الترتيب وهو ما ذهب إليه الجمهور.

والدليل على ذلك ما رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قال : "بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت !!

وفى رواية فى الصحيح أيضاً قال : يا رسول الله احترقت !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : مالك ؟

فقال : وقعت على امرأتى وأنا صائم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة تعتقها ؟

قال : لا

قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟

قال : لا

قال : فهل تجد إطعام ستين مسكيناً ؟

قال : لا

قال : فمكث النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق (أى بمكث) فيها تمر .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : أين السائل . وفى رواية عائشة أين المحترق أنفأ فقال : أنا يا رسول الله .

قال : خذ هذا فتصدق به .

فقال الرجل : على أفقر منى يا رسول الله ؟ ! فو الله ما بين لابيئتها (أى المدينة) أهل بيت أفقر من أهل بيتى فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال : أطعمه أهلك" ([14])

واختلف الفقهاء أيضاً على ثلاثة أقوال فى حكم المرأة التى يكرها زوجها على الجماع فى نهار رمضان .

والراجح والله اعلم أن عليها القضاء فقط ، دون الكفارة إذا أجبرها الزوج ، ولم يثبت دليل صحيح يلزمها بالكفارة .

ثانياً : إنزال المنى باختياره بتقبيل أو لمس استمناء باليد أو غير ذلك :

لأن هذا كله من الشهوة التى لا يكون إلا باجتنابها كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى وفيه : "يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي" ([15])

* فمن أنزل منياً بشهوة فى نهار رمضان بطل صومه ، ووجب عليه القضاء فقط إذ لم تثبت الكفارة إلا فى الجماع فقط ، ولا حجة لمن قال بخلاف ذلك . والله أعلم .

* أما الإنزال بالاحتلام . فلا يبطل الصوم لأن الاحتلام بغير اختيار من الصائم . فماذا نام الصائم فى نهار رمضان ثم استيقظ ، فرأى أنه قد أحتم ، فليغتسل وليتم صومه وصيامه صحيح ولا شئ عليه .

* أما إن قبل الصائم زوجته أو باشرها بدون إنزال فلا شئ عليه ، وصيامه صحيح لما ورد فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه كان أملككم لإربه" ([16])

* ويبقى سؤال هام متعلق بهذا البحث وهو : ما حكم من جامع زوجته فى الليل ثم نام ولم يغتسل حتى أذن الفجر الجواب أن صيامه صحيح لما رواه البخارى ومسلم عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم" ([17]) .

ثالثاً : من مبطلات الصيام الأكل والشرب عمداً :

لقوله تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) ([18])

أما من أكل أو شرب فى نهار رمضان ناسياً فلا شئ عليه ، وصومه صحيح للحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من نسى وهو صائم ، فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله واسقاه"

([19])

رابعاً : من مبطلات الصيام القيء عمداً :

وهو أن يتعمد الصائم إفراغ ما فى معدته فإن فعل ذلك بطل صومه ويجب عليه القضاء ، أما من غلبه القيء بدون رغبة منه ولا اختيار فلا شئ عليه وليتم صومه وصيامه صحيح. لما ورد فى الحديث الذى رواه الترمذى وأبو داود وصححه الحاكم فى المستدرک وصححه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه "حقيقة الصيام" وفيه أنه قال : "من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاءه ومن استقاء فليقض" ([20])
خامساً : من مبطلات الصيام الحيض والنفاس للمرأة :
فمتى رأت المرأة دم الحيض أو النفاس بطل صومها ، سواء كان فى أول اليوم ، أو فى آخره ، ولو قبل الغروب بلحظات ، ويجب عليها بعد الطهر أن تقضى ما فاتها من أيامها.

لما ورد فى صحيح مسلم من حديث عائشة رضى الله لما سألت ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ فقالت : "كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة" ([21])
هذه هى اشهر المفطرات بإيجاز شديد.

رابعاً : من عناصر اللقاء رخص الصيام وآدابه
هناك رخص عديدة أمتن الله بها على عباده دفعا للحرج ورفعاً للمشقة... ومنها :

1- جواز الفطر فى نهار رمضان للمريض وكذا للمسافر الذى يشق عليه الصوم.
لقوله تعالى : وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ الْعُسْرَ ([22])

2- ومنها جواز استخدام السواك فى كل وقت للصائم ، قبل الزوال ، وبعد الزوال ، وهذا هو القول الصحيح إن شاء الله. واستدلال بعض أهل العلم بعدم الجواز بعد الزوال بحديث على مرفوعاً : "إذا صمتم فاستاكوا بالغدة ولا تستاكوا بالعشى" فهو حديث رواه البيهقى والدارقطنى وهو حديث ضعيف جداً ([23])
فالسواك مشروع للصائم فى كل وقت وبخاصة فى المواضع التى ورد النص بذكرها وهى ستة :

1- الصلاة.

2- وعند الوضوء.

3- وعند دخول المنزل.

4- وعند الاستيقاظ النوم.

5- وعند قراءة القرآن.

6- وعند تغير رائحة الفم.

3- ومن الرخص أيضاً المضمضة والاستنشاق بدون مبالغة. خشية أن يصل شئ من الماء إلى الحلق فيبطل صومه بذلك. للحديث الذى رواه الترمذى والنسائي وأبو داود وأحمد من حديث لقيط بن صبرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له : « وبالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً» ([24]).

4- ومن الرخص أنه يجوز للمرأة أن تتذوق الطعام أثناء الطهى بشرط ألا يصل إلى جوفها.

5- ومن الرخص أن يجوز للصائم أن يخفف عن نفسه شدة الحر والعطش بالاغتسال والتبريد بالماء لماورد في الحديث الصحيح عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصب الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو من الحر» ([25]).

6- ومن الرخص أيضاً أنه يجوز للصائم إن احتاج أن يضع الدواء في أذنه أو عينه، حتى ولو وجد طعمه في حلقه، لأن ذلك ليس بأكل ولا شرب ولا بمعنى الأكل والشرب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. وكذا يرخص للصائم إن كان مريضاً بالربو أن يستخدم البخاخ في حال أزمة في النفس وليتم صومه،

وصيامه صحيح لأن هذا البخاخ ليس أكلاً ولا شرباً ولا هو بمعنى الأكل والشرب أيضاً والله الحمد والمنة.

أما آداب الصيام فمنها:

1- السحور لقوله في الحديث الذي رواه البخارى ومسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة» ([26]).

ويتحقق السحور بقليل الطعام ولو بجرعة ماء والمستحب تأخيره لما ورد في الصحيحين من حديث أنس عن زيد بن ثابت قال : تسحرنا مع رسول الله ، ثم قمنا إلى الصلاة. قلتُ (أى أنس) كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: «قدر خمسين آية» [27].

2-ومنها تعجيلُ الفطر لحديث سهل بن سعد في الصحيحين أن النبي قال: « لا يزال الناس بخير ما عَجَلُوا الفطر» ([28]).

ومن السنة أن يكون على رطب فإن لم يجد فعلى تمر فإن لم يجد فعلى الماء.

3-ومن آدابه الدعاء عند الإفطار فإن الصائم لا ترد ومن أحسن ما ثبت عن النبي ما رواه أبو داود من حديث ابن عمر بسند حسن أنه كان إذا أفطر يقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله» ([29]).

4-ومن آداب الصيام الواجبة تركُ الغيبة والنميمة وقول الزور فإذا صامت بطنك أيها الحبيب عن الطعام والشراب فلتصم جميعاً جوارحك عن جميع المعاصي والآثام.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسن وأخيراً.. أخطاء في الصيام.

لا ريب أن الصائمين من خير عباد الله تعالى لكن هناك بعض الأخطاء يقع فيها أيضاً بعض الصائمين ومنها:

1- أن منهم من يقبل على العبادة في أول رمضان إقبالاً طيباً فيحافظ على الصلاة مع الجماعة، ويحرص على قراءة القرآن، وإكثار الذكر، والاستغفار، ويحرص على صلاة التراويح ، فإذا انقضت الأيام الأولى، تكاسل، وانشغل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فتذكر أيها الحبيب قول النبي : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» ([30]). واذكر قوله: «إنما الأعمال بالخواتيم» ([31]).

2-ومن الأخطاء الكبيرة التي يقع فيها بعض الصائمين القسوة والفظاظة والغلظة، وسوء التعامل مع الموظفين أو الآخرين، بحجة أنهم صائمون. وهل الصوم يأمرك

بالتصرفات المتشنجة؟ أو يحتك على استعمال الألفاظ النابية، أو يحضك على القسوة والفظاظة والغلظة، هيهات. هيات. إن الصوم مدرسة للتربية على كل فضيلة وخلق.

واذكر دوماً وصية النبي في الصحيحين: «والصيام جنة فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمته أحد أو قاتله فليقل إني صائم.. إني صائم» ([32]).

3-ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الصائمين أيضاً أنهم يتخذون رمضان فرصة للنوم والكسل والخمول، فترى أحدهم ينام النهار كله وقد يضع الصلاة والعياذ بالله ثم يسهر الليل. وقد يحتج أحدهم بحديث (نوم الصائم عبادة) وهو حديث ضعيف ([33]).

4-ومن الأخطاء الكبيرة التوسع الملفت في المأكّل والمشرب والتخلص من الكميات الكبيرة الفائضة بإلقائها في سلسلة المهملات وهذا إسراف محرم وهذا بلا شك يناقض الحكمة من مشروعية الصيام أصلاً.

ورحم الله من قال: «إنكم تأكلون الأبطال، وتشربون الأسطال، وتنامون الليل ولو طال، وتزعمون أنكم أبطال؟!».

فالمقصود الاعتدال وإلا فنحن لا نحرّم طبيبات ما أحل الله لعباده.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل الله منا صيامنا وقيامنا وصلاتنا وزكاتنا إنه ولي ذلك ومولاه...

الدعاء.

(*) أُلقيت هذه الخطبة بمسجد أم القرى بالسويس

[1] سورة آل عمران: 102.

[2] سورة النساء: 1.

[3] سورة الأحزاب: 70 ، 71.

[4] سورة البقرة: 183.

[5] متفق عليه: [ص.ج 4328]، [مختصر م: 571]، رواه البخاري (4/94-88)

في الصوم، ومسلم رقم (1151) في الصيام، وأبو داود رقم (2363) في الصوم، والترمذي رقم (764) في الصوم، والنسائي (4/165-162) في الصوم.

[6] سورة الملك: 14.

[7] سورة البينة: 5.

[8] متفق عليه: رواه البخاري (1/9/1)، (3/1515/197)، أبو

داود (6/284/2186) والترمذي (3/100/1698)، وابن ماجه (2/1413/4227)، النسائي (1/59).

[9] صحيح: (الإرواء: 914)، رواه أبو داود رقم (2454)، وابن حزيمة رقم (1933) في صحيحه.

[10] حيس: تمر يخلط بسمن وأقطن فيعجن شديداً / وربما جعل فيه سويق.

[11] صحيح: (مختصر م: 63)، رواه مسلم رقم (1154) في لاصيام،

والنسائي (4/193-195) في الصوم، والترمذي رقم (7333، 734) في الصوم، وأبو داود رقم (2455) في الصوم، وابن حزيمة (2141) في صحيحه.

- [12] ([12]) سورة البقرة : 187.
- [13] ([13]) متفق عليه : (ص . ج : 2275) مختصر البخارى رقم (930) ، ورواه مسلم رقم (1090) فى الصوم
- [14] ([14]) متفق عليه : (الإرواء : 939) ، رواه البخارى (4/149-141 و151) ، مسلم (139/3) ، وأبو داود رقم (2390) وغيرهم
- [15] ([15]) صحيح : (ص.ج : 3877) ، رواه البخارى فى كتاب الصيام ، و أبو داود رقم (2363).
- [16] ([16]) متفق عليه : (الإرواء : 934) ، رواه البخارى (480/1) ، مسلم (135/3) ، وأبو داود رقم (2382) ، والترمذى (141 /1) ، وابن ماجه (1687) وغيرهم
- [17] ([17]) متفق عليه : (ص. ج : 4938).
- [18] ([18]) سورة البقرة : 187.
- [19] ([19]) متفق عليه : (الإرواء : 928) ، رواه البخارى (481/1) ، مسلم (160/3) ، وأبو داود رقم (2398) ، وابن ماجه (1673) وغيرهم
- [20] ([20]) صحيح : (ص.ج : 6243 ، الإرواء : 930) ، رواه أحمد (498/2) ، وأبو داود (2380) ، وغيرهم.
- [21] ([21]) متفق عليه : رواه مسلم (1/265/335) وهذا لفظه ، والبخارى (1/421/321) ، والترمذى (1/87/130) وأبو داود رقم (1/444/259) ، وابن ماجه (1/207/631).
- [22] ([22]) سورة البقرة : 185.
- [23] ([23]) أنظر السلسلة الضعيفة : 401
- [24] ([24]) صحيح: [ص.د: 129 ، 130] ، رواه أبو داود رقم (142 ، 143 ، 144) فى الطهارة ، والترمذى رقم (38) فى الطهارة ، والنسائى (66/1) ، وأحمد فى مسنده (33/4) ، والحاكم (148 ، 147/1).
- [25] ([25]) صحيح: [ص.د: 2072] ، رواه أبو داود رقم (2348).
- [26] ([26]) متفق عليه: [ص.ج: 2943] ، [مختصر م م : 58] رواه البخارى (4/139/1923) ، ومسلم (2/77/1095).
- [27] ([27]) متفق عليه: رواه البخارى (4/138/1921) ، ومسلم (2/771/1097) ، والترمذى (2/104/699) ، والنسائى (4/143).
- [28] ([28]) متفق عليه: رواه البخارى (4/198/1957) ، ومسلم (2/771/1098) ، والترمذى (2/103/695).
- [29] ([29]) حسن: [ص.د : 2066] ، رواه أبو داود رقم (2357) فى الصوم.
- [30] ([30]) متفق عليه: (ص. ج : 163) ، رواه البخارى ومسلم رقم (783) فى الصلاة.

[31] رواه البخارى (436/11) ، فى القدر ، وفى الجهاد ، وفى المغازى ، وفى الرقاق ، ومسلم

رقم (112) فى الإيمان من حديث سهل بن سعد الساعدى .

[32] تقدم ص72.

[33] انظر السلسلة الضعيفة للألبانى: 4696.

الهجرة دروس وعبر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [1]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [2]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [3]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله:

إن شاء الله تبارك وتعالى سوف ينظم حديثى معكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية:

أولاً: أسف وألم.

ثانياً: ولماذا الهجرة؟

ثالثاً: درس فى التخطيط والتنظيم.

رابعاً: وكيف يُنسى دور الصديق.

خامساً: وللشباب دور.

وأخيراً: وقفة للتأمل.

أولاً: أسف وألم

يوسف ويولم كل مسلم غيور ، أن الأمة تحتفل مع بداية كل عام هجري جديد بذكرى هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى نَحَّت فيه شريعته وانحرفت عن سنَّته.

واختارت لنفسها من المناهج الأرضية والقوانين الوضعية. ما ينقص من الأساس زعمها الباهت أنها تكرم سيد البشرية !!

بل لقد أصبحت السيرة اليوم تعرضُ لمجرد الإعجاب السالب أو للدراسة النظرية البحتة وكأننا لسنا مطالبى بأن نعيش هذه السيرة وأن نحولها فى حياتنا إلى منهج حياة

وإلى واقع يتحرك في دنيا الناس فيسمع كثير من المسلمين السيرة ، وينطلق ولسان حاله يردد .. كان يا مكان في سالف الأيام على عهد النبي عليه الصلاة والسلام .
مع أن الله جل وعلا لم يبعث محمداً إلا ليكون قدوة متجددة على مر الأجيال والقرون ، وإلا ليكون مثلاً أعلى لكل زمان ومكان .
فقال سبحانه : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [4]

نعم لقد أدبه الله ورباه على عينه . وشرح له صدره .. ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وأعلى له قدره وزكاه في كل شئ .

زكاه في عقله فقال سبحانه: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى [النجم: 2]

وزكاه في صدقه فقال سبحانه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى [النجم: 3]

وزكاه في صدره فقال سبحانه: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [الشرح: 1]

وزكاه في ذكره فقال سبحانه: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ [الشرح: 4]

وزكاه في حلمه فقال سبحانه: بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [التوبة: 128]

وزكاه في علمه فقال سبحانه: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى [النجم: 5]

وزكاه في خلقه فقال سبحانه: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: 4]

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلف الله كلهم.. فلقد جمع الله في شخص المصطفى صلى الله عليه وسلم القدرة الحية الكاملة للمنهج التربوي الإسلامي على مدار التاريخ كله .

* فهو رسول يتلقى الوحي من الله جل وعلا ليربط الأرض بالسماء بأعظم رباط وأشرف صلة.

* وهو رجل سياسة يقيم الأمة من فترات متناثر ، فإذا هي بناءً لا يطاوله بناء وغير مجرى التاريخ في فترة لا تساوى في حساب الزمن شيئاً .

* وهو رجلٌ حربٍ يضع الخطط ، ويقود الجيوش كقائد متخصص في القتال فكان إذا صممت الألسنة وبلغت القلوب الحناجر قام في الميدان ينادى بأعلى صوته:
« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » [5]

* وهو أب ، وزوج ، ورب أسرة كبيرة تحتاج كثيراً من النفقات – من نفقات النفس والتربية والتوجيه فضلاً عن نفقات المال – فيقوم بهذا الدور الكبير على أعلى نسق شهدته الأرض وعرفه التاريخ.

* وهو عابد خاشع خاضع لربه كأنه ما خلق إلا للعبادة وكأنه قد تفرغ لها ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض ، أخذت عقله وفكره وروحَه وعرَقَه ودمه كل هذا العظمت ، كل هذه الطاقات ، وكل هذه الأشخاص المتفرقة تجمع في شخص المصطفى صلى الله عليه وسلم

* فهو القدوة الطيبة والمثل الأعلى الذي يجب ألا تكون سيرته ماضياً أبداً بل يجب أن تكون سيرته الزكية شعلة توقد شمس الحياة ودماءً تتدفق في عروق المستقبل والأجيال.

ثانياً: ولماذا الهجرة

وللجواب على هذا السؤال قصة .

إنها قصة طفل طهور ، وديع كالنسيم ، ولد يتيما واستمر اليتم يلاحقه ويلحق طفولته في طرقات مكة ودروبها .

ويكبر محمد ، وتكبر غربته، ويكتشف في دروب الحياة يتماً أكبر من يتمه ، وهمماً أثقل من همّه .. فالأرض كلها يتم .. والبشرية كلها تنن بالألم ويعصر قلبها الحزن . فالجزيرة العربية كلها غابة من الأصنام ، وأودية تسيل بالدماء البريئة والعادات العالية والتقاليد المحيرة.

فماذا يفعل محمد سوى أن يهجر هذه البيئة لينطلق بعيداً... بعيداً على قمة جبل النور ليقضى النهار في التأمل والتفكير والتدبر وليقضى الليل في التعبد والتبتل والتضرع . وفي ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان يصمت الكون كله.. النجوم في السماء والرمال في الصحراء ... والوحوش في البيداء... إنها لحظات فريدة ... إنها لحظات تربط الأرض بالسماء .. فهو هو أمين وحى السماء جبريل عليه السلام يتنزل بالوحي على رسول الله ، ويحمل النبي الأمانة ، ونطلق بها إلى قومه وينطلق بها بهجة وبشرى لهم، ينتظر الإجابة ، وتأتي الإجابة على غير ما يتمنى . تأتي الإجابة سباً وتكذيباً وتعذيباً.

وتحت وطأة هذا الظلم والطغيان لم يجد النبي بدأً من أن يشير على أصحابه بالهجرة .. بالهجرة إلى أين ؟ إلى الحبشة لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ولتغسل شلالات الحبشة دموع المؤمنين وأحزانهم.

ويشتد الأذى ويزيد الابتلاء فيخرج الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بنفسه يشق الأودية والجبال على قدميه الداميتين المتعبتين تحت حرارة الشمس المحرقة ، وعلى الرمال والصخور الملتهبة ولكن إلى أين؟! .

إلى الطائف لعله يجد أرضاً تقبل بذرة التوحيد.. لعله يجد يداً حانية تحمل هذا الدين وتنشر معه هذا النور.

وإذا بأرض الطائف هي الأخرى تلفظ بذرة التوحيد ، وإذا بأهلها يفعلون معه أخس ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان.

ولا تزيد الأيام قریشاً إلا بطشاً ، وظلماً ، وطغياناً ، ويأمر النبي أصحابه مرة أخرى بالهجرة .. إلى أين . إلى يثرب.

ويشعر المشركون لأول مرة بحجم الخطر ويعقد البرلمان الشركة أخطر اجتماع له في التاريخ لإصدار قرار بالإجماع للقضاء على حامل لواء الدعوة لقطع تيار نورها عن الوجود نهائياً.

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ([6])
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّوْكَ أَوْ يُفْلِتُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ([7]) ويعلم النبي بهذا الاجتماع الخطير فماذا صنع المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟)

والجواب أنه التخطيط الدقيق ، والتنظيم المحكم الذي لا يدع أبداً مكاناً للحظوظ العمياء ، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذه الخطبة.

ثالثاً: درس في التخطيط والتنظيم

فقد كُف النبي بالهجرة ، وعمره ثلاثٌ وخمسون سنة في ظروف صعبة قاسية حتى يرى نفسه مضطراً أن يهاجر بالليل مختفياً هو وصاحبه من أعين المطاردين الذين رصدوا الجوائز المغرية لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً .

فيضع النبي صلى الله عليه وسلم خطة الهجرة بمنتهى الدقة والحكمة .
* فيأذن لسائر المؤمنين بالهجرة ويأمر أن يبقى أبو بكر وعلى رضى الله عنهما .
* والمدينة المنورة تقع إلى الشمال من مكة والمسافر إليها يتجه شمالاً ولكنه يتجه جنوباً ناحية اليمن ليضلل المطاردين .

* والأمر يحتاج إلى دابة قوية فيجئ الصديق براحلتين قويتين ويقوم على أمرهما .
* والطريق يحتاج إلى رجل خبير لا يعرف الطرق الممهدة فقط بل يجب أن يعرف الطرق الجانبية والفرعية التي يمكن أن تُسلك ليتمكنوا من الفرار من المطاردين ، ولا حرج أن يكون على الشرك بعدما تيقن من أمانته .

* ولن تهدأ قريش في الأيام الثلاثة الأولى – لا في الليل ولا في النهار – عن البحث عن النبي وصاحبه . إذن فلا بد من الاختفاء في الغار في هذه الأيام .
* وكيف تُعرف الأخبار؟ والخطط التي تدبرها قريش؟!

يأتي عبد الله بن أبي بكر بالليل لينقل كل ما سمع من أخبار وقبل الفجر يكون في مكة كأنه بات فيها .

* وكيف التغلب على آثار الأقدام على الرمال وأهل مكة يجيدون معرفة الآثار؟! فليات عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ليرعى الأغنام فتحمو الآثار ويحلب لهما اللبن ، ويقدم لهما الطعام .

* وفي بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم ينام على فراشه ، ويلتف ببرده الكريم ، حيطة بالغة ودقة محكمة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلاً وهذا هو المعنى الحقيقي للتوكل على الله عز وجل.. إنه الاحترام الكامل لقانون السببية الذي أودعه الله في هذا الكون مع الثقة في نصر الله عز وجل .

ومع تقدير الإسلام لقانون السببية وتنفيذ النبي صلى الله عليه وسلم له تنفيذاً بليغاً دقيقاً فأنا لا أعرف الآن أمة استهانت بقانون السببية ، وخرجت عنه واستخفت بمقدماته ونتائجها كالأمة الإسلامية اليوم .

وزعمت باسم التوكل ، أن كل شئ يمشى بالفوضى ، والعشوائية ، والدروشة فلم تجنى إلا الذل، والضعف ، والهوان ، والذيلية لأخس أمم الأرض .
فنحن أولى الناس بأن نتعرف على إسلامنا ، وديننا وأن نعلم أن ما نحياه من واقع مُر أليم إنما وقع وفق السنن الربانية الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير والتي لا تحابي أحداً من الخلق مهما ادعى لنفسه من مقدمات المحاباه .

رابعاً : وكيف ينسى الصديق
نعم كيف ينسى رجلاً بأمة؟ ..

كيف يُنسى رجل جَدَّ ماله وبيته وعقله وفكره ودمه لدين الله عز وجل.. ولم يتلثم في إيمانه طرفه عين، فلقد كان الصديق طيفاً من الحنان..، وسحابة من الحب تُظِلُّ الرسول

وكأنى به يود لو صنع من جسده درعاً يحمى به رسول الله . فهو يمشى أمام النبي صلى الله عليه وسلم مرة ويمشى خلفه أخرى ، ويلتفت ويكثر الالتفات . فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله إذا كنت خلفك خشيتُ أن تؤتى من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك» والحديث رواه ابن هشام وهو حديث حسن بشواهد واستمر أبو بكر في ذلك حتى لامست أقدامها غار ثور . بل خاف على رسول الله أن يدخل إلى هذا الغار المهجور قبل أن يطمئن هو على سلامته فيقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : مكانك يا رسول الله حتى استبرأ ، فدخل فاستبرأ ، أى تبين ، ثم قال : انزل يا رسول الله . يقول عمر :

« والذى نفسى بيده لعلك الليلة خير من عمر وآل عمر» والحديث رواه البيهقي وهو حديث مرسل لكن له شواهد ترقى به إلى درجة الحسن . وتحبس أنفاس الصديق ويطير فؤاده وهو يرى أقدام الطغاة الماردين من قریش حول باب الغار ويهجم الخوف والرعب من شقوق الغار من سيوف الطغاة وعيونهم التى تنطير شرراً وإجراماً . وفى حوار هامس يقول للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرأنا . فيرد عليه الحبي بلغته يحدوها الأمل .. ، وبقلب يملأه اليقين .

« يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ([8])

« لا تحزن إن الله معنا» .. الله أكبر

وإذا كان الأمر كذلك فو الله لو سار مع قریش كل الأحياء .. ، وانشقت المقابر فخرج كل الأموات .. ، يسحبون أكفانهم خلف أبي جهل يقلبون معه حجارة الأرض .. ، ويزحزون الجبال .. ، وينقبون في الرمال .. ، ما قدروا أبداً على اثنين الله ثالثهما .
إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ([9])
ومن ثم استحق الصديق بجداره أن يتبوا ذروة سنام الصديقين وأن يكون أحب الناس إلى قلب سيد البشرية

كما في الحديث الذى رواه البخاري من حديث عمرو بن العاص قلت: يا رسول الله ، ألا الناس احب إليك ؟ قال : عائشة . قلت من الرجال قال: أبوها . قلت : ثم من ؟ قال : عمر ([10])

وفى صحيح البخارى من حديث أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
" من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة ! يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ، دُعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الريان وكان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة" قال أبو بكر : هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : " نعم وأرجوا أن تكون منهم " ([11])
خامساً : وللشباب دور

نعم فهذا عبد الله بن أبي بكر وعامر بن فهيره يقومان بواجبهما على أكمل وجه وهذا البطل الشريف والفدائي العظيم الذي علم الدنيا شرف البطولة . وحقيقة الفداء .

إنه الفدائي الذي أحب الله ورسوله ، وأحبه الله ورسوله .. أنه تلميذ بيت النبوة الذي تربى في حجر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكفى أنه أسد الله الغالب: على بن أبي طالب الذي نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم يقيناً أنه يقدم جسده للموت ويبيع نفسه لله ليفتدي حبيبه رسول الله .

والشباب هم مستقبل الأمة وعلى أكتافه وسواعده تتقدم الحضارات من أجل ذلك فلقد كان شديد الحفاوة بالشباب فهو الذي أخذ برأيهم في غزوة أحد وهو الذي ولى أسامة بن زيد قيادة الجيش وهو الشاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره وجند هذا الجيش أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد وعمر و بن العاص...!!

سادساً: وللمرأة دور

فهذه هي المجاهدة الصادقة الصابرة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضى الله عنهما التي قدمت أروع المثل في التضحية والتعقل.

تقول أسماء : لما خرج رسول الله وخرج معه أبو بكر وحمل ماله كله فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فجّعكم بماله مع نفسه فقالت:

كلا يا أبت ، بل ترك لنا خيراً كثيراً ، وأخذت أجماراً فوضعتها حيث كان أبي يضع المال ووضعت عليها ثوبى ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبتى ضع يدك على هذا المال، فوضع يده فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن.

تقول أسماء: لا والله وما ترك لنا شيئاً ولكنى أردت أن أسكت هذا الشيخ بذلك، والحديث رواه ابن إسحاق وأحمد بسند صحيح.

ولا عجب فإنها الزهرة التي تربت في حقل الإسلام ، ورباها الصديق بتربية القرآن والسنة

وأخيراً: وقفة للتأمل .. سؤال هام

أيها الحبيب : لقد مضى عام من عمرك ، فقربك إلى الله عاماً، وأبعدك عن الدنيا عاماً.

فهل تأملت وتدبرت هذا ؟

وهل سألت نفسك : ماذا قدمت ؟

فإن الإنسان يذكر القريب ولكن كلما ضرب الزمن بأيامه ولياليه..، فإن الجروح تندمل .. ، والمعالم تنمحى ، وينشغل الإنسان بحاضره وينسى ما مضى.

ولكن .. ، هل ما ينساه الإنسان ينساه الديان؟؟

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا منذب

لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لا ه تلعب

والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب

وغرور دنياك التي تسعى لها دارٌ حقيقتها متاع يذهب

الليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيها تعد وتحسب

يا نفس قد أرف الرحيل وأظلك الخطب الجليل ...

فتأهبي يا نفس لا يعلب بك الأمل الطويل ...

فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل ...
 وليركبن عليك فيه من الثرى ثقلٌ ثقیلٌ ...
 ضرب الفناء بنا جميعاً ...
 فلا يبقى العزيز ولا الذليل ...
 فهيا أيها المسلمون لدين الله ودعوة رسول الله .
 فكل واحد منكم يستطيع أن يدرك ؛ ثواب الهجرة .. نعم
 ففي الحديث الصحيح عن مقبل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «
 العبادة في الهرج كهجرة إليّ» ([12])
 والمراد بالهرج هنا : الفتن ، فالهرج: عندما تكثر الفتن وتنتشر الرذيلة وتغلب
 الرذيلة.
 فالصبر على الدين والعبادة ، ينال به التقى الصابر أجر وثواب الهجرة إلى رسول
 الله .

لأن الهجرة لم تُكْرَم لأنها سفر من مكان إلى مكان.
 فما أكثر الذين يسافرون فالحجرة لم تكرم على إنها سفر، لكنها كرمت لأنها انتقال
 عقدي ونفسى وفكري وروحي إلى حيث يريد الله ورسوله .
 أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن اللهم
 ارزقنا قبل الموت توبة وعند الموت شهادة وبعد الموت جنة ورضواناً.. اللهم اهدنا
 وأهد بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى ..

-
- [1] سورة آل عمران: 102.
 [2] سورة النساء: 1.
 [3] سورة الأحزاب: 70، 71.
 [4] سورة الأحزاب: 21
 [5] صحيح [ص.ج: 1451]، [مختصر م: 1189] رواه البخاري (37، 21/8)
 في المغازي ، مسلم رقم (1776) في الجهاد ، والترمذي رقم (1688) في الجهاد.
 [6] سورة يوسف: 21
 [7] سورة الأنفال: 30
 [8] متفق عليه : [ص.ج: 6109] ، رواه البخاري رقم (3653) ، ومسلم
 والترمذي والنسائي.
 [9] سورة التوبة : 40
 [10] صحيح : رواه البخاري رقم (3662) في فضائل الصحابة
 [11] متفق عليه : رواه البخاري (36/6) في الجهاد ، ومسلم رقم (1027) في
 الزكاة ، والنسائي (48/6) في الجهاد.
 [12] صحيح [ص.ج: 4119]، [مختصر م: 2040]، رواه مسلم رقم (2948) في
 الفتن والترمذي رقم (2202) في الفتن.

الأزمة السكانية والحلول الغائبة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ([1])

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ([2])

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ([3])

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلامُ الله ، وخير الهدى هدى محمدٍ ، وشرُّ الأمور محدثاتها وكلُّ محدثة بدعةٌ ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

أما بعد :

أحبتى في الله... عنوان لقاءنا في هذا اليوم المبارك إن شاء الله جل وعلا الأزمة السكانية والحلول الغائبة وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث في العناصر التالية:

أولاً- صراع بين الحق والباطل.

ثانياً- أزمة مفتعلة وحقٌّ دفين.

ثالثاً- الحلول المقترحة

* تحديد النسل.

* تأخير سن الزواج .

* الإجهاض.

وأخيراً ... الحلول الغائبة.

إنها قصة طويلة بطول هذا الصراع. فإن الصراع بين الحق والباطل.. بين الإيمان والكفر ..بين الفضيلة والرذيلة .. بين الخير والشر. صراعٌ دائمٌ لا تهدأ معاركة. ولا تخبو جذوته.

أولاً: الصراع بين الحق والباطل

وقد ينزوى الحق في فترة من الفترات كأنه مغلوب .. وقد ينتفخ الباطل وينتفش كأنه غالب.

ولكن المؤمنين الصادقين لا يخالجهم الشك أبداً في هذه الحقيقة الكبيرة. والسنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناء السماء والأرض وقامت عليها العقائد والدعوات.

ألا وهى : أنه مهما بلغت قوة الباطل وصولته ومهما كانت دولته وكثرته. فإن الحق خالدٌ ظاهرٌ. وإن الباطل زاهق زائل .

يقول الحق سبحانه بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ([4])

إنها حقيقة كبيرة يقرها الحق جل وعلا بذاته بصيغة التوكيد.

وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولةً ودولةً.

فقد ينتفخ الباطل وينتفش.. ولكنه هش ضعيف. كشعلة الهشيم ترتفع نارا ثم تخبو سريعاً وتصير على رماد.. أو كالزبد يطغى على الماء ولكنه سرعان ما يذهب جُفاء ويبقى الماء.

إن الباطل كان زهوقاً.. وعد الله وإن طال زمن الباطل.

وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان إلا وذاق معه حلاوة هذا الوعد ومن أصدق من الله حديثاً؟

أحببتُ أن أقدم لموضوعنا اليوم بهذه المقدمة الموجزة... لأننا نشهدُ الآن مرحلةً من أخطر مراحل الصراع التي انتفخ فيها الباطل وانتفش يتولى كبرها الغربُ الحاقد الذي تقدم ليقوم البشرية كلها على حين غفلة من أمة القيادة والريادة وصاحبة الحق الذي ليقود البشرية كلها على حين غفلة من أمة القيادة والريادة وصاحبة الحق الذي من أجله خُلقت السماءُ والأرض والجنة والنار ومن أجل هذا الحق أنزلت الكتب وأرسلت الرسل.

ومكمنُ الخطر في هذه المرحلة أن الغرب يريدُ بطريقة أو بأخرى أن يُلزم المجتمعات المسلمة بما وصل إليه من تفسخ عقدي وتحلل أخلاقي وفساد اجتماعي. حتى لا يفيق العالم الإسلامي من غفلته ويبقى قصعة مستباحة لهؤلاء المجرمين!! وأخيراً افتعلوا هذه الأزمة التي بينت لكل غافل حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين.

وهذا هو العنصرُ الثاني من عناصر هذا اللقاء.

ثانياً- أزمة مفتعلة وحقد دفين

فلقد أثاروا ضجة إعلامية رهيبة عما يسمونه بالأزمة السكانية أو الانفجار السكاني إذ تشير وثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية أنه بحلول عام 2050 يظهرُ الإسقاطُ المنخفض للأمم المتحدة تعداداً سكانياً عالمياً يبلغ 7.8 بليون نسمة..... يظهرُ الإسقاطُ المنخفض للأمم المتحدة تعداداً سكانياً عالمياً يبلغ 12.5 بليون نسمة. [ثم يتألون على الله عز وجل]

ويقولون: وهذا كارثةٌ بكل المقاييس تدمر أيَّ خطةٍ للتنمية الاقتصادية إذ من المستحيل أن تفي المواردُ بكل احتياجات هذه الأفواه الجائعة!!!

ونسى الإنسان المتبجحُ المغرور أنه لن يستطيع أيُّ مؤتمر للسكان على ظهر الأرض أن يحدد السكان إلا بقدر ما يريد رازقهم جل وعلا وسيأتى القادمون الجدد إلى هذه الحياة بأمر خالقهم لا بأمر الهندسة الوراثية.

وهؤلاء الذين يقننون ويتعاركون فيمن يأتى غداً إلى الحياة ومن لا يأتى ومن يُخلق ومن لا يخلق هؤلاء أنفسهم لا يملكون أن يكونوا بين الأحياء أو لا يكونوا فالكل راحلٌ رغم أنه وإن طال به الحياة!!!

* ولا بد أن نعلم يقيناً أن الغرب ما تحرك اليوم بهذه القوم لحل هذه الأزمة على مستوى البلدان النامية أى الإسلامية بصفة خاصة ما تحرك لحلها حرصاً عليها وحباً لها واشفاقاً على شعوبها كلا..كلا.

فإن الغرب لا يزعجه مطلقاً أن تعيش هذه الأفواه أو أن تموت.. بل هو الذى يببدها بوحشية وبربرية وقحة بأسلحة الدمار الذى أعدها وبحرمانها من فائض كبير في

موارده يلقى به في البحر في الوقت الذى يموت فيه الآلاف من أبناء هذه الدول التى يتغنى اليوم بأنه ما جاء إلا لتنميتها!!! وإسعادها.. إنه الكذب الذى لم يعد ينطلى إلا على السذج فلا بد أن نعلم أيها المسلمون أن الغرب ما تحرك اليوم بهذه القوم لوقف نسل المسلمين إلا خوفاً من اختلال ميزان القوى في العالم لصالح المسلمين .. ولا نقول هذا تضييداً للجراح أو تسكيناً للألام أو من باب الأحلام الوردية أبداً.
(علماء السياسة والاجتماع)

* فمنذ سنوات وعلماء السياسة والاجتماع في أوروبا وأمريكا يحذرون بشدة من المصير الذى ينتظر نفوذ أوروبا وأمريكا إذا ما استمرت معدلات النمو السكاني في الكرة الأرضية كما هى عليه دون ضبط أو تعديل ، إذ أن شعوب العالم النامي ستصبح هى الكتلة البشرية الأكبر والأعظم في الكرة الأرضية فبحسب تقديرات خبراء السكان بالأمم المتحدة أنه مع نهاية القرن الحادى والعشرين سيكون فى مقابل كل فرد أوروبى أو أمريكى ثمانية عشر فرداً من أبناء العالم الثالث على حد تعبيرهم وإذا استمر الوضع على ما هو عليه فالمستقبل ينذر بكارثة كبيرة على حد تعليق أحد مسؤولى مركز الأبحاث السكانية الدولية في باريس.
(باول شمتز)

* وقد عبر عن هذا الرعب والفرع المفكر الألمانى (باول شمتز) إذا يقول: «يوجد لدى المسلمين عنصران يؤثران تأثيراً كبيراً هما:
الزيادة المطردة في عدد سكانه.
والمواد الخام.

وهما مصدرُ القوة النامية في العالم الإسلامى ثم يقول:
وتشير ظاهرةُ النمو السكاني في أقطار الشرق الإسلامى على احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب ، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوربية وهذه الزيادة في الإنتاج البشرى سوف تمكن الشرق على نقل السلطة في مدة لا تتجاوز بضعة عقود»
* ويؤكد هذه الحقائق أيضاً بشكل جلى المفوض السابق لشئون اللاجئين بالأمم المتحدة إذ يقول بمنتهى الصراحة:
(المفوض السابق لشئون اللاجئين)

« إن هذه الزيادة المطردة في سكان العالم الثالث والدول الأفريقية خاصة تهدد أمن الدول الأوربية بشكل مباشر.

* ولقد أجرت وزارة الدفاع الأمريكية سلسلة من الدراسات عن طريق مركزها للدراسات الاستراتيجية .

(وزارة الدفاع الأمريكية)
ومن أهم ما خلصت إليه الدراسة:

أن النمو السكاني في العلم الثالث يهدد بصورة مرعبة المصالح الاستراتيجية الأمريكية.

وأن جهود ضبط النسل ووقف النمو السكاني في العالم الثالث ينبغي أن يلقى اهتماماً يعادل ما توجهه الولايات المتحدة لإنتاج الأسلحة الجديدة.

* واحفظوا هذا الرقم الخطير الذي يقول:

بأن التقديرات النهائية لنفقات البرنامج العالمي لخفض السكان يبلغ 17 مليار دولار والحصة المطلوبة من الدول النامية من مجموع هذه النفقات تقدر بحوالى 11 مليون دولار تؤخذ من هذه الدول الفقيرة التى يتغنون بأنهم يريدون بها تنمية اقتصادية تكفل الاستقرار لأفرادها.

هذه المليارات تنفق كلها على الحد من النسل ولا ينفق منها دولاراً واحداً على التنمية التى ضحكوا بها علينا في عنوان المؤتمر الدولى للسكان والتنمية . والأعجب من هذا هو:

كيف تتم جباية هذا المبلغ الرهيب من هذه الدول الفقيرة المعدمة ؟

والجواب من رئيس البنك الدولى: بأن تخصم كل دولة من هذه الدول تلك المبالغ الرهيبة من ميزانيات التسليح لديها وهذا قرار ملزم من الأمم المتحدة.

* هذه الخلفية الخطيرة وحدها هى التى تفسر الضغوط القوية التى تمارسها الآن أمريكا والدول الغربية مستخدمة في ذلك الأمم المتحدة لمحاربة وقف نمو العالم الإسلامى بكل وسيلة .. ليس قلقاً على عافيته كما زعموا ... وليس سعياً في تنميته كما كذبوا..

بل حماية لنفوذهم واستعلائهم وهيمنتهم وتدعيماً لسياسة العصا الغليظة التى يرفعونها!!! بدليل أنهم صدّروا هذه الدعاوى لدول إسلامية تعانى أصلاً من قلة النسل كسوريا وليبيا والسودان والعراق والأردن ولبنان وغيرها.

ثالثاً - الحلول المقترحة

* وفى سبيل تخفيف هذه الغاية جاءت حلولهم المقترحة غالباً بصورة تضحك وتبكي في أن واحد.

* فلقد خرج علينا [جراح كبير في لندن] يفتى بأن حل المشكلة يتمثل في تخليف فيروس بالهندسة الوراثية يؤدى إلى العقم عند الرجال والنساء فنعالج المشكلة من جذورها!!! ثم يقول وحتى نهتدى إلى هذا الفيروس علينا ألا نسمح بالإنجاب إلا برخصة من وزارة الصحة وعلى من ينجب بدون رخصة أن يدفع غرامة كبيرة ويحرم من التأمين الصحى والمعاش وإذا عاد يسجن ويُعامل معاملة الشخصيات الخطرة.

* ويخرج علينا عبقرى آخر من جامعة ست نفورد بأمريكا ويقترح هذا الاقتراح لحل المشكلة السكانية فيقول:

* اقتراح أن [يخلط القمح] والذى يصدر إلى البلاد النامية بعقاقير منع الحمل..!! ، وكأنما أصبحت البلاد النامية في نظر هذا الوقح وأمثاله مزرعة للدواجن أو حظيرة لفئران التجارب!!!

الإجهاض

* وأخيراً.. كان من بين المقترحات التى اقترحها مؤتمر السكان للحدّ من النمو السكانى في دول العلام الإسلامى اقتراح الإجهاض ومنهم من أيد ، ومنهم من عارض ، دون أدنى خجل أو وجل ولست الآن بصدد بيان الحكم الشرعى في هذه المسألة الخطيرة فهى محسومة في ديننا والله الحمد.

واقترح المؤتمر أيضاً لحل هذه المشكلة اقتراحاً غريباً جداً يقول:

* بتأخير سن الزواج

* ولا يمكن للأهل أن يؤخروا سن الزواج إلا بتيسير البدائل الأخرى لممارسة الجنس، وليس هذا تعسفاً منا في تفسير هذا الاقتراح بل لقد صرحت بذلك وبوضوح وثيقة المؤتمر في صفحة رقم 30 في الفصل الخامس.

إذ تقول الوثيقة: «ينبغي (نعم هكذا ينبغي) أن تتخذ الحكومات إجراءات فعالة للقضاء على جميع أشكال الإكراه والتمييز في السياسات والممارسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى.

وأشكال الاقتران الأخرى غير الشرعية هي زواج الرجل بالرجل..، والمرأة بالمرأة..، وهي ممارسات لا تؤدي إلى إنجاب وتصل إلى الحد من النسل من أقصر طريق !! إلى آخر ما في هذه الوثيقة من غثاء فهي في مجموعها نغمٌ مصنوع بعناية فائقة لنسف الهوية الإسلامية بصفة عامة وقلب العالم الإسلامي «مصر» بصفة خاصة.

[وهكذا]

أنكر هؤلاء أو تناسوا عن عمد مفضوح أن المنجم الحقيقي للتنمية هو الكثافة السكانية فلا توجد ثروة على الإطلاق أعلى من الإنسان الذي يملك وحده القدرة على والإبداع والابتكار فالكثافة السكانية تدخل ضمن الموارد ولا تدخل في حساب الفاقد.

إذا ما استغلت الحكومات هذا العنصر الفعال استغلالاً علمياً مدبراً ونبذت تلك الحكومات هذه البيروقراطية والروتين القاتل الذي يبدد الطاقات ويقتل المذاهب وأفسحت المجال لهذه الطاقات للعمل الجاد والإبداع الفعال وحينئذ فقط تتحول هذه الكثافة السكانية إلى نعمة كبيرة لا إلى نقمة كما يدعون!!!

وأما أعيننا الآن بعض النماذج التي تستحق الدراسة الطويلة.

ففي اليابان يتجاوز عدد السكان مائة وعشرين مليوناً في مساحة أصغر من مساحة مصر ، ومع ذلك فهي المنافس الأول في الأسواق العالمية للاقتصاد الأمريكي بل ، وأصبحت أمريكا تلوح الآن بالتهديد الصريح لليابان إذا لم تفتح أسواقها أمام المنتجات الأمريكية .

وتعيش اليابان بلا فقر، ولا مجاعة ، بل تملك الآن فائضاً يزيد على الفائض الأمريكي مع أن اليابان ليس فيها بترول ولا فحم ولا حتى خام الحديد وكلها تملك أثمن كنز ألا وهو الإنسان.

ونفسُ الكلام يقال عن هونج كونج وعن سنغافورة وعن كوريا وغيرها من النمور الآسيوية التي بدأت في الانطلاق.

فالمشكلة يا سادة ليست كثافة السكان ولا تتمثل في قلة الموارد كما يزعمون كلا.

ففي مصر تشير الدراسات إلى أن 98.8% من مجموع سكان مصر يحتشدون بصورة مثيرة في شريط ضيق مساحة مصر هو وادي النيل والدلتا مع أن تلك المساحة لا تجاوز 4% من مساحة البلاد التي تبلغ حوالي مليون كيلو متر مربع .

أما الصحارى التي تغطي مساحة 96% من المساحة الكلية لمصر فلا يسكنها سوى 671 ألف نسمة فقط لا غير.

وللأسف الشديد فإن هذا الخلل الرهيب في التوزيع لا يلقى الإهتمام الذى يلقاه مشروع الحد من النسل أو مشروع تنظيم الأسرة.

وإن بلداً شاسعاً كالسودان يملك من الأراضى البكر والمواد الخام ما يكفى العالم كله بل تسقط الثمار على الأرض لا تجد من يأكلها . وفى غيره من البلدان الإسلامية.

فالموارد كثيرة والله الحمد والسكان أقل من المعدل المطلوب لا استغلال تلك الموارد واستصلاح تلك الأراضى.

ولكنه الروتين القاتل.

والتكاسل المدمر،

والظلم الجشع فى توزيع الثروات.

وتبديد الطاقات فيما لا ينفع على الإطلاق.

أولاً: أيها الأحبة تمنينا أن نسمع تلك الجمهرة الكبيرة من المؤتمرين من كل الملل أنهم قد تغافلوا عن حقيقة كبيرة اسمها الرزاق ذو القوة المتين.

وأخيراً: الحلول الغائبة

وقد يتعلمون ويتغامزون من هذا الكلام الذى يحكم اليوم على أصحابه فى مثل هذه المؤتمرات بالتخلف العقلى ولكننا برؤوس عالية تناطح السحاب نعلنه بأعلى أصواتنا

ونفخر به.

أن المتكفل بأرزاق هذه الأفواه هو الرزاق ذو القوة المتين. الذى أوجب على نفسه اختياراً منه سبحانه أن يرزق كل دابة على ظهر هذه الأرض.

فقال سبحانه: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [5]

تتعم فما من دابة من هذه الدواب التى لا يحيط بها حصر ولا يلم بها إحصاء إلا وعند الله علمها وعلى الله رزقها.

فما من جبل على ظهر هذه الأرض إلا ويعلم الله ما فى وعره...، ولا بحر على سطح هذه الأرض إلا ويدرى الله ما فى تغره..، ولا تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه

وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ [6]

ومن اللغات القرآنية الدقيقة التى تستحق الدراسة والتأمل ، تلك اللفظة فى قول الله عز وجل: وفى السماء رزقكم وما توعدون...

مع أن أسباب الرزق الظاهرة فى الأرض حتى لا تتعلق القلوب بالأسباب لأنها وحدها لا تضر ..، ولا تنفع ..، ولا ترزق ..، ولا تمنع ..، إلا بأمر مسبب الأسباب

جل و علا

ليس معنى هذا أن نضيع الأسباب وألا نأخذ بها كلا.

فإننا فى هذه الجزئية نطمئن العلمانيين من كل الملل أن ديننا يأمرنا أن نأخذ بالأسباب ، وأن نعلم يقيناً أن الأمر ابتداء وانتهاء بأمر الله عز وجل .

وفى الحديث القدسى الجليل الذى رواه مسلم من حديث أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي

أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ

إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَغْفِرُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ
 الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْبِي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ
 تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى
 قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِ شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ
 وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجْرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِ شَيْئًا
 يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ
 كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا
 عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ
 وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ» ([7])

وتدبر معي أيها المسلم هذا الحديث الكريم الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة
 رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال واللفظ هذا البخارى في كتاب
 التوحيد: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ» ([8])

ثانياً- الإيمان التقوى:
 قال الرزاق سبحانه ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ([9])
 ثالثاً- الاستغفار:

وقد يضحك العلمانيون بملئ أفواههم حينما يسمعون إلى رجل يقول أيها الناس إن
 مفتاح الأرزاق هو الاستغفار بل وربما ينشرون على صفحات الجرائد الأولى حكاية
 هذا الرجل البدائي المتخلف الذي يقترح حلاً للمشكلة السكانية هو الاستغفار.
 ولكنها حقيقة مطلقة نصدقها بقدر ما يكذبها العلمانيون لأنها من عند الله خالق ورزاق
 هذا الإنسان.

قال الله سبحانه حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا
 يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا
 ([10])

رابعاً- العلم والعمل وفتح الأبواب للإبداع والابتكار:
 وديننا يأمرنا بذلك أيضاً في آيات كثيرة جداً وفي الأحاديث الصحيحة
 خامساً- الاستغلال الأمثل للموارد: والعدالة في توزيع وإزالة الحواجز الجغرافية
 والنفسية التي زرعتها الاستعمار بين البلاد العالم الإسلامي كخطورة للتكامل
 الاقتصادي لاسيما ونحن الآن عصر التكتلات
 وبعد فيا أيها الأحبة:

هذا ما ندين الله به في هذه المسألة الخطيرة التي دار حولها الجدل في الأيام الماضية
 وكان واجباً على أهل الحق أن يقولوا كلمتهم وألا يكتفوا الحق الذي علمهم الله عظم
 وجل إياه.

أما ما قدمه المؤتمرون من الإجهاض والعازل الذكري والجنس الحر فهو من
 جهالات هذا العصر الذي أراد الله عز وجل أن يطلعنا فيه بجلاء على سفاهة عقول
 القلة المترفة التي تحكم العالم اليوم.

والله لقد آن الأوان لتفتى البشرية مرة أخرى إلى منهج الله لتستظل بظلاله الوارفة بعد أن أحرقتها لفتح الهاجرة القاتل.
نسأل الله أن يرد البشرية إلى الإسلام رداً جميلاً وأن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز
الموحدين إنه ولى ذلك ومولاه..

[1] سورة آل عمران: 102.

[2] سورة النساء: 1.

[3] سورة الأحزاب: 70 - 71.

[4] سورة الإسراء: 81

[5] سورة هود: 6

[6] سورة الأنعام: 59

[7] صحيح: رواه مسلم رقم (2577) في البر والصلة، والترمذي رقم (2497) في صفة القيامة وباب رقم (49) ، وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، قد اشتمل على قواعد عظيمة في أصول الدين، وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، وقد شرحه العلماء وأفرده بالتأليف.

[8] متفق عليه: [ص.ج:2277] رواه البخارى ومسلم وأحمد، ولا يغيضها: أى لا تنقص ولا يقل خيرها ، وسحاء: أى دائمة العطاء.

[9] سورة الأعراف: 96

[10] سورة نوح: 10-12

الإبتلاء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ [1]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [2]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [3]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله: ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين [4])

والفتن التي يتعرض لها أهل الإيمان كثيرة :

* ومن بين هذه الفتن أن يتعرض المؤمن للأذى والاضطهاد من الباطل وأهله ثم لا يجد النصير الذى يسانده ويدفع عنه الأذى ، ولا يملك لنفسه النصره أو المنعة ولا يجد القوة التى يواجه بها الطغيان ، وهذه هى أبرز الصور التى تقفز للأذهان إذا ما ذكرت الفتن التى يتعرض لها أهل الإيمان وبالرغم من ذلك فإن هناك من الفتن التى يتعرض لها أهل الإيمان ما هو أمر وأدهى من ذلك!!

* وهناك فتنة الأهل والأولاد والأحباء الذين يخشى ان يصيبهم الأذى بسببه ؟ وقد يهتفون به ويتوسلون إليه ، وينادونه باسم الحب والقرابة أن يسالم أو يستسلم في الوقت الذى لا يملك عنهم دعفاً وهذه من أشد الفتن .

وقد تزداد الفتنة إذا وقع بهم الأذى والابتلاء أمام عينه وبين يديه وهو لا يستطيع أن يدفع عنهم أذى أو يرد عنهم سوء .

* وهناك فتنة أخرى خطيرة، إنها فتنة إقبال الدنيا على المبطلين والعاصين والمذنبين والظالمين ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير ، وتتحطم في طريقهم العواتق، وتذل لهم الصعاب، وتفتح لهم الأبواب وتهيئ لهم الأسباب.

تصاغ لهم الأمجاد ، وتصفولهم الحياة والمؤمن مُهملاً منكر لا يحس به أحدٌ ، ولا يدافع عنه أحد، ولا يشعر بقسيمة الحق الذى معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يمكنون من أمر الحياة شيئاً.

* وهناك فتنة الغربية في هذا الدين .متى يظهر المؤمن فيرى معظم ما حوله ومن حوله غارقاً في تيار الضلالة والشهوات والشبهات ، وهو وحده غريب طريداً شريد.

* وهناك فتنة نراها بارزة في هذه الأيام ألا وهى أن المؤمن يجد أمماً ودولاً غارقة في الرذيلة والمعصية وبالرغم من ذلك فإنها راقية في مجتمعها متحضرة في حياتها ، ويجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يليق به كإنسان!!!

* وهناك الفتنة الكبرى فتنه النفس والشهوة، وجاذبية الأرض والطين ، وصعوبة الاستقامة على صراط الله المستقيم كل هذه الفتن . فإذا طال الأمد وأبطأ نصر الله ، كانت الفتنة أشد وأقصى ، وكان الابتلاء أشد وأعنف ، ولن يثبت إلا من عصمه الله عز وجل .

فما هى الحكمة من كل هذه الفتن والابتلاءات التى يبئلى الله بها المؤمنين؟! في الوقت الذى ينتشى فيه الظالمون ويبغى فيه المبطلون.

حاشا لله : أن يعذب المؤمنين بالابتلاء وأن يؤذيههم بالفتن كلا ولكن الإعداد الحقيقى لتحمل الأمانة الكبرى والمسئولية العظمى والعقيدة العليا لأنها في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة ، وإلا بالاستعلاء الحقيقى على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقى على الآلام ، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الإبتلاء.

فكما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ، كذلك تصنع الفتن بالنفوس تصهرها فتنتفى عنها الخبث.

وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة ، ويقع عليهم البلاء حسبهم أن يكونوا هم المختارين من الله ليكونوا أمناء على حق الله وعلى دين الله عز وجل.

وأن يشهد الله لهم بان في دينهم صلابه. وفي عقيدتهم قوة فهو سبحانه يختارهم للابتلاء. فإنه كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :

« أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلماً، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةً ابْتُلِيَ على قدر دينه ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » ([5])

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون ، لقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما يجدُ إلا العباءة يجوبها ([6]) ، فيلبسها ، ويُبتلى بالقتل حتى يقتله ، ولأحدهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاءِ من أحدكم بالعباءة » ([7]) قال ابن القيم رحمه الله

إن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس. ويبتليها ، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ، ومن يصلح لمولاته وكرامته ومن لا يصلح ، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان ، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة ، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية ، فإن خرج في هذا الدار وإلا ففي كير جهنم ، فإذا هذب العبد وثقلاً أُذن له في دخول الجنة ([8]) وليس أحدٌ أغير على الحق وأهله من الله .. ولكنها سنة الله الجارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف.

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ([9])
فما الذي لاقاه نوح عليه السلام ؟، وما الذي لاقاه إبراهيم؟، وما الذي لاقاه موسى ؟ ، وما الذي لاقاه عيسى؟. وما الذي لاقاه محمد ؟ وهم أطهر الناس وأشرف الناس، واصطفاهم الله عز وجل واختارهم وأحبهم إلى الله وأقربهم إلى الله هو حبيبه ومصطفاه محمد

فلقد ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قام يوماً يصلي في حجر الكعبة فأقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق النبي صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ([10])

وورد في البخاري أيضاً أن هذا الفاجر عقبة بن أبي معيط جاء يوماً على رسول الله بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يرفع رسول الله رأسه حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها فرفعتة عن ظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه ثم قال « الله عليك بقريش ثلاث مرات » ([11])

وتعلمون ما الذي حدث له بالطائف فضلاً عن وصفهم له بالسحر والجنون واتهموه في شرفه وعرضه . هاهو ذا رسول الله وهو في الذروة من بنى هاشم ، هاهو ذا يرمى في بيته وفي من؟! في عائشة التي أحبها من قلبه . هاهو ذا يرمى في طهارة فراشه وهو الطاهر الذي تفيض منه الطهارة. وهاهو ذا يرمى في صيانة حرمة وهو القائم على صيانة الحرامات في أمته. إنها أشد فتنة على الإطلاق تعرض لها رسول الله وهو الحبيب عند ربه جل وعلا . بل أظنها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله

إنها الفتن والابتلاءات ولقد ورد أيضاً في صحيح البخاري عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة – وقد لقينا من المشركين شدة – فقلت: يا رسول الله ألا تدعوا الله لنا، ألا تستنصر لنا، ففعد وهو مُحمرٌ وجهه فقال: «لقد كان من قبلكن ليمشط بأمشاط من الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله» ([12])

وإذا كانت هذه الاعتداءات على النبي صلى الله عليه وسلم وله من الجلال والوقار في نفوس العامة والخاصة فكيف بالصحابة الكرام، لاسيما الضعفاء منهم فأنتم تعلمون ما الذى كان يُفعل ببلال و خباب وآل ياسر وصهيب وابن مسعود وغيرهم ممن قالوا: لا إله إلا الله .

فضربوا لنا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء والتضحية لهذا الدين حتى ولو كانت بالأرواح والأبدان.

فلمن كان الدين عندهم أغلى من أى شئ حتى من أرواحهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم .

ولذلك أيدهم الله بنصره كما نصر المؤمنين من قبلهم وينصر الموحدين من بعدهم.. وتكون العاقبة على من عاداهم وانظر كيف كان عاقبة المجرمين.. !!

* فأين فرعون الذى قال لقومه ما علمت لكم من إله غيرى؟ والذى قال لقومه أنا ربكم الأعلى؟ والذى قال: يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى؟ فأجراها الله من فوقه!

* وأين هامان؟ وأين قارون؟ وأين عاد؟ وأين ثمود؟: فَكَلَّا أَحَدْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا ([13])

وصدق من قال:

أين الظالمون وأين التابعون ج ... لهم في الغى بل أين فرعون وهامان؟

وأين من دوخوا الدنيا بسطوتهم ... وذكرهم في الورى ظلمٌ وطغيان؟

أين الجبارة الطاغون ويحهموا؟ ... وأين من غرهم لهو وسلطان؟

هل أبقي الموت ذا عزٍ لعزته؟ ... أو هل نجا منه بالأموال إنسان؟

لا و الذى خلق الأكوان من عدم ... الكل يفنى فلا أنس ولا جان

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمٍ صَادٍ ([14])

فمهلاً أيها الظالمون .. محال أن يموت المظلومون ويبقى الظالمون.. فاعلموا ما شئتم انا عاملون، وجوروا فإننا بالله مستجيرون واطلموا فإننا إلى الله متظلمون وَسَيَعْلَمُ

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ([15])

أيها المظلوم صبراً لا تهن ... إن عين الله يقظى لا تنام

ثم قرير العين واهناً خاطراً ... فعدل الله دائم بين الأنام

وإن أمهل الله يوماً ظالماً ... فإن أخذه شديد ذو انتقام

« اتقوا دعوة المظلوم فليس بيننا وبين الله حجاب يرفعها الله فوق الغمام ويقول لها وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » ([16])

ولا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا ... فالظلم ترجع عقابه إلى الندم

تتام عينك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لا تتم ...

احذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بان دعاءه لا يحجب.

وتبقى لى نصيحة أخيرة لجميع المسلمين :

فيا أيها المسلمين : إن كان الشيوخ عقول الأمة التي تفكر فإن الشباب هم سواعدها التي تبنى وتعمر وهل يمكن لعقل أن يأتي مجرداً لا يمشى على رجلين، ولا يقوى بساعدين.

إن الشباب هم مستقبل الأمة وعلى أكتافه وسواعده تقوم الحضارات من أجل ذلك فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم شديد الحفاوة بالشباب فهل هو الذي أخذ برأيهم في غزوة أحد وهو الذي ولى أسامة بن زيد قيادة جيش وهو الشاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره وجُند هذا الجيش أبو بكر وعمر وعثمان ،وعلى وخالد وعمرو بن العاص!! وإلى أى الجهات كانت وجهة الجيش؟! إلى الروم! ليناطح الصخور الصماء.

هكذا ينبغي أن يعامل الشباب لأنه في حاجة إلى توجيه من أبوه حتى أو من أخوة صادقة . إنه في حاجة إلى محاورة .. إلى حديث العقل والروح إنه في حاجة إلى أن تحترم عقولهم وأن تصان آدميتهم وأن يقدر فكرهم .. فهم أبناؤنا وأخواننا وأحبابنا.

* أما أنتم أيها الشباب فتمسكوا بدينكم ، واعتزوا بإسلامكم وتوحيديكم وتخلقوا بأخلاق نبيكم ، وادعوا الناس :إلى هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة فإن العنف يهدم ولا يبني وإن الشدة تفسد ولا تصلح

فَمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)

([17])

أيها الشباب دعوا الفرقة بينكم ، وحدوا صفوفكم ، ولا تختلفوا فيما بينكم فتختلف قلوبكم ، واتركوا الألقاب والشعارات ، وتجردوا من كل الأسماء والمسميات واخفضوا جميع الرايات، والشعارات ، إلا راية التوحيد لرب الأرض السموات.

اتحدوا فإن اتحادكم عزاً ورفعاً. واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

([18])

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين وأن يوجد كلمة المسلمين بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين

(*) ألقيت هذه الخطبة بساحة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام - بالسويس

[1] سورة آل عمران : 102.

[2] سورة النساء : 1.

[3] سورة الأحزاب : 70-71.

[4] سورة العنكبوت: 1-3

[5] صحيح : [ص.ج : 992] ، [المشكاة : 1562] ، [الصحيحة : 143] من حديث سعد .

[6] يجوبها : أى يقطع وسطها ليلبسها.

[7] صحيح : [الصحيحة : 144] ، [ص.ج : 995] رواه البيهقي وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد.

[8] زاد المعاد لابن القيم (18/3) ط. الرسالة بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط.

[9] سورة العنكبوت: 3

[10] صحيح: رواه البخاري في مناقب الأنصار (203/7)

[11] صحيح: رواه البخارى في الوضوء، ومسلم في الجهاد والسير، والسلى : هى الجلدة التى تكون فيها الولد يقال لها ذلك من البهائم ، وأما من الأدميات فالمشيمة.

[12] صحيح : رواه البخاري في مناقب الأبصار ، وأحمد(109/5)

[13] سورة العنكبوت: 40

[14] سورة الفجر: 6-14

[15] سورة الشعراء: 227.

[16] صحيح: [ص.ج : 118] ، والصحيحة: [870] رواه الحاكم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

[17] سورة آل عمران : 159.

[18] سورة آل عمران: 103-107

في ظلال الإسراء والمعراج

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران : 102]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء : 1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 70 _ 71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أحبتى فى الله :

حياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأحباب الكرام الأعزاء وطبتم
جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً .

وأسال الله العظيم الكريم جل وعلا الذى جمعنا وإياكم فى هذا البيت المبارك على
طاعته ، أن يجمعنى وإياكم فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه
وسلم فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه .

أحبتى فى الله :

((فى ظلال الإسراء والمعراج)) هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم فى هذا اليوم
الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا تحت هذا العنوان فى العناصر التالية :

أولاً : تأريخ وتحقيق .

ثانياً : ولماذا الإسراء ؟

ثالثاً : الأقصى الجريح .

رابعاً : المعراج إلى السماوات العلى .

وأخيراً : دروس وعبر من الأحداث .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان .

أولاً : تأريخ وتحقيق

لقد اعتاد المسلمون - إلا من رحم الله جل وعلا من المحققين - أن يحتفلوا بذكرى

الإسراء والمعراج فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب احتفالاً باهتاً بارداً لا

يليق بالمصطفى !!!

واعتقد الكثيرون أن الإسراء كان فى هذه الليلة .

والتحقيق أن العلماء قد اختلفوا اختلافاً كبيراً فى يوم الإسراء بل فى شهر الإسراء بل

فى سنة الإسراء !!

قال السدى : كان الإسراء فى شهر ذى القعدة .

قال ابن عبد البر : كان الإسراء فى شهر ربيع الأول .

قال النووى : كان الإسراء فى شهر رجب .

قال الواقدى : كان الإسراء فى شهر شوال .

وفى قول آخر قال : كان فى شهر رمضان .

وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بستة أشهر وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بتسعة أشهر

، وقيل كان الإسراء كان قبل الهجرة بسنة ، وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بسنة

وستة أشهر ، وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير .

ومن ثم فإن اليوم والشهر والعام لا يعلمه إلا الملك .

والتحديد للإسراء بيوم وشهر ضرب من المجازفة والتخمين لا دليل عليه من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى محمد .

ولما لم يحتفل النبي والصحابه والأتباع من بعدهم بذكرى الإسراء فينبغي علينا أن يسعنا ما وسعهم .

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في اتباع من خلف .
والتحقيق أن الإسراء كان بعد البعثة وقبل الهجرة من مكة زادها الله تشريفا إلى المسجد الأقصى الجريح خلّصه الله من أيدي إخوان القرده والخنازير .
ثم من المسجد الأقصى إلى السماوات العلي كما سأفصل الآن بحول الله وقوته .

ثانياً : ولماذا الإسراء ؟

وللجواب على هذا السؤال قصة إنها قصة طفل ظهور كالربيع !!
إنها قصة طفل كريم كالنسيم !! إنها قصة طفل نشأ في مكة في بيئة تصنع الحجارة بأيديها وتسجد لها من دون الله جل وعلا !!!

بل كان يصنع الواحد منهم إلهه من خشب أو من نحاس أو حتى من حلوى أو من تمر فإذا ما عبث الجوع ببطنه قام ليدس هذا الإله الرخيص في جوفه ليذهب عن نفسه شدة الجوع !!!

في هذه البيئة نشأ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فاحتقر هذه الأصنام وأشفق على أصحاب هذه العقول .

فترك هذه البيئة الشركية وانطلق بعيداً بعيداً إلى قمة جبل النور . إلى غار حراء ليقضى ليله في التأمل والتفكر والتضرع ، ويقضى النهار كذلك في التأمل والتفكير والتدبر .

وفي ليلة كريمة يخشع الكون وتصمت أنفاس المخلوقات وجبريل أمين وحي السماء ينتزل لأول مرة على المصطفى صلى الله عليه وسلم محمد على قمة جبل النور ليضم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ضمة شديدة وهو يقول له ((اقرأ))
والحبيب يقول ما أنا بقارئ ، وجبريل يقول ((اقرأ)) والمصطفى يقول : ما أنا بقارئ ، وفي الثالثة غطّه حتى بلغ منه الجهد وقال للحبيب :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق:1-5]

فؤاده يرتجف وفرائصه ترتعد .. وجوارحه تضطرب حتى وصل إلى السكن .. إلى رمز الوفاء .. إلى سكن سيد الأنبياء .. إلى خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها . إلى هذه الزوجة العاملة الصالحة التي استحقت أن شرفها الله بأن أرسل إليها السلام من فوق سبع سماوات ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة

((أتى جبريل عليه السلام إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم ومعها إناء فيه إدام - (طعام أو شراب) - فإذا هي أنت فقال جبريل: يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت ، فأقرأ عليها السلام من ربها، ومنى وبشرها ببیت فی الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب))(1) .

فلما أقبلت خديجة بَشَّرَهَا المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه البشارة وقال ياخديجة : ربك يقرنك السلام وجبريل يقرنك السلام !!

فماذا قالت خديجة البليغة العاقلة العالمة ، ما قالت وعلى الله السلام وإنما قالت إن الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته

خديجة عاد إليها النبي محمد يرفف فواده وهو يقول زملوني زملوني ، واستجابت خديجة حتى استيقظ الحبيب وقد هدأت نفسه واستقرت جوارحه وقال : ((والله لقد خشيت على نفسي ياخديجة)) وقص عليه فبشرته بهذه الكلمة الطيبة وقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً إلى آخر ما ذكرت والحديث رواه البخاري وهو حديث طويل(2)

ثم فتر الوحي لفترة قليلة - على الراجح - ثم نزل قول الله عز وجل على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ [المدثر: 1-7] قم يا محمد دع عنك هذه الأغطية فما كان بالأمس حلاماً جميلاً أصبح اليوم حملاً ثقيلاً .
يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [المزمل : 1-5] فقام الحبيب ولم يقعد عشرين سنة ، لم يعرف طعم الراحة .. لم يذوق طعم النوم .. لم يهدأ!!
وإنما انطلق على قدميه حاملاً نور الله عز وجل إلى البشرية ليخرجها من ظلمات الشرك وأوحال الوثنية إلى أنوار التوحيد والإيمان برب البرية جل وعلا .
انطلق الحبيب بعد ذلك بعدما نزل عليه قول الله عز وجل : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ انطلق يدعوا الناس سرّاً إلى الإسلام ثلاث سنين .

لأن للأصنام جيوشاً غاضبة إن هؤلاء القوم يقتلون من أجل ناقة فما ظنك بالهة يذبحون لها آلاف النياق إن مس جنابها على يد محمد ابن عبد الله وبعد هذه المرحلة السرية نزل قول الله عز وجل :

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء:214]

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر:94]

فقام الحبيب ملبياً أمر الله : فصعد على جبل الصفا ينادى على بطون مكة يا بني فهر ، يا بني عدى ، يا بني كذا يا بني كذا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو والتف حوله الناس من أهل مكة ووقفوا بين يديه وعلى رأسهم أبو لهب .

وقام الحبيب ليقيم الحجة على قومه بلغة النبوة فقال : ((أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟))
قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً .

فقال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فإني نذير بين يدي عذاب شديد)).
فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعنا ؟ فنزلت : تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيِّئًا نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ [المسد: 1 - 5](1)

بعد هذا الموقف حدث أن قریشاً أرعدت وأبرقت ودقت طبول الحرب على رأس المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وانطلقت مكة على قلب رجل واحد لتصب البلاء والإيذاء صباً على رأس المصطفى صلى الله عليه وسلم فى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود : أن النبي كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجئ بسلي جذور بنى فلان (وهى الجلدة التى يكون فيها الولد يقال لها ذلك من اليهائم) فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم فجاء به ، فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغنى شيئاً لو كانت لي منعه ، قال : فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ، ورسول الله ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءت فاطمة فطرحت عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : ((اللهم عليك بقريش)) (1) .

وورد فى صحيح البخاري أن عقبة بن أبى معيط قد انطلق إلى النبي وهو يصلى فى حجر الكعبة فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً حتى كادت أنفاس المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تخرج بين يديه فجاء الصديق ليدفع هذا الفاجر الكافر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول (2)

أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ [غافر:28] أحبتي فى الله :

رأى النبي أن أرض مكة صلدة قاسية لا تقبل بذرة التوحيد فانطلق الحبيب إلى الطائف يبحث عن قلوب حانية لعلها تحمل هذا النور لا إلى أهل الطائف فحسب بل إلى الدنيا كلها .

انطلق الحبيب على قدميه المتعبتين ، لا يركب راحلة فهو لا يملك فى هذا الوقت الراحلة !!

ينطلق المصطفى صلى الله عليه وسلم تحت شمس محرقة تكاد تذيب الحديد والصخور والحجارة وعلى رمال ملتهبة إذا ما انعكست عليها أشعة الشمس كادت أن تخطف الأبصار !!

انطلق الحبيب فى هذا الجو متعباً يتألم لا سيما وقد ازداد حزنه بموت خديجة رضى الله عنها وبموت عمه أبى طالب الذى كان حائطاً صدياً منيعاً لحملات المشركين من الخارج .

النبي ينطلق إلى هناك على قدميه والله لا يريد مالاً ولا يريد جاهاً ولا يريد وجهة إنما يريد لهؤلاء خير الدنيا والآخرة . ولكن فعل أهل الطائف بالمصطفى مالم يكن يتوقع فلقد سلطوا عليه الصبيان والسفهاء حتى وقفوا ورموا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بالحجارة ونزف الدم الشريف بأبي هو وأمي .

إنه المؤيد بمدد السماء .. إنه المؤيد بوحى السماء .. تلقى عليه الرمال !! ويلقى عليه التراب !!؟

ويقذف بالحجارة حتى يسيل الدم الطاهر من جسده !!؟
فأجأه الصبيان والسفهاء إلى بستان لابن ربيعة وهناك ارتفعت هذه الكلمات النيرة وتضرع الحبيب إلى الله بهذا الدعاء ((اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟!! أم إلى عدو ملكته أمري ؟! إن لم يكن بك غضب على

فلا أبالي، أسألك بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ألا تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبة حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك)) (1)

وفى البخاري ومسلم : عن عروة أن عائشة رضى الله عنها حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : ((لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا جبريل فناداني فقال : يا محمد إن الله جل وعلا قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين والأخشبان جبلان عظيمان بمكة فقال النبي ((بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)) (1)

هذا ملك الجبال يستأذن النبي أن يحطم هذه الجماعم الصلدة فهذه الرؤوس العنيدة المتكبرة الكافرة المتحجرة . ولكنه ما جزع لنفسه .. ما خرج لذاته .. إنما خرج لله وحده.

هذا نصر غيبي من الله للمصطفى ولكن وصل الحبيب إلى مكة زادها الله تشريفاً - ليرى كرامة أخرى له من الله عز وجل ليرى جبريل هنالك فى انتظاره ليأخذه إلى هذه الرحلة المباركة إلى رحلة الإسراء والمعراج .

وكان الله عز وجل قد أراد أن يقول لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إن كان أهل مكة وأهل الطائف قد رفضوك فإن رب السماء والأرض يدعوك . يا محمد لا تظن أن جفاء أهل الأرض يعنى جفاء السماء .

إن الله يدعوك اليوم ليعوضك بجفاء أهل الأرض حفاوة أهل السماء الله أكبر .

فتعالوا بنا لتتعرف على هذه الرحلة المباركة ولنجمع بين الروايات إذ لا تعارض بينها كما قال الحافظ بن حجر : فى بيت أم هانئ يأتيه جبريل ليشق البيت ليأخذ المصطفى صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ إلى الحجر فى بيت الله الحرام ثم بعد ذلك تبدأ رحلة الإسراء بشق صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ففى الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أتيت فانطلقوا بى إلى زمزم ، فشرح عن صدري (أي شق) ثم غُسل بماء زمزم ثم أنزلت)) (1)

وأنتم تعلمون أنه قد شق صدره قبل ذلك وهو غلام صغير حينما كان فى ديار بنى سعد عند مرضعته حليلة رضى الله عنها (2) .

تبدأ الرحلة المباركة رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم واللفظ لمسلم من حديث أنس : أوتيت بالبراق والبراق بنص الحديث الصحيح دابة فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافرُهُ عند منتهى طرفه .

وقف الحافظ ابن حجر عند قوله البراق فقال : البراق من البريق من اللمعان لأن النبي حدد لونه بالبياض وقال البراق من البرق والبرق ضوء وسرعة الضوء رهيبه هذا هو البراق.

ورد من حديث الترمذى وعند الإمام أحمد فى المسند وعند عبد الرازق فى مصنفه وعند البيهقى فى السنن من حديث أنس :

أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انطلق ليركب البراق استصعب عليه فقال جبريل للبراق : ما حملك على هذا والله ما ركبك أحد من خلق الله أكرم على الله منه أى من محمد بن عبد الله .

وركب النبي صلى الله عليه وسلم البراق وانطلق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

وعنصر الاعجاز فى رحلة الاسراء الأرضية هو الزمن .

انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المسجد الأقصى فى زمن قليل وهذا هو الذى أنكره المشركون فى مكة .

قالوا نضرب لها أكباد الابل شهراً من مكة إلى بلاد الشام وأنت تقول بأنك انطلقت

من مكة إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات العلى وعُدت فى جزء من الليل _ لأن الله قال سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا وَلَيْلًا عند علماء اللغة أى جزء من الليل ، ولم يقل ليلة لتقول بأن الاسراء قد استغرق ليلة بكاملها لا بل استغرق جزءاً من الليلة .

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الاسراء:1]

وانتبه لهذه الآية التى ختمت بقوله : ((إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) وكان من السياق أن

يقول : ((إنه على كل شىء قدير)) ((إنه عزيز حكيم)) ليظهر عظمتة وقدرته وإنما قال إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ أى الذى سمع قول قومك لك ورأى فعل قومك بك فأراد أن يكرمك وأن يشرفك .

لأن الاسراء معجزة فريدة ليست تأييداً للدعوة بقدر ما هى تأييد لصاحب الدعوة بأبى هو وأمى

ثالثاً الأقصى الجريح

الأقصى الجريح الذى تدوسه الأن أقدام إخوان القردة والخنازير من أبناء اليهود على مرأى ومسمع لا أقول من المسلمين إنما من العالم كله .

ونسمع القصائد ونسمع الأشعار ، ونسمع الكلمات !!

ونحتفل بذكرى المولد ونحتفل بذكرى النصف من شعبان هذا هو الذى يجيده

المسلمون الذين عشقوا الهزل يوم كرهوا الجد والرجولة والبطولة والجهاد فى سبيل

الله !!

المسجد الأقصى إنما هو أولى القبلتين . وهو المسجد المبارك الثالث الذى أمر النبي

بشد الرحال ((لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى

ومسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم))(1)

المسجد الأقصى الآن يداس بأرجس الأرجل !!

المسجد الأقصى الآن الحفريات تحت جدرانه من كل ناحية إلى يومنا هذا !!

الحفريات تحت جدران المسجد بحجة التوسعة وبحجة الترميم ليسقط المسجد الأقصى وليقيم إخوان القردة والخنازير عليه ما يسمونه بالهيكل المزعوم .
حقائق لا بد أن ترسخ في القلوب والعقول .

الصراع بين اليهود وبين المسلمين صراع عقائدي ، ولن ينتهي إلى قيام الساعة !!
الأقصى الجريح يئن !! فتحه عمر وحرره صلاح الدين فهل من صلاح؟! هل من صلاح جديد !!

هل من صلاح بيننا وبين الله ليمدنا الله بصلاح؟!
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الإسراء:1]
أيها الأحبة : إن معتقد أهل السنة والجماعة أن الإسراء كان بجسد النبي وروحه يقظة لا مناما .

لماذا ينكر ذلك من يعبدون العقل؟!
ينكرون ذلك لعنصر الزمن كيف يقطع هذه المسافة التي يقطعها الناس في شهور في لحظات!!?

وأنا أقول ((سبحان)) تنزيه لأفعاله وأسمائه وصفاته جل وعلا .
أى إذا كان الفعل من الله فنزهوا فعل الله عن فعلكم ونزهوا صفات الله عن صفاتكم ونزهوا قول الله عن قولكم .

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ : والعبد لغة تطلق على الإنسان بروحه وبدنه لا يطلق لفظ العبد على الروح دون البدن (الذي أسرى بعبده ليلاً) والسري : هو السير ليلاً :
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الإسراء:1]
قال القاسمي رحمه الله : دلت هذه الآية على ثبوت الإسراء وهو سير النبي إلى بيت المقدس ليلاً .

قال القاضي عياض : وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق .

قال : والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار .

ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند وجود نص أو قرينة تدل على أن الظاهر غير مراد إذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبد .
وقوله تعالى : ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناماً لما كان فيه آية ولا معجزة ، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به ، إذ فعل هذا في المنامات لا ينكر .

بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته ومما يدل على أنه كان يقظة كذلك ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله يقول : ((لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)) (1)

فلو أنه أخبرهم بأنها رؤيا رآها لما اختبروه بالسؤال عن آياته وعلاماته وهذه أيضاً معجزة ثانية لرسول الله وأكتفي بهذا القدر في هذه الخطبة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من أهتدي بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد :

فيا أيها الأحبة الكرام : وبدأت الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وفي المسجد الأقصى دخل النبي المسجد وصلى ركعتين وبعدما خرج وجد جبريل يقدم له إنائين إناءً من لبن وإناءً من خمر فأختار النبي اللبن فقال له جبريل قد أصبت الفطرة يا محمد .

ثم تبدأ رحلة المعراج ولنرجع مرة أخرى إلى حديث أنس في صحيح البخارى .
يقول ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بأدم ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعثت إليه .
ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ، ويحي بن زكريا صلوات الله عليهما ، فرحبا بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعثت إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعثت إليه ففتح لنا .

فإذا أنا بإدريس ، فرحب ودعا لي بخير ، قال الله عز وجل ((ورفعناه مكاناً عليا))
ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعثت إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعثت إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعثت إليه ، ففتح لنا فإذا أنا

بإبراهيم عليه السلام ساندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها .

فأوحى الله إليّ ما أوحى فعرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة .
فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال : ما فرض ربك على أمّتك ؟ قلت : خمسين صلاة قال : أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمّتك لا يطيقون ذلك ، فأنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم . قال : رجعت إلى ربي فقلت : يارب خفف عن أمّتي

فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت : حط عني خمسا .
قال : إن أمّتك لا يطيقون ذلك فأرجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام ، حتى قال: يا محمد أنهم خمس صلوات كل يوم وليلة . لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا .

فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال : أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه(1) .

وهكذا أيها الأحبة تنتهي رحلة المعراج .

(1) رواه البخارى رقم(3820) فى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب تزوج النبى صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها ، وفى التوحيد ، باب قول الله تعالى ((يريدون إن يبدلوا كلام الله)) ومسلم (2432) فى فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

(2) رواه البخارى رقم (3) فى بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (1) رواه البخاري رقم (4770) فى تفسير سورة الشعراء باب (وأندر عشيرتك الأقربين) وفى الجنائز ، باب ذكر شرار الموتى ، وفى الأنبياء ، باب من انتسب إلى آباءه فى الإسلام والجاهلية ، ومسلم رقم(208) فى الإيمان باب قوله تعالى(وأندر عشيرتك الأقربين) والترمذى رقم(3360) فى التفسير

(1) رواه البخاري رقم (240) فى الوضوء ، باب إذا ألقى على ظهر المصلى قدرا وجيفة لم تفسد عليه صلاته ، وفى سترة المصلى وفى الجهاد وفى فضائل أصحاب النبي وفى المغازى ، ومسلم رقم (1794) فى الجهاد ، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين ، والنسائي (161/1) فى الطهارة ، باب فرث ما يؤكل لحمه يصيب الثوب .

(2) رواه البخاري رقم (3678) فى فضائل أصحاب النبي وباب قول النبي ((لو كنت متخذاً خليلاً)) وباب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة ، وفى تفسير سورة المنافقين .

(1) رواه الطبرانى وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رجاله ثقات ما عدا ابن اسحاق وهو مدلس ثقة وقد ضعفه شيخنا الألبانى والله الحمد رأيت شاهداً آخر يقوى هذا الحديث عن ابن اسحاق موصولاً وكلاهما يقوى بعضهما الآخر .

(1) رواه البخارى (224/6 ، 225) فى بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة وفى التوحيد ، باب (وكان سميعاً بصيراً) ، ومسلم رقم (1795) فى الجهاد باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين .

(1) رواه البخاري ومسلم رقم (260) فى الإيمان باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلاة .

(2) رواه مسلم رقم (261) فى كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات

(1) رواه البخاري رقم (1189) فى التطوع ، باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ، ومسلم رقم (1397) فى الحج ، باب لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، وأبو داود رقم (2033) فى المناسك باب فى إتيان المدينة ، والنسائي (38,37/2) فى المساجد ، باب ما تشد الرحال إليه فى المساجد

(1) رواه البخاري رقم (3886) فى مناقب الأنصار باب حديث الإسراء وقول الله تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

(1) رواه البخاري رقم (3887) فى مناقب الأنصار ، باب المعراج . ومسلم رقم (259) فى الإيمان ، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات .

أسير فى قيد ... دروس وعبر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [الأحزاب:70-71]
أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

: أحبتي فى الله

((أسير فى قيد .. دروس وعبر)) هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم فى هذا اليوم الكريم المبارك حتى لا ينسحب الوقت من أيدينا سريعاً فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية :

أولاً : الرفق والإحسان إلى الناس يُحولان البغض إلى حب.

ثانياً : سيرة حافلة بالدروس والعبر .

ثالثاً : عودة واجبة.

فأعيرونى القلوب والأسماع والله أسأل أن يجعلنا ممن الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر:18]

أولاً : الرفق والإحسان إلى الناس يحولان البغض إلى حب .

أحبتى فى الله ..

روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة قال : بعث رسول الله خيلاً قبل نجد (أى أرسل النبى صلى الله عليه وسلم سرية عسكرية استطلاعية ناحية نجد ، وكانت هذه السرية بقيادة محمد بن سلمة فجاءت هذه السرية برجل من بنى حنيفة يقال له : ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطت هذا الرجل فى سارية من سوارى المسجد (أى عمود من أعمدة المسجد) وهم لا يعرفونه ، فثمامة قبل من أقبال العرب (أى : سيد من أسياد العرب وشريف من أشرافهم) أسروه وهو فى طريقه إلى العمرة ولكن كان على الشرك بالله جل وعلا ، وأدخلوه إلى المسجد ، وربطوه فى عود من أعمدة المسجد النبوى فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم رآه فعرفه وفى رواية ابن هشام قال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ((أَلَا تَعْرِفُونَ مَنْ هَذَا؟!)) ، إِنَّهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ)) وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يحسنوا إليه.

ونعد إلى رواية الصحيحين خرج النبى صلى الله عليه وسلم إليه قال : ((مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) فقال : عندى يا محمد خيرٌ إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد . ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ((مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) قال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله حتى كان من الغد فقال : ((مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) فقال : عندى ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم : ((أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ)) ، فأطلقه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد النبوى ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وقال : يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجود كلها إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا تأمرنى ؟! فبشره النبى صلى الله عليه وسلم - قال

الحافظ ابن حجر : بشره بخيرى الدنيا والآخرة أو بشره بالجنة أو بشره بتكفير سيئاته لأن الإسلام يهدم ما قبله - .

بشره رسول الله وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ (أى هل تركت دين آبائك وأجدادك وتبعت محمد على دينه ؟) قال : لا ولكنى أسلمت مع رسول الله والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة (أى حبة قمح) حتى يأذن فيها رسول الله (1)

وفى رواية ابن هشام : أن ثمامة لما وصل بطن مكة رفع صوته بالتلبية فكان أول من لى وجهر بالتلبية فى مكة فيما رأى المشركون رجلاً يتحداهم بهذه الصورة العلنية الجريئة قالوا : من هذا الذى يجترى علينا ويرفع صوته بالتلبية فى بلادنا وديارنا ويردد الكلمات التى يُعَلِّمُهَا مُحَمَّدٌ لِأَصْحَابِهِ؟! فانقضوا عليه وأرادوا أن يضربوا رأسه ، فقال أحدهم : ألا تعرفون من هذا إنه ثمامة ابن أثال سيد أهل اليمامة وأنتم تحتاجون إلى اليمامة فى طعامكم فخلوا سبيل الرجل ، فالتفت إليهم وقال : والله لا يأتيكم حبة من حنطة من اليمامة إلا بإذن رسول الله .
أيها الأحبة الكرام ...

أنه مشهد بالغ الروعة اعترف بداية أننى أعجز عن أن أصور لحضراتكم روعته وعظمته وجلاله ، فرسول الله هو الرحمة المهداة والنعمة المسداه ، لا للموحدين فحسب بل للعالمين قال تعالى : مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الانبياء:107] .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : رسول الله رحمة للبار والفاجر فمن آمن به تمت له النعمة ، وتمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة ، ومن كفر أمن من عذاب الدنيا حتى يلقى الله فى الآخرة مصداقاً لقول الله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ [الأنفال:33] .

وفى الصحيحين - وتدبر هذا الحديث - عن عائشة قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ)) وهو شريف من أشرف أهل الطائف ولكنه رفض دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وسلط الصبيان والسفهاء على الحبيب ورموه بالحجارة حتى سالت الدماء من جسده الطاهر يقول : ((فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِيبِ)) مكان يبعد عن الطائف بما لا يقل عن خمسة كيلو مترات ، ولم يستفق النبى صلى الله عليه وسلم من همه وألمه إلا فى هذا الموطن ودماؤه تنزف يقول : ((فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَتَطَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيْلُ فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ . فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ)) فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) (1) وفى رواية لما قيل أذع على المشركين قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : (((إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)).

أيها المسلمون : تدبروا كيف حَوَّل الرفق والإحسان من رسول الله البُغض المتأصل في قلب ثمامة إلى حب جيشا فياض!! . ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة خرج إلى مكة ليعتمر ليقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك . تملكه وما ملك ، فأبى الله جل وعلا إلا أن يلبي تلبية الموحدين ، فسبحان من بيده القلوب بحولها كيف يشاء قال تعالى : **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال:24]**.

ثمامة أُسر ورُبط في المسجد وهنا ترجم عليه البخاري باباً يُجَوِّز فيه أن يدخل المشرك إلى المسجد ، وأبى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يظل ثمامة في المسجد النبوي لِجَمِّ غالية عديدة .. ليرى ثمامة بعينيه وليسمع بأذنيه عظمة هذا الدين .. ليرى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه .. وليسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم .. وليرى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : لا بد أن نعي هذا الدرس العنف يهدم ولا يبني ، الشدة تفسد ولا تصلح. الرفق والإحسان إلى الناس هو الذي يحول البغض في القلوب إلى محبة صادقة فياضة ، ما أحوجنا إلى أن نعي هذا الدرس .

يأتي شاب شرح الله صدره للالتزام فأعفى اللحية ، وقصر الثوب ، وحافظ على مجالس العلم ، ولا زال أبوه بعيداً عن طريق الله ، ولا زالت أمه بعيدة عن طريق رسول الله ، فيجعل هذا الشاب من البيت حريقاً محرقاً مدمراً ، يسيء إلى والده ، ويسئ إلى أمه ، يسهه أباه ويحتقر أمه ، ويضرب أخوته ، ويسئ إلى إخوانه ، فيظن أهل البيت أن الالتزام غصب مستمر . لا يا أخى أنت أسأت إلى الإسلام من حيث لا تدري ، وأسأت إلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من حيث لا تشعر ، ففرقوا أيها الشباب وأيها المسلمون بين مقام الجهاد الذي يحتاج إلى الغلظة والقسوة والشدة ، وبين مقام الدعوة الذي يحتاج إلى اللين والحكمة والرحمة قال تعالى : **إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل:125]**.
أيها الأحبة الكرام ...

أنه مشهد بالغ الروعة اعترف بداية أنني أعجز عن أن أصور لحضراتكم روعته وعظمته وجلاله ، فرسول الله هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، لا للموحدين فحسب بل للعالمين قال تعالى : **مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الانبياء:107]** .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : رسول الله رحمة للبار والفاجر فمن آمن به تمت له النعمة ، وتمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر أمن من عذاب الدنيا حتى يلقي الله في الآخرة مصداقاً لقول الله تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**

بل وخاطب الله نبيين كريمين خاطب موسى وهارون :
أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ [طه:43-44].
أيها الأحبة الكرام ...

أنه مشهد بالغ الروعة اعترف بداية أنني أعجز عن أن أصور لحضراتكم روعته وعظمته وجلاله ، فرسول الله هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، لا للموحدين فحسب بل للعالمين قال تعالى : **مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الانبياء:107]** .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : رسول الله رحمة للبار والفاجر فمن آمن به تمت له النعمة ، وتمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر أمن من عذاب الدنيا حتى

يلقى الله في الآخرة مصداقاً لقول الله تعالى: اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [طه:43-44].

قرأ سيدنا قتادة - رحمة الله - الآية فبكي ، وقال سبحانك ما أحلمك ، أن كنت تأمر موسى و هارون أن يقولوا لفرعون قولاً لئناً ، فإن كان هذا هو حلمك بفرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، فكيف يكون حلمك بعبد قال سبحان ربي الأعلى؟! أحبتي في الله : إن ثمامة تأصلَ البغض في قلبه ، و أنتم تعملون أن البغض الآن متأصل في قلوب كثيرة في الشرق و الغرب. أقول: تأصل البغض في قلب ثمامة. لا لشخص النبي بل لدين النبي بل لبلد النبي فما الذي حدث؟! تحول هذا البغض إلى حب بالرفق والإحسان والحكمة والرحمة واللين.

هذه هي متطابقات مقام الدعوة إلى الله ، البغض الآن متأصل في قلبي الشرق والغرب علي الإسلام ، فصورة الإسلام مشوهة ، مُحَرَّقة ، مبدلة !! كيف نحول هذه الصورة إلى حقيقتها؟! والإجابة : إذا عدنا نحن ابتداءً إلى هذا الإسلام ، فحولنا الإسلام بعظمته بيننا ابتداءً وعلى أرض الواقع ، وفي دنيا الناس إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ، يتألق سمواً وروعة وجلالاً ، فإن القول إذا خالف الواقع و العمل ، بذر بذور النفاق في القلوب كما قال علام الغيوب : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف:2-3].

ولاحظ أن ثمامة لما شرح الله صدره للدين وضع كل قدراته وإمكانياته وطاقته لنصر الدين فاستشعر المسؤولية العظيمة التي أُلقيت على عاتقه منذ أول لحظه دخل فيها إلى دين الله - جل وعلا - فخلع رداء الكفر على عتبة التوحيد والإيمان ، وأعلن الفاصلة الحاسمة بين الإيمان و الشرك فأعلن الولاء لله ورسوله والمؤمنين وعلى الفور عادى الشرك والمشركين.

هذه كلها دروس مترابطة لا ينفك درس منها عن الآخر ، بمجرد أن يشرح صدر المرء للإسلام لا بد من أن يخلع رداء الكفر على عتبة الإيمان ، وأن يعلن الولاء لله و لرسوله وللمؤمنين وأن يعلن البراءة من الشرك والمشركين ، وأن يسخر كل طاقته وقدراته وإمكانياته لنصرة هذا الدين الذي منَّ الله به عليه.

لاحظ قولة ثمامة وهو يقول للمشركين : والله لا تصل إليكم حبة حنطة حتى يأذن رسول الله ، وعاد ثمامة ليضرب حصاراً اقتصادياً على قريش. والسلاح الاقتصادي من أخطر الأسلحة ، وبكل أسف يُستخدم الآن ضد المسلمين . حصاراً اقتصادياً على العراق .. حصاراً اقتصادياً على السودان .. حصاراً اقتصادياً على ليبيا .. حصاراً يستخدم لإذلال المسلمين .. و ليت الأمة تعي يوم أن استخدمت هذا السلاح مرة واحدة في حرب العاشر من رمضان - لا أقول حاصروا الغرب حصاراً اقتصادياً كاملاً بل بسلاح واحد من أسلحة الحصار ، ألا وهو سلاح البترول - تغيرت الموازين وانقلبت.

والأمة المسلمة تمتلك من القدرات و الإمكانيات و المقومات ما تستطيع بها - لو اتحدت كلمتها على قلب رجل واحد - أن تغير موازين العالم بأسره ، فأموال الأمة الإسلامية في البنوك الشرق والغرب تحرك دفة السياسة العالمية بأسرها .

انطلق ثمامة بمفرده ليضرب حصاراً اقتصادياً علي قريش حتى أكلت قريش العلهز (1) واستجار القرشيون من أهل مكة بنهر الرحمة وينبوع الحنان محمد بن عبد الله قالوا : أنك تأمر بصلة الرحم وإن ثمامة قد منع عنا الميرة من اليمامة ، فإن شئت فاكتب اليه ليخلي بيننا وبين الميرة ، فما كان من نهر الرحمة وينبوع الحنان الذي يأمر بصلة الأرحام ، مع أنهم أعداؤه ، مع أنهم الذين أساءوا إليهلل نهار - ما كان منه إلا أن يكتب إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين ما يصل إليه من ميرة ففعل ثمامة ليعلم القرشيون قدر ومكانة رسول الله .

وهذا ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أبي - رضوان الله عليه - لما قال رأس النفاق أبوه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل فلما سمع ولده عبد الله بذلك ذهب إلى النبي فقال له المصطفي : ((أَوْ مَا سَمِعْتَ مَا قَالَهُ أَبُوكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ)) قال : وماذا قال أبي بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : ((قَالَ لِيْن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)) فقال عبد الله بن عبد الله بن أبي : صدق والله أبي فأنت الأعرز وهو الأذل ، ثم قال : يا رسول الله و الله لتري ما تقر به عينك ، فانطلق عبد الله ووقف لأبيه بالسيف على باب داره فقال عبد الله لأبيه : والله لا بأويك ظلها (يعني المدينة) ولا تبيتن الليلة في بيتك إلا بأذن من الله ورسوله لتعلم من الأعرز ومن الأذل ، إنه الولاء لله والرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .. إنه البراء ، إنها المفاصلة الحاسمة .

دروس غالية يجب أن نقف أمامها طويلاً ، فإن سيرة النبي حافلة بالدروس والعبر لكننا بكل أسف أصبحنا نتعامل - إلا من رحم الله - مع سيرة النبي لمجرد الثقافة الذهنية الباردة ، أو لمجرد الاستمتاع السالب ، أو لمجرد الدراسة النظرية .. والله ما أرسل الله نبيه وما جعل الله حياة النبي ، وسيرة النبي ، وسنة النبي ماضياً فحسب ، بل يجب أن تكون سيرته شعلة توقد شمس الحياة ودماء تتدفق في عروق مستقبلنا وأجيالنا .

هذه السيرة ليست للدراسة النظرية ، بل لنحولها في حياتنا إلي واقع حياة .. وإلى منهج علمي .. يتألق سمواً ، وروعة .

فلنتعلم هذا الرفق .. وهذه الرحمة .. وهذه الأخلاق .. وصدق ربي إذ يقول : وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصلت:35-34] .

وصدق المصطفي إذ يقول كما في صحيح مسلم ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)) (1) وفي صحيح مسلم من حديث عائشة ((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)) (2) .

تدبروا هذا الدرس الذي رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي يقول : بينما أنا أصلي مع رسول الله إذ عطس رجلٌ من القوم (أى في الصلاة) فقلت يرحمك الله .

(أى وهو في الصلاة) يقول : فرماني القوم بأبصارهم فقلت وَانْكُلْ أَمِيَاهُ ! ما شأنكم تنظرون إليّ ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصَمِّتُونِي لَكِنِّي سَكَتُ ، فلما صلى رسول الله فبأبي هو أمي ! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن منه تعليماً ، فوالله ما كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي وَإِنَّمَا قَالَ ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)) (1).

هل هذه الدروس لمجرد الاستماع السالب؟! أم لتحول الأمة هذه الأخلاق وهذه الدروس في بيوتها ، وأماكن عملها ، وحياتها وواقعها إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة؟! ورسول الله هو أسوتنا وقودتنا. قال تعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب:21].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وانس رضي الله عنهما : بينما نحن في المسجد مع رسول الله إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب النبي مه مه (يعني ماذا تصنع) فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((لَا تَزْرُمُوهُ دَعْوَةٌ)) (تقطعوا عليه بولته) فتركوه حتى بال ، ثم نادى عليه نهر الرحمة وينبوع الحنان ومعلم الحكمة نادى عليه بأبي هو وأمي وقال له : ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدْرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)) (2) وفي رواية ابن ماجه بسند صححه شيخنا الألباني - رحمه الله - إن هذا الأعرابي أصبح فقيها بعد هذه الكلمات فقال بأبي هو وأمي قال إلي ، ولم يؤنب ، ولم يسب ، ولم يضرب.

ثم انفعّل هذا الأعرابي بأخلاق الحبيب النبي فقام يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة كما في رواية البخاري (3) في كتاب الأدب من حديث أبي هريرة أنه قال: اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا ! أحد فلما سلم النبي قال للأعرابي : ((لَقَدْ حَجَرْتِ وَأَسَعَا)) لماذا ضيقت ما وسع الله جل و علا -يريد رحمة الله - فالله سبحانه يقول: . وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ . [الأعراف: 156].

وتدبروا أيضاً هذا الحديث الذي رواه البخاري و مسلم و أحمد من حديث أنس أن النبي لما فتح حنين فقسم في المهاجرين و الطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فغضب الأنصار الأطهار الأبرار وقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا وسؤوفنا تقطر من دمائهم . قال أنس : فحدث رسول الله بمقاتلتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم ، ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال النبي فقال ((مَا حَدِيثٌ بَلَّغَنِي عَنْكُمْ)) فقال له فقهاء الأنصار: أما ذؤو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناسٌ منا حديثه أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا وسؤوفنا تقطر منه دمائهم . فقال النبي ((فَأَيُّي أُعْطِيَ رَجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ رِحَالِكُمْ))

بِرَسُولِ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ لَمَا تَتَّقِلُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ)) (1) وفي رواية ابن اسحق بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن الأنصار قال قائلهم : و الله لقد لقي رسول الله قومه (أي لما لقي رسول الله قومه من قريش أعطاهم ونسبنا) فلما سمع ذلك سعد بن عبادة انطلق إلى النبي فاخبره بما قال الأنصار فقال النبي المختار :

اجمع لي الأنصار يا سعد ، فانطلق سعد فجمع الأنصار فخرج النبي إليهم فحمد الله و
أنتي عليه ثم قال : ((يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أُجِدْكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي ؟ ، وَعَالَةً
فَأَغَاكُمْ اللَّهُ بِي ؟ ، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِي ؟)) فسكت الأنصار ، فقال المصطفي :
((أَلَا تُحِبُّونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ)) فقالوا : الله ورسول أمن . فقال المصطفي : ((لَوْ
شِئْتُمْ لَفُتْنْتُمْ فَصَدَقْتُمْ ، لَفُتْنْتُمْ جِنْتَنَا طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَوَاسَيْنَاكَ ، وَخَائِفًا فَأَمْنَاكَ ،
وَمَخْذُولًا فَفَنَصَرْنَاكَ)) فقال الأنصار : المن لله ولرسوله ، فالتفت المصطفي إليهم
وقال بلغة الإحسان و الرفق والرحمة والحنان ، قال المصطفي : ((وَجَدْتُمْ فِي
أَنْفُسِكُمْ فِي لِعَاةٍ (أى في أمر تافه من الدنيا) فَأَلْفَتْ بِهَا قُلُوبَ قَوْمٍ أَسْلَمُوا حَدِيثًا ،
وَوَكَّلْتُمْ إِلَيَّ إِيْمَانَكُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجَعَ النَّاسُ
إِلَى رِحَالِهِمْ بِالشَّاهِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ)) ثم التفت إليهم مرة
أخري وقال : ((يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شِعْبًا أَسَلَكَتُ
شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ لَا الْهَجْرَةَ لَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ)) ثم رفع يديه وقال : ((اللَّهُمَّ
ارْحَمْ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)) فبكي الأنصار حتى
اخضلت لحاهم من البكاء أمام هذا الإحسان والرفق ، وحسن التصرف ، و المعاملة .
وأختم هذه الدروس بدرس جميل آخر رواه الطبراني (1) من حديث عبد الله ابن سلام
بسند رجاله ثقات أن حبر اليهود زيد بن السعنة قال : و الله ما من شيء من علامات
النبوة إلا وقد عرفته في وجه النبي حين نظرت إليه إلا اثنين لم أعرفهما فيه الأولى :
يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلاًماً .

يقول : فانطلقت يوماً فرأيت النبي وقد أقبل عليه رجل يركب راحته و هو يقول : يا
رسول الله إن قومي من قرية كذا أو من بنى فلان فى قرية كذا كانوا قد دخلوا الإسلام
فكنت وعدتهم أنهم إن دخلوا الإسلام أن يأتيهم الرزق رغداً ، وقد أصابهم اليوم شدة
فاخشى أن يخرجوا من الإسلام طردا كما دخلوا الإسلام طمعاً فأن رأيت أن نرسل
إليهم بشى من المال لتغنيهم به فعلت وجزاك الله خيراً فالتفت النبي إلى علي بن أبى
طالب وكأنه يريد أن يسأل هل عندنا من المال شي ؟!! يقول زيد بن سعنة : فأقبلت
على محمد وقلت يا محمد هل تبيعني تمر حائط بنى فلان إلى أجل معلوم؟ فقال النبي
: ((نَعَمْ لَكِنْ لَا تُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فَلَانَ)) فقال زيد ابن سعنة : قبلت . يقول زيد
فأعطيت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين مثقالاً من ذهب فدفعها كلها إلى الرجل و
قال : ((أَغِثْ بِهَذَا أَمَالَ قَوْمِكَ)) يقول زيد : وقبل أن يحل وقت السداد رأيت محمداً
في نفر من أصحابه ، بعد أن صلى على جنازة رجل من الأنصار ، يجلس إلى جوار
جدار ، فأقبلت عليه ، وأخذت النبي صلى الله عليه وسلم من مجامع ثوبه و قلت له
:أدى ما عليك من دين يا محمد فوالله ما علمتكم يا بنى عبد المطلب إلا مُطْلاً !!
فالتفت عمر إلى هذا الحبر اليهودي – وهو لا يعرفه – وقال : يا عدو الله تقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ، وتفعل برسول الله ما أرى ، والله لولا أنى
أحذر غضبه لضربت رأسك بسيفي هذا !! فالتفت النبي إلى عمر وزيد بن سعنة
يراقب وجه النبي ، و يراقب كلمات النبي ، ويريد أن يسمع ماذا سيقول رسول الله
فى هذا الموقف الرهيب العصيب ، فالتفت النبي إلى عمر وقال : ((أَنَا وَهُوَ يَا عَمْرُ
كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحَسَنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرُهُ بِحَسَنِ النَّقَاضِي ،

أَذْهَبَ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ جَزَاءَ مَا رَوَّعْتَهُ)) . يقول زيد : فأخذني عمر فأعطني حقي وزادني عشرين صاعاً من التمر . فقلت له : ما هذه الزيادة . قال : أمرني رسول الله أن أزيدكها جزاء ما روعتك . فقال زيد بن سعة : ألا تعرفني يا عمر . قال : لا قال : أنا عمرو بن سعة قال عمر : حبر اليهود . قال : نعم . قال عمر : فما الذي حملك على أن تفعل برسول الله ما فعلت؟! قال زيد : يا عمر والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفها ، فيه الأولى : يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلاًماً أما وقد عرفهما اليوم فإنني أشهدك أنني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً و بمحمد نبياً ورسولاً وعاد حبر اليهود مع عمر بن الخطاب إلى المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وشهد مع رسول الله بعد ذلك كل المشاهد والغزوات وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر .

أيها المسلمون : أيها الأحبة الكرام . ألم أقل لحضراتكم أن الإحسان إلى الناس يحول البغض في القلوب إلى حب؟! ليت الأمة تعي هذا الدرس بحكامها ، وعلمائها ، وشبابها ، ونسائها . ليت الأمة تعود إلى سيرة النبي لتحول هذه السيرة العطرة والأخلاق الذكية في حياتها إلى واقع عملي وإلي منهج الحياة . فوالله ! ما تعلقت القلوب برسول الله إلا لهذه الأخلاق السامية .

لقد كرم النبي أعداؤه قبل أصحابه وأصدقائه . شهد الأعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم علي الأقل بينهم وبين أنفسهم بالصدق ، والنبل ، والرجولة ، والأخلاق ، والحق ما شهدت به الأعداء . لقد قال عروة بن مسعود الذي ذهب ليفاوض النبي في الحديبية - كما جاء في البخاري (1) جعل يرمق أصحاب النبي بعينه فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ! والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت علي قيصر ، وكسري ، والنجاشي ، فوالله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما رأيت أصحاب محمد يعظمون محمداً ، والله ما تتخم نخامة إلا ووقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ! وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه ! وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له !!

إن الأمة الآن تتعامل مع هذه السيرة كما ذكرنا تعاملًا نظرياً ، تعاملًا ذهنيًا .. تستمتع بالسيرة استمتاعاً سالباً !! بل يجب أن تكون سيرته شعلة توقد لنا شمس الحياة ، يجب أن تكون سيرته دماءً تتدفق في عروق أجيالنا مستقبلاً لنحول هذه السيرة في حياتنا إلى عملي ، وإلى منهج حياة ، وهذا هو عنصرنا الثالث من هذا اللقاء .

وأرجي الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
الخطبة الثانية .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد رسول الله .
أما بعد :

ثالثاً : عودة واجبة إلى الله جل وعلا و إلى سيرة و حياة المصطفى .

أيها المسلمون : قد يكون من اليسير جداً أن نقدم منهجاً نظرياً في التربية والأخلاق ولكن هذا المنهج النظري سيظل حبراً علي ورق مالم يتحول في حياة الناس إلى واقع عملي ، ومنهج حياة ، بل قد لا يساوي قيمة المداد الذي كتب به ما لم يتألق في دنيا الناس سمواً وروعةً وجمالاً ، ولقد نجح النبي في أن يجعل من الأعراب ومن العرب المنبوذين في أرض الجزيرة الذين لا ذكر لهم ولا وزن قبل الإسلام ، استطاع النبي أن يجعل من هؤلاء الحفاة العراة جيلاً قرانياً فريداً لم ولن تعرف البشرية له مثيلاً على الإطلاق وذلك يوم أن نجح المصطفى في أن يطبع آلاف النسخ من المنهج التربوي الإسلامي ولكن لم يطبع هذه النسخ بالحبر على صحائف الورق وإنما طبعها على صحائف القلوب بمداد من النور ، فحول أصحاب النبي هذا المنهج النظري في التربية و الأخلاق إلى واقع عملي يتألق عظمة وروعة في دنيا الناس فرأت البشرية كلها نبيلهم وصدقهم ، فرأت منهج الله يمشي على قدمين في دنيا الناس كما قالت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنَ)) (1) كان النبي قرآناً متحركاً في دنيا الناس ، و كذلك : كان أصحاب النبي يمثلون أمر الله ورسوله .. ويحتنبون نهي الله ورسوله .. ويقفون عند حدود الله جل وعلا الذي يعلمهم إياهم رسول الله .

ووالله لن نكون من أتباع النبي حقاً إلا إذا عدنا فسرنا علي هذا الطريق من جديد .. فلنتظر كل نفس تدعي الإيمان بالله ورسوله .. وتدعي الحب لله ولرسوله أين هو من حقيقة الإيمان وحقيقة المحبة وصدق الاتباع ؟!

فالعودة إلى الله ورسوله ليست نافلة ، ولا تطوعاً ، ولا اختياراً ، بل هي عودة واجبة ، بل إننا أمام شرط الإسلام وحد الإيمان إما إيمان باتباع المصطفى والسير على طريقته ، وإما كفر بالانحراف عن منهج الله وعن طريق رسول الله قال تعالى : **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** [النساء:65]

قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين : **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** [النور:52،51] .

وقال في حق المنافقين الذين يسمعون ويعرضون .. ويسمعون وينحرفون .. يسمعون ويهزؤون ويسخرون .. قال الله في حقهم : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً** [النساء:60-61] .

إذا المؤمن هو الذي يسمع للنبي صلى الله عليه وسلم ويطيع ((... فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، مُحَمَّدٌ أَفْرَقُ بَيْنَ النَّاسِ)) (1) فسيرة النبي ليست من أجل الثقافة ، ولا من أجل النظريات و المجادلات و إنما من أجل أن تحوّلها الأمة في حياتها إلى واقع عملي ، و إلى منهج حياة.

لا بد من هذه العودة في هذه الأيام .. لا بد من عودة إلى الله ورسوله فوالله لن تعود الأمة إلى مكانتها إلا إذا عادت إلى المنهج الذي رفعها من أسفل سافلين إلي أعلى عليين .. إلي منهج رب العالمين .. ومنهج سيد المرسلين الأمر جدٌ خطير.

هل تعلم أن مجرد رفع الصوت علي النبي يحبط العمل؟ هل تعلم أن أبا بكر و عمر - رضي الله عنهما - كاد أن يقعا في الهلاك لمجرد أنهما رفعاً أصواتهم فوق صوت النبي؟ أبو بكر وعمر العظيمان في هذه الأمة - بعد نبيهما - تعرضا للهلاك والحديث في صحيح البخاري (1) عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا ، أبا بكر و عمر ، رفعاً أصواتهما في مجلس النبي فقط لما أقبل وفد بني تميم علي الحبيب . قال أبو بكر : أَمِرْ عليهم القعقاع بن معبد يا رسول الله ، فقال عمر : لا بل أمر عليهم الأقرع بن حابس يا رسول الله ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي يا عمر . قال عمر : لا ما أردت خلافاً يا أبا بكر . فقط هذه هي الكلمات بنصها.

هذا هو الحوار ، ما الذي حدث؟ لا شيء إلا أن الصوت قد علا عند النبي المصطفى فنزل القرآن يحذر ونزل القرآن يربي:

قال الله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2] .

أيها المسلمون : إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم يحبط العمل فكيف بتنحيه شرع النبي صلى الله عليه وسلم؟! واتهام شريعته بالجمود ، والقصور ، والرجيعة ، والتخلف؟! وعدم قدرتها على مسايرة مدينة القرن الحادى والعشرين .

من يدعى حب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفد... من هديه فسفاهةٌ وهراء فالحب أول شرطه وفروضه إن كان صدقاً طاعة ووفاء

وأختم بهذه القصة اللطيفة التي طالما ذكرت بها لأبين أين نحن من المحبة الصادقة؟ فلقد جاء تلميذ إلى أستاذه وقال : يا أستاذى علمت أنك ترى رسول الله فى رؤياك . قال : وماذا تريد يا بنى ؟ قال : علمنى كيف أراه فى شوق لرؤياه؟! فقال أستاذه : فأنت مدعو لتناول العشاء معى هذه الليلة لأعلمك بعض ذلك كيف ترى حبيبك رسول الله .

وذهب التلميذ لأستاذه ووضع الأستاذ المربي العشاء بين يدي تلميذه وأكثر فيه الملح ومنع عنه الماء فطلب التلميذ الماء مراراً فأبى عليه أستاذه بل وأصر عليه أن يزيد فى الطعام . فقال له : نم وإن استيقظنا قبل الفجر إن شاء الله تعالى سأعلمك كيف ترى النبي صلى الله عليه وسلم فى رؤياك ، فنام التلميذ يتلوى من شدة العطش ويتألم من الظمأ فلما استيقظا قال له أستاذه : أى بنى قبل أن أعلمك كيف ترى النبي صلى الله عليه وسلم أسألك هل رأيت الليلة شيئاً فى منامك ؟

قال : نعم . قال ماذا ؟ قال : رأيت يا سيدى الأمطار تمطر ، والأنهار تجرى ، وبحار تسير !! فقال أستاذه المربي : نعم يا بنى صدقت نيتك فصدقت فى رؤيتك ، ولو صدقت محبتك لرأيت رسول الله

ما أيسر الإدعاء وما أسهل الزعم ، وما أرخص الكلام ، لكن أين نحن من اتباع حقيقى ؟ أين نحن من عودة صادقة لسيرة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم .

والله ليس لها من دون الله كاشفة ، إلا إذا عادت الأمة مرة أخرى إلى منهج الرب العلى .. وإلى سيرة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم .. لتحول هذه السيرة العطرة ، وهذه الحياة الحافلة في حياتها – من جديد – إلى واقع عملي .. وإلى منهج حياة .
أسأل الله جل وعلا أن يرد الأمة رداً جميلاً .

(1) متفق عليه : رواه البخارى رقم (4372) فى المغازى ، باب وفد بنى حنيفة ، ومسلم رقم (1764) فى الجهاد والسير ، بابا جواز الإغارة على الكفار .
(1) متفق عليه : رواه البخارى (3231) فى بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين ، ومسلم (1795) فى الجهاد والسير ، بابا ما لقى النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين

(1) العهلز : شئ كانوا يأكلونه فى عام المجاعة يخلطون فيه الدم بوبر الإبل ثم يُشوى على النار فيأكلونه إذا اشتد بهم الجوع .
(1) صحيح : رواه مسلم (2593) فى البر والصلة ، باب فضل الرفق .
(2) صحيح : رواه مسلم (2594) فى البر والصلة ، باب فضل الرفق .
(1) صحيح : رواه مسلم (537) فى المساجد ، باب تحريم الكلام فى الصلاة .
(2) رواه البخارى (6025) فى الأدب ، باب الرفق فى الأمر كله ، ومسلم (285) فى الطهارة ، باب وجوب غسل البول .

(3) البخارى (6010) فى الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم .
(1) متفق عليه : رواه البخارى (4331) فى المغازى ، باب غزوة الطائف ، ومسلم (1059) فى الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .
(1) قال الحافظ فى الإصابة : رواه الطبرانى ، والحاكم ، وأبى الشيخ ، وابن سعد وغيرهم ثم قال ورجال إسناده موثقون / وذكره ابن كثير فى البداية وعزاه إلى أبى نعيم فى الدلائل ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (240/8) رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(1) صحيح : البخارى (2731 ، 2732) فى الشروط ، باب الشروط فى الجهاد .
(1) رواه مسلم (746) فى صلاة المسافرين ، باب جامع فى صلاة الليل .
(1) صحيح : البخارى رقم (7281) فى الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله .
(1) صحيح : البخارى (4845) فى التفسير ، باب (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى)

حضارة العبيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

[النساء: 1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 70-71]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أحبتني في الله :

((إنها حضارة العبيد))

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع في هذه الأزمة الحرجة التي تمر بها أمتنا من الأهمية بمكان وسوف ينتظم حديثي مع حضرتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً : كلمات لها مغزى .

ثانياً : حضارة العبيد .

ثالثاً : حضارة الإسلام و الإنسانية الواحدة .

رابعاً : حضارة الإسلام و الأخلاق الفريدة الفذة .

خامساً : حضارة الإسلام و الرفق بالحيوان .

وأخيراً : أمانة أطوق بها الأعناق .

أعزني قلبك وسمعك أيها الأخ المبارك فإن هذا الموضوع في هذا الظرف الحرج من الأهمية بمكان .

أولاً : كلمات لها مغزى :

أستهل بها الحديث عن هذا الموضوع الخطير الهام وأقول لا حاضر لأمة تجهل ماضيها ، ولا مستقبل لأمة تنسى فضائلها ، وإذا كان الوقوف أمام الماضي للبقاء والنحيب عليه ، هو شغل الفارغين العاطلين التافهين !! فإن ازدراء الماضي بكل ما فيه من خير ونور هو شأن الحاقدين والجاهلين !!

ومن السفه أن تنظلي علينا الآن خطط الأعداء الذين حاولوا بكل سبيل أن يحولوا بين أجيال الأمة المعاصرة وبين الماضي المشرق المجيد حتى لا تستمد الأجيال من الماضي المجيد المشرق نوراً يضيء لها طريق المستقبل وشعلة توقد شمس الحياة ، ودماء تتدفق في عروق المستقبل والأجيال .

إن كل أمة من أمم الأرض تعتر بماضيها ، ولو كان أسودَ مظلاماً كظلام الليل ، وتعقد له الاحتفالات بل وتمنح أبناءها في الوظائف الرسمية العطلات والإجازات ، وإن أحق أمم الأرض بهذا الاعتزاز و الافتخار بجداره و اقتدار بل وبشهادة العزيز الغفار هي أمة نبينا المختار ، قال سبحانه و تعالي : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... [آل عمران: 110] .

فكّر جيداً في هذه الكلمات لتعلم أنه من الخطر العظيم أن يحال بين ماضينا المشرق وبين مستقبلنا . أسأل الله أن يجعله مستقبلاً زاهراً للإسلام والمسلمين.

ثانياً : حضارة العبيد :

نعم إنها حضارة العبيد ، إنها الحضارة الخاوية الروح التي يمتطي جوادها الآن الرجل الغربي ، ليسوم البشرية كلها سوء العذاب ، فلقد شهدت البشرية اليوم في ظل حضارة العبيد هذه ما لا يمكن علي الإطلاق أن تجسده كلمات قواميس اللغة!!
فإن البشرية الآن تشهد من صنوف الوحشية والبربرية - في ظل حضارة الرجل الغربي الذي تقدم ليقود العالم كله في ظل تأخر أمة القيادة - ما تخجل الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها في عالم الغابات . ليست مبالغة ، ما عليك إلا أن تنظر إلي الواقع المرير للبشرية المنكوبة التي حادت عن منهج ربها منهج نبيها .
نعم يا أيها المسلمون إننا نقر أنه لا يبد للحضارة من عنصرين ألا وهما : العنصر المادي، والعنصر الأخلاقي .

ونحن لا ننكر ألبنته ما وصلت إليه الحضارة الغربية في عالم المادة ، فليس من الإنصاف ولا من التعقل أن ننكر ذلك بل إننا نثبت ذلك للحضارة الغربية في عالم المادة . نقر بأن الرجل الغربي قد انطلق بعيداً بعيداً في أجواء الفضاء ، وانطلق بعيداً بعيداً في أعماق البحار والمحيطات ، وفجّر الذرة وصنع القنبلة النووية ، وصنّع القنابل الجرثومية ، بل وحوّل العالم كله إلي قرية صغيرة عن طريق هذا التقدم المذهل في عالم الاتصالات والمواصلات.

لا ننكر ذلك أبداً ولا نتجاهل هذا ، ولكننا علي يقين جازم - كذلك - أن الحياة ليست كلها مادة ، وإنما لا يبد وإن استطاع طائر جباراً أن يخلق في أجواء الفضاء بجناح واحد لا يستطيع أن يواصل طيرانه وتحليقه وإنما سيسقط حتماً لينكسر جناحه الآخر ، وإن طالت مدة طيرانه في هذا الفضاء الفسيح . فالحياة ليست كلها مادة ، بل لا يبد للجانب الأخلاقي من تواجد فعال في هذه الحضارة.

إن الحضارة المادية الآن التي وصلت إليها الحضارة الغربية ما استطاعت أن تمنح الإنسان - ابن هذه الحضارة - ما استطاعت أن ترتقي به إلي طهارة إنسانيته أو إلي وضاعة آدميته ، ما استطاعت أن توفر لابن هذه الحضارة راحة البال .. وانسراح الصدر .. وطمأنينة النفس .. كلا ، ما استطاعت أن تمنح الإنسان هذا كله ، بل يقف علماء النفس والطب الآن في حيرة ودهشة أمام هذه الحالات المتزايدة لعدد المصابين بالأمراض النفسية والعصبية ، وأمام هذه الحالات الهائلة للانتحار الجماعي في مثل هذه البلاد المتحضرة التي وصل فيها الإنسان إلي ما وصل إليه في جانب المادة كما تعلمون وكما ترون وكما تسمعون وصدق الله - عز وجل - إذ يقول : وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْأَجْرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى [طه: 124 - 127]

لقد عجزت الحضارة المادية أن ترتقي بإنسانها - ابن هذه الحضارة الخاوية الروح - عجزت أن ترتقي به إلي السعادة .. إلي انسراح الصدر .. إلي راحة الضمير .. إلي طمأنينة النفس وراحة البال .. عجزت لان الروح لا توزن بالجرام ، ولا تقاس بالترموتر ، ولا تخضع للتجارب المعملية في أحد المعامل إنما هذه الروح يعجز أي إنسان علي هذه الأرض أن يقدم لها المنهج الذي يرتقي بها ، وأن يقدم لها المنهج

الذي يغذيها ، إذ لا يستطيع أن يقدم لهذه الروح منهج صلاحها و فلاحها في الدنيا
والآخرة إلا خالق هذه الروح قال جل وعلا : أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
[المك:14]

نعم أيها الأحبة الكرام :

الحضارة الغربية فقدت العنصر الأخلاقي ، ومن المعلوم أن سنة الله في تطوير
الحياة أن الحضارة اللاحقة لا بد أن تتفوق على الحضارة السابقة في الجانب المادي
حتماً ، هذه سنة من سنن الله في تطوير هذه الحياة ، فمن العبث أن نطالب الحضارة
السابقة بما وصلت إليه الحضارة اللاحقة في جانب التطوير المادي.
واضرب لكم مثلاً ليتضح ما أقول انظر الآن إلى الكتابة في الماضي السحيق ثم
انظر الآن إلى الكتابة بعد هذا التطوير المذهل في آلات الكتابة الحديثة التي تطبع
الآن عشرات الآلاف من الكلمات في الدقيقة الواحدة ، فما وصل إليه الغربي الآن
إنما هو محصلة لأدمغة وعقول عشرات الأجيال، لكن محال أن ترتقي حضارة على
ظهر الأرض أو أن تدوم بالعنصر المادي فقط أبداً أبداً ، بل إن الحضارة لا تسود ولا
تبقى إلا بالعنصر الأخلاقي ليحدث التوازن بين هذا العنصر المادي وبين هذا
العنصر الأخلاقي.

هنا .. أرجع البصر مرة ومرة .. وكرة بعد كرة إلى العنصر الأخلاقي في ظل قيادة
الرجل الغربي لتعلم أنها حضارة قد تجردت من الأخلاق ، ولتعلم أنها حضارة العبيد
يسعد فيها ابن الحضارة الكافرة بأن يجلس لا على كرسي بل على عظام أخيه
الإنسان !!! ليسعد فيها ابن هذه الحضارة لا بشرب كأس من الماء البارد وإنما
بشرب برك دماء لإخوانه هنا وهناك !!

انظر لتتعرف علي حقيقة هذه الحضارة ، التي تجردت من كل خلق ومن كل فضيلة.
انظر الآن و راجع البصر إلى ما يجري الآن على أرض البوسنة ، و ارجع البصر
كرة أخرى على ما يجري الآن على أرض الشيشان !! و ارجع البصر كرة ثالثة إلى
ما يجري الآن على أرض فلسطين!! وارجع البصر كرة رابعة إلى ما يجري الآن
علي أرض العراق !! وارجع البصر كرة خامسة إلى ما يجري الآن على أرض
كشمير !! وارجع البصر كرة سادسة وسابعة وعاشرة وألف إلى ما يجري الآن في
كل مكان وُجِدَ فيه الملك جل جلاله !! لتعرف إلى أى درك دني وصلت حضارة
الغرب في جانب الأخلاق !! وإن خرج إلينا ابن هذه الحضارة بهذه الشعارات الرنانة
الجوفاء كحقوق الإنسان والديمقراطية المشؤومة ، وحرية المعتقدات ، والنظام
العالمي ، والسلام العالمي ، إلى آخر هذه الدعاوي الكاذبة التي لم تعد تنطلي الآن إلا
على السذج والرعاع هذه الأفعال البشعة التي تبين بجلاء - لكل ذي لب - حضارة
الغرب في هذه الأيام رغماً عن أنف الدجل الإعلامي والعهر السياسي الذي يتغنى به
قادة الغرب في قاعات المؤتمرات و في المجالس و الهيئات والمنظمات.

يتغنى قادة العالم الغربي بهذه الشعارات والواقع يكذب الدجل الإعلامي ويكذب هذا
العهر السياسي.

ولأبين لحضرتكم قيمة هذه الحضارات التي يتغنى بها أولئك وهؤلاء في كل مناسبة
و بدون مناسبة ففي أربع سنوات فقط قُتِلَ على أرض البوسنة بمنتهى الوحشية

البربرية ما يزيد على نصف مليون في ظل حضارة الرجل الغربي !! اغتصاب جماعي منظم للنساء على أرض البوسنة على مرأى ومسمع من ابن الحضارة الغربية التي يتغنى بها في الليل والنهار !! صرخت المسلمة . صرخت باسم الإنسانية . صرخت في الضمير العالمي كله وقالت:

أنا أيها الناس مسلمة طوى أحلامها الأوباش والفساق
أخذوا صغيري وهو يرفع صوته أمني و في نظراته إشفاق
ولدي وتبلغني بقية صرخة مخنوقة و يقهقه الأفاق
ويجرني وغدً إلى سردابه قهراً وتظلم حولي الأفاق
ويئن في صدري العفاف ويشتكي طهري وتغمض جفنها الأخلاق
أنا لا أريد طعامكم وشرابكم دمي هنا يا مسلمون يراق
عرضي يدنس أين شيمتكم؟ أما فيكم أبيُّ قلبه خفاق
أختاه أمتنا التي تدعونها صارت على درب الخضوع تساق
أودت بها قومية مشئومة وسري بها نحو الضياع رفاق
إن كنت تنتظرينها فسينتهي نفق وتأتي بعده أنفاق
فمدي إلى الرحمن كف تضرع فلسوف يرفع شأنك الخلاق
لا تياسى فأمام قدرة ربنا .. تتضائل الأنساب والأعراق

هذا ما يفعل بالمرأة في ظل الحضارة الغربية !! هذا ما يفعل بالمرأة في ظل النظام العالمي الجديد !! هذا ما يفعل بالمرأة في ظل السلام العالمي !! هذا ما يفعل بالمرأة على مرأى ومسمع من ابن الحضارة التي يتغنى بحضارته الخاوية الكافرة في الليل والنهار !! حتى الأطفال شهدوا - في ظل حضارة الغربيين - ما لا يمكن لمخلوق على ظهر الأرض أن يجسد حتى الأطفال لم يسلموا - في ظل حضارة العبيد التي يمتطي جوادها الآن الرجل الغربي - حتى الطفل يستخدم الآن على أرض البوسنة كدرع بشري !! بمعنى أن يفخخ الأطفال بالألغام يعلنوا في مكبرات الصوت أنهم قد أفرجوا عن مجموعة كبيرة من الأطفال ، فإذا ما وصل الأطفال إلى قواعد البوسنة المسلمة وخرج القادة وخرج الأهل لاستقبال أطفالهم وأبنائهم ، يقوم الصرب عن طريق أجهزة التحكم بعد التي تعرف بالريموت كنترول فيفجر الصرب الألغام في هؤلاء الأطفال المساكين فيقتل الأطفال ويقتل كل من خرج لاستقبالهم!!!

في ظل حضارة الغربي الفاجر ، حتي الطفل لم يسلم !! المرأة لم تسلم !! الشيخ الكبير لم يسلم !! الرضيع الصغير لم يسلم !! بل كانوا يأتون بالأم ويُنزعوا ولدها الرضيع من صدرها !!

بل لقد نشرت وكالات الأنباء بالصور أنهم كانوا يبقرن البطون ويخرجون الأجنة من بطون أمهاتهم !! ينتزع الطفل من صدر أمه وتقيد الأم بالأغلال وبوضع الطفل على النار ليشوى ، والأم تنظر ، فإذا ما انتهى هؤلاء الفجرة من شئيه أجبرت الأم - تحت تهديد الرصاص- أن تأكل من لحم طفلها المشوى ، في ظل الحضارة الغربية يفعل هذا بالأطفال قتلوا أربعين ألف طفل ، وشردوا مائة ألف طفل في مخيمات اللاجئين في زغرب في مقدونيا في ألبانيا في الملاجيء الكنسية في أوروبا كلها ، حتى

الأطفال لم يسلموا في ظل حضارة الغربي أطفالنا . فكر الآن في طفلك ، فكر الآن في ولدك لتشعر بما أقول

أطفالنا ناموا على أحلامهم وعلى لهيب القاذفات أفاقوا
أطفالنا بيعوا وأوربا التي . تشري ففيها راجت الأسواق
أطفالنا بيعوا ، يباع الطفل المسلم الآن في أوربا بمائة دولار فقط !! تشهد أوربا الآن
أبشع تجارة رقيق في التاريخ كله للأطفال ، بل يستخدم الطفل الآن كفأر تجارب في
معامل أمريكا وفي إنجلترا وهولندا ، في هذه الدول التي تتغنى بالحضارة المكذوبة
الكافرة الفاجرة !!!

أين النظام العالمي؟ اما له أثر؟ ألم تتعق به البواق
أين السلام العالمي؟! لقد بدا كذب السلام وزاغت الأحداق
يا مجلس الذي في ظله كسر الأمان و ضيع الميثاق
أو ما يحرك الذي يجرى لنا او ما يثيرك جرحنا الدفاق
يعفى عن الصرب الذين طغوا و أجيروا و يفرد بالعقاب عراق
وحشية يقف الخيال امامها متضائلا وتمجها الذواق ...

إنها ورب الكعبة حضارة العبيد إنها .. حضارة العبيد بكل المقاييس . أين هذه
الحضارة التي يفعل الإنسان في ظلها بأخيه الإنسان ما تستحي الوحوش الضارية أن
تفعله ببعضها البعض في عالم الغابات؟!!

هل نسيتم ما فعله ابن هذه الحضارة بقنبلته النووية في هيروشيما و نجازاكي؟
هل نسيتم ما يفعله ابن هذه الحضارة في أمريكا بالسود الزنوج؟! وليست أحداث
لوس أنجلوس من أحد ببعيد.

هل نسيتم ما يفعله ابن هذه الحضارة في كل مكان بأخيه الإنسان؟!
من أجل ماذا؟ من أجل التطهير العرقي!!
من أجل ماذا؟! من أجل اللون!! من أجل العقيدة!! من أجل الدين!!
هذا ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان في ظل قيادة الرجل الغربي!!

إنها حضارة العبيد ، ولا أريد أن أتوقف طويلاً مع هذا العنصر فإن الجراح دامية ،
ولكن تعال معي لنبين لهؤلاء الذين يخشون الإسلام ، ويخافون الإسلام ، بل ويستحي
أحدهم أن يعلن بأنه مسلم!! أو أن يذكر في مؤتمر من المؤتمرات لفظة إسلام!! أو
آية قرآن أو حديث عن النبي عليه الصلاة و السلام.

وكان الإسلام الآن ما هو إلا دين التطرف و الإرهاب هنا وهناك!! إن حدثت
مصيبة في أى موضع أعجب إذا مرت تلك المصيبة دون أن تنتسب إلى الإسلام
والمسلمين!! كنت أتوقع يوم أن حدثت أحداث لوس أنجلوس في أمريكا أن يقولوا بأن
الذي فجر هذه الأحداث الإرهابيون و المتطرفون!!

كنت أتوقع يوم أن وقع الزلزال في مصر أن يقولوا بأن الذي أحدث الزلزال هم
الإسلاميون الإرهابيون!!

كنت أتوقع إذا حدثت أي مصيبة - ولا زلت - أن تلصق هذه المصيبة و التهمة
بالإسلام بالإرهابيين بالمتطرفين!!

وإذا أردت أن تتحقق من صدق ذلك فما عليك إلا أن تجلس أمام مسلسل من المسلسلات التي يعزف على وترها إعلامنا الوقور .. الحبي .. الذي يحارب التطرف والإرهاب من أجل ذلك فهو يسخر لا بالمتطرف والمتطرفين ولا بالإرهاب والإرهابيين وإنما بسنة سيد النبي !! وأنتم جميعاً تشاهدون و تسمعون وتقرءون !! إنه الواقع المر الأليم !!

انظروا يا من تخشون الإسلام ، والله لو علمتم عظمة الإسلام ، والله لو علمتم حقيقة الإسلام ، والله لو علمتم عدالة الإسلام لمنحتم الدعاة الصادقين الجوائز والمكافآت لينطلقوا ليعلموا الناس جميعاً في الشرق والغرب – بعد بلاد المسلمين – حقيقة هذا الدين .

ثالثاً : حضارة الإسلام والإنسانية الواحدة .

إنها حضارة الإسلام أيها المسلمون .. الإسلام الذي جاء ليجمع الناس جميعاً سواسية بين يدي الله وجل ، لا عصبية لراية ، لا عصبية للون ، لا عصبية لجنس ، لا عصبية لوطن . جاء الإسلام ليجمع الناس جميعاً بين يدي الله - عز وجل - سواء . فمنذ اللحظات الأولى رفع الإسلام هذا الشعار للإنسانية الواحدة بقوله جل و علا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... [الحجرات:13]

الله اكبر !! منذ اللحظات الأولى ، يؤصل الإسلام هذا الأصل العظيم .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه قال : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)) (1) .

بل وفي الحديث الذي رواه احمد بسند صحيح و البيهقي في سننه من حديث جابر بن عبد الله أنه قال : خطبنا رسول الله في وسط أيام التشريق خطبة الوداع قال : ((أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَأَفْضَلُ لِعَرَبِي عَلَىٰ أَعْجَمِي ، وَلَا لِعَجْمِي عَلَىٰ عَرَبِي ، وَلَا أَسْوَدٌ عَلَىٰ أَحْمَرَ ، وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ)) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

هذا هو الإسلام الذي يؤصل الإنسانية الواحدة ، لا فرق بين لون و لون .. و جنس و جنس .. و أرض و أرض .. إلا بالتقوى والعمل الصالح إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

وفي يوم فتح مكة وقف المصطفى ليؤصل هذا الأصل كما في الحديث الذي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة و قال : حديث حسن ورواه الترمذي كذلك من حديث عبد الله بن عمر و قال حديث حسن غريب ، وهذا لفظ حديث أبي هريرة أنه وقف يوم فتح مكة وقال : ((أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها ألا إن أباكم واحد وإن آدم من تراب)) ثم قال : ((فالناس رجالان . رجل بر تقي كريم على الله ، ورجل فاجر شقى هين على الله)) وتلى النبي صلى الله عليه وسلم قول الله - عز وجل - : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات:13] .

جاء الإسلام أيها المسلمون ليسوى بين بلال الحبشى ، وأبى ذر الغفارى ، ومعاذ الأنصارى ، وصهيب الرومى ، سلمان الفارسى ، وحمزة القرشى ، بل لما افتخر هؤلاء بأنسابهم قال سلمان :

أبى الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقبس أو تميم فلما سمعها عمر بكى وقام لينشد بيت سليمان وهو يقول :

أبى الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقبس أو تميم فلقد رفع الإسلام سلمان فارس ووضع الكفر الشريف أباً لهب.

و السؤال الآن - وأعرني قلبك و سمعك لهذا السؤال - هل ظلت هذه المبادئ الإنسانية التي جاء بها الإسلام ؟ هل ظلت حبراً على ورق في أدراج حبيسة كميثاق حقوق الإنسان في هيئة الأمم ؟ هل ظلت حبيسة في البلد الذي نادى أول مرة بهذه المبادئ في المدينة المنورة كما حبست فرنسا مبادئ الثورة الحرة - كما زعمت - عن مستعمراتها وبلدانها ورعاياها أو هل ظلت هذه المبادئ وقامت هذه الحضارة الإسلامية لتجسد هذه المبادئ بتمثيل وأصنام كاذبة فارغة؟! كما فعلت أمريكا بتتصيب تمثال الحرية في وسط ميدان فسيح في نيويورك يصدم الداخل للمدينة أول مرة ثم خرجت أمريكا نفسها خارج أرضها لتعلن الحرية و لتسحق الأحرار الشرفاء الأبطال الأبرار!! هل فعلت حضارة الإسلام هذا ؟ لا والله .. اقرءوا التاريخ ، وشهادة التاريخ أصدق شهادة ، ما فعل الإسلام ليحول هذه المبادئ إلي منهج حياة وإلى واقع يسمع و يرى في دنيا الناس!!

ولنسهل الأدلة العلمية برائد حضارتنا وأسوتنا وقدوتنا المتجددة على مر الأجيال والقرون ، فمحمد الذي حول هذه المبادئ والمواثيق الشريفة - التي نادى بها - على أرض الواقع إلي منهج حياة ، يشرف ، ويتألق روعة وسمواً وجلالاً.

في الصحيحين : أن امرأة شريفة من الأشراف من بني مخزوم سرقت ، فغضبت قريش وحزنت أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم سوف يقيم عليها الحد ويقطع يديها ، فقالوا : لا ، لا بد أن يشفع أحد عند رسول الله حتى لا تقطع يدها فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ، فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟)) وأرتقى النبي المنبر وهو غاضب وقال : ((أيها الناس! فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) (1) إنه التطبيق العلمي للمساواة ، للمساواة الإنسانية الواحدة.

وهذا أبو ذر الغفاري ، رجل من غفار أبيض اللون ، وهذا بلال حبشي رجل من الحبشة أسمر اللون وكلاهما من أصحاب رسول الله الأخيار فدار بينهما خلاف واحتد الخلاف فنظر أبو ذر لبلال وقال له : يا ابن السوداء ، فغضب بلال وأخذها وأطلق إلى سيد الرجال فأخبره بما قال أبو ذر ، فغضب النبي غضباً شديداً والتفت إلى أبو ذر وقال ((يا أبا ذر أعيرته بأيمه إنك امرؤ فيك جاهلية)) (2) فندم أبو ذر و بكى.

وأنظر إلى هذا الأفق الوضئ والى هذه القمة السامقة التي جسدت هذا الندم حينما وضع أبو ذر خده على الأرض و استحلف بلالاً أن يطأ بنعله على خده الآخر ، إنه الإسلام.

واسمحوا لي بأن أذكر أيضا بهذا المشهد الواحد و تمنيت أن لو سمعه كل زعماء الغرب ، إنه عمر ، وما أدراك ما عمر؟! عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الذي رأى قافلة تدنوا من المدينة في الليل ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : يا عبد الرحمن هل لك في أجر الليلة؟ قال ماذا تريد يا أمير المؤمنين؟ قال : تعال بنا لنحرس هذه القافلة تلك الليلة!!

فليسمع العالم كله ، ولتسمع الحضارة الغربية الكاذبة، عن هذه النزعة الإنسانية الفريدة، ويقوم عمر وعبد الرحمن بن عوف يصليان ويحرسان ، وفجأه سمع عمر بكاء صبي في القافلة ، فدنا عمر من صوت بكاء الصبي ، ثم نادى على أم الصبي وقال : أتق الله وأحسني إلى صبيك.

طفل يبكي يحرك قلب الحاكم، طفل يبكي مع أمه! مع أقرب الناس إليه! فيتحرك له قلب الحاكم ! قلب أمير المؤمنين ! قلب حاكم الدولة يتحرك لبكاء طفل بين أحضان أمه ، لا أقول بين أحضان القنابل والطائرات والدبابات والرشاشات بين أحضان أمه ! فيقترب عمر ويقول : أتق الله وأحسني إلى صبيك ، ثم ينصرف لصلاته ، وبعد فترة يسمع بكاء الصبي فيرجع إلى المرأة ويقول : اتق الله وأحسني إلى صبيك ، فإني أراك أم سوء فقالت : يا عبد الله لقد أبرمتني منذ الليلة ((تعني : لقد أزعجتني - وهي لا تعرف من تخاطب ثم- قالت: إني أكره ولدي على الفطام كرهاً ، فقال عمر : لم تستعجليه ؟ فقالت : لأن عمر بن الخطاب لا يبرم عطاءً إلا للفطيم ،فبكى عمر وانخل قلبه لهذه الكلمة ، و عاد يجر ثوبه يبكي- ، يقول عبد الرحمن بن عوف : ما عرف الناس قراءته في صلاة الفجر من شدة بكائه ، الله أكبر !! ، و بعدما سلّم و أنتهي من صلاته قبض لحيته وبكى و قال : ويل لعمر.. يا بؤساً لعمر.. كم قتلت يا عمر من أطفال المسلمين؟! فلنتسمع الدنيا ، فليسمع قادة الغرب وليسمع قادة المسلمين ، كم قتلت يا عمر من أطفال المسلمين؟!.. الله أكبر ، ثم يأمر عمر بن الخطاب أن يمشي بين الناس و يقول : لا تستعجلوا صبيانكم في الفطام فإننا نبرم العطاء لكل من ولد في الإسلام منذ أول يوم إنها عظمة الإسلام .. أنها الإنسانية الفذة يا عباد الله .. أنها صورة سامقة .. مهما أوتيت من البلاغة والفصاحة فلم استطع ولن أستطيع أن أجسد لحضراتكم هذه النزعة الإنسانية التي جاء بها الإسلام ، والتي أصّل قواعدها وأسس بنيانها محمد عليه الصلاة والسلام ، وأكتفى بهذا القدر لأعرج على بقية العناصر في عجالة سريعة بعد جلسة الاستراحة ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فيا أيها الأحبة : رابعاً: الحضارة الإسلامية والتزعة الأخلاقية :

ستعجب إذا قلت لك أيها الحبيب : بأن الإسلام كان فريداً في أخلاقه حتى على أرض المعارك وفي ميادين الحروب ، مع أن رؤية الدم تثير الدم ، ومع أن القتال يثير الحمية في النفوس والانتقام ، وبالرغم من ذلك له أقول : إن الإسلام كان فريداً في أخلاقه حتى في ميادين القتال والحروب ، الله أكبر ! يغضب النبي صلى الله عليه وسلم حينما يرى امرأة قد قتلت في الميدان ، ويأمر الصحابة ألا يفعلوا ذلك ، ويأمر الصديق جيش أسامة ويقول : لا تقتلوا شيخاً ، ولا امرأة ، ولا رجلاً تفرغ للعبادة في صومعته ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا بقرة إلا للأكل ، هذه مثلُ الإسلام حتى في عالم الحروب والمعارك ، بل ولا يعلم التاريخ أحداً فعلَ به من الأذى والأضطهاد مثل ما فعلَ بنينا : وأذى في مكة ، ووضع التراب على رأسه ، ووضعت النجاسة على ظهره ، خنق حتى كادت أنفاسه أن تخرج ، وطرد من بلده ، وحرّم من بيته وماله ، وأوذى أصحابه أشد الإيذاء وبالرغم من ذلك لما ترك وطنه وبلده وهاجر إلى المدينة ما تركه المشركون حتى في المدينة بل جردوا عليه السيوف ، ولما عاد النبي صلى الله عليه وسلم منتصراً في يوم فتح مكة وقف أهل مكة جميعاً بين يديه قال لهم صاحب الخلق : ((مَا تَظُنُّونَ أَيُّ قَاعِلٍ بِكُمْ)) قالوا : أخ كريم وأبن أخ كريم ، فقال : ((أَقُولُ لَكُمْ مَا قَالَهُ أَخِي يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ : لَا تَتْرِبَبَ عَلَيَّكُمْ الْيَوْمَ ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ)) (1) وللأمانة العلمية أقول : إن هذا الحديث سنده ضعيف ، سبحان الله ! حتى في هذه الأوقات الحرجة انظروا إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، عاد من الطائف بعد أن رُمِيَ بالحجارة وطُردَ وَفَعَلَ به أهل الطائف أبشع ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان ، وقيل له : ادعُ على المشركين يا رسول الله : فماذا قال صاحب الخلق حتى في هذه الأوقات التي قد يميل القلب فيها إلى التشفي والانتقام إذ أن الإنسان يشعر بالظلم ، وبالرغم من ذلك يقول : ((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) (2)

وطبق صحابته الكرام هذه المبادئ أعظم تطبيق شهدته الأرض وعرفه التاريخ ، الله أكبر ! انظروا ماذا فعل المسلمون يوم أن امتدت الفتوح الإسلامية إلى بلاد سمرقند في عهد عمر بن عبد العزيز ، وأرسل حاكم سمرقند رسالة إلى قاضي القضاة يخبره بأن الفتح الإسلامي لسمرقند فتح باطل ، لأنهم دخلوا عليهم عنوة ، ولم يفرضوا عليهم جزية ، ولم يندروهم بالقتال ، وأرسل قاض قضاة إلى عمر بن عبد العزيز ليخبره بذلك ، فما كان من عمر إلا أن أمر قائد الجيوش في سمرقند بالانسحاب فوراً ، ولما علم أهل سمرقند أن الجيش قد انسحب بأمر أمير المؤمنين عمر خرج أهل سمرقند عن بكرة أبيهم بين يدي الجيش الفاتح المنتصر ليعلنوا جميعاً شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

إن تاريخ الحروب الإسلامية تاريخ مشرق فليقرأ التاريخ وليقف الناس جميعاً أمام عبر هذا التاريخ ، وأنتم تعلمون ما فعله صلاح الدين بالصليبيين ، أتعلمون أنه قدّم طبيبه الخاص في أرض المعركة ليعالج قائد الحملة الصليبية حين وصل إلى علمه أنه مريض ولا يوجد من يبذل له الدواء والعلاج ؟!! أي أخلاق هذه أخوة الإسلام ؟!!

ولما صرخت امرأة نصرانية ورمت بنفسها على خيمة صلاح الدين فى الليل وسألها ما الخبر؟ فأخبرته أن أحد أفراد الجيش الإسلامى قد أخذ ولدها ، فأمر صلاح الدين أن يرد الجيش بأى سبيل هذا الطفل ، ولم يهدأ حتى اطمأن بنفسه أن المرأة قد رُدَّ إليها طفلها .

وتعلمون ما فعله محمد الفاتح بالنصارى الصليبيين فى كنيسة آل صوفيا حينما فتح القسطنطينية ، فعل ما سيقف أمامه التاريخ وقفة إعزاز وإجلال وإكبار ، فاقروا التاريخ فإن الوقت لا يتسع لما فعله هؤلاء الأبطال الأبرار حتى فى المعارك والحروب والميادين ، فالإسلام ضرب أروع الأمثال حتى فى أرض المعارك التى تثير فيها رؤية الدم الدماء ، وينتشى القادة الفاتحون بسكرة النصر للنتشى والانتقام ، ولكنه لم يحدث فى ظل حضارة الإسلام التى أسس أصولها وأسس بنيانها محمد .

وأخيراً أيها الأحبة أقول : حضارة الإسلام والرفق بالحيوان :

إن الإسلام هو الذى أصّل أصول الرفق بالحيوان .. قبل أن تتغنى أوروبا وأمريكا بجمعية الرفق بالحيوان ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((دَخَلْتُ امْرَأَةً النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ)) (1)

هذا هو الإسلام قبل أن تتغنى أمريكا وأوروبا بالرفق بالحيوان ، بل وفى الصحيح ((أَنَّ بَغِيًّا - امرأة زانية - مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَرَّتْ عَلَى كَلْبٍ يَلْهَثُ الثَّرَى مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ مَوْقَهَا - حُقَّهَا - وَمَلَأَتْهُ مَاءً مِنَ الْبَيْرِ فَسَقَّتُهُ فَعَفَرَ اللَّهُ لَهَا بِهِ)) (2) وأنا أقول أيها الأحبة : إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا ، فكيف تصنع الرحمة بمن وحد رب البرايا !!؟

من أجل كلب غفر الله لبغى من بغايا بنى إسرائيل .. هذا هو الإسلام .

وأخيراً أيها الأحبة : ((أمانة أطوق بها الأعناق)) .

حتى لا أطيل عليكم ، أمانة أطوق بها أعناق حكامنا ، وأطوق بها أعناق علمائنا ، وأطوق بها أعناق المسلمين والمسلمات فى كل مكان ، أن يُظهر حكامنا هذا الإسلام وحقيقته بعد محاربتة .. بعدم الصد عن سبيل الله ، وأن يعلنوا للعالم كله - إذا أن اللعبة فى أيديهم فى المقام الأول - أن يبينوا للعالم كله حقيقة الإسلام ، وأنا أتألم أشد الألم حينما أرى حكام المسلمين فى كل مؤتمر من المؤتمرات ، بمناسبة ، وبدون مناسبة ، لا يتكلمون إلا عن التطرف والإرهاب ، إذاً ستوصمون أنتم بذلك ، فدعوكم من هذه النعمة المموجة ، وبينوا للعالم كله حقيقة الإسلام وعظمة الإسلام ، وعدالة الإسلام ، ورحمة الإسلام ، وإن وقع من بعض المسلمين بعض الأخطاء فلا ينبغى أبداً أن نركز المجاهر المكبرة على هذه الأخطاء لنعلق على هذه الشماعة الظلم السياسى والظلم الاجتماعى والاستبداد الأخلاقى ، والفساد الطبقي .

تلك إذاً قسمة ضيزى ، سبحان الله ! هذه الأفعال تمارس فى كل ساعة على خشبة المسرح العالمى ، فأين أنتم من التطرف اليهودى فى فلسطين !!؟ أين أنتم من التطرف الصربى فى البوسنة !!؟ أين أنتم من التطرف الوثنى الشيعى فى الشيشان !!؟ أين أنتم من التطرف البقرى الوثنى فى كشمير !!؟ أين أنتم من التطرف فى طاجكستان ، فى الصومال ، فى كل مكان !!؟ لا ينبغى أن نركز المجاهر المكبرة

على بعض الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الشباب ، وإنما ينبغي أن نفتح صدورنا لهذا الشباب ، وأن يفسح المجال للعلماء المخلصين والدعاة الصادقين ليبيّنوا الحق لهؤلاء الشباب وليأخذوا بأيديهم إلى ما جاء به الإسلام من عظمة ، وخلق ، وعدل ، ورحمة .

وأمانة أطوق بها أعناق العلماء ، يا علماء الأمة : أنتم مشاعل الهدية ، إننا في وقت لا وقت فيه ولا مجال فيه للنفاق ولا للتملق زلا للمداهنة ، ولو دامت الكراسي لأحد ما وصلت إليكم ، إن الكراسي زائلة ، وإن المناصب فانية ، وإن أعظم خدمة الآن تقدمونها لدين الله أن تصدقوا الحكام النصيحة ، أن تبذلوا النصيحة الصادقة بأدب ، نعم بأدب ، نحن لا نخرج عن قواعد الأدب ، بأدب وبإجلال وبتواضع واحترام .

فلا ينبغي أن تجترنا عنتريتنا على المنابر هنا أو هناك لنسفه هذا أو ذلك أبداً ، إنما أقول : نبذل النصيحة لهؤلاء الحكام بأدب وإخلاص وبصدق ، فإن الوقت لا مجال فيه ألبته للتملق ولا للمدارة ولا للمداهنة .

وأنتم أيها المسلمون اشهدوا لهذا الإسلام بسلوككم وبأخلاقكم وبأعمالكم .. كفانا خطباً .. إن الإسلام لن نعيده للأرض بالخطب الرنانة ، ولا بالمواعظ ، إنما أنت أيها المسلم ، وأنت أيتها المسلمة ، تحركوا لهذا الدين ، إنني أكرر وأنادي ، وأصرخ .. حولوا الإسلام أنتم إلى الواقع ، انقلوا الإسلام من المساجد إلى كل أمور الحياة ليرى العالم كله كيف أن المسلمين قد ارتقوا بإسلامهم إذا أن العالم يحكم الآن على الإسلام من خلال واقعكم أنتم أيها المسلمون ، فليشهد الطبيب لإسلامه ، وليشهد المهندس لإسلامه ، وليشهد العالم لإسلامه ، وليشهد الموظف لإسلامه ، وليشهد المدرس لإسلامه ، وليشهد المرأة لإسلامها ، كل بعمله ، بأخلاقه ، بسلوكه ، أن نحول الإسلام في حياتنا كلها إلى منهج حياة وإلى واقع يتحرك في دنيا الناس .

(1) صحيح : رواه مسلم (2564) في البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، وأحمد في المسند (285/2 ، 539) .

(1) متفق عليه : رواه البخارى (3475) في أحاديث الأنبياء ، ومسلم رقم (1688) في الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف

(2) متفق عليه : البخارى (30) في الإيمان ، باب المعاصى من أمر الجاهلية ، ومسلم (1661) في الإيمان ، باب إطعام المملوك .

(1) رواه البيهقى في السنن (118/9)

(2) صحيح : رواه مسلم (2599) في البر والصلة ، باب النهى عن لعن الدواب .

(1) متفق عليه : البخارى رقم (3318) في بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق والفضل له ، ومسلم رقم (2242) في السلام ، باب تحريم قتل الهرة .

(2) متفق عليه : البخارى رقم (3467) في أحاديث الأنبياء ، ومسلم رقم (2245) باب السلام ، باب فضل سقى البهائم .

عالمية الإسلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أحبتني في الله

أى يوم هذا الذى نحياه الآن ، أى يوم هذا الذى نعيشه الآن ، إنه يومٌ عظيمٌ كريمٌ على الله جل وعلا ، إنه يوم عرفة فى يوم الجمعة إنه يوم عرفات فى يوم الجمعة ، وفى الصحيحين (1) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً من اليهود جاء عمر وقال : يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا اليوم عيداً فقال عمر بن الخطاب : أى آية ؟ فقال اليهودى : قوله تعالى : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة : 3]

فقال عمر بن الخطاب : والله إنى لأعرف أى يوم نزلت فيه ، والمكان الذى نزلت فيه ، فلقد نزلت هذه الآية على رسول الله وهو واقف بعرفة فى يوم الجمعة.

ففى مثل هذا اليوم أيها الأحباب وقف الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فى وادى عرفات فى يوم الجمعة ونزل عليه قول رب الأرض والسماوات الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فإن دين الإسلام دين أهل السماء .. ودين أهل الأرض .. ودين الجن المؤمن .. ودين جميع الأنبياء ودين جميع المرسلين : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الانبياء : 25]

بل إن الإسلام دين النصارى الذى آمنوا بعبسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قل جلا وعلا فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران : 52]

فإننا اليوم أيها الأحباب فى يوم عرفة وفى يوم الجمعة .. إنه فضل الله جل وعلا يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .. ففى هذا اليوم تتجلى عالمية الإسلام فى عرفات .. هذا أحمر .. وهذا ابيض .. وهذا اسود والكل يقف الآن على عرفات وقد رفعوا أكف الضراعة إلى رب الأرض والسماوات ، هذا يخاطب الله بالعربية .. وذاك يخاطب الله بالباكستانية .. وذاك يخاطب الله بالانكليزية .. وذاك يخاطب الله بالفرنسية .. وسبحان من لا تختلف عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات.

يسمع كل أحد .. ويجيب كل أحد .. ويعرف ما يقوله كل أحد ((... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
أَوْلَكُمْ ، وَأَخْرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنَّتْكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاجِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ
إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)) (1)

سبحان الله الذي لا تختلف عليه اللغات .. ولا تشبته عليه الأصوات.
يقف الجميع الآن لتظهر عالمية الإسلام في عرفات ، لكن الذي يدمى القلب ويؤلم
النفس أن يجتمع المسلمون من كل فج عميق ومن كل حذب وصوب في هذا التجمع
العالمي الكبير ، ثم ينفضون ولا حَزَّوْا ساكناً ، ولا غيروا واقعاً وما وجهوا دفعة ..
ولا حول ولا قوة إلا بالله !!.

هذه دماء المسلمين تنزف بغزارة في كل مكان ، وهاهي برك الدماء وأكوام الأشلاء
تجسد الفجيعة وتحكى المأساة في ألف مليون مسلم

وَأَيْنَ هُمُومًا إِذَا وَعَتْ الْجِرَاحُ
مَا تَمَّ مُعْتَصِمٌ يُغِيثُ مَنْ اسْتَعَاثَ بِهِ وَصَاحُ

يأتى هذا الجمع من كل فج عميق وسرعان ما ينفض وما أثر في شئ وما غير شيئاً ..
وما حرك ساكناً .. وما اهتم العالم كله بهذا التجمع !!! لأنهم يعلمون أن المسلمين

الآن غناء كغناء السيل كما قال الصادق المصدوق : ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ
كَمَا تَتَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا)) قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال :

((بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُتَاءٌ كَغُتَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُُدُورِ عَدُوِّكُمْ
الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ)) قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ . قال :

((حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)) (1)

ولكنه يومٌ تتجلى فيه رحمة الحق جل وعلا على عباده الضعفاء ، فإنه سبحانه الذي
خلقنا .. وإنه يعلم ضعفنا .. ويعلم فقرنا .. ويعلم عجزنا .. ويعلم تقصيرنا فيتجلى
برحمته - جل وعلا - على حجاج بيته الحرام ، الذين تركوا الديار والأهل والأموال
والأوطان وراحوا ليقفوا اليوم على عرفات وقد سُكبت منهم العبرات .. وضجَّت
منهم الأصوات .. وارتفعت لهم الدعوات .. ليتجلى عليهم رب الأرض والسماوات
ويباهى بهم ملائكته.

ففي مسند الإمام أحمد أن رسول الله قال : ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ أَهْلَ
السَّمَاءِ فَيَقُولُ لَهُمْ : جَاؤُونِي شُعْتًا غُبْرًا)) (2). وفي رواية ((مِنْ كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ

يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي ، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي أَشْهَدُكُمْ بِأَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ)) ،
الحديث حسن ، بل ومن علمائنا من قال عنه حديث صحيح متصل الإسناد ((أَشْهَدُكُمْ

بِأَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ)) .

إنه يوم الرحمات أيها الأحباب ، ولذا ورد في صحيح مسلم من حديث عائشة -رضي
الله عنها - أنه قال : ((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمٍ ،
عَرَفَةٌ ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ)) (3).

إنه فضل الله جل وعلا ، ولذا أرى أيها الأحباب أنه في الجفاء إلا نصحب اليوم
حجاج بيت الله الحرام بأنفسنا ، إن لم يكن بأشخاصنا وأجسامنا فتعالوا بنا سريعاً

نطير على جناح السرعة إلى بيت الله الحرام لنتعرف على قصة هذا البيت ، ومن
الذي بناه ، وما الذي جعل القلوب في كل مكان تهوى إليه. استمع أيها الحبيب الكريم

يقول الله جل وعلا : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [آل عمران : 96 ، 97]

أيها الحبيب الكريم : ورد في الصحيحين من حديث أبي ذر أنه سأل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلُ؟ (أى ما هو أول المساجد التي بنيت في هذه الأرض) ، فقال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ)) قال أبو ذر : ثم أيُّ؟ قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى)) قلت (أى أبو ذر) : كم كان بينهما؟ قال الحبيب : ((أَرْبَعُونَ سَنَةً)) ثم قال : ((وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ)) (1) فإن أول بيت بُنِيَ لله في أرضه هو المسجد الحرام.

وقال علمائنا : إن أول من بنى البيت هم الملائكة ، ومنهم من قال : إن أول من بنى البيت هو آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : إن أول من بنى البيت هو إبراهيم عليه السلام.

والراجح : أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان رفعا القواعد من البيت ، فإن قواعد البيت كانت قديمة وجاء إبراهيم وإسماعيل بأمر الله جل وعلا ليرفعا هذه القواعد كما قال ربنا سبحانه : وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [البقرة 127 : 128]

القواعد : يعنى الأساس كان قديماً ، وجاء إبراهيم وإسماعيل فرفعا قواعد البيت بأمر الله جل وعلا ، وفي الحديث الطويل الذى جاء فى البخارى (2) من حديث ابن عباس أنه قال لما جاء إبراهيم بهاجر وإسماعيل عليهما السلام ، ووضعهما عند البيت عند دوحة (شجرة كبيرة) فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحدٌ ، وليس بها ماء فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقاً (أى ولى راجعاً إلى الشام) فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنسٌ ولا شئٌ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : الله الذى أمرك بهذا؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت.

أحبتى فى الله

نريد أن نتعلم اليقين الذى علمته للدنيا كلها هاجر - عليها السلام - وهاجر من هنا خرجت ، فمن مصر خرج اليقين أيها الأحباب ، فنريد أن نعود إلى هذا اليقين وأن نعود إلى هذه الثقة بالله ، وأن نعود إلى هذا التوكل الصادق على الله جل وعلا.

يا عبد الله : أعلم بأن الضرَّ والنَّفْعَ بيد الله ، وأعلم بأن الرزق بيد الله ، وأعلم بأن الأمر كله بيد الله فعليك أن تثق فى الله ، وأن تلجأ إلى الله وحده وأن تستعين بالله وحده ، وأن تفوض أمرك كله لله وحده.

إياك أن تسأل غيره ، أو تذبج لغيره ، أو أن تحلف بغيره ، أو أن تطوف بغير بيته فى مكة ، أو أن تسأل غيره ن أو أن تتوكل على غيره.

يا صاحب الهمَّ أن الهمَّ منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله

إذا بليت فتق بالله وارض به إن الذى يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة ... لا تجزعن فإن الصانع الله ...
قال تعالى : وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
[الأعراف:96]

ولكن شكوا فى قدرة الله ، وما قدروا الله - جل وعلا - حق قدره .
من توكل عليه كفاه ، ومن اعتصم به نجاه ، ومن فوض الأمر إليه هداه
... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ... [الطلاق : 2-3]

قالت هاجر : الله الذى أمرك بهذا ؟ : قال إبراهيم : نعم . قالت هاجر : إذا لا
يضيعنا!!

وانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه
البيت ثم دعا ورفع يديه بهؤلاء الدعوات : رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي
رِزْقٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [إبراهيم : 37]

وجعلت أم إسماعيل ترضع ولدها وتشرب من ذلك الماء الذى كان معها حتى إذا نفذ
ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن
تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت
الوادى تنظر . هل ترى أحداً ، فلم ترى أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن
الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى
ثم أنت المروة ، فقامت عليه ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع
مرات ، قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((فَذَلِكَ سَعَى النَّاسِ
بَيْنَهُمَا)) ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه - تريد نفسها - ثم
تسمعت ، فسمعت أيضاً ، فقالت : قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ ، فإذا هى بالملك
عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوِّضه
وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفورُ بعدما تغرفُ . قال
ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ
زَمْزَمَ)) أو قال: ((لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا)) قال : فشربت
وأرضعت ولدها فقال لها الْمَلِكُ : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيتاً لله بينه هذا
الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله .

قال : ثم لبث عنهم (إى إبراهيم عليه السلام) ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبى نبيلاً
له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ،
والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله قد أمرنى بأمر . قال : فاصنع ما أمرك ربك
 . فيقول إبراهيم : وتعيننى ؟ قال : وأعينك . فقال : إن الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتاً ،
واشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ،
فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا
الحجر فوضعه له فقام عليه ، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . قال : فجعلنا بيننا حتى يدوراً حول البيت وهما يقولان : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

قال العلماء : لما قام إبراهيم عليه السلام على الحجر غاصت قدماه فيه وهذا هو المقام الذي نراه الآن في مواجهة باب الكعبة شرفها الله وقد أثرت فيه أقدام الخليل عليه السلام ، وهذا هو القول الراجح في قوله تعالى : وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فالمقام في اللغة هو موضع الأقدام ، فالمقام هو الذي قام عليه إبراهيم ليعلی البناء فغاصت قدمه عليه السلام فيه ليثبتته الله - جل وعلا - ولما أنهى إبراهيم البناء إلى موضع الحجر الأسود ، فقال : انطلق يا بنى فأبغى حجراً لنكمل البناء ، فانطلق إسماعيل ليأتى بالحجر الأخير ثم عاد فوجد حجراً ليس من جنس حجارة الكعبة فاستغرب وتعجب إسماعيل وقال : يا أبتى من الذى جاءك بهذا الحجر . فقال إبراهيم : جاءنى به من لم يتكل على بنائى وبنائك جاءنى به جبريل من السماء ، وهذا الحديث رواه الإمام الحاكم فى المستدرک وابن أبى شيبه وابن جرير والبيهقى فى الدلائل وحسنه الحافظ ابن حجر .

لما أنهى إبراهيم البناء أمره الله جل وعلا أن يؤذن فى الناس بالحج . فقال إبراهيم ومن الذى يسمع صوتى يا رب . فقال الله جل وعلا : ((أَذَّنْ أَنْتَ وَعَلَيْنَا الْبَلَاغُ)) . فقال إبراهيم : فماذا أقول ؟ فقال الله جل وعلا : ((قل يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا)) يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((فسمعه من بين السماء والأرض ، ألا ترى إلى الناس يجيئون من كل فج عميق يلبنون ويقولون لبيك اللهم لبيك)) ، والحديث رواه الحاكم وابن جرير والبيهقى بأسانيد قوية كما قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وفى كتاب الحج .

وهكذا أيها الأحباب أتم إبراهيم وإسماعيل البناء بأمر الله عز وجل . هذه قصة البيت بإيجاز شديد إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (وبكة هي مكة) ، سميت مكة ببكة لشدة الزحام ، فالبك في اللغة هو الزحام ، وقيل أيضاً : البك هو دك العنق ، فمن قصد مكة بسوء من جبار إلى ودق الله عنقه وكلكم يعلم قصة أصحاب الفيل أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ [الفيل : 1-5]

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا الْبُرْكَةُ هِيَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ ، ولقد أمتن الله على أهل البيت بهذا فقال سبحانه : فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [قريش : 3-4]

مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ (أى فى البيت) من هذه الآيات البينات مقام إبراهيم وقلت لكم بأن مقام إبراهيم هو الحجر الذى وقف عليه ليعلی البناء ، وكان هذا الحجر ملاصقاً لجدار الكعبة إلى عهد عمر بن الخطاب فلما تولى عمر الخلافة أخرج هذا المقام إلى المكان الذى نراه الآن أمام الكعبة حتى لا يعوق الطائفين عن الطواف حول بيت الله الحرام وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (أى ومن دخل هذا البيت كان آمناً) .

قال علماء اللغة : والآية خير بمعنى الأمر (أى ومن دخله فأمنوه) كما فى قوله تعالى : **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** أى لا ترفث ولا تفسق ولا تجادل فى الحج ، ومن العلماء من قال من دخل البيت الحرام على الصفاء كما دخله الأنبياء والأولياء كان أمناً من عذاب رب الأرض والسماء جل وعلا كما فى الحديث الصحيح أنه قال : **((.... وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))** (1) وفى قوله : **((مَن حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))** (2) **الخطبة الثانية :**

الحمد لله رب العالمين وأشهد إلا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد ورسوله
أما بعد فى أيها الأحبة ..

يقول الحق جل وعلا : **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** من من الله عليه بالاستطاعة (أى النفقة) وجب عليه أن يحج وألا يتراخى عن أداء الفريضة ، فإننا نعلم كثيراً من أحبائنا وأخواننا من الله عليهم بالصحة ومن الله عليهم بالمال ، ولكنهم إلى الآن ما فكروا فى حج بيت الله الكبير المتعال!! وفى مسند الإمام أحمد والحديث حسن أنه قال : **((تَعَجَّلُوا الْحَجَّ))** يعنى الفريضة **((فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرَى مَا يُعْرَضُ لَهُ))** (1)

يا من لم تؤد الفريضة قد من الله عليهم بالمال دبر من الآن واعدد النية والعزم من الآن على أن تؤدى حج بيت الله الحرام فإنه ركن من أركان إسلامك ومن أركان دينك والله على الناس حج البيت واللام فى قوله : **وَلِلَّهِ هِيَ لَامُ الْإِلْزَامِ وَالْإِجَابِ** فإن الحج فريضة وركن من أركان الدين. فإن من الله عليك بالمال ولم يمن عليك بالصحة فاستأجر بمالك من يحج عنك بشرط أن يكون هذا الذى ستستأجره قد حج عن نفسه أولاً لأن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يلبى بالحج يقول : **لبيك عن شبرمة**. فقال النبى صلى الله عليه وسلم **صلى الله عليه وسلم : ((مَن شَبْرُمَةٌ ؟))** قال رجل **أحج عنه** . فقال النبى صلى الله عليه وسلم **صلى الله عليه وسلم : ((أَحَجَّجْتَ عَنْ نَفْسِكَ ؟))** قال : **لا قال الحبيب : ((فَحُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شَبْرُمَةٍ))** (2) .

فيا من من الله عليك بالمال وسلب منك الصحة وأستأجر رجلاً حج قبيل ذلك ليؤد عنك الفريضة ولا تسوف ولا تتأخر ولا تتوانى **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** انتبه :

هناك خطأ يقع فيه كثير من الناس - بحسن نية أو بغير ذلك إذ حد الإستطاعة للمرأة مع الزاد والراحلة : **الْمَحْرَمُ** ، والمحرم هو أحد محارمها ، لا بد للمرأة- إذا ما أرادت أن تسافر للحج أو لغيره من محرم يسافر معها، وليس هذا الكلام من عندنا ولكنه كلام من لا ينطق عن الهوى بل لقد ورد فى الصحيحين أن رجلاً جاء إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : **يا رسول الله أنى أكتتبت فى غزوة كذا وكذا (أى خرج غازياً فى سبيل الله فى غزوة من الغزوات)** وامرأتى خرجت لتحج بيت الله الحرام. أتدرون ماذا قال له الحبيب!! **قال الحبيب : ((لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا وَمَعَهَا ذِي مَحْرَمٍ))** (1) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ))** ولم يأذن له أن يخرج للغزو فى سبيل الله.

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَنْ كَفَرَ بِفَرِيضَةِ الْحَجِّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِأَنَّهُ وَاجِبٌ وَبَأَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ
 دِينِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنِ الْعَالَمِينَ ، لَا نَفْعَ الطَّاعَةَ وَلَا تَضْرَهُ الْمَعْصِيَةَ .
 أَيُّهَا الْأَحْبَابُ الْكَرَامَ : إِنَّهَا رَحْلَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ مُبَارَكَةٌ تَغْفِرُ فِيهَا الذُّنُوبَ وَتَمْحَى فِيهَا الْعُيُوبَ
 .. وَتَتَجَلَّى فِيهَا رَحْمَاتٌ عَلَامُ الْغُيُوبِ جَلٌّ وَعَلَا .. وَيَرْجِعُ أَهْلُهَا إِنْ صَدَقُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى رَجَعُوا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَبِدُونَ خَطِيئَةٍ .
 فَيَا مَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ لَا تَبْخُلْ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ الْمَالَ إِلَى زَوَالٍ وَإِنَّ الدُّنْيَا إِلَى فَنَاءٍ ..
 وَإِنْ وَرَثَتِكَ هُمُ الَّذِينَ سَيَنْعَمُونَ بِمَالِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ .. أَمَا أَنْتَ يَا مُسْكِينَ فَسْتَسْأَلُ بَيْنَ يَدَيِ
 اللَّهِ جِلًّا وَعَلَا عَنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ فِي هَذَا الْمَالِ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهِ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقْتَ ؟
 وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ :

النَّفْسُ تَجْرَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً
 ... وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطْغِيهَا
 وَغِنَى النَّفْسِ هُوَ الْكَفَافُ
 ... فَإِنَّ أَبْنْتَ فَجْمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا
 هِيَ الْفَقَاعَةُ فَالزَّمَمَهَا تَكُنْ مَلَكًا
 ... لَوْ لَمْ تَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
 وَأَنْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
 ... هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الْفُطْنِ وَالْكَفَنِ

فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهُ قَالَ : ((يَنْبَغُ الْمَتِّ ثَلَاثَةٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ . يَنْبَغُهُ
 أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ)) (1)
 هُوَ الَّذِي يَنْفَعُكُ أَيُّهَا الْحَبِيبُ وَيَخَاطِبُكَ بِلِسَانِ الْحَالِ رَجَعُوا وَتَرَكَوكَ ، وَفِي التُّرَابِ
 وَضَعُوكَ ، وَلِلْحَسَابِ عَرْضُوكَ ، وَلَوْ ظَلَمُوا مَعَكَ مَا نَفَعُوكَ ، وَلَمْ يَبْقَ لَكَ إِلَّا عَمَلُكَ
 مَعَ رَحْمَةِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ .
 أَسْأَلُ اللَّهَ - جَلًّا وَعَلَا - أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَمِنْ حِجَابِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ صَالِحِ
 الْأَعْمَالِ .

(1) البخاري رقم (44) في الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ومسلم رقم
 (3017) في التفسير .

(1) صحيح : رواه مسلم (2577) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم .
 (1) صحيح : رواه أبو داود (4297) في الملاحم ، باب في تداعي الأمم على
 الإسلام ، وأخرجه أحمد في المسند (278/5) ، وصححه الألباني في الصحيحة
 (958) .

(2) صحيح : أخرجه أحمد في المسند (224/2 ، 305) ، والحاكم في المستدرک
 (465/1) ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(3) صحيح : رواه مسلم (1348) في الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم
 عرفة .

- (1) متفق عليه : رواه البخارى (3425) فى أحاديث الأنبياء ، باب ((ووهبنا لداود سليمان ...)) ومسلم (520) فى المساجد فى فاتحته.
- (2) صحيح : البخارى (3364) فى أحاديث الأنبياء ، باب ((يزفون)) .
- (1) رواه مسلم (1349) فى الحج ، باب فضل الحج والعمرة .
- (2) رواه البخارى (1819) فى المحصر ، باب قوله تعالى : [فَلَا رَفْتًا] ومسلم (1350) فى الحج ، باب فضل الحج والعمرة .
- (1) أخرجه أحمد فى المسند (314/1) ، وفى سنده أبو إسرائيل الملائى واسمه إسماعيل بن خليفة وهو ضعيف ، وضعفه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - فى تعليقه على المسند .
- (2) صحيح : أبو داود (1811) فى الحج ، باب فى الرجل يحج عن غيره ، وابن ماجة رقم (2956) فى المناسك ، باب الحج عن الميت ، وصححه الألبانى فى الإرواء (944).
- (1) متفق عليه : رواه البخارى (3006) فى الجهاد والسير ، باب من اکتتب فى جيش ، ومسلم (1341) فى الحج ، باب سفر المرأة من محرم إلى حج وغيره .
- (1) رواه البخارى (6514) فى الرقاق ، باب سكرات الموت ، ومسلم (2960) فى الزهد والرقائق ، فى فاتحته

الزواج العرفى ؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]
أما بعد .

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .
أحبتي فى الله :

نتحدث اليوم عن ظاهرة خطيرة تنتشر فى مجتمعنا انتشار النار فى الهشيم فإنه لا ينبغى أن يكون العلماء بموضوعاتهم وأطروحاتهم فى جانب وأن تكون الأمة وأن يكون المجتمع بمشاكله وهمومه فى جانب آخر .. نحن اليوم على موعد مع هذه الظاهرة التى تسمى بـ ((الزواج العرفى)) وكما تعودت حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم فى هذا الموضوع الخطير فى العناصر التالية :

أولاً : الزواج آية ربانية ، وسنة نبوية ، ومملكة إيمانية .

ثانياً : الزواج السري باطل .. شرعاً و عرفاً .

ثالثاً : الضحايا يعترفون .. والمأساة مروعة !!

رابعاً : هذه هي الأسباب .. وهذا هو العلاج .

وأخيراً : فهل من توبة !!؟

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون

أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

أولاً : الزواج آية ربانية ، وسنة نبوية ، ومملكة إيمانية :

أحبتني الكرام : إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستنقذها ، وإنما ينظمها ،

ويرفعها عن المستوى الحيواني و البهيمي .. وهذا هو الذي يليق بالإنسان الذي كرمه

الله عز وجل .

قال تعالى : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً [الإسراء: 70].

فالزواج آية من آيات الله ، وسنة من رسول الله ، والإسلام يقيم العلاقة بين الرجل

والمرأة على أساس من المشاعر الطاهرة الرقيقة التي تبني على السكن النفسي

والبدني والمودة والرحمة . قال تعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الروم: 21].

أما بيت الزوجية فمملكة إيمانية . الزوج ملكها ، وربانها ، والمسير لأمرها و

شؤونها ، بما جعل الله له من قوامه في قوله تعالى : الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالزَّوْجَةُ هِيَ الْآخَرَى مَلِكَةٌ

مَتَّوْجَةٌ فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ الْإِيمَانِيَّةِ لِأَنَّهَا شَرِيكَةُ الْحَيَاةِ وَرَفِيقَةُ الدَّرْبِ وَقِرَّةُ الْعَيْنِ ، أما

الرعية في هذه المملكة الطيبة بين هذين الملكين الكريمين ، فهم ثمرة الفؤاد .. ولب

الكبد .. وزهرة الحياة الدنيا .. هم الأولاد قال تعالى : الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

هذه المملكة إن ظلل سماءها منهج رب البرية .. و سيد البشرية ، وروى نبتها بماء

الإخلاص والمودة والرحمة الندية ، أتت ثمارها كل صباح وعشية .. وأينعت في

أرضها زهرات الحب ، والوفاء ، والإخلاص ، الأخلاق العلية .

وهذا هو السبيل الشرعي الوحيد الذي يضمن للمرأة حقوقها ، وكرامتها ويضمن

للأولاد حقوقهم ، وكرامتهم ، في المجتمع الإسلامي ، لأن الزوج في هذا الزواج

الشرعي مسئول مسئولية كاملة عن زوجته وأولاده في الدنيا والآخرة لقوله تعالى :

لَيَنْفِقَنَّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُئْتِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ [الطلاق: 7]

ولقول الله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

عَلَيْهَا مَلَانِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم: 6]

ولقول النبي كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري و مسلم من حديث ابن عمر

((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) (1)

. ولقول النبي كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله ((... اتَّقُوا اللَّهَ فِي

النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَحَدْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ)) ثم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم ((وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) (2) .

هذا هو الزواج الشرعي الذي عرفه المسلمون منذ زمن الوحي إلي أن صرنا إلي هذا الزمان الذي يموج بالفتن ، فتن الشهوات والشبهات .. إلى أن صرنا إلي هذا الزمان الذي اختلت فيه المقاييس الصحيحة للحلال والحرام !! وتجراً فيه كثير من الناس على محارم الله جل وعلا وعلى حدود !! ورأينا ظاهرة جديدة تنتشر الآن في المجتمع انتشار النار في الهشيم ، تلك الظاهرة التي تسمى بالزواج العرفي وهو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء .

الزواج السري الذي يطلقون عليه ((العرفي)) باطل شرعاً و عرفاً فأعيروني القلوب والأسماع جيداً ، لأن هذا العنصر هو لب الموضوع وأساسه ونظراً لأهميته وخطورته فسوف أركز الحديث فيه على ثلاثة محاور .

المحور الأول : صورة الزواج العرفي القائم

المحور الثاني : بطلانه عرفاً .

المحور الثالث : بطلانه شرعاً .

أولاً : صورة الزواج العرفي القائم :

تتلخص في التقاء الرجال بالنساء أو الشباب بالفتيات في العمل أو المدارس والجامعات ، فيترصد الشاب لفتاة مستهترّة !! وهذه الفتاة يعرفها الشباب جيداً ، وذلك من خلال شعرها المكشوف ، وثوبها الضيق أو العاري الذي يظهر كل فتنة مخبوءة في جسدها ، يعرفها الشباب من خلال عطرها الأخاذ وبرفانها العاصف وحركاتها المثيرة وكلماتها المؤثرة وإلا فأنا أتحدى أن يترصد شاب مستهتر لفتاة تجلببت بجلباب الحياء والعفة والمروءة والطهر والشرف ، يترصد الشاب بفتاة مستهترّة – من هذا النوع الذي ذكرت – ويلهب مشاعرها وأحاسيسها بكلمات الحب ، والعشق ، والغرام التي حفظها من كتب الأدب المكشوف ، أو من المسلسلات والأفلام ، ويقسم لها الشاب بالتوراة والإنجيل والقرآن أنه يحبها حباً قد أحرق فؤاده ، وأنه لا يصير على فراقها في لحظة من ليل أو نهار ، ومن ثمّ فهو يريد أن يتزوج بها ولكن – ولكن ماذا !!؟ ولكن الظروف لا تسمح الآن !! من هنا يحاول الشاب أن يقنع الفتاة أن يتزوجها سراً !! يعني بدون علم الولي ، يعني بدون علم والد الفتاة المسكين ، الذي يربي و ينفق ، ثم تتزوج ابنته زواجاً باطلاً من غير أن يدري المسكين عن هذا الزواج شيئاً .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !!! يأتي هذا الشاب ليكمل فصول خديعته ، وخيانتته الكبرى ، فيأتي بورقة ويشهد عليها زميلين من زملائه المقربين ، ممن يعرفون علاقته المحرمة والمشبوّهة ، يُشهد هذا الشاب زميليه على هذا العقد العرفي الباطل ليكون هو بدوره شاهداً لواحد منهما على عقد عرفي باطل جديد .

وأقول لكم أيها الأحبة : إن أي عقد زواج يباركه الولي – يعني والد الفتاة أو وليها - ويشهد عليه الشهود ويعلن للمجتمع الإسلامي فهو عقد شرعي صحيح وإن لم يوثق في وثيقة زواج رسمية عند مأذون شرعي ، وأي عقد زواج لا يباركه الولي وبدون إعلان وشهود فهو باطل وإن سجل في وثيقة زواج رسمية عند مأذون شرعي ، لأن

وثيقة الزواج الرسمية ليست شرطاً في صحة العقد إنما هي من باب المصالح المرسله التي يضمن من خلالها حقوق النساء في زمن خربت فيه الذم ، وقل فيه أهل الأمانة !!

أما المحور الثاني : و هو سؤال مهم : هل يُقر عُرف الناس ذلك؟!
الجواب : لا ورب الكعبة ، بل العرف يبطله ، لأن العرف عند علماء الأصول : هو ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم ، وقد يقر الشرع عرفاً ، وقد لا يقر الشرع عرفاً ، بمعنى أن الشرع المطهر قد يحكم على عرف من أعراف الناس بالجواز ، وقد يحكم على عرف من أعراف الناس بالبطلان ، فالشرع قد يقر عرفاً وقد يبطل عرفاً آخر .

أما العرف المعتبر شرعاً : هو العرف الذي لا يخالف نصاً شرعياً أو قاعدة من قواعد الشريعة ، هذا هو العرف المعتبر في ميزان الشرع .

والسؤال : انتوني برجل مسلم عاقل على وجه الأرض – لا في مصر بل في بلد أوروبي – يقول بأن المسلمين منذ زمن الوحي إلي هذا الزمان قد تعارفوا في تزويجهم لأبنائهم وبناتهم على هذه الصورة السرية الخبيثة !!

بمعنى أن تزوج البنات أنفسها بدون إذن وليها وأن ينطلق الشاب أو الفتى ليتزوج بأي فتاة بدون علم الوالد أو بدون علم الأسرة .. هل تعارف الناس على هذه الزيجة الخبيثة والعلاقة المحرمة؟! التي تقوم على أساس من الغش والنفاق والخداع والخيانة؟! خيانة من شاب وفتاة ، من شاب خان أسرته وأهله ومجتمعه بعد أن خان الله ورسوله ، ومن فتاة خانته أسرته ومجتمعها بعد أن خانته الله ورسوله وإن توهم أحد من الشباب أنه قد تزوج زوجاً شرعياً صحيحاً ، فأنا أسأله – وأرجو أن يصدق في الجواب :- إن كنت تعتقد أنك تزوجت زوجاً شرعياً صحيحاً فلماذا أخفيتته عن أهلك؟! وعن أقرب الناس إليك؟! فالحلال لا يعرف السرية ولا يخشى الظهور .

ثم .. لماذا تتلصص و تبحث عن مكان خفي لا يراك فيه أحد من الناس لتخلو بفتاة أو بزميلة في الجامعة في شقة مفروشة أو في غرفة فندق مظلمة لتزني بدعوى الزواج؟

ثم .. ألا تشعر بالخيانة والنفاق والخداع وأنت تأخذ المصروف من والدك كل صباح بحجة الذهاب إلي الجامعة و أنت ذاهب إلي شقة مفروشة أو غرفة مظلمة لتمارس الدعارة

والزنى بدعوى الزواج؟! ثم .. هل تقبل أنت أن يأخذ زميلك في الجامعة أختك إلي نفس الشقة المفروشة ليزنى بها بدعوى أنها زوجته وأنت وأسرتك لا تعلمون عن هذا الزواج شيئاً؟!!!

ثم .. هل تقبل بعد ذلك أن تخرج أبنتك أنت إلي الجامعة لترجع إليك بجنين في أحشائها بدعوى أنها تزوجت بزميلها في الجامعة؟!!! وأنت في البيت لا تعلم عن ذلك شيئاً؟!!!

اصدق في الجواب .. وتذكر قول الله تعالى : بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ [القيامة : 14 – 15] ولا تنس قول الله تعالى : وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ

الْقِيَامَةِ فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ
[الأنبياء : 47]. وردد دوماً قول القائل :

يا هاتكاً حرم الرجال و تابعاً.. طرق الفساد فأنت غير مكرم

من يزني في قوم بألف درهم في قومه يزني بربع الدرهم

إن الزنى دين إذا استقرضته كان الوفاء من أهل بيتك فاعلم

أأنت تباهي بالزنا فرحاً ؟ أنت تعبت بالأعراض تيهياً ؟

فقال : بل ذاك شرعاً صار متبعاً كم تاه غيري به قبلي و كم باها !!

فقلنا : أأنت تخاف الله منتقماً؟! فقال في كبر : لا أعرف الله !!

ويح الشباب إذا الشيطان نازعهم على العقول فأوهاها وألغاهها !!

قد علمتهم أفانين الخنا و سائل غشى بصائرها زيغ وأعماهها !!

ومطربة ومطرب في المذياح لقنهم ألحان فحش وزكاها وغناها !!

ووالد غافل لا هي ومدرسة نظامها من نظام الدين أقصاها !!

لو أن لي قوة في أمتي ويداأ ألزمت حواء مئاها ومأواها !!

كان لها بيت عزاً .. كان لها بيت ملكاً .. فيه ترى السلطان و الجاه

فقوضت بيدها عرشها وغدت رعية وذئاب الأرض ترعاها !!

هذه الحضارة دين لا أدين به إني كفرت بمعناها ومبناها !!

لا يقر عرف العقلاء ولا عرف المسلمين ذلك ، ولم يعرف المسلمين هذه العلاقة

المحرمة الخبيثة من زمن الوحي إلي أن صرنا في زمن الفتن . الشهوات والشبهات

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والسؤال الثالث : هل يقر شرع الله ذلك ؟.

والجواب : لا ورب الكعبة ، بل شرع الله يبطل هذا الزواج الخبيث وهذه العلاقة

المشئومة ، فعقد الزواج في الإسلام ميثاق له قدسية كبيرة عند الله تعالى وعند رسول

الله .

فعلى الزوجين أن يستمتع كل منهما بالآخر - على الوجه الذي شرعه الله - إلا

بالقبول ، والإيجاب ، والإعلان ، والولي ، والمهر ، والشهود .

أما القبول و الإيجاب : فهما ركنان لا يصح العقد إلا بهما ، وهي صيغة العقد

المعروفة ، ومذهب جمهور العلماء أن العقد يصح بأي لفظ يدل على ذلك .

أما الشروط : فأول شرط من شروط صحة العقد : الولي إذ لا يصح أي عقد في أي

أرض ، وتحت أي سماء ، ولأي ظرف من الظروف ، إلا بهذا الشرط وهو شرط

الولي . والولي هو والد الفتاة أو من يزوجها إذا توفى أبوها أو إن غاب . وليها من

أهلها . قال تعالى : وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ

إِذَا تَرَاضَا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [البقرة : 232]. قال الشافعي - رحمة الله - وهذه الآية

هي أبين ما في القرآن كله على أنه لا نكاح إلا بولي ، وستعجبون إذا علمتم سبب

نزول الآية ، فلقد نزلت في حق معقل بن يسار فلقد زوج معقل أخته لرجل من

المسلمين وأحسن إليه معقل وأكرمه ، وبعد فترة طلق هذا الرجل أخت معقل ، فلما

انقضت عدتها جاء الرجل مرة أخرى ليرد المرأة ، فقال له معقل بن يسار : زوجتك

وأفرشتك ، أكرمك ، فطلقتها ثم جئت تخطفها ، والله لا تعود إليك أبداً ، وكان رجلاً

لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فنزل قول الله تعالى علي النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَي : فلا تمنعهن ، فالعضل في اللغة هو : المنع والتضييق والتعسير ، فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ، فلما سمع معقل بن يسار الآية ، قال : الآن أفعل يا رسول الله ، وفي لفظ سمعاً وطاعة الآن أفعل يا رسول الله .. فأعادها إليه بمهر جديد فأنكحها إياه .

استدل جمهور المفسرين بهذه الآية على أنه لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو أن تزوج غيرها ولو كانت ثيباً – لأن أخت معقل بن يسار لم تكن بكراً وإنما كانت ثيباً ، ومع ذلك قال الله لوليها ، فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ – إذا لو لم يكن لعضل الولي معنى ما أمر الله ولي المرأة أن يردها إلي الرجل مرة أخرى .

قال تعالى : وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ [النور : 32] . وانكحوا خطاب من الله لأولياء المرأة واستدل جمهور المفسرين والإمام البخاري بهذه الآية على أنه لا نكاح إلا بولي ، لأن الخطاب من الرب العلي لأولياء المرأة . وقال تعالى : فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَثُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ وكيف تتزوج البنت بدون إذن الولي؟! بدون إذن الوالد وبدون علم الأسرة؟! هذا تشريع الله الحكيم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . وقال تعالى : وَلَا تَتَّخِجُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ وهذه الآية أيضاً خطاب من الله لأولياء المرأة فلا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو غيرها ، وهذا قول جمهور المفسرين الذين فسروا هذه الآيات الكريمات ، وتأتي السنة – على صاحبها أفضل الصلاة والسلام – لتؤكد تأكيداً لا لبس فيه ، ولا غموض .. بل ولا تأويل ، لتؤكد أنه لا زواج إلا بولي قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد ، و أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبيهقي ، والدارقطني ، والبخاري ، والطبراني ، والحاكم من حديث أبو موسى الأشعري أن الحبيب النبي قال : ((لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ)) (1) وفي رواية ((لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَالسُّلْطَانِ وَلِيِّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ)) في الحديث الصحيح الصحيح الذي رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والبيهقي ، والبخاري ، وابن حبان ، والدارقطني ، والطبراني والحاكم من حديث السيدة عائشة أن النبي قال ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتُ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلِيهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ)) (1) .

ماذا تريدون بعد ذلك يا من توحدون الله ؟ و يا من تتقون و تقصدون رسول الله ؟ .
ورسول الله هو المشرع في هذه الأمة .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه ، والبيهقي ، والطبراني من حديث أبي هريرة أنه قال ((لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةَ نَفْسَهَا)) (2) . قال أبو هريرة : الزانية هي التي تزوج نفسها ، وقال ابن عباس : البغي هي التي تزوج نفسها .

وقد يحتج علينا – من باب الأمانة العلمية في طرح الموضوع – بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم قال وبقول لأبي حنيفة ، أما الحديث فصحيح رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم ((التَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبِكْرُ يَسْتَأْذِنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا)) (3) والحديث لا يعكر

على كلامنا ، فالمراد بالحديث – كما قال جمهور أهل العلم -: أنه لا يجوز لولي المرأة الثيب أن يزوجهها رغماً عنها ، بل لا يجوز له أن يزوجهها إلا بأمرها و رضاها ، فإن زَوَّجَهَا رَغْماً عَنْهَا فَلَهَا أَنْ تَفْسَخَ النِّكَاحَ عِنْدَ وَلِيِّ الْأَمْرِ أَوْ مِنْ يَنْوِبُ عَنْهُ ، واستدل العلماء على ذلك بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، وأحمد من حديث خنساء بنت خدام أن أباهما زوجها وكانت ثيباً ، فكرهت المرأة ذلك وذهبت للنبي صلى الله عليه وسلم فاشتكت له فرد النبي نكاح والدها .

أما قول أبي حنيفة – رحمه الله – فإنه يقول : يجوز للمرأة أن تزوج نفسها بدون إذن وليها وأخذ الإمام من ذلك هذا الحكم من باب القياس على جواز بيع المرأة سلعتها بنفسها ، فقياس الإمام على ذلك أنه يجوز للمرأة أن تزوج نفسها !! وهذا قياس فاسد الاعتبار بإجماع علماء الأصول لأنه قياس مع نص من القرآن و كلام النبي ، والقاعدة الأصولية باتفاق وإجماع العلماء تقول : ((لا قياس مع النص))

وأنا أقول إجلالاً مني لأبي حنيفة - رحمة الله عليه - : أن الدليل الصريح الذي ذكرته الآن لو بلغ أبا حنيفة لقال به أبو حنيفة وأنا أكاد أجزم بذلك وأبو حنيفة – رحمة الله – هو القائل : إذا صح الحديث عن النبي فهو مذهبي وأبو حنيفة هو القائل : لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا . والله جل وعلا هو القائل : فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا [الأحزاب : 36] . وقال الله تعالى : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء : 65] .

بل وستعجبون إذا علمتم أن الأحناف أنفسهم قد خالفوا أبا حنيفة في هذه المسألة ، فأنتم تعلمون – كما ذكر الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار – أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن – وهما أتبع الناس لأبي حنيفة وأعرف الناس بمذهب أبي حنيفة ، بل وهما اللذان أصلاً وقعدا قواعد المذهب الحنفي – قد خالفا أبا حنيفة في هذه المسألة بل في كثير من المسائل ، وقالوا : لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو أن تزوج غيرها ولا يصح الزواج إلا بولي .

فهل ينبغي للمسلم بعد ذلك أن يقدم قول الإمام أبي حنيفة على قول المصطفى صلى الله عليه وسلم محمد؟! هذا هو الشرط الأول من شروط العقد .

الشرط الثاني : الإعلان : الإسلام أوجب إعلان الزواج و إشهاره ، فالإسلام لا يعرف السرية في الزواج ، بل ولا يعرف بزواج السر . قال ابن تيمية : نكاح السر هو نكاح البغايا ، وهو نكاح ذوات الأخدان .

الحلال لا يخشى الظهور ، الحلال لا يعرف السرايب والسرية ، بل يعلن عن نفسه بغاية الوضوح .. وبغاية العزة والكرامة .

تزوج في الحلال الطيب واحدة ، واثنين ، وثلاثة ، وأربعة بشرط العدل و ارفع رأسك ولا تستحي من المجتمع الذي ينظر إلى شريعة الله جل وعلا على أنها جرم يجب على أصحابه أن يضعوا رؤوسهم في الوحل والطين والتراب !! ارفع رأسك ما

دمت تؤدي ما أمر الله به ، وما شرعه لك رسول الله . دعوكم من هذه الهزيمة النفسية التي أصابت الأمة وجعلت المسلم ينظر إلي شرع الله المحكم في القرآن و السنة على أنه رجعية ، وتخلف و تأخر في الوقت الذي ينظر فيه المجتمع إلي هذه العلاقات الخبيثة المحرمة على أن أهلها ممن تحرروا من قيود المجتمع و من ضغط الواقع و من ضغط الدين ! و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الملك : 14] .

الإسلام لا يعرف السرية في الزواج ، بل يوجب عليك الإسلام أن تعلن زواجك في الحلال الطيب ، وأن ترفع رأسك بذلك في المجتمع .

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي رواه أحمد والحاكم والطبراني وغيرهم من حديث عبد الله بن الزبير بسند حسن قال : ((أعلنوا النكاح)) وفي رواية للطبراني بسند حسن بالشواهد من حديث يزيد بن السائب أن النبي سئل : هل يرخص لنا باللهو عند العرس ؟ قال : ((نعم)) إنه نكاح لا سفاح ، ثم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم ((أشيدوا النكاح)) أي : أعلنوه و اظهروه . أما الشرط الثالث من شروط العقد فهو : المهر .

قال تعالى : وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً.. [النساء : 4] ، فالمهر واجب على الرجل وهو حق كامل للمرأة ، ولقد أمر الإسلام بتخفيف المهر وتيسيره كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : جاءت امرأة إلي رسول الله فقالت : يا رسول الله جنبت أهب لك نفسي ، فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً فجلست .

وهنا أريد أن أوضح أمراً أنه لا يجوز للمرأة أن تهب نفسها لإحد من الرجال فهذا الأمر خاص بالنبي قال تعالى : خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ هذا أمر كان لا بد من التنبيه عليه .

ونعود إلي حديث سهل قال : فقام رجل من أصحابه ، فقال يا رسول الله ! إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : ((فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟)) فقال : لا والله ! يا رسول الله ، فقال ((أذهب إلي أهلك ، فأنظر هل تجد شيئاً؟)) فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ! ما وجدت شيئاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أنظر ولو خاتماً من حديد)) فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ! يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ، ولكن هذا إزارى (قال سهل : ما له من رداء) فلها نصفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ؟ إِنْ لَيْسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ ، وَإِنْ لَيْسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ)) فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله مولياً ، فأمر به فدعي ، فلما جاء قال : ((مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟)) قال : معي سورة كذا وسورة كذا (عددها) فقال : ((تَقْرَأُ هُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ)) قال : نعم . قال : ((أذهب فقد مُلِكتَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ)) (1) .

فالإسلام أوجب المهر ، لكنه أمر بتخفيفه ، و قد أجمع العلماء على أنه لا حد لكثيره . الشرط الرابع من شروط صحة العقد : الشهود .

قال النبي كما في الحديث الصحيح الذي رواه البيهقي ، والطبراني ، والدارقطني من حديث عائشة : ((لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّيِّ وَشَاهِدَيْنِ)) ، وفي حديث عمران بن الحصين

الذي صححه الألباني في إرواء الغليل بشواهد أن النبي قال : ((لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَشَاهِدَي عَدْلٍ)) (2) ولقد أتفق علماء الأصول على شروط العدالة وهي : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، وعدم الفسق . هذه شروط مجمع عليها بين علماء الأصول في الشاهد العادل ، والله و أنا على منبر النبي لقد أرسلت إلي فتاة جامعية رسالة كتبتها بدموع الندم - يوم لا ينفع الندم - تخبرني فيها بأنها قد تزوجت زواجاً عرفياً باطلاً بزميل لها في الجامعة ، وفي يوم من الأيام شعرت بالحمل يتحرك في أحشائها ، فأسرعت إليه لتتوسل بين يديه أن يأتي إلي أهلها ليتزوجها زواجاً شرعياً صحيحاً . تقسم لي بالله أن الشاب أخرج ورقة الزواج العرفي الباطل ومزقها أمام عينيها وبين يديها وقال لها : من يدريني أنه ولدي !؟

ينتكر الشاب للفتاة ويمزق الورقة بين يديها لينطلق يبحث عن فريسة غبية أخرى ، هذا هو الواقع تقول لي الفتاة : أن شاباً من الشابين الذين شهدا على ورقة العقد العرفي الباطل لما علم بلك ذهب إليها وطلب أن يزني بها !! فلما رفضت هددها أن يفضح أمرها في الجامعة وبين أسرتها ، فهي تسألني و تقول هل تمكنه من أن يزني بها حتى لا تفضح نفسها في الجامعة أو بين أهلها؟! هذا شاهد من أولئك الشهود الذين يشهدون الآن على وثيقة عقد الزواج العرفي الباطل المشئوم المزعوم . هل يقول مسلم بعد ذلك أيها الأحبة بأن هذا الزواج السري الباطل يمت إلي لفظ الزواج أو إلي لفظ العرف بصلة من قريب أو من بعيد؟! لا .. و رب الكعبة . العبرة بالمسميات والحقائق لا بالأسماء ، فلو سميت الخمر بالشمبانيا ، و الوسكي والبارندي ، والمشروبات الروحية ، فالمسمى واحد وهو الخمر الحرام ، ولو سمي الربا بالفائدة والعائد أو غير ذلك فهذا لن يخرج الربا عن كونه ربا حرمه الله ، وأنا أقسم بالله أن أى مسلم على وجه الأرض لا يرضى ولا يقبل هذه العلاقة ولا يقبل هذا الزواج العرفي الباطل لأمه، أو لأخته ، أو لعمته ، أو لخالته ، أو لأبنته ، أو حتى لأبنه لأنه خروج عن الدين والأخلاق والفطرة السليمة السوية النقية ، والواقع الآن يؤكد أن المأساة مروعة ، وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز .

ثالثاً: الضحايا يعترفون .. والمأساة مروعة !!

فأكتفي بثلاث حالات فقط و إلا و الله عندي الكثير .

الأولى لفتاة تقول : شكلت أنا و زميلي ثنائي عاطفي كان محل أنظار الجميع - وكان الجامعة في بلدنا الآن تحولت إلي واحات فيحاء للحب والعشق و الغرام - تقول : قررنا الزواج عرفياً حتى نضع الأسرتين أمام الأمر الواقع !! ولو صدقت الفتاة الجريئة هذه لقاتلت وقررنا أن نضع رؤوس الأسرتين في الوحل والطين والتراب ، وإلا فإن الفتاة تتوهم وتعتقد أنها متزوجة في الحلال الطيب ، فأنا أسألها أيضاً ، وأرجو أن تصدق في الجواب لماذا أخفت هذا الزواج عن والدها وأمها؟! هذه الأم المسكينة التي لازالت تتضرع إلي الله أن يرزقها بالزوج الصالح ، وفيها لا تدري أن أبنتها متزوجة ، أمر عجيب ، ثم هل يعقل أن فتاة طاهرة ، شريفة ، تربت في بيت طهر وشرف وعفة ، دون أن يعلم هذا البيت الشرف الطاهر عن زيجتها شيئاً؟!!

تقول : قررنا الزواج عرفياً حتى نضع الأسرتين أمام الأمر الواقع ، فلما علمنا بخبر نجاحنا اتصلت أنا وهو على الأسرتين لنبلغ الأسرتين معاً بخبر النجاح ثم بخبر

الزواج ، تقول : و أعطيت الهاتف - أي سماعة التليفون - لهذا الشاب الذي تزوجها بالعقد العرفي ليخبر أمها بخبر زواجهما ، والأم لا تعلم ولا يعلم الوالد عن ذلك شيئاً . تقول الفتاة : فلما أخبرها الخبر صرخت الأم صرخة أنا سمعتها و أنا أقف بجواره في سماعة التليفون ، ووقعت الأم المسكينة على الأرض ، ثم أسرع الوالد إلي امرأته التي سقطت ما الخبر ؟ هل ماتت أبنته ؟ فقالت : ليتها ماتت ، لقد تزوجت ابنتك ، فلما علم الوالد المسكين ذلك سقط هو الآخر على الأرض ونقل إلي المستشفى ، وفي غرفة العناية المركزة خرج الطبيب ليخبرهم بأن الوالد أصيب بجلطة في المخ أدت إلي شلل نصفي .

حالة ثانية : نُشرت تحت عنوان (الطيار قاتل زوجته المضيفة يعترف) تزوج طيار بزميلة له مضيفة في الطيران ، وهو متزوج وخاف أن يعلن عن زواجه ، تزوج بها في السر بعقد عرفي باطل دون علم والدها وأهلها ، فلما حملت هذه البنت أرادت أن تعلن زواجها وأن تفرح به في المجتمع ، فأنكر ورفض هذا الطيار ذلك ، فلما أصرت قتلها بالسكين في شقتها ثم أحرق جثتها حتى تضيع علامات و أدلة الجريمة . حالة الثالثة مروعة : والد تزوج ورزقه الله بالأولاد ، وأراد أن يتزوج مرة ثانية ، ولكنه خاف من امرأته ، وخاف من المجتمع الذي أصبح ينظر إلي تعدد الزوجات على أنه فضيحة و جريمة - فتزوج في السر ، وتمضي السنوات والأيام ، ويقدر الله أن يدخل ولده من امرأته الأولى الجامعة وأن تدخل ابنته من امرأته الثانية الجامعة ويقدر الله أن يحب كل منهما الآخر ويقرر الزواج العرفي ، والعجيب أنهما وهما يوقعان العقد وجدا تطابقاً كاملاً في الأسمين فقال الفتى للفتاة : أنظري إلي هذا الذوبان وهذا الحب حتى وصل التطابق في الأسمين إلي هذا حد التكامل ، ولما أحست البنت بالحمل في أحشائها أسرعت إليه بالتوسل أن يأتي إلي بيتها ليطلبها رسمياً ، ولتزوجها زواجاً شرعياً صحيحاً وحددت له موعداً ليكون الوالد في البيت وذهب إلي هنالك وكانت المفاجأة من يفتح له الباب ؟ إنه أبوه .. ما الذي جاء به إلي هنا ؟ هل رتبت الفتاة مع الفتى ذلك ؟ لا ، ولكن لما عرف الفتى الحقيقة ألقى بنفسه من الطابق العلوي منتحراً ، وسقط الوالد على الأرض وقد أصيب بأزمة قلبية ، فلما علمت الفتاة أصيبت بحالة فقدت فيها الوعي والنطق .

ثمرة مرّة للإعراض عن شرع الله : فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْأَخْرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ [طه : 123-127] .

وأخيراً : ما هي الأسباب لهذه الظاهرة وما هو العلاج ؟!!

وهذا هو عنصرنا الرابع .. هذه هي الأسباب .. وهذا هو العلاج :

السبب الأول : البعد عن الله عز وجل ، هو أخطر الأسباب ، فالبعيد عن الله ضعيف الإيمان ، يصبح فريسة سهلة للهوى وللشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء ، تتحكم فيه صحبة السوء ، ونفسه ، وهواه وشيطانه .

وإن أردتم الدليل العملي على صدق قلبي : انظروا نظرة سريعة إلي هؤلاء وهؤلاء .. إلي شباب ضائع ، وإلي شباب طائع يعيشون في بيئة واحدة في كلية واحدة .. في

جامعة واحدة ، يتعرضون لنفس الفتن ونفس المؤثرات ، انظروا إلي هذا الفتى وذاك الفتى ، شتان .. شتان بين شاب يقيم الليل يتضرع إلي الله جل وعلا ، ويحضر مجالس العلم والعلماء ، ويحافظ على الصلوات في جماعة ، ويقرأ القرآن ، ويصلي الفجر ، ويقرأ ورده اليومي ويقول أذكار الصباح يأخذ كتاب الله بين كتبه الدراسيـه وينطلق إلي الجامعة ويحمل هموم أسرته ودعوته ، وأمته شتان .. شتان بين هذا الشاب المبارك وبين شاب لم يسمع القرآن ، ولم يعرف قلبه حلاوة الإيمان ، ولم يعرف مجالس العلم ولم يذهب إلي المسجد قط ، ولا يفارق سمعه الغناء الماجن ، والموسيقى الصاخبة ، ولا يتورع أن يخلو هنا وهناك في زوايا وثنايا الجامعة بفتاة متبرجة عارية شتان شتان بين هذا وذاك .

والعلاج يكمن في العودة إلي الله تبارك وتعالى ، فبالعودة إلي الله الذي وعد من جاهد نفسه فيه أعانه الله قال تعالى : **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** [العنكبوت :69] .

وقال تعالى : **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [الطلاق : 2-3]** .

وقال تعالى : **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** .

وفي الحديث الذي رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما بسند صحيح بالشواهد من حديث ابن مسعود أن النبي قال : **((إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا وَرَزَقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمَلَنَّ أَحَدَكُمْ أَسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يَبَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ))**(1) .
السبب الثاني : غياب الأسرة .

غابت الأسرة .. و أنعدمت الرقابة !! بدعوى مشؤمة مزعومة ألا وهي دعوى الحرية التي يقلد فيها كثير من المسلمين الغرب الكفار التي تصطدم عقيدته بعقيدتنا اصطداماً مباشراً و تصطدم أخلاقياتنا و أخلاق المجتمع الإسلامي اصطداماً مباشراً ، يقلد الكثير من الآباء الغرب فيقول : أنا رجل ديمقراطي أود أن أوصل ، وأسس الديمقراطية في بيتي !! أنا رجل أحب الحرية فلتخرج الفتاة في أي وقت تشاء ، وبأي لباس ، وبأي مظهر ،

وتتكلم في التليفون في أي وقت وفي أي ساعة !! أنا لا أشك في أخلاقها ، أنا أثق فيها ثقة عمياء !! هذا كلام باطل ليس في دين الله عز وجل- هذا إن كنت غربياً لا تعرف قرآن ولا سنة- ولا يحل لأبنتك أن تتكلم مع أي أحد في أي وقت ، ولا يجوز إلي أبنتك أن تخرج إلي الجامعة ((بالاسترتش)) أو بالثوب العاري أو الضيق ، لا يجوز لها أن تتكلم بالساعات الطويلة مع زميل لها في الجامعة ، أين الإيمان و أين الإسلام ؟ بل وأين الرجال يا مسلمون؟! ألم يفكر الوالد وألم يسأل نفسه في ساعة من الساعات مع من تتكلم

البنات في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟! مع من تهمس؟! ألم يسأل الوالد نفسه كيف خرجت البنات إلي الجامعة بهذا الثوب؟! بالاسترتش أو الثوب الضيق العاري ، بالرائحة الأخاذة التي تعصف بالأنوف؟! ألم يسأل الوالد نفسه؟ ألم تسأل الأم كيف خرجت البنات بهذا الزي؟ ألم تفكر في السؤال عن

صواحبها مع من تخرج ؟ مع من تتكلم ؟ أين الرقابة ؟! أين الوالد ؟! أين الأم ؟! والله عز وجل يقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا .

فالعلاج يكمن في إيجاز في العودة إلي شرع الله ، في العودة إلي قرآن الله وإلي سنة رسول الله ، يا مسلمون نحن لا نتلقى تشريعنا عن الشرق الملحد ولا عن الغرب الكافر ، بل عن الله جل وعلا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن : فحدد الآن جواباً على هذا السؤال . لمن تسمع ؟ لمن تدعن ؟ ومن تطيع ؟ هل تسمع لله ورسوله أم لشرق ملحد وغرب كافر ؟ أم لأولئك الذين يعزفون على وتر الغرب ؟! وعلى وتر التمجيد والتقدیس للغرب ؟!!

ووالله ما أصيبت الأمة بالذل ، والذلة ، والهوان إلا يوم أن تركت كتاب ربها وسنة نبيها وراحت لتذوب في بوتقة الغرب .. تلك البوتقة التي تصطدم اصطداماً مباشراً مع عقيدتنا وأخلاقنا وديننا .

أيها المسلمون : إن العلاج يكمن في العودة إلي الشرع المطهر إلي القرآن وإلي السنة الصحيحة وتذكر أيها الوالد ، وتذكر أيها الأم كلام النبي كما في الصحيحين ، من حديث ابن عمر : ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا)) (1) ورب الكعبة ستسأل عن

أبنتك هذه بين يدي الله ، وستسألين أيها الأم عن أبنتك بين يدي الله ، وأذكر بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من حديث معقل بن يسار أنه قال : ((مَا مِنْ عَبْدٍ أَسْتَرَعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)) (2). و أقول قولي هذا و أستغفر الله لي و لكم .

: الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واقتفى أثره إلي يوم الدين.

أما بعد : فيا أيها الأحبة الكرام :

السبب الثالث من أسباب هذه الظاهرة و هو أخطر الأسباب :
المغالاة في المهر و تكاليف الزواج و نفقاته .

أمام تعنت كثير من الآباء والأمهات في نفقات الزواج تأخر كثير من شبابنا عن الزواج ، وتأخر كثير من بناتنا عن الزواج ، ولولا حياء في صدورهن لصرخن في وجوه الآباء والأمهات : أن ارحموا ضعفنا ، خلوا بيننا وبين شاب مسلم ولو كان فقيراً ، ليساعد كل واحد منا الآخر على طاعة الله عز وجل والعلاج يكمن أيها الآباء والأمهات في العودة إلي الإسلام العظيم قال النبي : ((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا)) (1) والحديثين الصحيحين وفي سنن الترمذي بسند حسن من حديث أبي هريرة أنه قال : ((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَرَوْجُوهُ ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا)) (2).

السبب الرابع : التبرج و الاختلاط و الخلوة :

فالجسم العاري والنظرة المؤثرة .. والعطر الأخاذ .. والحركات المثيرة كل هذا يثير الشهوات الكامنة ويحرك الغرائز الهاجعة في صدور الشباب مع اختلاط وخلوة ، تكون الكارثة أعظم .

ولقد استوقفني كلمات لكاتبة انجليزية تسمى (الليدي كوك) تقوم على قدر كثرة الاختلاط تكثر أولاد الزنا . ولاشك أن جعبة الباحثين لظاهرة الاختلاط والخلوة حافلة بالأحداث المزرية التي تسطع في وجه كل من يجادل في الحق بعدما تبين ، محال يا أصحاب العقول الراشدة أن نسكب البنزين على نار مشتعلة أصلاً ونقول : يا نار إياك إياك والاشتعال !! وأن نكتف شاب بالقيود والحبال ، وأن نلقيه في البحر ثم نقول : إياك والغرق وإياك إن تبتل بالماء !!

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال إياك إياك أن تبتل بالماء إن الجذب بين الرجل و المرأة أمر مركز في الفطر ، لأن الله قد أناط بهذا الجذب امتداد النسل البشري على ظهر الأرض ، فحيثما وجد الرجل والمرأة فإن الجذب بينهما أمر فطري .. جبلي .. لا يستطيع مخلوق أن ينفك عنه مهما ادعى لنفسه من مقومات الأنفكاك .

والعلاج لهذا السبب يكمن في العودة إلي شرع الله إلي قول الله تعالى : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [النساء: 65] فما حرم الإسلام الخلوة ، والاختلاط ، والتبرج إلا لأنه يهدف إلي إقامة مجتمع إسلامي طاهر نظيف لا تثار فيه الشهوات ، ولا تنتشر فيه الغرائز الهاجعة .

السبب الخامس من أسباب هذه الظاهرة هو الإعلام : وما أدراك ما الإعلام؟! فإن الإعلام الآن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا .. بالأدب المكشوف والأفلام والمسلسلات الهابطة .. والمسرحيات الساقطة .. والعزف والتمجيد للفنانين والفنانات ، والمطربين والمطربات ، الأحياء منهم والأموات !! والتشويه المستمر لصور الدعاة والعلماء ولا حول ولا قوة إلا بالله !! والعلاج يكمن في أن يتقي الله القائمون بالإعلام الذين لا يرقبون في المؤمنين إلا ولا ذمة ، وأن يعودوا إلي الأصل الذي من أجله أنشئ هذا الإعلام لنشر الفضيلة ، والقضاء على الشر والرذيلة .

فإن النظر إلي الخريطة الإعلامية المقدمة إلي أبنائنا ، وبناتنا ، وأطفالنا في البيوت ، سينقلب إليه بصره خاسئاً وهو حسير لأن هذه الخريطة تعزف على وتر الحس ، الجنس ، والدعارة ، والعنف ، والجريمة ، والكلمات الساقطة والهابطة ، فماذا تنتظرون بعد ذلك؟!

سادساً : غياب المؤسسات التربوية الدينية : والضعف الشديد في الطرح الدعوي الذي لا يتفق مع مشاكل الشباب بصفة خاصة ، ولا مع مشاكل الأمة والمجتمع بصفة عامة ، والعلاج يكمن في أن ترجع الآن وزارة الأوقاف والأزهر وكل القائمين على أمر الدعوة في مصر إلي الدعوة إلى الله بجد وصدق وإخلاص .

ولا ينبغي على الإطلاق - في ظل هذا الظرف الحرج - أن يحال وأن يفرق بين الدعاة الرسميين من الأوقاف والأزهر وبين الدعاة غير الرسميين من غيرهما ، ممن آتاهم الله العلم ، وجعل لهم قبولاً بين المسلمين هنا وهناك . فإن الخطر يهدد الجميع وكلنا يركب سفينة واحدة إن نجت نجونا وإن غرقت غرقنا كما قال النبي .

واختم بهذا السبب الخطير ألا وهو : المدارس والجامعات ومناهج التعليم :
فإن مناهج التعليم في بلادنا تحسن إن تعلم أبنائنا العلوم والمعارف ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع ولا قلوبهم الخشوع !! كيف ذلك في هذا الاختلاط المروع المدمر ؟ كيف يترى الولد على الإيمان في هذه البيئة التي تثير الشهوات وتحرك فيه الغرائز ؟ والعلاج أقدمه في نقاط محددة أسأل الله أن يفتح لها القلوب والأذان عند أساتذتنا الأفاضل الكرام من القائمين على أمر التربية والتعليم في بلادنا :

أولاً : جعل مادة الدين مادة أساسية : فتصبح من مواد الرسوب والنجاح ، ليهتم بها أبنائنا وبناتنا ، بشرط أن يضع المادة العلمية الدينية والإسلامية نخبة من العلماء الأفاضل والدعاة الأجلاء ، ليضعوا المادة الهادفة الهادئة التي تربي أبنائنا وبناتنا على الإيمان بالله وعلى حب رسول الله .

وليختار هؤلاء الأفاضل المادة أو المعلومة الدينية التي تتناسب مع كل مرحلة تعليمية من مراحل التعليم .

ثانياً : إلغاء الاختلاط إغاءً تاماً بين الطلاب والطالبات : وإن قال المسئولون بأننا لا نقدر على هذا أقول : حتى ولو كان هذا في الفصول الدراسية على الأقل ، وهذا أضعف الإيمان .

ثالثاً : إلغاء الرحلات المختلطة بين الطلاب والطالبات في أي مرحلة من مراحل التعليم ، فإن هذه الرحلات المختلطة كانت السبب الرئيسي الخطير لهذه الظاهرة ، وما تسمعون عن جماعة ((حورس)) ليس منكم ببعيد .

رابعاً : إلغاء الفترة المسائية الدراسية للطالبات في الكليات العملية والنظرية حتى لا تتأخر الطالبة عن وقت معين عن بيتها وأسرتها .

خامساً : مؤاخذه أي فتاة متبرجة مؤاخذه شديدة ومنعها منعاً باتاً إن دخلت الجامعة بثياب لا تليق مع قيم ورسالة الجامعة .

سادساً : القضاء على هذه الثنائيات المشبوهة التي تنتشر هنا وهناك في زوايا الجامعة، فإنها دار علم وليست دار حب وغرام !!

سابعاً : فتح باب الكليات والجامعات للعلماء العاملين والدعاة الصادقين لإلقاء المحاضرات العلمية الهادئة الهادفة على أن يتولى هذا الأمر بصورة رسمية رئيس الجامعة ، أو عميد كل كلية على حده ، بشرط أن يشرف هذه الجلسات أخواننا المدرسين والمدرسات مع الطلاب والطالبات .

ثامناً : مراعاة أوقات الصلاة في وضع المنهج الدراسي حتى لا يحرم الطالبة والطالبات من أداء صلاة الظهر في وقت الدراسة مع المدرسين والمدرسات .

هذه هي بعض البنود العملية التي أسأل الله أن يفتح لها القلوب والأذان ووالله إنه لأمر يسير على من يسير الله عليه

احبتي في الله :

إن المشكلة تهدد الجميع ، ولا ينبغي أن نقول بأن الصالحين بمنأى عن هذه الظاهرة .. كلا .. إن النبي أخبرنا أننا نركب جميعاً سفينة واحدة إن نجت السفينة أى ((سفينة المجتمع)) نجا الصالحون مع الطالحين ، وإن هلكت السفينة هلك الصالحون مه الطالحين : و أخيراً - حتى لا أشق عليكم -أنادي على هؤلاء الشباب والفتيات من أبنائنا وبناتنا ممن وقعوا في هذا المستنقع جهلاً بالدين أو جرأة على الدين . أنادي على الجميع وأقول : هل من توبة ؟.

عد إلي الله .. ارجع إلي الله .. ارجع إلي الله أيها الفتى و أيتها الفتاة ، فأن وقع الشاب في ذلك فليذهب إلي أهل الفتاة وليعقد عليها عقداً شرعياً صحيحاً هذا هو ما قاله الشافعي وغيره .

اذهب وجدد التوبة واندم على ما مضى .. وعد إلي الله .. واعلم أن الله تواب رحيم .. يفرح بتوبتك وهو الغني عنك .. مهما كثرت ذنوبك ومعاصيك فاعلم أن عفو الله أعظم قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم [الزمر: 53]

واعلم أيها الشاب وأيتها الفتاة : أن النبي يقول : ((يُنزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيَءَ الْفَجْرُ)) (1)

وأختم بهذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة في السبي تبحث عن ولدها فلما وجدته ألقته ببطنها فأرضعته فال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ((أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَوَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟)) قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ((لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا)) (2) فعد إلى الله أيها الفتى وأيتها الفتاة .

تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا نُؤْمِنُ بِمَا نُرَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحریم:8]

(1) متفق عليه : البخاري رقم (2751) في الوصايا ، و مسلم رقم (1829) في الإمارة باب فضيلة الأمام العادل .

(2) صحيح : مسلم رقم (1218) في الحج ، باب حجة النبي .

(1) صحيح : أبو داود رقم (2085) في النكاح ، والترمذي رقم (1101) في النكاح ، وابن ماجه رقم (1907، 1908) في النكاح ، وصححه الألباني في الأرواء رقم (1839) .

(1) صحيح : أبو داود (2083) ، والترمذي رقم (1102) في النكاح ، وابن ماجه رقم (1906) ورواه في المسند (47/6 ، 162) ، وصححه الألباني في الإرواء (1840) .

(2) صحيح : ابن ماجة رقم (1909) في النكاح ، وصححه الألباني في الأرواء (1840) .

(3) صحيح : رواه مسلم رقم (2083) في النكاح ، باب استئذان الثيب

(1) متفق عليه : البخاري (5149) في النكاح باب التزويج على القرآن وبغير صداق ، ومسلم رقم (1425) في النكاح ، باب الصداق ، وجواز كونه تعليم قرآن .

(2) صحيح : أخرجه ابن حبان في صحيحه (1247 موارد) والدارقطني (383 - 384) ، والبيهقي (125/7) ، وصححه الألباني في الإرواء رقم (1858) .

(1) صحيح : أبو النعيم في الحلية (27/10) من حديث أبي أمامة ، والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن حبان والبخاري والطبرني من حديث أبي الدرداء وأبو يعلى من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث أبي حميد الساعدي .

(1) صحيح : سبق تخريجه .

(2) متفق عليه : البخاري رقم (7150) في الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ، ومسلم (142) في الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار .

(1) متفق عليه : البخاري رقم (4341 ، 4342) في المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ اليمن ، ومسلم رقم (1733) في الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة .

(2) حسن : البيهقي في السنن (82/7) ، وإسناده حسن لأجل ابن هرفر وابني عبيد (1) متفق عليه : البخاري رقم (1145) في أبواب التهجد و مسلم رقم (758) في صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر ، ومالك في الموطأ (214/1) في القرآن ، والترمذي (3493) في الدعوات ، وأبو داود رقم (1315) في الصلاة .

(2) صحيح : رواه البخاري رقم (5999) في الادب ، باب رحمة الولد .

الوقت هو الحياة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102]
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71]
أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أحبتني في الله :

تقبل علينا اختبارات آخر العام فترفع البيوت حالة الطوارئ إلى أقصى درجة !!
فإذا ما أنهى أبناؤنا الاختبارات عادت البيوت مرة أخرى إلى حالة من الفراغ

والارتقاء قاتلة !!

وترى قليلا من البيوت هي التي تعرف قدر الوقت وقيمة العمر فإذا ما أقبلت الأجازة الصيفية استغلوا هذا الوقت استغلالا طيبا لأبنائهم فيما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة فأحببت مع إقبال الإجازة الصيفية علينا أن أذكر نفسي وأبائي وإخواني بقيمة الوقت وشرف الزمان لذا فإن لقاءنا اليوم مع حضراتكم بعنوان :

((الوقت هو الحياة))

وكما تعودنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً : قيمة الوقت .

ثانياً : عوائق الاستفادة من الوقت .

ثالثاً : كيف يطول عمرك .

وأخيراً : رسالة إلى القتلة .

فأعيروني القلوب والأسماع والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

أولاً : الوقت هو الحياة

أيها الأحبة الكرام : إن الوقت هو الحياة والعاقل هو الذى يعرف قدر وقته وشرف زمانه فلا يضيع ساعة واحدة من عمره إلا فى خير للدنيا أو للآخرة .

فالوقت من أعظم نعم الله ، قال تعالى :

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [الفرقان : 62]

وليلفت ربنا أنظارنا إلى قدر الوقت وقيمة الوقت أقسم بالوقت فى آيات كثيرة من قرآنه .

فقال جل وعلا : وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى [الليل: 1 - 2]

وقال جل وعلا : وَالْفَجْرُ وَآيَاتٍ عَشْرٍ [الفجر: 1-2]

وقال جل وعلا : وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر: 1-3]

فالوقت هو العمر .. هو الحياة

العاقل هو الذى يدرك شرف زمانه وقدر وقته ولا تراه فى ساعة من عمره إلا منشغلاً إما بعمل نافع للدنيا وإما بعمل نافع للآخرة .

وها هو نبينا يعلمنا أن الإنسان سيسأل عن ساعات عمره وعن أيام عمره كما فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى عن أبى بردة الأسلمى : أن رسول الله قال :

? لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسمه فيما أبلاه?

وفى لفظ : ((وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه)) (1)

وها هم سلفنا رضوان الله عليهم يعلمون كيف يكون الحرص على الوقت .

فها هو عبد الله بن مسعود يقول : ما ندمت على شئ كندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملي .

ولله در القائل : إذا مر بي يومٌ ولم أقتبس هدىً .. ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري .
ويزداد الأمر خطراً إذا علمنا أن من أهم خصائص الوقت أنه يمر مر السحاب
ويجری جرى الرياح ، الأيام تمر والأشهر تجری وراءها تسحب معها السنين وتمر
خلفها الأعمار وتطوى حياة جيل بعد جيل .

وبين يدي الملك الجليل سيعلم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وضيعوا أوقاتهم
وأعمارهم سيعلمون وكأنهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا ساعة :

قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ
وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ [المؤمنون 113:118]

ومن أهم خصائص الوقت أيضاً أنه إن مضى لا يعود أبداً ولا يعوض كان الحسن
البصري رحمه الله يقول : ما من يوم ينشق فجره إلا وهو ينادى بلسان الحال يابن
أدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فأنى لا أعود إلى يوم القيامة .

أيها الخيار : الوقت هو أغلى وأثمن رؤوس الأموال ومع ذلك فأننا نرى كثيراً من
إخواننا يقتلون الوقت قتل بل ولا يقفون على أخطر العوائق التي تحول بينهم وبين
الاستفادة من أوقاتهم وأعمارهم وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء :

((عوائق الاستفادة من الوقت))

العائق الأول : إتباع الهوى .

والهوى ملك ظلوم غشوم جهول يهوى بصاحبه إلى الشر في الدنيا والهلاك في
الآخرة.

يقول ابن عباس : ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا وذمه قال تعالى :

أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ [الجمانية:23]

وحذر الله نبيا كريما من أنبيائه من الهوى قال تعالى :

يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ
[ص:26]

وخاطب الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ

ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا [الكهف: 28]

فالهوى يهوى بصاحبه إلى الشر في الدنيا والآخرة .

وفى الحديث الذي رواه البزار والبيهقي والحاكم والحديث حسن بمجموع طرقه من
حديث أنس أن النبي قال :

((ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، أما الثلاث المهلكات : فشح مطاع وهوى متبع ،
وإعجاب المرء بنفسه ، وأما الثلاث المنجيات : فخشية الله في السر والعلانية والقصد

في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضا)) (1)

هذا هو طريق الهلاك وهذا هو طريق النجاة .

فلو انقاد الإنسان لهواه زين له جلسة الفارغين وجلسة البطالين وزين لهم تحلل
المتحللين من أوامر رب العالمين

ترى المسلم يقضى الساعات الطويلة على مقهى أو يقضى جُلَّ الليل أمام المسلسلات والأفلام وإن سألت واحداً ما السبب !!؟

يقول لك : أضيع الوقت !!!

هو لا يدري أنه يقتل نفسه لأن الإنسان مجموع أيام فإن إنقضى يوم من أيامه إستقبل به الآخرة وأستدبر به الدنيا .

كما كان لقمان يقول لولده : أي بني إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا إستدبرت الدنيا وإستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها .

فيا أيها المسلم : إن وقتك هو الحياة .. إن وقتك هو العمر .. فلا تضيع ساعة من عمرك إلا وأنت في خير للدنيا أو في خير للآخرة .

فالهوى من أخطر العوائق التي ستصرف العبد عن استثمار وقته فيما يرضى الله جل وعلا .

العائق الثاني : طول الأمل

جميل أن تحمل أملاً في قلبك لتعمر الكون .. فالإنسان مفطور على حب الحياة ولا ينكر ذلك إلا جاهل بالقرآن والسنة .

جميل أن أعيش في الدنيا وأن أحمل الأمل في قلبي .

أن أعمر بيتاً لأولادي وأن أصل إلى أعلى المناصب وأرقى الدرجات .

وأن أحصل الملايين من الأموال من الحلال الطيب .

هذا شئ جميل لكن الخطر أن يحول طول الأمل بينك وبين طاعة الله جل وعلا !!

فطول الأمل مع قتل الوقت وتضييع العمل مصيبة كبيرة ومرض عضال إن أصاب الانسان شغله عن طاعة الكبير المتعال وفتنه بالدنيا وأنساه الآخرة .

وفي لحظة يرى نفسه بين عسكر الموتى بين يدي الله جل وعلا يتمنى الرجعة فيقال له: كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا [المؤمنون: 100]

إحذر طول الأمل ، أن يحول بينك وبين طاعة الله سبحانه، وأن يمنيك بكلمة سوف تفعل وسوف تفعل وسوف تفعل .

ولقد حذر النبي من طول الأمل فقال لابن عمر كما فى صحيح البخاري رقم (6413) : ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء . هذا هو الفهم الحقيقي للأمل قال تعالى :

ذُرْهُمُ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:3]

فالقرطبي : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل أى يشغلهم الأمل عن طاعة الله جل وعلا.

وروى عن عليّ ابن أبي طالب انه قال : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وأعمل لأخرتك كأنك تموت غداً .

طول الأمل يمنيك وفى زيارة لي فى أمريكا لفت نظري رجل مسلم عربي جار للمسجد ولكنه ما دخل المسجد مرة !!!

قالوا لقد منَّ الله عليه بالأموال ، ذكروه بالله ما تذكّر !!! حذروه من النار فما خاف النار !!! ذكروه بكلام النبي صلى الله عليه وسلم المختار فما تحرك قلبه !!! : لَهُمُ

قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافُونَ [الأعراف: 179]

فذهبت إلى هذا الرجل رأيته يبيع الخمر في محله ويبيع لحم الخنزير فقلت له : يا أخي اتقى الله ألسنت مسلماناً ، المسجد إلى جوارك ما خطوت إليه خطوة وذكرت هذا المسكين بكلام الله وبحديث النبي عليه الصلاة والسلام .

قال : يا شيخ أعدك إن عدت إلى بلدي بعد ما أحصل من المال ما أريد أن أبنى لله مسجداً وأن أعكف فيه ولن أفارقه !!!
قلت له : أعطني هذه الفرصة لأوقع لك هذا العقد بهذه الصورة بينك وبين ملك الموت !!!

هل ضمنت يا مسكين أن تعود إلى بلدك ؟ !!

قال : أشهد الله ثم أشهدك أنني إذا أصيبت بحالة إعياء وحالة صداع أضع ورقة الدولار من فئة المائة على رأسي فيطير الصداع والألم في الحال .

قلت : أنت عبد للدولار وأنت عبد للدرهم والدينار كما قال النبي المختار : ((تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وأنتكس وإذا شيك فلا إنتقش)) (1)

العائق الثالث : الفراغ

وآه من الفراغ على شبابنا وأخواتنا !! آه من الفراغ وخطره !!

والفراغ نعمة من أجل النعم ونحن لاندرى !!

روى البخاري من حديث ابن عباس أنه قال : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)) (2).

قال الحافظ ابن حجر : فمن استغل صحته وفراغه في طاعة الله فهو المغبوط ومن استغل صحته وفراغه في معصية الله فهو المغبون .

والفراغ أنواع : الفراغ القلبي ، والفراغ النفسي ، والفراغ العقلي .
الفراغ القلبي :

أن يفرغ القلب من الإيمان !! وهو أخطر أنواع الفراغ على الإطلاق .

إذا فرغ القلب من الإيمان فصاحب هذا القلب ميت وإن تحرك بين الأحياء فالقلب وعاء الإيمان كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان الذي رواه الشيخان وفيه :

((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)) (3).

القلب هو الملك والأعضاء جنوده ورعاياه فأن طاب الملك طاب الجنود ورعاياه وإذا خبت الملك خبت الجنود والرعايا .

فإن عمر القلب بالإيمان ما شعر الإنسان أبداً بالفراغ لأنه في كل لحظة سيتلذذ بالأنس بالله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : مساكين والله أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يتذوقوا أطعم وأحلى ما فيها

قيل : وما أطعم ما فيها ؟!

قال : ذكر الله والأنس بقلائه .

وفى الحديث الذي رواه أبو نعيم والديلمي وصححه الألباني من حديث عليّ أن الحبيب النبي قال :

((مامن القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر فبينما القمر مضيء إذ علتة سحابة ، فأظلم فإذا تجلت عنه أضاء)) (1) .

فكذلك نور الإيمان في القلب إن حجب نور الإيمان بسحائب الظلم والذنوب والمعاصي فتر الإنسان عن طاعة الله .

وفراغ القلب من الإيمان سيعرض القلب لكل أنواع الفتن لأن الفتن تعرض على القلوب كما قال والحديث رواه مسلم من حديث حذيفة قال المصطفى صلى الله عليه وسلم ((تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلوبين قلب أسود مُرْبَادًا كالكوز مُجَخِّيًا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه وقلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض)) (2). فالقلب وعاء الإيمان ومحط الفتن فإذا فرغ القلب من الإيمان تعرض الإنسان لكل فتنة وتشربها في قلبه .

وعلاج الفراغ القلبي بزيادة الإيمان إذ أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذلات .

يقول عبد الله بن مسعود : تفقد قلبك في ثلاثة مواطن عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر والعلم وفي وقت الخلوة بينك وبين ربك ، فأن لم تجد قلبك في هذه المواطن فابحث عن قلبك فإنه لا قلب لك !!

فإن القلب يمرض والإنسان لا يدري وإن القلب يموت والإنسان لا يدري. إن الإنسان إذا مرض قلبه بمرض من الأمراض العضوية أسرعنا إلى الأطباء وهذه فطرة لكن القلب قد يمرض بالشهوات وقد يموت بالمعاصي والملذات وصاحبه لا يدري على الإطلاق !!!

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري :

?مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت?

فالذاكر لله حي وإن حبست منه الأعضاء والغافل عن ذكر الله ميت وإن تحرك بين الأحياء !!

وخذوا هذه الوصفة البليغة من سفيان الثوري لرجل مرض قلبه ذهب إليه فقال : يا سفيان لقد ابتليت بمرض قلبي فصف لي دواء .

فقال سفيان : عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع ضع هذا كله فى إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية وأوقد عليه نار الحزن على المعصية وصفه بمصفاة المراقبة وتناولته بكف الصدق واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابتعد عن الحرص والطمع يشفى مرض قلبك بإذن الله .

أسأل الله أن يعيننا على هذا الدواء الناجح النافع .

والفراغ النفسي : النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل إن لم تقطمها بالطاعات قادتك إلى المعاصي والذلات .

النفس أمارة : إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي [يوسف:53]
فيا أيها الأخ الحبيب ويا أيها الوالد الكريم الفراغ النفسي مقتلة لشبابنا فإذا فرغت
نفوسهم قاموا إلى كل معصية وانحرفوا في كل واد وفي كل طريق ضال .
إذا لم يجد الشباب عملاً يقوم به ورأى نفسه في فراغ انشغل بالمعاصي .. انشغل
بالفتن والشهوات .. انشغل بالأفلام والمباريات والمسلسلات .. انشغل بالمجلات
الخليعة الجنسية الماجنة .. وبقراءة القصص التي تحول الزهاد العباد إلى فساق فجَّار
!!!

والنفسُ إن ألجمتها بلجام الطاعة انقادت .
لأن الله جل وعلا قد زكى النفس ودلَّها على الطريقين فقال : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
فَأَلَّهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:7-9]
وقال جل وعلا : فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات:37-41]
فالناس صنفان صنف قد انتصر على نفسه وقهرها وألجمها بلجام الطاعة وجعل
النفس مطية إلى رضوان الله والجنة أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم .
وصنف قهرته نفسه وانتصرت عليه نفسه وغلبته وقادته إلى كل شر في الدنيا وإلى
الهلاك في الآخرة أسأل الله أن يحفظنا وإياكم من نفوسنا الأمارة بالسوء إنه ولى ذلك
والقادر عليه .

والفراغ العقلي : حياته دمار وأخرته بوار بدليل تصايح أهل النار وهم في النار بين
يدى الواحد القهار يتصايحون أنهم كانوا لا يحملون عقولاً لا يعقلون بها .
قال الله جل وعلا عن هؤلاء : وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ
[الملك:10]

فيا أيها الأخ الحبيب لقد آتانا الله عقولاً هي من أعظم نعم الله علينا .
حينما ذهبنا لزيارة إخواننا وأخواتنا في مستشفى الأمراض العقلية ودخلنا عنبراً
للنساء ورأينا النساء بين أيدينا وقد أعطاهن الله كمال الخلق وفجأة اقتربت منا فتاة في
الثانية والعشرين من عمرها ثم بعد ذلك رأينا هذه الفتاة قد أخذت جانباً في العنبر
وتجردت من كل ثيابها كما ولدتها أمها فخرجنا وقلت لإخواني يومها : أشهد الله ثم
أشهدكم إنني ما عرفت قدر نعمة العقل إلا في هذه اللحظة .

((العائق الرابع : الفتن))

والفتن بين أيدينا كثيرة وهي بالجملة تنقسم إلى نوعين إنها فتن الشهوات وفتن
الشبهات .

ولا عون لك لتستفيد من وقتك وسط هذه الفتن إلا إذا استعنت بالله جل وعلا
وحرصت على مجالس الخير وعلى مجالس العلم .

أسأل الله أن يحفظني ، وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه ولى ذلك ومولاه .
ثالثاً : كيف يطول عمرك !؟

الإنسان مفطور على حب الحياة ويرجوا أن لو طال عمره ، بل ويتمنى الخلود إن
استطاع .

ولكن الموت يختطف الشباب في ريعان شبابه !!

ويختطف الفتى المدلل الوحيد من بين أهله !!

ويختطف العروسة ليلة عرسها !!

ويختطف الحاكم القوى الموهوب من بين حرسه وجنوده !!

فالأيام محسوبة والأجال معدودة وما دام الموت هو نهاية الحياة فإن العمر حينئذ قصير .

فالأيام تمر والأشهر تجرى والسنين تولى والعمر ينقضي !!

فما دام الموت هو آخر المطاف فالعمر إذن قصير ولم يستطع العلم بل ولن يستطيع أن يرد الشيخوخة إلى شباب أو أن يحول بين الإنسان وبين الموت .

ومع ذلك قد يستطيع الإنسان أن يطيل عمره !! كيف !؟

اعلم أيها الأخ الكريم أن العمر الحقيقي للإنسان لا يقاس بسنواته التي قضاها من يوم ولادته إلى يوم وفاته وإنما العمر الحقيقي للإنسان يقاس بقدر ما قدم الإنسان في

سنوات عمره من عظام الأمور وجلائل الأعمال الخيرات الصالحات الطيبات .

هذا هو عمرك الحقيقي يقاس بعمل الخيرات وبالطاعات .

فكم من عمر طالت أماده وقلت خيراته !!

وكم عمر قلت أماده وكثرت خيراته !!

إن العمر الحقيقي يقاس بالأعمال والطاعات لا يقاس بالسنوات انظر إلى نبي الله نوح قضى ألف سنة إلا خمسين عاماً في الدعوة إلى الله وقدر الله جل وعلا ألا يؤمن معه

إلا قليل .

وانظر إلى عمر المصطفى صلى الله عليه وسلم محمد كم عاش وكم عدد سنوات دعوته ؟ تزيد عن العشرين قليلاً جداً ومع ذلك قدر الله له في هذا العمر القليل أن يقيم

للإسلام دولة من فترات متناثر فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء استطاع أن يرد الناس في صحراء تموج بالكفر موجاً إلى الله العلي الأعلى جل وعلا .

وهذا هو صديق الأمة الأكبر في مدة ولايته التي لا تزيد على سنتين ونصف حَوْلَ المحن التي أصابت الأمة إلى منح .

في سنتين ونصف قضى على فتنة الردة !!

في سنتين ونصف أنفذ بعث أسامة !!

في سنتين ونصف جمع القرآن الكريم وَرَدَّ الأمة إلى منهج النبي الكريم !!

وهذا فاروق الأمة عمر في عشر سنوات وستة أشهر هذه الفترة القليلة التي لا تساوى أى شئ في حساب الزمن يقدم عمر لدنيا الناس كافة قدوة لا تبلى بل ولن تبلى إنها

قدوة تتمثل في حاكم بركت الدنيا كلها على عتبة داره وهى مثقلة بالغنائم والأموال والكنوز والطيبات فقام عمر ليسرحها سراحاً جميلاً .

إنه عمر الذي أُرهب الملوك والحكام وتحت قدميه جاءت مفاتيح أعظم الإمبراطوريات ، إمبراطورية فارس ، وإمبراطورية الروم ، وانتصر الإسلام في

عهد عمر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ورفرفت راية الإسلام على فرنسا وعلى روسيا في عشر سنوات وستة أشهر إنها بركة الأعمار إنها الأعمار الطويلة المزكاة

المباركة من الله .

وهذا معاذ بن جبل شاب من شباب الأمة معاذ بن جبل شاب أسلم في الثامنة عشر من عمره وتوفى في الثالثة والثلاثين من عمره .

في هذه السنوات القليلة في عشر سنوات أو يزيد قليلاً استطاع معاذ أن يسطر على جبين الزمان وعلى صفحات التاريخ والأيام هذا المجد وهذه العظمة وهذا الخلود حتى قال له المصطفى صلى الله عليه وسلم يوماً : ((يامعاذ والله إنى لأحبك)) (1)

وهذا هو عمر بن عبد العزيز شاب في ريعان الشباب في ولاية استمرت سنتين ونصف استطاع أن يضع يده على الداء الذي استشرى في أمة الحبيب محمد ونجح في أن يستل جرثومته بيد بيضاء نقية وأن يعيد البشرية عوداً حميداً وكأنها تعيش في زمن الوحي حتى خرج المنادى يقول من كان عليه دين فسداده دينه من بيت مال المسلمين .

وهذا الشبل من ذاك الأسد سدَّ عمر بن عبد العزيز الديون وبقيت البركة باركة في بيت المال فخرج المنادى يقول من أراد من شباب المسلمين أن يتزوج فزواجه من بيت مال المسلمين فزوج الشباب وبقيت البركة باركة في بيت المال . فخرج المنادى للمرة الثالثة وهي أعجب ليقول أيها الناس من أراد حج بيت الله وهو لا يستطيع فحج بيت الله على نفقة بيت مال المسلمين وخرج من أراد الحج وبقيت البركة باركة في بيت المال .

في مائة سنة فعل هذا؟! في ألف سنة؟! لا والله في سنتين ونصف . ألم أقل لكم بأن العمر يطول بجلال الأعمال وعظائم البطولات .

فيأيها المسلم أطل عمرك بعمل الخيرات وعمل الطاعات ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره وهو حديث صحيح . ((اغتنم خمساً قبل خمس ، حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك)) (1)

اغتنم هذه الغنائم ولا تضيع عمرك ولا تضيع ساعات وقتك فإن العمر يولى وغدا سترى نفسك بين يدي الله .

وأخيراً أوجه رسالة إلى القتلة بل شر القتلة فمن هم !!؟

نتعرف عليهم بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا أيها الأحبة الكرام

((رسالة إلى القتلة))

إلى من يقتلون الوقت قتلاً .. إلى من يقتلون العمر قتلاً .. إلى من يضيعون الحياة تضييعاً .

يا من تضيع الوقت : أنت تضيع عمرك وتضيع حياتك وتنتحر انتحاراً بطيئاً وأنت لا تدرى .

بل ولا يذكرك أحد بهذه الجريمة الشنعاء التي ترتكبها في حق نفسك .
تسأل لماذا ؟

يقول : أضيع الوقت !!

بل ورب الكعبة رأيت بعيني على عرفات في يوم عرفة رأيت الناس بلباس الإحرام قد جلسوا على (الشيشة) ورأيت بعضهم يجلس على السلم والثعبان ورأيت بعضهم يلعب (الكوتشينة) فتعجبت واقتربت منهم وقلت يا أخي اتق الله أنت بلباس الإحرام في يوم عرفة جئت لتطهر من كل ذنب ولترفع إلى الملك أكف الضراعة وأراك على هذا اللهو والعبث !!

والله لقد رد علىّ جلمهم وقالوا : يا شيخ اليوم طويل هانحن نضيع الوقت!!

تضيع وقت عرفات ؟!

تضيع وقت الطاعات ؟!

تضيع وقتاً ينتزل فيه رب الأرض والسماوات ليباهى الملائكة بعباده الذين ذهبوا إليه شعساً غبراً يطلبون رضوانه ومغفرته ؟! .

أيها القاتل لو قتك بل لعمرك بل لحياتك !!

والله الذى لا إله غيره ستندم يوم لا ينفع الندم وستأتى عليك ساعة ستعرف فيها قدر الساعة .. وسيأتى عليك زمن تعرف فيه قدر الزمن .. وسيأتى عليك وقت تعرف فيه قدر الوقت !!

إذا نمت على فراش الموت ستتمنى من الله أن تعود إلى الدنيا ساعة واحدة لتعمل فيها صالحاً لله جل وعلا .

اللهم استرنا فوق الأرض استرنا تحت الأرض واسترنا يوم العرض .

أيها الحبيب الكريم اعرف قدر وقتك وشرف زمانك وحقيقة عمرك وحقيقة ساعات أيامك فعد الليلة إلى الله .

البدار .. البدار .. قبل فوات الأعمار واسمع إلى العزيز الغفار وهو ينادى عليك ويقول: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر:53]

(1) رواه الترمذى رقم (2419) فى صفة القيامة ،باب رقم (1) ، وقال الترمذى :

هذا حديث حسن صحيح وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع (7300)

(1) حسنه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (1802) وفى صحيح الجامع(3045)

وقال رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر .

(1) أخرجه البخاري (2887) فى الجهاد والسير باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله.

(2) رواية البخاري رقم(6412) فى الرقاق فى فاتحته الترمذى رقم(2305) فى

الزهد فى فاتحته .

(3) رواية البخاري رقم (52) في الإيمان ، باب فضل من إستبرأ لدينه ، وفي البيوع ، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات ، ومسلم رقم (1599) في المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات وأبو داود رقم (3329, 3330) في البيوع ، باب في اجتناب الشبهات ، الترمذى رقم (1205) في البيوع ، باب ما جاء في ترك الشبهات ، والنسائي (241/7) في البيوع ، باب اجتناب الشبهات في الكسب .
(1) حسنة شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع رقم (5682) والصحيحة رقم (2268)

(2) رواه مسلم رقم (144) فى الإيمان ، باب بيان أن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً.

(1) رواه البخارى رقم (6407) فى الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، ومسلم رقم (779) فى صلاة المسافرين ، باب استحباب النافلة فى بيته .
(1) رواه أبو داود رقم (1522) فى الصلاة باب الاستغفار ، والنسائي (53/3) فى السهو باب نوع آخر من الدعاء وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع (7969)
(1) صححه شيخنا الألبانى فى صحيح جامع (1077) وقال رواه الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس وأخرجه أحمد فى الزهد وأبى نعيم فى الحلية .

سيف الله المسلول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} سورة آل عمران: 102.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}

سورة النساء: 1

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} سورة الأحزاب: 70 ، 71.

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، ثم أما بعد: فحياكم الله أيها الأخوة الفضلاء وأيتها الأخوات الفضليات وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنا فى هذه الدنيا دائماً وأبداً على طاعته أن يجمعنا فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار مقامته إنه ولى ذلك والقادر عليه. أه يا مسلمون.

أه يا مسلمون ! متنا قرونا .. والمحاق الأعمى يليه محاق

أى شئ فى عالم الغاب نحن آدميون أم نعاج تساق

نحن لحم للوحش والطيور منا الجثث الحمر والدم الدفاق

وعلى المحصنات تبكى البواكى يا لعرض الإسلام كيف يراق

قد هوبنا لما هوت
واقتلعنا الإيمان فاسودت الدنيا علينا واسودت الأعماق
وإذا الجذر مات فى باطن الأرض تموت الأغصان والأوراق
آه يا مسلمون

القدس تباد والعالم ... كله خسة وخيانة ونفاق
القدس تباد والعالم كله خسة وخيانة ونفاق
القدس من دولة المجد عثم ان أبوها والفتاح العملاق
القدس من قلب مكة بالتو حيد يعلو لوأوها الخفاق
تركوها وما حولها كلاب اليهود طوقا من خلفه أطواق
تركوها وحولها من كلاب اليهود طوقا من خلفه أطواق
قدمتها للصلبان لليهود قربانا قربانا .. ولليهود كلهم عشاقا
والله لو فعلنا باليهود ما فعلوه لرأينا مثل الذى رآه العراق
قد حفظنا للمرة الألف عنكم عالم الغاب ما له ميثاق
واقع ينزف طفل لا يعلم أين ذهب أبوه ولا أين ذهبت أمه ولا أين ذهب إخوانه طفل
فى الثانية من عمره ينظر إلى السماء التى حولها السلاح الأمريكى إلى نهار مضى
فهو يتساءل ما هذه الأنوار فى سماء الليل المظلم؟

من الذى حول مساء فلسطين المظلمة إلى نهار مشرق، النيران المتأججة المتوهجة
وهو لا يدري أن الصواريخ والطائرات والدبابات قد حولت هذا الظلام الدامس
بنيران متأججة. ثم ينظر فيرى أشلاء أمه تتناثر، ويرى أشلاء أبيه تتمزق ويرى
دماء إخوانه تسيل فى كل واد، فيخرج الطفل مذعوراً مفزوعاً يخرج إلى الشوارع
والطرقات فيرى جندياً يهودياً يقابله بهذا المدفع الرشاش، أو بهذه الدبابة بل بأعداد
من الدبابات!!

لا أقول: انبعثت رائحة جثث إخواننا من الشهداء أسأل الله أن يتقبلهم عنده فى الشهداء
بل انبعثت رائحة الخيانة من أين؟ من تحت الانقاض من المقابر الجماعية ذات
الصنع اليهودى المحكم.

لن تستطيع قوة أن تحصر عدد القتلى أو عدد الشهداء فلقد دفنت الجثث بصورة
جماعية فى مقابر جماعية، وهالوا على هذه الجثث الزكية التراب من الرجال
والنساء والأطفال فأحببت فى ظل هذا الواقع المر الأليم أن أذكر بهذا الذى جعله
المصطفى صلى الله عليه وسلم ذروة سنام الإسلام، حيث قال لمعاذ بن جبل كما فى
سنن الترمذى بسند صحيح: " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه". قال
بلى يا رسول الله قا المصطفى صلى الله عليه وسلم: " رأس الأمر الإسلام وعموده
الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله" ([1]) أحببت أن أذكر بهذا الشرف شبابنا
وأولادنا وأمتنا وأنا أؤكد لحضراتكم بأنه لا يوجد شر محض كما ذكرت فى دروس
العقيدة شاء الله بهذه الفتنة فى هذه الأيام حينما دخل المجرم شارون المسجد الأقصى
شاء الله بهذا الحدث أن تعلم الأمة كلها حقيقة اليهود وشاء الله بهذا الحدث أن يذكر
علماء الأمة بإجرام اليهود وأن يبينوا عقيدة الولاء والبراء وأن يذكروا من جديد
بالجهاد فى سبيل الله.

أسأل الله أن يرفع علمه إنه ولى ذلك ومولاه

تعالوا لنعيش اليوم مع علم من اعلام الجهاد إنه عالم وحده فى فن القيادة وإدارة الحروب إنه قائد المجاهدين وأستاذ فن الحروب والبياديين الفاتك بالمسلمين يوم أحد، والفاتك بأعداء الإسلام بقية الأيام، إنه فارس الإسلام والمسلمين إنه سيف من سيوف رب العالمين بشهادة سيد المرسلين، إنه ترياق وساوس الشياطين بشهادة الصديق الأمين إنه الفارس الرشيد، إنه البطل العنيد إنه خالد ابن الوليد.

ماذا يعرف شبابنا عن خالد؟ بل وماذا تعرف الأمة عن خالد فى زمن تعلم فيه أولادنا وأبنائنا فى الجامعات تاريخ الأقرام بل وتاريخ المجرمين، فأولادنا الآن يعرفون بسمارك ويعرفون ستالين ويعرفون هتلر ويعرفون لينين ويعرفون شارون ويعرفون كل المجرمين من القادة الخبيثاء.

فماذا يعرف شبابنا عن قائد القادة وأستاذ فن الحروب الذى وقف القادة أمام مورد خالد الخالد لينهلوا منه فن القيادة وإدارة الحروب ماذا يعرف شبابنا عن خالد فى زمن يتربى فيه أولادنا على سير الساقطين وأحوال الهابطين ممن يقدمون الآن لأولادنا ليكونوا القدوة والمثال.

خالد بن الوليد نشأ فى بيئة غنية مترفة فلك أن تعلم أيها الأخ الفاضل أن والد خالد هو الوليد بن المغيرة الذى كان أغنى أبناء زمانه بلا نزاع فهو الذى توعدده الله فى قرآنه بسورة المدثر بقوله: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * } {سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا} (11 ، 17) سورة المدثر

إلى آخر الآيات من هذا الرجل إنه والد خالد بن الوليد، الوليد بن المغيرة فى هذه البيئة الغنية نشأ خالد لكنه راض وعود نفسه على الرجولة والفروسية والخشونة والبطولة، فكان يترك هذه البيئة، ليركب فرسه وجواده ليشق به الوديان وليصعد به الجبال والقمم حتى صار فارساً لا يشق له غبار إلا أنه فى الوقت ذاته ورث الكره الشديد للإسلام عن أبيه فخالد هو قائد الميمنة فى غزوة أحد هو الذى باغت الرماة الذين خالفوا أمر رسول الله مباغته أذهلتهم بل وأذهلت المسلمين بل وتشنت الجمع والشمل وتحول النصر إلى هزيمة حتى جرح المصطفى صلى الله عليه وسلم وشق وجهه وكسرت رباعيته ودخلت حلقات المغفر فى وجهه الشريف .

جديداً مع المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى المدينة وانظر إلى فضل الله على خالد بعد ثلاثة أشهر فقط، أو أقل يخرج خالد بن الوليد للمرة الأولى جندياً فى كتائب التوحيد والإيمان بعد أن كان من ثلاثة أشهر فقط قائداً من قواد جيش الشرك والضلال إلى أين لمناطحة الصخور الصماء.. أين فى بلاد الشام فى غزوة مؤتة لمقابلة الروم الى يغبرون من أن لآخر على حدود الدولة الإسلامية.

وأمر سيد البشرية الجيش أن يذهب إلى هناك ليؤدب الروم والقبائل التى والت الروم، وقام المصطفى صلى الله عليه وسلم بنفسه ليختار قواد الجيش الإسلامى كما فى صحيح البخارى فى كتاب المغازى من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر على الجيش فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة.

أسمع للمصطفى حين قال: "إن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب" .. ما ينطق عن الهوى .. " فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة" ([2]) وانطلق الجيش وحينما وصل الجيش الإسلامي الذي لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل حينما وصل الجيش الإسلامي إلى أرض المعركة.

وجد الجيش نفسه أمام جيش جراز يزيد على مائة ألف مقاتل فتردد الصحابة في القتال. فقال الشهيد الطيار صاحب السرير الذهبي الشاعر الشهيد عبد الله بن رواحة القائد الثالث لما رأى الصحابة قد ترددوا لهذه الكثرة المرعبة في جيش الروم، فقال كلمات حركت القلوب ماذا قال عبد الله بن رواحة قال: يا قوم والله إن التي تكرهون التي خرجتم تطلبون - إنها الشهادة وما نقاتل عدونا بعتاد وعدد، وإنما نقاتل عدونا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنها إحدى الحسنين إما نصر وإما شهادة. فانطلق الجيش وتلاحم الجيش الإسلامي مع جيش جراز رهيب يزيد على مائة ألف فارس، ودارت معركة رهيبة وتتابع سقوط الشهداء، وقتل القائد الأول كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى قتل زيد بن حارثة، وقبل ان يسقط اللواء التقطه جعفر بن أبي طالب، ولكن الروم كثرة فقطع الروم يمين جعفر فالتقط اللواء بشماله، فقطعوا شماله فالتقط اللواء وضمه بعضديه حتى لا يسقط فطعنوه في صدره، فسقط اللواء وسقط خيار الشهداء.

لكن عبد الله بن رواحة التقط اللواء من على الأرض سريعاً ورفع عاليًا. وراح ليذكر نفسه وإخوانه بالجنة، ولكنه قتل هو الآخر، وسقط اللواء للمرة الثالثة، فأسرع على اللواء صحابي جليل مبارك إنه ثابت بن أقرم وأرضاه، فالتقط اللواء من على الأرض، وظل ينادى: يا أبا سليمان يا أبا سليمان .. من أبو سليمان غنه الفارس العنيد، إنه البطل الرشيد إنه خالد ابن الوليد: يا أبا سليمان خذ اللواء انظروا إلى أدب خالد وتواضعه قال: لا . أنت أحق به مني يا ثابت فأنت أقدم إسلاماً، وقد شهدت بديراً مع رسول الله حتى في هذه اللحظات يعرف أهل الفضل لذوى الفضل في ساحة الوغى، وميدان البطولة والشرف وحينما تصمت الألسنة الطويلة وتخطب السيوف والرماح على منابر الرقاب لا ينسى الفضل لأهل الفضل ذر الفضل فيقول خالد: لا . أنت أولى به مني يا ثابت، فأنت أكبر سناً مني وأنت ممن شهد بديراً مع رسول الله.

فقال ثابت بن أقرم: لا يا خالد، والله ما أخذت اللواء إلا لك فأنت أدري بالقتال مني ثم صرخ ثابت بن أقرم في الجيش الإسلامي وقال: أيها المسلمون أتقبلون إمرة خالد بن الوليد، فهتف المسلمون جميعاً على لسان وقلب رجل واحد: اللهم نعم لقد رضينا إمرة خالد بن الوليد، فالتقط اللواء خالد بن الوليد واعتلى العبقري جواده ورفع اللواء بيمينه إلى الإمام كأنما يفتح أبواباً مؤصدة مغلقة أن لها بإذن الله أن تفتح، وفي سرعة خاطفة في ظلام الليل فعل خالد بن الوليد العجب العجاب.

لقد تولى خالد إمرة الجيش بعدما تحدد مصير المعركة بالفعل قتل القادة الثلاثة وانتهت المعركة يقيناً. وكانت المفاجأة المذهلة والكرامة الكريمة التي تنتظر عظيمًا ليحققها هي أن يوقف الخسائر المذهلة في الجيش الإسلامي، وأن يؤمن انسحاباً لأفراد الجيش بلغة العسكرين هذا قمة النصر.

وفى ظلام الليل اعتلى العبقري بجواده ربوة عالية وألقى بعينين ثاقبتين كعيني الصقر نظرة فاحصة سريعة على أرض الميدان وعاد ليغير الموقف بأكمله فجعل الميمنة فى الجيش فى الميسرة وجعل الميسرة فى الميمنة وجعل المقدمة فى المؤخرة وقدم الساقة أى: المؤخرة إلى المقدمة، وغير الأعلام وأمر طائفة أخرى من الجيش أن تتأخر فإذا بزغ نور الصباح أمرها أن تثير غباراً وتراباً، ليتصاعد الغبار إلى عنان السماء وأمرهم أن يحدثوا صياحاً وجلبة وضجيجاً وصراخاً فلما بدأت المعركة فى الصباح رأى الروم وجوهاً غير الوجوه وأعلاماً غير الأعلام ورأوا غباراً ملأ السماء يرتفع إلى عنان السماء فظن الروم أن جيشاً ومدداً جديداً قد أتى من المدينة للجيش الإسلامى فقفز الله الرعب فى قلوبهم ففروا من الميدان واستطاع خالد بن الوليد الفارس العنيد أن يفتح ثغرة وسط هذه الكتلة الهائلة من جيش الروم. لقد روى البخارى أن خالد بن الوليد تحطم فى هذا اليوم فى يده تسعة أسياف، تسعة أسياف تحطموا فى يد خالد واستطاع هذا العملاق العبقري أن يفتح ثغرة فى قلب هذا الجيش الرومى الهائل، وأن يؤمن انسحاباً للجيش الإسلامى حتى نجا بفضل الله المؤمنون ثم بعبقرية خالد.

وهناك فى المدينة قام المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى، فلقد أوحى الله عز وجل له ما حدث فوق المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المسجد وعيناه تذر فان بأبى هو وأمى وروحي ونفسي فقال كما فى صحيح البخارى من حديث أنس قال: "أخذ الراية زيد بن حارثة فأصيب وأخذها جعفر بن أبى طالب فأصيب وأخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم" ([3]) .. فسمى المصطفى صلى الله عليه وسلم نصر خالد فتحاً: "ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم" .. يا لها من منقبة عظيمة كريمة جليلة يا له من نيشان يعلقه المصطفى صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة الطاهرة على صدر خالد بن الوليد ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم.

وعاد خالد، ليحتل هذه المكانة المرموقة بتزكية المصطفى صلى الله عليه وسلم له، وبعد أشهر قليلة يخرج النبى صلى الله عليه وسلم قائداً للجيش الإسلامى، لفتح مكة ليجعل النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد قائد الميمنة كما كان قائد لميمنة قبل ذلك فى جيش الشرك، ولكنه اليوم قائد الميمنة فى جيش التوحيد بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وتوفى الحبيب ويتولى الخلافة أبو بكر وتهب أعاصير الردة الماكرة المجرمة الخبيثة ويقوم الصديق ذلكم الشيخ الجليل الذى ضم فى لحظات قليلة روح الشباب بين إهابه وتحولت محنة الردة بين يديه إلى منحة قام الصديق، لي جيش الجيوش وليعد ألويته بنفسه للقادة لقتال المرتدين فى أقصى الجزيرة فلقد ظهرت فتنة الردة هنا وهناك وهناك، وقام الصديق للقضاء عليها وحينما أعطى اللواء لكل قائد أتجه نحو خالد فقط وقال الصديق لخالد: يا خالد إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين المنافقين" ([4]) .. والحديث رواه أحمد

وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ورفع اللواء لخالد وانطلق خالد بن الوليد وبدأت معارك الردة وانطلق خالد من نصر إلى نصر ومن عزة إلى عزة ومن كرامة إلى كرامة حتى اشتعلت نار المعركة الرهيبة ألا وهي معركة اليمامة.

فلقد استطاع الدعي الكذاب مسيلمة أن يهزم عكرمة بن أبي جهل وهو أحد القواد على الجيوش الإسلامية استطاع الكذاب مسيلمة أن يهزم عكرمة بن أبي جهل هزيمة نكراء فأصدر الأوامر خليفة رسول الله لخالد بن الوليد أن يتجه مسرعاً لقتال مسيلمة، وهناك جمع خالد بن الوليد الجيوش، وتولى القيادة العامة والتقى مع مسيلمة في معركة فاصلة حاسمة إنها معركة اليمامة، ودار قتال رهيب رهيب وبالفعل تساقط كثير من قراء القرآن الكريم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتتابع سقوط الشهداء، واعتلى العبقري أيضاً بجواده ربوة عالية ثم عاد إلى أرض المعركة مسرعاً فنظم الصفوف وأعاد الترتيب ثم نادى بأعلى صوته في الجيش: امتازوا اليوم لنعلم بلاء كل حي .. امتازوا اليوم لنعلم بلاء كل حي .. يريد أن يكشفهم أمام أنفسهم وأمام إخوانهم ليبلى كل قائد وكل جندي بأقصى ما يملكه لدين الله.

وبالفعل سرعان ما تساقط جند مسيلمة بالمئات فمن لحظات تساقط المسلمون بالعشرات بل بالمئات كزهور حديقة غناء طوحت بها عاصفة عنيدة شديدة وبعد لحظات بفضل الله ثم بفضل خالد يتساقط جند مسيلمة بالمئات كالذباب الحقير خنقت أنفاسه نفثات مطهر مبيد وحسنت المعركة بفضل الله لخالد، وللمسلمين.

ولم يسترح خالد بن الوليد حتى أصدر الخليفة المبارك أبو بكر أوامره لقائدة المبارك أن ينطلق بعد حروب الردة انطلاقة أخرى كبيرة إلى أين؟ إلى أعظم إمبراطورية في الشرق إنها إمبراطورية الفرس بقيادة هرمز البطل المغوار والقائد المعروف المحنك، فبدأ خالد بن الوليد معاركه الجديدة فبدأ بالعراق وبدأ المعارك بإرسال الكتب لقادة الألوية الكسروية في العراق وتوايعها فماذا قال خالد؟

اسمع وتدبر أيها الأخ الحبيب قال خالد: بسم الله الرحمن الرحيم: من خالد بن الوليد إلى مرزبة فارس سلام على من اتبع الهدى وبعد فالحمد لله الذي فض وسلب ملككم، ووهن كيدكم، من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم له ما لنا وعليه ما علينا، فإما أن تسلموا وإما الجزية، وإما الحرب وإلا فوالله لقد جئتكم برجال يحبون الموت كما تحبون الحياة.

ودب الرعب في قلوب مرزبة فارس لاسم خالد. ولن أفصل في المعارك فهذا يحتاج إلى خطب طويلة لكن على الجملة أقول: استطاع خالد بن الوليد في عام واحد أن ينجز ما عجز الرومان أن ينجزوه مع الفرس في أجيال سأكبر لمن اراد أن يراجع التاريخ أقول: استطاع خالد بن الوليد في عام واحد أن ينجز ما عجز الرومان أن ينجزوه مع الفرس في أجيال فلقد دخل خالد مع الفرس خمس عشرة موقعة لم يهزم في موقعة واحدة بفضل الله وكان من أخطر هذه المواقع التي خاضها خالد مع الفرس موقعة ذات السلاسل وسميت بذات السلاسل، لأن الفرس من الأبطال كانوا يقيدون أنفسهم بالسلاسل خشية أن يفروا من الميدان تحت ضربات خالد الساحقة.

وأنتهت الموقعة بفضل الله بنصر كبير جديد لخالد وللجيش الإسلامي وبهزيمة منكرة لجيوش كسرى ستعجبون أن الخليفة الراشد أبا بكر وارضاه في هذا التوقيت الذي

أمر فيه خالد بن الوليد أن ينطلق إلى الإمبراطورية الفارسية كان قد أعد جيوشاً أخرى لمقاتلة الإمبراطورية الرومانية في بلاد الشام لقتال الروم يا له من عجب! انظروا إلى الرجال الذين ما عاشوا من أجل العروش والكروش والفروج وعاشوا من أجل الكراسى الزائلة والمناصب الفانية بل عاشوا من أجل الله ودين الله يرسل جيوشاً أخرى في الوقت ذاته، لقتال الروم، لقتال الإمبراطورية الرومانية في بلاد الشام، وقام الصديق بنفسه أيضاً ليختار قادة هذه الجيوش فاختر أبو عبيدة بن الجراح وجعل القيادة العامة في يده واختار عكرمة بن أبي جهل، ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وجعل القيادة العامة لأمين الأمة أبي عبيدة وأرضاه ولكن الجيش المسلم حينما وصل إلى حدود الشام وسمع إمبراطور الشام أنه قد أرسل جيشاً لملاقاته غضب إمبراطور الروم غضباً شديداً وقال كلمة خطيرة قال: والله لأشغلن أبا بكر عن أن يورد بعد ذلك خيله إلى أرضنا .. والله لأشغلن أبا بكر عن أن يورد بعد ذلك خيله إلى أرضنا.

فجيش جيشاً لملاقاة المسلمين.. تدبر الرقم يزيد عدد الجيش الرومي على مائتين وأربعين ألف مقاتل، فلما رأى القادة الموقف الرهيب، والصورة الجديدة أرسلوا رسالة بالبريد السريع ولم يكن هناك ما يعرف الآن بهذه الوسائل إنما البريد السريع هو أن يكلف رجل من الفرسان الذين يجيدون الجرى والكر في الطرق والجبال والوديان، ليحمل رسالة مكتوبة من قائد الجيش إلى الخليفة وليرجع بأوامر الخليفة إلى القادة فأرسلوا برسالة سريعة إلى أبي بكر يخبروه بالأمر الجديد وبالجيش المقابل.

اسمع ماذا قال الصديق رداً على قول إمبراطور الروم قال: والله لأشفين وساوسهم بخالد .. والله لأشفين وساوسهم بخالد .. فأصدر الخليفة الأمر إلى الفارس الرشيد والبطل العنيد خالد بن الوليد أن يترك العراق وينطلق مسرعاً إلى الشام، ليتولى القيادة مكان أبي عبيدة وسأقف وقفة سريعة قبل أن أصل مع خالد إلى جبهة الشام فإن خالد عبقرى من طراز فريد ومخلص لله من طراز كريم، حان عليه أول موسم للحج ظن فيه أنه يستطيع أن يؤدي الفريضة وهو في العراق.

ففي سرية تامة ركب جواده وانطلق بسرعة البرق من أقصى العراق إلى جنوب الجزيرة فأدى فريضة الحج دون أن يعلم الخليفة أبو بكر مع أنه أمير الحج ودون أن يعلم أحد في الجيش الإسلامى إلا الخاصة من المقربين من قواده، ودون أن يعلم أحد من الأعداء في أسبوعين اثنين حج خالد وعاد من مكة إلى العراق، ثم أصدر إليه الأمر أن يسير ليتولى قيادة الجيوش في الشام.

اسمع وتدبر يا شباب الصحوة، أرسل الخليفة المبارك أبو بكر رسالة إلى الأمين أبو عبيدة بن الجراح. فقال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر لأبى عبيدة بن الجراح، هكذا من أبي بكر إلى أبي عبيدة بن الجراح. سلام الله عليك وبعد : فإنى قد وليت خالد بن الوليد القيادة في بلاد الشام فلا تخالفه واسمع له واطع والله ما وليت خالد القيادة إلا لأنى ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك وأنت عندى يا أبا عبيدة خير منه أراد الله بنا وبك خيراً والسلام. , أبو بكر.

إنه التجرد إنه رجل الساعة بجدارة هو خالد فيتقدم خالد ليس المهم من يرفع الراية المهم أن تُرفع الراية، ليس المهم من يقول الحق المهم أن يُقال الحق فليرفع الراية خالد وليساعده أبو عبيدة، وليرفع الراية أبو عبيدة وليساعده خالد ويكتب خالد بن الوليد رسالة رقاقة لطيفة لأخيه الأمين أبو عبيدة فيقول فيهاك بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى أخيه الأمين أبي عبيدة بن الجراح سلام الله عليك وبعد. فإنى قد تلقيت كتاب خليفة رسول الله يأمرنى بالسير إلى بلاد الشام لتولى جندها والقيام على أمرها ووالله ما طلبت ذلك وما أردته فأنت في موطنك الذى أنت فيه يا أبا عبيدة لا نستغنى عن مشورتك ولا عن رأيك فأنت سيدنا وسيد المسلمين أراد الله بنا وبك خيراً والسلام.

يا له من تجرد ، بهذه القلوب نصر الله الأمة بهذه القلوب المتجردة، نصر الله الأمة لكن انظروا الآن إلى حب الزعامات وحب الصدارات وحب القيادات المهم أن أقول أنا أما أنت فلا !!! المهم أن أتصدر أنا أما أنت فلتتأخر!!! هذا هو الواقع المر الأليم، ويتنازل الأمين أبو عبيدة عن القيادة لأخيه سيف الله المسلول خالد بن الوليد وبسرعة البرق يا إخوة فى أيام لا يصدقها عقل عسكري فضلاً عن عقل إنسان عادى، يترك خالد العراق تحت قيادة أخيه المبارك المثنى بن حارثة، لينطلق بجيشة إلى الشام فى طريق لا يسير فيه أحد أراد أن يختصر الطريق اختصاراً حتى وصل إلى إخوانه وهنالك التقى بالقادة . بأبى عبيدة وبعمرو بن العاص وببازيد بن أبى سفيان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها القادة أيها القادة هذا يوم من أيام الله فأخلصوا جهادكم لله عز وجل فإن هذا اليوم له ما بعده فإن رددناهم اليوم وهزمناهم لم نزل نردهم ونهزمهم بقية الأيام بإذن الله. وإن هزمونا اليوم لن نفلح بعدها أبداً ، فتعالوا بنا لنتبادل الإمارة فليكن أحدنا اليوم أميراً، وليكن أحدنا فى الغد وليكن أحدنا بعد الغد حتى يتأمر الجميع إن شاء الله وأستاذنكم أن تتركوا الإمارة لى فى اليوم الأول فأذنوا له.

وقام العبرى لينظم الجيوش وبدأ القتال بإشارة خالد الذى اعتلى جواده بعقريه فذة نادرة وحرك اللواء وصرخ صرخة دوت فى الجيش كله وسرت القوة والحماسة فى عروقهم كسريان التيار الكهربائى فى الأسلاك وهم يسمعون خالد بن الوليد وهو يقول: الله أكبر هبى رياح الجنة .. الله أكبر هبى رياح الجنة.

وأبلى المسلمون فى هذا اليوم بلاءً لا يستطيع أديب بليغ أن يعبر عن شئ منه فهاهم المسلمون يفعلون الأعاجيب فى هذا اليوم ها هو رجل من الصحابة ينادى فى أرض المعركة على أبى عبيدة بن الجراح ويقول: يا أبا عبيدة يا أبا عبيدة فيلتفت إليه أبو عبيدة ويقول: ما حاجتك؟ فيقول الصحابى: بل أنت هل لك حاجة أبلغها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنى عازم اليوم على الشهادة وسألقى رسول الله اليوم فهل لك حاجة لأبلغها لرسول الله؟ فقال أبو عبيدة : نعم أقرئ رسول الله منا السلام وقل له: يا رسول الله إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.. وهذا عكرمة ابن أبى جهل؟ أجل أبى جهل عكرمة الصحابى المبارك يصرخ فى أرض المعركة وينادى على الصحابة ويقول: يا أصحاب رسول الله من يبائع على الموت؟! من يبائع على الموت؟! فتبائعه كوكبة من الأطهار الأبرار فيقول عكرمة: لطالما حاربت رسول الله قبل أن

يهديني الله للإسلام أفر اليوم من الجهاد في سبيل الله لا والله من يبايع على الموت؟! فتبايعه كوكبة أخرى .. فانطلقت هذه الكوكبة بقيادة عكرمة، لتبحث عن الشهادة لا عن النصر فصدقوا الله فصدقهم الله جل وعلا وانتهت الموقعة الحاسمة بنصر مؤزر لخالد بن الوليد وللمسلمين وفي أوج هذه الانتصارات المذهلة يموت خليفة رسول الله ويحمل البريد رسالة من الخليفة الجديد المبارك عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح، ليخبره فيها بموت خليفة رسول الله وليأمره فيها بأن يتولى القيادة من جديد. وهنا قال الكذابون المغرضون ما قالوا في حق عمر فقالوا: إن عمر بن الخطاب قد عزل خالد بن الوليد لضغينة قديمة في نفس عمر نحو خالد وهذا أمر ورب الكعبة لا يليق بأحد المؤمنين الصادقين فكيف بمن أجرى الله الحق على لسانه وقلبه بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم الأمين؟ كيف بعمر الذي بلغ من الصدق والإخلاص والعظمة والنقاء والصفاء ما لم يستطع أديب أو عالم مبارك أن يعبر عن شيء منه؟ كيف والذي شهد بصدق عمر وبأن الله أجرى الحق على قلبه ولسانه هو المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ كيف يقول مغرض عن عمر هذا؟ كيف يقال: بأن عمر عزل خالدًا لعداوة قديمة؟

تقول كتب التاريخ التي لم تحقق كما فصلت قبل ذلك بأن عمر قد صارع خالد بن الوليد فترة الصبا فصارع خالد عمر فحملها عمر في نفسه لخالد فلما تولى عمر الخلافة عزل خالد في تمثيلية سخيفة لا تليق هذه المسرحية الهزلية بأحد المؤمنين الصادقين فضلاً عن اصحاب سيد المرسلين.

وق خالد بن الوليد موقفاً، ورب الكعبة مع كل ما قدمه خالد لا أرى أعظم وأكرم وأشرف وأكبر وأظهر واجل من موقفه هذا من يوم أن أسلم إلى يوم أن مات، نعم .. يدفع أبو عبيدة الكتاب لخالد فيقرأ خالد بن الوليد الكتاب فيؤدي تحية الجندي لقائدة في التو واللحظة، ليصير خالد بن الوليد جندياً مطيعاً، بعد أن كان بالأمس القريب قائداً كبيراً مطاعاً، إنها العظمة هؤلاء لا يعملون للكراسي ولا يعملون للمناصب وإنما يعملون لله.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة وفيه أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال (ص) "طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله . أشعت الرأس مغبرة قدماء إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقاة كان في الساقاة وإن استأذن لا يؤذن له وإن شفع لا يشفع" ([5])

رجل لا يريد منصباً سياسياً، ولا يريد طبلاً أو زمراً إعلامياً إنما هو يريد رب البرية جل جلاله لا يريد بعمله إلا الله، فإن كلف القيادة فهو جندي لله وإن كلف بالجندي فهو جندي لله لا يبتغي الأجر إلا من الله في علاه فيتنازل خالد عن القيادة لأخيه الأمين، ليصير جندياً مطيعاً بعد أن كان قائداً مطاعاً.

ولنرجع إلى عمر لماذا عزلت خالدًا يا عمر لماذا؟ أجب أنت فأنت متهم من الكذابين فلماذا عزلت خالد بن الوليد سيف الله المسلول؟ والجواب في كلمات حاسمة قاطعة كالحق الذي أجرى على قلب ولسان عمر يقول: لا أمير على أبي عبيدة.. هذه هي الأولى.. لا أمير على ابني عبيدة هذه مكانة أبي عبيد عند عمر فهو أمين الأمة، لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح بشهادة رسول الله .

وانظر إلى الكلمة الثانية الأخطر قال عمر: أرسل رسالة إلى الأمصار حينما بث المنافقون هذا القول في عزل عمر لخالد فأرسل عمر كتاباً إلى الأمصار ليبين سر عزله لخالد بن الوليد فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه: إنا لم نعزل خالد ابن الوليد لسخط أو لخيانة وإنما عزلته لأنى قد رأيت الناس قد فتنوا به وظنوا أن النصر من عنده فأردت أن أعلمهم أن النصر من عند الله وأن الله هو الصانع.. لأنى رأيت الناس بعرض فتنة.

كلمات في عقيدة التوحيد حاسمة عمر طبيب للقلوب ومن عاش منكم مع خالد ورأى نصره المتتالي لشعر بكلمات عمر لقد ترددت الكلمات بالفعل وفتن كثير من الناس بخالد وبسيف خالد وظنوا أن النصر في سيف خالد وبسيف خالد لا من عند رب خالد الذى يوفق خالد بن الوليد فصار الناس بعرض فتنة خطيرة على القلوب فأراد من أجرى الله الحق على قلبه ولسانه أن يربط قلوبهم بالملك { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } (سورة آل عمران) وها هو خالد ينام على فراش الموت فماذا قال خالد وماذا قيل عنه والجواب بعد جلسة الاستراحة ، واقول هذا واستغفر الله لى ولكم..

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله واصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد... فيا أيها الأحبة الكرام أرجو أن تركزوا معى فى هذه اللحظات الحاسمة الأخيرة من حياة عبقرى الإسلام والمسلمين خالد بن الوليد وارضاه وصى الله على أستاذه ومعلمه، ها هو خالد ينام على فراش الموت بعيداً عن ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف يا إلهى سبحانه فيقول خالد: والله لقد شهدت كذا وكذا زحفاً وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا ذا أموت على فراشى رغم أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء..

لم يقدر رب الأرض والسماء لقائد الميادين أن يموت فى الميدان بل قدر له أن يموت على فراشه، ليعلم الله جل وعلا الجبناء ممن يحرصون على الحياة بأى ثمن ولو كان على حساب الدين والعقيدة، ليعلم الله جل وعلا الذين يحرصون على الحياة بأى ثمن، ولو كان على حساب الدين والعقيدة ليعلم الله جل وعلا الذين يحرصون على الحياة التافهة الرخيصة من حياة الشهوات والشبهات ولو على حساب دين رب الأرض والسموات أن الموت إن حان مواعده لا يؤجل ولا يقدم كما قال الله تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } (34) سورة الأعراف أينما كنت وحيثما كنت ولو كنتم فى بروج مشيدة فإن ملك الموت لا يستأذن أحداً إذا جاءه الأمر من الله نفذ لا يرهب سلطاناً ولا حاكماً ولا مالكاً يموت خالد على فراشه ويبيكى وهو يردد هذه الكلمات ثم يردد كلمة التوحيد: لا إله إلا الله لا إله إلا الله وتفويض روحه الكريمة إلى خالقها وبارئها جل فى علاه ويموت عبقرى الإسلام ويموت البطل العنيد ويموت الفارس الرشيد يموت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين والمنافقين.

يموت خالد بن الوليد. إيه يا بطل غيه يا بطل كل نصر إيه يا فخر كل ليلة ها أنت ذا قد أتممت مسراك فلسيرتك المجد أبا سليمان ولذكراك الخلد يا خالد وتعالى لنودعك بهذه الكلمات الرطاب العذاب لعمر بن الخطاب الذي قال حينما سمع بموت خالد قال: والله ما عند الله لخالد خير له مما قدم ومما كان فيه ثم قال عمر: لقد عاش حميداً ومات سعيداً.. بل وما نسيه عمر وهو على فراش الموت فقيل لعمر وهو على فراش الموت، ألم تعهد .. يعنى ألم تستخلف.

فقال عمر: والله لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لوليته خلافة المسلمين فإن قدمت على ربي وسألني: لم وليت أبا عبيدة لقلت لربي: سمعت خليلي رسول الله يقول: " لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح". ([6]).

اسمع ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته فإن قدمت على ربي وسألني: لم وليت خالد بن الوليد؟ لقلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين والمنافقين". ([7]).

وأثر عمر أثر صحيح رواه كلهم ثقات إلا أبا العجماء من باب الأمانة العلمية وأبو العجماء مختلف فيه وثقة ابن معين وابن حبان والدارقطني.

وهكذا يموت قائد المجاهدين وعلم فن القتال وإدارة الحروب ولميادين أرجو الله عز وجل أن أكون بسيرته قد قدمت شيئاً من العبرة والعظة وقد قدمت قدوة جلييلة كريمة طيبة وأرجو الله بهذه الكلمات أن يحيى سبحانه روح الجهاد فى أمتنا بعد أن تصحح إيمانها وعقيدها بربها إنه ولى ذلك والقادر عليه..

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمنى ومن الشيطان، واعوذ بالله ان اكون جسراً تعبرون عليه إلى الجنة ويلقى به فى جهنم ثم أعوذ بالله أن اذكركم به وأنساه .. وأقم الصلاة.

(1) رواه الترمذى فى الإيمان (2616) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه فى الفتن (3973) وأحمد (231/5 ، 234 ، 235 ، 237 ، 245 ، 246).

(1) رواه البخارى فى المغازى (4261).

(1) رواه البخارى فى لمغازى (4262).

(1) رواه أحمد (8/1) وقال الهيثمى فى المجمع (348/9) رواه أحمد والطبرانى بنحوه ورجالهما ثقات.

(1) رواه البخارى فى الجهاد والسير (2887).

(1) رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (3744) ومسلم فى فضائل الصحابة (2419 / 53).

(1) سبق تخريجه.

حق التعريف بالإسلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } سورة آل عمران: 102.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } سورة النساء: 1

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } سورة الأحزاب: 70 ، 71 .
أما بعد ..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد ...

فحياكم الله جميعاً أيها الأخوة الأخيار وأيتها الأخوات الفاضلات وطبتم جميعاً وطاب مشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله عز وجل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی الذي جمعنا في هذه الدنيا دائماً وأبداً على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جنته ودار مقامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

حقوق يجب أن تعرف سلسلة منهجية تحدد الدواء من القرآن والسنة لهذا الداء العضال الذي استشرى في جسد الأمة ألا وهو الانفصام النكد بين منهجها المنير وواقعها المؤلم المرير، فأنا لا أعرف زماناً قد انحرقت فيه الأمة عن منهج ربها ونبيها كهذا الزمان فأردت أن أذكر نفسي وأمتي بهذه الحقوق الكبيرة التي ضاعت لعلها أن تسمع من جديد عن الله عز وجل، ولعلها أن تسمع من جديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتردد مع الصادقين السابقين الأولين قولتهم الخالدة: { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (285) سورة البقرة.

ونحن اليوم على موعد مع الحق السادس والعشرين مع حق كبير جليل قد فرطت فيه الأمة تفریطاً شنيعاً ألا وهو حق التعريف بالإسلام.

وكعادتي حتى ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث في الموضوع الجليل في العناصر الآتية.

أولاً: عالمية الإسلام.

ثانياً: أخلاق الإسلام.

ثالثاً: من يحمل هم الإسلام.

وأخيراً: المستقبل للإسلام.

فأعيروني القلوب والأسماع جيداً. والله أسأل أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولعلكم تلاحظون أنني قد تعمدت اختيار هذا الموضوع عمداً، نظراً لهذه الأحداث المؤلمة التي تمر بها أمتنا في هذه الأيام وأنا الذي أكرر القول: إنه لا ينبغي للدعاة الصادقين أن يكونوا بموضوعاتهم واطروحاتهم في جانب وأن تكون الأمة بجراحها

ومشكلاتها وأزماتها في جانب آخر، ومن ثم اخترت هذا الموضوع ألا وهو (حق التعريف بالإسلام).

أولاً: عالمية الإسلام:

أحبتى فى اله الإسلام هو المنة الكبرى والنعمة العظمى التى لم يختارها الله تبارك وتعالى لإسعاد العرب فحسب، بل اختار الله هذه النعمة ليسعد البشرية كلها فى الدنيا والآخرة، فالإسلام هو الدين الوحيد الذى ارتضاه الله جل وعلا لأهل الأرض بل ولأهل السماء ما أنزل الله الإسلام للمسلمين وللعرب فقط، بل لقد أختار الله الإسلام ديناً لأهل الأرض وقال سبحانه: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } (19) سورة آل عمران. لذا ما أرسل الله نبياً ولا رسولا إلا بالإسلام، وتدبروا معى هذه الأدلة السريعة بداية من نبي الله نوح الذى قال كما قال عنه ربنا حكاية عنه فى سورة يونس: { وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (72) سورة يونس.

وما بعث الخليل إبراهيم إلا بالإسلام قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (130-132) سورة البقرة.

وما بعث الله يعقوب إلا بالإسلام قال تعالى: { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَانُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (133) سورة البقرة.

وما بعث الله نبيه يوسف إلا بالإسلام قال تعالى فى آخر سورة يوسف: { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } (101) سورة يوسف.

وما بعث الله سليمان إلا بالإسلام وهذا وهو كتابه لملكة سبأ التى قرأته على أتباعها فى مملكتها قالت: { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ } (31) سورة النمل. وما دخلت فى الإسلام إلا يوم أن شرح الله صدرها للحق قالت: { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

وَاسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (44) سورة النمل. وما بعث الله نبيه موسى إلا بالإسلام قال الله حكاية عنه: { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } (84) سورة يونس. وما بعث الله نبيه عيسى إلا بالإسلام قال الله حكاية عنه: { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ } (52) سورة آل عمران. بل وإن دين الجن

المؤمنين هو الإسلام قال الله عز وجل حكاية عنهم: { وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا } (14-15) سورة الجن. ، وما بعث الله لنبة التمام ومسك الختام إلا بالإسلام قال تعالى لنبيه: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (3) سورة المائدة. وأنزل عليه سبحانه وتعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (85) سورة آل عمران.

فالإسلام دين أهل السماء ودين أهل الأرض ليس دين العرب فحسب وليس دين المسلمين فحسب، بل هو دين البشرية كلها، ووالله ما ذلت البشرية كلها ولفحها هذا الحريق القاتل وأرهقها طول المشى فى التيه والظلام إلا يوم أن أعلنت الحرب على الإسلام، إلا يوم أن انحرفت الأمة عن هذا الدين العظيم الذى ارتضاه الله للبشرية كلها، عندما انحرفت عنه فذاقت طعم الخوف والرعب والقلق والحزن والهم والغم. العالم كله الآن إن العالم كله اليوم محروم من نعمة الأمن والأمان حتى أمريكا وهى القوى العظمى فى العالم كما ينددون أذاقها الله عز وجل طعم الخوف، لتشرب من نفس الكأس الذى أذاقت منه شعوب العالم مراراً وتكراراً ، تعيش الآن الخوف والرعب فضلاً عن غيرها من دول العالم حتى روسيا ، حتى اليهود فقد شاء الله تبارك ، وأنا أكرر هذا دوماً شاء الله أن يضمد بعض جراح المسلمين المستضعفين الذين لا يملكون شيئاً إلا أن الله يعلم أن قلوبهم تحترق وودوا لو أنهم بذلوا دماءهم نصرة لدين الله ليعلموا أهل الأرض أن محمداً ما مات وما خلف بنات، بل خلف رجالاً أطهاراً تحترق قلوبهم شوقاً للشهادة فى سبيل الله جل وعلا فقاموا بالليل يرفعون أكف الضراعة للذى لا يغفل ولا ينام، شاء الله أن يضمد جراح هؤلاء فشاء الله أن يسقط بالأمس طائرة روسية أخرى على البحر الأسود أهلك الله فيها ستة وستين يهودياً.

متى ستعرف الأمة عظمة ربها وجلاله فالكون لا يتحكم فيه رعاة البقر من الأمريكان، الكون لا يدير دفته الملحدون والملعونون من الروس، الكون لا يتحكم فيه النجس القذر فى بريطانيا، إنما يدير الكون كله ملك الملوك وجبار السماوات والأرض، والذى لا يحدث شئ فى كونه إلا بأمره ولا تقع ورقة من شجرة فى الأرض كلها إلا بعلمه {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (59) سورة الأنعام . قال سبحانه: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (11) سورة فاطر. جاء حبر من أحبار اليهود جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يوماً والحديث فى صحيح مسلم فقال: محمد كنا نجد مكتوباً عندنا فى التوراه أن الله يجعل السماوات على إصبع- رب السماوات يجعل السماوات على إصبع- والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع والجبال والشجر على إصبع، ثم باقى الخلائق على إصبع ثم يهزهن ويقول: أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا منه لقول الحبر وتلا النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ([1]) (67) سورة الزمر.

نعم فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم، فالعالم كله محروم من نعمة الأمن والأمان على الرغم من كثرة الوسائل الحربية الهائلة، فلقد صنع العالم القنبلة النووية والجرثومية والهيدروجينية وصنع الطائرات والدبابات والصواريخ التى تعمل وتنطلق عبر القارات بالكمبيوتر، وعلى الرغم من التخطيط العلمى المذهل المبني على العلم النفسى، و علم الاجتماع لمحاربة الجريمة والإرهاب فى كل مكان، وعلى

الرغم من منظمات العالم الضخمة الفخمة كهيئة الأمم ومجلس الأمن وحلف الناتو كالاتحاد الأوروبي إلى آخر هذه المنظمات، ومع ذلك: الحكام والزعماء يجتمعون وينفضون والسياسيون والمحليون العسكريون والنفسيون والاقتصاديون يجتمعون ويحللون وينفضون.

ما زال العالم يشعر بطعم الفرع لقد خرجت طائرة مدنية أمريكية فى الأسبوع الماضى فى حراسة طائرتين عسكريتين لأن الطائرة المدنية بمجرد ما انطلقت فى السماء صرخ راكب من الركاب، لأنه ظن أن بالطائرة مختطفين فاتصل قائد الطائرة على القاعدة العسكرية، فأرسلت القاعدة العسكرية طائرتين عسكريتين، لتحرس الطائرة المدنية وصدق ربي إذ يقول: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } (124)سورة طه.

إنه الضنك اجمع قواميس اللغة لتستخرج لى مرادفا للفظه، "الضنك" ضنك فى الأعصاب، ضنك فى الصدور، ضنك فى المكان، ضنك فى الزمان كلمة قرآنية لا يقولها إلا من أنزل القرآن: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } إنه عدل الله، فإن الله سبحانه وتعالى من أسمائه العدل والحق الذى حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين العباد مسلمهم وكافرهم { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } (46) سورة فصلت "يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" ([2]).

فالعالم محروم من نعمة الأمن، بل والملايين ينتظرون الموت فى كل لحظة ضاقت الأرض أمالمهم، الأضواء هنا وهناك والعالم محروم من نعمة الإستقرار والرخاء وراحة النفس وهدوء البال وانشراح الصدر، كل هذه ثمرة مرة مرة للبعد عن هذا الدين العظيم، ووالله لن تسعد البشرية قط- أنا لا أتكلم عن الأمة لن تسعد البشرية قط- إلا أن فاءت من جديد لهذا المنهج الربانى إلى هذا المنهج الذى ارتضاه لكل البشرية ديناً ، ومن الجهل الفادح بل والظلم البين أن يتهم هذا الدين هذا الإسلام بالتطرف والإرهاب والجمود والرجعية والوحشية والبربرية، ويخرج علينا جاهل جاهل ليعلن أن الحضارة الغربية يجب أن تنتصر على الحضارة الإسلامية وقد تفوقت على هذه الحضارة، لو عاد هذا الجاهل لأى كاتب من كتابه فى إيطاليا ليفتح ماذا فعل المسلمون فى القرون الوسطى يوم أن أنار المسلمون بلاد الأندلس، عبر الطرق، كان الوحل والطين مخيما على إيطاليا وفرنسا ولندن ما عرفت الحضارة الغربية أصول الحضارة إلا على أيدي المسلمين لكن أثبت فى الوقت ذاته أن المسلمين تخلوا عن عزهم وحضارتهم فى الوقت الذى تمسك الغربيون بأصول هذه الحضارة فقفروا قفزات حضارية هائلة لا أضع رأسى فى الرمال كالنعام لأنكرها بل أثبت لهم أنهم قفروا فى الجانب الأول من جانبى أى حضارة، لابد لأى حضارة من أن تقام لابد من جانب مادي وجانب أخلاقي قفزت الحضارة الغربية فى الجانب المادي قفزات هائلة لا ينكرها عاقل منصف بحال، لكنها فى الجانب الأخلاقي قد وصلت إلى قاع سافل فى الحضيض حضارة متعفنة الروح حضارة متوحشة الضمير، حضارة تصف الخداع السياسى والعهر الإعلامى بأنه سياسة حضارية تصف التصفية الجسدية بأنه تطهير عرقى، أذاقت الإنسان فى الأرض كلها من الويلات وفعلت فى الإنسان ما

تخجل الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها البعض فى عالم الغابات، حضارة الذئاب
حضارة الأفاعى حضارة الثعالب، وحضارة لا تعرف إلا البقاء للأقوى أما الضعيف
فإنه يطحن طحناً ويديك دكاً لأنها حضارة تتغنى بالديموقراطية والحرية والنظام
العالمى الجديد والسلام العالمى الجديد، كل هذا داخل حدود أراضى هذه الدول، أما
وأن خرجت هذه الدول خارج أرضها فإنها تسحق الأحرار.

قالوا لنا الغرب قلت صناعة وسياحة ومظاهر تغرينا

الغرب مقبرة المبادئ لم يزل يرعى ضعيفاً أو يسر حزيناً

لكنه خاو من الإيمان لا يرمى بسهم المغريات الدينا

الغرب مقبرة العدالة الغرب مقبرة العدالة

الغرب مقبرة العدالة كلما رفع يدا أبدى لها السكينا

وإنما السلام الموهوم يستهويننا

الغرب يحمل رصاصا وخنجرًا فعلام يحمل قومنا الزيتوننا

كفر وإسلام فأنى يلتقى هذا بذلك أيها اللاهونا

أنا لا ألوم الغرب ، أنا لا ألوم الغرب فى تخطيطه

ولكن ألوم فينا نخوة لم تنتصب إلا لتضربنا على أيدينا

الغرب هو رائد الإرهاب فى الأرض ، لقد أسقطت رائدة الإرهاب فى الأرض

أمريكا أسقطت قنبلة نووية فى هيروشيما فقتلت ما يزيد عن 270 ألف بقنبلة واحدة

وبعدها بثلاثة أيام فى نجازاكي.

رائد الحضارة الغربية هى التى أبادت شعب الهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا

هى الحضارة الغربية، أمريكا هى التى قتلت 4 ملايين فى فيتنام رائدة الحضارة

الغربية أمريكا هى التى قتلت ما يقرب من ربع مليون طفل عراقى لا يجدون الطعام

والدواء، رائدة الحضارة الغربية أمريكا هى التى قتلت فى الفلبين، وفى جنوب

أفريقيا فى الصومال مئات الآلاف من المدنيين الذين لا يملكون حيلة ولا وسيلة،

رائدة الحضارة الغربية أمريكا هى التى تقدم السلاح للإرهابى الوقح المجرم اليهودى

شارون ليذبح به المسلمين والمسلمات والأطفال فى فلسطين إلى هذه اللحظة ، بل

يدعى أن حماس وأن منظمة فتح وغيرها من المنظمات إرهابية يجب أن تستأصلها

أمريكا مع استئصالها للإرهاب أقصد الإسلام لكن هيئات هيئات أرض محتلة، يدك

أصحاب الأرض بالطائرات والدبابات والصواريخ ، فإن قام أحد هؤلاء ليدافع عن

نفسه فهو إرهابى إرهابى متطرف وصولى فضولى فوضوى وحش بربرى رجعى

إلى آخر هذه التهم القذرة المعلبة التى يكيلها الإعلام اليهودى للمسلمين كيلا فى كل

لحظة من ليل ونهار، تذكرت الآن ورب الكعبة قصة هذا الرجل البريطانى الذى

يقص على زميله من الجنود يوم أن احتلت بريطانيا مصر فتقدم بريطانى الذى يقص

على زميله من الجنود يوم أن احتلت بريطانيا مصر فتقدم بريطانى ليذبح مصرياً

بسلاحه الأبيض، فقام المصرى ليدافع عن نفسه فعرض يد البريطانى فذبحه، ثم ذهب

البريطانى المجرم، لأخيه البريطانى المجرم تصور أن المصرى عض يدي وأنا

أذبحه، تصور انظروا إلى هؤلاء المجرمين السفاحين يقلبون الحقائق بصورة فادحة

تصيب الإنسان بالضغظ، بكل بساطة يعلن المجرم شارون بالأمس بأن منظمة حماس

ومنظمة فتح وبأن الفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم وعرضهم بل الذين يدافعون عن عرض الأمة من الإرهابيين ويجب على كل العالم كله أن يجتث هذه الجرثومات الإرهابية من على سطح الأرض فقتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر، قتل امرئ غربي يحمل الدماء الزرقاء وقتل امرئ يهودى يحمل الدماء الزرقاء.

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر الغرب هو رائد الإرهاب فى الأرض أما الإسلام تعالوا وتعرفوا على الإسلام ما زالت صفحات التاريخ مفتوحة لم تغلق اقرؤوا تاريخ الإسلام. وهذا هو عنصرنا الثانى بإيجاز شديد أخلاق الإسلام:

أنا لن أتكلم عن أخلاق الإسلام بين المسلمين لا عن أخلاقه العقدية ولا أخلاقه التعبدية ولا أخلاقه التشريعية ولا عن أخلاقه السلوكية بين أفراد المسلمين، وإنما سأتكلم عن أخلاق الإسلام لغير المسلمين ها هو عمر وكيف بدأ بعمر وأنسى أن يبدأ بأستاذ عمر ، من الذى أعطى الأمن والأمان لليهود فى المدينة ووقع معهم العهد والمواثيق وما خان النبي صلى الله عليه وسلم عهدا قط، وما نقض النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقا مع اليهود قط، ولكن اليهود هم الذين نقضوا كل العهود {فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَرَأَى تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (13) سورة المائدة. فاليهود هم الذين نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، نقض يهود بنى قريظة ويهود بنى النضير ويهود خيبر، نقضوا كل عهد أبرموه مع النبي صلى الله عليه وسلم لكن قبل أن ينقضوا العهد ذاقوا طعم الأمن والأمان فى ظلال الإسلام، لا سيما إذا عرفتم ما ذاقه اليهود على أيدى الرومان قبل الحكم الإسلامى ذاقوا طعم الأمن وهؤلاء هم النصارى يعطيهم فاروق الأمة عمر بن الخطاب الأبواب أماناً وأماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم حينما جاء من المدينة ليتسلم مفاتيح بيت المقدس نزولاً على رغبة المسؤولين عن بين المقدس حتى لا تسفك الدماء فى هذه الأرض المقدسة، ويأتى عمر من المدينة إلى بيت المقدس ليقطع مسافة تصل إلى ألفى وخمسمائة كيلو متر، عمر تصور هذه المسافة لم يركب طائرة ولم يركب سيارة مكيفة ولم يأت فى موكب مهيب من الخيل والإبل والبغال والخدم والحشم إنما جاء فى موكب مهيب وجليل يتكون من خادم والداية واحدة، يركب عمر الداية بمقدار قراءة سورة يس كما ذكرت كل كتب التاريخ، وهو القائد المنتصر الفاتح، ما سفك دما، ما سب أحداً ما أغلظ القول بل كتب العهدة العمرية وأعطاهم أماناً لكنائسهم ولأنفسهم وأموالهم، وألا تهدم كنائسهم ومن أراد منهم أن يرحل من أرض إيليا فلا بد أن يعطى الأمان حتى يبلغ مأمنه، ومن أراد منهم أن يبقى فى الأرض لا تؤخذ منه الجزية حتى يحصد حصاده هذا هو الإسلام، ما ذاق اليهود والنصارى طعم الأمن إلا فى ظلال الإسلام. وفى صحيح مسلم قال حذيفة بن اليمان : ما منعتنى أن أشهد بدماء مع رسول الله أما وأبى حيل إلا أننا خرجنا فأخذنا المشركون فقالوا لنا: أتريدان محمداً؟ قلنا: لابل نريد المدينة فأخذ المشركون علينا عهد الله وميثاقه أن ننصرف إلى المدينة وألا نقاتل مع رسول الله فانطلق حذيفة وأبوه إلى رسول الله فأخبره حذيفة بما قاله المشركون وبما قال للمشركين، اسمع ماذا قال

النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم الذى علم الدنيا حقيقة الوفاء اسمع ماذا قال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم فى معركة والحرب خدعة قال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لحذيفة وأبيه: " انصرفا" ([3]) أى لا تشهدا معنا المعركة- "انصرفا نفى لهم بعهدهم ونستعين بالله عليهم".

وأرسل أبو عبيدة بن الجراح من الشام إلى أمير المؤمنين الفاروق الأواب عمر ابن الخطاب ليستشيره فى أمر جلد، لقد منح جندى من جنود الجيش الإسلامى عهداً بالأمان لبلد كامل من بلاد العراق، أمر خطير دون أن يرجع لقائده منح جندى بالأمان لأهل بلد فى العراق فأرسل أبو عبيدة لعمر رسالة ليستشيره ماذا يصنع، تدبر ماذا قال عمر أرسل كتابه بسرعة إلى أبى عبيدة بعد حمد الله والثناء عليه: من عبد الله والله ما نصرنا إلا يوم أن كانوا عبادا لله: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بن الجراح وبعد فإن الله تعالى قد عظم الوفاء ولا تكونون أوفياء حتى توفوا لهم بعهدهم وتستعينوا الله عليهم.

انتبه معى لتقف على درسين من أعظم الدروس، أما الأول فلقد بين عمر ابن الخطاب أن كرامة الفرد المسلم كرامة قائدة، فلا فرق بين جندى وقائد أعطى الجندى عهداً بالأمان فليفى الجندى امتثالا لعهدده امتثالاً عملياً من عمر يقول النبى صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح البخارى: "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم على أعلاهم".

الدرس الثانى: لا تكونون أوفياء حتى تفوا فيحول عمر هذا الخلق الكريم إلى واقع عملى فحضارة الإسلام لم تحبس أخلاقها كما حبست هيئة الأمم ميثاق حقوق الإنسان فى الأواق والأدراج، ولم تحبس الحضارة الإسلامية كلامها نظرياً باهتاً بارداً كما فعلت الثورة الفرنسية مبدأ الحقوق الإنسانية وأمن الناس جميعاً سواء استبعد القانون الفرنسى نفسه قرابة ما يزيد على نصف الشعب الفرنسى من التصويت فى الانتخابات، لأنهم يعتبرون المواطن الفقير مواطناً سلبياً لا يحق له أن يصوت فى الانتخابات، الحضارة الإسلامية لم تحبس نظرياتها باردة باهتة كما فعلت رائدة الحضارة الغربية أمريكا فأنت تصطدم بتمثال الحرية فى قلب نيويورك فى الوقت الذى تسحق فيه أمريكا الأحرار على وجه الأرض فى كل مكان لا... الإسلام لا يعرف النظريات لا يعرف المثل النظرية بل ينظر ويحول هذه المثل النظرية على أرض الواقع إلى حياة إلى منهج يتألق سمواً وروعة وعظمة وجلالاً، وها هو من أصل هذه الحضارة إن صح التعبير ها هو المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: "وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" ([4]).

مثل حى على أرض الواقع ليست كلمات باردة تسطر فى الكتب وليست كلمات حماسية يتغنى بها الحكام والزعماء، وإنما هو واقع يتألق سمواً وجلالاً وروعة وعظمة وعملاً وبناء هذا هو الإسلام، صلاح الدين الأيوبى طيب الله ثراه يوم أن فتح القدس وقدم يومها مثلاً عملياً للصليبيين الحاقدين من أعظم دروس التسامح يوم أن أرسل بطيبه الخاص وبدواء من عنده لعلاج من؟ عدوه اللدود ريتشارد قلب الأسد، وهذا محمد الفاتح يعلم الدنيا كلها درساً آخر من دروس التسامح الإسلامى مع غير المسلمين يوم أن فتح ودخل القسطنطينية، ودخل كنيسة آيا صوفيا هذا تاريخ

مسطور، وهذا موقف من أعظم يوم أن فتح المسلمون مدينة سمرقند فى عهد عمر ابن عبد العزيز طيب الله ثراه ولكن الجيش باغت المدينة، ولم يعرض على أهلها الإسلام فإن أبت فالجزية، فإن أبوا فالقتال هكذا علمهم سيد الرجال المصطفى صلى الله عليه وسلم لكن باغتوا المدينة وفتحوها عنوة فأرسل أهل سمرقند أن فتح سمرقند باطل، سبحانك ربى لماذا؟ لأن المسلمين دخلوا المدينة عنوة دون أن يعلموا أهلها الإسلام بأن يقبلوا أو يدفعوا الجزية أو يدفعوا بالقتال، هكذا علمهم سيد الرجال، ولكنهم ما فعلوا ذلك فأرسل أهل سمرقند رسالة لعمر بن عبد العزيز طيب الله ثراه وأخبروه أن فتحهم الإسلامى لمدينتهم فتح باطل وبينوا له ذلك، فما كان من عمر بن عبد العزيز إلا أن أرسل أوامره إلى جيشه الفاتح فى سمرقند بالانسحاب فوراً، فخرجت الألوف المؤلفة بين يدي هذا الجيش المنتصر المنسحب شاهدة: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا هو الإسلام الذى أخبر أن زانية بغية زانية من زوانى بنى إسرائيل دخلت الجنة فى كلب، وأن امرأة دخلت النار فى هرة ([5]) الإسلام الذى يؤصل الرحمة يبين أن الزانية دخلت الجنة، لأنها سقت كلباً فإذا كانت الرحمة فى الإسلام بالكلاب، بالكلاب تغفر الذنوب والخطايا للباغيا فكيف يصنع الإسلام بمن وحد رب البرايا؟

الإسلام الذى يخبر أن امرأة دخلت النار فى قطة حبست قطة لم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض فدخلت النار فى هرة ([6]) هذا هو الإسلام، فالإسلام لا يقر الإرهاب على أى أرض، بل نبى الإسلام والحديث رواه البخارى والنسائى فى السنن وصححه شيخنا الألبانى المجلد الثانى من صحيح الجامع من حديث عمرو بن الحمق الخزاعى أن الحبيب قال: " من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافراً" ([7])

هذا الإسلام هذا هو الإسلام دين الرحمة دين التسامح دين الوفاء دين الخلق واليهود والمجرمون يعلمون هذه الحقائق علم اليقين { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (146) سورة البقرة كما تردد وسائل الإعلام، وأنا أقول، متى استحيى اليهود وكفوا أيديهم عن فلسطين متى حتى أمريكا سترصد كل حركاتهم قبل الأحداث، متى استحيى اليهود وهذه التصريحات التى تتردد الآن بأن أمريكا قد غيرت سياستها وبدأت تسير على الطريق الصحيح، لأنها أعلنت أنها مع قيام دولة فلسطينية بشرط ألا يكون ذلك على حساب اليهود أو على حساب دولة إسرائيل أنا أقول بملء الفم وبأعلى الصوت وبلغة اليقين بأنها تصريحات سياسية للاستهلاك المحلى لتجيش الدول العربية لمحاربتها للإسلام أقصد الإرهاب وقد عكستها هذه المرة لأبين السخافة التى تروجها الآن وسائل الإعلام تصريحات للاستهلاك المحلى وإلا فإن القوم يتحركون عن عقيدة كما بينت فى محاضرة الأسبوع الماضى فى مجمع الإيمان، وأرجو منكم جميعاً الحرص على سماع هذه المحاضرة وطبعها وتوزيعها والتى كانت عنوان فتاوى حاخامية لخطر هذه المحاضرة فى هذه الأيام لقد بينت بالدليل أن القوم يتحركون عن عقيدة وعن دين وعن فتاوى من حاخاماتهم حتى فى ضربهم للمدنيين حتى فى تسليمهم لغزة وأريحا فما فعلوا ذلك إلا عن عقيدة بالدليل من أقوالهم هو لا من أقولنا نحن، فالقوم تحركهم

العقيدة وصدق ربي إذ يقول: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (120) سورة البقرة وصدق ربي إذ يقول: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} (109) سورة البقرة وصدق ربي إذ يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} (118) سورة آل عمران وصدق ربي إذ يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (51) سورة المائدة وصدق ربي إذ يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِنُؤْفِقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ} (1) سورة الممتحنة .

هذا هو عنصرنا الثالث من يعرف الدنيا كلها ما هو الإسلام؟

بكل أسف بكل مرارة وحسرة لا تملك الأمة كلها إلى هذه اللحظة قناة فضائية واحدة لتبين للعالم كله ولتتبنى قضية الإسلام إعلام الأمة إعلام سافل منحط، إعلام لا يعرف الجد أبداً حتى في ظل هذه الأحداث المروعة لا تجد إعلاماً يحترم نفسه ولا يخدم قضية، ليقدم الصورة المشرفة للإسلام إلى كل أهل الأرض، فالعالم كله لا يعرف شيئاً عن الإسلام ومن عرف منهم عن الإسلام عرف صورة مشوشة صورة التطرف والإرهاب، لقد أمسك أمريكي شاب في لاعشرينات من عمره بي في إحدى المؤتمرات التي حضرتها هنالك ويكي وقال: والله والله سأسألكم بين يدي الله يوم القيامة لماذا تركتم والدي يموت على الكفر؟ أين كنتم وأين أنتم؟ إعلام الأمة مشغول بالكرة ومشغول بالمثلين والممثلات، افتح أى قناة لترى العهر وأنا أعى كل لفظة أرددها بإذن الله لترى العهر ولترى الانحلال لا ترى إعلاماً يخدم ديننا ولا يخدم قضية. فمن يحمل هم الدين من يعرف العالم كله الآن بالإسلام؟ من يقدم هذه الصورة المشرفة لماذا لا تكون خطبة كهذه على فضائيات الأمة ليسمع العالم كله ليست بالضرورة أن تكون الخطبة، لا لا أقصد هذا- ورب الكعبة- لكن لماذا لا يعرف علماءنا العالم كله عبر وسائل الإعلام الضخمة حقيقة الإسلام وعظمة الإسلام والصورة المشرفة للإسلام قال الله جل وعلا: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (108) سورة يوسف.

قال ابن القيم: ولا يكون الرجل من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم حقا حتى يدعو إلى ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم على بصيرة قال المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود. " ما من نبي بعثه في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويفتقدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن من مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حية خردل" [8].

وقال كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" [9].

وفى لفظ: " لا ينقص من أوزارهم شئ" ([10]) ، وحمل هذا الدين ليس نافاة ولا تطوعاً ولا اختياراً بل هو تكليف صارم جازم لا مفر من أدائه فالله من ورائه.
{قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَحَدًّا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} (22 ، 23) سورة الجن.

فيجب على الأمة الآن أن تجيش كل طاقاتها وإمكانياتها وأموالها وقدراتها لخدمة هذا الدين، فما أحوج العالم كله الآن ليتعرف على الصورة المشرقة للإسلام، والكل سيسأل بين يدي الله جل وعلا بحسب قدرته، واستطاعته عبر بكلمة، عبر بمالك، عبر عن انتمائك لهذا الدين بوقتك بجهدك بفكرك، فبكل أسف في ظل الأحداث نشهد فراغاً عقلياً بكل أسف وفراغاً في الوقت قد أطلق العنان لكثير من المسلمين حتى كثير من شباب الصحوة للحديث في الكلام التافه وفي ترويج الشائعات التي لا تغنى ولا تسمن من جوع، نهذا إن دل فيدل على فراغ عقائدي وتعبدى وفكري قاتل، فمتى تفيق الأمة وتستوعب الأحداث وتستوعب الدروس وترجع إلى كتاب ربها إلى سنة نبينا؟ أسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك قريباً وما هذا على الله بعزيز، وأقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.
أما بعد...

فيا أيها الأحبة الكرام...

وأخيراً المستقبل للإسلام:

ما زلنا حتى هذه اللحظة على الرغم مما شاهدناه، ورأيناه، ما زال كثير من المسلمين حتى هذه اللحظة لا يؤمنون إلا بالماديات والحسيات ويشكون فى عظمة وقدره رب الأرض والسموات أنا أدين لربى بأن الأحداث الأخيرة هى بداية خير حاسم للأمة لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم بإذن الله، بل هو خير لكم لأنها ستكون بداية المفاصلة ، تكلمت كثيراً عن إقامة الفرقان الإسلامى عن الخروج من حالة الغبش التى تحياها الأمة الآن، هذه الحالة التى لا تعرف فيها الأمة من توالى ومن تعادى من تنصر ومن تحارب حالة لا تنصر ديننا ولا تنصر أمة، فلا بد من المفاصلة لا بد من تنصر ومن تحارب حالة لا تنصر ديننا ولا تنصر أمة، فلا بد من المفاصلة لا بد من إقامة الفرقان الإسلامى، لا بد من استبانة سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين هذا الدين العظيم لو اجتمعت كل دول الأرض ببوارجها وسفنها وبواخرها وأموالها وطائراتها ودباباتها وحدها وحديدتها لو اجتمعت كل قوى الأرض لتحارب الإسلام ما استطاعت، لأن الذى استطاع بحفظ الإسلام هو ملك الملوك وجبار السماوات والأرض، لا تستطيع قوة أن تطفى نور النور {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (8 ، 9) سورة الصف. {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِالْهُدَىٰ وَدِينٍ آخَرَ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} والله ما شعرت بلذة وحلاوة هذه الآية إلا في الأيام القليلة الماضية ألا وهي قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} (36) سورة الأنفال.. وتدبر قول الله جلا وعلا: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} (171 ، 173) سورة الصافات. وتدبر قول الله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} (110) سورة يوسف قال تبارك وتعالى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} (111) سورة آل عمران. والآيات كثيرة وتدبر قول الصادق كما في صحيح مسلم من حديث ثوبان: " إن الله تعالى زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها" ([11]).

وتدبر قول النبى صلى الله عليه وسلم كما فى مسند أحمد ومعجم الطبرانى بسند صحيح من حديث تميم الدارى: " والله ليتمن الله هذا الأمر ليلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، وما يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاء يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر" ([12]).

وتدبر معى هذا الحديث الذى ربما يسمعه الكثير منكم لأول مرة مع أنه فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه يوماً وقال: " تعرفون مدينة جانب منها فى البحر وجانب منها فى البر".

قالوا: نعم يا رسول الله وهذه المدينة هى القسطنطينية قال: " تعرفون مدينة جانب منها فى البحر وجانب منها فى البر" قال: " لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بنى إسحاق، فإذا جاؤوها لم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم وإنما يقولون فى المرة الأولى: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط الذى فى البر ثم، يقولون فى المرة الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولون فى المرة الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفتح لهم فيدخلوها" ([13]).

قال الحافظ ابن كثير فى تعليقه على هذا الحديث الجليل قال: وبنو إسحاق فى هذه النبوءة النبوية هى سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم وهؤلاء هم الروم أى من الأوربيين فى آخر الزمان قبل قيام الساعة وسيكون فتح روما أى القسطنطينية على أيديهم بإذن الله تعالى، أمر عجب تدبر معى وأنا لا أصدق بكلام الواقع الذى سأذكره الآن بكلام النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى كلا فالؤمن لا يحتاج بشراً ليصدق به كلام النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى كلا فالؤمن لا يحتاج بشراً ليصدق به كلام رب البشر وكلام سيد البشر إنما خذوا هذه الحقائق المذهلة.

قال الحافظ ابن كثير: سيسلم كثير من الروم أى: من الأوربيين فى آخر الزمان قبل قيام الساعة وسيكون فتح روما أى القسطنطينية على أيديهم لهذه النبوءة النبوية الصادقة هل تعلمون أن كل كتب القرآن الكريم المترجمة باللغة الفرنسية قد نفدت فى فرنسا الأسبوع الماضى، هل تعلمون أن كل كتب القرآن الكريم المترجمة باللغة

الإنجليزية قد نفذت في أمريكا الأيام الماضية، وأنا أقسم الغرب إلى فريقين: فريق بدأ يتطلع ويقبل على قراءة الإسلام وقراءة القرآن المترجم بنهم، الذي يعشق هؤلاء القوة فقد استطاع الإعلام الذي يديره اليهود من أن يقنعوا سكان العالم بأن الذي قام بالتفجيرات هم المسلمون وإلى الآن لم تقدم أمريكا أى دليل، وخرج هذا المجرم البريطاني رئيس وزراء بريطانيا ليعلن أنها أسرار مخابراتية لا ينبغي أن تعلن، وهم يتصورون أنهم يتعاملون مع أناس لا يفهمون شيئاً على الإطلاق فريق منهم أقبل على قراءة الإسلام والتعرف عليه، فريق أقبل لأنه يعشق القوة عشقاً، الذين فعلوا فعله لا تقدر عليها دول بأسرها هذا فريق، الفريق الآخر أقبل على الإسلام ليتعرف عليه ولأول مرة يسمع على ألسنة أكابر العالم أن الإسلام دين السماحة حتى لو رددت ألسنتهم بأن الدين الإسلامي دين السماحة ولا يقر الإرهاب هم ولا يقرون هذا ولا ذاك فبدأ سكان العالم يتطلعون لمعرفة الإسلام.

خذوا هذا الخبر من أمريكا وأنقل خبراً من بريطانيا وخبراً من فرنسا أختم به الخطبة تقول مجلة التايم الأمريكية وتدبروا كلمات الخبر: وستشرق شمس الإسلام من جديد هذا ليس من عندي بل من مجلة التايم وهي مجلة مشهورة جداً تقول: وستشرق شمس الإسلام من جديد ولكنها في هذه المرة ستعكس كل حقائق الجغرافيا فهي لا تشرق من المشرق في العادة ستشرق هذه المرة من الغرب من قلب أوروبا، تلك القارة العجوز التي بدت المآذن فيها تتأطح أبراج الكنائس في باريس ولندن ومدريد وروما وصوت الأذان في كل يوم في هذه البلاد خمس مرات يشهد أن الإسلام يكسب كل يوم أرضاً جديدة وأتباعاً وجدوا فيه الطريق.

جريدة الصنداي تلجراف البريطانية تقول: إن إنتشار الإسلام في نهاية القرن المنصرم وأوائل القرن الحالي ليس له سبب مباشر إلا أن سكان العالم من غير المسلمين بدؤوا يتطلعون إلى الإسلام وبدؤوا يقرؤون عن الإسلام فعرفوا من خلال الاطلاع أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمكن أن يتبع وهو الدين الوحيد القادر على حل مشاكل البشرية.

مجلة لودينا الفرنسية وتعمدت أن أختم الخطبة بهذا الخبر، لأنه خبر استراتيجي عن خبراء استراتيجية عسكرية، دراسة قام بها متخصصون تقول الدراسة: تدبر معي مستقبل العالم سيكون دينياً وهذا واقع معلوم للجميع الآن أيها الإخوة لن تقوم حرب على وجه الأرض إلا بدافع من الدين الحرب في الشيشان دينية، الحرب في كوسوفا دينية، والحرب في كشمير دينية، والحرب في البوسنة دينية، الحرب في فلسطين دينية، الحروب المعلنة الآن على الإرهاب دينية حرب صليبية، وسيسود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي، لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة إنه دين الله منذ متى والدين يحارب منذ أول لحظة وهلك المحاربون وبقي الإسلام وسيبقى الإسلام شامخاً، لأن الذي يحفظه هو الله جل جلاله فلا تستطيع قوة على الأرض أن تعلن الحرب على الله جل وعلا.

أيها الأفاضل املؤوا قلوبكم ثقة بالله ورضا عن الله أنتم تستطيعون أن تتصوروا معي أن كل هذه الميكنة العسكرية التي ترعب بها أمريكا لكل من لا يحمل شيئاً يقين وثقة بالله، تصور معي بيقين أن الله جل جلاله قادر بجندى من جنوده، { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ

رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } (31) سورة المدثر أن يوقف هذه الميكنة العسكرية والحربية فى مكانها فلا تتحرك خطوة أليس بقادر على ذلك، ورب الكعبة كل هذه الأجهزة تعمل بالكمبيوتر كلها، المعارك الحديثة الآن تدار بالكمبيوتر طائرات التجسس بالكمبيوتر لا يوجد فيها طيار، الصواريخ لا يقودها طيار، الرشاش الذى يمسك به الجندى اليهودى يعمل بأشعة الليزر لا يوجه إنما هو يحمل السلاح فقط والسلاح يضرب عبر أشعة الليزر كل هذه الميكنة تعمل بالكمبيوتر، فيروس فيروس واحد فى الكمبيوتر المركزى لهذه الأسلحة فى الوقت الذى يشاءه الله ويريده الله، يعطل كل هذه الميكنة التى تملأ القلوب فزاعاً ورعباً، لأن القلوب لم تعد تعرف لله عظمة ولا قدرة.

أنا لست درويشاً بل أعى ما أقول ولقد رأيت أعينكم ماذا حدث لأضخم برجين على وجه الأرض ماذا حدث لوزارة الدفاع البنتاجون التى يقال بأن سماءها مبرمجة بالكمبيوتر فوق البنتاجون لا تستطيع ذبابة، ذبابة لا تستطيع أن تتحرك فوق البنتاجون إلا وهى مرصودة بأجهزة الرصد العسكرية الأمريكية شاء الله جل وعلا أن يكسر أنف أمريكا من حيث تعتز من السماء تقول: بأننا نتحكم فى السماء فإذا خرجت ذبابة فهى مرصودة عندنا، إذا صادف ومرت طائرة فى هذه المنطقة فوق وزارة الدفاع يخرج إليها بطريقة كمبيوترية صاروخ أين كانت الصواريخ وأين كان طائرات الإواكس، طمس الله على بصرها لم تر الإواكس شيئاً أنا لا أقول ذلك إلا من منطلق أن يتجدد اليقين فى القلوب برب العالمين، أريد لهذه الأمة المسكنية أن تضع الخطة السنوية والخمسية لكن لا ينبغى أن تنسى، ابدأ أى خطة من تلك الخطة قوة وعظمة وإرادة رب البرية، فالله جل وعلا هو القادر وحده على أن يقول للشئى كن فيكون، والله لقد سألتنى إخوانى فى أمريكا وأنا أتحدث فى ليلة من ليالى رمضان عن علامات الساعة الكبرى وأنا أتحدث أن الحروب الكبرى قبل قيام الساعة أن الحروب ستكون بالسيوف والرماح والخيول فقام إلى رجل أمريكى مسلم يفكر بهذه العقلية فى أمريكا بعقلية الماديات والمحسوسات قال: كيف ذلك؟ كيف بالخيول؟ . والميكنة والسلاح، قلت: والله لا أعلم لكننى أصدق قول النبى صلى الله عليه وسلم .

والله ورب الكعبة بت هذه الليلة وأنا مهموم، لأننى شعرت بأن هذا الرجل يريد جواباً ليقتع عقله، وفى الصباح فى فجر هذا اليوم كنا فى شتاء قارس وبرد شديد جاء إلى أحد الإخوة بسيارته المرسيديس أحدث موديل ليأخذنى من الفندق لأصلى الفجر ولألقى المحاضرة بعد الصلاة، وركبنا السيارة السيارة مرسيديس أحدث موديل الطرق تعرفونها السيارة مليئة بالبنزين قائد السيارة يجلس قادر على القيادة كل الأسباب متوافرة أو متوفرة ومتيسرة، وفجأ سقط ضباب حجب الرؤية تماماً فلا يرانى وأنا أجلس إلى جواره ولا أراه وأنا أجلس إلى جواره لا نرى ما بداخل السيارة، لا ما بخارج السيارة، فما كان من هذا الرجل إلا أن يتوقف خارج الطريق وظللنا لم نستطع أن نخطو خطوة واحدة فقلت له: وجدتها وجدتها قال: ماذا وجدت؟ قلت: هذه السيارة وهذا الطريق وأنت تقود لم ينعدم البنزين لم ينعدم سبب من الأسباب المادية التى نملكها لتقود السيارة لكن الله جل جلاله أرسل جندياً من جنوده { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } ، فعطل بهذا الجندى فعطل هذه الميكنة فى مكانها على الرغم من أنها تملك كل أسباب العمل، الله قادر ولو عرفت الأمة ربها لأراها الله

العجب العجاب فإننا لا نخاف على الإسلام بل نخاف على المسلمين إن هم تخلوا عن الإسلام، فما علينا إلا أن نرتقى إلى هذا الدين.

- (1) رواه البخارى فى التفسير (4811) ومسلم فى صفة القيامة والجنة والنار (2786).
- (1) رواه مسلم فى البر والصلة والآداب (55/2577).
- (1) رواه مسلم فى الجهاد (98 / 1787).
- (1) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (3475) وفى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (3733) وفى الحدود (6788) ومسلم فى الحدود (1688).
- (1) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (3467) ومسلم فى السلام (2245).
- (2) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (3482) ومسلم فى السلام (2242 ، 2243).
- (3) رواه أحمد (224/5) وسنده صحيح.
- (1) رواه مسلم فى الإيمان (80/50).
- (2) رواه مسلم فى العلم (16/2674).
- (3) رواه مسلم فى العلم (15/1017).
- (1) رواه مسلم فى الفتن وأشرط الساعة (19/2889).
- (2) رواه أحمد (103/4)، والطبرانى فى الكبير (1280) وقال الهيثمى فى المجمع (14/6). رجال أحمد رجال الصحيح والحديث صحيح.
- (1) رواه مسلم فى الفتن وأشرط الساعة (2920).

حرمة المسلم وانتهاك الأعراض

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد ... فحياكم الله جميعاً أيها الأخوة الفضلاء، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم الحليم الكريم جل وعلا الذى جمعنا فى هذا البيت المبارك الطيب على طاعته أن يجمعنا فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار كرامته، إنه ولى ذلك والقادر عليه. إن المجتمع المسلم الذى شاد القرآن الكريم صرحه الشامخ وأرسى لبناته وقواعده نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم كان مجتمعاً فريداً فى كل شئ فهو مجتمع له أدب فريد مع الله جل وعلا، يقوم على أساس العبودية لله جل وعلا امتثالاً عملياً لقوله عز وجل: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (162 ، 163) سورة الأنعام وهو مجتمع له أدب

فريد مع رسول الله يقوم على أساس الإيمان الصادق والاتباع الصحيح والمحبة
 الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالاً عملياً من أفراد هذا المجتمع الكريم
 لقول { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ
 حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (65) سورة النساء وهو مجتمع به أدب فريد مع
 نفسه مجتمع تصان فيه الحرمات، مجتمع لا تتبع فيه العورات، مجتمع لا تنتهك فيه
 الأعراض، أحاطه القرآن الكريم بسياج من الفضائل الكريمة والمشاعر النبيلة، لا
 فضل في هذا المجتمع لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، بل لا فضل
 لأحدهم إلا بالتقوى والعمل الصالح كما قال جل وعلا: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن
 ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 خَبِيرٌ } (13) سورة الحجرات وهو مجتمع له أدب فريد مع الغير، والحق ما شهدت
 به الأعداء فيها هو (غوستاف لوبون) يقول منصفاً للثقافتين أن يكون منصفاً للإسلام
 والمسلمين يقول: لم تعرف الأمم فاتحين راحمين متسامحين كالمسلمين، ولم تعرف
 الأمم ديناً سمحاً كدينهم .. لم تعرف الأمم فاتحين راحمين متسامحين كالمسلمين، ولم
 تعرف الأمم ديناً سمحاً كدينهم.. وأما ما يروح له الغرب الآن من أن الإسلام هو دين
 التطرف والإرهاب، وأن المسلمين قد أكرهوا غير المسلمين على الدخول في الإسلام
 بقوة السيف فهذا هراء وافتراء يغنى بطلانه عن إبطاله، ويغنى فساده عن إفساده،
 ويغنى كساده عن إكساده، ولم تعد تنطلي هذه الحيل إلا على السذج والرعاع، وأن ما
 جرى طوال سنوات القرن الماضي وما جرى إلى يومنا هذا على أرض كوسوفاً بعد
 البوسنة لمن أعظم الأدلة على تعصبهم البغيض الأعمى ضد الإسلام والمسلمين ولو
 راجعوا التاريخ بعين الإنصاف لعرفوا جيداً أن الإسلام هو دين التسامح والعدل
 والرحمة، هذه بعض سمات المجتمع المسلم الذي شاد القرآن الكريم صرحه الشامخ
 وأرسى لبناته وقواعده العظيمة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم .
 وظل هذا المجتمع الكريم أيها الفضلاء يرفل في ثوب الإيمان والأمان والعزة
 والكرامة حتى ابتعد رويداً رويداً عن أصل عزه ومعين كرامته، انحرف بعيداً بعيداً
 عن كتاب اله وعن هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم وراح ليلهث وراء الشرق
 الملحد تارة ووراء الغرب الكافر تارة أخرى، وحكم القانون الوضعي الأعمى يوم أن
 ابتعد عن منهج الرب العلى ومن هنا بل ومن هنا فقط ضاعت حقوق كثيرة وانتهكت
 أعراض وحرمات بصورة فظيعة وخطيرة مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد
 رأسى قواعد المجتمع المسلم، وشدد على حرمانه تشديداً عظيماً ففي الصحيحين من
 حديث ابن عباس وأبي بكر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب
 الناس يوم النحر في منى وقال: .. أتدرون أي يوم هذا؟ .. فرد الصحابة رضوان الله
 عليهم .. في أدب جم: الله ورسوله أعلم .. وهل يشك أحدكم في أن الصحابة لا
 يعلمون أنهم في يوم النحر لكنه الأدب مع المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لهم
 المصطفى صلى الله عليه وسلم: أي يوم هذا؟ .. قالوا: الله ورسوله أعلم قال
 الحبيب: أليس يوم النحر؟ .. قالوا: بلى فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: أي
 شهر هذا؟ .. فقال الصحابة: الله ورسوله أعلم فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم:
 أليس ذا الحجة؟ .. قالوا: بلى فسألهم المصطفى صلى الله عليه وسلم: أي بلد هذا؟

.. قالوا: الله ورسوله أعلم فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : أليس البلد الحرام؟
.. قالوا: بلى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : إن دماءكم وأولادكم وأموالكم
حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. ثم قال : ألا هل بلغت
اللهم أشهد .. وأعادها مراراً بأبى هو وأمى ثم التفت إلى الصحابة وقال: فليبلغ
الشاهد الغائب .. ثم قال : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض..([1])
أيها الأحبة إن موضوع الدماء موضوع جليل، وموضوع الأعراض وحرمة
الأموال، وقد أجملت هذا الموضوع إجمالاً في خطبة عيد الأضحى بإستاد
المنصورة، وأود اليوم تلبية لرغبة أحبائي أن أفصل هذا الموضوع تفصيلاً لجلاله
وخطره في الدنيا والآخرة.

أحبتى فى الله .. إن الله تعالى قد كرم الإنسان تكريماً عظيماً، خلقه بيده ونفخ فيه من
روحه وأسجد له ملائكته، وأنزل له الكتب وأرسل له الرسل ووضع له شريعة
محكمة تضمن له الحقوق والسعادة فى الدنيا والآخرة، وإن أول وأكبر وأعظم حق
ضمنته الشريعة الإسلامية للإنسان فى الأرض هو حق الحياة، فإن الله وحده هو
خالق الحياة وهو واهب الحياة، ولا ينبغى لأحد البتة أن يسلب هذه الحياة إلا واهبها
وخالقها وإلا بأمر الله جل وعلا فى نطاق الحدود الذى شرعها، ولا يسلب الروح إلا
واهب الحياة وهو وحده الذى يعلم من خلق وهو العليم الخبير، فسفك الدماء جريمة
بشعة تأتى مباشرة بعد جريمة الشرك بالله، وأنا أتحدى أن تفتح صفحة من الجرائد
فى أى جريدة من جرائدنا اليومية إلا وسينقلب إليك بصرك خاسئاً وهو حسير،
وسينخلع قلبك أمام جرائم القتل التى انتشرت فى مجتمعات المسلمين بل وفى الأرض
كلها إما بدافع السرقة وإما بدافع الثأر البغيض الأعمى وإما بدافع انتهاك الأعراض
أو الاغتصاب ولا حول ولا قوة إلا بالله، انتشرت جريمة سفك الدماء بصورة بشعة،
وأصبحت حرمة الدماء حثيرة فى حسن كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام ولا حول ولا
قوة إلا بالله العظيم.

تدبروا كلام الله فى كتابه الكريم: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (93) سورة النساء وفى صحيح
البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: .. لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما
لم يصب دماً حراماً([2]) .. وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: إن من ورطات
الأمر التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله([3]) وفى
الصحيح الذى رواه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم من حديث معاوية أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال: " كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو قتل
مؤمناً متعمداً" ([4]). وفى الحديث الصحيح الذى رواه النسائى من حديث بريدة أن
النبى صلى الله عليه وسلم قال: "قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا"([5]) ..
تعرفوا

على حرمة الدماء بل من أعجب الأحاديث الصحيحة التى قرأتها فى هذا الباب ما
رواه النسائى والبخارى فى التاريخ الكبير وصحح الحديث الألبانى فى صحيح
الجامع من حديث عمرو بن الحمق الخزاعى أن الحبيب النبى صلى الله عليه وسلم
قال: "من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافراً..".

حرمة الدماء عظيمة عند رب الأرض والسماء فمن أجل ذلك جعل الدماء هي أول شئ يقضى فيها الله بين العباد يوم القيامة كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة في الدماء" ([6]) إذا ما وضعت الموازين وتطايرت الصحف وغرق الناس في عرقهم على قدر أعمالهم

بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ينادى على القاتل السفاح المجرم الذى سفك الدماء بغير حل، فيخلع النداء قلبه فترتعد فرائضه وتضطرب جوارحه وهو يمشى بين الخلائق ليقف بين يدي الملك الحق جل جلاله ، وينادى على كل قتيل قتله هذا المجرم السفاح فيتعلق كل قتيل بالقاتل وأعناقهم تسيل دماً ويتعلقون به وهو يصرخ ويستغيث بين يدي الملك الحق ويقول: يا رب سل هذا فيم قتلنى؟ فماذا سيكون جوابك أيها القاتل؟ ماذا سيكون جوابك يا من سفكت الدم بغير حل؟ ماذا سيكون قولك بين يدي الله؟

تذكر وقوفك يوم العرض عرياناً مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضباناً اقرأ كتابك يا عبد على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا فلما قرأت ولم تنكر قراءته أقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا نادى الجليل خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصي للنار عطشاناً المشركون غداً في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

مثل لنفسك أيها المغرور ** يوم القيامة والسماء تمور إذ كورت شمس النهار وأدريت ** حتى على رأس العباد تسير وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ** وتبدلت بعد الضياء كدور وإذا البحار تفجرت من خوفها ** ورأيتهما مثل الجحيم تفور وإذا الجبال تقلعت بأصولها ** فرأيتهما مثل السحاب تسير وإذا العشار تعطلت وتخربت ** خلت الديار فما بها معمور وإذا الوحوش لدى القيامة احشرت ** وتقول للأملاك أين تسير وإذا ثقة المسلمين تزوجت ** من حور عين زانهن شعور وإذا الموودة سئلت عن شأنها ** وبأي ذنب قتلها ميسور وإذا الجليل طوى السماء بيمينه ** طي السجل كتابه المنشور وإذا الصحائف نشرت فتطايرت ** وتهتكت للمؤمنين ستور وإذا السماء تكشطت عن أهله ** ورأيت أفلاك السماء تدور وإذا الجحيم تسعرت نيرانها فلها ** على أهل الذنوب زفير وإذا الجنان ترخرفت وتطيبت لفتى ** على طول البلاء صبور وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى ** القصاص وقلبه مذعور هذا بلا ذنب يخاف جنينه كيف ** المصر على الذنوب دهور؟! ...

ينادى على القاتل فإن أول شئ يقضى الله فيه بين العباد فى الدماء ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قول النبى صلى الله عليه وسلم : .. إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ([7]) فالصلاة هى حق الله تعالى وأما الدماء

فهى حق العباد فأول حق للعباد يقضى الله فيه هى الدماء، ولقد قص على أستاذ فاضل ومستشار لا أزكيه على الله، قص على قصة ذكرتها فى خطبة عيد الأضحى تخلع القلب، خلاصتها أن ذنباً بشرياً نزع الرحمة من قلبه وانتكست فطرته رأى طفلة صغيرة مسكينة لا يزيد عمرها عن خمس سنوات رآها تلعب ببراءة بجوار بيتها المجاور للمقابر فى قرية من القرى، فأحتال هذا الذئب الذى لم يرعى بقصاص عادل ولا بمراقبة الله جل وعلا الذى يمهل ولا يهمل، فأحتال على هذه الطفلة الصغيرة البريئة المسكينة واستدرجها إلى المقابر حتى أدخلها المقابر ثم أعتدى على عرضها ولم يرحم استغائتها، وهى الطفلة البريئة المسكينة بنت الخمس سنوات بل ولم يراعى حرمة الموتى الذين أحاطوا به من كل جانب، ولم يراع حرمة المقابر، انظروا إلى مرض القلوب وانتكاس الفطر والعياذ بالله، لم يراقب الله الحى الذى لا يموت ولم يراع حرمة المقابر ولا حرمة الأموات، بل انتهك عرض الطفلة المسكينة البريئة بين المقابر، وفكر بعد ذلك فى الفضيحة فحاول هذا المجرم الخبيث أن يخنقها فلم يفلح فجاء بثوبها الداخلى فسد ثوبها فى فمها حتى فارقت الحياة، وفكر هذا المجرم الخبيث فى فضيخته ففتح قبراً من القبور المعدة للموتى ووضع الطفلة المسكينة البريئة بثيابها فى هذه المقبرة ولكن الملك يمهل ولا يهمل، قدر الله عز وجل أن يموت رجل من هذه القرية فى اليوم التالى مباشرة ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يحمل المتوفى إلى المقابر وأن يفتح نفس القبر الذى دفنت فيه الطفلة البريئة، فقد حاول الأهل أن يبحثوا عنها فلم يجدوها، فمن الذى يفكر فى هذه الجريمة البشعة، واستطاع رجال الأمن بعد ذلك فى أن يقبضوا على هذا الذئب البشرى الخبيث المجرم، وحكمت عليه محكمة النقض كما قص على المستشار حكمت على هذا الذئب البشرى بالإعدام لكن من منا سمع حكم الإعدام؟ لذا فأنا أطالب المسؤولين الآن كما يذيع التلفاز فى نشرته الإذاعية أو التلفازية الأخبار، أخبار الممثلين والممثلات والساقطين والساقطات والملاعبين والملاعبات والمطربين والمطربات الأحياء منهم والأموات، أن يذيعوا على الأقل على الأقل خبر الحكم بالإعدام على ذئب بشرى خبيث ليرتدع من تسول له نفسه على الأقل فى انتهاك الأعراض والحرمان، ثم إننى على يقين مطلق جاز فى أن الحل الناجع الأوحد فى القضاء على هذه الجريمة البشعة هو القصاص تطبيق شريعة رب الناس {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (179) سورة البقرة

والله لن يرتدع المجرم القاتل إلا إذا علم أن شريعة الله تطبق، وأن من شريعة الله أن يقتل القاتل وأن يقام الحد على الزانى، هذا هو الحل الأوحد فى القضاء على هذه الجريمة البشعة، أقسم بالله على منبر رسول الله أن جريمة القتل لم تكن بدافع السرقة أو بدافع فعل الأعتصاب إلا يوم أن حكم القانون الوضعى الأعمى ونهى شرع الرب العلى الأعلى الذى قال: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (14) سورة الملك .

ثالثاً: حرمة المال: من حق المسلم في المجتمع الإسلامي أن يأمن على ماله وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء حرمة المال إخواني الكرام .. المال مال الله، فهو واهبه ورازقه قال تعالى: {وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} (33) سورة النور فالمال مال الله {وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} قال سبحانه: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} (7) سورة الحديد وقال سبحانه: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (180) سورة آل عمران ثم أضاف الله عز وجل المال للعباد تكرماً منه وتفضلاً من ناحية وابتلاء واختباراً لهم من ناحية أخرى، أركز في هذه الكلمة مرة أخرى وأعيدها أيها الفضلاء وأقول .. ثم أضاف الله عز وجل المال للعباد تكرماً منه وتفضلاً من ناحية وابتلاء واختباراً لهم من ناحية أخرى فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (9) سورة المنافقون قال جل وعلا: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (28) سورة الأنفال وقال جل وعلا: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا نُرْجِعُونَ} (35) سورة الأنبياء .

لذا فإن المؤمن العاقل هو الذي يعلم الغاية من المال، ويعلم أن المال ظل زائل وعارية مسترجعة ولا ينسى أبداً حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم ممن حديث عبد الله بن الشخير، "مالك يا بن آدم تقول مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت" ([8]) .. وفي لفظ

فأبقيت، ولذا يقول الحبيب المحبوب كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: .. ثلاث أقسم عليهم وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبداً مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أحدثكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة عبد رزقه الله مالا وعلماً فهو يتقى فيه ربه .. أى فى ماله وعلمه فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا .. فهذا بأفضل المنازل أى عند الله جل وعلا، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان .. أى من أهل البر والخير لبنيت المساجد ولأنفقت على الفقراء والمساكين ولفعلت كذا وكذا.. يقول النبي: فهو صادق النية يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان ([9]) أى من أهل البر والخير، اسمع ماذا وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً هذا هو العبد الثالث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: فهو يخبط فى ماله .. يعنى ينفق المال على غير حق وهدى لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله أى فى ماله حقا، فهذا بأخبث المنازل أى عند الله جل وعلا وعبد وهذا هو العبد الرابع.... وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان .. أى من الفسق والمجون والمعاصي لسافرت من بانكوك إلى مدريد، إلى هنا وهناك، للهو والفسق والزندقة .. لو أن لى

مألاً لعملت بعمل فلان يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو بنيته فوزرهما سواء..

فالمؤمن العاقل إخواني هو الذي يعلم الغاية من المال، يعمل أن المال ظل زائل وعارية مسترجعة من أجل ذلك انتبه ، فهو يحرص كل الحرص على أن يجمع المال من الحلال وأن يؤدي في المال حق الكبير المتعال، من حق هذا المسلم حينئذ أن يأمن على ماله ولو قل، من حقه أن يأمن على بيته، من حقه أن يأمن على أولاده، من حقه أن يأمن على تجارته، من حقه أن يأمن على ماله في المجتمع ولو قل هذا المال، لا يجوز لأحد البتة أن يأخذ هذا المال منه بغش أو بسرقة أو بنصب أو بغصب أو بظلم أو باحتيال قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (29) سورة النساء وقال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (38) سورة المائدة وسيظل حد القطع هو الرادع الأوحده والأمثلة والأقوى للقضاء على اللصوص الكبار والصغار الذين يسرقون أقوات وأموال الأمم والشعوب والأفراد على السواءن سيظل حد القطع ليد السارق هو الرادع والأقوى للقضاء على اللصوص الكبار والصغار، ومن يزعم بأنه أرحم بالناس من خالق الناس في قلبه عمى وفي عقله ضلال، وعلى الذين يدندنون على أن حد القطع ليد السارق لا يتواءم ولا يتفق مع مدنية القرن العشرين ولا مع إنسانية البشر عليهم أن يراجعوا بعدل وإنصاف نتائج القطع ونتائج السجن والحبس، ليعلموا علم اليقين أن حد القطع لم يطبق في صدر الإسلام إلا على أحاد الناس وصدق ربي إذ يقول: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (14) سورة الملك

رابعاً حرمة العرض: ثم من حق الفرد المسلم على المجتمع أن يأمن على عرضه، وهذا هو عنصرنا الرابع من عناصر اللقاء، العرض هو موضع المدح والذم في الإنسان، ومنه قول حسان بن ثابت ، وهو يذيب عن عرض الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :

وإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

فالعرض هو موضع المدح والذم في الإنسان كما قال ابن منظور في لسان العرب ممن جسد أو نفس أو حسب أو شرف ولا شك أن أبشع صورة من صور انتهاك العرض هي الزنا، فالزنا أبشع وأشنع جريمة ترتكب على ظهر الأرض بعد الشرك بالله وقتل النفس، المرأة إن زنت والعياذ بالله أدخلت العار على زوجها وأهلها ووضعت رؤوس أسرتها في الوحل والطين والتراب، فإن كانت المرأة متزوجة ووقعت في جريمة الزنا وخافت من الفضيحة والعار، قتلت ولدها من الزنا، وقعت في كبيرتين ألا وهما القتل والزنا، فإن أبقت على ولدها من الزنا وأدخلت هذا الولد بين أولادها، أدخلت عليهم أجنياً ليس منهم فورثهم ولا حق له في ذلك، وخلا بهم ولا حق له في ذلك، وانتسب هذا الولد إلى زوجها ولا حق له في ذلك، أما إذا زنا الرجل فاختلطت الأنساب واشتعلت الأحقاد وهدم المجتمع المسلم من قواعده، من أجل ذلك شدد الإسلام يا أخوة تشديداً عظيماً على جريمة الزنا فقال تعالى: {الزَّانِيَةُ}.. وإلحظ ملحظاً قرانياً بليغاً لتقديمه لفظ الزانية، فإنه لا يتمكن زان من

الزنا إلا بمقدمات حقيقية من زانية مجرمة فقدم القرآن الزانية {الزانية والزاني} (2) سورة النور ولذا قدم القرآن في السرقة الرجل فقال {والسارق والسارقة} (38) سورة المائدة لأن دافع السرقة عند الرجل أقوى ، أما في الزنا قال: {الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين} (2 ، 3) سورة النور أنظروا إلى هذا التشريع، الأمر لا يحتاج إلى فذلكة أو حذقة.. كيف يؤتى بالزاني على رؤوس الأشهاد ليقام عليه حد الجلد أو حد الرجم هذا لا يتفق مع إنسانية الإنسان، هذا لا يتفق مع مدنية القرن العشرين !!! لا تمت إلى عقل سليم بصلة ولو ابتلى الإنسان بهذا البلاء .. وأسأل الله أن ينجيني وإياكم منه، لو زنى بابنته أو امرأته أو بأخته لتمنى ورب الكعبة ألا يقام الحد بالجلد أو بالرجم، بل لتمنى أن يمزق الزاني بأنيابه قطعة قطعة، إن الأخذ على يد الزاني حياة للمجتمع كله: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون} (179) سورة البقرة ، رجل ذكر بالله. فلم يتذكر، نصح فلم ينتصح قيل: إياك والعرض لا تتعدى ولا تنتهك الحرمات فلم يرتدع فراح يرتع في هذا المستنقع الآثن العفن، لا بد من الأخذ على يديه، لو أن عضوا من أعضاء الجسد قد أصيبت بمرض السرطان فإن من الحكمة أن يقطع هذا العضو الذي ابتلى بمرض السرطان، وإلا فسيسرى المرض في الجسد كله، فلا بد من بتر هذا العضو الخبيث في المجتمع لنضمن الحياة الطبية الهادئة للمجتمع بأسره، فالله تبارك وتعالى أمر بالجلد للزاني البكر الذي لم يتزوج أن يجلد مائة جلدة مع الزانية أمام طائفة من الناس ليرى كل الناس هذا العقاب، فيفكر كل من تسول له نفسه بدل المرة ألف مرة في التعدي على الأعراض وانتهاك الحرمات، أما المحصن أى المتزوج الذى يترك هذا الحلال الطيب وينطلق ليرتع فى هذا المستنقع الآثن العفن فحده فى دين الله الرجم، فإن رجم وتاب إلى الله تبارك وتعالى فإن الله عز وجل قد طهره بالتوبة وبإقامة الحد طهره، ومن عدل الله، تبارك وتعالى ألا يحاسب العبد على ذنب طهر منه فى الدنيا بإقامة الحد لا يحاسبه الله على هذا الذنب يوم القيامة، عدل الله ورحمته فقد يزل الإنسان لكن لا بد حينئذ أن يجدد التوبة والأوية، وأن يقام عليه حد الله تبارك وتعالى فحد الزاني المحصن هو الرجم حتى الموت تلك حدود الله ، هذا شرع الله: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون} (179) سورة البقرة لا يحيا المجتمع حياة آمنة هادئة إلا بهذان إلا بتطبيق شرعه المحكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين .. لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن .. وقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح البخارى من حديث سمرة الطويل أن جبريل وميكائيل جاءا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالا له: ... انطلق فانطلق الحبيب معهما فمروا على تنور أعلاه ضيق وأسفله واسع تشتعل فيه النيران فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا التنور فرأى فيه رجالاً ونساء عراة يصيحون من شدة لهب التنور (أى من شدة الحر) فإذا ارتفعت النار ارتفعوا فإذا انخفضت انخفضوا فى هذا التنور فقال النبى صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم : من هؤلاء يا جبريل؟ فقال جبريل: هؤلاء الزناة والزواني هذا عذابهم إلى يوم القيامة.. ([10])

من زل فليتب، وقد يسألني الآن مسلم أنا أعيش في بلد لا تطبق فيه الحدود فماذا أصنع؟ وقد وقعت في هذه الجريمة البشعة ولا أدوق طعم النوم ولا طعم السعادة ولا طعم الراحة، كم من اتصالات وكم من أسئلة مكتوبة تعرض علينا في كل أسبوع أقول له: أخى الحبيب.. أخى الكريم.. اعلم بأن الله عز وجل سيفرح بتوبتك إن تبت إليه وهو الغنى عنك فأنت لست ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً، والله لو تخلى عنا برحمته طرفة عين لهلكننا، والله لو تخلى عنا برحمته طرفة عين لهلكننا، فيا من ضعفت وزللت في هذه الكبيرة عد إلى الله واسمع نداء الله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (53) سورة الزمر عد إلى الله وأعلم بأن الله سيفرح بتوبتك، إن ستر الله عليك فاستر على نفسك وجدد التوبة والأوية، فإن الأصل في الكبائر هو التوبة وليس إقامة الحد، إلا إذا وصل أمرك إلى ولى الأمر المسلم، فاستر على نفسك وجدد التوبة فإن قبل الله منك التوبة، تولى الله تبارك وتعالى تخليص ذنبك، وتولى الله تبارك وتعالى تفريج كربك {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (88) ، (89) سورة الشعراء .

الأصل في الكبائر هو التوبة كلكم يحفظ قصة ماعز والغامدية، لقد جاء ماعز الذى ارتكب جريمة الزنا وهو محصن جاء إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة المهداة والنعمة المسداة ليقول: يا رسول الله. طهرنى ، فماذا قال له المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ قال: .. ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه .. جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يقيم الحد عليه، والنبى يقول له: .. ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه .. جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يقيم الحد عليه، والنبى يقول له: .. ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه .. فرجع ماعز ولكن ما يطيق النوم وعاد إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى اليوم التالى: يا رسول الله طهرنى لقد أصبت حداً فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : .. ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه .. وعاد ماعز ولكن لم يطق النوم وهؤلاء يا إخوة رباهم المصطفى صلى الله عليه وسلم على مراقبة الحى، لم يترب هؤلاء على مراقبة القانون الأعمى الذى إن رأى ساعة لا يرى فى غيرها، لكن رباهم النبى صلى الله عليه وسلم على مراقبة العلى الأعلى، فإن لم تأت به الشرطة يأتى يحركه إيمانه، يحركه خوفه من ربه، وتحركه مراقبة الله تبارك وتعالى فيأتى على قدميه مختاراً غير مكره غير مضطر.

يأتى للنبى: طهرنى يا رسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم للمرة الثالثة: "ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه، فقال له ماعز: لقد اصبت حداً يا رسول الله زنيت يا رسول الله طهرنى. فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه أن يقوم بأن يشم رائحة فمه قال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "أبه جنون؟ أهو عاقل؟" قالوا: نعم يا رسول الله فأمر رجل أن يستنكهه أى أن يشم- رائحة - فمه هل شرب خمراً فلعبت الخمر

برأسه، فقام أحد الصحابة فشم رائحة فمه فلم يجد بها أثراً للخمر أو فلم يجد بفمه أثراً للخمر فقال: لا يا رسول الله فحينئذ أمر رسول الله أن يقام الحد على ماعز. [11]

ومن أعجب ما قرأت من الروايات ما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار صححه كثير من أهل العلم، أن الصحابة عادوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وأنهم لما هموا بجرم ماعز جرى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلا تركتموه؟ هلا تركتموه؟" فالإسلام ليس متعطشاً للدماء ولا لإقامة الحدود، وعلى العلمانيين الذين لا يحترمون أنفسهم ممن يختزلون قضية الشريعة كلها في الحدود، عليهم أن يحترموا أنفسهم وأن يعلموا يقيناً أن الإسلام العظيم لا يختزل في قضية الحدود، وعليهم أن يعلموا الحدود حين تطبيق لها ضوابط ولها شروط الأمر ليس متروكا هكذا فدين الله عز وجل ورب الكعبة هو طريق السعادة في الدنيا والآخرة، لأن الله عز وجل هو خالق الإنسان، وهو وحده الذي يعلم ما يسعده وما يصلحه وما يفسده، وأكرر للمرة الثالثة قول الله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (14) سورة الملك فأبشع صورة من صور انتهاك العرض هي الزنا أسأل الله عز وجل أن يطهر مجتمعنا ومجتمعات المسلمين من هذه الجرائم والكبائر الكبيرة البشعة، وأن يرد المجتمعات المسلمة إليه رداً جميلاً إنهولى ذلك والقادر عليه.. وأترك ما تبقى من جزئية العرض إلى ما بعد جلسة الاستراحة أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد..

فيا أيها الأحبة الكرام .. لاشك أيضاً أن من صور انتهاك الأعراض القذف بالكلمة تذبح عرضاً وتجرح كرامة فكما ينتهك العرض بالزنا ينتهك العرض بكلمة قذف بشعة ، لذا فقد جعل الإسلام العظيم القذف كبيرة من الكبائر تستحق الحد قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (4) سورة النور فالكلمة خطيرة، يستهين الآن كثير من المسلمين والمسلمات بالكلمة، فيجلس رجل بين إخوانه فيقذف فلانا بكلمة فينتهك عرضه، ينتهك شرفه، يسيئ إلى سمعته أو تجلس فلانة بين المسلمات فتنتهك عرض مسلمة من المسلمات بكلمة، هذا قول فالكلمة تجرح بل وتهدم بيوتاً آمنة مطمئنة والله در من قال: إن ترك الألسنة تلقى التهم قذاً دون بينة أو دليل يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقول ما شاء في أي وقت شاء. ثم يمضي آمنة مطمئناً، فتصبح الجماعة وتمسى وإذا أعراضها مجرحة وسمعنها مكلوثة، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام ، وهذه حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق بحال من الأحوال، قال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (18) سورة ق وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ} (38) سورة المدثر وقال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (7 ، 8) سورة الزلزلة.

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: .. إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا فيرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فيهوى بها في جهنم. ([12])
 وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي المسلمين أفضل قال: " من سلم المسلمون من لسانه ويده" ([13]) .. فقدم النبي صلى الله عليه وسلم اللسان على اليد، من سلم المسلمون من لسانه ويده، وفي صحيح سنن النسائي: "إنه ما يوم يمر علينا يصبح الإنسان فيه إلا والأعضاء كلها تكفر اللسان أى تذلل له وتخضع أى تقول له الأعضاء أتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن إعوججت اعوججنا". ([14])
 وفي الحديث الذي رواه الطبراني وأرجو أن تتدبروا هذا الحديث رواه الطبراني بسند صححه الألباني في السلسلة الصحيحة بمجموع طرقه من حديث البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: .. الربا اثنان وسبعون بابا أدناه مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطاله الرجل فى عرض أخيه . ([15]) . وفى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد من حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: .. من قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رذغة الخبال
 ([16]) هل تعلمون شيئاً عن رذغة الخبال، رذغة الخبال أيها الأحبة هي عصارة أهل النار .. الله .. الله فى

العرض والشرف، فكر ألف مرة قبل أن تنطق مرة، فإن الكلمة خطيرة، بكلمة تدخل دين الله وبكلمة تخرج من دين الله، وبكلمة تنال رضا الله وبكلمة تنال سخط الله، كلمة تستحل فرج امرأة، وبكلمة يحرم عليك فرجها، إن الكلمة فى الإسلام خطيرة فلا ينبغى أن تجلس فى المجالس هنا وهناك فى الوظائف ليقذف كل من شاء فى أى وقت شاء، فستسأل عن كل كلمة نطق بها لسانك فى هذه الدنيا فى يوم ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يا هاتكا حرم الرجال وتابعا. طرق الفساد فأنت غير مكرم
 من يزن فى قوم بألقى درهم فى قومه يزنى بربع الدرهم
 إن الزنا دين إذا استقرضته كان الوفا من أهل بيتك

...
 الزنا أبشع صور انتهاك العرض والقذف فالكلمة صورة خطيرة وكبيرة بشعة من صور انتهاك العرض.

أيها الأحبة .. ورب الكعبة ما أحوج الأمة إلى هذا الشرع المحكم المطهر، إلى أن ترجع من جديد إلى طريق السعادة والنجاة فى الدنيا والآخرة، إلى كتاب ربها وإلى سنة الحبيب نبيا .. فإن الإسلام دين السلم، دين التسامح، إن الإسلام دين الفضائل، إن الإسلام دين الشمائل، إن الإسلام دين الله الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، البشرية الآن كلها تحترق لا يمكن أبدا أن تفتح تلفازاً أو إذاعة من الإذاعات إلا وستفاجأ بجرائم القتل البشعة وجرائم وإنتهاك العرض المخرج هو العودة من جديد إلى الله ورسوله قال الله جل وعلا: { قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا

يَأْتِيَنَّكُمْ مَّيِّ هُدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ
لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى { (123 ، 124) سورة طه

نسأل الله أن يرد إليه الأمة ردا جميلاً، اللهم استر عوراتنا، اللهم رداً إليك رداً
جميلاً، اللهم استر أعراضنا وأستر نساءنا، اللهم استر بناتنا، اللهم لا تمكن من نساتنا
ولا بناتنا ذنباً بشرياً من ذناب البشر الجائعة يارب العالمين.

(1) رواه البخارى فى العلم (67 ، 105) وفى الحج (1739 ، 1741) وفى المغازى
(4406) وفى الفتن (7078) وفى التوحيد (7447) ومسلم فى القسامة (1679).

(1) رواه البخارى فى الديات (6862) وأحمد (94/2).

(2) رواه البخارى فى الديات (6863).

(3) رواه أبو داود فى الفتن والملاحم (4270) والنسائى فى تحريم الدم (81/7)
وأحمد (99/4) والحاكم (351/4) وصححه.

(4) رواه النسائى فى تحريم الدم (82/7 ، 83).

(1) رواه البخارى فى الرقاق (6533) وفى الديات (6864) ومسلم فى القسامة
(28/1678).

(1) رواه الترمذى فى أبواب الصلاة (413) وأبو داود فى الصلاة (864) والنسائى
فى الصلاة (232/1) وأبن ماجه فى إقامة الصلاة (1425) وأحمد (290/2 ، 425).

(1) رواه مسلم فى الزهد (3/2958) والترمذى فى الزهد (2342) وفى تفسير
القرآن (2352) وقال: حسن صحيح وأحمد (24/4 ، 26).

(1) رواه أحمد (231/4).

(1) رواه البخارى فى الجنائز (1386) وفى التعبير (7047) وأحمد (8/5 ، 14).

(1) رواه البخارى فى المحاربيين (6815 ، 6820) ، ومسلم فى الحدود (1619 ،
1694).

(1) رواه البخارى فى الدقاق (6478) وأحمد (334/2) ورواه مسلم بلفظ قريب فى
الزهد والرقائق (2988).

(2) رواه البخارى فى الإيمان (10 ، 11) وفى الرقاق (6484) ومسلم فى الإيمان
(41 ، 42).

(1) رواه أحمد (96/3) والترمذى فى الزهد (2407).

(2) عزاء السيوطى فى الجامع الصغير (45096) للطبرانى فى الصغير من البراء
بن عازب وقال السيوطى: صحيح.

(3) رواه أحمد (70/2) وأبو داود فى الأفضية (3597).

التوبة النصوح

إن الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنا سيدنا
محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح
للأمة، فكشف الله به الغمة، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزء
عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته، وصل اللهم وسلم عليه

وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: فحياكم الله جميعاً الأخوة الفضلاء، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً، وأسأل الله الحليم الكريم- جلا وعلا - الذى جمعنى مع حضراتكم فى هذا البيت الطيب المبارك على طاعته، أن يجمعنا فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار مقامته، إنه ولى ذلك والقادر عليه. أحببى فى الله نحن اليوم على موعد مع التوبة النصوح وكما تعودت حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا، فسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم فى هذا الموضوع الجليل العظيم فى العناصر المحددة التالية:

أولاً: وجوب التوبة.

ثانياً: فضل التوبة..

ثالثاً: شمس مضيئة فى سماء التوبة..

رابعاً شروط التوبة..

خامساً : عقبات فى طريق التوبة وكيف الخلاص منها..

فأعيرونى القلوب والأسماع فى هذه اللحظات، والله أسأل أن يتوب على وعليكم، وأن يستر على وعليكم فى الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (18) سورة الزمر

أولاً: وجوب التوبة..

أحبتى الكرام قال الإمام ابن القيم رحمة الله: أكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة، ولا حقيقتها فضلاً عن القيام بها، علماً وعملاً وحالاً، مع أن التوبة هى حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل فى مسمى التوبة، من أجل ذلك استحق التائب أن يكون حبيب الرحمن - جل وعلا - فأصل التوبة فى اللغة الرجوع يقال: تاب وأب وثاب بمعنى رجع، فالتائب إلى الله هو الراجع عن كل ما يكرهه الله ظاهراً وباطناً، إلى كل ما يحبه الله ظاهراً وباطناً.

ولقد تظاهرت وتضافرت أدلة القرآن والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة فى كل لحظة وحين، لأن المسلم لا يخلو من معصية ظاهرة أو باطنة. من أجل ذلك وجب عليه أن يجدد التوبة والأوبة إلى الله بعدد أنفاس حياته حتى يلقى الله - عز وجل - وهو على توبة قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (8) سورة التحريم ويقول الله عز وجل: { وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (31) سورة النور ويقول جل وعلا:

{ وَمَنْ لَّمْ يَتُوبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (11) سورة الحجرات

وفى سنة النبى صلى الله عليه وسلم الأمين كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح مسلم من حديث ابن عمر: "يا أيها الناس توبوا إلى الله

واستغفروه فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة" ([1]) .. هذا نبينا وحبينا الذى غفر الله له

ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يتوب إلى الله ويستغفر الله فى اليوم مائة مرة.

وفى لفظ البخارى: "فإنى أستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة" ([2]) فإن كان المصطفى صلى الله عليه وسلم -

أيها المسلمون أيها الشباب- إن كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يتوب فى التوبة إلى رب الأرض والسموات فى اليوم الواحد آلاف المرات، فوالله لا ينفك مسلم عن معصية صغرت أم كبرت، ظاهرة أم باطنة، فنحن نحتاج إلى التوبة بعدد أنفاس حياتنا فى هذه الدنيا. وأبشرك بأن الله تعالى لا يغلق باب التوبة أبداً حتى تبلغ روحك الحلقوم أو حتى تطلع الشمس من مغربها، فتدبر كلام الصادق المصدق الذى لا ينطق عن الهوى.

ففى صحيح مسلم من حديث أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" ([3])

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل الله - عز وجل- إلى السماء الدنيا" .. ينزل نزولاً يليق بكماله وجلاله فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك. {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (5) سورة طه ، استوى كما أخبر وعلى الوجه الذى أراد، وبالمعنى الذى قال: استواء منزلها عن الحلول والانتقال. فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته والكرسي وعظمته، الكل محمول بلطف قدرته مقهور بجلال قبضته.

فالأستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة لا تسأل كيف ينزل، فإن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا تنزلاً يليق بكماله وجلاله، فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (11) سورة الشورى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (103) سورة الأنعام قال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (74) سورة النحل قال سبحانه {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (110) سورة طه قال جل جلاله {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (1 ، 4) سورة الإخلاص أحد فى أسمائه، أحد فى ذاته، أحد فى صفاته، أحد فى أفعاله.

قال أعرف الناس به: " إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" ([4]) .. ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا، ويقول سبحانه

وتعالى: " أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له، من ذا الذى يسألنى فأعطيه، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له" فلا يزال كذلك حتى يصىء الفجر. ([5])

فأين أنت؟ تقضى الليل أمام الأفلام الداعرة، أفق أيها المسكين! يا من قضيت العمر أمام المسلسلات والأفلام قم وانتبه! قم فإن الموت يأتي بغتة. المولى جل جلاله ينادى عليك وأنت في غفلة: أنتبه:

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنّب
لم ينسه الملكان حين نسيته بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب

الليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيهما تعد وتحسب الله جل جلاله ينادى عليك فيقول: "أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر".

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة - - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة" ([6]) {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا

من

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (53) سورة الزمر فهيا أيها المسلم! هيا إلى هذا الفضل العظيم، فوالله لو عرفت فضل التوبة ما تركت التوبة طرفة عين ... وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء ..

فضل التوبة: وأعظم فضل للتوبة أنها سبب لمحبة الرب للعبد . هل تدبرت ما ذكرت أيها الكريم الفاضل؟ أقول: إنها سبب لمحبة الرب للعبد ولم أقل التوبة سبب لمحبة العبد للرب، فمن أنت ليحبك الملك؟! قال جل وعلا في الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة يقول تعالى: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.. " "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما أفترضه عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش لها، ورجله التي يمشى عليها ولئن سألتني لأعطينة ولئن استعاذني لأعيذنه" .. ([7])

ماذا لو أحبك الله؟ اسمع! يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة: "إذا أحب الله عبداً دعا جبريل عليه السلام". "إذا أحب الله عبداً دعا جبريل عليه السلام.

وقال: يا جبريل إنى أحب فلانا فأحبيه" وتذكر أنت عند الملك ويذكر أسمك ملك الملوك" إنى أحب فلانا فأحبيه، يحبه جبريل، ثم ينادى جبريل في أهل السماء، ويقول: يا هل السماء إن الله يحب فلانا فأحبهه أهل السماء ثم ينادى جبريل في الأرض، فيوضع له القبول في الأرض" ([8])

حيثما توجه، وضع الله له القبول إذا احبه الله سبحانه، وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل وقال: "يا جبريل إنى أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل وينادى جبريل،

لأهل السماء فيبغضه أهل السماء ثم ينادى على أهل الأرض فتوضع له البغضاء فى الأرض" أعادنى الله وإياكم من البغضاء.

فإن أحببك رب الأرض والسماء سعدت فى الدنيا والآخرة، ولو أحببك مسئول سعدت فى دنياك، فكيف لو أحببك من بيده الدنيا والآخرة، سعدت فى الدنيا وسعدت فى الآخرة، أسأل الله أن يجعلنى وإياكم من أهل السعادة فى الدنيا والآخرة.

ثانياً : من فضائل التوبة: أنها سبب لفرح الرب بالعبد .. الله يفرح لا تعطل ولا تكيف ولا تمثل. اسمع ماذا قال أعرف الناس بربه وهو المصطفى صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك: "الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فاتفلتت منه راحلته وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته" ([9]).
المعنى: رجل يركب حماراً أو ناقةً أو حصاناً دابة عليها الطعام والشراب ويمشى فى صحراء مقفرة، مهلكة. وفجأة انفلتت الدابة: جرت، فضاع الطعام وضاع الشراب، وضاعت الركوبة التى يركبها فى هذه الصحراء فاستسلم للموت، فرأى شجرة فانطلق إليها ونام فى ظلها ينتظر الموت، لأنه لا يجد طعاماً ولا شراباً ولا ظهراً يركبه. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " وبينما هو كذلك إذا به يرى راحلته قائمة عند رأسه وعليها الطعام والشراب".

فتصور معى أخى الحبيب الفرحة العارمة لهذا العبد فقال: "اللهم أنت عبدى وأنا ربك" أخطأ من شدة الفرح .. فرح الله بك إن تبت إليه أعظم من فرح هذا العبد بعودة دابته إليه.

ثالثاً: من فضائل التوبة: أنها سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب، يا له من فضل !! التوبة سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب، انتبهوا يا شباب! فلينتبه كل مسلم وكل مسلمة، فلا يستغنى عن هذا الموضوع عالم ولا حاكم ولا رجل ولا امرأة ولا شاب ولا شابة كلنا فى حاجة إلى التوبة.

التوبة سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب، إن صدقت مع الله فى توبتك طهرك الله بتوبتك من كل ذنب كبير أم صغر كما سألين لحضراتكم الآن، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح من حديث أبى هريرة: " إذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء" ([10]) .. إن الذنب ينكت نكتة سوداء فى القلب، لأن الفتن تعرض على القلوب لا على الأبصار والأذان فحسب.

يقول الحبيب محمد كما فى حديث حذيفة بن اليمان: " تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصى عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين. قلب أسود مر باد كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما اشرب من هواه ([11]) وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض.. " إذا أذنب المؤمن نكت فى قلبه نكتة سوداء، اسمع! يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : "فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه" يعود الإيمان والنور إلى القلب مرة ثانية، لأن للإيمان نوراً فى القلب.

أكرر وأقول: إن للإيمان نوراً في القلب كما قال الحبيب في حديثه الصحيح الذي رواه أبو نعيم والدارمي من حديث علي وصححه الألباني أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر فيينا القمر مضىء إذ علتة سحابة فأظلم ، فإذا تجلت عنه اضاء..".

تدبر! كلام النبي صلى الله عليه وسلم النفيس يشرق القمر في السماء، فتتحرك سحابة كثيفة مظلمة فتحجب السحابة المظلمة نور القمر عن الأرض، فذلك إن تحركت المعاصي على القلب حجبت نور الإيمان في القلب، فإن انقشعت السحب المظلمة- سحب المعاصي والذنوب بالتوبة والأوبة والاستغفار ، عاد الإيمان في القلب إلى نوره وإشراقه، كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : "إذا أذنب المؤمن نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد - أي من المعاصي والذنوب- زادت" أي زادت بقعة السواد في القلب، وذلك الران الذي ذكره الله في قوله : {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} (14 ، 15) سورة المطففين فالتوبة أحبتى في الله سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب.

رابعاً: من فضائل التوبة: التوبة سبب للحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، من أراد المال فعليه بالتوبة وسأذكر لك ذلك بالدليل من القرآن، من أراد مالا وغنى فعليه بالتوبة، من حرم من نعمة الإنجاب وأراد الأولاد والذرية فعليه بالتوبة.. من أراد الحياة السعيدة الهانئة في الدنيا فعليه بالتوبة .. من أراد الحياة السعيدة في الآخرة فعليه بالتوبة: اسمع لربك جل وعلا: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} (10 ، 13) سورة نوح .

ما لكم لا توحدون الله حق توحيدهِ ولا تعبدون الله حق عبادته ولا تقدرُونَ الله حق قدره، {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} انظر إلى نتائج الاستغفار والتوبة {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} يا من تخشون قلة المال توبوا واستغفروا رب الأرض والسماء {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} بالمطر والغيث، لأن الذي يملك المطر والغيث هو الله {وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (96) سورة الأعراف ... يا من أردت المال عليك بالتوبة ... ويا من حرمت من نعمة الولد عليك بالتوبة والمداومة على الاستغفار.

ارجع إليه واعلم ان التوبة سبب للحياة الكريمة السعيدة في الدنيا والآخرة. والله لا سعادة في الآخرة، إلا لمن تاب إلى الله- في الدنيا وداوم على التوبة {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ} (105 ، 108) سورة هود اللهم اجعلنا من أهل السعادة.

فهيا ايها الكريم عجل الآن وبادر بالتوبة.. يا نادماً على الذنوب أين اثر ندمك؟! أين بكائك عل زلة قدمك .. يا اسير الخطايا أين الدموع الجارية.. يا من بارز ربه

بالقبائح أتصبر على الهاوية؟! فوا أسفاه إن دعيت اليوم على التوبة وما لبيت .. واحسرتاه إن ذكرت الآن بالتوبة وما أنبت.

هيا بادر بالتوبة ولا تؤجل ولا تسوف ، فإن الموت يأتي بغتة، وقد سبقك على الطريق كثير من الأطهار والأبرار والأخيار.

وهذا هو عنصرنا الثالث: شمس مضيئة في سماء التوبة:

واستهل بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المصطفى صلى الله عليه وسلم .. يبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قتل مائة نفس .. ومع ذلك لما تاب إلى الله وصدق في توبته تاب الله عليه، اسمع ماذا قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال : " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فأراد أن يتوب فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب (يعنى عابد من عباد بنى إسرائيل لكن لا علم لديه)- فذهب إليه وقال: لقد قتلت تسعة وتسعين نفساً فهل لى من توبة فقال: لا ، لا توبة لك فقتله فكمل به المائة، وأراد أن يتوب مع ذلك فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم" .. وما أحوج الأمة إلى العلماء، فإن العلماء هم الشموع التى تحترق ، لتضىء للأمة طريق نبيها ، هم القادة الحقيقيون فى الأمة الذين يسيرون على طريق الأنبياء إن العلماء ورثة الأنبياء أسأل الله أن يبارك فى علماء الأمة.

"فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال: نعم ومن الذى يحول بينك وبين التوبة، لكن أذهب إلى أرض كذا فإن فيها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم" (غير البيئنة فلا بد من تغير البيئنة، بيئنة المعصية والبعد عن الله لا بد من تغيير الصحبة التى تحول بينك وبين الطاعة وبين دروس العلم، صحبة تقول لك: لا، احذر! لا تذهب إلى المساجد واحذر أصحاب اللحى انتبه فإننا نريد أن نربي الأولاد وإننا نريد أن نعيش.

وطائفة تقول لك: تعال إن فلانا قد اشترى دشا يأتي بالأفلام الداعرة، تعالى لنقضى الليل عنده، وإن رجلاً يقول لك: إن المقهى الفلانى يقدم البانجو بأرخص الأسعار غير البيئنة وغير الصحبة وإلا فلن تتمكن من التوبة والأوية إلى الله).

"لكن اذهب إلى أرض كذا فإن فيها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء" فانطلق الرجل إلى أرض التوبة فقال

الحبيب : " حتى إذا نصف الطريق- أى وصل إلى منتصف الطريق- أتاه الموت" مات "فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب قالت ملائكة الرحمة: لقد جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط .. فبعث الله إليهم ملكاً فقال الملك: قيسوا المسافة بين الأرضين فإلى أيتهما هو أقرب فهو من أهلها" .. " يعنى إن كان قريباً من الأرض التى ارتكب فيها المعاصى فلتقبضه ملائكة العذاب، وإن كان قريباً من الأرض التى ذهب ليتوب فيها إلى الله عز وجل فلتقبضه ملائكة الرحمة".

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : " فأوحى الله عز وجل إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقاربنى.."

أوجى الله إلى أرض المعصية أن تباعدى والملك ملكه ، وأوحى إلى أرض التوبة أن تقربى " فوجدوه قريباً قريباً يشير إلى الأرض التي أراد أن يتوب فيها إلى الله فقبضته ملائكة الرحمة([12]) .. برحمة الله جل وعلا.

هذا قاتل.. وهذا زان وزانية. أسأل اله أن يطهرنا وأن يستر نساءنا وبناتنا. تأتي كبيرة الزنا بعد كبيرة القتل . ومع ذلك إن تبت إلى الله وصدقت فى توبتك وقبل الله منك التوبة فأبشر، فإن الذى سيتولى تخليصك وتطهيرك يوم القيامة من صاحب الذنب هو الغفور الرحيم جل جلاله. المهم أن تصدق فى التوبة، وأن تبكى دماً بدل الدمع على كبيرة الزنا التي وقعت فيها، وأن تبكى دماً بدل الدمع، ولتقلع ولنتب ولتستغفر ولتداوم على الطهر والعمل الصالح.

اسمع ماذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم – والحديث رواه مسلم وابو داود وغيرهم من حديث بريدة- قال يريدة: جاء ماعز بن مالك (رجل زنى فى عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو محصن .. – أى متزوج) جاء للنبي وقال: طهرنى يا رسول الله فقال له النبي: "ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه" ذهب ماعز غير بعيد فجاء إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال: طهرنى يا رسول الله .. لا يصبر . ويريد أن يطهر فى الدنيا قبل الآخرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم للمرة الثانية: " ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه" .. ولذلك قال ابن تيمية طيب الله تراه: الأصل فى الكبائر التوبة قبل إقامة الحد . التوبة .. ذهب ماعز غير بعيد فجاء إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال: طهرنى يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم للمرة الثالثة: "ويحك ارجع استغفر الله وتب إليه" ذهب ماعز غير بعيد فجاء إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال: لقد زنيت يا رسول الله طهرنى، سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال: " أبة جنون؟ .." قالوا لا .. قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم " أشرب خمرًا؟" فقام رجلاً من الصحابة فاستنكهة أى شم نكهته- أى رائحة فمه- فقال : لا لم يشرب خمرًا يا رسول الله، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد عليه رجماً بالحجارة حتى الموت.

هذا حد الله لمن زنى وهو محصن أى متزوج فمضى يومان أو ثلاثة ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وقال لهم: " استغفروا لأخيكم ماعز بن مالك" فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك.. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم"([13]) .. وفى رواية أبى داود قال النبي صلى الله عليه وسلم : " استغفروا

لأخيكم ماعز بن مالك" غفر الله لماعز بن مالك.. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم "والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها"([14])

ثم جاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله طهرنى لقد زنيت فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : "ويحك ارجعى واستغفرى الله وتوبى إليه" فقالت: يا رسول الله أتريد أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك.. هذه لم تأت بها شرطة الآداب، ولا شرطة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بل جاء بها إيمانها، وخوفها من ربها جل جلاله فهؤلاء لم يتربوا على مراقبة القانون الوضعى الأعمى، بل على مراقبة الرب العلى الأعلى، طهرنى يا رسول الله قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : "ويحك ارجعى

واستغفرى الله وتوبى إليه" فقالت: يا رسول الله أتريد أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك .. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم لها: "أنت" قالت: نعم.

أسمع ماذا قال لها الحبيب : "أذهبى حتى تلدى" .. هذا الولد ما ذنبه؟ وهذا رد بليغ على العلمانيين المجرمين الذين يختزلون الدين فى أمر الحدود، ويزعمون أن دين الإسلام دين متعطش لتقطيع الأيدي ولرجم الخلق والعباد، ولسفك الدماء، يقول لها النبى صلى الله عليه وسلم وهى التى جاءت تعترف بالزنا: "ويحك ارجعى واستغفرى الله وتوبى إليه".

قال كل أهل العلم: والله لو رجع ماعز واستغفر الله وتاب إليه لتاب الله عليه قال: "أذهبى حتى تلدى" هذا الولد ما ذنبه فذهبت حتى وضعت ولدها من الزنا. اهربى زورى جوازا واخرجى لأى بلدة لا ، لا ... وجاءت به تحمله على صدرها فى خرقة وهو طفل فى المهد للنبى لتقول : يا رسول الله هذا ولدى قد وضعته فطهرنى يا رسول الله ... ماذا قال لها فى الثانية قال: لا "ارجعى حتى ترضعيه حتى تظميه" أرضعيه سنتين كاملتين حتى تظميه.

عادت المرأة فأرضعت طفلها عامين كاملين لم تهرب وما نسيت بل جاءت بعد عامين وفى يد ولدها كسرة خبز ، لتبين للنبى عمليا أن الولد قد فطم عن الرضاع، فإنها مصرة على أن تطهر فى الدنيا قبل الآخرة فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلاً من المسلمين أن يأخذ الولد ليقوم على تربيته.

وكان من بين هؤلاء الذين رموها بالحجارة خالد بن الوليد – - فلما رماها خالد بن الوليد علا بحجر تنفخ دمها على وجهه خالد فسبها خالد بن الوليد فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم فقال: " مهلا يا خالد .. مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له" ([15]) .. وفى رواية لما

ماتت أمر النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة بها ثم قام المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ليصلى عليها بنفسه، ثم دفنت- صلى بفتح الصاد-

وهذا هو الراجح بدليل رواية مسلم أن عمر بن الخطاب قال له : يا رسول الله أتصلى عليها وقد زنت؟! فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله جل وعلا" ([16]) .

يا هاتكا حرم الرجال وتابعا... .. طرق الفساد فأنت غير مكرم

من يزن فى قوم بألفى درهم فى قومه بزنى بربع الدرهم

إن الزنا دين إذا استقرضته كان الوفاء من أهل بيتك فاعلم

فنتب إلى الله يا من زنيت .. توبى إلى الله يا من زنيت، تب إلى الله يا من وقعت فى هذه الكبيرة البشعة الشنيعة. اللهم استر نساءنا وبناتنا وأصلح شبابنا، واحفظ فروجنا يا أرحم الراحمين حتى ولو لم يقم عليك الحد عجل بالتوبة، وتب إلى الله تبارك وتعالى. فإذا وقفت بين يدي الله سبحانه فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إن قبل الله منك التوبة تولى الله سبحانه وتعالى تخليص الحق الذى عليك لمن ارتكبت فى حقه كبيرة الزنا. إن تبت إلى الله وكنت صادقا فى توبتك وقبل

الله منك التوبة ستدخل الجنة برحمته أنت وأخوك صاحب الحق، المهم أن تصدق في التوبة هذا زانى وهذه زانية وهذا رجل قتل نفسه.

والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان فيمن كان من قبلكم رجل أسرف على نفسه- أى أثقل على نفسه من المعاصي والذنوب- فلما حضرته الوفاة- (وأود أن أنبه هنا إلى أن الرجل قد تاب إلى الله عز وجل توبه عجيبة قبل الموت-) فلما حضرته الوفاة- قال لبنيه: يا أولادى إذا أنا مت فحرقونى، حتى إذا صرت فحما فاسحقونى، ثم اذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فلئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه لأحد من العالمين فلما مات فعلوا به ذلك: ([17])

وفى لفظ: " فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فلما مات فعلوا به ذلك فقال الله عز وجل- أمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر الله البر فجمع ما فيه- وقال الله للعبد هذا: كن فإذا هو رجل قائم بين يديه جل جلاله ثم قال الملك اسمع وهذه- هى التوبة، هذه هى التوبة، لم يقتل نفسه قنوطا ولا يأسا من الحياة بل قتل نفسه أو أمر بذلك خوفا من لقاء الله وهو يظن أنه بذلك لن يقف بين يديه- فقال الله له: عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت فقال العبد : "خشيتك يا رب" وفى لفظ : " مخافتك يا رب وأنت أعلم وأنت أعلم أنتى أخافك وأنتى أخشاك وأخافك فى ساعة سأقف فيها بين يديك فظننت أن ذلك لن يوقفنى بذنوبى بين يديك". قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : "فغفر الله له بذلك" إنه هو الرحيم الكريم.

وهذا شاب فى عصرنا هذا يخرج هو وشلته لاصطياد الفتيات ويخرج بهن إلى البر إلى الصحراء لارتكاب الزنا بعد شرب الخمر. وفى ليلة من الليالى أنهوا هذه الكبيرة فى وقت مبكر من الليل وعادوا إلى بيوتهم وعاد هذا الشاب ليقتضى ليلته مع فيلم جنسى داعر، حاول أهل هذا الشاب وقد من الله عليهم بالسعة والثراء والجاه حاولوا معه بشتى الطرق فلم يفلحوا، استضافوا أفضل أهل العلم لهدايته فلم يصلحه، فأصر أهله على الزواج فأبى أول الأمر ثم أذعن ليرضى والده فتزوج فرزقه الله بطفلة جميلة صغيرة فبلغت السادسة من عمرها، ومع ذلك فإنها لا ترى الوالد إلا قبل الفجر لا يدخل البيت إلا قبل الفجر تقريبا، فى كل ليلة حياة عريضة وفسوق وعاد ليلة فوضع شريطا جنسيا داعرا وجلس بعدما اطمئن أن طفلة تغط فى نوم عميق فى أحضان أمها ويشاء الله تبارك وتعالى أن تستيقظ البنت وأبوها يشاهد هذا الفيلم الداعر فسمعت صوتا خافتا ورأت نورا فى غرفة مكتب أبيها فتسللت ودخلت على أبيها الذى اطمأن أن ابنته نامت مع أمها فدخلت البنت الصغيرة بنت السادسة، فلما رأت هذه المشاهد التى تخلع القلوب الحية صرخت البنت وبكت ففرع فوقف مكانة لا يستطيع حركة وإذا بابنته تقول له كلاما غريبا تقول له: (يا بابا إذا كنت عاوز تروح النار روح لوحدك بس مدخلناش النار معاك).

فصرخ وصرخت البنت وضرب الجهاز والفيديو بقدمه وانطلق إلى ابنته واحتضنها وظل يصرخ ويصرخ فقامت الأم وعرفت ما الخبر وهو فى هذا الوقت سمع آذان الفجر: الله أكبر الله أكبر.. فدخل إلى الخلاء واغتسل ليرفع جنابة الزنا.

ولأول مرة يدخل بيت الله جل وعلا ويقدر الله سبحانه أن يقرأ الإمام في صلاة الفجرة قول الله عز وجل : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ } (53) سورة الزمر فبكى وعلا صوته بالبكاء وبعد الصلاة التقت المصلون من؟! فلان، فلان يصلى معنا ويبكي لم يقدر الله له الهداية إلا على يد ابنته الطاهرة الطيبة، فلان ما الذى جرى فقص عليهم ما الذى كان وظل جالسا فى المسجد يبكى حتى أشرقت الشمس فصلى الضحى.

فلما انطلق إلى عمله مبكراً تعجب زملاءه: ما شاء الله أتيت اليوم مبكراً! وهم يعلمون أنه لا يأتى فى هذا الوقت أبداً، فهم يعلمون سلوكه وسيرته السيئة وقص عليهم ما كان ورأوا على وجهه انكسار التوبة، بل قل إن شئت: جلال وأنوار وهيبة التوبة فقالوا: ما الخبر فقص عليهم ما حدث فقال له مديره: عد إلى بيتك فاسترح فسنأتيك الليلة لنتناول معك العشاء، لتقص علينا خبر توبتك.

فعاد إلى بيته قبل الظهر فوجد صراخاً وبكاء ورأى زحاما فدخل مسرعا ما الخبر؟ ما الذى جرى؟ فقالوا: ماتت ابنتك!! ماتت أبنتى! ذهب النور الذى أخرجنى من الظلمات إلى النور ذهبت هذه الطيبة الطاهرة التى جعل الله توبتى على يدها، ماتت فى اليوم التى أحتاج إليها فيه، ماتت قبل أن أبرهن لها عمليا أنى تبت إلى الله على يديها.

وصمم هذا الولد الشاب أن يغسلها بيده وأن يكفنها بيده وأن ينزل القبر بنفسه فأبوا عليه فقال: لا ، دعونى أودع النور الذى أخرجنى من الظلمات إلى النور، وعاد فتاب إلى العزيز الغفور وصحت توبته ولم يرجع إلى الزنا ولم يرجع إلى الخمر نسأل الله لنا وله الثبات.

فيا أيها الشاب، لا تقنط ولا تياس مهما بلغت ذنوبك، وهذا والله شاب من شبابنا هنا فى قرية من قرى مركز المنصورة كنت ألقى فى هذه القرية يوماً محاضرة بين المغرب والعشاء، عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وأعد الإخوة فراشا خارج المسجد وازدحم الناس وكان العدد كبيراً فى هذه المحاضرة الطيبة.

ولذا فأنا أكرر دائماً أن يحرص المسلمون على تكثير سواد المسلمين فى المحاضرات العلمية، فإن تكثير سواد المسلمين دعوة فى نفس الوقت ، خرج ثلاثة من الشباب يحملون فى جيوبهم أو أكياسهم وحقائبهم قطعاً كبيرة من الحشيش، لتقطيعها وبيعها فى المنصورة ليلاً يقسم بالله هذا الشاب الذى يقص على القصة وهو منهم يقول: والله يا شيخ- هذا على حد تعبيره- (رأينا الدقون ملية شوارع البلد وجاية من كل طريق واحنا قلنا إيه اللى خرج الدقون من ججورها هوة فى أية؟) ما الذى أخرج أصحاب اللهى من ججورهم ما الخبر؟ فقالوا: " ده فيه محاضرة هنا لواحد اسمه محمد حسان قالوا: بيبيع أيه؟ قالوا: دى محاضرة قال الله وقال الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم هكذا قالوا لى".

يقول: فقلت للشبابين معى: ما زال الوقت مبكراً، لنتمكن من تقطيع الحشيش لبيعه فهلا جلسنا مع هؤلاء فى الشارع حتى إذا دخل وقت العشاء انطلقنا إلى المنصورة، يقسم

لى بالله جلسنا معنا قطع كبيرة من الحشيش جلسنا فى الشارع، يقول: وكنت تتحدث عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقسم لى بالله إن قلبه قد ارتجف وارتعد وبكى وكأنه لم يبكى فى حياته من قبل قال: وتصورت أننى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غرفته وهو يغسل بعد الموت.

يقول: فلما أذن المؤذن لصلاة العشاء دخلت إلى دورة مياة المسجد فرفعت الجنبابة عن نفسى بخرطوم دورة المياة وخرجت للصلاة وألقيت كل ما معى من الحشيش فى دورة مياة المسجد وصليت وبكيت بكاء مريراً وشعرت بلذة التوبة وحلاوة الأوبة، وقلت للأخوين اللذين كانا معى: أنتما من الليلة فى طريق وأنا فى طريق، فرد على كل واحد منهما فقالوا: كنا سوياً على المعصية وها نحن الآن نبدأ فى التوبة لله عز وعل.

ووالله إنه الآن لطالب علم من طلابنا لا يفارق درس الأربعاء فى المسجد التوحيد، وقد زينت سنة النبى صلى الله عليه وسلم وجهه الأزهر الأنور. فلا تياس أخى الحبيب ولا تفنط مهما كان الذنب ومهما كانت المعصية عد إلى الله.

وأعلم بأنك لو قلت يا رب يا رب تب على والله سبيسر لك طريق التوبة: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (69) سورة العنكبوت وقال سبحانه: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } (2 ، 3) سورة الطلاق.

يا شباب من توكل عليه كفاه ومن اعتصم به نجاه ومن فوض إليه الأمر هداه. فتوبوا إلى الله، واعلموا أن للتوبة شروطاً. وهذا هو عنصرنا الرابع بإيجاز شديد:

أول شرط من شروط التوبة: الإخلاص لا تتب خوفا من السجن ولا خوفا من العقوبة ولا خوفا من ذم الناس لك إن وقعت فى فضيحة، إنما تب لله. {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} (5) سورة البينة {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (110) سورة الكهف

ثانياً: الإقلاع عن المعاصى والذنوب.

رابعاً: العمل الصالح والمداومة عليه.

خامساً: إن كان الذنب متعلقاً بحق عبد من العباد فتحلله: إن أخذت مالا رده وإن اغتبت أخا من إخوانك فليس بالضرورة أن تذهب إليه، لتقول له: لقد اغتبتك حتى لا توغر صدره إنما يكفيك فقط أن تتوب إلى الله وأن تذهب إلى المجلس الذى اغتبت فيه أخاك فنتنى عليه الخير، وتدعو الله عز وجل له وهذه توبة.

وأسأل الله أن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأقول قولى هذا، وأستغفر لى ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهدية واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين. .
أما بعد...

أيها الأحبة الكرام وأخيراً.

بقى أن نتعرف على عقبات خطيرة قد تعوق طريقنا إن أردنا التوبة إلى الله عز وجل وهذه العقبات.

أولاً: الشيطان بين التزين للعبد والتبئيس من رحمة الرب.

ثانياً: الأغترار بستر الله وحلمه وتوالتى نعمة على العبد.

ثالثاً: الركون إلى الدنيا والانشغال عن الآخرة.

رابعاً: النفس الأمارة بالسوء.

خامساً: صحبة الشر والسوء هذه عقبات ستعترض طريق التائب.

وأسال الله العلى القدير فى هذه اللحظات الكريمة الطيبة أن يتوب الله علينا، يا تواب اللهم ارحمنا يا رحيم.

(1) رواه مسلم فى الدعاء (42 / 2702).

(1) رواه البخارى فى الدعوات (6307).

(2) رواه مسلم فى التوبة (31 / 2759).

(1) رواه مسلم فى الإيمان (293 / 179)، وأحمد (4 / 401 – 405).

(2) رواه البخارى فى التهجد (1145)، ومسلم فى صلاة المسافرين (758).

(1) رواه البخارى فى التوحيد (7405)، ومسلم فى الذكر والدعاء (2675).

(2) رواه البخارى فى الرقاق (6502).

(1) رواه البخارى فى بدء الخلق (3209)، وفى التوحيد (7485)، ومسلم فى البر

والصلة الآداب (157 / 2637)، ومالك فى الشعر (2 / 726)، رقم (15).

(2) رواه البخارى فى الدعوات (6308، 6309)، ومسلم فى التوبة (2747).

(1) رواه أحمد (2 / 297)، والترمذى فى التفسير (3334)، وابن ماجة فى الزهد

(4244)، والحاكم (5 / 1).

(2) رواه مسلم فى الإيمان (231 / 144).

(1) رواه البخارى فى حديث الأنبياء (3470)، ومسلم فى التوبة (46 / 2766).

(1) رواه مسلم فى الحدود (22 / 1695)، وأحمد (5 / 347، 348).

(2) رواه أبو داود فى الحدود (4428).

(1) رواه مسلم فى الحدود (22 / 1695، 23)، وأبو داود فى الحدود (4442).

(1) رواه مسلم فى الحدود (24 / 1696) / وأبو داود فى الحدود (4440).

(2) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (3478)، وفى التوحيد (7506، 7508)،

ومسلم فى التوبة (2756، 757).

الكاسيات العاريات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وضميه من خلقه وخليقه، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد ... فحياكم الله جميعاً أيها الأخوة الفضلاء، وأيها الإخوة الأحباب الكرام الأعزاء. وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأت من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم الحليم الكريم جل وعلا الذي جمعنا في هذا البيت المبارك الطيب على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جنته ودار كرامته، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أحبتى فى الله ... مازلنا نواصل حديثنا بفضل الله ومدده وتوفيقه عن علامات الساعة الصغرى ضمن سلسلة الحديث عن الإيمان باليوم الآخر كركن من أركان الإيمان بالله عز وجل وعلا، أوصل هذه العلامات وأستهل العلامات الليلة بهذه العلامة ألا وهى ظهور الكاسيات العاريات كعلامة من العلامات الصغرى التى أخبر عنها الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ، وقد وقعت العلامة بمثل ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم وأرجو أن تركز معى فى هذا الحديث الذى ربما يسمعه كثير منكم لأول مرة، فإن النبى صلى الله عليه وسلم الصادق يصف الحال وصفاً فى غاية الدقة، وكأنما يعيش المصطفى صلى الله عليه وسلم معنا فى هذه الأيام ويصف أحوال نساتنا إلا من رحم ربك جل وعلا.

يقول النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره بسند صححه العلامة أحمد شاكر رحمه الله من حديث عبد الله بن عمرو- رضى الله عنهما: "سيكون فى آخر أمتى"- وأرجو أن تدقق فى لفظة "آخر" - سيكون فى آخر أمتى رجالا يركبون على سروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف العنوهن، فإنهن ملعونات لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم" ([1]) تدبر هذا اللفظ النبوى المعجز !!

سروج: جمع سرج، والسرج: هو رحل الدابة، الذى يوضع على ظهر الدابة. والرحال: جمع رحل، والرحل هو مركب يوضع على ظهر البعير ويقال لمنزل الإنسان وسكنه: رحل.

فالنبى يصف حال ما يركب عليه الناس أو يجلس فيه الآن كأشباه الرحال أى هذه الفرش الوثيرة الجميلة التى يجلس فيها المرء ويركب ويرحل من مكان إلى آخر، وهذا هو ما ينطبق على السيارات، يصف النبى صلى الله عليه وسلم هذه الصنة العجيبة بهذا الوصف النبوى المعجز أى كأشباه البيوت، وأنت الآن تركب السيارة وكأنها حجرة خاصة لك إن كانت سيارتك الخاصة، فهى لا تختلف كثيراً عن حجرة خاصة لك تجلس فيها أنت وأهلك وربما تتناول أنت وأهلك الطعام بل الشراب

بأنواعه وأنت في طريق أو آخر، بل نحن نرى في كثير من السيارات التي أعدت إعداداً نرى في السيارة- أعزك الله- حماماً أو مكاناً لقضاء الحاجة، وتجد فيها مكاناً لثلاجة صغيرة تشرب منها الماء البارد بل وأحياناً ترى الماء الساخن الذي تحتاج إليه لأي نوع من أنواع الشراب هذا ما نراه في السيارات الكبيرة الخاصة وفي "الباصات" الكبيرة المكيفة التي تسافر المسافات الطويلة بين الدول، ومن سافر منكم للعمرة عن طريق هذه "الباصات" يعلم هذا الوصف النبوي المعجز، بل وهناك من السيارات الخاصة الآن تصنع فيها الكراسي بحيث تستدير بطريقة أو بأخرى بحيث تتحول هذه الكراسي إلى شبه "أنترية" داخل غرفة صالون أو غرفة "أنترية" في البيت فالوصف لا يحتاج إلى مزيد بيان، لكن تدبر قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سيكون في آخر أمتي رجال يركبون سروجاً كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف" فرسول الله يخبرنا أنه من بين هؤلاء الرجال الذين ينزلون على أبواب المساجد بسروجهم أو برحالهم من بينهم رجال لهم نساء في البيوت مع أنهم يحضرون إلى بيت الله جل وعلا لكن نساؤهم يخرجن نساء كاسيات عاريات!!!! صلى الله على من لا ينطق عن الهوى.

أسأل الله ألا يكون أحدنا منهم بمنه وكرمه، وأنا إن شاء الله تعالى أنزه هذا الجمع الكريم الطيب عن أن يكون احد حضورنا الكرام في دروس العقيدة من ترك أمراته تخرج بعد ذلك إلى العمل أو إلى الشارع وهي كاسية عارية، أسأل الله أن يطهرنا جميعاً

من هذا الوصف.

اللهم أستر نساءنا وبناتنا. اللهم حبب إليهن الحجاب وزينه في قلوبهن برحمتك يا أرحم الراحمين "نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف" وفي لفظ سيأتي الآن إن شاء الله تعالى: رؤوسهم كأسنمة البخت المائلة". البخت نوع من أنواع الجمال الخرسانية التي كانت تعد من أغنى ما يمتلكه العربي من الجمال العربية، وتمتاز بطول الأعناق يعرف هذا البعير بالقوة والجودة وغلو ثمنه، فإذا مال السنام دل ذلك على ضعف هذا البعير وعلى عدم رغبة صاحبه فيه غبة كبيرة يصبح بعيراً مهماً لا يقوى على الخدمة ولا يقوى على العمل، فالنبي يشبه رؤوس النساء الكاسيات العاريات معينة فترفع المرأة شعرها على رأسها كما رفع السنام على ظهر البعير سبحانه الله، وهذا ما يسمى الآن بقصة الأسد عند النساء، وهناك قصص مختلفة تخرج من آن لآخر بحسب أحدث الموضات والموديلات، وأصبحنا نرى الآن ولتصنيف شعرها محلات خاصة بذلك تسمى بمحلات "الكوافير". تذهب المسلمة لهذا المحل لتجلس طائفة مختارة غير كارهة ولا مضطرة بين يدي رجل أجنبي ليصف لها هذا الأجنبي شعرها أو ربما ليصل لها شعراً آخر يخالف شعرها الحقيقي، فالنبي يصف أحوال النساء في عصرنا الآن وصفاً دقيقاً كأنما يعيش المصطفى صلى الله عليه وسلم بيننا ويصف حالة رأها بعينه "على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف".

يقول: "العنوهن فإنهن ملعونات" وأرجو أن أقف عند هذه اللفظة لأبين قاعدة أصولية في غابة الدقة ألا وهي الحكم على الإطلاق، والحكم على التعيين فلا ينبغي أن تأتي لامرأة متبرجة بعينها وتقول: أنت ملعونة . لا . لا يجوز ذلك، بل يجب أن تقيم عليها الحجة الخاصة وأن تبين لها الحق بالحكمة والرحمة والأدب والتواضع، فشتان شتان بين أن تقول: لعن الله الكاسيات العاريات هذا حكم على الإطلاق، وبين أن تقول: فلانه الكاسية العارية ملعونة فرق كبير بين الحكم على الإطلاق والحكم على التعيين، فالحكم على معين من الناس سواء كان رجلاً أو امرأة لا بد فيه من تحقيق شروط وانتقاء موانع هذا درس مهم أو لطيفة لا ينبغي أبداً أن نتجاهلها، فإنني أسمع كثيراً من إخواننا وطلابنا يقول: فلان شهيد . لا ينبغي أن تحكم له بالشهادة وإنما قل: أرجو الله أن يكون شهيداً أو أن يكتبه عنده في الشهداء.. وفلان في جهنم لا تتألى على الله ما أدراك أنه في جهنم، فإن بين الله وبين عبادة من الأمور والأحوال ما لا يعلمها إلا الكبير المتعال من المصائب المكفرة ومن الرحمة التي لا يعلمها إلا هو إلى آخره.. وفلان في الجنة ما يدريك فلا ينبغي أبداً أن نحكم لأحد بالشهادة، أو أن نحكم لأحد بجنة، أو أن نحكم لأحد بنار أو أن نلعن أحداً من الناس بعينه دون أن نقيم الحجة عليه بالضوابط المعلومة التي فصلتها قبل ذلك في الفصل الأول وأنا أشرح كتاب حقيقة التوحيد. فالنبي يقول: " نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات .. لو كانت وراءهم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم" ([2]) أى لبعدهم عن الله وعن منهج الله وهذه ثمرة حتمية مرة للبعد عن منهج الله جل وعلا وهي ثمرة الذل والهوان، وأنا أعلم يقيناً أن الأمة الآن تعيش هذه المرحلة تجنى ثمرة البعد عن الله تعالى وهي ثمرة مرة، فلقد أذل الله الأمة لمن كتب عليهم الذل والذلة من إخوان القردة والخنازير من أبناء اليهود ولا حول ولا قوة إلا بالله. فالنبي يقول: " لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم" هذه علامة من العلامات التي ظهرت الآن. وفي رواية للحاكم " سيكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على الميائثر" ([3]) والميائثر جميع ميثرة بكسر الميم وهي الثوب الذي تجاله الثياب، وتطلق الميائثر على مراكب الأعاجم التي تعمل من حرير أو ديباج، والمراد بها هنا السروج العظام وهي تطلق الآن كما ذكرت على السيارات الأنيفة، وللأمانة العلمية التي عاهدنا الله عليها فإن في رواية الحاكم التي ذكرت عبد الله القتباني وقد ضعفه أبو داود والنسائي رحمهما الله تعالى وقال فيه أبو حاتم: هو قريب من ابن لهيعة ومعلوم أن ابن لهيعة ضعيف، إلا أن الحديث يقوى بالحديث الذي ذكرت أو بالطريق الذي ذكرت من مسند أحمد رحمه الله تعالى، واللفظ المشهور الذي رواه مسلم، من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها، ليوجد من مسيرة كذا وكذا" ([4]) ، صنفان من أهل النار.. هذه شهادة من الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فالنبي هو الذي يحكم الآن بالنار على امرأة كاسية عارية .. وقد فصلت القول في الصنف الأول رجال معهم سياط كأذناب البقر.

وأفصل في الشق الثاني "نساء كاسيات عاريات" ما معنى قوله (كاسيات عاريات) في ذلك أقوال لأهل العلم:

الأول: كاسيات عاريات أى تلبس المرأة ثياباً شفافة خفيفة تشف هذه الثياب ما تحتها فتظهر المرأة وكأنها عارية، وأظن أن هذا الوصف النبوي تراه الآن منتشرًا عند عدد كثير من النساء ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل - والله - قد ترى الثوب الداخلى الملتصق بالجسد سواء فى الجزء العلوى عند الصدر أو فى الجزء السفلى الذى يستر عورة المرأة قد تراه ظاهراً بارزاً من جراء هذه الثياب الشفافة التى تظهر المرأة وكأنها عارية، بل أنا أقول قد تظهر المرأة بهذه الثياب وهى أشد فتنة من العارية تماماً، لأن الممنوع مرغوب ولأن المرء دائماً بفطرته مجبول على أن يعرف ما وراء الحجب والجدران، فتلبس المرأة ثياباً شفافة فتظهر هذه الثياب المرأة وكأنها عارية هذا تفسير..

التفسير الآخر: أن المرأة تلبس ثياباً ضيقة فتظهر تلك الثياب مفاتن المرأة تماماً وكأنها عارية تظهر كل مفاتن المرأة وساء من الأمام أو من الخلف. أسأل الله أن يستر نساءنا وبناتنا إنه على كل شىء قدير فتظهر المرأة مع أنها تلبس الثياب لكنها تظهر وكأنها عارية، إما للثياب الشفافة التى تظهر ما تحتها وإما للثوب الضيق الذى أظهر كل مفاتن المرأة بصورة تجعل المرأة أشد فتنة من المرأة العارية. النبى صلى الله عليه وسلم يحكم على هؤلاء بأنهن من أهل النار فهل تقوى المرأة المسلمة التى ظهرت كاسية عارية هل تقوى على النار.

أختاه أيتها الأخت المسلمة هل تقدرين وتصبرين على حر النار؟ يا من خرجت بالثياب الشفافة، ويا من خرجت بالثياب الضيقة هل تصبرين على حر النار؟ هل تعلمين أن الطعام فى النار نار؟ هل تعلمين أن الشراب فى النار نار؟ هل تعلمين أن الثياب فى النار نار؟ طعام أهل النار نار وشراب أهل النار نار وثياب أهل النار نار قتا تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ } (1 ، 6) سورة العاشية هل تعلمين ما الضريع أيتها الأخت { خَذْوَةٌ فَعْلُوهُ * ثُمَّ الْجَجِيمُ صَلْوُهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ } (30 ، 36) سورة الحاقة هل تعلمين ما الغسلين؟ وهل تعلمين ما الضريع؟ الضريع نوع من أنواع الشوط ينبت فى أرض الجزيرة، والغسلين عصارة أهل النار من قيح وصدید هذا طعام أهل النار وقال تعالى: { أَدْنٰكَ خَيْرٌ نُّرًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَبِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كُوفُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ }

(62 ، 66) سورة الصافات فهل تقدرين على الزقوم والغسلين والضريع، ثم إذا أكل أهل النار هذه النار وتأججت النار فى بطونهم استغاثوا بالعزير الغفار يريدون الماء فيغاث أهل النار بماء كالزيت الذى يغلى من شدة الغليان: { وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ } (15) سورة محمد وقا تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ } (29) سورة الكهف أى كالزيت المغلى { يَشْوِي

الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} (29) سورة الكهف {وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * {يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} (15 ، 17) سورة إبراهيم حتى الثياب، الثياب التي تتفنن المرأة المتبرجة الكاسية العارية الآن في إظهارها ولبسها لتفتن قلوب الشباب والرجال ستبدل هذه الثياب بثياب من النار إن لم تنتب إلى العزيز الغفار. قال ربنا جل وعلا: {هَذَا نَحْنُ نَحْتَصِمُ فِي رَبِّهِمْ فَأَلْذِينَ كَفَرُوا فَطَعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّن حديدٍ} (20 ، 23) سورة الحج فالطعام في النار نار والشراب في النار نار والثياب في النار نار فهل تصبرين أختي المسلمة على حر النار؟ ..

الله الله في الحجاب الشرعي الله الله في الستر والعفاف والله لا تقدر المرأة على حرارة حر الشمس في يوم شديد الحرارة ولا تقدر على أن تمس يدها نار "البوتوجاز". اعلمي أيتها الأخت أيتها الأخت الفاضلة المسلمة أن هذه النيران التي لا تصبرين على حرها في الدنيا إنما هي جزء من سبعين جزءاً من جهنم قالوا: يا رسول الله، والله إن كانت لكافية . فقال: " ولكن نار الآخرة فضلت – أي زادت- على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها".

فيا أيتها الأخت أنادي عليك وأنا والله الذي لا إله غيره أحب لك الخير الذي أحبه لأبنتي، وأحب لك الستر الذي أحبه لزوجتي، وأحب لك العفاف الذي أحبه لأمي وعمتي وخالتي، فأنت درة مصونة وأنت جوهرة ثمينة وأنت لؤلؤة مكنونة، ومحال لأى عاقل أن يلقي بدرته وجوهرته لكل عين خائنة، ولكل يد آثمة لتصل إليها بالباطل والإثم والعدوان، فلا تقولي أبداً: اقتعني بالحجاب وإنما إن أردت السؤال فأنا أصح لك السؤال وهو: اقتعني بالإسلام!! فإن كنت مسلمة فالذي أمرك بالحجاب هو الله فما عليك إلا أن تقولي: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

أسأل الله أن يستر نساءنا وبناتنا وأن يشرح صدورهن للإسلام، إنه على كل شئ قدير .. يقول : " صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات" تتمايل المرأة في مشيتها وتتبختر يمنة ويسرة فتجذب إليها قلوب الشباب بل والرجال فلا حول ولا قوة إلا بالله، فإن أعظم فتنة تركها النبي صلى الله عليه وسلم في الأمة هي فتنة النساء الكاسيات العاريات كما قال في الصحيحين من حديث أسامة: " ما تركت فتنة بعدى أضر على الرجال من النساء .. رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" ([5]) وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أشرط الساعة أن تظهر ثياب تلبسها نساء كاسيات عاريات" أنظر إلى لفظ: " أن تظهر ثياب" فالمراد بالوصف هذه الثياب، (أن تظهر ثياب)، تلبس هذه الثياب نساء كاسيات عاريات، وأنا أعلم يقيناً أنه لا يخالف مسلم الآن أن الثياب التي نراها الآن من قصات مختلفة عارية مفتحة من كل الجوانب لم تكن البتة على عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

فهذه الأحاديث إختوتى الكرام من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم فى عصرنا بصورة دقيقة بمثل ما قال.

أما سؤال الأخت الفاضلة عن النقاب فالنقاب نوع من أنواع الحجاب صورة من صور الحجاب فى قوله تعالى: { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } (53) سورة الأحزاب والنقاب صورة من صور الحجاب، والنقاب لغة هو غطاء الوجه الذى ينقب بمحاذاة العينين لتترى المرأة من هذين النقبين الطريق، ولذا سُمى بالنقاب وهو غطاء الوجه، ولا ينبغى أبداً أن يهزأ به، وإنما ينبغى أن نعلم أن النقاب أو غطاء الوجه قال بوجوده لفيء من أهل العلم والفضل، والأدلة على وجوب تغطية الوجه كثيرة، وأنا أدين لله بهذا.

لقد نقل الإمام الشوكانى اتفاق المسلمين على وجوب أن تغطى المرأة المسلمة وجهها فى زمن يكثر فيه الفساق، فما رأيكم فى زماننا يكثر فيه الأولياء؟! وأنا أعتقد الآن أننا نعيش زمانا تخشى فيه الفتنة على الرجال وعلى الشباب وعلى النساء فأنا أدين لله بهذا، وإليكم الأدلة:

الدليل الأول: قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (59) سورة الأحزاب يقول الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمة الله - : أمر الله- سبحانه وتعالى- جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك حتى يعرفن بالعفة.

قال الشيخ أبو الأعلى المودودى رحمة الله تعالى فى كتاب الحجاب: نزلت الآية خاصة فى ستر الوجه ثم يقول: فمعنى الآية أن يرخين جانباً من خمرهن أو ثيابهن على أنفسهن، وهذا هو المفهوم من ضرب الخمار على الوجه، والمقصود به ستر الوجه وإخفاؤه سواء كان ذلك بضرب الخمار أو بلبس النقاب أو بطريقة أخرى تختلف عن ذلك.

يقول الإمام الطبرى شيخ المفسرين- رحمة الله تعالى- فى آية الإدناء فى سورة الأحزاب يقول عن ابن عباس: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلايب وأن يبيدين عينا واحدة: يقول: وهذا الإسناد صح عن ابن سيرين سألت عبيدة السلمانى التابعى الفقيه العلم الذى آمن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ونزل بالمدينة فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولم يزل بالمدينة حتى مات وهو يصف حال نساء.

يقول ابن سيرين: سألت عبيدة السلمانى- رحمة الله تعالى- عن قوله- { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ } الآية فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه، وبين بصورة عملية معنى الآية كما كان يفعل نساء الصحابة رضوان الله عليهن .. وقال الإمام الرازى: فى هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنيبين وقال بوجود تغطية الوجه، ولا أتوقف عند الأقوال وإنما أذكر بالمصادر لمن أراد أن يرجع إليها، قال بوجود تغطية الوجه للمرأة المسلمة الإمام القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن الكريم، وقال بوجود تغطية

الوجه الإمام البغوى فى معالم التنزيل فى تفسير سورة الأحزاب، وقال بوجوب
تغطية الوجه الإمام الزمخشري فى الكشاف، وقال بوجوب تغطية الوجه الإمام ابن
العربى المالكي فى تفسير سورة الأحزاب فى تفسير أحكام القرآن، وقال بوجوب
تغطية الوجه الإمام ابن الجوزى فى زاد المسير فى علم التفسير، وقال بوجوب
تغطية الوجه الإمام البيضاوى فى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وقال بوجوب
تغطية الوجه الإمام النسفى فى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، وقال بوجوب تغطية
الوجه الإمام ابن على بن حيان الأندلسى فى البحر المحيط فى تفسير سورة
الأحزاب، وقال بوجوب تغطية الوجه الإمام الخطيب الشربيني فى السراج المنير فى
تفسير سورة الأحزاب، وقال بوجوب تغطية الوجه شيخ الإسلام ابن تيمية فى تفسير
سورة النور، وقال بوجوب تغطية الوجه الإمام أبى القيم فى مرجعة القيم إعلام
الموقعين، وقال بوجوب تغطية الوجه الإمام ابن حزم فى المحلى فى الجزء الثالث
بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، وقال بوجوب تغطية الوجه شيخنا الفاضل محمد بن صالح
العثيمين يقول: وقد دلت الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله والنظر الصحيح والاعتبار
والميزان على أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عن الرجال الأجانب الذين ليسوا
من محارمها، ولا شك عاقل أنه إذا كان على المرأة أن تستر رأسها وتستر رجليها
وأن تضرب الأرض برجليها حتى يعلم ما يخفى من زينتها وأن هذا واجب، فإن
وجوب ستر الوجه أوجب وأعظم وذلك أن الفتنة الحاصلة بكشف الوجه أعظم بكثير
من الفتنة الحاصلة بظهور شعره من شعر رأسها أو بظهور من أظافر رجليها، وإذا
تأمل العاقل المؤمن من هذه الشريعة وحكمها وأسرارها تبين أنه لا يمكن أن تلزم
الشريعة المرأة بستر الرأس والعنق والذراع والساق ثم تبيح الشريعة للمرأة أن
تخرج كفيها وأن تخرج وجهها الذى ملاً جمالاً وتحسيناً.. وبوجوب تغطية الوجه قال
الإمام الشوكانى فى فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير. قال
العلامة الألوسى فى تفسير القرآن العظيم فى السبع المثانى فى سورة الأحزاب، وفى
وجوب تغطية الوجه قال العلامة الشام محمد جمال الدين القاسمى فى محاسن
التأويل، وفى وجوب تغطية الوجه قال علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر
السعدى فى تفسير القرآن الكريم فى تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان،
وفى وجوب تغطية الوجه قال الدكتور محمد محمود حجازى فى التفسير الواضح فى
سورة الأحزاب، وفى وجوب تغطية الوجه قال الشيخ أبو بكر الجزائرى حفظة الله
فى أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير بوجوب تغطية الوجه قال الشيخ صالح عبد
الوهاب البليهى فى كتابه الطيب يا فتاة افسلام أقرأى حتى لا تخدعى، بوجوب تغطية
الوجه، قال الشيخ عبد العزيز بن خلف، بوجوب تغطية الوجه قال كثير من أهل
الفضل والعلم ويكفى هذا الكم الكبير الهائل من الذين ذكرت أسماءهم وذكرت
مراجعتهم.

الآن الدليل الثانى: بإيجاز يقول الله تعالى: " { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } (53) سورة الأحزاب وهذه الآية وقد
نزل فى شهر ذى القعدة فى السنة الخامسة من الهجرة، وهى نص واضح فى وجوب
تحجب الرجال عن النساء فى هذه الآية الكريمة كما يقول العلامة الشنقيطى رحمه

الله تعالى وفي هذه الآيات الكريمة دليل على وجوب الحجاب، ولكن وجوب الحجاب حكم على الناس وليس خاصاً بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان أصل اللفظ خاصاً بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم : لأن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه ومسلك العلة. الذي دل عليه: ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ هو علة قوله تعالى: فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَهُوَ الْمَسْلُوكُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مَسْلُوكُ الْإِيمَاءِ وَالتَّنْبِيَةِ، وكذلك قال بوجود تغطية الوجه في الآية هذه الشيخ حسنين مخلوف مفتي مصر السابق، ويقول الأستاذ/ محمد أديب كلكل في "فقه النظر في الإسلام": إن هذه الآية خاصة بأمهات المؤمنين وقد نزلت في حقهن ، وإن قال قائل بأن هذه الآية خاصة بأمهات المؤمنين وقد نزلت في حقهن.

قلت: وإن كانت خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم من جهة السبب فإنها عامة من جهة الأحكام، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ثم يقول : فإن الادعاء أن هذه خاصة بأمهات المؤمنين وقد نزلت في حقهن لا ينهض حجة لأن الاستثناء في الآية {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ} (55) سورة الأحزاب إلى آخر الآية عامة وهو فرع عن الأصل وهو الأمر بالحجاب فدعوى تخصيص الأصل يستلزم تخصيص الفرع وهو غير مسلم في الآية، ويقول الشيخ سعيد الجابى فى كتاب كشف النقاب: وغذا كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم هن المطهرات من السفاح المحرمات علينا بالنكاح، الموصوفات بأنهن أمهات المؤمنين قد أمرن بالحجاب طهارة لقلوبهن وقلوب أبنائهم المحرم عليهم نكاحهن، فما نقول فى غيرهن المحلات لنا بالنكاح المتطلع لهن أهل السفاح هل يجوز لهن أن يكن سافرات غير منتقبات وبارزات غير محجبات. ويقول الأستاذ محمد أديب كلكل حفظه الله فى قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} (32) سورة الأحزاب إلى آخر الآيات الجميلة يقول: إنها وصايا ربانية وآيات إلهية فأى منها لا يتصل بعامة النساء المسلمات؟ وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يتقين الله؟ وهل أبيع لهن أن يتبرجن تبرج الجاهلية؟ ثم هل ينبغي لهن أن يتركن الصلاة ويمنعن الزكاة ويعدن عن طاعة الله ورسوله؟ هل يريد الله أن يتركهن فى الرجس؟ فإذا كانت هذه الأوامر والإرشادات عامة بجميع المسلمات فما المبرر فى التخصيص؟

نعم ما هى الدلائل والتكليفات على أن هذه الأوامر خاصة بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ؟ يقول الشيخ عبد العزيز بن خلف- رحمة الله:- لم يرد فى آية النور وآية الأحزاب بما قضت به من أحكام عامة للمسلمات من أمة محمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة وإن من الزعم الباطل بأن آية الحجاب خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر ما ذكر، وهناك أيضاً آيات فى سورة النور التى هى آية سورة النور الآية 31 {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ} ولكننى أود أن أقف على الأثر المنسوب لابن عباس هذا الأثر فى قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: الكحل الثياب. قال ابن عباس رضى الله عنه: الزينة زينتان: زينة ظاهرة وزينة غير ظاهرة ، وجوز لها إبداء الزينة غير الظاهرة للزوج وغير نوى المحارم وأما الباطنة فلا تبديها إلا للزوج وذوى المحارم، يستدل بأثر ابن

عباس بأنه أقل: الزينة الظاهرة وهى الكحل والثياب يعنى لا مانع أن تظهر المرأة الكحل لغير المحارم، لغير الزوج، وهذا من أبطل الباطل الأثر المروى عن ابن عباس رواه الإمام الطبرى رحمه الله تعالى فى التفسير ، ورواه البيهقى فى السنن الكبرى والإسنادان لا يصحان بحال.

الإسناد الأول: قال ابن جرير الطبرى: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا مروان قال: حدثنا مسلم الملائى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (ولا يبيدين زينتهن) قال: قال: الوجه والكفين. أقول : إسناده ضعيف جداً بل منكر، قال الإمام الذهبى فى ترجمة مسلم المولائى الكوفى متروك الحديث، وقال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال البخارى: يتكلمون فيه، وقال يحيى أيضاً: زعموا أنه اختلط، وقال النسائى: متروك الحديث. وهذا إسناد ساقط لا يصلح أبداً للمتابعات ولا للشواهد، كما لا يخفى على أحد من طلاب علم الحديث.

الإسناد الثانى: الذى رواه البيهقى فى السنن الكبرى قال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد بن أبى عمر قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا حفص بن غياث، عن عبد الله بن مسلم بن هرمو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (ولا يبيدين زينتهن) قال: الكف والوجه، قال : هذا الإسناد مظلم ضعيف جداً لضعف أحمد بن عبد الجبار العطاردى قال الذهبى: ضعفه غير واحد، وقال أبو حاتم: ليس بالقوى، وقال ابن عبد الرحمن: كتبت عنه وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه، وقال الحافظ فى التقریب: ضعيف.

والراوى الثانى فى هذا السند هو عبد الله بن مسلم بن هرمز قال الإمام الذهبى: ضعفه ابن معين، وقال أبو حاتم: ليس بالقوى وضعفه النسائى، وقا الحافظ فى تقریب التهذيب: ضعيف.

إذا يا أخوة الإسنادان كما رأينا لا يثبتان أبداً بحال عن ابن عباس رضى الله عنه، ويؤكد صحة ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس رضى الله عنه قال فيما رواه عنه على بن أبى طلحة ثال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب هذا كلام ابن عباس رضى الله عنه، هناك أيضاً أدلة كثيرة فى السنة أكتفى بدليل واحد فقط ألا وهو حديث النبى صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح البخارى وموطأ الإمام مالك وغيرهما من حديث النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمر: " لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين" [6]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين فى النساء اللاتى لا يحرمن، ولذلك يقتضى ستر وجوههن وأيديهن. قد يؤخذ بكلام الشيخ ناصر حفظة الله فى المسألة بجواز كشف الوجه، وأود أن أذكر بكلام الشيخ ناصر الدين الألبانى فى هذه المسألة فقد قرر الشيخ- رحمة الله- أن ستر الوجه والكفين له أصل فى السنة وأنه كان معهوداً فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وساق الأدلة على ذلك، ثم قال: إن فى ذلك الحديث دلالة ظاهرة على أن حجاب الوجه كان معروفاً فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأن نساءه كن يفعلن ذلك، والاستدلال

بحديث أسماء لا يصح بحال فقد بينا قبل ذلك ضعف حديث أسماء من وجهين بل من ثلاثة وجوه والله تعالى أعلم.

فأنا أقول: لا ينبغي على الإطلاق أن نسفه النقاب ولا ينبغي على الإطلاق أن نحتقر المنتقبات، وإنما أقول للأخت المنتقبة: أرفعي رأسك عالية واعلمي أنك على الحق إن شاء الله تعالى، وأعجب أشد العجب لامرأة سافرة عارية متبرجة تفتح لها الأبواب وتهتف لها الجماهير وتذل لها الصعاب وتغلق الأبواب في وجه المنتقبة العفيفة الطاهرة البريئة الشريفة، وفي الوقت ذاته من باب الأمانة العلمية لا ننكر على من يقول من أهل العلم جواز كشف الوجه بشروط الحجاب الشرعية المعروفة للمرأة المسلمة بشرط أن يكون الثوب طويلاً فضفاضاً، ألا يكون الثوب مبخراً أو معطراً، ألا يكون الثوب ثوب شهرة إلى آخر هذه الشروط المعلومة في لباس المرأة المسلمة.

فهل من توبة أيتها الفتاة؟ هيا توبى إلى الله عز وجل واقلعى عن هذا الذنب وتضرعى إلى الله تبارك وتعالى أن يغفر ما قد سلف. واعلمى يقيناً بأن الله تعالى يفرح بالتائب إليه وهو الغنى عن العالمين، فهو سبحانه وتعالى الذى يفتح باب التوبة لعبادة ويقول سبحانه: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (53) سورة الزمر وينادى سبحانه وتعالى على أهل الإيمان بالتوبة وتجديدها فإن الإنسان لا ينفك عن معصية صغيرة أو كبيرة، ومن ثم فالله جل وعلا يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُم لَنَا نُورٌ نَّوْرًا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (8) سورة التحريم ويقول سبحانه: { وَثُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (31) سورة النور وما من يوم يمر علينا إلا ورب العزة يتنزل إلى السماء الدنيا تنزلاً يليق بكماله وجاله ويقول: أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له، من ذا الذى يسألنى فأعطيه، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر .. وقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: " ما من يوم إلا ورب العزة يبسط يده بالليل ليتوب مسئى النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئى الليل" ([7]) وفى الصحيحين أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله تعالى فى الحديث القدسى:

أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه إذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خيراً منه، وإن تقرب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتانى يمشى أتيته هرولاً" ([8]) وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم وأختم هذا اللقاء بهذا الحديث الجليل الكريم الذى رواه البخارى من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فى السبى تبحث عن ولدها، فلما وجدته ألصقتها ببطنها وأرضعته، فأثر هذا المشهد الرقراق الحانى فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم الكريم فقال: " هل ترون أن هذه الأم طارحة ولدها فى النار؟ قالوا لا يا رسول الله، فقال النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: " لله أرحم بعباده من رحمة الأم بولدها" ([9])

فهيا أيتها الفتيات إلى التوبة إلى رب الأرض والسماء، وأسفاه إن دعيت اليوم إلى التوبة وما أجبته!! واحسرتاه إن ذكرت بالله الليلة وما أنبت!! ماذا ستقولين لربك غداً؟ تذكر أيها الشاب وتذكرى أيتها الفتاة تذكروا أيها المسلمون:

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيط ومن حنق على العصاة ورب العرش غضباناً
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى وامضوا بعبد عصا للنار عطشاناً
المشركون غدا في النار يلهبوا والموحدون لدار الخلد سكانا
عد إلى الله وتذكر ميت لا تغتر بشبابك ولا تغتر بصحتك ولا تغتر بقوتك، فالموت لا يترك صغيراً ولا كبيراً ولا شيخاً ولا شاباً ولا امرأة، وأنت أيتها الفتاة لا تغترى بشبابك ولا بجمالك ولا بصحتك ولا بخديعتك لأسرتك ولا للمجتمع فستقفين يوماً بين يدي الله جل وعلا الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

أيها العاصى

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
لم ينسها الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
الليل فأعلم والنهار كلهما أنفاسنا فيهما تعد وتحسب

وصدق ربي إذ يقول: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِي * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ *
وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * أَيَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكْ نُطْفَعَهُ مِنْ مَّنِيِّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فِخْلَقَ فَسْوَى *
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ} (26) ،

(40) سورة القيامة

أسأل الله جل وعلا أن يردنا إلى الحق رداً جميلاً. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا
قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً اللهم استر نساءنا وبناتنا، واحفظ شبابنا ورددنا إلى
الحق رداً جميلاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

أحبتى فى الله هذه صرخة صريحة من أخ يحبكم فى الله. أسأل الله جل وعلا أن يجعلها
خالصة لوجهة وأن ينفع بها المسلمين والمسلمات إنه ولى ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمنى ومن
الشیطان . وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون عليه إلى الجنة ويلقى به فى جهنم. ثم
أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم أجمعين.

(*) محاضرة ألقىت ضمن دروس العقيدة بمسجد التوحيد بالمنصورة.

(1) رواه أحمد (223/2).

(1) سبق تخريجه.

(1) رواه الحاكم (436/4) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي عبد الله بن عباس وإن كان قد احتج به مسلم فقد ضعفه أبو داود ولنسائي وقال أبو حاتم: هو قريب من ابن لهيعة.

(2) رواه مسلم في اللباس والزينة (125 / 2128) .

(1) رواه البخاري في النكاح (5096)، ومسلم في الرقاق (2740 ، 2741).

(1) رواه البخاري في جزاء الصيد (1838)، ومالك في الموطأ في كتاب الحج (268/1) رقم (15)، وأحمد (119/2)، وأبو داود في المناسك (1825 ، 1826).

(1) رواه مسلم في التوبة (2759)، وأحمد (395/4 ، 404).

(2) رواه البخاري في التوحيد (7405) ، ومسلم في الذكر والدعاء (2675) ، (2686).

(3) رواه البخاري في الأدب (5999)، ومسلم في التوبة (202 / 2754).

هل ولد المهدي ؟

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) آل عمران/102

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء/1

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب/71/70 .

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى نبينا محمد (ص) وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
ثم أما بعد ..

فحياكم الله أيها الأخوة الأخيار وأيتها الأخوات الفضلاء ، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعاً من الجنة منزلاً ، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا في هذا البيت المبارك علي طاعته ، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار مقامه ، إنه ولي ذلك ومولاه ..

أحبتي في الله هل ولد المهدي ؟ الجواب على هذا السؤال هو موضوع لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك .

وكعادتي حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا فسوف ينتظم جوابي على هذا السؤال في العناصر التالية :

أولاً : امرأة ترضع القمر .

ثانياً : من هو المهدي .

ثالثاً : الرد على المخالفين .

رابعاً : الحقيقة بين العلم والعمل والأمل .
فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ، وأن يقر أعيننا جميعاً بنصرة الإسلام وتمكين المسلمين ، إنه ولي
ذلك والقادر عليه.

أولاً : امرأة ترضع القمر :
إشاعة مدوية انتشرت في الأيام القليلة الماضية انتشار النار في الهشيم ، أن امرأة
مسلمة رأت في الرؤية أنها ترضع القمر ، واتصلت على رجل من المعبرين للرؤى
فقال لها وطلب منها أن تقسم بالله العظيم ثلاثاً أنها رأت أنها ترضع القمر ، فأقسمت
المرأة على ذلك ثلاثاً ، فقال هذا المعبر أو المأول : إذن لقد ولد المهدي عليه السلام .
وانتشرت الإشاعة في مصر بل في العالم العربي والإسلامي انتشار النار في الهشيم
في أيام معدودة ، فلما سئل المأول والمعبر أقسم هو الآخر بالله العظيم ثلاثاً أنه لم
تسأله امرأة من الأصل عن هذه المسألة ، وبينت المسئولة عن البرنامج المعروف أنه
لم تتصل مسلمة أصلاً ، ولم تقص هذه الرؤية لا على البرنامج ولا على مأول الرؤى
وهذه إشاعة لا أصل لها وأكذوبة باطلة .

وهب أن مسلمة رأت بالفعل أنها ترضع القمر فهل يستطيع عاقل فضلاً عن عالم
بكتاب الله وسنة رسول الله أن يجزم ويقطع بأن المهدي عليه السلام قد ولد ؟ لا إذ لا
يعلم وقت ميلاد المهدي ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فهذا أمر كوني قدري غيبي لا
يعلمه إلا الرب العلي سبحانه وتعالى ، ولا أريد أن أطيل النفس في هذه الجزئية .
فمن هو المهدي ؟ :

هذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز ، المهدي عليه السلام رجل من المسلمين من نسل
فاطمة بنت سيدنا رسول الله من نسل الحسن بن علي ابن فاطمة اسمه على اسم
رسول الله ، واسم أبيه على اسم أبي رسول الله ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما
ملئت الأرض جوراً وظلماً ، ينصر الله به الدين وينصر الله على يديه المسلمين ،
ينزل الله عز وجل في عهده البركة فلا تحبس السماء شيئاً من قطرها ، ولا تمنع
الأرض
شيئاً من ثمرها.

قال في حقه الحافظ ابن كثير : في زمن المهدي تكون الثمار كثيرة والزرع غزيرة ،
والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم .
لا نقول ذلك رمياً بالغيب ، ولا من باب الأحلام الوردية الجاهلة ، ولا نقول ذلك لما
تعانیه الأمة من ضغط شديد من أعدائها ، كلا . كلا ، فهذا أمر لا يجوز لأحد البتة أن
يتكلم فيه إلا بدليل من كتاب الله ، أو بدليل من كلام الصادق رسول الله .

فخذوا هذه الطائفة الجلييلة الكريمة من كلام رسول الله في شأن المهدي عليه السلام .
ففي الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجة في السنن بسند صحيح من حديث أم سلمة
رضي الله عنها أن النبي قال : " المهدي من عترتي من بيت فاطمة " (1) أو من ولد
فاطمة فهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسنی .

وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وابن ماجة في سننه بسند صحيح من حديث
علي رضي الله عنه أن النبي قال : " المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة " (2)

أي : يعده الله ويهيئه للخلافة الراشدة لقيادة الأمة المسلمة في زمن الفتن والملحاح،
أسأل الله أن يعجل بهذه الخلافة الراشدة .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود - رضي
الله عنه - أن النبي قال : " لا تذهب الدنيا - أو لا تنقضي الدنيا - حتى يملك العرب
رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي " (3)

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والطبراني وابن حبان والبخاري والحاكم بسند صحيح
من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن الحبيب النبي قال : " لتملأن
الأرض جوراً وظلماً ، لتملأن الأرض جوراً وظلماً ، فإذا ملئت جوراً وظلماً يبعث
الله رجلاً مني اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت
جوراً وظلماً فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها فيمكث سبعا
أو ثمانية ، فإن أكثر فتسع ، فيمكث فيكم سبعا أو ثمانية فإن أكثر فتسع " (4)

وفي الحديث الذي رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند صحيح من حديث
جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن النبي قال : " ينزل عيسى ابن مريم " ،
وتدبر فإن المهدي يكون في زمنه عيسى ابن مريم ، وإذا نزل عيسى ابن مريم يكون
في زمانه الدجال ، فالذي يقتل الدجال عيسى ومعه المهدي ، ففي زمن عيسى يكون
المهدي وفي زمن المهدي يكون عيسى ، وفي زمن عيسى يكون الدجال ، وفي زمن
عيسى يخرج يأجوج ومأجوج ، فالعلامات خرزات منظومة في سلك فإن يقطع
السلك يتبع بعضها بعضاً ، لا أقول ذلك من نفسي ، بل هو كلام الصادق الذي لا
ينطق عن الهوى كما في مسند أحمد ومستدرک الحاكم بسند صحيح من حديث أبي
هريرة - رضي الله عنه - أن النبي قال : " العلامات - وفي لفظ الأمارات -
خرزات منظومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً " (1)

إذا وقعت علامة من العلامات الكبرى تبعتها بقية العلامات في مدة لا يعلمها إلا رب
الأرض والسموات ، فارجع إلى حديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند
صحيح من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن النبي قال : " ينزل عيسى
ابن مريم فيقول أميرهم المهدي - هكذا يقول أميرهم المهدي - تعال صل بنا ، تعال
صل بنا ، فيقول عيسى للمهدي : لا إن بعضكم أمير بعض تكرمه الله لأمة محمد " .
وفي رواية الصحيحين في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كيف أنتم إذا نزل فيكم عيسى ابن مريم
وإمامكم منكم " (2)

بل في لفظ مسلم من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن الصادق
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قال : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على
الحق ظاهرين إلى يوم القيامة " ثم قال : " وينزل عيسى ابن مريم - على نبينا
وعليه الصلاة والسلام - فيقول أميرهم - أي لعيسى - : تعال صل لنا فيقول عيسى :
لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة " (1)

هذا كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، ولا بد من الجمع بين هذه الأدلة بهذا
التأصيل الذي أقدم الآن حتى لا يضرب أحد السنة بعضها ببعض ، ولا ينبغي لأحد
كما ذكرت أن يتكلم بشأن المهدي إلا بكلام الصادق النبي ، فهذا أمر غيبي لا ينبغي

لأحد أن يتكلم فيه من عند نفسه أو من ذهنه أو من عقله قال الله أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر/7) لكن من المعلوم للجميع أن كثيرا من الدجاجلة والكذابين قد خرج وأدعى كل واحد من هؤلاء أنه المهدي ، لم يتركنا رسول الله بل بين لنا الصادق علامة واضحة أكيدة إن ظهرت في الأرض علمنا أن الرجل الذي عاذ ولجأ إلى بيت الله الحرام هو المهدي الصادق الحقيقي عليه السلام ، ما هذه العلامة ؟ اسمع للصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : عبث رسول الله يوما في منامه - عبث : أي تحرك حركة على غير عادته - عبث رسول الله يوما في منامه فقالت عائشة رضي الله عنها رأيتك صنعت شيئا بم تكن تفعله ؟ فقال النبي : " العجب أن أناسا من أمتي يؤمون البيت الحرام - أي يتوجهون ويقصدون البيت الحرام - لرجل من قريش عائذا بالبيت - أي محتمي بالبيت - لرجل من قريش عائذا بالبيت - أي البيت الحرام - فيخرج إليهم جيش حتى إذا كانوا - أي الجيش - بالبيداء - أي الصحراء - خسف به - أي بهذا البيت " قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله إن الطريق يجمع الناس - يعني في هؤلاء من خرج لقتال المهدي ومنهم من خرج لقضاء مصالحه ، فلماذا يخسف الله به الطريق إن الطريق قد يجمع الناس . فقال النبي : " نعم فيهم المستبصر ، والمجبور ، وابن السبيل يهلكون مهلك واحد ، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم " (1) ، وفي لفظ مسلم من حديث أم

المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - أن النبي قال : " سيعوذ بهذا البيت قوم من أمتي ليست لهم عدة ولا عدد ولا منعه مستضعفون ليست لهم عدة ولا عدد ولا منعة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم " (2) وفي لفظ في صحيح مسلم : " ولا يبقى منهم إلا الشريد الذي يخبر عنهم " (3)

هذه العلامة إن ظهر المهدي في بيت الله الحرام ويبيعه مجموعة من المسلمين لا عدد لهم ولا عدة ولا سلاح إنهم مستضعفون يخرج للمهدي جيش لقتاله والقضاء عليه فينصر الله المهدي نصرا قديرا غيبيا يخسف الله بهذا الجيش الأرض ، ولا ينجو من هذا الجيش إلا الشريد إلا الرجل أو الرجلان .

إذا ظهرت هذه العلامة عرف المسلمون جميعاً على ظهر الأرض أن الرجل العائد بالبيت هو المهدي عليه السلام ، وينتشر الخبر بسرعة مذهلة في الأرض كلها فلا يبقى مسلم قادر يستطيع أن يرحل من بلده أيا كان إلى البيت الحرام إلا وسافر حتى يرزقه الله الشهادة أو يرزق الله الأمة النصر . نسأل الله أن يرزق الأمة النصر ، وأن يكتب لنا الشهادة إنه ولي ذلك ومولاه .

وهنا يعلن العالم كله الحرب على المهدي عليه السلام لكن الله جل جلاله ينصر المهدي بقدرته وأمره سبحانه في جميع معاركه التي سيخوضها .

استمع وتدبر هذه البشائر النبوية ، ففي صحيح مسلم من حديث نافع بن عتبة - رضي الله عنه - أن النبي قال : " تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله " ولاحظ أن

الذي سيفتح هنا هو الله " تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله " – اللهم عجل بفتحك يارب – ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحها الله" (1)

فمن المعلوم أن عيسى ابن مريم كما في صحيح مسلم ، حدد الصادق الذي لا ينطق عن الهوى مكان نزوله في الأرض ، بل حدد الصادق الثوب الذي سينزل به عيسى من السماء . قال : " ينزل عيسى ابن مريم بين مهرودتين – أي بين ثوبين ممصرين يميل لون الثوبين إلى الصفرة – ينزل عيسى ابن مريم بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين تقطر لحيته كأنه يتوضأ ومازال الماء يقطر من لحيته ينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق" (2).

صلى الله على الصادق ثم يتجه بعد ذلك عيسى إلى بيت المقدس فيرى المسلمين يصلون وإمامهم المهدي كما بينت الأحاديث الماضية ، فيريد المهدي أن يتأخر ليقدم عيسى ابن مريم ليصلى بالمسلمين ، لأنه نبي فيرفض عيسى عليه السلام ويدفع المهدي بين كتفيه ، ويأمره أن يصلى بالمسلمين ويكون إمامكم منكم تكرمة الله لأمة محمد ، ويصلى عيسى خلف المهدي على شريعة الحبيب النبي ، فعيسى ينزل ليقتل الخنزير ، وليحطم الصليب ، وليفرض الجزية ، وليدعوا الناس جميعاً في الأرض كلها إلى توحيد الله الواحد الأحد بلا منازع ولا شريك ، فهذه أولى كلماته في المهد قال : (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(31) وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيًّا(32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (مريم/30-36) ينزل عيسى وينتقل مع المهدي لقتال الدجال ، فإذا رأى الدجال عيسى ابن مريم يذوب كما يذوب الملح في الماء فيقتل عيسى الدجال وهو في طريق عودته يخبره الله جل و علا أنه قد أخرج يأجوج ومأجوج فيقول له : إني أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم _ أي لا قدرة لأحد على قتالهم _ فحذر عبادي إلى الطور .

فيلجأ نبي الله عيسى والمؤمنون معه إلى الطور في سينا ، ويخرج يأجوج ومأجوج فلا يجدون أحداً من أهل الأرض يعترض سبيلهم فيفتنون فتنة عمياء فيقولون قولتهم الخبيثة : قهرنا أهل الأرض فلنقهر أو فلنعلو أهل السماء ، فيصوبون رماحهم إلى السماء فتزداد فتنتهم حينما يرد الله إليهم الرماح وقد خضبت بالدماء فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء ، فيضرع عيسى إلى الله جل و علا أن يخلص الأرض من شرورهم فيرسل الله عليهم النغف . ما النغف ؟ النغف دودة صغيرة حقيرة تخرج في أنف البعير – الجمل – هؤلاء الذين يقولون : قهروا أهل الأرض وعلوا أهل السماء يرسل الله عليهم النغف فيهلكون ويقتلون كوت نفس واحدة فتمتلئ الأرض بزهمهم ومنتهم .

فيضرع عيسى إلى الله يطهر الأرض ، فيرسل الله على الأرض طيراً كأعناق البخت – والبخت هي الجمال الخرسانية الضخمة في أرض الجزيرة – يرسل الله طيراً

كأعناق البخت فتحمل هذه الجثث العفنة إلى حيث شاء الله وقدر ، ثم يرسل الله مطرا على الأرض فيصهر الأرض فتصبح الأرض بعد ذلك كالزلقة أو كالمرآة ، وينزل الله البركة وتعيش البشرية في هذه الفترة فترة لم تنعم بها من قبل حتى تمنى نبينا العيش في هذه الأيام فقال : " طوبى لعيش بعد المسيح " فالرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقول : " تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ، ثم تغزون فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله " وذلك في عهد عيسى والمهدي عليهما السلام.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي قال - ولاحظ أنني لا أتكلم بشيء من عندي بل إن كل ما تكلمت به حتى هذه اللحظة هو كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة : " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق "

(1)

والأعماق أو دابق مكان بين سوريا وبين أنطاكية في منطقة بلاد الشام . وها نحن نرى ولأول مرة في التاريخ الحديث والقديم نرى جحافل الروم تنزل بهذه الأعداد الغفيرة التي لا مثيل لها في التاريخ كله تنزل إلى الأعماق إلى قلب بلاد الشام وستتوالى الأحداث تباعاً ، ستتوالى الأحداث تباعاً ، لأن الذي يهيئ الكون كله هو الله جل جلاله ليقع فيه ما أخبر عنه الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، إذ أنه لا يتكلم إلا بوحي من الله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ) (النجم/1-5) .

قال من لا ينطق عن الهوى : " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من أهل المدينة من خير أهل الأرض يومئذ - أو هم خير أهل الأرض يومئذ - فإذا تصافوا للقتال قال الروم للمسلمين : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا " قال الصادق : " فيقتتلون فينهزم ثلث من المسلمين لا يتوب الله عليهم أبدا ، لأنهم ارتدوا - كما في رواية مسلم التي سأذكرها الآن أيضا - فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث الأخير " (1)

وفي رواية في صحيح مسلم من حديث أسيد بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا يا عبد الله بن مسعود يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة جاءت الساعة فكان ابن مسعود متكئاً فقعد جلس - انظروا إلى كلام أهل العلم - وقال ابن مسعود : لا لا لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث أو يفرح بغنية . ثم قال ابن مسعود رضي الله عنه وأشار بيده نحو الشام وقال : عدوا يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام . قلت : الروم تعني ؟ قال : نعم وتكون عن ذاكم ملك ثاني ردة شديدة - اللهم ثبتنا على الإيمان حتى نلقاك - وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالباً فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتنفى الشرطة . قال : حتى إذا كان اليوم الرابع نهذ إليه بقية أهل الإسلام - أي نهضوا وتقدموا - فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها ويجعل الله الدائرة على الروم _ اللهم عجل بها يا أكرم الأكرمين - فيقتتلون

مقتلة لم ير مثلها ويجعل الله الدائرة على الروم حتى إن الطائر ليمر بجنابتهم فما يخلفهم حتى يخرب ميتا فيتعادوا بنى الأبي كانوا مائة فلا يجدونه قد بقى منهم إلا الرجل الواحد قال : فبأي غنيمة يفرح وأي ميراث يتقاسم ؟ قال : فبيننا هم كذلك إذ وقع بهم بأس هو أكبر من ذلك إذ جاءهم الصريخ : إن الدجال قد خلفكم في ذراريكم فيرفضون ما في أيديهم من المال ويبعثون عشرة فوارس طليعة – أي ليتبينوا الخبر – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والله إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ" (2)

هكذا أيها المسلمون ينصر الله عز وجل المهدي عليه السلام في كل ملاحمه بتقدير منه سبحانه وتعالى – ويؤيد الله عز وجل به الدين ويظهر الله الدين على الدين كله كما وعد الله رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

قال جل وعلا : (يُرِيدُونَ لِئُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف/8)

هذه بعض الأحاديث الصحيحة كما بينت في شأن المهدي عليه السلام ومع كل ذلك خرجت علينا طائفة من أهل الكلام ومن المفكرين ومن المنتسبين إلى العلم وأنكروا المهدي عليه السلام وقالوا : المهدي خرافة وأسطورة اخترعتها الشيعة ثم أقحمت هذه الأسطورة على كتب أهل السنة وأوردوا بعض الشبهات .

وهذا هو عنصرنا الثالث : الرد على المخالفين :

أيها الأحبة الكرام ويقولون : لم يثبت في شأن المهدي حديث صحيح وأنا لا أدري كيف يجرؤ واحد على أن يدعي مثل هذه الدعوى دون أن يراجع ديوانا واحدا من دواوين أهل السنة فلقد قال الشوكاني رحمه الله : لقد وقفنا على الأحاديث في شأن المهدي التي بلغت خمسين حديثا منها الصحيح والحسن والضعيف المجبر ، فكيف يدعي واحد ممن ينتسبون إلى العلم بأنه لم يثبت في شأن المهدي حديث صحيح واحد عن الحبيب النبي ، مجمل الشبهات أنهم قالوا : حتى لو صحت الأحاديث في شأن المهدي فإنها لأحاد ، وأحاديث الأحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة ، وهذه بدعة محدثة لا أصل لها ولم يقل بها واحد من علماء السلف البتة بل لم تبرز هذه الفتنة ولم يختلف هذا النزاع بين علماء السلف الصالح على الإطلاق ، فمن المعلوم أن المتواتر هو ما جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى آخره ، والأحاد ما سوى المتواتر هذا تعريف علماءنا للحديث المتواتر .

قالوا : بأن أحاديث المهدي ليست متواترة ، ومن ثم فلا ينبغي أن نأخذ بها وهذه بدعة مردودة وقول مردود كما بينت لم يقل به واحد من السلف ، لأن لو ثبت للمسلم حديث واحد صحيح عن الصادق الذي لا ينطق عن الهوى وجب عليه أن يؤمن بهذا الحديث ، وأن يأخذ به وأن يعلم أن ما فيه من علم أنه علم يقيني قطعي .

هذا وقد بلغت الأحاديث في المهدي مبلغ المتواتر والمتواتر عند جماهير علماء الأمة يفيد العلم القطعي ، ومن ثم فالعلم به واجب والعمل به فرض لازم ، وإذا وصلت خبر واحد عن الصادق وعلمت صحة الخبر وجب عليك أن تأخذ به وأن تعمل بما فيه .

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) (الحجرات/6) فدللت الآية على أن خبر الواحد غير الفاسق لا يثبت منه ولا يتبين وإلا لقال الله عز

وجل : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم خبر فتبينوا أو نبأ فتبينوا ولم يحدد أن التبين يجب أن يكون للفاسق دون غيره ولجاءت الآية مطلقة ، لكن الله قيدها (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (الحجرات/6) .

فدل على ذلك أن خبر غير الفاسق على خبر المؤمن الثقة لا ينبغي للمسلم أن يتبين منه أو أن يقول له : خبرك خبر آحاد ، ما سمعنا أن واحدا من الصحابة حدثه صحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر فقال له : خبرك خبر آحاد لا أخذ به سواء كان الخبر في أمر العقيدة أم في أمر الأحكام لا نعلم ذلك على الإطلاق ، وأنتم تعلمون جميعا أن المسلمين وهم يصلون أخبرهم صحابي واحد أن النبي حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فاستداروا جميعا من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام ولم يقل واحد منهم : لا ننتظر حتى نتثبت ، خبرك خبر آحاد ليس خبر متواتر لا نعلم ذلك على الإطلاق ، والذي أخبرهم بحرمة الخمر صحابي واحد وما قال الصحابة نتأكد أو نتثبت خبرك خبر آحاد وهكذا .

الشبهة الثانية :

أن أحاديث المهدي لم تأت صحيحة في الصحيحين ومن المعلوم لطالب العلم فضلا عن العالم أن الأحاديث الصحيحة كلها لم تدون في الصحيحين فقط ، بل سترى الآلاف من الأحاديث الصحيحة مدونة في غير الصحيحين في المسانيد وفي السنن وفي المعاجم وفي دواوين أهل السنة كما هو معلوم .

الشبهة الثالثة :

قالوا بأن الأحاديث دخلها كثير من الإسرائيليات هذا حق ، لكن الله عز وجل قيض للسنة العلماء الأفاضل من فرسان علم الحديث فبينوا الصحيح من الضعيف والباطل والموضوع وحفظ الله السنة وطهرها من انحراف الغالين وتأويل المبطلين والفاستقين ، لأن حفظ السنة من حفظ الدين ، إذ لا يفهم القرآن إلا إذا حفظت سنة النبي . قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

الشبهة الرابعة :

احتج بحديث يقول : " لا مهدي إلا عيسى " والحديث رواه ابن ماجه بسند ضعيف ، بل قال الذهبي رحمه الله : حديث منكر ..

وهكذا أيها الأحبة لا ينبغي على الإطلاق أن تؤثر هذه الشبهات في عقيدة المسلمين ، فكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط أن يكون صحيحا وجب على الأمة أن تأخذ به وأن تؤمن به وأن تعمل بما فيه لقوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر/7) .

ولقوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم/4،3) ولقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الحجرات/1) لكن هل يجب علينا أو ينبغي علينا أن نتواكل أو نتكاسل أو نرفض العلم والعمل أو أن نستسلم بدعوى أننا ننتظر المهدي ؟ هذا كلام باطل لا يقول به عاقل فضلا عن عالم ، وهذا ما نتعرف عليه في العنصر الأخير : الحقيقة بين العلم والعمل والأمل ، ذلك بعد جلسة الاستراحة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد .

فيا أيها الأحبة الكرام نظرا للواقع الأليم الذي تحياه أمتنا ونظرا لأن جيوش أعدائنا تحيط بنا الآن براً وبحراً وجواً ، والأمة مقبلة على أيام صعبة ، أرى أن كثيراً من المسلمين الآن يتعلقون بالمهدي – عليه السلام – تعلق المتواكل المسلوب الإرادة ويتوقع كثير منا أنه ينبغي لنا أن نترك العلم والعمل والجهاد والبذل والعطاء والحركة والسعي بدعوى أن المهدي قد اقترب زمانه وأوانه إذا فلا علم ولا عمل .

سخف من القوم وهراء ، وإلا فإن الذي أخبر بكل هذه الأحاديث كما ذكرت هو رسول الله ، وهو يعلم أن ذلك سيقع علم اليقين كان عليه أن ينتظر وأن يجلس ولا يسفك الدماء في الجهاد في سبيل الله ، وألا يمزق الأشلاء بدعوى أنه ينتظر المهدي الذي سينصر الله عز وجل على يديه الدين في آخر الزمان وغير ذلك ، لكنه ما فعل ذلك أبدا بل جاهد وقاتل وقدم روحه ودمه ونفسه وماله وكل ما يملك لنصرة دينه جل وعلا ، فقد تعبدنا الله سبحانه وتعالى بهذا الدين ، ويجب على الأمة الآن أن تعي أن ما وقع لها وقع وفق سنن ربانية ، ولا تنتصر إلا وفق سنن ربانية ، ولا تتبدل ولا تتغير ، مرفوض أن نعلق كل أخطائنا وكل تقصيرنا وكل هزائمنا بعدونا الخارجي وأن نبرر لأنفسنا هذا التقصير ، وهذا الذي نحن فيه مرفوض بكل المقاييس . قال الله جل وعلا : (أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) (آل عمران/165) .

فيجب على الأمة أن تعلم عن الله وأن تعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تعلم عن فقه المرحلة التي تحياها وفقه المرحلة المقبلة ، ولن تتعلم الأمة ذلك من الصحف والجرائد والمجلات ووكالات الأنباء العالمية والمحلية وإنما يجب على الأمة في هذه المرحلة الحرجة أن ترجع إلى كتاب الله وإلى كلام الصادق رسول الله ليعلم الحق الذي لا حق بعده .

لا بد أن ترجع إلى العلماء الربانيين المتحققين بالعلم الشرعي الذين يقولون في كل نازلة وفي كل حادثة وفي كل أزمة : قال الرب العلي قال الصادق النبي ، فلا بد أن نتعلم الآن عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يفرغ كل مسلم مهما كان وضعه ومنصبه وقتنا من وقته ليتعلم فيه عن ربه وعن نبيه ، ثم علم بلا عمل لا خير فيه ولا قيمة له ولا كرامة بل إن القول إن خالف العمل بذرت النفاق في القلب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف/2،3) .

قال جل وعلا : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة/44) وقال كما في الصحيحين من حديث أسامة – رضي الله عنه – وعن أبيه : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه – أي أمعاؤه – فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع إليه أهل النار ويقولون : يا

فلان ما لك ألم تكن تأمر وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت أمر بالمعروف ولا أتبه وأنهى عن المنكر وأتبه" (1)

ولله در ابن السماك إذ يقول : كم من مذكر بالله وهو ناس لله ، وكم من مخوف من الله وهو جريء على الله ، وكم من تال لكتاب الله وهو منسلخ عن آيات الله .
نسأل الله أن يرزقنا الصدق في القول والعمل ، فلا بد من العمل في كل الميادين لابد من العطاء والبذل في كل الميادين لابد من الإعداد الإيماني الإعداد العلمي والعملية والسياسي والاقتصادي والعسكري والروحي والتربوي والأخلاقي هكذا أمرنا ربنا فقال : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (لأنفال/60) . وقال : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن/16)

فلا ينبغي على الإطلاق أن نبرر أخطاؤنا بالتعليق على عدونا الخارجي فالأمة لن تهزم أبدا . اسمع ماذا أقول : الأمة لن تهزم أبدا لو اجتمع عليها كل أعدائها في الخارج ، لن تهزم بمعنى لن يستأصل العدو الخارجي الأمة من الوجود لن يبيد خضراءها لن يزيل ملكها بالكلية ، ولكن قد تهزم الأمة هنا أو قد تهزم هنالك ، لكن لو اجتمع أهل الأرض من أهل الكفر ليستأصلوا شأفة الأمة لن يستطيعوا .
لن أقول ذلك من عند نفسي أيضا إنما هو كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان - رضي الله عنه - أنه قال : " إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وإن من أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي عز وجل لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم - أي ملكهم وعزهم - وأن الله تعالى أوحى إلي وقال : يا محمد إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنني أعطيتك لأمتك ألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها" ([1])

لك الحمد يا ربنا ، ولو اجتمعت جيوش أمريكا وبريطانيا وجيوش الأرض لتستأصل شأفة الأمة فلن يتمكنوا من ذلك بموعدة من الله للصادق رسول الله : " وإنني أعطيتك لأمتك ألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (2889) . ([2])

وفي رواية مالك في الموطأ والترمذي والنسائي في السنن من حديث خباب بن الأرت بسند صحيح قال : صلى بنا رسول الله صلاة فأطالها فقلنا : يا رسول الله صليت صلاة لم تصلها من قبل ؟ قال : "أجل إنها صلاة رغبة ورهبة وإنني سألت ربي عز وجل ثلاثة فأعطاني اثنين ومنعني واحدة ، سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها ، وسألت ربي ألا يسلط على أمتي عدوا من سوى أنفسهم فأعطانيها ، وسألت ربي ألا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها" ([3])

فقد ذاقنا الأمة بأس بعضها بعضا وقد رأيت ما حدث للأمة في القمة العربية وفي القمة الإسلامية فصدق قول سيد البشرية الذي لا ينطق عن الهوى ، فيجب علينا أن نعمل ألا نتكاسل ألا نتواكل ألا نتعلق بهذه الحقائق تعلق المهزوم المسلوب الإرادة ، فالله جل وعلا وعد أن ينصر من نصره ، وعد أن يمكن من أمن به وحقق دينه في

الأرض (وَلِيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصِرُهُ) (الحج/40) من ينصره (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (النور/55)

فلا بد من العمل الصالح في كل ميدان ولا بد من تجديد الإيمان ، ثم لا ينبغي أن نتعلق بالأمل تعلق الذين لا يفهمون مراد الله ورسوله ، فأمل المؤمنين يدفعهم إلى العمل ، وأمل البطالين يورثهم الكسل يورثهم النفاق .

قال الحسن البصري : إن قوما ألتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل . أقسم بالله الأمة لا تستحق النصر ، أقسم بالله لا تستحق الأمة الآن النصر . انظر إلى واقع الأمة ، سترى الكذب ، سترى العقوق ، سترى أكل الحرام ، سترى العري ، سترى أكل الربا ، سترى معاقرة الزنا ، سترى الحرب تعلن على الله في الليل والنهار .

كيف ينصر الله أمة خذلت دينه كيف ينصر الله أمة انحرفت عن هدي نبيه . الأمة بوضعها الآن لا تستحق النصر فلا بد أن نعمل أن نجدد الإيمان أن نجدد التوبة أن نستعد للأخرة ، وأن نعلم أن آخر الزمان قد أظلنا ، لا أقول ذلك بأنه سيقع غدا أو بعد عام لا ، فلقد أخبرنا الصادق أن بعثته من علامات الساعة : " بعثت أنا والساعة كهاتين " فاستعد بالتوبة إلى الله جل وعلا بالعمل للأخرة ، لأنك في زمان الفتن ولا أحد لك صمام أمان في هذا الزمان أعظم من التوحيد من أن تحقق العبودية لله ومن أن تحافظ على العبادة في بيت الله وأن تحرص على مجالس العلماء الربانيين .

ففي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار أن النبي قال : " العبادة في الهرج – الهرج يعني الفتن – كهجرة إلى " (1) هاجر إلى رسول الله ، هيا هاجر إلى النبي كيف ؟ بالحرص على العبادة في هذه

الأيام " العبادة في الهرج كهجرة إلى " أي كهجرة إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لا تتخلى عن العلماء الربانيين في هذا الزمان لا تقل من عند نفسك بفهمك أنت بعقلك أنت بهواك ، لا سيما إن كان قولك مرتبط بأمر غيبي ، بل ارجع إلى العلماء لا تتحرك ولا تعمل إلا بالعودة إلى أهل العلم الربانيين ، لا تخطو على الطريق خطوة ولا تتكلم في الفتنة قولة إلا بحق إلا بدليل من كلام الله ومن كلام الصادق رسول الله .

ونحن على أمل بأن الجولة القادمة وعن قريب ، والله مع هذه الأزمة الطاحنة على أمل في وعد الله في وعد رسول الله أن أشد ساعات الليل سوادا هي الساعة التي يليها ضوء الفجر وفجر الإسلام قادم وفجر التوحيد قادم ، لأن عرف التاريخ أوسا وخزرج فله أوس قادمون وخزرج وإن كنوز الغيب تخفي طلائع حرة رغم المكائد تخرج .

وأختم لقائي بهذه الآية عن عمد واختيار قال العزيز الغفار : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال/36) نعم لتتم هنالك الحسرة الكبرى .

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان ، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون عليه إلى الجنة ويرمى به إلى جهنم ، وأعوذ أن أذكركم به وأنساه ، وأقم الصلاة .

- (1) رواه أبو داود في المهدي (4284) وابن ماجة في الفتن (4086) .
 (2) سبق تخريجه .
 (3) رواه أبو داود في المهدي (4282).
 (4) رواه الطبراني في الكبير (32،33/19) رقم (68) وابن حبان (6832 إحصان) وفي (1880 موارد) والحاكم (557/4) وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع (314/7) : رواه البزار من طريق داود بن المحبر بن قحذم عن أبيه وكلاهما ضعيف .
 (1) رواه أحمد (219/2) والحاكم (546/4) وصححه ووافقه الذهبي .
 (2) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (3449) ومسلم في الإيمان (244/155).
 (1) رواه مسلم في الإيمان (247/156) .
 (1) رواه البخاري في البيوع (2118) ومسلم في الفتن وأشرط الساعة (8/2884) واللفظ له .
 (2) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (7/2883).
 (3) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (6/2883).
 (1) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (38/2900).
 (2) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (2937).
 (1) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (2897) .
 (1) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (2879) وهو نفس الحديث السابق .
 (2) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (370/2899).
 (1) رواه البخاري في بدء الخلق (3267) ومسلم في الزهد والرقائق (2989)
 (1) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (2889) . هو نفس الحديث السابق .
 (2) هو نفس الحديث السابق .
 (2) رواه أحمد (240/146،156،5/3) والترمذي في الفتن (2176) وقال : حسن صحيح وابن ماجة في الفتن (3951) وفي الزوائد : اسناده صحيح ورجاله ثقات .
 (1) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (2948) .

أفحكم الجاهلية يبغون ؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له.
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليقه، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة، فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزء عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته، وصل اللهم وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.
 أما بعد: فحياكم الله جميعاً الأخوة الفضلاء، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً، وأسأل الله الحليم الكريم- جلا وعلا - الذي جمعني مع حضراتكم في

هذا البيت الطيب المبارك على طاعته، أن يجمعنا فى الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جنته ودار مقامته، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أحبتى فى الله نحن الليلة على موعد مع الدرس الثامن والأربعين من دروس شرح الإمام البخارى رحمة الله تعالى، وما زلنا مع الباب الثامن والعشرين من أبواب: " كتاب الإيمان الذى ترجم له البخارى بهذه الترجمة فقال: باب المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، لقول النبى صلى الله عليه وسلم " إنك امرؤ فيك جاهلية" ، وقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} (48) سورة النساء وروى الإمام البخارى فى هذا الباب حديثاً قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا شعبة عن واصل الأحذب بن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالريذة- أسم مكان - عليه حلة- ثوب- وعلى غلامه ثوب أى وعلى خادمه حلة فسألته عن ذلك والسائل هو الأحذب بن المعرور، فسألته عن ذلك أى كيف تلبس حلة ويلبس خادمك أو صبيك نفس الحلة التى تلبسها؟ كيف تلبس حلة يلبسها غلامك؟ فقال أبو ذر : إنى سببت رجلاً- والسب هو فحش القول- أنى سببت رجلاً فغيرته بأمه- وصرحت بعض الروايات أن هذا الرجل هو بلال مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم - إنى سببت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم: " يا أبا ذر عيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ومن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكفوهم مما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم". ([1])

هذا هو الباب الثانى والعشرين من أبواب كتاب الإيمان وفى نفس الباب أيضاً ترجم الإمام البخارى هذه الترجمة، فقال باب: " {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} (9) سورة الحجرات فسماهم الله المؤمنين أى سمى المقتتلين المؤمنين وقال: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك ، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب ويونس عن الحسن عن الأحنف بن قيس قالاً: ذهبت لأنصر هذا الرجل- أى علياً- - فلقينى أبو بكر- صحابى جليل- فقال: أين تريد فقلت: أنصر هذا الرجل - أى علياً- - قال: ارجع فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقائل والمقتول فى النار". فقلت: يا رسول، هذا القاتل فما بال المقتول، قال: "إنه كان حريصاً على قتل صاحبه". ([2])

باب المعاصى من أمر الجاهلية : هى مرحلة ما قبل افسلام إذا أطلق لفظ الجاهلية فالمراد به المرحلة التى سبقت افسلام وقد ذكر القرآن الجاهلية بأوصافها فى أربعة صفات: حكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية، فكل من حاد عن حكم الإسلام، وذهب إلى حكم الجاهلية فهو جاهلى، وكل من ظن ظن السوء بالله تعالى فقد ظن الجاهلى فهو جاهلى، ومن تبرجت التبرج الجاهلى فهى جاهلية إلى آخره

أى بتصرفها هذا. فالجاهلية أيها الأحبة وإن كانت مرحلة زمنية سبقت الإسلام فلها صفات ولها صور باقية لكل من فعل فعلاً من أمور الجاهلية يقال له: إنك امرؤ فيك جاهلية ولكن لا

ينبغي أن نحكم عليه بالكفر الأكبر، وأن نخرجه من الإسلام المخرج من الملة، لفعله فعلاً من أمور الجاهلية إلا إذا أقيمت عليه الحجة الرسالية الخاصة، ورفع عنه الجهل والتأويل والشبهة، فإن أصر بعد ذلك على أمر من أمور الجاهلية معتقداً له، محولاً لهذا الأمر إلى عمل وإلى واقع فحينئذ يحكم عليه بالتكفير، لكن لا ينبغي أن يفعل ذلك إلا أهل العلم ممن يفرقون بين الحجة العامة والحجة الخاصة، والمناطق العام والمناطق الخاص، والدليل العام والدليل الخاص إلى آخره. لا ينبغي أن يتسرع طالب علم صغير لا يحسن مثل هذه المسائل الكبيرة/ ليسقط الحكم بالتكفير على معين من الناس.

إذن الجاهلية- أيها الأحبة- هي ما قبل الإسلام وقد يطلق في شخص معين أي في حال جاهليته يعني يقال لامرأة متبرجة: إنك امرأة فيك جاهلية لتبرجها تبرج الجاهلية رجل يحد عن منهج الله جل وعلا في مسألة أو غيرها يقال له: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، رجل يعير رجلاً آخر بنسبة أو بأبيه أو بامه يقال له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية.." [3] رجل يظن ظن السوء بالمنهج أو بالشرعية بجهل لا

باعتماد فلو اعتقد فهذه مسألة كبيرة قد تخرجه من الملة من أوسع الأبواب، لكن بجهل أو بتأويل أو بشبهة يقال له حينئذ: إنك امرؤ فيك جاهلية. فباب المعاصي من الجاهلية، فالجاهلية هي ما قبل الإسلام قال البخاري: ولا يكفر صاحبها إلا بارتكاب الشرك، فالشرك ذنب لا يغفره الله عز وجل، لصاحبه لكن لو أتى الإنسان فعلاً من أفعال الجاهلية، سواء كانت من الكبائر أو من الصغائر، فالله عز وجل يغفر له إن تاب العبد إليه عز وجل لكن الشرك ذنب لا يغفر لقوله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} (116) سورة النساء .

الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى يقول في كلام نفيس: ومحصل الترجمة أنه- أي البخاري- لما أطلق أن المعاصي يطلق عليها الكفر كما ذكرت في المحاضرة الماضية حينما قال: كفر دون كفر العشير ألا وهو كفران المرأة إحسان الزوج، وذكر هذا تحت الكفر لكنه الكفر الذي لا يخرج من الملة، فالحافظ ابن حجر يقول: إن البخاري لما أطلق أن المعاصي يطلق عليها الكفر مجازاً على زيادة كفر النعمة لا كفر الجحود أراد أن يبين أنه كفر لا يخرج عن الملة خلافاً للخوارج أي الذين يكفرون بالذنوب، ونص القرآن يرد عليهم وهو قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} وَيَغْفِرُ مَا دُونَ يَعْنِي مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الَّتِي تَلِي الشَّرْكَ، يبقى محصل الترجمة أنه لما قدم أن المعاصي يطلق عليها الكفر مجازاً على إرادة كفر النعمة لا كفر الجحد أراد أن يبين أنه كفر لا يخرج عن الملة خلافاً للخوارج، فأنتم تعلمون كما فصلت قبل ذلك أن الخوارج يكفرون بالكبائر كبائر الذنوب يعنى من أتى بكبيرة من كبائر الذنوب فهو كافر عند الخوارج والمعتزلة قالوا: هو في منزلة بين المنزلتين لكن أهل السنة- رحمهم الله تعالى- لا يكفرون أحداً من أهل الملة أو أهل القبلة بذنب إلا إذا استحل، لكن إن فعل الذنب وإن كان كبيراً، ويتاب إلى الله عز وجل، يتوب الله

سبحانه وتعالى عليه فإن أهل السنة لا يكفرون بكبائر الذنوب لقول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} .

قال الكرمانى فى استدلاله بقول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر يقول لأبى ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية" .. حينما عبر رجلاً بأمة ، ووجه الاستدلال يقول: وجه استدلال البخارى لحديث أبى ذر فيه نظر، لأن التعبير بالأم ليس كبيرة وهم لا يكفرون بالصغائر قلت- والقائل ابن حجر- استدلاله عليه من الآية ظاهر، ولذلك اقتصر عليه ابن بطلال، وأما قصة أبى ذر فغنىما ذكرت، ليستدل بها على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك لا يخرج عن الإيمان بها سواء كانت الخصلة من الصغائر أم من الكبائر وهذا واضح.

فالإمام البخارى استدلل بحديث أبى ذر على أن الرجل إن كانت فيه خصلة من خصال الجاهلية سواء كانت هذه الخصلة من الكبائر أو من الصغائر فلا تخرج من الملة وإنما يقال له: إنك امرؤ فيك جاهلية ودعوى أفسر وجه الاستدلال به فى هذا الباب.

وأكرر واقول أن ما استدلل به البخارى ، ليبين مذهبه ومذهب أهل السنة والجماعة فى أن الرجل لو ارتكب كبيرة أو صغيرة من أعمال الجاهلية ما دامت هذه الكبيرة أو الصغيرة تاتى بعد الشرك بالله فإنها لا تخرج من الملة ، وإنما هو كفر دون كفر.

أبو ذر - - كما ذكرت بعض الروايات غير بلال. وبلال كانت أمة أعجمية كانت سوداء اللون ، وأبو ذر من الأشراف من قبيلة مشهورة عظيمة هى قبيلة غفار قبيلة لها مكانة فى أرض الجزيرة بين العرب فحصل خلاف أو شجار بينه وبين بلال- رضى الله عنهما- فسب أبو ذر بلال، وأود أن أبين هنا أن العبد عبد والرب رب، ولو كان هذا العبد من أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم بشرية بشرية يحدث خلاف وشجار يصل إلى حد السب بل إلى حد القتال، وأنتم تعلمون أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قد حدث بينهم قتلاً ضارياً فى الفتنة العاصفة بعد مقتل عثمان.

سأتكلم بإيجاز فى هذه المسألة، لأنى قد فصلت الحديث فيها تفصيلاً فى دروس العقيدة فى درس الأربعاء والأشرطة والله الحمد ومن أهم وأخطر الأشرطة فى موضوع الفتنة التى وقعت بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبو ذر - - سب بلالاً، سبه، لماذا؟ قال له: يا بن السوداء؟ مع أن أبا ذر كان فى هذا السن كما صرحت بعض الروايات كان فى سن متقدم ولذلك يتفاح الحافظ ابن حجر- رحمة الله تعالى- ويقول: إنه قال ذلك قبل أن يعلم حرمة التعبير، ولذلك صرح أبو ذر وقال مع هذا السن أى بعد هذه السن المتقدمة، ورغم أنى لا أعرف أن التعبير هذا حرام لكن دعنا حتى ولو أخذنا بالرأى الأول أن أبا ذر أخطأ وسب أخاه لبشريته ولضعف وقع فيه فى لحظة من اللحظات.

لكن انظروا يا إخوة إلى الأكابر حينما يذكرون بكتاب الله وشرع الله يقف أحدهم أمام الحد، أمام الشرع كعصفور مبلبل بماء المطر يرتعد ويرتجف من شدة الخوف والوجل إن ذكر أحدهم بالله تذكر. ما كان عليك إذا أردت أن ترى أحد الصحابة إن كان عملاقاً كبيراً أن تراه مرتعداً مرتجفاً ورجلاً أصفر اللون ما عليك فقط إلا أن تدنو منه وتقول له: اتق الله والله لو سمعها لارتجف قلبه وارتعد فؤاده!!!.

عمر - - فاروق الأمة كان إن ذكر بالله عز وجل يرتجف ويرتعد ويصفر لونه عند كل ثوب يلبسه وعند كل طعام يأكله وعند كل كلمة يذكر فيها بالله، ماذا أنت قائل لربك غداً يا عمر؟ كانوا يقفون في قولتهم الخالدة: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

النبى يريد أن يزوج زينب بنت جحش- رضى الله عنها- لمولاه زيد بن حارثة فأبت زينب وكرهته فنزل القرآن {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} (36) سورة الأحزاب أنظر إلى القرآن كيف ينزل ليعالج المشاكل فى التو واللحظة، وانطلق النبى صلى الله عليه وسلم إلى زينب- رضى الله عنها- فقرأ عليها الآيات فقالت: رضيت بما رضى الله به ورسوله.

وقوف عجيب عند الحدود لا فزلكة ولا حزلفة إذا سمع هذا الحد امرأة أو رجل وقف وأذعن واستسلم.

معقل بن يسار صحابى جليل زوج أخته لرجل من المسلمين، وأكرم معقل ابن يسار هذا الرجل وأحسن إليه، ولكن هذا الرجل طلق أخت معقل بن يسار بعد فترة قليلة وذهب زوج أخت معقل بن يسارا، ليردها، فقال له معقل بن يسار: زوجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت لتطلبها؟! لا والله لا تعود إليك أبداً أمر فطرى بشرى- زوجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها حتى إذا انقضت عدتها جئت لتطلبها؟! لا والله لا تعود إليك أبداً.

رجع الرجل، وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه تدبر يا أختي الإنصاف عند هؤلاء العدول يعنى مع إنه رده يعترف بأن الرجل كان رجلاً لا بأس به لا فى دين ولا خلق، وأخت معقل كانت تريد أن ترجع لزوجها فتنزل القرآن يربى، فنزل قول الله عز وجل: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ زَكَاةٌ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (232) سورة البقرة أى إذا انقضت العدة فلا تعضلوها ولا تمنعوها فالعطل فى اللغة هو المنع والتضييق، فالله يقول: فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أى لا تمنعوها أن يرجعن إلى أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف، ما دامت الزوجة من الجائز أن ترجع إلى زوجها إذا كانت طلقت طلاقاً رجعياً، فمن حق الزوج أن يردها أو أن يرجعها إليه مرة أخرى ونزلت الآيات على النبى صلى الله عليه وسلم وذهب النبى صلى الله عليه وسلم إلى معقل بن يسار، وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم الآيات الكريمة على معقل بن يسار {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ} قال: الآن أفعل يا رسول الله، الآن أفعل يا رسول الله.

وفى رواية قال معقل بن يسار: سمعاً وطاعة يا رسول الله، الآن أفعل يا رسول الله. وأيضاً من الجفاء أن أتكلم عن سرعة استجابة هؤلاء الأطهار للأمر الربانى والحد الربانى والأمر النبوى، ولا أذكر هذا الحديث الرقراق الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما لما نزل قول الله تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا

فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { (284) سورة البقرة

لما نزلت هذه الآية- أيها الأخيار الكرام- ذهب الصحابة إلى رسوله الله لما نزلت هذه الآية- أيها الأخيار الكرام- ذهب الصحابة إلى رسول الله لما نزلت الآية وجثوا على ركبهم بين يديه وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأمر ما لا نطيق، لقد كلفنا بالصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد نزلت عليك آية لا نطيقها، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم واحمر وجهه وقال: "أتريدون أن تقولوا ما قال أهل الكتابين من اليهود والنصارى سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا.." فقال الصحابة في التو واللحظة : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فنسخها قوله: {لَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَمَّنَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (284-286) سورة البقرة.

لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقرأها الصحابة خلفه قال الله عز وجل: " قد فعلت" وفي لفظ في صحيح مسلم قال الله عز وجل: " نعم نعم" أي استجاب الله هذا الدعاء ببركة ماذا؟ ببركة السمع والطاعة.

تعلمون أن الله حرم الخمر على مراحل وكانت الخمر بالنسبة لهؤلاء في المجتمع العربي كالماء بالنسبة لنا الآن، لا يستغنى عنها أحدهم أبداً وفي مجلس لأبي طلحة يدور الساقى على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بكؤوس الخمر قبل أن تحرم الخمر تحريماً بينا، الساقى يدور على القوم بالكؤوس وهم يسمعون المنادى من قبل النبي صلى الله عليه وسلم : أيها المسلمون إلا إن الخمر قد حرمت، فوالله ما رفع أحدهم الكأس ليكمل ما في الكأس من شراب يقول أبو طلحة: فسكبت جرار الخمر حتى ملأت سكك المدينة بالخمر الله أكبر انظروا إلى السمع والطاعة، سكبت جرار الخمر حتى ملأت سكك المدينة أي ملأت شوارع وطرقات المدينة بالخمر {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (90) سورة المائدة قالوا: أنتهينا ربنا ولا يجرؤ أحدهم أن يكمل الخمر الذي في يده- ضربوا أروع المثل في السمع والطاعة لله ولرسوله، فالأمة الآن لم تسمع ولم تطع- وتسمع لمن وتطيع من؟ تسمع للشرق الملحد تارة وتسمع للغرب الكافر تارة أخرى وللعلمانيين الذين يديرون دفة التوجيه الآن في الأمة بأسرها. إلا ما رحم ربك، تسمع الآن لأهل الخيانة، وتكذب الأمة الآن أهل الأمانة، تسمع الأمة الآن لأهل الكذب وتكذب الأمة الآن أهل الصدق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده- ، والحاكم في مستدركه بسند صحيح من

حديث أبي هريرة - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الروبيضة" قيل: من الروبيضة يا رسول الله؟ قال: طالرجل التافه يتكلم فى أمر العامة.. "[4]".

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فما ذلت الأمة إلا لبعدها عن منهج السمع والطاعة لله ولرسوله وللعلماء {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (59) سورة النساء

وأرجو أن تلتفتوا إلى هذه اللطيفة القرآنية الجميلة: { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } فكرر الله عز وجل لفظ الطاعة { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } لكن لم جاء عند لفظ { وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } فلم يقل: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وأطيعوا أولى الأمر منكم لماذا؟ لأن طاعة أولى الأمر مرتبطة بطاعة الله ورسوله فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله ورسوله، فأولو الأمر بنص تفسير جمهور المفسرين هم العلماء والأمراء يعنى الحكام. فما ذلت الأمة إلا لتخليها عن منهج السمع والطاعة لله ولرسوله وللعلماء ، العلماء ورثة الأنبياء أقصد العلماء المتحقيقين بالعلم الشرعى الذين قالوا قال الله وقال رسوله .

اسمع يا أختى إلى منهج السمع والطاعة عند أبى ذر. أخطأ وذل فغير بلالا - - بأمه فقال له: يا ابن السواداء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم "يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية.." انظروا إلى التعليم الربانى والنبوى قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ} (11) سورة الحجرات

هذا ميزان اله الذى يرفع ويخفض به العباد وميزان البشر لا قيمة له ولا كرامة له فى الآخرة فالبشر يزنون الإنسان فى الدنيا بالجاه والسلطان والمنصب والغنى، لكن الله عز وجل يضع نسب أهل الأرض يوم القيامة ويرفع نسبه وينادى ويقول: أين المتقون أين المتقون؟ لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ} فإن موازين البشر لا ترفع ولا تخفض عند رب البشر ، بل إن الله ميزاناً يرفع ويخفض به البشر لا ترفع ولا تخفض عند رب البشر، بل إن الله ميزاناً يرفع ويخفض به البشر ألا وهو ميزان التقوى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (13) سورة الحجرات .

ورد فى صحيح البخارى أن رجلاً مر على النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلسه فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال: "ما تقولون فى هذا؟" وهناك رواية صرحت بأن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أبا ذر: "ما تقول فى هذا؟" فقالوا: إنه رجل- من الأشراف من أشراف القوم؟ ليه؟ لأنه لابس جميل وراكب دابة فارهة- رجل من أشراف القوم حرى إن خطب أن يزوج وإن شفع أن يشفع، وفى ذات المجلس مر رجل من الفقراء والنبى يقول لأصحابه: "ما تقولون فى هذا؟" قالوا:

رجل من فقراء المسلمين قالوا: حرى إن خطب ألا يزوج وإن شفيع ألا يشفع فقال
النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: "والذى نفسى بيده إن هذا وأشار
على الرجل الفقير أفضل عند الله من ملء الأرض من مثل هذا" .. القضية مش
بالمظاهر الكذابة لكن بالتقوى والعمل الصالح لذلك يقو النبي صلى الله عليه وسلم
فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم
لكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم.."

الناس اليوم يقولون للمنافق: يا سيد!! لغناه، وقد يحصل هذا المال من الحرام: من
تجارة المخدرات من الربا، من أكل أموال الناس بالباطل، من السرقة يحصل هذا
المال من الحرام ويقال له لما له: يا سيد وهو منافق لص خبيث معروف يقال له: يا
سيد،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك: "إن قلت للمنافق يا سيد فقد أغضبتم اله عز
وجل.." فهذا من زعم البشر {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن
يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ} (11) سورة
الحجرات فغن الميزان الذى يزن الله به النساء والرجال هو ميزان التقوى ولذلك قال
الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت رسول الله: "يا
فاطمة أعلمى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً.." ونادى النبي صلى الله عليه وسلم
على قبيلته وقومه وقال: "أعلموا فإنكم لن تأتونى يوم القيامة بأنسابكم ولكن تأتونى
بأعمالكم فاعملوا فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً.."

لا تقل أنا راجل منسب نسبى ينتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما عملك؟ ، أو
جهل ما علاقته بالنبي؟ عمه. وفين أبو جهل؟ فى الدرك الأسفل من النار، فرعون
هذه الأمة كما قال الصادق سيد هذه الأمة: "أبو جهل فرعون هذه الأمة" عم النبي
صلى الله عليه وسلم فى الدرك الأسفل من النار ما نفعه النسب العبرة بالعمل: "إن الله
لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم لكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم.."
فانظروا إلى أبى ذر يقول لبلال: "يا بن السواداء" زلة كبيرة لمن هو دونه يستكثر
الناس صغيرة من رجل من أهل الفضل.

وهذا هو ورب الكعبة تشريف لنا وتكريم فقد يأتى رجل من أهل الفضل فعلاً يراه
الناس شنيعاً كبيراً وقد يأتى رجل ممن هو دونه بفعله كبيرة يستصغرها الناس ولا
ينظرون لها ولا يبالون. من أجل ذلك لما عبر أبو ذر بلال قال النبي صلى الله عليه
وسلم صلى الله عليه وسلم "أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية" وكل أمور
الجاهلية منتنة مردودة بغيضة، اسمعوا إلى منهج السمع والطاعة وإلى هذا الأدب
العجيب، كيف أدب أبو ذر نفسه لما يأتى أحدنا فعلاً من أفعال الجاهلية كيف يؤدب
نفسه يرتدع عن هذا الأمر كيف يترك هذه المعصية ولو صغرت، هذا هو المنهج
الإسلامى. فأراد أبو ذر أن يؤدب نفسه وأن يهذبها.

فى رواية وإن كان فى سندها ضعف من باب الأمانة العلمية أن أبا ذر لما قال له
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ذهب لبلال ووضع أبو ذر خده على الأرض وقال
لبلال: استحلفك بالله أن تطأ بنعلك على خدى الآخر. تأديب عجيب كان أبو ذر- تربية
لنفسه- لا يأكل إلا مع خادمه، ولا يلبس إلا ما يلبسه خادمه سبحان الله يقول شعبة عن

واصل الأحذب عن ابن معرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة عليه حلة وعلى غلامه حلة، عليه وعلى غلامه نفس الحلة التي يرتديها. أبو ذر كما ذكرت من أشرف القوم ومن أشرف الناس فلما سألته عن ذلك فقص عليه القصة فقال: إني سببت رجلاً فغيرته بأمة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم " غيرته بأمه يا أبا ذر؟! إنك امرؤ فيك جاهلية.." الحديث وكان أبو ذر- تربية وتأديباً وتهذيباً لنفسه- يلبس خادمه من نفس الزى الذي يلبسه ويؤكل خادمه من نفس الطعام الذي يأكله تأديباً وتهذيباً له بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم له: " أعيرته بأمه يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية.." مع أن علماء الأصول يقولون: لا يشترط المساواة بل يشترط المواساة هذه لطيفة جميلة: أعيرته بأمه يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية.." لم يشترط النبي المساواة بل اشترط المواساة لكن أبا ذر أخذ بالمساواة وترك المواساة، لأن هذا الباب للتأديب والتهديب والتربية للنفس.

وما أحوجنا والله إلى هذا العظيم إخوانكم أخوالكم، فإن كان أخوك تحت يدك فلتطعمه مما تطعم وتلبسه مما تلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم إن كان عندك خادم أو عامل عليك أن تكافه بما يطبق فإن عجز فلتساعده، هذا هو الإسلام العظيم الذي لا يفرق بين نفس ونفس إلا بالتقوى ولا فضل فيه لمن حكم فيه على من حكم ولا من ارتفع على من انخفض ولا لمن اغتنى على من افتقر إلا بالتقوى والعمل الصالح { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (13) سورة الحجرات فلا بد من نبذ أمور الجاهلية وظن الجاهلية وتبرج الجاهلية وحمية الجاهلية، وكل من وقع في أمر من أمور الجاهلية يقال له: إنك امرؤ فيك الجاهلية، لكن لا ينبغي أن نتسرع بالحكم عليه بالتكفير المخرج من الملة، فإن هذا قد ترجم له الإمام البخارى ليبين أن من أتى خصلة من خصال الجاهلية ما دامت دون الشرك فهو ذنب لا يخرج صاحبه من الملة.

أتوقف عند هذا القدر وأتكلم إن شاء الله تعالى في الأسبوع المقبل عن قول الإمام البخارى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" فسماهم المؤمنين، وقد أتعرض بعض الشئ للفتنة الخطيرة التي وقعت بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان- - والتي قتل فيها على- - وطلحة والزبير- رضى الله عنهم- وكثير من الصحابة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك سماهم الله عز وجل بالمؤمنين وسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين.

وأسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص إليه، وأن يخلقنا بأخلاق وبأدب النبي صلى الله عليه وسلم، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) رواه البخارى فى الإيمان (3)، وفى الأدب (6050)، ومسلم فى الإيمان (1661) / (38 - 40).

(2) رواه البخارى فى الإيمان (31).

(1) سبق تخريجه .

(1) رواه أحمد (291/2 ، 338) وابن ماجه فى الفتن (4036) وفى الزوائد فى إسناده إسحاق بن أبى الفرائش ، قال الذهبى فى الكاشف: مجهوا وقيل منكر وذكره ابن حبان فى الثقات ورواه الحاكم (512/4) وصححه ووافقه الذهبى.

!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

الفهرس العام

1.....	الباب الرابع
1.....	من خطب الشيخ محمد حسان حفظه الله
1.....	الطريق إلى القدس
11.....	صرخات من القدس الجريح
22.....	الإرهاب اليهودى
32.....	وأندرهم يوم الحسرة
39.....	نهاية العالم متى وأين؟!!
50.....	أحكام التعزية وزيارة القبور
63.....	تفسير سورة الزلزلة
73.....	رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء
85.....	صفحات سود من تاريخ يهود
97.....	الدر المنثور فى الزود عن أصحاب الرسول
109.....	مقتضيات الحب الصادق
120.....	الغفلة
132.....	وقفه مع النفس
144.....	الهزيمة التفسية
155.....	من أنا
164.....	الحشر
174.....	الشفاعة
184.....	الشمس والدابة والدخان والخسوف
192.....	الموت
205.....	الميزان
215.....	عذاب القبر
224.....	العلامات الصغرى
231.....	المسيح الدجال
239.....	مجئ الرب
246.....	البعث
256.....	أبناؤنا بين البر والعقوق
267.....	يأجوج ومأجوج
276.....	قواعد الحساب

286.....	الأخوة في الله
298.....	كن ربانياً ولا تكن رمضانياً
307.....	إن الإسلام قادم
317.....	علامات الساعة الكبرى ونزول عيسى بن مريم عليه السلام
326.....	عبدة الشيطان
336.....	لا تقنطوا من رحمة الله
352.....	الاستتساخ
361.....	وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم
370.....	رحلتي إلى أمريكا بين الحقائق والآمال والواجبات
377.....	أمة لا تعرف قدر نبيها
388.....	الإسلام وسعادة البشرية
395.....	حجة النبي صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام
399.....	الصوم
408.....	الهجرة دروس وعبر
414.....	الأزمة السكانية والحلول الغائبة
422.....	الإبتلاء
427.....	في ظلال الإسراء والمعراج
437.....	أسير في قيد... دروس وعبر
448.....	حضارة العبيد
459.....	عالمية الإسلام
467.....	الزواج العرفي؟
482.....	الوقت هو الحياة
492.....	سيف الله المسلول
502.....	حق التعريف بالإسلام
516.....	حرمة المسلم وأنتهاك الأعراض
527.....	التوبة النصوح
539.....	الكاسيات العاريات
551.....	هل ولد المهدي؟
562.....	أفحكم الجاهلية يبغون؟